

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
(شعبة التفسير)

ترجمات أبي حيان الأندلسي

في التفسير من الآية (١٠) من سورة الرعد

إلى الآية (٧٩) من سورة النحل

جمعاً ودراسة وموازنة

((من خلال تفسيره البحر المحيط))

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة

إعداد الطالبة : هيفاء بنت صالح بن طاهر بوقس

الرقم الجامعي : ٤٢٤٧٠٠٩٥

إشراف الأستاذ الدكتور : يحيى بن محمد زمزمي

المجلد الأول

١٤٢٩ _ ١٤٣٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص رسالة دكتوراه

بعنوان : ((ترجيحات أبي حيان الأندلسي من سورة الرعد آية ١٠ إلى سورة النحل آية ٧٩

جمعاً ودراسة وموازنة من خلال تفسيره البحر المحيط) .

تتكون الرسالة من مقدمة ، وتمهيد ، وقسمين ، وخاتمة ، وفهارس .

التمهيد : وفيه ترجمة موجزة لأبي حيان _ رحمه الله _ ، بينت فيها نشأته ، وطلبه للعلم ، وثناء العلماء عليه ، ومكانته العلمية ، وبروزه في كثير من الفنون ، خاصة التفسير واللغة العربية وغيرها من العلوم .

أما القسم الأول : ففيه فصلان :

الفصل الأول : منهج أبي حيان الأندلسي _ رحمه الله تعالى _ في تفسيره ((البحر المحيط)) .

الفصل الثاني : منهج أبي حيان _ رحمه الله _ في الترجيح بين الأقوال في التفسير ، وصيغ

الترجيح ، ووجوهه عنده .

أما القسم الثاني : فقد كانت الدراسة فيه لترجيحات أبي حيان _ رحمه الله _ في التفسير من

سورة الرعد آية : ١٠ إلى سورة النحل آية : ٧٩ ، والتي بلغت (٢٠٣) ترجيحاً ، دراسة موازنة بأقوال المفسرين وغيرهم من العلماء .

وقد ظهر من خلال الدراسة قوة ترجيحات الإمام أبي حيان _ رحمه الله _ في التفسير ، وجودة

منهجه في الترجيح وقواعده .

ثم ذكرت الخاتمة ، وفهارس علمية للبحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

المشرف على البحث

أ. د. يحيى بن محمد زمزمي

الباحثة

هيفاء بنت صالح بن طاهر حسن بوقس

In the nam of Allah , th most merciful , the most Gracious

Abstract of the phd dissertation

The title of this dissertation is : studying abu hayyan al-andalusi's Methodology of choosing the preferred scholars' Opinions in His Interpretation of the Holy Quran " Al-Bahr Al-Moheet " , starting from surat Al-Ra'ad (ayah 10) to surat Ai-Nahl (ayah 79)

The disstataion consists of an introduction , two chapters , a conclusion and appendices .

The first chapter emphasizes two parts ;

The first part is a brief biography of Abu Hayyan Al-Andalusi (mercy be upon him) , highlighting his upbringing , his standing as a scholar , his demanding quest for knowledge and learning , his emerging many scientific aspcts , especially in the interpretation of the Holy Quran , in Arabic Language and other sciences as well .

The second part illuminates Abu Hayyan's methods in his interpretation of the Holy Quran " Al-Bahr Almoheet " , his method in selecting the preferred opinions of other famous scholars and the wording and style he used for indicating the preferred opinions .

The second chapter :

The chapter deals with Abu Hayyan Al-Andalusi's methodology in selecting the preferred opinions of famous scholars in his interpretation of the Holy Quran starting from surat Al-Ra'ad (ayah 10) to surat Ai-Nahl (ayah 79) , and these selections rached (200) locations , being studied carefully and compared with other indications of famous scholars .

The research demonstrates clearly the superior standing of Abu Hayyan and that he was rather innovating than imitating other scholars .

Then I end my research with the conclusion and scientific appendices for my dissertation .

And our last prayer , that Allah be praised , and peace be upon His Prophet Muhammad , Amen .

Researcher:

Hayfa Saleh Bougis

Supervisor

Professor : Yahya Mohammad amzami

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .
أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ - وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فلقد حمد الله تعالى نفسه على إنزاله كتابه العظيم على خير عباده محمد ﷺ - فقال تعالى
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [سورة الكهف : ١ - ٢] .

وقد دعا الله تعالى وندب إلى تدبر كتابه وفهمه فقال عز وجل
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء : ٨٢] ، وقال تعالى
﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص : ٢٩]
وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أُمِرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾ [سورة محمد : ٢٤] .

ولما كان أفضل ما يشتغل به طالب العلم ، ويهدل فيه نفيس وقته ؛ دراسة كتاب الله ﷻ ، قراءة وحفظاً وفهماً وتفسيراً ، ولما كان كل علم يشرف بموضوعه ؛ فإن التفسير من أفضل العلوم ، إذ هو علم متعلق بكتاب الله ﷻ ، الذي جعله الله تعالى مصدر الهدى والشفاء

قال الله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس : ٥٧] .

فقد حرص المسلمون على حفظ القرآن الكريم وتعلمه وفهمه والعمل به ، وقام كثير من العلماء بجهود كبيرة في خدمة كتاب الله تعالى ، ومن ذلك : الكشف عن معاني كلام الله تعالى وتفسيره ، وتعلمه وتعليمه ، وحظي القرآن الكريم بعنايتهم قراءة ، وحفظاً ، وتفسيراً وهذا مصداق قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

وإمامهم في ذلك الرسول ﷺ - حيث تلقى القرآن الكريم حياً من ربه فبلغه مبلغ تليغ، وبين - أحسن بيان، كما قال سبحانه ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [سورة العنكبوت: ١٨] وقال ج - ع - لا ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] .

ثم قام الصحابة - رضي الله عنهم - ببيان معاني القرآن الكريم، وهم أعلم الناس بكتاب الله ﷻ ، ثم جاء من بعدهم التابعون و أتباعهم ففسروا القرآن الكريم، وهكذا استمر الاهتمام بتعلم القرآن الكريم وتعليمه وتفسيره ، تصنيفاً وتأليفاً ، في نواحي واتجاهات مختلفة ومتنوعة ، وقد ضمت المكتبات الكثير من التفاسير العظيمة .

وإن من أفضل كتب التفسير ، وأغزرها فائدة تفسير البحر المحيط ، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي - رحمه الله - ؛ وقد تميز هذا التفسير بقيمته العلمية ، وغزير فائدته وذلك يدل على جلاله مؤلفه ، وتمكنه في علم التفسير والقراءات واللغة وغيرها ، ولقد كان لأبي حيان ترجيحات واختيارات في التفسير واللغة وغيرها تشير إلى سعة علمه واطلاعه .

ولذا وقع اختياري على هذا التفسير العظيم؛ لتكون رسالتي لدكتوراه بعنوان :

((ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية : ١٠ من سورة الرعد ، إلى الآية : ٧٩ من سورة النحل))^١ .

^١ - وأشير إلى أن هذا البحث جزء من عدة رسائل جامعية قدمت في جامعة أم القرى ؛ حيث اشترك فيه معي خمسة عشر باحثاً ، وهم على النحو التالي :

١ - محمد ناصر يحيى جده ، في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في رسالته (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة ، جمعاً ودراسة وموازنة) .

٢ - جمال محمد ربعين ، في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في رسالته (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة آل عمران إلى نهاية سورة المائدة ، جمعاً ودراسة وموازنة) .

وذلك للأسباب الآتية :

- ١ _ خدمة لكتاب الله تعالى ، ونيل الأجر والثواب منه عز وجل .
 - ٢ _ إمامة الإمام أبي حيان الأندلسي - رحمه الله - في القراءات والتفسير والحديث والعربية وكثير من العلوم ، حيث برع فيها واستفاد منه خلق كثير ، شهد له الكثير بالإمامة فيها .
 - ٣ _ كثرة الأقوال في تفسير الآيات ؛ حيث يحتاج القارئ لها التمييز بين ما كان اختلاف تنوع أو اختلاف تضاد ، ومن ثم معرفة الراجح منها ؛ ليكون فهمه للآيات فهماً سليماً .
-
- ٣ _ بتول إبراهيم أحمد مغربي ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة الأنعام إلى نهايتها ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ٤ _ فريدة محمد أحمد الغامدي ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة الأعراف إلى آخرها ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ٥ _ سلمى معيوض زويد الجميعي ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة الأنفال إلى آية رقم ٤٨ بسورة التوبة ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ٦ _ هند منصور عون العبدلي ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من آية ٤٩ من سورة التوبة إلى الآية ٤٥ من سورة يونس ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ٧ _ جوهرة عبد الرحمن الصبيحي ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من آية ٤٦ من سورة يونس إلى آية ١٠ من سورة الرعد ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ٨ _ بدرية عطية حمزة الحرازي ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من آية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ٩ _ هبة الله صادق أبو عرب ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة طه إلى الآية ٧٧ من سورة المؤمنون ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ١٠ _ مها سليم سليم الراددي ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من آية ٧٨ من سورة المؤمنون إلى آية ٦٨ من سورة الشعراء ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ١١ _ زينب محمد الخضر الناجي ضيف الله ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من آية ٦٩ من سورة الشعراء إلى آخر سورة لقمان ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ١٢ _ سلمى داود إبراهيم داود ، في أطروحتها لنيل درجة الدكتوراه في رسالتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة السجدة إلى آخر سورة الزمر ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ١٣ _ سعيد غليفص سعيد القحطاني ، في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في رسالته (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة غافر إلى آخر سورة ق ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ١٤ _ عبد الله سالم بافرج ، في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في رسالته (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة الذاريات إلى آخر سورة المجادلة ، جمعاً ودراسة وموازنة) .
 - ١٥ _ محمد أحمد محمد الهاشم ، في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في رسالته (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة المجادلة إلى آخر سورة الناس ، جمعاً ودراسة وموازنة) .

- ٤ _ عناية أبي حيان _ رحمه الله _ يذكر أقوال المفسرين واختلافهم مع ذكر الأدلة ، والترجيح .
- ٥ _ أن هذا البحث ينمي في الطالب ملكة مناقشة الأقوال والترجيح بينها ، ومعرفة أسباب الترجيح .
- ٦ _ تعد هذه الدراسة تطبيقاً عملياً لما وضع من الكتب في قواعد الترجيح في التفسير ؛
- ككتاب (القواعد الحسان لتفسير القرآن) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - ،
- وكتاب (شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -) للشيخ محمد بن صالح
- العثيمين - رحمه الله - ، و كتاب (قواعد الترجيح عند المفسرين) لحسين بن علي الحربي ،
- وكتاب (قواعد التفسير) لخالد بن عثمان السبت ، وغيرها من الكتب في ذلك .
- ٧ _ أن تفسير البحر المحيط قد ظهرت فيه دراسات في بيان منهجه في التفسير ، ودراسات في القراءات ،
- و اللغة والنحو والبلاغة في تفسيره ، وهذه دراسة جديدة في بيان ترجيحات هذا الإمام في تفسيره
- ومقارنتها بأقوال غيره من المفسرين ، ثم بيان الراجح منها ، وفيها تظهر مكانة أبي حيان وقوة
- ترجيحاته ، مما يزيد في بيان مكانة أبي حيان وتمكنه في التفسير ، وهذا ما سيبين من خلال البحث
- _ إن شاء الله تعالى _ .
- ٨ _ المشاركة بجهد المقل في البحث العلمي ، من خلال هذه الدراسة والتي أسأل المولى الكريم أن يتقبلها
- ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وأن ينفعني بها وقارئها .

الدراسات السابقة :

- ١ _ منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط ، للباحث : عبد المجيد المحتسب ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، رسالة دكتوراه ، ١٩٦٨ م .
- ٢ _ منهج أبي حيان في تفسير القرآن الكريم ، للباحث : بو شعيب محمادي ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب ، رسالة دكتوراه ، ١٩٩٣ م .
- ٣ _ أبو حيان المفسر ، منهجه وآراؤه في التفسير ، للباحث : محمد عبد المنعم محمد الشافعي ، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين ، رسالة دكتوراه ، ١٣٩٤ هـ _ ١٩٧٢ م .
- ٤ _ القراءات في تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان من أول الفاتحة إلى سورة الأنفال ، للباحث : أحمد شكري ، الجامعة الإسلامية ، رسالة ماجستير ، ١٤٠٤ هـ .
- ٥ _ البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط مع تحقيق المقدمة وسورة الفاتحة ، للباحث : زكريا سعيد علي ، جامعة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ١٩٨٥ م .
- ٦ _ القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير أبي حيان النحوي لسورة البقرة ، للباحث : محمد المحمودي ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب ، رسالة دكتوراه ، ١٩٩٠ م .

- ٧ _ اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعاً ودراسة ، للباحث : بدر بن ناصر البدر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، رسالة ماجستير ، ١٤١٢ هـ . وقد طبع ، ط . مكتبة الرشد _ الرياض ، ١٤٢٠ هـ _ ٢٠٠٠ م .
- ٨ _ تعقيبات أبي حيان النحوية والصرفية لأبي البقاء العكبري في البحر المحيط ، للباحثة : معوضة محمد حكيمي ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، رسالة ماجستير ١٤١٥ هـ .
- ٩ _ تعقيبات أبي حيان النحوية للزمخشري في البحر المحيط ، للباحث : محمد القرشي ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراه ١٤١٦ هـ .
- ١٠ _ اعتراضات السمين الحلبي في الدر المصون على أبي حيان ، دراسة نحوية صرفية ، للباحث : عبد الله الطريقي ، الجامعة الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراه ١٤١٧ هـ .
- ١١ _ المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية ، للشاوي ، دراسة وتحقيق إلى نهاية سورة يوسف ، للباحث : ناجي عبد الجليل ، الجامعة الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراه ، ١٤١٧ هـ .
- ١٢ _ مسائل التصريف في البحر المحيط لأبي حيان جمعاً ودراسة ، للباحث : عبد الله العمير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراه ١٤٢٠ هـ .
- ١٣ _ دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط ، للباحث : جزاء بن محمد المصاورة ، جامعة مؤتة ، الأردن ، رسالة ماجستير ٢٠٠٥ م .
- ١٤ _ المسائل النحوية والصرفية في كتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي من أول سورة المجادلة حتى نهاية سورة الرسائل ، للباحثة : فوزية بنت آدم محمد الموساوي ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، رسالة ماجستير ، ١٤٢٢ هـ _ ١٤٢٣ هـ .
- ١٥ _ المسائل النحوية والصرفية في البحر المحيط لأبي حيان من بداية سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد ، للباحثة : أسماء محمود تلاب ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، رسالة ماجستير ، ١٤٢٣ هـ .

ويتكون البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وقسمين ، وخاتمة ، وفهارس وفق الترتيب الآتي :

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وخطة البحث ، ومنهجه ، وصعوبات واجهت البحث ، ثم شكر وتقدير .

التمهيد : ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي ، وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه ومولده وصفاته الخلقية والخلقية .

- المبحث الثاني : نشأته ، وطلبه للعلم .
المبحث الثالث : مكاتته العلمية ، وثناء العلماء عليه .
المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه .
المبحث الخامس : آثاره ومؤلفاته .
المبحث السادس : وفاته .

القسم الأول ، وفيه فصلان :

الفصل الأول : منهج أبي حيان في تفسيره ، وفيه مبحثان :
المبحث الأول : تفسيره القرآن بالمأثور . وفيه تمهيد ، وتسعة مطالب :

- المطلب الأول : تفسيره القرآن بالقرآن .
المطلب الثاني : تفسيره القرآن بالسنة .
المطلب الثالث : تفسيره القرآن بأقوال الصحابة .
المطلب الرابع : تفسيره القرآن بأقوال التابعين .
المطلب الخامس : تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين .
المطلب السادس : عنايته بالقراءات .
المطلب السابع : عنايته بأسباب النزول .
المطلب الثامن : عنايته بالناسخ والمنسوخ .
المطلب التاسع : عنايته بالمكي والمدني .

المبحث الثاني : تفسيره القرآن بالرأي ، وفيه تمهيد ، وثلاثة مطالب :
المطلب الأول : تفسيره القرآن باللغة . وفيه خمسة أمور :

- الأول : مصادره في اللغة ، والأعلام الذين سماهم .
الثاني : عنايته بمعاني المفردات .
الثالث : عنايته بمعاني الحروف والأدوات .
الرابع : عنايته بالإعراب .
الخامس : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني .
المطلب الثاني : عنايته بالمناسبات .
المطلب الثالث : عنايته بأسرار التعبير .

الفصل الثاني : منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير ، وفيه تمهيد ، ومبحثان :

التمهيد : تعريف التعارض ، والترجيح .

المبحث الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان الأندلسي : وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التنصيص على القول الراجح .

المطلب الثاني : التفسير بقول ، مع النص على ضعف غيره .

المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم ، وذكر الأقوال الاخرى بصيغة التمريض .

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي : وفيه أحد عشر مطلباً :

المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .

المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن .

المطلب الثالث : الترجيح بالقراءات .

المطلب الرابع : الترجيح بالسياق .

المطلب الخامس : الترجيح بالحديث النبوي .

المطلب السادس : الترجيح بأسباب التزول .

المطلب السابع : الترجيح في النسخ والمنسوخ .

المطلب الثامن : الترجيح بالعموم .

المطلب التاسع : الترجيح بالمطلق .

المطلب العاشر : الترجيح باللغة .

القسم الثاني : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية

(١٠) من سورة الرعد إلى الآية (٧٩) من سورة النحل

أولاً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة الرعد من آية (١٠) إلى نهاية
السورة .

وفيها : تسعة وثلاثون ترجيحاً .

ثانياً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة إبراهيم .

وفيها : واحد وثلاثون ترجيحاً .

ثالثاً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة الحجر .

وفيها : ثلاثة وأربعون ترجيحاً .

رابعاً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة النحل من أول السورة إلى آية (٧٩) .

وفيها : ثمانية وثمانون ترجيحاً .

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة .

الفهارس : وتتضمن الفهارس التالية :

- ١ _ فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ _ فهرس القراءات .
- ٣ _ فهرس الأحاديث النبوية .
- ٤ _ فهرس الآثار .
- ٥ _ فهرس الأعلام .
- ٦ _ فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة .
- ٧ _ فهرس الفرق والقبائل .
- ٨ _ فهرس الأماكن والبلدان .
- ٩ _ فهرس الشواهد الشعرية .
- ١٠ _ فهرس المصادر والمراجع .
- ١١ _ فهرس الموضوعات .

منهجي في البحث :

١ _ استخرجت ترجيحات أبي حيان الأندلسي _ رحمه الله _ من خلال تفسيره البحر المحيط ضمن القدر المحدد لي .

٢ _ درست الترجيحات على النحو التالي :

- _ ذكرت الآية التي فيها الترجيح .
- _ إن كان في الآية عدة ترجيحات ، ذكرت تحت الآية بأن فيها كذا من المسائل .
- _ وضعت لكل ترجيح عنواناً .
- _ وضعت لكل ترجيح رقمين ، رقماً عاماً لكل الترجيحات في الرسالة ، ورقماً خاصاً لكل ترجيح في كل سورة في البحث .
- _ ذكرت ترجيح أبي حيان للمسألة ، ثم ذكرت نص قوله في ذلك .

- ١ _ ذكرت الأقوال الواردة في المسألة ومن ضمنها قول أبي حيان ، وبينت في كل قول من قال به إن وجد ، وإلا ذكرت في الهامش المرجع الذي ذكره .
- ٢ _ ذكرت في كل قول أدلته إن وجدت .
- ٣ _ ذكرت في كل قول من ضعف ذلك القول إن وجد .
- ٤ _ رجحت بين الأقوال قدر استطاعتي حسب قواعد الترجيح عند المفسرين .
- ٥ _ عزوت الآيات الواردة في الرسالة إلى سورها ، بذكر اسم السورة ، ورقم الآية في متن الرسالة ، وفق الرسم العثماني في المصحف .
- ٦ _ عزوت القراءات إلى قارئها من أئمة القراءات ، وإن كانت شاذة بينت ذلك من كتب الشواذ إن وجد ، وإن لم يوجد فمن كتب التفسير التي ذكرتها .
- ٧ _ خرجت الأحاديث والآثار تحريماً مختصراً ، وذكرت الحكم عليها ، فإن كان في الصحيحين اكتفيت بهما ، وإن كان في غيرهما ، ذكرت أقوال العلماء في الحكم عليها إن وجد ، وإلا حكمت عليها وفق قواعد الجرح والتعديل .
- ٨ _ وثقت النصوص التي ذكرتها من مصادرها الأصلية ما أمكنني .
- ٩ _ عزوت الشواهد الشعرية إلى قائلها ، وذكرت مصادرها ما أمكن .
- ١٠ _ ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في الرسالة في أول ذكر لهم ، ولا أحيل للترجمة إن تكرر اسم العلم .
- ١١ _ عرفت بالفرق والطوائف والأماكن من كتبها المعتمدة .
- ١٢ _ إذا حذف شيئاً من النص المنقول ، فإني أضع مكانه نقاطاً هكذا
- ١٣ _ راعيت الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء .
- ١٤ _ وثقت أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم من مصنف عبد الرزاق ، وجامع البيان للطبري ، وتفسير ابن أبي حاتم ، والدر المنثور للسيوطي إن وجد ، وإلا من كتب التفسير الأخرى التي ذكرته مقتصرة على ثلاثة منهم إن وجد .
- ١٥ _ وضعت معلومات المصادر والمراجع في فهرسها ، دون أول ذكر لها .
- ١٦ _ ضبطت بالشكل والحروف الكلمات التي تحتاج إلى ضبط مما تشكل قراءتها ونطقها .
- ١٧ _ ذيلت الرسالة بفهارس علمية ، اعتمدت في فهرس الآيات على ترتيبها في القرآن الكريم ، وفي الفهارس الأخرى على الترتيب الهجائي .

ومن الصعوبات التي واجهتني خلال إعداد الرسالة : قوة أبي حيان النحوية فيستغلني علي أحياناً كثيرة فهم المراد ، واستخراج الترجيحات على فهم صحيح ، مما يستدعي قراءة الكلام عدة مرات حتى يتضح المعنى .

ومن الصعوبات أيضاً الموازنة بين أقوال العلماء في التفسير ، وتصنيفها ، فالبعض تكون عبارته واضحة ، والبعض قريبة مما سبقه ، والبعض قد يفسر بكلام ظاهره التغاير ، وأجده فيما بعد يعود للكلام السابقين ، إلى غير ذلك من الأقوال _ مع جلاله قائلها _ التي أجتهد فيها برأي ، وهي تحتاج إلى كثير من التأمل والفكر . كذلك من الصعوبات الوصول إلى الترجيح ؛ وذلك لأن فيه الحكم على أقوال العلماء إما بالقوة أو الضعف ، وهذا لايتأتى إلا لمن وفقه الله تعالى ، وكانت لديه الوسائل والأدوات المعينة في مادة التفسير حتى يتمكن من تطبيق قواعد الترجيح على تلك الأقوال ، فكانت أتوقف وقتاً طويلاً للوصول للراجح .

وختاماً ... فيني أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي للجلال وجهه وعظيم سلطانه على توفيقه وامتنانه ، وأسأله تعالى أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

ثم أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى والقائمين عليها ، ممثلة في معالي مديرها الدكتور وليد ابن حسين أبو الفرج _ حفظه الله تعالى ووفقه لما يحب ويرضى _ ، وجميع المسؤولين في الجامعة ، لهم مني جزيل الشكر والتقدير ، على ما بذلوه من مجهود كبير لأجل العلم وطلابه . وأخص بالشكر كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها ، وجميع وكلائه ، والشكر موصول لقسم الكتاب والسنة ، وعمادة الدراسات العليا فجزاهم الله خير الجزاء لما يقومون به من جهود مشكورة في تذليل الصعاب لطلبة العلم .

كما أتوجه بالشكر الجزيل لجميع مشايخي في مرحلة الدكتوراه وغيرها على ما قدموا لي من كريم عطاء ، وغزير علم ، ونصح ، وتوجيه ، فجزاهم الله خير ما يجزي شيخاً عن طلابه ، وأخص بالشكر فضيلة الأستاذ الدكتور : عبد العزيز عزت ؛ لما زرعه في نفسي ونفوس أخواني في الدكتوراه من حب لمدارسة العلم والمناقشة والتدقيق والتحرير وغير ذلك من فضائله التي لا نزال نلمسها في طريقنا في طلب العلم ، فجزاه الله عنا خير الجزاء . كما أتقدم بالشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور : يحيى بن محمد زمزمي المشرف على هذه الرسالة على ما قدمه لي من توجيه وإرشاد ونصح ، وعلى صبره وتقويمه لهذه الرسالة فجزاه الله خير الجزاء وبارك في علمه ووفقه لخير الدنيا والآخرة .

كما أقدم كلمات الشكر والعرفان لفضيلة الشيخين الكريمين

فضيلة الأستاذ الدكتور بدر بن ناصر البدر ، الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة الإمام ، والأستاذ الدكتور جمال مصطفى بن عبد الحميد النجار ، الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، على قبولهما لمناقشة رسالتي ، وتقويمهما وبيان ما فيها من الأخطاء ، فجزاهما الله خير الجزاء ، ووفقهما لخير لما يحب ويرضى . كما أتوجه بالشكر الجزيل لكل من أعانني في هذه الرسالة وأخص بالشكر زوجي الفاضل الشيخ الدكتور : طلحة بن محمد توفيق بن ملا حسين ، على ما بذله من جهد كبير ، وصبر غزير لإتمام هذه الرسالة ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وجمعنا في الفردوس الأعلى ، وكل عزيز وغال .

كما أتوجه بالشكر للدكتور محمد بن ناصر يحيى جده على ما قدمه من المعونة ، وكرمه في بذل العلم ، والإرشاد فجزاه الله خيراً .

كما أقدم شكري الجزيل لأبنائي الأحباء : (سمية ، وعائشة ، وصفية ، وعبد الرحمن) ، وإخواني الأعزاء ،
وزوجاتهم وأبناءهم ، وشقيقي الغالية : صالحة ، والأخوات الحبيبات : أسماء محمد توفيق ، و زهور صالح خياط ،
و إيناس جلبي ، والابن : أنس بن فايز الشنبري _ جعله الله قرّة عين لوالديه _ .
والشكر موصول لأخواتي وأستاذاتي في الجامعة : د . رابية رفيع ، أ . فاطمة جان ، و د . سعاد باققي ، و د .
عائشة بنت رجاء الله الحربي ، و د . مريم بنت عبد الرحمن أبو علي ، و د . أميرة الصاعدي ، و د . سلمى بنت
إبراهيم بن داود ، و د . جوهرة الصبيحي ، و د . فريدة الغامدي ، و أ . بدرية بنت عطية الحرازي ، و أ . مها
الردادي ، و أ . هبة بنت صادق أبو عرب ، وجميع أخواتي في مرحلة الدكتوراه ، و أ . عواطف البساطي ، و أ .
فاتنة سليم ، ولكل من ساعدني في هذه الرسالة ، أو كان معي بالتشجيع والدعاء ، فلهم مني جزيل الشكر والتقدير
، وأسأل الله لهم التوفيق والسداد .
وبعد : فأسأل الله الكريم المنان أن يتقبل عملي هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يوفقني لما يحب ويرضى
، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثة

هيفاء بنت صالح بن طاهر بوقس

التمهيد

ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه ومولده وصفاته الخلقية والخلقية .

المبحث الثاني : نشأته ، وطلبه للعلم .

المبحث الثالث : مكانته العلمية ، وثناء العلماء عليه .

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الخامس : آثاره ومؤلفاته .

المبحث السادس : وفاته .

المبحث الأول : اسمه ونسبه ومولده ، وصفاته الخلقية والخلقية^١ .

أولاً _ اسمه ونسبه : هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين ، أبو حيان الأندلسي الغرناطي^٢ ، النّفزي^٣ ، الجياني^٤ ، وقد صرح أبو حيان أنه من حيان حيث قال : " كان أبي من حيان " .^٥ وذكر الذهبي^٦ أنه ينسب إلى جده لأبيه فيقال له : الجياني^٧ .^٨

^١ _ ينظر في ترجمته :

نكت الهميان : (٢٨٠ - ٢٨٦) ، والوافي بالوفيات : (٢٧٧ / ٥ - ٢٨١) ، ونفح الطيب : (٢ / ٥٣٥ - ٥٨٤) ، والإحاطة في أخبار غرناطة : (٣ / ٤٣ - ٦٠) ، ومعرفة القراء الكبار : (٣٨٧) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٥٨ - ٦٥) ، والنجوم الزاهرة : (١٠ / ١١١ - ١١٥) ، وفوات الوفيات : (٤ / ٧١ - ٧٩) ، والمختصر في أخبار البشر : (٤ / ١٤٢) ، ووفيات ابن رافع : (١ / ٤٨٢ - ٤٨٤) ، ووفيات ابن قنفذ : (٣٤٩) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٠ - ٢٨٥) ، وطبقات المفسرين ، للدواودي : (٢ / ٢٨٧ - ٢٨٩) ، وطبقات المفسرين ، للأذنه وي : (٢٧٩) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٥ - ١٤٧) ، من ذبول العبر : (٦ / ٢٤٣ - ٢٤٤) ، ومعجم المؤلفين : (١٢ / ١٢٠ - ١٣١) ، وتذكرة الحفاظ : (٢٣ - ٢٦) ، والرد الوافر : (١ / ٦٢ - ٦٣) .

^٢ _ غرناطة : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ثم نون ، وبعد الألف طاء مهملة ، أقدم مدن كورة إلبيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها . ينظر : معجم البلدان : (٤ / ١٩٥) .

^٣ - النّفزي : نسبة إلى نَفْزَة : بالفتح ثم السكون ، وزاي ، وقيل : نفزة بكسر النون ، قبيلة من البربر ، وهي مدينة بالمغرب بالأندلس . ينظر : شذرات الذهب : (٦ / ١٤٥) ، ومعجم البلدان : (٥ / ٢٩٦) ، طبقات المفسرين : (٢ / ٢٨٧) .

^٤ - الجياني : نسبة إلى جيّان : بالفتح ثم التشديد ، وآخره نون ، مدينة لها كورة واسعة بالأندلس ، تتصل بكورة إلبيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة ، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً ، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلداناً . ينظر : والمشتبه : (١٢٨) ، ومعجم البلدان : (٢ / ١٩٥) ، ونفح الطيب : (١ / ٢٤٤) ، والدرر الكامنة : (٥ / ٧٠) .

^٥ - ينظر : نفح الطيب : (١ / ٢٤٤) ، والدرر الكامنة : (٥ / ٧٠) .

^٦ - الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي ، ولد سنة ٦٧٣ هـ ، المقرئ المحدث ، كان صالحاً خيراً ، صنّف كثيراً وجمع ونفع الناس ، توفي سنة ٧٤٨ هـ . ينظر : معجم الذهبي : (١ / ٧١) ، والوفيات : (٢ / ٥٥) .

^٧ - المشتبه في الرجال : (١٧٩) .

^٨ - ينظر : الدرر الكامنة : (٦ / ٦٣) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٥) ، وغاية النهاية : (٢ / ٢٨٥) ، وفوات الوفيات : (٤ / ٧١) .

فهو الغرناطي نسبة إلى محل ولادته ، والأندلسي نسبة إلى الأندلس ، والحياي نسبة إلى حيان موطن أهله ، والنفزي نسبة إلى نفزة ، والحياي نسبة إلى جده .

ثانياً _ مولده :

ولد أبو حيان _ رحمه الله _ في غرناطة ، وقيل : بمدينة مطخشارش ^١ ، وكان مولده في العشر الأواخر من شوال سنة ستمائة وأربع وخمسين من الهجرة ، وقيل : ولد سنة ستمائة واثنين وخمسين ^٢ ، ولكن يقوي القول الأول قول أبي حيان في مقدمة كتابه البحر المحيط : " فأتاح الله لي ذلك _ يريد اشتغاله بالتفسير _ قبل بلوغي ذلك العقد ، وبلغت ما كنت أروم من ذلك بانتصاي مدرساً في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور _ قدس الله مرقده _ وذلك في دولة ولده السلطان القاهر الملك الناصر ، الذي رد الله به الحق إلى أهله ، وكان ذلك في أواخر عشر وسبعمائة وهي أوائل سبع وخمسين من عمري فعكفت على تصنيف هذا الكتاب " ^٣ .

كما يقويه أن أبا حيان أخبر به تلميذه الصفدي في إجازته التي بعث بها إليه ^٤ .

ثالثاً _ صفات أبي حيان الخلقية والخلقية :

أ : صفاته الخلقية :

كان معتدل القامة ، ذالمة وافرة ، مستدير الوجه ، مليحاً ، ظاهر اللون مشرباً بحمرة ، منور الشبهة ، كبير اللحية مسترسل الشعر فيها ، لم تكن كثة ، حسن العمة ، طلق اللسان ، فصيح الكلام ، يعقد حرف القاف قريباً من الكاف على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة ، حسن النغمة ، جهوري الصوت ، مليح الحديث ^٥ .

^١ _ وهي ضاحية بغرناطة ، وقيل : من حصون غرناطة . ينظر : طبقات الداودي : (٢ / ٢٨٧) ، وطبقات الأذنه وي : (٢٧٩) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٥) ، والبلغة : (١ / ١٨٥) .

^٢ _ ينظر : بغية الوعاة : (٢٨٠) ، و الشهادة الزكية : (١ / ٣١) ، وغاية النهاية : (٢ / ٢٨٥) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٥) ، النجوم الزاهرة ١ / ١١٢ ، الدرر الكامنة : (٦ / ٥٨) .

^٣ _ البحر المحيط : (١ / ١٠٠) .

^٤ _ الوافي بالوفيات : (٥ / ٢٧٧ - ٢٨١) ، ونفح الطيب : (٢ / ٥٤٩ - ٥٥٣) ، بغية الوعاة : (١ / ٢٨٢) .

^٥ _ ينظر : نفح الطيب : (٣ / ٢٩٧ - ٣٢١) ، ونكت الهميان : (٢٨١) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٦) ، وفوات الوفيات : (٢ / ٥٥٥) ، والمنهل الصافي : (٥ / ٦٨ - ٧٢) ، وأعيان العصر : (٧) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٢) .

ب : صفاته الخُلقية .

١ _ خشوعه :

كان _ رحمه الله تعالى _ كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن ، وسماعه^١ .

٢ _ حرصه :

كان _ رحمه الله _ يوصي طلابه بـ حفظ دراهمهم حتى لا يحتاجوا لأحد .
قال الصفدي _ رحمه الله _ : « والذي أراه فيه أنه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شيء معه ، وتعب حتى حصل المناصب تعباً كثيراً ، وكان قد جرب الناس ، وحلب أشطر الدهر ، ومرت به حوادث فاستعمل الحزم^٢ » .

٣ _ تواضعه :

قال لتلميذه الصفدي عندما طلب إجازته : « أعزك الله ظننت بإنسان جميلاً ، فغاليت وأبديت من الإحسان جزيلاً ، وما باليت ، وصفت من هو القتام يظنه الناس سماءً ، والسراب يحسبه الظمآن ماءً ، يا ابن الكرام ، وأنت أبصر من يشيم ، أمع الروض النضير يرعى الهشيم ؟ ، أما أغنتك فضائلك وفواضلك ومعارفك وعوارفك عن نغبة^٣ من دأماء^٤ ، وتربة من يهماء^٥ ، لقد تبلجت المهارق^٦ من نور صفحاتك ، وتأرجحت الأكوان من أريج نفحاتك ، ولأنت أعرف من يقصد للدراية ، وأنقد من يعتمد عليه في الرواية ، لكنك أردت أن تكسو من مطارفك^٧ ، وتتفضل من تالدك ، ومطارفك ، وتجلو الخامل في منصة النباهة ، وتنقذه من لكن الفهاهة^٨ ، فتشيد له ذكراً ، وتعلي له

^١ _ ينظر : شذرات الذهب : (٦ / ١٤٦) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٤ - ٦٥) .

^٢ _ نفع الطيب : (٢ / ٥٤٤) .

^٣ _ النغبة : الجوعة والجراحة . ينظر : لسان العرب : (١ / ٧٦٥) ، مادة : (نغب) .

^٤ _ دأماء : الدأم : ما غطاك من شيء ، والدأماء : البحر . ينظر : لسان العرب : (١٢ / ١٩٥) ، والمعجم الوسيط : (١ / ٢٦٨) ، مادة : (دأم) .

^٥ _ اليهماء : مفازة لا ماء فيها ولا يسمع فيها صوت . ينظر : لسان العرب : (١٢ / ٦٤٨) ، والمعجم الوسيط : (٢ / ١٠٢٧) ، مادة : (يهم) .

^٦ _ المهارق : الفلوات ، وقيل : الطرق ، والمهرق : الصحراء الملساء . ينظر : لسان العرب : (١٠ / ٣٦٨) ، مادة : (هرق) .

^٧ _ مطارفك : المطارف : أردية من خز مربعة لها أعلام . ينظر : لسان العرب : (٩ / ٢٢٠) ، مادة : (طرف) .

^٨ _ الفهاهة : العي ، وفهيه إذا جاءت منه سقطت من العي وغيره . ينظر : لسان العرب : (١٣ / ٥٢٥) ، مادة : (فهه) .

قدراً ، ولم يمكنه إلا إسعافك فيما طلبت ، وإجابتك فيما إليه نذبت ، فإن المالك لا يع — صى ،
والمفضل المحسن لا يقصى ، وقد أجزت لك — أيدك الله تعالى — جميع ما رويته عن أشياخي»^١ .

٤ _ هيبته : كان شديد البسط مهيباً جهورياً مع الدعابة وطرح التسمت^٢ .

٥ _ عفيف النفس :

وأشار إلى ذلك بقوله : أريد من الدنيا ثلاثاً ، وإنها لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة وإكثار أعمال عليها أواظب^٣ .

^١ _ ينظر : نفع الطيب : (٢ / ٥٤٩) .

^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٥٨٠) .

^٣ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٥٦٤) .

المبحث الثاني : نشأته وطلبه للعلم .

نشأ أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ في غرناطة وهي من أكبر مدن الأندلس ، وفيها نشطت الحياة الفكرية والعلمية ، فكانت محط نظر العلماء في كثير من العلوم ، وخاصة العلوم الدينية والعربية ، وكان أكثرها اهتماماً قراءة القرآن الكريم برواياته المتعددة ، و رواية الحديث ، ودراسة الفقه ، وكان لعلم الأدب نصيب وافر^١ .

ولما بلغ أبو حيان سن التمييز والإدراك ، أرسله أبوه إلى المكتب ليحفظ القرآن الكريم ، ويتعلم القراءة والكتابة ، كما هي عادة أهل الأندلس في تنشئة أولادهم ورغبتهم في تحصيلهم للعلم . واجتهد أبو حيان في طلبه وتحصيله للعلوم المختلفة على شيوخ عصره ، وعلماء بلده ، حتى ظهرت نباهته ، وذاع صيته بين أقرانه ، وكثر ثناء شيوخه عليه^٢ .

قال لسان الدين بن الخطيب^٣ _ رحمه الله _ : « كان أثير الدين أبو حيان نسيح وحده في ثقبوب الذهن ، وصحة الإدراك ، والاطلاع بعلوم العربية والتفسير وطريق الرواية »^٤ .

وقال الصفدي^٥ _ رحمه الله _ : « واجتهد في طلب التحصيل ، والتقيد ، والكتابة ، ولم أر في أشياخي أكثر اشتغلاً منه ، لأني لم أره قط إلا يسمع ، أو يشتغل ، أو يكتب ، أو ينظر في كتاب ، ولم أره على غير ذلك »^٦ .

وقال الصفدي _ رحمه الله _ : « لم أره قط إلا يسبح أو يشغل أو يكتب أو ينظر في كتاب »^٧ . وقد عنى أبو حيان _ رحمه الله _ بطلب الحديث ، والفقه ، والتفسير ، واللغة ، ورحل في سبيل ذلك ، فقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس ، وبلاد إفريقية ، و ثغر الإسكندرية ، وديار مصر ، والحجاز ، وحصل الإجازات من الشام ، والعراق وغير ذلك^٨ .

^١ _ ينظر : نفع الطيب : (١ / ٢٠٥ - ٢٠٨) .

^٢ _ ينظر : بغية الوعاة : (١ / ٢٨٠) .

^٣ - لسان الدين بن الخطيب : محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب ، ولد سنة ٧١٣ هـ ، برز في الطب ، وبرع في الشعر ، قتل حنقاً سنة ٧٧٦ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : (٥ / ٢١٣ - ٢١٦) ، وشذرات الذهب : (٢٤٤ - ٢٤٧) ، والبدر الطالع : (٢ / ١٩١ - ١٩٤) .

^٤ - نفع الطيب : (٢ / ٥٨٠) .

^٥ - الصفدي : ستأتي ترجمته في مبحث : تلاميذه .

^٦ - بغية الوعاة : (١ / ٢٨٢) ، الدرر الكامنة : (٦ / ٥٨) ، شذرات الذهب : (٦ / ١٤٥) ، نكت الهميان : (٢٨٠) .

^٧ _ ينظر : شذرات الذهب : (٦ / ١٤٥) .

^٨ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (٥ / ١٧٥) ، وفوات الوفيات : (٤ / ٧٢) ، والنجوم الزاهرة : (١٠ / ١١٢) ، من ذبول العبر : (٦ / ٢٤٣) .

فتنقل أبو حيان _ رحمه الله تعالى في مدن الأندلس يطلب العلم فيها ويتلقى عن علمائها ، ثم رحل عنها سنة ٦٧٧ هـ^١ .

نقل عنه الرعيبي^٢ قوله : « سمعت بغرناطة ، ومالقة^٣ ، وبلش^٤ ، والمريّة^٥ ، وبجاية^٦ ، وتونس ، والاسكندرية ، ومصر ، والقاهرة ، ودمياط ، والمحلة^٧ ، وطهرمس^٨ ، والجيزة^٩ ، ومنيّة بني خُصيب^{١٠} ، ودشّنا^{١١} ، وقنا^{١٢} ، وقوص^{١٣} ، وبلبيس^{١٤} ، وبُعَيْدَاب^{١٥} من بلاد السودان ، وينبع ، ومكة _ شرفها الله تعالى _ وجُدّة ، وآيلة^{١٦} » .

^١ _ ذيل تذكرة الحفاظ : (٢٤) .

^٢ _ ستأقي ترجمته في مبحث : تلاميذه .

^٣ _ مالقة : بفتح اللام والقاف ، كلمة عجمية ، مدينة بالأندلس _ أسبانيا حالياً _ تقع في جنوب البلاد ، تطل على البحر المتوسط . ينظر : معجم البلدان : (٤٣ / ٥) ، وموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) .

^٤ _ بلش : بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة بلد بالأندلس . ينظر : معجم البلدان : (٤٨٤ / ١) ، وموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) .

^٥ _ المريّة : بالفتح ثم الكسر ، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها ، مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس ، يعمل بها الوشي والديباج . ينظر : معجم البلدان : (١١٩ / ٥) .

^٦ _ بجاية : مدينة جزائرية ، على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وهي في لحف جبل شاهق وفي قبلتها جبال ، وهي من أهم مرافئ النفط . ينظر : معجم البلدان : (٣٣٩ / ١) ، وموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) .

^٧ _ المحلّة : بالفتح ، والحل والحلة الموضع الذي يُحل به ، وهي مدينة مشهورة بالديار المصرية ، وهي كبرى مدن محافظة الغربية ، وهي عدة مواضع ، منها محلة دقلا ، ومحلة أبي الهيثم ، ومحلة شريقيون وغيرها . ينظر : معجم البلدان : (٦٣ / ٥) ، وموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) .

^٨ _ طهرمس : بالضم ، وسكون الراء ، وضم الميم ، وآخره سين مهملة ، قرية بمصر . ينظر : معجم البلدان : (٥٢ / ٤) .

^٩ _ الجيزة : بالكسر ، ومعنى الجيزة : الوادي ، أو أفضل موضع فيه ، وهي من أفضل كور مصر ، وهي الآن إحدى محافظات مصر ، وبها ١١ مدينة . ينظر : معجم البلدان : (٢٠٠ / ٢) ، وموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) .

^{١٠} _ منية بني الخصيب : في معجم البلدان مُنيّة أبي الخُصيب : بالضم ثم السكون ثم ياء مفتوحة ، وتسمى الآن المنيا ، وهي من أهم محافظات صعيد مصر ، تقع في وادي النيل ، مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى . ينظر : معجم البلدان : (٢١٨ / ٥) ، وموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ، وموسوعة المدن العربية والإسلامية : (٢٠٩) .

^{١١} _ دشّنا : في معجم البلدان « دشّني » بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، ونون مفتوحة ، مقصور ، مدينة بمحافظه قنا ، وهي أربع قرى رئيسية ، و١٧ قرية تابعة ، وهي بلد بصعيد مصر بشرفي النيل ، ذو بساتين ومعاصر للسكر . ينظر : معجم البلدان : (٤٥٦ / ٢) ، وموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) .

وله في كل بلد شيوخ حتى استقر به المقام في القاهرة سنة ٦٨٠ هـ^٧ .
وقد أفاد _ رحمه الله تعالى _ من رحلاته الشيء الكثير ؛ حيث تعددت شيوخه ، وغزر علمه ،
مما كان له الأثر الكبير في مسيرته العلمية ، حتى حط رحاله بالقاهرة فذاع صيته ، وعلت مكانته
ومتزلته بين الناس ، فكان عالم زمانه .
وكان _ رحمه الله تعالى _ ثبثاً فيما ينقله ، محرراً لما يقوله ، عارفاً باللغة ضابطاً لألفاظها ، حتى
برع في علوم شتى ، فلما النحو والتصريف فهو إمام الناس فيهما ، وله اليد الطولى في التفسير ،
والحديث ، والشروط ، والفروع ، وتراجم الناس ، وطبقاتهم ، وحوادثهم^٨ .
كما برع _ رحمه الله _ في إتقان لغات أخرى غير العربية .
قال _ رحمه الله _ : " وقد اطلعت على جملة الألسن : كلسان الترك ، ولسان الفرس ، ولسان
الحيش ، وغيرهم وصنفت فيها كتباً في لغتها ، ونحوها ، وتصريفها ، واستفدت منها غرائب " ^٩ .

^١ _ قِنا : بكسر القاف والقصر كلمة قبطية ، محافظة تقع جنوب مصر ، وتسمى إقنا ، تحدها من الشمال محافظة
سوهاج ، ومن الجنوب أسوان ، ومن الشرق البحر الأحمر ، ومن الغرب محافظة الوادي الجديد . ينظر : معجم
البلدان : (٤ / ٣٩٩) ، وموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ، وموسوعة المدن العربية والإسلامية : (٢٠٧) .
^٢ _ قُوص : بالضم ثم السكون ، وصاد مهملة ، مدينة كبيرة عظيمة واسعة ، بمحافظة قِنا ، وتقع على الساحل
الشرقي من النيل جنوب القاهرة . ينظر : معجم البلدان : (٤ / ٤١٣) ، وموقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) .
^٣ _ بَلْيِيس : بكسر الباءين ، وسكون اللام ، وياء ، وسين مهملة ، مدينة بمحافظة الشرقية بمصر ، وهي أول
مدينة بني فيها مسجد في إفريقيا وهو مسجد : سادات قريش . ينظر : معجم البلدان : (١ / ٤٧٩) ، وموقع
الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) .
^٤ _ بعِيذاب : في معجم البلدان عِيذاب بالفتح ثم السكون ، وذال معجمة ، وآخره باء موحدة ، بليدة على ضفة
بحر القلزم _ البحر الأحمر _ مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد . ينظر : معجم البلدان : (٤ /
١٧١) .
^٥ _ أَيْلَة : بالفتح ، مدينة على شاطئ خليج العقبة ، وهي من أكبر المواقع الإسلامية الأثرية الواقعة على الشاطئ
، وقيل : هي مدينة اليهود الذين مسخوا قرده وخنازير . ينظر : معجم البلدان : (١ / ٢٩٢) ، وموقع

. www. Aawasat.com

^٦ _ نَفْح الطيب : (٢ / ٥٦٠) .

^٧ _ ينظر : ذيل تذكرة الحفاظ : (٢٤) .

^٨ _ ينظر : نَفْح الطيب : (٢ / ٥٤١) .

^٩ - منهج السالك : (٢٣١) .

فمما سبق نجد أن أبا حيان _ رحمه الله تعالى _ تميز في طلبه للعلم بعدة أمور منها :

- ١ _ صبره وتحمله في طلب العلم .
- ٢ _ بذله قصارى جهده في تحصيل العلم ليلاً ونهاراً .
- ٣ _ حرصه على تلقي العلم من العلماء .
- ٤ _ قوة حفظه _ رحمه الله تعالى _ .
- ٥ _ همته العالية في طلب العلم .
- ٦ _ الدقة في النقل والتحرير .

قال _ رحمه الله _ : « وما زلت من لدن ميزت أتلمذ للعلماء ، وأنحاز للفهماء ، وأرغب في مجالسهم ، وأنافس في نفائسهم ، وأسلك طريقهم ، وأتبع فريقهم ، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام ... ، فجعلت العلم والنهار سحيري ، وبالليل سميري ، ... وأنا أتوسد أبواب العلماء ، وأتقصد أمثال الفهماء ، وأسهر في حنادس الظلام ، وأصبر على شظف الأيام ، وأوثر العلم على الأهل والمال والولد ، وأرتحل من بلد إلى بلد »^١ .

وعن حفظه قال _ رحمه الله _ : « وقد حفظت في صغرى في علم اللغة كتاب الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني^٢ ... »^٣ .



^١ _ البحر المحيط : (١ / ١٠١) .

^٢ _ أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني مولاهم المعروف بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٩١ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : (٥ / ٢٠٤ - ٢١٢) ، ومعجم الأدباء : (٢ / ٥٥ - ٧٨) .

^٣ _ البحر المحيط : (١ / ١٠٥ - ١٠٦) .

المبحث الثالث : مكانته العلمية .

يعد أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ نحوي عصره ، ولغويه ، ومفسره ، ومحدثه ، ومقرئه ، ومؤرخه ، وأديبه ؛ حيث كان بحراً زاهراً في النحو ، حتى لقب بالنحوي ، وهو فريد دهره ، وشيخ النحاة في عصره ، وإمام المفسرين في وقته ، وصاحب التصانيف المشهورة التي سارت شرقاً وغرباً .
قال ابن الجزري^٢ _ رحمه الله _ : « الإمام الحافظ الأستاذ شيخ العربية والأدب والقراءات مع العدالة والثقة »^٣ .

وقال الداوودي^٤ _ رحمه الله _ : « وتقدّم في النحو ، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب ، وسمع الحديث بالأندلس ، وإفريقية ، ومصر ، والحجاز من نحو أربع مائة وخمسين شيخاً ... ، وأجاز له خلق من المغرب والمشرق ... ، وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه ، وفي التفسير ، والعربية ، والقراءات ، والأدب ، واشتهر اسمه ، وطار صيته ، وأخذ عنه أكابر عصره ، وتقدموا في حياته ... »^٥ .

وقال الذهبي _ رحمه الله _ : « أبو حيان ذو فنون ، حجة العرب ، وعالم الديار المصرية ، له عمل جيد في هذا الشأن ، وكثرة طلب »^٦ .
وقال الأسنوي^٧ _ رحمه الله _ : « كان إمام زمانه في علم النحو إماماً في اللغة عارفاً بالقراءات والحديث شاعراً مجيداً صادق اللهجة كثير الاتقان والاستحضر »^٨ .

^١ _ ينظر : بغية الوعاة : (١ / ٢٨٠) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٥) ، ومعجم المؤلفين : (١١ / ١٣٠) ، والمختصر في أخبار البشر : (٣ / ١٤٢) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه : (٣ / ٦٧) .

^٢ _ ابن الجزري : محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري ، شمس الدين ، أبو الخير ، صاحب (النشر في القراءات العشر) ، وتقريبه ، والتجوير ، ولد سنة ٧٥١ هـ ، وتوفي سنة ٨٣٣ هـ . ينظر : غاية النهاية : (٢ / ٢٤٧ - ٢٥١) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي : (٥٧٥) .

^٣ _ غاية النهاية : (٢ / ٢٨٥) .

^٤ _ الداوودي : محمد بن علي بن أحمد ، شمس الدين ، العلامة الحافظ المفسر ، شيخ أهل الحديث في عصره (... ٩٤٥ هـ) . شذرات الذهب : (٨ / ٢٦٤) ، والأعلام : (٧ / ١٨٤) ، ومعجم المؤلفين : (١٠ / ٣٠٣) .

^٥ _ طبقات المفسرين : (٢ / ٢٨٧ - ٢٨٨) .

^٦ _ ينظر : الدرر الكامنة : (٦ / ٦٥) .

^٧ _ ستأتي ترجمته في مبحث : تلاميذه .

^٨ _ ينظر : الدرر الكامنة : (٦ / ٦٥) .

وقال الرعيبي _ رحمه الله _ : « وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباض جيد الكلام حسن اللقاء جميل المؤانسة فصيح الكلام طلق اللسان »^١ .
وقال الشوكاني^٢ _ رحمه الله _ : « تبحر في اللغة والعربية والتفسير وفاق الأقران وتفرد بذلك في جميع أقطار الدنيا ولم يكن بعصره من يماثله »^٣ .
هذه بعض أقوال العلماء فيه وثناؤهم عليه تشير إلى فضله ومكانته ، وسعة علمه ، ومدى تأثيره في الحركة العلمية _ رحمه الله تعالى _ .



^١ _ ينظر : نفتح الطيب : (٢ / ٥٦٥) .

^٢ _ الشوكاني : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، ولد سنة ١١٧٣ هـ ، مفسر ، فقيه مجتهد ، توفي سنة ١٢٥٠ هـ . ينظر : البدر الطالع : (٢ / ٢١٤ _ ٢٢٥) .

^٣ _ البدر الطالع : (٢ / ٢٨٨) .

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه .

أولاً : شيوخه :

برع أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ في علوم كثيرة في التفسير والحديث واللغة وغيرها ، مما يشير إلى سعة اطلاعه ومعرفته ، وهذا عادة يكون من أثر ثني الركب بين يدي الشيوخ .

وقد تلقى أبو حيان _ رحمه الله _ العلم على كثير من العلماء .

قال _ رحمه الله _ : « وجملة من سمعت منهم نحو أربعمائة شخص وخمسين ، وأما الذين أجازوني فعالم كثير جداً من أهل غرناطة ، ومالقة ، وسبتة ^١ ، وديار مصر ، والحجاز ، والعراق ، والشام » ^٢ .

وقال : « وجملة من سمعت منهم خمسمائة ، والمجيزون أكثر من ألف » ^٣ .

وقد ذكر أبو حيان _ رحمه الله _ أكثر شيوخه في إجازته التي كتبها للصفدي ، وسأقتصر على ذكر بعض شيوخه ، فمنهم :

١ _ أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، أبو جعفر ، ولد سنة ٦٢٧ هـ . قال عنه أبو حيان في كتابه النضار : « كان محدثاً وناقداً ونحوياً وأصولياً وأديباً مفوهاً ومقرئاً ومفسراً ومؤرخاً ، أقرأ القرآن والحديث بمالقة وغرناطة ، وغيرهما ، وكان كثير الإنصاف ناصحاً في الإقراء » ^٤ . صنف كتباً قيمة ، توفي سنة ٧٠٨ هـ ^٥ .

٢ _ أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيس بن عياش ، أبو جعفر ، المعروف بابن الطباع الرعيبي الغرناطي ، ولد سنة ٦٠٧ هـ ، إمام حاذق مشهور نبيل صالح ، وقد ذكره أبو حيان في البحر بقوله : « وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة بجزيرة الأندلس على الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرعيبي ، عرف بابن الطباع بغرناطة » ^٦ ، توفي سنة ٦٨٠ هـ ^٧ .

^١ _ ستة : بفتح أوله ، وضبطه الحازمي بكسر أوله ، وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ، ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة . ينظر : معجم البلدان : (٣ / ١٨٢) .

^٢ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (٥ / ٢٨٠) .

^٣ _ ينظر : نفع الطيب : (٢ / ٥٦٠) .

^٤ _ ينظر : بغية الوعاة : (١ / ٢٩١) .

^٥ _ ينظر : غاية النهاية : (١ / ٣٢ - ٣٣) ، والإحاطة في أخبار غرناطة : (١ / ١٩١) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٦) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٩١ - ٢٩٢) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (١ / ١٠٩) .

^٧ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (٧ / ٢٤٠) ، و غاية النهاية : (١ / ٨٧) .

- ٣ _ أحمد بن أبي الحجاج يوسف بن علي الفهري اللبلي _ بسكون الموحدة بين لامين أولاهما مفتوحة _ ، أبو جعفر ، النحوي اللغوي المقرئ ، ولد سنة ٦٢٣ هـ ، كان إماماً فاضلاً نحويّاً لغويّاً ، عده أبو حيان من أشهر شيوخه ، توفي سنة ٦٩١ هـ^١ .
- ٤ _ أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد ، أبو جعفر المالكي النحوي ، كان عارفاً بالعربية حتى اشتهر بها . وشارك مع ذلك في المنطق على رأي الأقدمين ، وعروض الشعر ، وفرائض العبادات ، توفي سنة ٧٠٢ هـ^٢ .
- ٥ _ إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي ، أبو طاهر ، قرأ عليه أبو حيان القراءات ، حيث قال : « وقرأت القرآن بالقراءات السبع بمصر _ حرسها الله تعالى _ على الشيخ المسند العدل فخر الدين أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي »^٣ ، توفي سنة ٦٨١ هـ^٤ .
- ٦ _ حازم بن محمد بن حسن بن محمد الأنصاري ، أبو الحسن القرطبي النحوي ، شيخ البلاغة والأدب ، كان أوحد زمانه في النظم ، والنثر ، والنحو ، واللغة ، والعروض ، وعلم البيان ، توفي سنة ٦٨٤ هـ^٥ .
- ٧ _ عبد الحق بن علي بن عبد الله بن محمد الأنصاري ، أبو محمد الغرناطي ، كان خطيب جامع مُطخَشَارِشَ بغرناطة ، مقرئ صالح عارف ، لازمه أبو حيان نحواً من سبعة أعوام ، وانتفع به ؛ حيث قرأ عليه السبع في نحو من عشرين ختمة إفراداً وجمعاً ، وعليه تعلم المهجاء^٦ .
- ٨ _ عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي ، أبو محمد المالقي ، اشتهر بالبائع . كان أستاذاً حافلاً ، متفنناً مضطلعاً ، إماماً في القراءات وعلوم القرآن ، ماهراً في صناعة النحو ، فقيهاً أصولياً ، توفي سنة ٧٠٥ هـ^٧ .

^١ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (٥ / ٢٨٠) ، والديباج المذهب : (١ / ٨٠) ، وبغية الوعاة : (١ / ٤٠٢) _ (٤٠٣) .

^٢ _ ينظر : غاية النهاية : (١ / ٧٧ - ٧٨) ، وبغية الوعاة : (١ / ٣٣١ - ٣٣٢) .

^٣ _ البحر المحيط : (١ / ١٠٩) .

^٤ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (٩ / ٢٣٥) ، والنجوم الزاهرة : (٧ / ٣٥٦) ، وغاية النهاية : (١ / ١٦٩) _ (١٧٠) ، وشذرات الذهب : (٥ / ٣٧٣) .

^٥ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (٥ / ٢٧٩) ، و (١١ / ٢٧١) ، وبغية الوعاة : (١ / ٤٩١ - ٤٩٢) .

^٦ _ ينظر : غاية النهاية : (١ / ٣٥٩) ، ونفح الطيب : (٢ / ٥٥١) ، ولم يذكرها وفاته .

^٧ _ ينظر : طبقات المفسرين ، للداوودي : (١ / ٣٦٦) ، وغاية النهاية : (١ / ٤٧٧) ، وبغية الوعاة : (٢ / ١٢١ - ١٢٢) .

٩ _ محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر ، أبو عبد الله بهاء الدين بن النحاس الحلبي ، شيخ العربية والأدب بالديار المصرية ، كان صالحاً خيراً ، ولد سنة ٦٢٧هـ ، تخرج به جماعة من الأئمة وفضلاء الأدب ، منهم أبو حيان الذي أثنى عليه ، وقرأ عليه كتاب سيوييه ، فقال ابن النحاس : عند ختمه : « لم يقرأه أحدٌ علي غيره » ، مشهور بالدين والصدق والعدالة ، توفي سنة ٦٩٨هـ ^١ .

١٠ _ محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي ، أبو عبد الله المعروف بابن النقيب ، المفسر ، الفقيه ، الزاهد ، ولد سنة ٦١١هـ ، له كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير ، في خمسين مجلداً ، توفي سنة ٦٩٨هـ ^٢ .

فهؤلاء بعض شيوخ أبي حيان _ رحمهم الله تعالى _ ، وقد انتفع بعلمهم الشيء الكثير .



^١ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (١٠ / ٢) ، و فوات الوفيات : (٣ / ٢٩٤) ، والنجوم الزاهرة : (٨ / ١٨٣) ، وغاية النهاية : (٢ / ٤٦) ، وبغية الوعاة : (١ / ١٣ - ١٤) .

^٢ _ ينظر : طبقات المفسرين للداودي : (١ / ٢٨٠) ، و الجواهر المضيئة : (٣ / ١٦٥) ، وشذرات الذهب : (٥ / ٤٤٢) .

ثانياً : تلاميذه .

لقد كان لأبي حيان _ رحمه الله تعالى _ الأثر العظيم على الحركة العلمية في ذلك العصر ، وذاع صيته وانتف حوله التلاميذ ينهلون من علمه ، وقد كان لطلابه الأثر الكبير فألفوا وصنفوا في علوم كثيرة ، وقد كان يعتني بطلابه ويقبل عليهم مما زاد من إقبالهم عليه .
قال الصفدي : « له إقبال على الطلبة الأذكياء ، وعنده تعظيم لهم »^١ .
ومن أشهر تلاميذه :

١ _ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي المالكي ، أبو إسحاق السِّفَاقِسيّ النحوي ، ولد في حدود سنة ٦٩٧ هـ ، له همة في الفضائل والعلوم ، له إعراب القرآن الكريم ، وهو من أجل كتب الإعراب ، وأكثرها فائدة جرده من البحر المحيط ، توفي سنة ٧٤٢ هـ ، وقيل : ٧٤٣ هـ^٢ .

٢ _ أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم بن أحمد ، تاج الدين أبو محمد الحنفي النحوي ، ولد سنة ٦٨٢ هـ ، لازم أبا حيان دهرًا طويلاً ، تقدم في الفقه والنحو واللغة ، من تصانيفه : الدر اللقيط من البحر المحيط ، توفي سنة ٧٤٩ هـ^٣ .

٣ _ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي ، المقرئ النحوي ، المعروف بالسمين ، نزيل القاهرة ، لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه ، كان فقيهاً بارعاً في النحو ، والقراءات ، ويتكلم في الأصول ، خيراً ، أديباً ، توفي سنة ٧٥٦ هـ^٤ .

٤ _ جعفر بن تغلب بن جعفر بن علي الفقيه الشافعي ، أبو الفضل الأدفوي _ بضم الفاء ، نسبة إلى أدفو بلد بصعيد مصر _ ، ولد في شعبان سنة ٦٨٥ هـ ، وقيل : ٦٧٥ هـ ، لازم أبا حيان ، كان من أهل الدين والصلاح والأدب والعلم ، توفي سنة ٧٤٨ هـ^٥ .

^١ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (٥ / ٢٦٧) ، ونكت الهيمنان : (٢٨٠) ، ونفح الطيب : (٢ / ٥٤٠) .
^٢ _ ينظر : الديباج المذهب : (١ / ٩٢) ، والدرر الكامنة : (١ / ٦١ - ٦٢) ، وبغية الوعاة : (١ / ٤٢٥) .
^٣ _ ينظر : الدرر الكامنة : (١ / ٢٠٤ - ٢٠٦) ، والجواهر المضيئة : (١ / ١٩٢) ، وبغية الوعاة : (١ / ٣٢٦ - ٣٢٧) .
^٤ _ ينظر : الدرر الكامنة : (١ / ٤٠٢ - ٤٠٣) ، وبغية الوعاة : (١ / ٤٠٢) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٧٩) .
^٥ _ ينظر : الدرر الكامنة : (٢ / ٨٤ - ٨٦) ، والنجوم الزاهرة : (١٠ / ٢٣٧) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٥٣) ، والبدر الطالع : (١ / ١٨٢ - ١٨٣) .

- ٥ _ خليل بن أيك بن عبد الله ، صلاح الدين الصفدي ، أبو الصفاء ، ولد بصفد بفلسطين ، وإليها ينسب ، سنة ٦٩٦ هـ ، أديب ومؤرخ ، أخذ النحو عن أبي حيان ، وحصل منه على إجازة بمروياته وشيوخه وتصانيفه ، صنف الكثير في التاريخ والأدب ، توفي سنة ٧٦٤ هـ^١ .
- ٦ _ عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن الجمال ، أبو محمد الأسنوي ، الفقيه الشافعي ، الأصولي النحوي ، ولد سنة ٧٠٤ هـ ، قال له أبو حيان : « لم أشيخ أحداً في سنك » ، انتهت إليه رئاسة الشافعية ، وصار المشار إليه بالديار المصرية ، درس وأفتى ، توفي سنة ٧٧٢ هـ^٢ .
- ٧ _ عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي ، قاضي القضاة ، نحوي الديار المصرية ، ولد سنة ٦٩٨ هـ وقيل : ٦٩٤ هـ ، قرأ على علماء عصره ، كان إماماً في العربية ، والبيان ، ويتكلم في الأصول والفقه كلاماً حسناً ، ولازم أبا حيان حتى صار من أجل تلاميذه ، حتى قال عنه : « ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل » ، توفي سنة ٧٦٩ هـ^٣ .
- ٨ _ عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري ، الشيخ جمال الدين الحنبلي ، النحوي ، الفاضل ، العلامة المشهور ، أبو محمد ، ولد سنة : ٧٠٨ هـ ، صنف : مغني اللبيب عن كتب الأعراب اشتهر في حياته وأقبل الناس عليه ، توفي سنة ٧٦١ هـ^٤ .
- ٩ _ عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، تاج الدين أبو نصر السبكي ، ولد سنة ٧٢٧ هـ ، حصل فنوناً من العلم ، وكان ذا بلاغة ، وطلاوة لسان ، عارفاً بالأمر ، وانتشرت تصانيفه في حياته ، توفي سنة ٧٧١ هـ^٥ .
- ١٠ _ محمد بن سعيد بن محمد الرعيني ، أبو عبد الله السراج ، أحد المحدثين ، رحل في طلب العلم ، فأخذ عن مشايخ كثر منهم أبو حيان ، توفي سنة ٧٧٩ هـ^٦ .

^١ _ ينظر : طبقات الشافعية الكبرى : (١٠ / ٥ - ٣٢) ، والدرر الكامنة : (٢ / ٢٠٧ - ٢١٠) ، والنجوم الزاهرة : (١١ / ١٩ - ٢١) ، والبدر الطالع : (١ / ٢٤٣ - ٢٤٤) .

^٢ _ ينظر : الدرر الكامنة : (٣ / ١٤٧ - ١٥٠) ، والنجوم الزاهرة : (١١ / ١١٤) ، وبغية الوعاة : (٢ / ٩٢ - ٩٣) .

^٣ _ ينظر : الدرر الكامنة : (٣ / ٤٢ - ٤٥) ، و غاية النهاية : (١ / ٤٢٨) ، وبغية الوعاة : (٢ / ٤٧ - ٤٨) .

^٤ _ ينظر : النجوم الزاهرة : (١٠ / ٣٣٦) ، وبغية الوعاة : (٢ / ٦٨ - ٦٩) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٩١ - ١٩٢) .

^٥ _ ينظر : الدرر الكامنة : (٣ / ٢٣٢ - ٢٣٥) ، والنجوم الزاهرة : (١١ / ١٠٨ - ١٠٩) ، وشذرات الذهب : (٦ / ٢٢١ - ٢٢٣) .

^٦ _ ينظر : نيل الابتهاج : (٢٧١) ، وفهرس الفهارس : (١ / ٣٢٦) .

المبحث الخامس : آثاره ومؤلفاته .

كان لأبي حيان _ رحمه الله تعالى _ تصانيف سارت وطارت وانتشرت في أقطار البلدان ، وانتفع بها الكثير من الناس ، وصاروا أئمة وأشياخاً في حياته .
وقد صنّف _ رحمه الله _ في علوم كثيرة منها : التفسير ، والفقه ، والحديث ، والنحو ، والصرف ، والأدب ، حتى كتب في اللغات الأخرى ، تزيد على الخمسين مؤلفاً ، وقد ذكر معظم مؤلفاته في إجازته التي بعث بها لتلميذه الصّفدي^٢ .
قال تلميذه صلاح الدين الصّفدي : ((وله التصانيف التي سارت وطارت ، وانتشرت وما انتشرت ، وقرئت ودريت ، ونسخت ومافسخت ، أخملت كتب الأقدمين ، وأهلت المقيمين بمصر والقائمين))^٣

ومن كتبه على حسب العلوم ما يلي :

أ / التفسير :

١ _ تفسير البحر المحيط^٤ .

٢ _ النهر المادّ من البحر المحيط^٥ .

ب / القراءات :

١- الأثير في قراءة ابن كثير^٦ .

^١ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (٥ / ٢٨٠ - ٢٨١) ، ونفح الطيب : (٢ / ٥٥٢ - ٥٥٣ ، ٥٦٣) .
^٢ _ ينظر : نفح الطيب : (٢ / ٥٤١) ، ومن ذبول العبر : (٦ / ٢٤٤) .
^٣ _ ينظر : الوافي بالوفيات : (٥ / ٢٦٨) ، ونكت الهميان : (٢٨٠) ، ونفح الطيب : (٢ / ٥٤١) .
^٤ _ مطبوع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ ، ثم صور عدّة مرات . آخرها طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق جملة من المحققين ، وتقرير الأستاذ الدكتور : عبد الحي الفرماوي ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ . ينظر : شذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٦) .
^٥ _ طبع بحاشية البحر المحيط ، ثم طبع في مجلدين كبيرين بعناية : بوران الضناوي ، وهديان الضناوي ، دار الجنان ، بيروت ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٧) .
^٦ _ عبد الله بن كثير بن المطلب ، أبو معبد المكي الداري ، إمام أهل مكة في القراءة ، ولد سنة ٤٥ هـ ، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً ، عالماً بالعربية ، توفي سنة ١٢٠ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٥٨٧) ، والتاريخ الكبير : (٥ / ١٨١) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ٧١ - ٧٢) ، وغاية النهاية : (١ / ٤٤٣ - ٤٤٤) .

- ٢ - تقريب النائي في الكسائي^٣ .
 ٣ - الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية^٤ .
 ٤ - الرّمزة في قراءة حمزة^٥ .
 ٥- الروض الباسم في قراءة عاصم^٦ .
 ٦- عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي^٧ .
 ٧- غاية المطلوب في قراءة يعقوب^٨ .

^١ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، ونفح الطيب : (٥٥٢ / ٢) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .

^٢ _ علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي مولاهم ، أبو الحسن الكسائي ، المقرئ النحوي ، أحد القراء السبعة ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، وهو إمام الكوفيين في النحو ، توفي بالري سنة ١٨٩ هـ .
 ينظر : معرفة القراء الكبار (١ / ١٠٠ - ١٠٧) ، وغاية النهاية : (١ / ٥٣٥ - ٥٤٠) .

^٣ _ مفقود : ينظر : نفح الطيب : (٥٥٢ / ٢) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠) .

^٤ _ مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) وفيه : ((الحلل الحالية في أسانيد القراءات العالية)) ، ونفح الطيب : (٥٥٢ / ٢) ، و شذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، والدرر الكامنة (٤ / ١٨٦) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠) .

^٥ _ حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات ، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم ، ولد سنة ٨٠ هـ ، أحد القراء السبعة ، وإليه صارت إمامة القراءة بعد عاصم في الكوفة ، كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله تعالى ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفرائض والعربية ، توفي سنة ١٥٦ هـ . ينظر : معرفة القراء الكبار : (١ / ٩٣ - ٩٩) ، وغاية النهاية (١ / ٢٦١ - ٢٦٣) .

^٦ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، ونفح الطيب : (٥٥٢ / ٢) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠) .

^٧ _ عاصم بن مهدي أبي النجود _ بفتح النون وضم الجيم _ الأسدي مولاهم ، أبو بكر الكوفي ، أحد القراء السبعة ، كان أهل الكوفة يختارون قراءته ، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد ، توفي سنة ١٢٧ هـ .
 ينظر : معرفة القراء الكبار : (١ / ٧٣ - ٧٧) ، وغاية النهاية (١ / ٣٤٦ - ٣٤٩) .

^٨ _ مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، ونفح الطيب : (٥٥٢ / ٢) ، وكشف الظنون : (١ / ٩١٨) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠) .

^٩ _ مخطوط : والكتاب عدّه بعض الباحثين مفقوداً ، وليس كذلك فهو مخطوط ، منه نسختان : واحدة بالهند ، والأخرى في القاهرة . ينظر : نكت الهميان (٢٨٣) ، و شذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، وبغية الوعاة (١ / ٢٨٢) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٨) ، وقد نقل أبو حيان من هذا الكتاب كما في المقدمة (١ / ١٠٩) .

- ٨ - المزن الهامر في قراءة ابن عامر^٣ ^٤ .
 ٩ - المورد الغمر في قراءة أبي عمرو^٥ ^٦ .
 ١٠ - النافع في قراءة نافع^٧ ^٨ .
 ١١ - النير الجلي في قراءة زيد بن علي^٩ ^{١٠} .

^١ _ يعقوب بن محمد بن خليفة الأعشى ، أبو يوسف الكوفي ، صاحب قرآن وفرائض ، تصدر للإقراء بالكوفة ، توفي في حدود المائتين للهجرة .

ينظر : معرفة القراء الكبار : (١ / ١٣١ - ١٣٢) ، وغاية النهاية : (٢ / ٣٩٠) .

^٢ _ مفقود : وهي من منظومات أبي حيان . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وكشف الظنون : (٢ / ١١٩٤) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

^٣ _ عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي _ بضم الصاد وكسرهما _ الدمشقي ، أبو عمران ، إمام أهل الشام في القراءة ، وانتهت إليه مشيخة الإقراء بها ، توفي سنة ١٠٨ هـ . ينظر : معرفة القراء الكبار : (١ / ٦٧ - ٧٠) ، وغاية النهاية : (١ / ٤٢٣ - ٤٢٥) .

^٤ _ مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وإيضاح المكنون : (٤ / ٤٧١) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

^٥ _ زبان بن العلاء بن عمار المازني ، أبو العلاء ، ولد سنة ٦٨ هـ ، وقيل : ٧٠ ، وقيل غير ذلك ، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد ، أحد القراء السبعة ، توفي سنة ١٥٤ هـ ، وقيل ١٥٥ هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر : وفيات الأعيان : (٣ / ٤٦٦) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ٨٣ - ٨٨) ، وغاية النهاية : (١ / ٢٨٨ - ٢٩٢) ، والنشر : (١ / ١٣٤) .

^٦ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٢) .

^٧ _ نافع هو : ابن عبد الرحمن ، ابن أبي نعيم الليثي ، مولاهم ، أبو رويم المقرئ المدني ، أحد القراء السبعة ، و الأعلام ثقة صالح ، مات سنة ١٩٦ هـ . ينظر : معرفة القراء الكبار : (١ / ٨٩ - ٩٢) ، وغاية النهاية : (٢ / ٣٣٠ - ٣٣٤) .

^٨ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٢) .

^٩ _ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو الحسين المدني ، ولد سنة ٨٠ هـ ، كان ذا علم وجمالة وصلاح ، قتل سنة ١٢٢ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٤١٨) ، وسير أعلام النبلاء : (٥ / ٣٨٩ - ٣٩١) ، وتهذيب الكمال : (١٠ / ٩٥ - ٩٧) .

^{١٠} _ مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، ونفح الطيب : (٢ / ٥٥٢) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

ج / الحديث :

- ١ - جزء حديثي ، ذكره الصفدي في إجازته^١ .
- ٢ - فهرس مروياته^٢ .
- ٣ - فهرس مسموعاته^٣ .
- ٤ - المنتخب من حديث شيوخ بغداد^٤ .

د / الفقه وأصوله :

- ١ - الأنور الأجلى في اختصار المحلى^٥ .
- ٢ - الوهاج في اختصار المنهاج^٦ .
- ٣ - مسلك الرشد في تجريد مسائل ابن رشد^٧ .

هـ / اللغة :

- ١ - إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب^٩ .

^١ - مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، وترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة : (٣٧) .

^٢ - مفقود : ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

^٣ - مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

^٤ - مخطوط : توجد منه نسخة في مكتبة نوسهر بتركيا . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .

^٥ - مفقود : وهو اختصار لكتاب « المحلى في الخلاف العالي في فروع الشافعية » لأبي محمد بن حزم .

ينظر : البحر المحيط : (٤٠ / ٢) ، ونكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وكشف الظنون : (١٦١ / ٢) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠) .

^٦ - مفقود : ، اختصر فيه كتاب ((منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الشافعية)) ، للنووي . ينظر :

نكت الهميان : (٢٨٣) ، و شذرات الذهب : (١٤٧ / ٦) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وإيضاح المكنون : (٧١٥ / ٤) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٢) .

^٧ - ابن رشد : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ، ويعرف بابن رشد الحفيد ، أبو الوليد القرطبي المالكي ، ولد سنة ٥٢٠ هـ ، تفقه وبرع ، وسمع الحديث ، وأتقن الطب ، وأقبل على الكلام والفلسفة حتى صار يضرب به المثل فيها ، وصنف التصانيف مع الذكاء المفرط ، والملازمة للاشتغال ليلا ونهارا ، ، وتوفي سنة ٥٩٥ هـ .

ينظر : سير أعلام النبلاء : (٣٠٧ / ٢١ - ٣١٠) ، والديباج المذهب : (٥٣ / ١) ، وشذرات الذهب : (٤ / ٣٢٠) .

^٨ - مفقود . ينظر : كشف الظنون : (١٦٧٨ / ٢) وفيه اسمه « مسلك المرشد » ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

^٩ - ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، وبغية الوعاة : (٢٨٢ / ١) ، وشذرات الذهب : (١٤٧ / ٦) .

٢ _ الارتضاء في الفرق بين الضاد والطاء^١ .

٣ _ الأبيات الوافية في علم القافية^٢ .

٤ _ الإدراك للسان الأترك^٣ .

٥ _ الأفعال في لسان الترك^٤ .

٦ _ بغية الظمان من فوائد أبي حيان^٥ .

٧ _ ديوان أبي حيان^٦ .

٨ _ زهو الملك في نحو الترك^٧ .

والكتاب مطبوع : طبع عدة مرات ، مرة بتحقيق : محمد سعيد الوردى ، بمطبعة الإخلاص بحماة ، سنة ١٩٣٦ م ، وطبعة أخرى بتحقيق : أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي ، بمطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٧٧ م ، وطبعة ثالثة بتحقيق : سمير طه مجذوب ، نشر المكتب الإسلامي ، سنة ١٤٠٨ هـ . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٦) .

^١ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، و شذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، وفيه اسمه « الارتضاء في الضاد والطاء » ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٢) .

والكتاب مطبوع بمطبعة المعارف ببغداد ، سنة ١٣٨٠ هـ _ ١٩٦١ م ، بعناية : محمد بن حسن آل ياسين ، وهو تلخيص لرسالة ابن مالك « الاعتضاد في الفرق بين الطاء والضاد » من شعره . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٦) .

^٢ _ مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، ونفح الطيب : (٢ / ٥٥٢) ، وإيضاح المكنون : (٣ / ٣١٤) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .

^٣ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، و شذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٣) .

والكتاب مطبوع : طبع بإستنبول سنة ١٣٠٩ هـ ، بتصحيح : جعفر أوغلي أحمد ، ومنه نسخة نادرة في المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض ، قسم الكتب النادرة . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٥ - ٥٦) .

^٤ _ مفقود . ينظر : الدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .

^٥ _ مفقود . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠) .

^٦ _ الكتاب مطبوع : حققه الدكتور : أحمد مطلوب ، والدكتورة : خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، سنة ١٣٨٨ هـ _ ١٩٦٩ م . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٦) .

^٧ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، و شذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٣) ، وكشف الظنون : (٢ / ٩٦٢) ، أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠ - ٦١) .

- ٩ _ الشذرة الذهبية في علوم العربية^١ .
١٠ _ المخبور في لسان اليعفور^٢ .
١١ _ معاني الحروف^٣ .
١٢ _ منطق الخرس في لسان الفرس^٤ .
١٣ _ نوافث السحر في دمائث الشعير^٥ .
١٤ _ نور العباش في لسان الحبش^٦ .

^١ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وبغية الوعاة : (٢٨٣ / ١) ، وكشف الظنون : (١٠٢٨ / ٢) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .
^٢ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٤) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وإيضاح المكنون : (٤٤٦ / ٤) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .
^٣ _ مخطوط : له نسخة في مكتبة بايزيد عمومي في تركيا . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .
^٤ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، و شذرات الذهب : (١٤٧ / ٦) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وكشف الظنون : (١٨٦٤ / ٢) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .
^٥ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وإيضاح المكنون : (٦٨٢ / ٤) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٢) .
^٦ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وكشف الظنون : (٢ / ١٩٨٣) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٢) .

و / النحو والصرف والبلاغة :

- ١ _ الأسفار الملخص من شرح سيويه للصفار^١ .^٢
- ٢ _ ارتشاف الضرب من لسان العرب^٣ .
- ٣ _ إعراب القرآن^٤ .
- ٤ _ التجريد لأحكام سيويه^٥
- ٥ _ التدريب في شرح التقريب^٦
- ٦ _ التذكرة في العربية^٧ .

-
- ^١ _ الصفار : قاسم بن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري البظليموسي ، أبو القاسم ، الشهير بابن الصفار ، شرح كتاب سيويه ، يقال : إنه أحسن الشروح ، توفي بعد سنة ٦٣٠ هـ . ينظر : البلغة : (١ / ١٧٣ _ ١٧٤) ، وبغية الوعاة : (٢ / ٢٥٦) .
 - ^٢ _ مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وكشف الظنون : (٢ / ١٤٢٨) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .
 - ^٣ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٢) . والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور : مصطفى أحمد النماس ، مطبعة المدني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ _ ١٩٨٧ م . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٦) .
 - ^٤ _ مخطوط : يقع في ثماني أجزاء ، شككت في نسبته إلى أبي حيان الدكتور خديجة الحديثي ، وأثبتته غيرها . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٧) .
 - ^٥ _ مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٢) ، وكشف الظنون : (٢ / ١٤٢٨) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، وترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة : (٤٠) ، هامش : (٨) .
 - ^٦ _ مخطوط : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، وكشف الظنون : (٢ / ١٨٠٥) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٨) .
 - ^٧ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٢) ، وشذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) . والكتاب طبع منه جزء بتحقيق الدكتور : عفيف عبد الرحمن ، نشر : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦ هـ . ينظر : ترجيحات أبي حيان الأندلسي من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة : (٤١) هامش : (٢) .

٧ _ التذييل والتكميل في شرح التسهيل^١

٨ _ تقريب المقرب^٢ .

٩ _ تلويح التوضيح في النحو^٣ .

١٠ _ التنخيل الملخص من شرح التسهيل^٤ .

١١ _ خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان^٥ .

١٢ _ دالية النحو^٦ .

١٣ _ الشدا في مسألة كذا^٧ .

^١ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، و الدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وبغية الوعاة : (٢٨٢ / ١) ، وكشف الظنون : (٤٠٥ / ١) ، وشذرات الذهب : (١٤٧ / ٦) .

والكتاب طبع منه قطعة صغيرة سنة ١٣٢٨ هـ ، بمطبعة السعادة بمصر ، وقدم تحقيقه لنيل درجة الدكتوراه من ثمانية باحثين في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٧٥ م ، كما توجد للكتاب نسختان بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . وحققه أخيراً الدكتور : حسن هندراوي ، صادر عن دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٨ _ ١٤٢٢ هـ . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٧ _ ٥٨) ، وترجيحات أبي حيان الأندلسي من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة : (٤١) هامش : (٣) .

^٢ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وبغية الوعاة : (٢٨٢ / ١) ، وشذرات الذهب : (١٤٧ / ٦) ، وكشف الظنون : (١٨٠٥ / ٢) .

والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور : عفيف الرحمن ، سنة ١٤٠٢ هـ _ ١٩٨٢ م ، بدار السيرة ، كما طبع بتحقيق : محمد حاسم الديلمي ، سنة ١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٥ م ، مؤسسة دار الندوة الجديدة ، بيروت . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٦) .

^٣ _ مخطوط : ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٨) .

^٤ _ مفقود : ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، وبغية الوعاة : (٢٨٢ / ١) ، وكشف الظنون : (٤٠٥ / ١) ، وشذرات الذهب : (١٤٧ / ٦) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠) .

^٥ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٤) ، وفيه عنوانه « خلاصة البيان في علمي البديع والبيان » ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وبغية الوعاة : (٢٨٣ / ١) ، وكشف الظنون : (٧١٧ / ١) ، وفيه عنوانه « خلاصة التبيان في المعاني والبيان » ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠) .

^٦ _ مخطوط : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٨) .

^٧ _ مفقود : وقد شرحه ابن هشام وهو تلميذ أبي حيان في كتاب عنوانه : « فوح الشدا في مسألة كذا » ، وهو مطبوع ، طبع سنة ١٩٦٣ م . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، وبغية الوعاة : (٢٨٢ / ١) ، وكشف الظنون : (١٠٢٨ / ٢) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

١٤ _ غاية الإحسان في علم اللسان^١ .

١٥ _ الفصل في أحكام الفصل^٢ .

١٦ _ قصيدتان في مدح الزمخشري ، والنحو^٣ .

١٧ _ اللمحة البدرية في علم العربية ، مختصر في النحو^٤ .

١٨ _ المبدع الملخص من الممتع^٥ .

١٩ _ منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك^٦ .

٢٠ _ الموفور من شرح ابن عصفور^٧ .

^١ _ مخطوط : منه نسخة بجامعة الإمام ، برقم (٢٢٧٥ ف) . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، وبغية الوعاة

: (٢٨٢ / ١) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٨) .

^٢ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

^٣ _ مخطوط . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٨) .

^٤ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وبغية الوعاة : (٢٨٢ / ١) .

والكتاب مطبوع : طبع مع شرح اللمحة البدرية لابن هشام ، بتحقيق الدكتور : هادي نمر ، في بغداد ، سنة

١٩٧٤ م . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٨ - ٥٩) .

^٥ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وبغية الوعاة : (٢٨٢ / ١) ،

وشذرات الذهب : (١٤٧ / ٦) .

والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور : عبد الحميد السيد طلب ، عام ١٩٨٢ م . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر

المحيط : (٥٦ - ٥٧) .

^٦ _ ابن مالك : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ، أبو عبد الله ، الطائي الحياتي ، صاحب التصانيف المفيدة

المشهوره ، ولد سنة ٦٠٠ هـ . ينظر : البداية والنهاية : (١٣ / ٢٦٧) .

^٧ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣ - ٢٨٤) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وبغية الوعاة : (٢٨٣ / ١) .

والكتاب لم يكمله أبو حيان ، بل انتهى إلى آخر باب « أفعال التفضيل » .

وهو مطبوع : نشر بتحقيق : سدي جليزر ، بالولايات المتحدة الأمريكية . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر

المحيط : (٥٧) .

^٨ _ ابن عصفور : علي بن المؤمن بن محمد بن علي النحوي الحضرمي الإشبيلي ، أبو الحسن ، ولد سنة ٥٧٧

هـ ، حامل لواء العربية في زمانه ، صاحب التصانيف ، توفي سنة ٦٦٩ هـ .

ينظر : بغية الوعاة : (٢ / ٢١٠) ، وشذرات الذهب : (٥ / ٣٣٠ - ٣٣١) ، العبر في خبر من غير : (٥ /

(٢٩٢) .

- ٢١ _ النكت الحِسَان شرح غاية الإحسان^٢ .
 ٢٢ _ نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب^٣ .
 ٢٣ _ الهداية في النحو^٤ .

ز / كتب عامة :

- ١ _ الإعلام بأركان الإسلام^٥ .
 ٢ _ الإلماع في إفساد إجازة الطّبّاع^٦ .
 ٣ _ تحفة النّدى^٧ في نحاة الأندلس^٨ .
 ٤ _ القطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي^٩ .

^١ _ مخطوط . : وهو مختصر لكتاب ابن عصفور : « شرح الحمل » . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وكشف الظنون : (١٩١٠ / ٢) ، وفيه عنوانه « الموفور في تحرير أحكام ابن عصفور » ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .

^٢ _ ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) .
 والكتاب مطبوع بتحقيق : عبد الحسين الفتلي ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥ هـ _
 ١٩٨٥ م . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٧) .

^٣ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، وفيه اسمه : « نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب » ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وكشف الظنون : (١٩٥٦ / ٢) ، وفيه اسمه : « نهاية الإعراب في التصريف والإعراب » ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٢) .

^٤ _ مخطوط وقد شككت الدكتوراة خديجة الحديثي في نسبته لأبي حيان ، وأثبتته الديلمي . ينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .

^٥ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، إيضاح المكنون : (٣ / ١٠١) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .

^٦ _ مفقود . ينظر : نفع الطيب : (٥٨٣ / ٢) ، وإيضاح المكنون : (١٢٢ / ١) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٥٩) .

^٧ _ الندس : يقال : رجل ندس أي : فهِمٌ ، سريع السمع ، فطن . ينظر : القاموس المحيط : (٥٧٧) مادة : (ندس) ، ولسان العرب : (٢٢٩ / ٦) ، مادة : (ندس) .

^٨ _ مفقود : وهو كتاب كبير يقع في ستين مجلداً ، جمع فيه أبو حيان تراجم نحاة الأندلس . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وبغية الوعاة : (٢٨٢ / ١) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٠) .

^٩ _ مفقود . ينظر : نكت الهميان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦٠ / ٦) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

٥ _ مجاني الهَصْر في آداب وتواريخ لأهل العصر^١ .

٦ _ نثر الزَّهر ونظم الزُّهر^٢ .

٧ _ النضار في المسلاة عن نُضَار^٣ .

٨ _ نفحة المسك في سيرة الترك^٤ .

وبعد فهذه مؤلفات أبي حيان _ رحمه الله تعالى _ وهي شهادة على سعة

علمه ، وعظيم أثره ، وغزير فوائده .



^١ _ مفقود ، ولم يكمله . ينظر : نكت الهميمان : (٢٨٣) ، شذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، وفيه اسمه « مجاني الهصر في تاريخ أهل العصر » ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٣) ، وكشف الظنون : (٢ / ١٥٩١) ، وفيه اسمه « مجاني العصر » ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦١) .

والجني : الرُّطب ، وكل ثمر يجتنى فهو جني ، والاجتناء : أخذك إياه وهو جني مادام طرياً . ينظر : لسان العرب : (١٤ / ١٥٦) ، ومختار الصحاح : (١ / ٤٨) .

والهصر : هصر الشيء بهصره هصراً جبذه وأماله ، والهصر عطف الشيء الرطب كالغصن ونحوه . ينظر : لسان العرب : (٥ / ٢٦٤) ، والنهية : (٥ / ٢٦٣) .

^٢ _ مفقود . ينظر : نكت الهميمان : (٢٨٣) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وإيضاح المكنون : (٤ / ٦٢٤) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٢) .

^٣ _ نُضَار بنت محمد بن يوسف ، أم العز ، بنت الشيخ أبي حيان ، ولدت سنة ٧٠٢ هـ ، حفظت مقدمة في النحو ، وخرجت لنفسها جزءاً ، ونظمت شعراً ، وكانت تعرب جيداً ، وكان أبوها يقول : ليت أخاها حيان مثلها ، ثم ماتت سنة ٧٣٠ هـ ، فحزن والدها عليها ، وجمع في ذلك جزءاً سماه النضار في المسلاة عن نضار . ينظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : (٦ / ١٦١) .

^٤ _ مفقود . ينظر : نفع الطيب : (٢ / ٥٥٩) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٠) ، وكشف الظنون : (٢ / ١٩٥٨) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٢) .

^٥ _ مفقود . ينظر : نكت الهميمان : (٢٨٣) ، وإيضاح المكنون : (٤ / ٦٧١) ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٢) .

المبحث السادس : وفاته :

وبعد حياة طويلة قضاهها أبو حيان في طلب العلم وتحصيله وتدريسه ، مع التأليف والتصنيف ، توفي _ رحمه الله تعالى _ عن تسعين سنة بعد أن أضر في آخر أيامه ، وكانت وفاته بمثله خارج باب البحر بالقاهرة في يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة من الهجرة ، وقيل : سنة سبعمائة وثلاثة وأربعين ، ورده المقرئ ، وقيل : توفي سنة سبعمائة وثلاث وخمسين ، واستبعده المقرئ^١ .
وكان لموت أبي حيان الأثر البالغ فحزن عليه الناس كثيراً ، وخاصة أصدقاؤه ، وتلاميذه ونظموا في رثائه القصائد^٢ .

قال الصفدي فيه :

مَاتَ أَثِيرُ الدِّينِ شَيْخُ الوَرَى فَاسْتَعَرَ البَارِقُ وَاسْتَعْبَرَ
وَرَقَّ مِنْ حَزْنِ نَسِيمِ الصَّبَا وَاعْتَلَّ فِدِي الأَسْحَارِ لَمَّا سَرَى
وَصَادِحَاتِ الأَيْكِ فِي نُوحِهَا رَثْتَهُ فِي السَّجْعِ عَلَى حَرْفِ رَا
يَا عَيْنُ جُودِي بِالدُّمُوعِ الَّتِي يُرَوَى بِهَا مَا ضَمَّهُ مِنْ ثَرَى
وَاجْرِي دَمًا فَالْخَطْبُ فِي شَأْنِهِ قَدْ اقْتَضَى أَكْثَرَ مِمَّا جَرَى
مَاتَ إِمَامٌ لَئِنْ فِدِي عِلْمِهِ يُرَى إِمَامًا وَالْوَرَى مِنْ وَرَا

^١ _ ينظر : نفع الطيب : (٢ / ٥٣٨) ، شذرات الذهب : (٦ / ١٤٧) ، و نكت الهميان : (٢٨٤) ،
وبغية الوعاة : (١ / ٢٨٠) ، والدرر الكامنة : (٦ / ٦٥) ، ومن ذبول العبر : (٦ / ٢٤٣ - ٢٤٤) ، و (١ / ٦٣) ،
والشهادة الزكية : (١ / ٣١) ، و بغية الوعاة : (١ / ٢٨٣) ، والبلغة : (١ / ١٨٥) ، و ذيل
تذكرة الحفاظ : (٢٦) .

^٢ _ ينظر : بدائع الزهور في وقائع الدهور : (١ / ١٩٩) .

إلى أن قال :

إِن مَاتَ فَالذِّكْرُ لَهُ خَالِدٌ يَحْيَى بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْبُرَا
جَادٌ ثَرِيٌّ وَارَاهُ غَيْثٌ إِذَا مَسَّاهُ بِالسَّقِيَا لَهُ بَكَرًا
وَخَصَّهُ مِنْ رَبِّهِ رَحْمَةً تَوْرَدُهُ فِي حَشْرِهِ الْكُوْثَرَا

وبعد ، فأسأل الله تعالى أن يرحم أبا حيان ، ويرفع درجته في المهديين ، ويغفر لنا له ،
ويجمعنا به في الفردوس الأعلى مع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .



¹ _ الوافي بالوفيات : (٥ / ١٨٥) ، ونفح الطيب : (٢ / ٥٣٩) .

القسم الأول

وفيه فصلان :

الفصل الأول : منهج أبي حيان

في تفسيره .

الفصل الثاني : منهج أبي حيان

في الترجيح في التفسير .

الفصل الأول : منهج أبي حيان في تفسيره

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تفسيره القرآن بالمأثور .

المبحث الثاني : تفسيره القرآن بالرأي .

المبحث الأول : تفسيره القرآن بالمأثور

وفيه تمهيد وتسعة مطالب :

- المطلب الأول : تفسيره القرآن بالقرآن .
- المطلب الثاني : تفسيره القرآن بالسنة .
- المطلب الثالث : تفسيره القرآن بأقوال الصحابة .
- المطلب الرابع : تفسيره القرآن بأقوال التابعين .
- المطلب الخامس : تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين .
- المطلب السادس : عنايته بالقراءات .
- المطلب السابع : عنايته بأسباب التزول .
- المطلب الثامن : عنايته بالناسخ والمنسوخ .
- المطلب التاسع : عنايته بالمكي والمدني .

تقديم:

يعتبر البحر المحيط من أجل كتب التفسير ؛ حيث قال عنه ابن الجزري _ رحمه الله _ : « له التفسير الذي لم يسبق إلى مثله .. »^١ .
وقد جرت عادة المفسرين أن يذكروا في مقدمة تفاسيرهم الزمن الذي ألفوا فيه ، والدافع الذي حملهم على التأليف ، والمنهج الذي ساروا عليه في تفسيرهم للقرآن الكريم ، وقد اختلفت أساليبهم في ذلك ما بين موجز لمنهجه و مفصل له ، وضمنوا مقدماتهم تلك بعض العلوم والشروط التي يحتاجها المفسر ، وكذلك ذكراً لبعض الفضائل والفوائد .

وكذلك فعل أبو حيان حيث ذكر في مقدمة البحر المحيط عدة أمور :

١ _ الزمن الذي ألف فيه ، والحامل على صنيعه لهذا التفسير ؛ حيث قال _ رحمه الله _ : « وما زال يختلج في ذكري ويعتلج في فكري أي إذا بلغت الأمد الذي يتغضد^٢ فيه الأديم ، ويتنصص برؤيتي النديم ، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب ، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين فأياه وإيا الشواب ، ألوذ بجانب الرحمن وأقتصر على النظر في تفسير القرآن ، فأتاح الله لي قبل بلوغ ذلك العقد وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد ، ... وكان ذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمري ، فعكفت على تصنيف هذا الكتاب »^٣ .

٢ _ ذكر المنهج الذي سار عليه في تفسيره :

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « وترتبي في هذا الكتاب : أي أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظاً لفظاً فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب

^١ _ غاية النهاية : (٢ / ٢٨٦) .

^٢ _ قال الدكتور بدر بن ناصر البدر : « يتغضض : هكذا في المخطوط ١ / ٢ أ ، ... وفي المطبوع : يتغضد ، وهو تصحيف » أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٦٧ ، هامش : ٤) .

ويتغضض : أي : تكسر الجلد وتثنى ، لسان العرب : مادة : (غضن) : (١٣ / ٣١٤) ، والقاموس المحيط : مادة : (غضن) : (١٢٢٠) ،

^٣ _ تفسير البحر المحيط : (١ / ٩٩ - ١٠٠) .

وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه .
ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب ، ونسخها ، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها ، حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها ، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية ، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها ، متكلماً على جليها وخفيها بحيث إني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها ، مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب ، ودقائق الآداب من بديع وبيان ، مجتهداً أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق ، ولا في جملة تقدم الكلام عليها ، ولا في آية فسرت بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيها على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية ، وإن عرض تكرير فبمزيده فائدة ، ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه ، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو .

وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريباً أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس ، بادئاً بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ ، مرجحاً له لذلك^١ ، ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه ، منكباً في الأعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها ، مبيناً أنها مما يجب أن يعدل عنه وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب ؛ إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام فلا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة في شعر الشماخ^٢ ، والطرماح^٣ وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة .

ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها أفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً .

^١ _ قال الدكتور بدر بن ناصر البدر : « بذلك : هكذا في المخطوط ١ / ٣ ب ، وفي المطبوع « له لذلك » ، وهو خلاف المعنى المراد » . أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : (٧٢ ، حاشية : ٢) .

^٢ _ الشماخ : ابن ضرار بن حرملة المازني الديباني ، وقيل : الشماخ لقبه ، واسمه معقل بن ضرار ، شاعر مخضرم ، كان شديد متون الشعر ، أرجز الناس على البديهة ، شهد القادسية ، وتوفي في غزوة موقان سنة ٢٢ هـ .

ينظر : الإصابة : (٣ / ٣٥٥) ، والوافي بالوفيات : (١٦ / ١٠٣ - ١٠٤) ، وخزانة الأدب : (٣ / ١٨٦ - ١٨٧) .

^٣ _ الطرماح : _ بكسر الطاء والراء المهملتين وتشديد الميم وآخره حاء مهملة _ ابن حكيم الطائي ، شاعر إسلامي فحل ، نشأ بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة ، فلزم خالداً القسري ، فأكرمه ، واستجاد شعره ، توفي سنة ١٢٥ هـ ، وله ديوان شعر مطبوع . ينظر : خزانة الأدب : (٨ / ٧٤ - ٧٥) ، والبيان والتبيين : (١ / ٣٩) .

ثم أتبع آخر الآيات بكلام منشور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني
أجملها في أحسن تلخيص ، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير .
وصار ذلك أمودجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن ، وستقف على هذا المنهج
الذي سلكته إن شاء الله تعالى .

وربما ألمت بشيء من كلام الصوفية^١ مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ ، وتجنب كثيراً من
أقوالهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية^٢ ، المخرجين الألفاظ القريبة
عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى ، وعلى علي - كرم الله وجهه - ، وعلى
ذريته ويسمونه علم التأويل^٣ .

٣ _ ذكر العلوم التي يجب أن تتوفر في المفسر :

وذكر منها : علم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم البيان والبدیع ، وعلم الحديث ، وعلم أصول الفقه ،
وعلم الكلام ، وعلم القرآن .
وبين - رحمه الله - أنه لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجملة غالبها من
كل وجه منها^٤ .

٤ _ ذكر الشروط التي يجب توفرها في المفسر :

وذكر منها : أن يكون المفسر بارعاً في علم النحو ، والمعاني ، والبيان ، وعلم الإعراب ، آخذاً
من سائر العلوم بحظ ، جامعاً بين أمرين : تحقيق وحفظ ، مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة
وقادها ، يقظان^٥ .

٥ _ ذكر ثلاثة من التفاسير التي اعتمدها كمرجع له في تفسيره ، وهي : الكشاف للزمخشري^١ ،
والحرر الوجيز لابن عطية^٢ ، والتحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لأبي عبد الله محمد بن سليمان
المقدسي ، المعروف بابن النقيب^٣ .

^١ _ الصوفية : نسبة إلى لبس الصوف ، وأول ما ظهرت الصوفية في البصرة ؛ حيث كان في البصرة من المبالغة في
الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ، ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ، والتصوف عندهم له حقائق وأحوال
معروفة ، وهم ثلاثة أصناف : صوفية الحقائق ، وصوفية الأرزاق ، وصوفية الرسم . ينظر : مجموع الفتاوى : (١١ / ٦ - ١٩) .

^٢ _ الباطنية : لزمهم هذا اللقب ؛ لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تزويل تأويلاً ، ولهم ألقاب كثيرة سوى
هذه . ينظر : الملل والنحل ، للشهرستاني : (٢ / ٢٩) .

^٣ _ البحر المحيط : (١ / ١٠٣ - ١٠٤) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (١ / ١٠٥ - ١٠٩) .

^٥ _ تفسير البحر المحيط : (١ / ١١١) .

- ٦_ ذكر بعض فضائل القرآن ، والترغيب في تفسير القرآن^٤ .
- ٧_ ذكر موقفه من التفسير بالرأي ؛ حيث قال _ رحمه الله _ : « وما روى عنه ﷺ _ من قوله : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ »^٥ محمول على من تسور على تفسيره برأيه دون النظر في أقوال العلماء وقوانين العلوم كالنحو واللغة والأصول ، وليس من اجتهد ففسر على قوانين العلم والنظر بداخل في ذلك الحديث ، ولا هو يفسر برأيه ولا يوصف بالخطأ^٦ .
- ٨_ ذكر المفسرين من الصحابة ، والتابعين^٧ .
- ٩_ ذكر منهج التفسير في العصور المتقدمة له والمتأخرة ؛ حيث قال _ رحمه الله _ : « وكانت تأليف المتقدمين أكثرها إنما هي شرح لغة ونقل سبب ونسخ وخصص ؛ لأنهم كانوا قريبي عهد بالعرب ، وبلسان العرب ، فلما فسد اللسان ، وكثرت العجم ، ودخل في دين الإسلام أنواع الأمم المختلفة الألسنة ، والناقصو الإدراك احتاج المتأخرون إلى إظهار ما انطوى عليه كتاب الله تعالى من

^١ _ الزمخشري : محمود بن عمر الزمخشري ، أبو القاسم ، جار الله ، كان متفننا في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ، إمام عصره في فنونه ، وكان معتزلياً ، توفي سنة ٥٣٨ هـ . ينظر : الكامل في التاريخ : (٩ / ٣٣٠) ، و مرآة الجنان : (٣ / ٢٦٩) .

^٢ _ ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عطية الحاربي ، ولد سنة ٤٨١ هـ ، فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث والفقهاء والنحو واللغة والأدب ، توفي سنة ٥٤٦ هـ . ينظر : نفع الطيب : (٢ / ٥٢٦ - ٥٢٨) ، و بغية الوعده : (٢ / ٦٣ - ٦٤) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (١ / ١١٣) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (١ / ١١٦ - ١١٩) .

^٥ _ أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ _ ، باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، (٥ / ٢٠٠) ، ح : (٢٩٥٢) ، والنسائي في السنن الكبرى ، كتاب فضائل القرآن ، باب : من قال في القرآن بغير علم ، (٥ / ٣١) ، ح : (٨٠٨٦) ، والرويان في مسنده : (٢ / ١٤٥) ، ح : (٩٦٨) ، وأبو يعلى في مسنده : (٣ / ٩٠) ، ح : (١٥٢٠) ، والطبراني في المعجم الكبير : (٢ / ١٦٣) ، ح : (١٦٧٢) ، والأوسط : (٥ / ٢٠٨) ، ح : (٥١٠١) ، والبيهقي في شعب الإيمان ، الشعبة التاسعة عشرة : باب في تعظيم القرآن ، فصل في ترك التفسير بالظن قال الله عز وجل ، (٢ / ٤٢٣) ، ح : (٢٢٧٧) ، كلهم عن جندب بن عبد الله البجلي .

والحديث ضعفه الشيخ العلامة الألباني . ينظر : مشكاة المصابيح : (١ / ٧٩) ، رقم : (٢٣٥) ، وضعيف الجامع الصغير وزياداته : (٥ / ٢٢٨) ، رقم : (٥٧٤٩) .

^٦ _ البحر المحيط : (١ / ١١٩) .

^٧ _ ينظر : البحر المحيط : (١ / ١١٩ - ١٢٠) .

غرائب التركيب ، وانتزاع المعاني ، وإبراز النكت البيانية حتى يدرك ذلك من لم تكن في طبعه ويكتسبها من لم تكن نشأته عليها ولا عنصره يحركه إليها»^١ .

١٠ _ ختم مقدمته تلك بتعريف التفسير ؛ حيث قال _ رحمه الله _ : «التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، وتتمت لذلك»^٢ .

مما سبق يتبين أن منهج أبي حيان في تفسيره يمكن الحديث عنه من عدة جوانب ذكرها أبو حيان في مقدمته ، وسأذكر جوانب أخرى في المباحث التالية مع ذكر أمثلة عليها من الجزء الخاص برسالي .

^١ _ البحر المحيط : (١ / ١٢٠) .

^٢ _ البحر المحيط : (١ / ١٢١) .

المطلب الأول : تفسيره القرآن بالقرآن .

ذكر العلماء أن أحسن طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن ، فهو من أهم أنواع التفسير بالمأثور ؛ وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً^١ ، فما أُجْمِلَ في مكان فُسرَ في مكان آخر ، وما اختُصِرَ في مكان بُسِطَ في مكان آخر^٢ .. ، وقد كان أبو حيان^٣ _ رحمه الله تعالى _ يرد كثيراً من الأقوال التي تقال بدون مستند نقل ، معللاً بقوله : « الذي يصح في ذلك هو ما ذكره الله في كتابه ، وما صح عن نبيه _ ﷺ _ »^٤ ، كذلك يقول : « ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما صح في كتاب الله ، وسنة رسوله _ ﷺ _ »^٥ .

وهذا المنهج واضح في تفسيره البحر المحيط ؛ حيث يذكر عند تفسيره لكثير من الآيات نظيرها من الآيات التي تدور على المعنى المراد منها ، أو تؤيدها ، أو تشير إلى موضوعها ، وقد يضعف بالقرآن أقوالاً غير صحيحة و غير ذلك . وهذه بعض نماذج على ذلك :

١ _ في بيان معنى الكلمة :

قال في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [سورة الرعد : ٢٦] : « ويقدر مقابل يبسط ، وهو التضييق من قوله ﴿ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ [سورة الطلاق : ٧] ، وعليه يحمل ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧] »^٥ .

٢ _ في بيان المراد من الآية :

قال في قوله تعالى ﴿ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ : « وارزقهم من الثمرات مع سكناهم^٦ وادياً ما فيه شيء منها ، بأن يجلب إليهم من البلاد كقوله ﴿ يُجْبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة القصص : ٥٧] »^٧ .

^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٢ / ١٤٤) .

^٢ _ ينظر : مجموع الفتاوى : (٣٦٣ / ١٣) ، والبرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٩٢) ، وأضواء البيان (١ / ٦٧) .

^٣ _ البحر المحيط : (١ / ٤٠٩) .

^٤ _ المرجع السابق : (١ / ٥٥٨) .

^٥ _ المرجع السابق : (٥ / ٣٧٩) .

^٦ _ هكذا في المطبوع ، وفي المخطوط : (٦ / ورقة ٣٨) : (سكتناهم) .

^٧ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) .

٣ _ بيان المعنى بالنظير :

قال في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [سورة الحجر : ١٤ _ ١٥] : « وجاء جواب ﴿ وَلَوْ ﴾ قوله ﴿ لَقَالُوا ﴾ ، أي : أنهم يشاهدون ما يشاهدون ، ولا يشكون في رؤية المحسوس ، ولكنهم يقولون ما لا يعتقدون مواطأة على العناد ودفع الحجـة ومكابرة وإيثارة للغلبة ، كما قال تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [سورة النمل : ١٤] »^١ .

٤ _ الاستدلال للمعنى بالآيات :

قال في قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٥] : « ومعنى ألقى جعل ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ أَلَمْ جَعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [سورة النبأ : ٦ _ ٧] ، وقوله ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِّن فَوْقِهَا ﴾ [سورة فصلت : ١٠] ، وقال ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [سورة طه : ٣٩] ، أي : جعلت »^٢ .

إلى غير ذلك من المواطن التي فسر فيها القرآن بالقرآن _ رحمه الله تعالى _ ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في مبحث الترجيح بالنظائر القرآنية ، والترجيح بالسياق _ إن شاء الله تعالى _ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٧ / ٥) .

^٢ _ المرجع السابق : (٤٦٦ / ٥) .

المطلب الثاني : تفسيره القرآن بالسنة .

تأتي السنة النبوية الثابتة في المرتبة الثانية من طرق التفسير بالمأثور ، فإذا لم نجد التفسير في القرآن فنعمد لأقوال النبي ﷺ ؛ لأنها شارحة للقرآن ، وموضحة له ، و الرسول الله ﷺ — هو أعلم الناس بتفسير وبيان كلام الله عز وجل ، قال الله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] ، ويقول تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٤] ، وقال النبي ﷺ — : « ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه »^١ يعني : السنة^٢ ؛ فإذا صح قول للرّسول ﷺ — في بيان معنى آية لم يلتفت إلى قول غيره^٣ .

قال الشاطبي^٤ — رحمه الله — : « السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب ، ودل على ذلك قوله ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] »^٥ .

وقال : « السنة راجعة في معناها إلى الكتاب فهي تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره ؛ وذلك لأنها بيان له وهو الذي دل عليه قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] ، فلا تجد في السنة أمراً إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية »^٦ .

وقد اهتم أبو حيان — رحمه الله تعالى — بهذا الطريق من طرق التفسير بالمأثور ، وذكره في تفسيره في مواطن كثيرة ، تعدد فيها إيرادها للسنة النبوية ، فتارة في بيان معنى الآية ، أو لتأييد قول في تفسير الآية ، أو رد لأقوال في تفسير الآية وغير ذلك ، ومن ذلك ما يلي :

^١ — أخرجه أحمد في مسنده : (٤ / ١٣٠) ، ح : (١٧٢١٣) ، والطبراني في مسند الشاميين : (٢ / ١٣٧) ، ح : (١٠٦١) ، والبغوي في المصابيح ، ينظر : مشكاة المصابيح : (١ / ٥٧) ، ح : (١٦٣) . وصححه الشوكاني . ينظر : تحفة الأحوذني ، باب : ما جاء في لبس الفراء ، (٥ / ٣٢٤) .

^٢ — ينظر : مجموع الفتاوى : (١٣ / ٣٦٣) .

^٣ — ينظر : الناسخ والمنسوخ ، للنحاس : (١ / ٢٤٤) .

^٤ — الشاطبي : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، المتبحر المحدث الأصولي النظار الجهد ، صاحب الموافقات والاعتصام وغير ذلك ، المتوفى في سنة ٧٩٠ هـ . ينظر : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات : (١ / ١٩١) .

^٥ — الموافقات : (٤ / ٩) .

^٦ — الموافقات : (٤ / ٢١٢) .

١ _ فى بيان معنى الآية :

أ _ قال أبو حيان _ رحمه الله _ فى المراد بـ ﴿ طُوبَى ﴾ فى قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ ﴾ [سورة الرعد : ٢٩] : « وقال أبو هريرة ^١ و... : هي شجرة فى الجنة ، وروي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ _ من حديث عتبة بن عبيد السلمى أنه قال وقد سأله أعرابي : يا رسول الله أفى الجنة فاكهة ؟ ، قال : « نعم فيها شجرة تدعى طوبى » وذكر الحديث ^٢ وطوبى : مبتدأ ، وخبره : لهم ، فإن كانت علماً لشجرة فى الجنة ، فلا كلام فى جواز الابتداء ^٣ .

ب _ فى قوله تعالى ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [سورة الحجر : ١٧] قال _ رحمه الله _ : « وحفظ السماء هو بالرحم بالشهب على ما تضمنته الأحاديث الصحاح ، قال رسول الله ﷺ _ : « إن الشياطين تقرب من السماء أفواجاً ، فينفرد المارد منها ، فيستمع ، فيرمى بالشهاب ، فيقول لأصحابه وهو يلهب إنه الأمر كذا وكذا فتزيد الشياطين فى ذلك ، ويلقون إلى الكهنة ، فيزيدون على الكلمة مائة كلمة ^٤ » ، ونحو هذا الحديث ^١ »

^١ _ أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، كان حافظاً مثبته ذكياً مفتياً صاحب صيام ، ولي إمرة المدينة مرات ، توفي سنة ٥٧ هـ ، وقيل : سنة ٥٩ هـ . ينظر : الإصابة : (٧ / ٤٢٥ _ ٤٤٤) ، والكاشف : (٢ / ٤٦٩) .

^٢ _ أخرجه أحمد فى مسنده : (٤ / ١٨٣) ، ح : (١٧٦٧٩) ، وابن جرير فى تفسيره : (١٣ / ١٤٩) ، والطبرانى فى الكبير : (١٧ / ١٢٦ _ ١٢٨) ، ح : (٣١٢ ، ٣١٣) ، وفى الأوسط : (١ / ١٢٦ _ ١٢٧) ، ح : (٤٠٢) ، وابن حبان فى صحيحه ، باب ذكر الأخبار عما تشبه شجرة طوبى من أشجار هذه الدنيا ، (١٦ / ٤٢٩) ، والطبرانى فى الكبير : (١٧ / ١٢٧) ، ح : (٣١٢) ، وفى الأوسط : (١ / ١٢٧) ، ح : (٤٠٢) عن عتبة بن عيسى - رضى الله عنه - .

قال الهيثمي : « وفيه عامر بن زيد البكالي ، وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ، ولم يوثقه ، وبقية رجاله ثقات » . ينظر : مجمع الزوائد : (١٠ / ٤١٤) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٨٠) .

^٤ _ أخرجه الطبري موقوفاً على ابن عباس _ رضى الله عنهما _ : (١٤ / ١٤) .

ولكن أخرجه البخاري نحوه مرفوعاً من رواية أبي هريرة قال : « (إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ _ قال : ((إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ ، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ _ وَوَصَفَ سُفْيَانٌ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ _ فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا ، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ ، فَيُقَالُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا ، فَيُصَدِّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ

التي سمع من السماء» . ينظر : صحيح البخاري ، باب : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۗ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سورة سبأ : ٢٣] ، (٤ / ١٨٠٤) ح : (٤٥٢٢) .
١ _ البحر المحيط : (٤٣٧ / ٥) .

٢ _ في الجزم بقول تفسيري في الآية على صحة الحديث ، من ذلك :

أ _ في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَكَاظُ يُسِيغُهُ ﴾ [سورة إبراهيم : ١٧] قال _ رحمه الله _ : « ولا يكاد يسغيه ، أي : ولا يقارب أن يسغيه ، فكيف تكون الإساعة ، والظاهر هنا انتفاء مقاربة إساعته إياه ، وإذا انتفت الإساعة ، فيكون كقوله ﴿ لَمْ يَكْدِ يَرْنَهَا ﴾ [سورة النور : ٤٠] أي : لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ، والحديث جاءنا « ثم يشربه »^١ ، فإن صح الحديث كان المعنى : ولا يكاد يسغيه قبل أن يشربه ، ثم شربه ، كما جاء ﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٧١] ، أي : وما كادوا يفعلون قبل الذبح »^٢ .

ب _ في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٦] قال _ رحمه الله _ : « وفي الحديث عن ابن عباس^٣ _ رضي الله عنهما _ أنه سأل الرسول ﷺ _ عن قوله ﴿ وَبِالنَّجْمِ ﴾ [سورة النحل : ١٦] فقال : « هو الجدي »^٤ ، ولو صح هذا لم يعدل أحد عنه »^٥ .

^١ _ لم أحده بهذا اللفظ . ولكن أخرج الترمذى ، في سننه كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار : (٧٠٥ / ٤) ، ح : (٢٥٨٣) عن أبي أمامة عن النبي ﷺ _ في قوله ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ ﴾ [سورة إبراهيم : ١٦ - ١٧] قال : « يقرب إليه فيكرهه ، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعائه حتى تخرج من دبره » . وقال التومذى : هذا حديث غريب ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ، في كتاب التفسير ، في تفسير سورة إبراهيم : (٣٥١ / ٢) ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فلعل أبا حيان ذكر الحديث بالمعنى _ والله أعلم _ .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٠٢ / ٥) .

^٣ _ ابن عباس : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمي ، حبر الأمة ، وفقه العصر ، وإمام التفسير ، مات سنة ٧٠ هـ وهو بالطائف ، وقيل سنة ٦٨ هـ . ينظر : التاريخ الكبير : (٥ / ٣ - ٥) ، وسير أعلام النبلاء : (٣٣١ / ٣ - ٣٥٩) .

^٤ _ أخرجه الطبري في جامع البيان : (١٧ / ١٨٦) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ، وعطية العوفي ضعيف ، ليس بالقوي . ينظر : معرفة الثقات : (١٤٠ / ٢) ، والضعفاء للنسائي : (٨٥ / ١) .

^٥ _ البحر المحيط : (٤٦٧ / ٥) .

المطلب الثالث : تفسيره القرآن بأقوال الصحابة :

أكثر أبو حيان _ رحمه الله _ من نقل أقوال السلف والخلف في تفسيره ؛ مما زاد من مكانة هذا التفسير وقوته ؛ حيث إنه أسند في كل فن إلى أقوال أهل الفن فيه ، وقد أكثر من ذكر أقوال الصحابة _ رضي الله عنهم _ في تفسير الآيات ؛ حيث تعتبر أقوالهم _ رضي الله عنهم _ في التفسير من أهم طرقه ؛ وذلك لما لتفسير الصحابة من قوة ؛ فإهم أدري بذلك ؛ لما شاهدوه من القرآن ، والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، وهم أهل اللغة ، فهم أعلم بتفسير كلام الله تعالى ^١ .

وتفسير الصحابي ينظر فيه ، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم ، وإن فسره بما شاهدته من الأسباب والقرائن فلا شك فيه ، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك ، ... فإن تعذر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بأيها شاء ^٢ .

وقد عزز أبو حيان _ رحمه الله _ تفسيره بنقل أقوال الصحابة _ رضي الله عنهم _ ، إلا أن أبا حيان _ رحمه الله _ ذكر أقوالهم بلا إسناد ؛ وذلك ربما طلباً للاختصار .

ومن نقل عنهم أبو حيان من الصحابة :

١ _ عمر بن الخطاب ^٣ .

٢ _ عبد الله بن مسعود ^٤ .

^١ _ ينظر : مجموع الفتاوى : (١٣ / ٣٦٤) ، والبرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٨٨ - ١٨٩) .

^٢ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٨٩) .

^٣ _ عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين أبو حفص القرشي العدوي ، الفاروق ، أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة ، وكان إسلامه فتحاً على المسلمين ، وفرجاً لهم من الضيق ، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً . ينظر : تاريخ الخلفاء : (١ / ١٠٨ - ١٤٦) ، والإصابة : (٤ / ٥٨٨ - ٥٩٠) ، و تقريب التهذيب : (١ / ٤١٢) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٧ ، ٤١٣ ، ٤٢٨ ، ٤٥٢) .

^٤ _ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمش بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ، الإمام الحبر ، فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البصري حليف بني زهرة ، كان من السابقين الأولين ، ومن النجباء العالمين ، شهد بدرًا ، وهاجر المهجرتين ، ومناقبه غزيرة ، توفي سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل : ثلاث وثلاثين . ينظر : التاريخ الكبير : (٥ / ٢) ، و سير أعلام النبلاء : (١ / ٤٦١ - ٤٩٩) ، والإصابة : (٤ / ٢٣٣ - ٢٣٥) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٧ ، ٣٩٧ ، ٤١٠ ، ٤٣٣ ، ٤٥٢ ، ٤٩٠ ، ٤٩٥) .

٣ _ علي بن أبي طالب^١ .

٤ _ أبو هريرة^٢ .

٥ _ ابن عباس^٣ .

٦ _ عبد الله بن عمر^٤ .

٧ _ أنس بن مالك^٥ .

٨ _ البراء بن عازب^٦ .

وغيرهم من الصحابة _ رضي الله عنهم _ .



١ _ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن ، أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم ، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح ، فربى في حجر النبي _ ﷺ _ ولم يفارقه ، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك ، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة : « ألا ترضى أن تكون مني بمرتلة هارون من موسى » ، قتل في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر . ينظر : الإصابة : (٤ / ٥٦٤ _ ٥٦٩) ، وتاريخ الخلفاء : (١ / ١٦٦ _ ١٨٧) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٧ ، ٣٨٨ ، ٤١٣ ، ٤٢٨ ، ٤٥٢ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨) .

٢ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٨ ، ٤٩٠) .

٣ _ ينظر على سبيل المثال البحر المحيط : (٥ / ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٩٥ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ، ٤٣٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٩) .

٤ _ عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن القرشي ثم العدوي ، من المكثرين عن النبي _ ﷺ _ ، ومن أشد الناس اتباعاً للأثر ، مات سنة ٧٢ هـ ، وقيل : ٧٣ هـ . ينظر : التاريخ الكبير : (٥ / ٢) ، الإصابة : (٤ / ١٨١ _ ١٨٧) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٢ ، ٤٩٥ ، ٤٥٤) .

٥ _ أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن النجار ، وأمه أم سليم بنت ملحان ، خدم النبي _ ﷺ _ تسع سنين ، وقيل : عشر سنين ، توفي سنة ٩٢ هـ ، وقيل : ٩٣ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : (٧ / ١٧ _ ٢٥) ، والإصابة : (١ / ١٢٦ _ ١٢٧) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤١٠ ، ٤٣٣ ، ٤٥٤) .

٦ _ البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الخزرج ، وأمه حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحباب ، شهد مع النبي _ ﷺ _ خمس عشرة غزوة ، توفي سنة ٧٢ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : (٤ / ٣٦٤ _ ٣٦٨) ، والإصابة : (١ / ٢٧٨) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤١٢) .

المطلب الرابع : تفسيره القرآن بأقوال التابعين .

نقل كثير من المفسرين أقوال التابعين في تفاسيرهم إذا لم يجدوا التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، ولا عن الصحابة ، وتعد أقوالهم في التفسير من طرق التفسير بالمأثور .

وأقوال التابعين حجة إذا أجمعوا على الشيء ، أما إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن ، أو السنة الثابتة ، أو أقوال الصحابة ، أو عموم لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق في ذلك^١ .

وقد يقع في عباراتهم _ أي التابعين _ تباين في الألفاظ ، يحسبها الناظر إليها اختلافاً وليست كذلك ؛ فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره ، ومنهم من ينص على الشيء بعينه ، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن^٢ .

وقد أكثر أبو حيان _ رحمه الله _ من النقل عن التابعين ومنهم :

١ _ الحسن البصري^٣ .

٢ _ قتادة بن دعامة السدوسي^٤ .

٣ _ مجاهد بن جبر^٥ .

٤ _ سعيد بن جبير^١ .

^١ _ ينظر : مجموع الفتاوى : (١٣ / ٣٦٨ _ ٣٧٠) ، والبرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٨٩) .

^٢ _ ينظر : مجموع الفتاوى : (١٣ / ٣٦٨ _ ٣٧٠)

^٣ _ الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري ، مولى زيد بن ثابت ، الإمام الحجة ، توفي سنة ١١٠ هـ . ينظر : لسان الميزان : (٧ / ١٩٧) ، و سير أعلام النبلاء : (٤ / ٥٦٣ _ ٥٨٨) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٣) .

ينظر : على سبيل المثال : (٥ / ٣٦٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٧ ، ٤١٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥) .

^٤ _ قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب ، الحافظ المفسر ، توفي سنة ١١٧ هـ وقيل : ١١٨ هـ . ينظر : صفة الصفوة : (٣ / ٢٥٩) ، والكاشف : (٢ / ١٣٤) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٤) .

ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٩٥ ، ٤١٦ ، ٤٣٢) .

^٥ _ مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، إمام في القراءة والتفسير ، حجة ، توفي سنة ١٠٤ هـ . ينظر : الكاشف : (٢ / ٢٤٠) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٥٢٠) ، وطبقات الداوودي : (١ / ١١) .

ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٩٥ ، ٤٢٤ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨) .

٥ _ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^٢ .

٦ _ الضحاك^٣ .

٧ _ عكرمة^٤ .

وغيرهم من التابعين _ رحمهم الله تعالى _ .



^١ _ سعيد بن جبير الأسدي الوالي مولاهم ، أبو محمد وأبو عبد الله ، أحد الأعلام ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، مات شهيداً سنة ٩٥ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٤٣٣) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٢٣٤) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٠) .

ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٧٦ ، ٣٨٨ ، ٤٢٧) .

^٢ _ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي مولاهم ، توفي سنة ١٨٢ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٦٢٨) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٣٤٠) ، وطبقات الداوودي : (١ / ١١) .

ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٨ ، ٣٩٥ ، ٤٢٤ ، ٤٣٨) .

^٣ _ الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد ، وقيل : أبو القاسم ، صاحب التفسير كان من أوعية العلم ، توفي سنة ١٠٢ هـ ، وقيل : ١٠٥ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : (٤ / ٥٩٨ - ٦٠٠) ، وغاية النهاية : (١ / ٣٣٧) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٠) .

ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٨ ، ٣٨٠ ، ٤١٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٣) .

^٤ _ عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، مولى ابن عباس ، أبو عبد الله ، كان عالماً بالقرآن ومعانيه ، توفي سنة ١٠٥ هـ ، وقيل : ١٠٦ هـ ، وقيل : سنة ١٠٧ هـ . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٢) ، وغاية النهاية : (١ / ٥١٥) ، ووفيات الأعيان : (٣ / ٢٦٥) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٠) .

المطلب الخامس : تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين .

ذكر أبو حيان _ رحمه الله _ في مقدمته اعتماده في تفسيره على تفسير الزمخشري^١ ، و تفسير ابن عطية^٢ ، وكتاب التحرير والتحجير لأقوال أئمة التفسير لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان ابن حسن بن حسين المقدسي المعروف بابن النقيب _ رحمهم الله تعالى _^٣ ، إلا أنه لم يكتف بذلك فنقل أقوال غيرهم من المفسرين ممن جاءوا بعد عصر التابعين ، واستفاد من تفاسيرهم فقد صنف كثير من العلماء في التفسير بعد عصر التابعين ، كتباً مستقلة بالتفسير جمعوا فيها أقوال السابقين ، ومنهم :

١ _ السدي^٤ .

٢ _ مقاتل^٥ .

٣ _ سفيان الثوري^٦ .

٤ _ الطبري^٧ .

وغيرهم من العلماء _ رحمهم الله تعالى _ .

^١ _ ينظر : على سبيل المثال : (٣٦٥ / ٥ ، ٣٦٦ ، ٣٩٤) .

^٢ _ ينظر : على سبيل المثال : (٣٦٥ / ٥ ، ٣٦٦ ، ٣٩٤) .

^٣ _ البحر المحيط : (١ / ١١٣) .

^٤ _ إسماعيل بن عبد الرحمن السدي _ بضم المهملة وتشديد الدال _ الكوفي ، أبو محمد ، المشهور المفسر كان عالماً بالتفسير ، توفي سنة ١٢٧ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٢٤٧) ، وتقريب التهذيب : (١ / ١٠٨) ، وتهذيب التهذيب : (١ / ٢٧٣ - ٢٧٤) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٥) .

ينظر : على سبيل المثال : (٥ / ٣٦٥ ، ٤٢٤) .

^٥ _ مقاتل بن سليمان البلخي ، أبو الحسن ، كبير المفسرين ، مات سنة نيف وخمسين ومائة . ينظر : سير أعلام النبلاء : (٧ / ٢٠١ - ٢٠٢) ، والكاشف : (٢ / ٢٩٠) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٥٤٥) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨١ ، ٣٩٥) .

^٦ _ سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري ، أبو عبد الله الكوفي ، الإمام الكبير أحد الأعلام ، أمير المؤمنين في الحديث ، ولد سنة سبع وتسعين على الصحيح ، توفي سنة ١٦١ هـ . ينظر : مشاهير علماء الأمصار : (١٦٩) ، سير أعلام النبلاء : (٧ / ٢٢٩ - ٢٧٩) ، وغاية النهاية : (١ / ٣٠٨) .

^٧ _ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين ، صنف التاريخ الحافل ، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع ، توفي سنة ٣١٠ هـ . ينظر : البداية والنهاية : (١١ / ١٤٥ - ١٤٧) ، وطبقات المفسرين ، للسيوطي : (١ / ٩٥ - ٩٧) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ٢٦٤ - ٢٦٦) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٠١) .

وقد اعتنى أبو حيان _ رحمه الله _ بنقل أقوالهم في تفسيره ، كما أنه استفاد ممن جاءوا بعدهم ،

ومنهم :

- ١ _ أبو جعفر النحاس^١ .
- ٢ _ أبو العباس المهدوي^٢ .
- ٣ _ الماوردي^٣ .
- ٤ _ البغوي^٤ .
- ٥ _ الرازي^٥ .
- ٦ _ القرطبي^٦ . وغيرهم كثير _ رحمهم الله تعالى _ .

^١ _ أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري ، أبو جعفر النحاس ، إمام العربية ، النحوي ، صاحب التصانيف ، توفي سنة ٣٣٨ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١٥ / ٤٠١ - ٤٠٢) ، وبغية الوعاة : (١ / ٣٦٢) ، والوافي بالوفيات : (٧ / ٢٣٧ - ٢٣٨) .

^٢ _ أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي ، صاحب التفسير كان مقدماً في القراءات والعربية ألف كتباً مفيدة ، مات في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة . ينظر : طبقات المفسرين ، للسيوطي : (١ / ٣٠) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ٣٩٩) .

^٣ _ علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي ، له المصنفات الكثيرة في كل ، فن الفقه والتفسير والأصول والأدب ، توفي سنة ٤٥٠ هـ . ينظر : طبقات المفسرين ، للسيوطي : (١ / ٨٣ - ٨٤) ، وطبقات الشافعية : (١ / ٢٣٠ - ٢٣٢) ، طبقات المفسرين ، للداوودي : (١ / ١١٩ - ١٢٠) . ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٦) .

^٤ _ الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، أبو محمد ، الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة ، المفسر ، صاحب التصانيف ، توفي سنة ٥١٦ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١٩ / ٤٣٩ - ٤٤٣) ، والوافي بالوفيات : (١٣ / ٤١) ، وطبقات الحفاظ : (٤٧٨) . ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٧٠) .

^٥ _ محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي ، الإمام فخر الدين الرازي العلامة أبو عبد الله ، المفسر المتكلم صاحب التصانيف المشهورة ، ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ . ينظر : طبقات الشافعية الكبرى : (٨ / ٨١ - ٨٢) ، وشذرات الذهب : (٥ / ٢١) ، وطبقات المفسرين ، للداوودي : (١ / ٢١٣ - ٢١٤) . ينظر على سبيل المثال : (٥ / ٣٦٦) .

^٦ _ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي ، مصنف التفسير المشهور ، توفي سنة ٦٧١ هـ . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي : (١ / ٢٤٦ - ٢٤٧) ، وطبقات المفسرين ، للسيوطي : (٩٢) ، وشذرات الذهب : (٥ / ٣٣٥) . ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٠) .

المطلب السادس : عنايته بالقراءات :

يعتبر تفسير البحر المحيظ مرجعاً من مراجع توثيق القراءات ؛ وذلك لتمكن أبو حيان في القراءات ، وإيراده لها ، مع بيانه للمتواتر منها والشاذ ، وتوجيهه لتلك القراءات ، مما جعل الباحثين يهتمون بهذا التفسير في علم القراءات ، ولذا فقد ألفت في ذلك عدة رسائل جامعية .
ومما ذكره أبو حيان في ذلك ما يلي :

١ _ ذكر القراءات شاذها ومستعملها .

يذكر أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ القراءات الشاذة ويبين أنها من باب التفسير للآيات ، وهذا هو المقصد لكثير من العلماء من ذكرهم للقراءات الشاذة ؛ فهي تعتبر تفسيراً للقراءة المشهورة ، وتبين معانيها ، ويستنبط منها معرفة صحة التفسير^١ ، ومما ذكره أبو حيان _ رحمه الله _ في ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ ﴾ [سورة الرعد : ١١] قال _ رحمه الله _ : « وقرأ ... (له المعاقب) ، ... وقرأ (له معاقب) ، ... وقرأ (له معتقات) من اعتقب ، ... وينبغي حمل هذه القراءات على التفسير لا أنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون »^٢ .
_ في قوله تعالى ﴿ يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ ﴾ [سورة النحل : ٢] قال _ رحمه الله _ : « وقرأ ابن أبي عبله^٣ (ما نزل) بنون العظمة والتشديد ، وقتادة بالنون والتخفيف ، قال ابن عطية : وفيهما شذوذ كثير . انتهى . وشذوذهما أن ما قبله وما بعده ضمير غيبة ، ووجهه أنه التفات »^٤ .

٢ _ ذكر توجيه تلك القراءات .

معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ فن جليل ، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به عناية فائقة .
وفائدته : أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجحاً ، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى ، وهذا غير مرضي ؛ لأن كليهما متواترة^٥ ، ومما ذكره أبو حيان في ذلك ما يلي :

^١ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٤١٢ - ٤١٣) .

^٢ _ البحر المحيظ : (٥ / ٣٦٤) .

^٣ _ ابن أبي عبله هو : إبراهيم بن شمر بن يقظان ، أبو إسماعيل ، الشامي الدمشقي ، تابعي ، توفي سنة ١٥١ هـ ، وقيل : ١٥٢ هـ ، وقيل : ١٥٣ هـ . ينظر : غاية النهاية : (١ / ١٩) .

^٤ _ البحر المحيظ : (٥ / ٤٥٩) .

^٥ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٤١٩) .

— في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٣] قال — رحمه الله — : ((وقرأ الجمهور (المحال) بكسر الميم ، فعن ابن عباس : المحال العداوة ، وعنه : الحقد ، وعن عليّ : الأخذ ، وعن مجاهد : القوة ، وعن قطرب ^١ : الغضب ، وعن الحسن : الهلاك بالحل ، وهو القحط ، وقرأ الضحاك والأعرج ^٢ :

(المحال) بفتح الميم ، فعن ابن عباس : الحول ، وعن عبيدة : الحيلة يقال : المحال والمحالة ، وهي الحيلة ، ومنه قول العرب في مثل : المرء يعجز لا المحالة ^٣ .

— في قوله تعالى ﴿ إِلَّا عِبَادٌ مِّنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٤٠] قال — رحمه الله — : ((وقرأ الكوفيون ونافع والحسن والأعرج بفتح اللام ، ومعناه : إلا من أخلصته للطاعة أنت ، فلا يؤثر فيه تزييني ، وقرأ باقي السبعة والجمهور بكسرها ، أي : إلا من أخلص العمل لله ولم يشرك فيه غيره ولا راءى به ^٤ .

إلى غير ذلك من المظاهر المتعددة في العناية بالقراءات إلا أنه نص على ما ذكرت في مقدمته .



^١ — محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي ، الشهير بقطرب ، لازم سيبويه ، مات سنة ٢٠٦ هـ . ينظر : إنباه الرواة : (٣ / ٢١٩) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٤٢ — ٢٤٣) .

^٢ — الأعرج : حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان المكي القاري ، توفي سنة ١٣٠ هـ . ينظر : غاية النهاية : (١ / ٢٦٥) .

^٣ — البحر المحيط : (٥ / ٣٦٧) .

^٤ — البحر المحيط : (٥ / ٤٤١) .

المطلب السابع : عنايته بأسباب النزول .

اعتنى بذكر أسباب النزول كثير من المفسرين في تفاسيرهم ، لما لمسوه من شدة الحاجة إليه في تفسير القرآن الكريم ، وقد أفرده جماعة منهم بالتأليف .

ويراد بسبب النزول : هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه .
والمعنى : أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ ، أو سؤال وجه إليه ، فترلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال^١ .

وفي ذكر أسباب النزول فوائد جمعة منها :

- ١ _ بيان وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .
- ٢ _ تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .
- ٣ _ الوقوف على المعنى ، وإزالة الإشكال ، فبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز .

قال الشاطبي _ رحمه الله _ : «ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط ، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد ، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال ، وينشأ عن هذا الوجه الوجه الثاني ؛ وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات ، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال ، حتى يقع الاختلاف ، وذلك مظنة وقوع التزاع»^٢ .

- ٤ _ أن اللفظ قد يكون عاماً ، ويقوم الدليل على تخصصه .
- ٥ _ دفع توهم الحصر .

٦ _ تيسير الحفظ وتسهيله ، وتثبيت الوحي ، في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها^٣ .
ولا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها^٤ .

وقد اعتنى أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ بذكر أسباب النزول كما ذكر ذلك في مقدمته ، فيورد الأسباب في الآية دون الترجيح بينها أحياناً ، وأحياناً يورد سبباً واحداً للآية ، وقد يبين المعنى الصحيح للآية بسبب النزول ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

^١ _ ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ٩٩) ، ومباحث في علوم القرآن : (٧٧) .

^٢ _ الموافقات : (٣ / ٣٤٧) .

^٣ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٤٥ - ٥٠) ، والإتقان في علوم القرآن : (١ / ٨٢) ، ومناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٠٢ - ١٠٧) ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم : (١٣٢) ، ومباحث في علوم القرآن : (٧٩ - ٨٢) .

^٤ _ ينظر : ، مناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٠٧) ، ومباحث في علوم القرآن : (٧٦ - ٧٧) .

— في قوله تعالى ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَآءُ وَهُمْ يُجَدِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ
 الْمِحَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٣] قال — رحمه الله — : « وفي الخبر أن الرسول ﷺ — بعث إلى
 جبار من العرب ليسلم ، فقال : أخبرني عن إله محمد أمن لؤلؤ هو ، أم من ذهب ؟ . فتزلت عليه
 صاعقة ونزلت الآية فيه ، وقال مجاهد : ناظر يهودي الرسول ﷺ — فبينا هو كذلك نزلت صاعقة
 فأخذت قحف رأسه فتزلت الآية فيه ، وقال ابن جريج^١ : سبب نزولها قصة أريد بن ربيعة^٢ ، وعامر
 بن الطفيل^٣ ، وذكر قصتهما المشهورة ، مضمونها أن عامراً توعده الرسول ﷺ — إذا لم يجبه إلى ما
 طلب ، وأنه وأربداً راما الفتك به ، فعصمه الله تعالى ، وأصاب عامراً بغدة فمات غريباً ، وأريد
 بصاعقة فقتلته »^٤ .

— في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَآءُ
 وَيَهْدِي مَنْ يَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤] قال : « سبب نزولها أن قريشاً
 قالوا : ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي ، فتزلت »^٥ .

— في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا نَجْرُ الْأَخِرَةَ
 أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤١] قال أبو حيان — رحمه الله — : « والذين هاجروا
 قال قتادة : نزلت في مهاجري أصحاب الرسول ﷺ — وقال داود بن أبي هند^٦ : في أبي جندل
 بن سهيل بن عمرو^١ ، وعن ابن عباس : في صهيب^٢ وبلال^٣ وخباب بن الأرت^٣ وأضرابهم ،

^١ — عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد ، وأبو خالد القرشي مولا هم المكي ، الفقيه أحد الأعلام ،
 توفي سنة ١٥٠ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٦٦٦) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٣٦٣) ، وتهذيب التهذيب
 : (٦ / ٣٥٧ — ٣٥٩) .

^٢ — إربد بن ربيعة : ستأتي ترجمته في الترجيح رقم (١ / ١) ، ص : (١٦٣) .

^٣ — عامر بن الطفيل : ستأتي ترجمته في الترجيح رقم (١ / ١) ، ص : (١٦٣) ، والحديث سيأتي تخريجه ص :
 (١٦٤) .

^٤ — البحر المحيط : (٥ / ٣٦٧) .

^٥ — البحر المحيط : (٥ / ٣٩٤) .

^٦ — داود بن أبي هند ، أبو بكر ، واسم أبي هند : دينار ، العالم المثبت والزاهد المحبت ، توفي سنة ١٣٩ هـ .
 ينظر : حلية الأولياء : (٣ / ٩٢ — ٩٧) ، وصفة الصفوة : (٣ / ٣٠٠ — ٣٠١) ، والتاريخ الكبير : (٣ /
 ٢٣١) .

^١ — أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري ، كان من السابقين إلى الإسلام ، ومن عذب بسبب إسلامه ،
 توفي سنة ١٨ هـ بالطاعون . ينظر : الطبقات الكبرى : (٧ / ٤٠٥) ، والإصابة : (٧ / ٦٩) ، والاستيعاب
 : (٤ / ١٦٢١ — ١٦٢٣) .

المشركون بمكة ، فبوأهم الله المدينة ، وعلى هذا الاختلاف في السبب يتنزل المراد بقوله ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ قال ابن عطية : لما ذكر الله كفار مكة الذين أقسموا بأن الله لا يبعث من يموت ورد على قولهم ، ذكر مؤمني مكة المعاصرين لهم وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، هذا قول الجمهور ، وهو الصحيح في سبب الآية ؛ لأن هجرة المدينة ما كانت إلا بعد وقت نزول الآية . انتهى^٤ .



^١ _ صهيب بن سنان ، أبو يحيى النمري ، من النمر بن قاسط ، ويعرف بالرومي لأنه أقام في الروم مدة وهو من أهل الجزيرة ، السابق المهاجر المطعم المتاجر ، لماله بذول ، ولنفسه قتول ، ولديته عقول ، وبربه تعالى يجول ويصول ، أسرع الإجابة لله تعالى وللرسول ﷺ _ ، توفي سنة ٣٨ هـ . ينظر : حلية الأولياء : (١ / ١٥١ - ١٥٦) ، وسير أعلام النبلاء : (٢ / ١٧ - ٢٦) ، وشذرات الذهب : (١ / ٤٧) .

^٢ _ بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الكريم ، ويقال أيضا أبو عمرو ، ويقال أيضا أبو عبد الله ، مؤذن النبي ﷺ _ ، السيد المتعبد المتجرد ، عتيق الصديق ذي الفضل والسماح ، علم الممتحنين في الدين والمعذيين ، خازن الرسول الأمين محمد ﷺ _ ، مات بالشام زمن عمر ، وقيل : مات في طاعون عمواس ، وقيل : مات سنة عشرين . ينظر : حلية الأولياء : (١ / ١٤٧ - ١٥١) ، و التاريخ الكبير : (٢ / ١٠٦) ، و الإصابة : (١ / ٣٢٦) .

^٣ _ خباب بن الأرت _ بتشديد المثناة _ بن جندلة بن تميم التميمي ، السابق المفتن ، المعذب الممتحن ، أبو عبدالله مولى بني زهرة ، أسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهدا ، وثبت في إسلامه شاكرا ، مات سنة سبع وثلاثين . ينظر : حلية الأولياء : (١ / ١٤٣ - ١٤٧) ، و التاريخ الكبير : (٣ / ٢١٥) ، و الإصابة : (٢ / ٢٥٨) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٧٧) .

المطلب الثامن : عنايته بالناسخ والمنسوخ .

معرفة ناسخ القرآن من منسوخه ، والعلم به أمر عظيم الشأن في التفسير والفقہ ، وقد صنف فيه جماعة من العلماء ، ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ ، وقد قال علي بن أبي طالب _ عليه السلام _ لقاص : « أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ » ، قال : الله أعلم ، قال : هلكت وأهلكت ^١ .

والنسخ في اللغة : يأتي بعدة معانٍ ، منها :

١ _ الإزالة ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الْكَيْطَنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ﴾ [سورة الحج : ٥٢] .

٢ _ التبديل ، كقوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ [سورة النحل : ١٠١] .

٣ _ التحويل ، كتناسخ المواريث _ يعني تحويل الميراث من واحد إلى واحد _ .

٤ _ النقل من موضع إلى موضع ، ومنه : « نسخت الكتاب » إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه ^٢ .

وفي الاصطلاح : هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي ^٣ .

والنسخ مما خصت به أمة محمد _ صلى الله عليه وسلم _ ، وله حكم كثيرة منها :

١ _ مراعاة مصالح العباد ، ورعاية الأصلاح لهم في كل وقت بحسب أحوالهم فيه .

٢ _ التدرج بالتشريع إلى مرتبة الكمال في تربية النفس .

٣ _ إن كان النسخ إلى أخف فالحكمة التيسير على الأمة .

٤ _ إن كان النسخ إلى أشق فالحكمة زيادة الثواب مع ابتلاء المكلف .

٥ _ إن كان النسخ إلى مساوٍ فالحكمة الابتلاء والاختبار للمكلف ؛ لكمال الانقياد والعبودية لله تعالى ^١ .

^١ _ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه : (٣ / ٢٢٠) ، رقم : (٥٤٠٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه : (٥ / ٢٩٠) ، رقم : (٢٦١٩٢) ، والطبراني في الكبير : (١٠ / ٢٥٩) ، رقم : (١٠٦٠٣) ، الناسخ والمنسوخ ، للنحاس : (١ / ٤٩) . قال الهيثمي : « وفيه أبو راشد مولى بني عامر ولم أر من ذكره » . مجمع الزوائد : (١ / ١٥٤) .

^٢ _ ينظر : معجم مقاييس اللغة : (٥ / ٤٢٤) ، والناسخ والمنسوخ ، للنحاس : (١ / ٥٧) ، والبرهان في علوم القرآن : (٢ / ٣٣) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٥٩) ، ومناهل العرفان : (٢ / ٧١) .

^٣ _ ينظر : مناهل العرفان : (٢ / ٧٢) .

ويرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ - أو عن صحابي يقول : آية كذا نسخت كذا ، وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ ؛ ليعرف المتقدم والمتأخر ، ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين ، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة ؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده - ﷺ - والمعتمد فيه النقل والتاريخ ، دون الرأي والاجتهاد^٢ .

وقد أولى أبو حيان جانب الناسخ والمنسوخ عناية كبيرة في تفسيره ؛ وذلك لما في معرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات من أهمية في فهم الآيات والعمل بها ، ومن ذلك :

- في قوله تعالى ﴿ وَءَاتَلَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِن بَصِيرَتُنَا لِلْإِنسَانِ غَافِلَةٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤] قال - رحمه الله - : « ودعوى أن هذه الآية منسوخة بآية النحل لا يلتفت إليها »^٣ .

- في قوله تعالى ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٧] قال أبو حيان - رحمه الله - : « والسكر في اللغة : الخمر ... وقاله ابن مسعود وابن عمر والجمهور ، وهذه الآية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ثم حرمت بالمدينة ، فهي منسوخة ، وقال ابن عباس : هو الخل بلغة الحبشة ، وقيل : العصير الحلو الحلال ، وسمي سكرًا باعتبار ماله إذا ترك ، ... وعلى هذه الأقوال لا نسخ »^٤ .



^١ - ينظر : الإتيان في علوم القرآن : (٣ / ٦٠) ، ومناهل العرفان : (٢ / ٩٠ - ٩٢) ، ومباحث في علوم القرآن : (٢٤٠) .

^٢ - ينظر : الإتيان في علوم القرآن : (٣ / ٧١) ، ومناهل العرفان : (٢ / ١٠٥ - ١٠٦) .

^٣ - البحر المحيط : (٥ / ٤١٧) .

^٤ - البحر المحيط : (٥ / ٤٩٤ - ٤٩٥) .

المطلب التاسع : عنايته بذكر المكي والمدني :

من أشرف علوم القرآن علم المكي والمدني ، وقد عني العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة ، فتتبعوا القرآن آية آية ، وسورة سورة ، لترتيبها وفق نزولها ، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب ، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني ^١ . وللعلماء في المراد بالمكي والمدني ثلاثة اصطلاحات :

أحدها : أن المكي ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة .

الثاني : وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة ، وهذا القول لوحظ فيه زمن النزول ، وهو تقسيم صحيح سليم ؛ لأنه ضابط حاصر ومطرّد لا يختلف بخلاف القولين الآخرين ؛ ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم .

الثالث : أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ^٢ .

ومن فوائده :

- ١ _ معرفة الناسخ والمنسوخ ؛ لأن فيه العلم بالمتأخر .
 - ٢ _ معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام .
 - ٣ _ الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف .
 - ٤ _ الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم .
 - ٥ _ تذوق أساليب القرآن الكريم ، والاستفادة منها في الدعوة إلى الله ﷻ .
- ولا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك ؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ _ بيان للمكي والمدني ؛ وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون الوحي والتزليل ، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عياناً .
- وقد اعتنى أبو حيان _ رحمه الله _ بذكر المكي والمدني في تفسيره ، ومن الأمثلة على ذلك :
- _ قال في سورة الرعد : « هذه السورة مكية في قول الحسن ، وعكرمة ، وعطاء ^١ ، وابن جبير ، وعن عطاء إلا قوله ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [سورة الرعد : ٤٣] ، وعن

^١ _ ينظر : مباحث في علوم القرآن : (٥٣) .

^٢ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٢٣٩) ، والإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي : (١ / ٢٣) ، ومناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٨٦ - ١٨٧) ، ومباحث في علوم القرآن : (٦١ - ٦٢) .

^٣ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٢٣٩) ، والإتقان في علوم القرآن (١ / ٢٢ - ٢٣) ، ومناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٨٨) ، ومباحث في علوم القرآن : (٥٩ - ٦٠) .

^١ _ ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٨٩) .

غيره إلا قوله ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ [سورة الرعد : ١٢] إلى قوله ﴿لَهُ عَوَةُ الْحَقِّ﴾ [سورة الرعد : ١٤] ، ومدنية في قول الكلبي^٢ ، ومقاتل ، وابن عباس وقتادة واستثنيا آيتين قالا نزلتا بمكة وهما ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [سورة الرعد : ٣١] إلى آخرهما ، وعن ابن عباس إلا قوله ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الرعد : ٣١] إلى آخر الآية وعن قتادة مكة إلا قوله ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الرعد : ٣١] الآية ،»^٣ .

— وقال في سورة إبراهيم : « هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور ، وعن ابن عباس وقتادة هي مكية إلا من قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [سورة إبراهيم : ٢٨] إلى قوله ﴿إِلَى النَّارِ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٠] »^٤ .

— وقال في سورة الحجر : « هذه السورة مكية بلا خلاف »^٥ .

— وقال في سورة النحل : « قال الحسن ، وعطاء ، وعكرمة ... هي كلها مكية ، وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد حمزة^٦ ، وهي قوله ﴿وَلَا تَتْرَوْا بَعْدَ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة النحل : ٩٥] إلى قوله ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل : ٩٧] ، وقيل : إلا ثلاث آيات ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتُنَا﴾ [سورة النحل : ١٢٦] الآية نزلت في المدينة في شأن التمثيل

^١ — عطاء بن أبي رباح ، أبو محمد ، مولى آل أبي خثيم القرشي الفهري المكي ، واسم أبي رباح أسلم ، شيخ الإسلام ، فقيه الحرم ، كان من أوعية العلم ، مات سنة ١١٤ هـ ، وقيل : ١١٥ هـ . ينظر : حلية الأولياء : (٣١٠ / ٣ - ٣٢٥) ، و التاريخ الكبير : (٦ / ٤٦٣) ، وسير أعلام النبلاء : (٥ / ٧٨ - ٨٨) .

^٢ — محمد بن السائب الكلبي ، أبو النضر ، كوفي ، وكان من كبار الوضعيين ، مات سنة ١٤٠ هـ . ينظر : الكشف الحثيث : (١ / ٢٣٠) ، الضعفاء ، للنسائي : (١ / ٩٠) ، و المروجين : (٢ / ٢٥٣ - ٢٥٦) .

^٣ — البحر المحيط : (٥ / ٣٥٣) .

^٤ — المرجع السابق : (٥ / ٣٩٢) .

^٥ — المرجع السابق : (٥ / ٤٣٢) .

^٦ — حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، الإمام البطل الضرغام أسد الله أبو عمارة وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي ، ثم المدني البدري الشهيد ، عم رسول الله ﷺ — وأخوه من الرضاة ، قتل يوم أحد . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١ / ١٧١ - ١٨٤) ، والطبقات الكبرى : (٣ / ٨ - ١٨) ، والإصابة : (٢ / ١٢١ - ١٢٢) .

بجمزة وقتلى أحد ، وقوله ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ١٢٧] ، وقوله ﴿ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ [سورة النحل : ١١٠] ...^١ .



^١ _ البحر المحيط : (٤٥٨ / ٥) .

المبحث الثاني تفسيره القرآن بالرأي

وفيه تمهيد ، وثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تفسيره القرآن باللغة .

المطلب الثاني : عنايته بالمناسبات .

المطلب الثالث : عنايته بأسرار التعبير .

تمهيد :

التفسير بالرأي منه ما هو محمود ، ومنه ما هو مذموم ، والمراد بالرأي هنا : الاجتهاد ، فإن كان الاجتهاد موفقاً ، أي : مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه ، بعيداً عن الجهالة والضلالة ، فالتفسير به محمود ، وإلا فمذموم^١ .

قال الزركشي _ رحمه الله _ : « واعلم أن القرآن قسمان : أحدهما : ورد تفسيره بالنقل عن من يعتبر تفسيره ، وقسم لم يرد ، والأول ثلاثة أنواع : إما أن يرد التفسير عن النبي _ ﷺ _ ، أو عن الصحابة ، أو عن رؤوس التابعين ... »

الثاني : ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل ، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق^٢ .

وبين الزركشي حكم التفسير بمجرد الرأي فقال _ رحمه الله _ : « ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل ؛ لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [سورة الإسراء : ٣٦] ، وقوله ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٩] ، وقوله ﴿ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] فأضاف البيان إليهم . وعليه حملوا ... قوله _ ﷺ _ : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ^٣ ... »^٤ .

قال ابن كثير _ رحمه الله _ بعد ذكره لأقوال السلف في ترجحهم من تفسير بعض الآيات التي لا علم لهم بها : « فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على ترجحهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ، ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه^٥ . »

وقد كان أبو حيان _ رحمه الله _ من العلماء الذين يرون جواز التفسير بالرأي إذا استوفى المفسر شروطه فقال : « ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب ، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة ، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه ، فلن يحتاج في فهم ما تركيب من تلك الألفاظ

^١ _ ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن : (٢ / ٣٦) .

^٢ _ البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٨٨ - ١٨٩) .

^٣ _ تقدم تحريجه : (٦٠ - ٦١) .

^٤ _ البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٧٨ - ١٧٩) .

^٥ _ تفسير القرآن العظيم : (١ / ٧) .

إلى مفهم ولا معلم ، وإنما تفاوتت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه ؛ فلذلك اختلفت أفهامهم وتباينت أقوالهم ، وقد جربنا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا ، فكان يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه بالإسناد إلى مجاهد ، وطاوس ، وعكرمة وأضرابهم ، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك ، والعجب له أنه يرى أقوال هؤلاء كثيرة الاختلاف متباينة الأوصاف متعارضة ينقض بعضها بعضاً ، ... وكان هذا المعاصر يزعم أن كل آية نقل فيها التفسير خلف عن سلف بالسند إلى أن وصل ذلك إلى الصحابة ، ومن كلامه أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن تفسيرها ، هذا وهم العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلسانهم ، ... وعلى قول هذا المعاصر يكون ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه وإظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة والبيان والإعجاز ، لا يكون تفسيراً حتى ينقل بالسند إلى مجاهد ونحوه ، وهذا كلام ساقط^١ .

وقال : « وما روي عنه ﷺ _ من قوله : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » محمول على من تسور على تفسيره برأيه دون النظر في أقوال العلماء وقوانين العلوم كالنحو واللغة والأصول ، وليس من اجتهد ففسر على قوانين العلم والنظر بداخل في ذلك الحديث ، ولا هو يفسر برأيه ، ولا يوصف بالخطأ^٢ .

قال ابن الأثير في بيان معنى الحديث ، وبيان أهمية النقل والسماع : « النهي يشمل وجهين : أحدهما : أن يكون له في الشيء رأي ، وإليه ميل من طبعه وهواه ، فيتناول القرآن على وفقه محتجاً به لغرضه ، ولو لم يكن له هوى لم يلح له منه ذلك المعنى ، وهذا يكون تارة مع العلم كمن يحتاج منه بآية على تصحيح بدعته عالماً بأنه غير مراد بالآية ، وتارة يكون مع الجهل بأن تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافق غرضه ، ويرجح برأيه وهواه ، فيكون فسر برأيه إذ لولاه لم يترجح عنده ذلك الاحتمال ، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن فيستدل به بما يعلم أنه لم يرد به

الثاني : أن يتسارع إلى تفسيره بظاهر العربية بغير استظهار بالسماع والنقل يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة والاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلظه ، ودخل في زمرة من فسر

^١ _ البحر المحيط : (١ / ١٠٤) .

^٢ _ المرجع السابق : (١ / ١١٩) .

القرآن بغير علم ، فالنقل والسماع لا بد منهما أولاً ، ثم هذه تستتبع التفهم والاستنباط ، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ^١ .

وقد اعتنى أبو حيان - رحمه الله - في تفسيره بنقل ما ورد في الآية من الأقوال ، ولم يكتف بذلك بل كان يوجه الأقوال ، ويرجح في بعض الأحيان ، كما اعتنى بالتفسير بالرأي فأعمل فكره في عدة جوانب منها : اعتناؤه بتفسير القرآن باللغة ، وذكره للمناسبات بين السور ، والمناسبات بين الآيات بعضها ببعض في كثير من المواضع ، كذلك اعتنى بذكر أسرار التعبير ، وذكر اللطائف من الآيات ، وهذا ما سيأتي ذكره فيما يلي .



^١ - فيض القدير : (٦ / ١٩٠) .

المطلب الأول تفسيره القرآن باللغة

وفيه خمسة أمور:

أولاً: مصادره في اللغة ، والأعلام الذين سماهم .

ثانياً: عنايته بمعاني المفردات .

ثالثاً: عنايته بمعاني الحروف والأدوات .

رابعاً: عنايته بالإعراب .

خامساً: عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني .

أولاً : مصادره في اللغة ، وبعض الأعلام الذين سماهم .

يعد أبو حيان _ رحمه الله _ من علماء اللغة البارعين ، وهو مرجع في ذلك ، و لتقدمه في هذا المجال فقد تميز تفسيره بالاهتمام البالغ بهذا الجانب ، وقد ذكر في مقدمته كثير من مصادره في ذلك عند ذكره للعلوم التي يحتاجها المفسر^١ .

ومن علماء النحو واللغة الذين استفاد منهم ، ونقل عنهم :

١ _ سيويه^٢ .

٢ _ الكسائي^٣ .

٣ _ قطرب^٤ .

٤ _ الفراء^١ .

^١ _ ذكر _ رحمه الله _ من مصادره في علم اللغة : كتاب ابن سيده ، وكتاب الأزهرى ، والموعب لابن التياتي ، والصحاح للجوهري ، والبارع لأبي علي القالي ، وجمع البحرين للصابغاني ، والفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني .

ومن مصادره في الأفعال : كتاب ابن القوطية ، وكتاب ابن طريف ، وكتاب السرقسطي ، وكتاب ابن القطاع .

ومن مصادره في علم النحو : كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيويه ، وكتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمد بن مالك الجياتي الطائي ، وكتاب الممتع لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي الإشبيلي . ومن مصادره في علم البيان والبديع : ما جمعه أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب ، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير ، وما وضعه أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري المسمى : منهاج البلغاء وسراج الأدباء . ينظر : البحر المحيط : (١ / ١٠٥ - ١٠٧) .

^٢ _ عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر المعروف بسيويه النحوي من أهل البصرة ، كان يطلب الآثار والفقهاء ثم صحب الخليل بن أحمد فبرع في النحو . مات سنة ١٨٠ هـ ، وقيل : ١٩٤ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : (١٢ / ١٩٥ - ١٩٨) ، وإنباه الرواة : (٢ / ٣٤٦) ، وبغية الوعاة : (٢ / ٢٢٩) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٨ ، ٣٨٠) .

^٣ _ علي بن حمزة ، أبو الحسن الكسائي ، مولاهم الكوفي ، المقرئ النحوي ، مستقيم الحديث ، مات سنة ١٨٧ هـ ، وقيل : ١٨٩ هـ . ينظر : التاريخ الكبير : (٦ / ٢٦٨) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ١٠٠ - ١٠٧) ، والثقات : (٨ / ٤٥٧ - ٤٥٨) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٣ ، ٤١٤) .

^٤ _ ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٤٠١ ، ٤٢٧) .

- ٥ _ أبو عبيدة^٢ .
 ٦ _ الأخفش^٣ .
 ٧ _ المبرد^٤ .
 ٨ _ الزجاج^٥ .
 ٩ _ ابن الأنباري^١ .

^١ _ يحيى بن زياد بن عبد الله ، أبو زكريا الأسلمي النحوي الكوفي المعروف بالفراء شيخ النحاة ، توفي سنة ٢٠٧ هـ . ينظر : غاية النهاية : (٢ / ٣٧١ _ ٣٧٢) ، وبغية الوعاة (٢ / ٣٣٣) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٥٩٠) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٩ ، ٣٨٢ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤١٥) ،
 (٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٥٨) .

^٢ _ معمر بن المثني التيمي ، أبو عبيدة النحوي البصري ، العلامة ، له تصانيف تقارب المائتين ، توفي سنة تسع أو عشر أو إحدى عشر أو ثلاث عشرة ومائتين بالبصرة . ينظر : طبقات المفسرين للداودي : (١ / ٣٠ _ ٣١) ،
 وإنباه الرواة : (٣ / ٢٧٦) ، وبغية الوعاة : (٢ / ٢٩٤) .

ينظر : على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٨ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٣١) ،
 (٤٣٢) .

^٣ _ سعيد بن مسعدة الجاشعي ، أبو الحسن ، المعروف بالأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي أخذ النحو عن سيبويه ، صنف كتباً كثيرة منها كتاب في معاني القرآن ، توفي سنة ٢١٠ هـ ، وقيل : ٢١٥ هـ ، وقيل : ٢٢١ هـ . ينظر : البداية والنهاية : (١٠ / ٢٩٣) ، والوافي بالوفيات : (١٥ / ١٦١ _ ١٦٢) ، وسير
 أعلام النبلاء : (١٠ / ٢٠٦ _ ٢٠٨) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٢ ، ٣٩٨ ، ٤١٤ ، ٤٣٨) .

^٤ _ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العباس النحوي ، المعروف بالمبرد ، النحوي اللغوي الفقيه ، توفي سنة ٢٨٦ هـ . ينظر : لسان الميزان : (٧ / ١٦٥) ، وإنباه الرواة : (٣ / ٢٤١) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٦٩) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٩) .

^٥ _ إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، وكان من أهل الفضل والدين ، وجمال المذهب والاعتقاد ومن تصانيفه معاني القرآن في التفسير ، توفي سنة ٣١١ هـ . ينظر : البداية والنهاية : (١١ / ١٤٨ _ ١٤٩) ،
 والبلغة : (١ / ٤٥) ، وطبقات المفسرين للداودي : (١ / ٥٢) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٥ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٤٠١ ، ٤١٤) ،
 (٤٣٨) .

١٠ _ الجوهري^٢ .

١١ _ أبو البقاء^٣ .

وغيرهم من علماء اللغة _ رحمهم الله تعالى _ .



^١ _ محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن فروة بن قطن بن دعامة ، أبو بكر بن الأنباري ، النحوي ، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً ، ولد سنة ٢٧١ هـ ، صنف كتباً كثيرة ، توفي سنة ٣٢٨ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : (٣ / ١٨١ - ١٨٦) ، وإنباه الرواة : (٣ / ٢٠١) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢١٢) .
ينظر : على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٤٠١ ، ٤٢٧ ، ٤٣٣) .

^٢ _ إسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر الفارابي ، إمام في النحو واللغة والصرف ، صاحب الصحاح في اللغة ، توفي سنة ٣٩٣ هـ ، وقيل : ٣٩٨ هـ . ينظر : البلغة : (١ / ٦٦ - ٧٦) ، وبغية الوعاة : (١ / ٤٤٦) ، ولسان الميزان : (١ / ٤٠٠ - ٤٠١) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٨) .

^٣ _ عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء ، العكبري الأصل ، البغدادي المولد ، الفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضريير ، صنف مصنفات مفيدة ، توفي سنة ٦١٦ هـ . ينظر : إنباه الرواة : (٢ / ١١٦) ، وسير أعلام النبلاء : (٢٢ / ٩١ - ٩٣) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ٢١٩) .
ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٨١ ، ٣٩٧ ، ٤٢٨) . (٤٦٠) .

ثانياً : عنايته بمعانى المفردات :

اهتم المفسرون ببيان غريب القرآن ، وهو فن ضروري للمفسر ، ويراد به : معرفة المدلول ، ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة اسماً وفعالاً وحرفاً ، ومعرفة حقائق اللغة وموضوعاتها ، و العناية بتدبر الألفاظ ، ومراعاة السياق ، ويلتمس كثير منه في الشعر ؛ لأن الشعر ديوان العرب^١ ، وقد ألقت كتب في ذلك ، واشتهرت بكتب معاني القرآن^٢ .

قال الزركشي _ رحمه الله _ : « الذي يجب على المفسر البدأة به العلوم اللفظية ، وأول ما يجب البدأة به منها تحقيق الألفاظ المفردة ؛ فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه ، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه .

قالوا : وليس ذلك في علم القرآن فقط ؛ بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره ، وهو كما قالوا : إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته ؛ لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي ، فنقول : النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها .
وأما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة :

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها ، وهو يتعلق بعلم اللغة .

ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة ، وهو من علم

التصريف .

ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها ، وهو من علم الاشتقاق^٣ .

وقد بدأ أبو حيان تفسيره للآيات ببيان للمفردات التي تحتاج إلى بيان من اللغة ، وذلك بذكر صيغ المفردة ، وتصريفها^٤ ، وبيان معانيها اللغوية ، مستدلاً بأشعار العرب ، ذاكراً أقوال النحويين ، وقد يضعف بعض الأقوال ، وهو منهج قل أن نجد في التفاسير بهذا النحو ، وفي بعض المفردات لم يفصل ذلك التفصيل بل اقتصر على بعض ما سبق ، وإذا كان للكلمة معنيان ذكره في أول موضع لتلك الكلمة ، ثم ينظر في كل موضع ما يناسب من المعنى حسب سياق الآيات .

^١ _ روى عكرمة عن ابن عباس قال : « إذا سألتموني عن غريب اللغة ، فالتمسوه في الشعر ؛ فإن الشعر ديوان العرب » . ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٦٨) .

^٢ _ البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٦٥ _ ٣٧٠) ، والإتقان في علوم القرآن : (٢ / ٥) .

^٣ _ البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٩٠) .

^٤ _ التصريف : هو ما يلحق الكلمة ببنيتها ، وفائدته : حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد ، ويكون ذلك في الأسماء والأفعال ، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر . ينظر : البرهان : (١ / ٣٧٣ _ ٣٧٤) .

وهذه نماذج على ذلك :

- _ في تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٣] قال _ رحمه الله تعالى _ :
« المحال : القوة والإهلاك ، ... ويقال : محل الرجل بالرجل مكر به ، وأخذه بسعاية شديدة ،
والماحلة : المكايدة والمماكرة ، ومنه : تمحل لكذا ، أي : تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه »^١ .
- _ في قوله تعالى ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٢] قال _
رحمه الله _ : « المصرخ : المغيث ، ... والصارخ المستغيث صرخ يصرخ صرخاً وصرخاً وصرخة ،
... واصطرخ بمعنى صرخ ، وتصرخ تكلف الصراخ ، واستصرخ استغاث ، فقال : استصرخني
فأصرخته ، والصريخ مصدر كالتريح ، ويوصف به المغيث والمستغيث ، من الأضداد »^٢ .
- _ في قوله تعالى ﴿ لَكُمْ فِيهَا نِقَبٌ ﴾ [سورة النحل : ٥] قال _ رحمه الله _ : « الدفء : اسم
لما يدفأ به ، أي : يسخن ، وتقول العرب : دفيء يومنا فهو دفيء إذا حصلت فيه سخونة تزيل البرد
، ودفيء الرجل دفاء ودفاً ، وجمع الدفء أدفاء ، ورجل دفان وامرأة دفأى ، والدفئة الإبل الكثيرة
الأوبار ؛ لإدفاء بعضها بعضاً بأنفاسها ، وقد تشدد ، وعن الأصمعي : الدفئة الكثيرة الأوبار
والشحوم ، وقال الجوهري : الدفء نتاج الإبل وألبانها وما ينتفع به منها »^٣ .



^١ _ البحر المحيط : (٣٥٢ / ٥) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٠٤ / ٥) .

^٣ _ البحر المحيط : (٤٥٨ / ٥) .

ثالثاً : عنايته بمعانى الحروف والأدوات :

اعتنى أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ ببيان معاني كثير من الحروف ، والأدوات وأسرار الإتيان بها دون غيرها في تفسيره ؛ وذلك لما لها من أثر كبير في فهم الآيات ، فمن ذلك :

_ في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد : ١١] قال _ رحمه الله _ : « قيل : (مِنْ) للسبب ، كقولك : كسرته من عرى ^١ ، ويكون معناها ومعنى الباء سواء ، كأنه قيل : يحفظونه بأمر الله وبأذنه ، فحفظهم إياه متسبب عن أمر الله لهم بذلك ، قال ابن جريج : يحفظون عليه عمله ، فحذف المضاف ، وقال قتادة : يكتبون أقواله وأفعاله ، وقراءة علي وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد (يحفظونه بأمر الله) يؤيد تأويل السببية في من ، ... وورود (من) للسبب ثابت من لسان العرب ، وقيل : يحفظونه من بأس الله ونقمته ، كقولك : حرس زيدا من الأسد ، ومعنى ذلك إذا أذن الله لهم في دعائهم أن يمهلهم رجاء أن يتوب عليه وينيب ، كقوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٢] ، يصير معنى الكلام إلى التضمين ، أي : يدعون له بالحفظ من نعمات الله رجاء توبته ^٢ .

_ في قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٢] قال _ رحمه الله _ : « ويجوز أن تكون (مِنْ) لبيان الجنس قاله ابن عطية ^٣ والزمخشري ^٤ ، وكأنه قال : فأخرج به رزقاً لكم هو الثمرات ، وهذا ليس بجيد ؛ لأن من التي لبيان الجنس إنما تأتي بعد المبهم الذي تبينه ، وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون ﴿ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ مفعول أخرج ، ورزقاً حالاً من المفعول أو نصباً على المصدر من أخرج ؛ لأنه في معنى رزق ^٥ . وقيل : من زائدة ، وهذا لا يجوز عند جمهور البصريين ؛ لأن ما قبلها واجب ، وبعدها معرفة ، ويجوز عند الأخفش ^٦ .

_ في قوله تعالى ﴿ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنُجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٥٩] قال _ رحمه الله _ : « و ﴿ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكْنِ فِي مُجْرِمِينَ ، وَالتَّقْدِيرُ أَجْرَمُوا كُلَّهُمْ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ ، فَيَكُونُ اسْتِثْنَاءً مُتَّصِلاً ، وَالْمَعْنَى : إِلَّا آءَالَ لُوطٍ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُجْرَمُوا ، وَيَكُونُ

^١ _ كذا في المطبوع ، وفي المخطوط : (٦ / ورقة ١١) : (كسوته من عري) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٤) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٣٩) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٢) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٢) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤١٦) .

قوله ﴿ لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ استئناف إخبار عن نجاتهم ، وذلك لكونهم لم يجرموا ، ويكون حكم الإرسال منسحباً على قوم مجرمين ، وعلى آل لوط ؛ لإهلاك هؤلاء ، وإنحاء هؤلاء ، والظاهر أنه استثناء منقطع^١ .

— في قوله تعالى ﴿ يَنْزِلُ الْمَلَكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَاءُ مِنْ عِبَادٍ ۚ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة النحل : ٢] قال : « و ﴿ أَنْ ﴾ مصدرية ، وهي التي من شأنها أن تنصب المضارع .. ، وقال الزمخشري : و ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا ﴾ بدلاً من الروح ، أي : نزلهم بأن أنذروا ، وتقديره : ﴿ أَنْذِرُوا ﴾ أي بأن الشأن أقول لكم ﴿ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾^٢ انتهى ، فجعلها المخفف من الثقيلة ، وأضمر اسمها ، وهو ضمير الشأن .. ، وجوز ابن عطية^٣ وأبو البقاء^٤ .. أن تكون مفسرة^٥ . إلى غير ذلك من المواضع التي يتبين فيها عناية أبي حيان — رحمه الله — ببيان معاني الحروف والأدوات .

^١ — المرجع السابق : (٥ / ٤٤٧) .

^٢ — ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٢٣) .

^٣ — ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٨) .

^٤ — ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٣) .

^٥ — البحر المحيط : (٥ / ٤٥٩) .

رابعاً : عنايته بالإعراب .

اهتم بعض المفسرين ببيان وجوه الإعراب ، فبعضهم ذكره في ثنايا تفسيره ، وبعضهم ألف فيه ، وهي كتب إعراب القرآن ، وهو علم يؤخذ من علم النحو ، وفائدته : أنه يبين المعنى ، ويميز المعاني ، ويوقف على أغراض المتكلمين^١ .

والتكلم في هذا العلم عليه مراعاة عدة أمور ، منها :

١ _ أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه ، مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب ؛ فإن الإعراب فرع المعنى .

٢ _ أن يتجنب الأمور البعيدة ، والأوجه الضعيفة ، و اللغات الشاذة ؛ فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش .

٣ _ أن يتجنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى ، أو التكرار ، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم : الباء زائدة ونحوه ، مرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها ، لا أنه لا فائدة فيه أصلاً ؛ فإن ذلك لا يحتمل من متكلم ، فضلاً عن كلام الحكيم .

٤ _ تجنب الأعراب التي هي خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام .

٥ _ تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة ، ولا يجوز فيه جميع ما يجوزُه النحاة في شعر امرئ القيس^٢ وغيره .

٦ _ البحث عن الأصلي والزائد في الكلمة^٣ .

وقد اعتنى أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ ببيان وجوه الإعراب عناية فائقة ، فذكر الأقوال في ذلك مع المناقشة لها والترجيح ، وبيان الضعيف منها ، مع ذكر للقواعد النحوية ، والإحالة في

^١ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٧٧) ، والإتقان في علوم القرآن : (٢ / ٢٦٠) .

^٢ _ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الملك بن عمرو ، من شعراء الجاهلية ، بين مولد النبي _ صلى الله عليه وسلم _ وبين موت امرئ القيس خمساً وخمسين سنة . ينظر : بغية الطلب في تاريخ حلب : (٤ / ١٩٩١ _ ١٩٩٧) ، و تاريخ مدينة دمشق : (٩ / ٢٢٢ _ ٢٣٢) .

^٣ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٧٨ _ ٣٨٣) ، والإتقان في علوم القرآن : (٢ / ٢٦١ _ ٢٦٨) ، وقد زاد أموراً أخرى غير ما ذكر .

تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو ، وبيان لما أجمع عليه علماءهم ، مع عدم الخروج عن إجماعهم إلا بدليل بين ، فمن ذلك :

_ في قوله تعالى ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ ﴾ [سورة الرعد : ١٠] قال : « وأعربوا ﴿ سَوَاءٌ ﴾ خبر مبتدأ أو ﴿ مِّنْ أَسْرَرٍ ﴾ ، والمعطوف عليه مبتدأ ، ويجوز أن يكون ﴿ سَوَاءٌ ﴾ مبتدأ ؛ لأنه موصوف بقوله ﴿ مِّنْكُمْ ﴾ ومن المعطوف الخبر ، وكذا أعرب سيبويه قول العرب : سواء عليه الخير والشر ، وقول ابن عطية إن سيبويه ضعف ذلك بأنه ابتداء بنكرة^١ ، وهو لا يصح^٢ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الرعد : ٢٢] قال : « وانتصب (ابتغاء) قيل : على أنه مصدر في موضع الحال ، والأولى أن يكون مفعولاً لأجله ، أي : إن صبرهم هو لا ابتغاء وجه الله خالصاً لا لرجاء أن يقال : ما أصبره ، ولا مخافة أن يعاب بالجزع أو تشمت به الأعداء ، ... ولأن الجزع لا طائل تحته ، أو يعلم أنه لا مرد لما فات ولا لما وقع^٣ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ ۖ أَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ ﴾ [سورة النحل : ٣٠] قال _ رحمه الله _ : « تقدم إعراب (ماذا) ، إلا أنه إذا كانت ذا موصولة لم يكن الجواب على وفق السؤال ؛ لكون ماذا مبتدأ وخبراً ، أو الجواب نصب ، وهو جائز ، ولكن المطابقة في الإعراب أحسن^٤ .



^١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٢٢٩ / ٣) .

^٢ _ البحر المحيط : (٣٦٢ / ٥) .

^٣ _ المرجع السابق : (٣٧٦ / ٥ - ٣٧٧) .

^٤ _ المرجع السابق : (٤٧٣ / ٥) .

خامساً : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني .

أ _ عنايته بأساليب اللغة والتركيب :

قال الزركشي عن أساليب تركيب اللغة : « وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة :

الأول : باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث إنها مؤدية أصل المعنى ، وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع ، وذلك متعلق بعلم النحو .

الثاني : باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى ، أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء ، وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني .

الثالث : باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها ، وباعتبار الحقيقة والجاز ، والاستعارة والكناية والتشبيه ، وهو ما يتعلق بعلم البيان .

الرابع : باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله ، وهو يتعلق بعلم البديع»^١ .

ومما ذكره أبو حيان _ رحمه الله في ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [سورة الرعد : ٣٠] قال _ رحمه الله _ : « الظاهر أن الضمير في قوله ﴿ وَهُمْ ﴾ عائد على أمة المرسل إليهم الرسول ، إعادة على المعنى ؛ إذ لو أعاد على اللفظ لكان التركيب وهي تكفر ، والمعنى أرسلناك إليهم ، وهم يدينون دين الكفر ، فهدى الله بك من أراد هدايته»^٢ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ [سورة الرعد : ٣٣] قال : « ثم أمره تعالى أن يقول لهم : سموهم ، أي اذكروهم بأسمائهم ، والمعنى : أنهم ليسوا ممن يذكر ويسمى إنما يذكر ويسمى من هو ينفع ويضر ، وهذا مثل من يذكر لك أن شخصاً يوقر ويعظم وهو عندك لا يستحق ذلك ، فتقول لذاكره : سمه حتى أبين لك زيفه وأنه ليس كما تذكر ، وقريب من هذا قول من قال في قوله ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ : إنما يقال ذلك في الشيء المستحقر ، الذي يبلغ في الحفارة إلى أن لا يذكر ، ولا يوضع له اسم ، فعند ذلك يقال له : سمه إن شئت ، أي : هو أحسن من أن يذكر ويسمى ، ولكن إن شئت أن تضع له اسماً فافعل ، فكأنه قال سموهم بالآلهة على جهة التهديد ،

^١ _ البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٧٣) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٨١) .

والمعنى سواء سميتموهم بهذا الاسم أم لم تسموهم به فإنها في الحقارة بحيث لا يستحق أن يلفت العاقل إليها»^٢ .

— في قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم : ٧] قال — رحمه الله — : « وجاء التركيب على ما عهد في القرآن من أنه إذا ذكر الخبر أسند إليه تعالى ، وإذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبه إليه فقال ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ، فنسب الزيادة إليه ، وقال ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ، ولم يأت التركيب (لأعذبكم) ، وخرج في ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ بالمفعول ، وهنا لم يذكر وإن كان المعنى عليه ، أي : إن عذابي لكم لشديد»^٣ .
— في قوله تعالى ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٦] قال — رحمه الله — : « ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ أي : على ديني وما أنا عليه فإنه مني ، جعله لفرط الاختصاص به وملاسته ، ... ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ هذا فيه طباق معنوي ؛ لأن التبعية طاعة»^٤ .

— في قوله تعالى ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة الحجر : ٤١] قال — رحمه الله — : « والعرب تقول طريقك في هذا الأمر على فلان ، أي : إليه يصير النظر في أمرك»^٥ .

ب عنابته بالبلاغة :

يعتبر علم البديع والبيان من أهم أركان التفسير ؛ فإنه لا بد للمفسر من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، من الحقيقة والمجاز ، وتأليف النظم ، وأن يؤاخي بين الموارد ، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك ، ولا طريق إلى تحصيله لذوى الفطر السليمة إلا إتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما ، وبه يعرف كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح^٦ .

وقد اهتم أبو حيان — رحمه الله تعالى — ببيان دقائق الآداب من بديع وبيان ، وذكر للأساليب البلاغية ، فمن ذلك :

^١ — كذا في المطبوع ، وفي المخطوط : (٦ / ورقة ٢٥) : (يلتفت) .

^٢ — البحر المحيط : (٥ / ٣٨٥) .

^٣ — المرجع السابق : (٥ / ٣٩٦) .

^٤ — المرجع السابق : (٥ / ٤٢٠) .

^٥ — البحر المحيط : (٥ / ٤٤١) .

^٦ — ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٨٧) .

— في قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [سورة الرعد : ١٠] قال — رحمه الله — : « وقال ابن عباس : ﴿ مُسْتَخْفٍ ﴾ مستتر ، و ﴿ وَسَارِبٌ ﴾ ظاهر . وقال مجاهد : ﴿ مُسْتَخْفٍ ﴾ بالمعاصي ، وتفسير الأخفش وقطرب المستخفي هنا بالظاهر ، وإن كان موجوداً في اللغة ينبو عنه اقتراجه بالليل ، واقتران السارب بالنهار وتقابل الوصفان في قوله ﴿ مَّنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ ﴾ إذ قابل من أسر القول ، وفي قوله ﴿ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ ؛ إذ قابل ومن جهر به »^١ .

— في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [سورة الرعد : ١٢] قال — رحمه الله — : « وعن ابن عباس وغيره أنه كنى بالبرق عن الماء لما كان المطر يقاربه غالباً ، وذلك من باب إطلاق الشيء مجازاً على ما يقاربه غالباً »^٢ .

— في قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَرَأْنَاهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْؤًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [سورة النحل : ٥٨] قال — رحمه الله — : « واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والتكبر والنفرة التي لحقت بولادة الأنثى »^٣ .



^١ — البحر المحيط : (٣٦٢ / ٥) .

^٢ — البحر المحيط : (٣٦٥ / ٥) .

^٣ — المرجع السابق : (٤٨٨ / ٥) .

المطلب الثاني : عنايته بالمناسبات .

إن معرفة المناسبة بين الآيات والسور علم شريف تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ، وقد أفردته بعض العلماء بالتأليف^١ .

والمناسبة في اللغة : المقاربة والمشاكلة ، وفلان يناسب فلاناً ، أي : يقرب منه ، ويشاكله ، ومنه النسب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه ، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة ، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس : الوصف المقارب للحكم ؛ لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ، ولهذا قيل المناسبة أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها _ والله أعلم _ إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي ، وغير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين ، والضدين ونحوه ، أو التلازم الخارجي كالترتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر^٢ .

وفائدته : جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء^٣ .

ومعرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست أمراً توقيفياً ، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه بلاغة القرآن ، وأوجه بيانه ، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى ، منسجمة مع السياق ، متفقة مع الأصول اللغوية ، كانت مقبولة لطيفة^٤ .

وقد اعتنى أبو حيان بذكر المناسبات بين الآيات بعضها ببعضها ، وبين السور ، ومن الأمثلة على ذلك :

أولاً : ما ذكره بين السور من المناسبات :

_ قال في مناسبة سورة إبراهيم بعد الرعد : « وارتباط أول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جداً ؛ لأنه ذكر فيها ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَنَا ﴾ [سورة الرعد : ٣١] ، ثم ﴿ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [سورة الرعد : ٣٧] ، ثم ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد : ٤٣] ، فناسب هذا قوله ﴿ أَلَمْ يَكْتُبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة إبراهيم : ١] ، وأيضاً فإنهم لما قالوا على سبيل الاقتراح

^١ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٦١) ، ومباحث في علوم القرآن : (٩٧) .

^٢ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٦١ - ٦٢) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٣٢٣) .

^٣ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٦٢) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٣٢٣) .

^٤ _ ينظر : مباحث في علوم القرآن : (٩٧) .

﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ ﴾ [سورة الرعد : ٢٧] وقيل له ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الضَّلَالَاتِ لَضَلَّاهُمْ وَلَئِنْ أَرَادَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لَسَدَّدْنَا لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُسَدِّدًا لَهُمْ سُبُلَ الدُّعَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم : ١] كأنه قيل : أو لم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات هي الضلال إلى النور وهو الهدى »^١ .

— في مناسبة سورة الحجر بعد سورة إبراهيم قال — رحمه الله — : « ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر في آخر السورة قبلها أشياء من أحوال القيامة من تبديل السموات والأرض وأحوال الكفار في ذلك اليوم وأن ما أتى به هو على حسب التبليغ والإنذار ابتداءً في هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس وأحوال الكفرة وودادهم لو كانوا مسلمين »^٢ .

— قال في مناسبة سورة النحل بعد سورة الحجر : « ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال ﴿ فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَلَنَّهْمَ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٩٢] كان ذلك تنبيهاً على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما أجرموه في دار الدنيا ، فقيل ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ١] »^٣ .

ثانياً ما ذكره من المناسبات بين الآيات بعضها ببعض :

— في قوله تعالى ﴿ لَهُ عَوَّةٌ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ [سورة الرعد : ١٤] قال — رحمه الله — : « ولما ذكر تعالى جدال الكفار في الله تعالى ، وكان جدالهم في إثبات آلهة معه ، ذكر تعالى أنه له الدعوة الحق ، أي : من يدعو له فدعوته هي الحق بخلاف أصنامهم التي جادلوا في الله لأجلها فإن دعائها باطل لا يتحصل منه شيء فقال ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ [سورة الرعد : ١٤] »^٤ .

— في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَكْتُبْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الَّذِي نُصَرِّفُ فِيهِ الْقَوْلَ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ رَبِّهِمْ إِنَّهُم كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [سورة إبراهيم : ١] قال : « ولما ذكر علة إنزال الكتاب وهي قوله ﴿ لِيُذَكِّرَ ﴾ قال ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي ذلك الإخراج بتسهيل مالكم الناظر في مصالحهم ، إذ هم عبده ، فناسب ذكر الرب هنا تنبيهاً على منة المالك وكونه ناظراً في حال عبده »^٥ .

^١ — البحر المحيط : (٣٩٢ / ٥) .

^٢ — المرجع السابق : (٤٣٢ / ٥) .

^٣ — المرجع السابق : (٤٥٨ / ٥) .

^٤ — البحر المحيط : (٣٦٨ / ٥) .

^٥ — المرجع السابق : (٣٩٢ / ٥) .

— في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة الحجر : ١١] قال
— رحمه الله _ : « لما ذكر تعالى استهزاء الكفار به _ عليه السلام _ ونسبته إلى الجنون واقتراح
نزول الملائكة سلاه تعالى بأن من أرسل من قبلك كان ديدن الرسل إليهم مثل ديدن هؤلاء
معك »^١ .

— في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة النحل : ٤] قال _
رحمه الله _ : « ولما ذكر ما دل على وحدانيته من خلق العالم العلوي والأرض وهو استدلال
بالخارج ذكر الاستدلال من نفس الإنسان فذكر إنشاءه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وكان حقه
والواجب عليه أن يطيع وينقاد لأمر الله »^٢ .

^١ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٣٥) .

^٢ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٦٠) .

المطلب الثالث : عنايته بأسرار التعبير .

إن استنباط أسرار التعبير في الكلام يحتاج إلى فهم عميق لكتاب الله تعالى ، وبراعة في اللغة والبلاغة ، وقد أوتي أبو حيان _ رحمه الله _ كلا الأمرين ، مما جعل له عناية باستخراج أسرار التعبير في كثير من الآيات ، ومن ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد : ٢٢] قال : « ونبه على هاتين الخصلتين العبادة البدنية والعبادة المالية ؛ إذ هما عمود الدين ، والصبر عليهما أعظم صبر ؛ لتكرر الصلوات ؛ ولتعلق النفوس بحب تحصيل المال ، ونبه على حالتي الإنفاق ، فالسر أفضل حالات إنفاق التطوع ، كما جاء في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «) ورجل تصدق بصدقة فأخفاها »^١ ، والعلانية أفضل حالات إنفاق الفروض ؛ لأن الإظهار فيها أفضل «^٢ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَعَنِيَّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ٨] قال _ رحمه الله _ : « ثم نبه موسى _ عليه السلام _ قومه على أن الباري تعالى وإن أوعد بالعذاب الشديد على الكفر فهو غير مفتقر إلى شكركم ؛ لأنه تعالى هو الغني عن شكركم ، الحميد المستوجب الحمد على ما أسبغ من نعمه وإن لم يحمده الحامدون ، فتمرة شكركم إنما هي عائدة إليكم ، و ﴿ أَنْتُمْ ﴾ خطاب لقومه وقال ﴿ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني الناس كلهم ؛ لأن من كان في العالم العلوي وهم الملائكة لا يدخلون في من في الأرض ، وجواب ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا ﴾ محذوف ؛ لدلالة المعنى التقدير : فإنما ضرر كفركم لاحق بكم والله تعالى متصف بالغني المطلق

^١ _ أخرجه البخاري في صحيحه : (٢ / ٥١٧) ، بَابُ الصَّدَقَةِ بِالْيَمِينِ ، ح رقم : (١٣٥٧) ، وباب فضل من ترك الفواحش ، ح رقم : (٦٤٢١) ، (٦ / ٢٤٩٦) ، ومسلم في صحيحه : (٢ / ٩٨٣) ، باب : فضل إخفاء الصدقة ، ح رقم : (١٠٣١) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) .

والحمد سواء كفروا أم شكروا ، وفي خطابه لهم تحقير لشأنهم ، وتعظيم لله تعالى ، وكذلك في ذكر هاتين الصفتين»^١ .

٤ _ في قوله تعالى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَآءُ مِنْ عِبَادٍ ۖ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ . خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُرْكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٢ - ٣] قال _ رحمه الله _ : « وجاءت الحكاية على المعنى في قوله ﴿ إِلَّا أَنَا ﴾ ، ولو جاءت على اللفظ لكان لا إله إلا الله ، وكلاهما سائغ ، وحكاية المعنى هنا أبلغ ؛ إذ فيها نسبة الحكم إلى ضمير المتكلم المتزل ﴿ الْمَلَائِكَةَ ﴾ ، ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض ، وهم مقرون بأنه تعالى هو خالقها»^٢ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٤ - ٦٥] قال _ رحمه الله _ : « لما ذكر إنزال الكتاب للتبيين كان القرآن حياة الأرواح ، وشفاء لما في الصدور من علل العقائد ؛ ولذلك ختم بقوله ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي : يصدقون ، والتصديق محله القلب ، فكذا إنزال المطر الذي هو حياة الأجسام وسبب لبقائها ، ثم أشار بإحياء الأرض بعد موتها إلى إحياء القلوب بالقرآن كما قال تعالى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٢] ، فكما تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتاً بالجهل ، وكذلك ختم بقوله ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ هذا التشبيه المشار إليه ، والمعنى : سماع إنصاف وتدبر ، وملاحظة هذا المعنى والله أعلم لم يختم بـ ﴿ لِّقَوْمٍ ﴾ يبصرون ، وإن كان إنزال المطر مما يبصر ويشاهد»^٣ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٩٦ / ٥) .

^٢ _ المرجع السابق : (٤٦٠ / ٥) .

^٣ _ المرجع السابق : (٤٩١ / ٥) .

وبعد فهذه بعض أهم النقاط التي في منهج هذا المفسر الجليل _ رحمه الله _ نجد فيها دقته ،
وبراعته في عرض تفسيره ، وتدرجه في بيان معاني القرآن الكريم ، مع تمكن في الشرح والتوضيح ،
والتزام بالمنهج في معظم الكتاب _ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته _ .



فيرمى بالشهاب ، فيقول لأصحابه وهو يلتهب إنه الأمر كذا وكذا فتزيد الشياطين في ذلك ، ويلقون إلى الكهنة ، فيزيدون على الكلمة مائة كلمة^١ ، ونحو هذا الحديث^٢ .

٢_ في الجزم بقول تفسيري في الآية على صحة الحديث ، من ذلك :

أ_ في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَكَاظُ يُسِيغُهُ ﴾ [سورة إبراهيم : ١٧] قال _ رحمه الله _ : « ولا يكاد يسيغه ، أي : ولا يقارب أن يسيغه ، فكيف تكون الإساغة ، والظاهر هنا انتفاء مقاربة إساغته إياه ، وإذا انتفت انتفت الإساغة ، فيكون كقوله ﴿ لَمْ يَكْذِبْ يَرْبَهَا ﴾ [سورة النور : ٤٠] أي : لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ، والحديث جاءنا « ثم يشربه »^٣ ، فإن صح الحديث كان المعنى : ولا

يكاد يسيغه قبل أن يشربه ، ثم شربه ، كما جاء ﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَاظُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٧١] ، أي : وما كادوا يفعلون قبل الذبح »^١ .

١ _ أخرجه الطبري موقوفاً على ابن عباس _ رضي الله عنهما _ : (١٤ / ١٤) .
ولكن أخرج البخاري نحوه مرفوعاً من رواية أبي هريرة قال : ((إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ _ قال : ((إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض _ ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه _ فيسمع الكلمة فيلقبها إلى من تحته ، ثم يلقبها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقبها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء » . ينظر : صحيح البخاري ، باب : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سورة سبأ : ٢٣] ، (٤ / ١٨٠٤) ح : (٤٥٢٢) .

٢ _ البحر المحيط : (٤٣٧ / ٥) .

٣ _ لم أحده بهذا اللفظ . ولكن أخرجه الترمذي ، في سننه كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار : (٤ / ٧٠٥) ، ح : (٢٥٨٣) عن أبي أمامة عن النبي ﷺ _ في قوله ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ ﴾ [سورة إبراهيم : ١٦ - ١٧] قال : « يقرب إليه فيكرهه ، فإذا أدب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره » . وقال التومذي : هذا حديث غريب ، وأخرجه الحاكم في المستدرک ، في كتاب التفسير ، في تفسير سورة إبراهيم : (٢ / ٣٥١) ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فلعل أبا حيان ذكر الحديث بالمعنى _ والله أعلم _ .

١ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٠٢ / ٥) .

ب _ في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٦] قال _ رحمه الله _ : « وفي الحديث عن ابن عباس^١ _ رضي الله عنهما _ أنه سأل الرسول _ ﷺ _ عن قوله ﴿ وَبِالنَّجْمِ ﴾ [سورة النحل : ١٦] فقال : « هو الجدي »^٢ ، ولو صح هذا لم يعدل أحد عنه »^٣ .



^١ _ ابن عباس : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمي ، حبر الأمة ، وفقه العصر ، وإمام التفسير ، مات سنة ٧٠ هـ وهو بالطائف ، وقيل سنة ٦٨ هـ . ينظر : التاريخ الكبير : (٥ / ٣ - ٥) ، وسير أعلام النبلاء : (٣ / ٣٣١ - ٣٥٩) .

^٢ _ أخرجه الطبري في جامع البيان : (١٧ / ١٨٦) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ، وعطية العوفي ضعيف ، ليس بالقوي . ينظر : معرفة الثقات : (٢ / ١٤٠) ، والضعفاء للنسائي : (١ / ٨٥) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٧) .

المطلب الثالث : تفسيره القرآن بأقوال الصحابة :

أكثر أبو حيان _ رحمه الله _ من نقل أقوال السلف والخلف في تفسيره ؛ مما زاد من مكانة هذا التفسير وقوته ؛ حيث إنه أسند في كل فن إلى أقوال أهل الفن فيه ، وقد أكثر من ذكر أقوال الصحابة _ رضي الله عنهم _ في تفسير الآيات ؛ حيث تعتبر أقوالهم _ رضي الله عنهم _ في التفسير من أهم طرقه ؛ وذلك لما لتفسير الصحابة من قوة ؛ فإهم أدري بذلك ؛ لما شاهدوه من القرآن ، والأحوال التي اختلفوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، وهم أهل اللغة ، فهم أعلم بتفسير كلام الله تعالى^١ .

وتفسير الصحابي ينظر فيه ، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم ، وإن فسره بما شاهدته من الأسباب والقرائن فلا شك فيه ، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك ، ... فإن تعذر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بأيها شاء^٢ .

وقد عزز أبو حيان _ رحمه الله _ تفسيره بنقل أقوال الصحابة _ رضي الله عنهم _ ، إلا أن أبا حيان _ رحمه الله _ ذكر أقوالهم بلا إسناد ؛ وذلك ربما طلباً للاختصار .

ومن نقل عنهم أبو حيان من الصحابة :

١ _ عمر بن الخطاب^٣ .

٢ _ عبد الله بن مسعود^٤ .

^١ _ ينظر : مجموع الفتاوى : (١٣ / ٣٦٤) ، والبرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٨٨ - ١٨٩) .

^٢ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٨٩) .

^٣ _ عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين أبو حفص القرشي العدوي ، الفاروق ، أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة ، وكان إسلامه فتحاً على المسلمين ، وفرجاً لهم من الضيق ، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً . ينظر : تاريخ الخلفاء : (١ / ١٠٨ - ١٤٦) ، والإصابة : (٤ / ٥٨٨ - ٥٩٠) ، و تقريب التهذيب : (١ / ٤١٢) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٧ ، ٤١٣ ، ٤٢٨ ، ٤٥٢) .

^٤ _ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمش بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ، الإمام الحبر ، فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البصري حليف بني زهرة ، كان من السابقين الأولين ، ومن النجباء العالمين ، شهد بدرًا ، وهاجر المهجرتين ، ومناقبه غزيرة ، توفي سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل : ثلاث وثلاثين . ينظر : التاريخ الكبير : (٥ / ٢) ، و سير أعلام النبلاء : (١ / ٤٦١ - ٤٩٩) ، والإصابة : (٤ / ٢٣٣ - ٢٣٥) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٧ ، ٣٩٧ ، ٤١٠ ، ٤٣٣ ، ٤٥٢ ، ٤٩٠ ، ٤٩٥) .

٣ _ علي بن أبي طالب^١ .

٤ _ أبو هريرة^٢ .

٥ _ ابن عباس^٣ .

٦ _ عبد الله بن عمر^٤ .

٧ _ أنس بن مالك^٥ .

٨ _ البراء بن عازب^٦ .

وغيرهم من الصحابة _ رضي الله عنهم _ .



^١ _ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن ، أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم ، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح ، فربى في حجر النبي _ ﷺ _ ولم يفارقه ، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك ، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة : « ألا ترضى أن تكون مني بمرتلة هارون من موسى » ، قتل في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر . ينظر : الإصابة : (٤ / ٥٦٤ _ ٥٦٩) ، وتاريخ الخلفاء : (١ / ١٦٦ _ ١٨٧) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٧ ، ٣٨٨ ، ٤١٣ ، ٤٢٨ ، ٤٥٢ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨) .

^٢ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٨ ، ٤٩٠) .

^٣ _ ينظر على سبيل المثال البحر المحيط : (٥ / ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٩٥ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ، ٤٣٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٩) .

^٤ _ عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن القرشي ثم العدوي ، من المكثرين عن النبي _ ﷺ _ ، ومن أشد الناس اتباعاً للأثر ، مات سنة ٧٢ هـ ، وقيل : ٧٣ هـ . ينظر : التاريخ الكبير : (٥ / ٢) ، الإصابة : (٤ / ١٨١ _ ١٨٧) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٢ ، ٤٩٥ ، ٤٥٤) .

^٥ _ أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن النجار ، وأمه أم سليم بنت ملحان ، خدم النبي _ ﷺ _ تسع سنين ، وقيل : عشر سنين ، توفي سنة ٩٢ هـ ، وقيل : ٩٣ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : (٧ / ١٧ _ ٢٥) ، والإصابة : (١ / ١٢٦ _ ١٢٧) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤١٠ ، ٤٣٣ ، ٤٥٤) .

^٦ _ البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الخزرج ، وأمه حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحباب ، شهد مع النبي _ ﷺ _ خمس عشرة غزوة ، توفي سنة ٧٢ هـ . ينظر : طبقات ابن سعد : (٤ / ٣٦٤ _ ٣٦٨) ، والإصابة : (١ / ٢٧٨) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤١٢) .

المطلب الرابع : تفسيره القرآن بأقوال التابعين .

نقل كثير من المفسرين أقوال التابعين في تفاسيرهم إذا لم يجدوا التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، ولا عن الصحابة ، وتعد أقوالهم في التفسير من طرق التفسير بالمأثور .

وأقوال التابعين حجة إذا أجمعوا على الشيء ، أما إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن ، أو السنة الثابتة ، أو أقوال الصحابة ، أو عموم لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق في ذلك^١ .

وقد يقع في عباراتهم _ أي التابعين _ تباين في الألفاظ ، يحسبها الناظر إليها اختلافًا وليست كذلك ؛ فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره ، ومنهم من ينص على الشيء بعينه ، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن^٢ .

وقد أكثر أبو حيان _ رحمه الله _ من النقل عن التابعين ومنهم :

١ _ الحسن البصري^٣ .

٢ _ قتادة بن دعامة السدوسي^٤ .

٣ _ مجاهد بن جبر^٥ .

٤ _ سعيد بن جبير^١ .

^١ _ ينظر : مجموع الفتاوى : (١٣ / ٣٦٨ _ ٣٧٠) ، والبرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٨٩) .

^٢ _ ينظر : مجموع الفتاوى : (١٣ / ٣٦٨ _ ٣٧٠)

^٣ _ الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري ، مولى زيد بن ثابت ، الإمام الحجة ، توفي سنة ١١٠ هـ . ينظر : لسان الميزان : (٧ / ١٩٧) ، و سير أعلام النبلاء : (٤ / ٥٦٣ _ ٥٨٨) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٣) .

ينظر : على سبيل المثال : (٥ / ٣٦٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٧ ، ٤١٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥) .

^٤ _ قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب ، الحافظ المفسر ، توفي سنة ١١٧ هـ وقيل : ١١٨ هـ . ينظر : صفة الصفوة : (٣ / ٢٥٩) ، والكاشف : (٢ / ١٣٤) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٤) .

ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٩٥ ، ٤١٦ ، ٤٣٢) .

^٥ _ مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، إمام في القراءة والتفسير ، حجة ، توفي سنة ١٠٤ هـ . ينظر : الكاشف : (٢ / ٢٤٠) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٥٢٠) ، وطبقات الداوودي : (١ / ١١) .

ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٩٥ ، ٤٢٤ ، ٤٣٢ ، ٤٣٨) .

٥ _ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم^٢ .

٦ _ الضحاك^٣ .

٧ _ عكرمة^٤ .

وغيرهم من التابعين _ رحمهم الله تعالى _ .



المطلب الخامس : تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين .

ذكر أبو حيان _ رحمه الله _ في مقدمته اعتماده في تفسيره على تفسير الزمخشري^٥ ، و تفسير ابن عطية^٦ ، وكتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان

^١ _ سعيد بن جبير الأسدي الوالي مولاهم ، أبو محمد وأبو عبد الله ، أحد الأعلام ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، مات شهيداً سنة ٩٥ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٤٣٣) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٢٣٤) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٠) .

ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٧٦ ، ٣٨٨ ، ٤٢٧) .

^٢ _ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي مولاهم ، توفي سنة ١٨٢ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٦٢٨) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٣٤٠) ، وطبقات الداوودي : (١ / ١١) . ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٨ ، ٣٩٥ ، ٤٢٤ ، ٤٣٨) .

^٣ _ الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد ، وقيل : أبو القاسم ، صاحب التفسير كان من أوعية العلم ، توفي سنة ١٠٢ هـ ، وقيل : ١٠٥ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : (٤ / ٥٩٨ _ ٦٠٠) ، وغاية النهاية : (١ / ٣٣٧) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٠) .

ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٨ ، ٣٨٠ ، ٤١٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٣) .

^٤ _ عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، مولى ابن عباس ، أبو عبد الله ، كان عالماً بالقرآن ومعانيه ، توفي سنة ١٠٥ هـ ، وقيل : ١٠٦ هـ ، وقيل : سنة ١٠٧ هـ . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٢) ، وغاية النهاية : (١ / ٥١٥) ، ووفيات الأعيان : (٣ / ٢٦٥) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٠) .

^٥ _ ينظر : على سبيل المثال : (٥ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٩٤) .

^٦ _ ينظر : على سبيل المثال : (٥ / ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٩٤) .

ابن حسن بن حسين المقدسي المعروف بابن النقيب _ رحمهم الله تعالى _^١ ، إلا أنه لم يكتف بذلك فنقل أقوال غيرهم من المفسرين ممن جاءوا بعد عصر التابعين ، واستفاد من تفاسيرهم فقد صنف كثير من العلماء في التفسير بعد عصر التابعين ، كتباً مستقلة بالتفسير جمعوا فيها أقوال السابقين ، ومنهم :

١ _ السدي^٢ .

٢ _ مقاتل^٣ .

٣ _ سفيان الثوري^٤ .

٤ _ الطبري^٥ .

وغيرهم من العلماء _ رحمهم الله تعالى _ .

وقد اعتنى أبو حيان _ رحمه الله _ بنقل أقوالهم في تفسيره ، كما أنه استفاد ممن جاءوا بعدهم ،

ومنهم :

١ _ أبو جعفر النحاس^١ .

^١ _ البحر المحيط : (١ / ١١٣) .

^٢ _ إسماعيل بن عبد الرحمن السدي _ بضم المهملة وتشديد الدال _ الكوفي ، أبو محمد ، المشهور المفسر كان عالماً بالتفسير ، توفي سنة ١٢٧ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٢٤٧) ، وتقريب التهذيب : (١ / ١٠٨) ، وتهذيب التهذيب : (١ / ٢٧٣ - ٢٧٤) ، وطبقات المفسرين للداودي : (١ / ١٥) .

ينظر : على سبيل المثال : (٥ / ٣٦٥ ، ٤٢٤) .

^٣ _ مقاتل بن سليمان البلخي ، أبو الحسن ، كبير المفسرين ، مات سنة نيف وخمسين ومائة . ينظر : سير أعلام النبلاء : (٧ / ٢٠١ - ٢٠٢) ، والكاشف : (٢ / ٢٩٠) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٥٤٥) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨١ ، ٣٩٥) .

^٤ _ سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري ، أبو عبد الله الكوفي ، الإمام الكبير أحد الأعلام ، أمير المؤمنين في الحديث ، ولد سنة سبع وتسعين على الصحيح ، توفي سنة ١٦١ هـ . ينظر : مشاهير علماء الأمصار : (١٦٩) ، سير أعلام النبلاء : (٧ / ٢٢٩ - ٢٧٩) ، وغاية النهاية : (١ / ٣٠٨) .

^٥ _ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين ، صنف التاريخ الحافل ، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع ، توفي سنة ٣١٠ هـ . ينظر : البداية والنهاية : (١١ / ١٤٥ - ١٤٧) ، وطبقات المفسرين ، للسيوطي : (١ / ٩٥ - ٩٧) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ٢٦٤ - ٢٦٦) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٠١) .

- ٢ _ أبو العباس المهدي^٢ .
 ٣ _ الماوردي^٣ .
 ٤ _ البغوي^٤ .
 ٥ _ الرازي^٥ .
 ٦ _ القرطبي^٦ . وغيرهم كثير _ رحمهم الله تعالى _ .



^١ _ أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري ، أبو جعفر النحاس ، إمام العربية ، النحوي ، صاحب التصانيف ، توفي سنة ٣٣٨ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١٥ / ٤٠١ - ٤٠٢) ، وبغية الوعاة : (١ / ٣٦٢) ، والوافي بالوفيات : (٧ / ٢٣٧ - ٢٣٨) .

^٢ _ أحمد بن عمار أبو العباس المهدي ، صاحب التفسير كان مقدماً في القراءات والعربية ألف كتباً مفيدة ، مات في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة . ينظر : طبقات المفسرين ، للسيوطي : (١ / ٣٠) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ٣٩٩) .

^٣ _ علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي ، له المصنفات الكثيرة في كل ، فن الفقه والتفسير والأصول والأدب ، توفي سنة ٤٥٠ هـ . ينظر : طبقات المفسرين ، للسيوطي : (١ / ٨٣ - ٨٤) ، وطبقات الشافعية : (١ / ٢٣٠ - ٢٣٢) ، طبقات المفسرين ، للداوودي : (١ / ١١٩ - ١٢٠) . ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٦) .

^٤ _ الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، أبو محمد ، الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة ، المفسر ، صاحب التصانيف ، توفي سنة ٥١٦ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١٩ / ٤٣٩ - ٤٤٣) ، والوافي بالوفيات : (١٣ / ٤١) ، وطبقات الحفاظ : (٤٧٨) . ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٧٠) .

^٥ _ محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي ، الإمام فخر الدين الرازي العلامة أبو عبدالله ، المفسر المتكلم صاحب التصانيف المشهورة ، ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ . ينظر : طبقات الشافعية الكبرى : (٨ / ٨١ - ٨٢) ، وشذرات الذهب : (٥ / ٢١) ، وطبقات المفسرين ، للداوودي : (١ / ٢١٣ - ٢١٤) . ينظر على سبيل المثال : (٥ / ٣٦٦) .

^٦ _ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي ، مصنف التفسير المشهور ، توفي سنة ٦٧١ هـ . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي : (١ / ٢٤٦ - ٢٤٧) ، وطبقات المفسرين ، للسيوطي : (٩٢) ، وشذرات الذهب : (٥ / ٣٣٥) . ينظر : على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٠) .

المطلب السادس : عنايته بالقراءات :

يعتبر تفسير البحر المحيط مرجعاً من مراجع توثيق القراءات ؛ وذلك لتمكن أبو حيان في القراءات ، وإيراده لها ، مع بيانه للمتواتر منها والشاذ ، وتوجيهه لتلك القراءات ، مما جعل الباحثين يهتمون بهذا التفسير في علم القراءات ، ولذا فقد ألفت في ذلك عدة رسائل جامعية .
ومما ذكره أبو حيان في ذلك ما يلي :

١ _ ذكر القراءات شاذها ومستعملها .

يذكر أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ القراءات الشاذة ويبين أنها من باب التفسير للآيات ، وهذا هو المقصد لكثير من العلماء من ذكرهم للقراءات الشاذة ؛ فهي تعتبر تفسيراً للقراءة المشهورة ، وتبين معانيها ، ويستنبط منها معرفة صحة التفسير^١ ، ومما ذكره أبو حيان _ رحمه الله _ في ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ ﴾ [سورة الرعد : ١١] قال _ رحمه الله _ : « وقرأ ... (له المعاقب) ، ... وقرأ (له معاقب) ، ... وقرأ (له معتقات) من اعتقب ، ... وينبغي حمل هذه القراءات على التفسير لا أنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون »^٢ .
_ في قوله تعالى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ﴾ [سورة النحل : ٢] قال _ رحمه الله _ : « وقرأ ابن أبي عبلة^٣ (ما نزل) بنون العظمة والتشديد ، وقتادة بالنون والتخفيف ، قال ابن عطية : وفيهما شذوذ كثير . انتهى . وشذوذهما أن ما قبله وما بعده ضمير غيبة ، ووجهه أنه التفات »^٤ .

٢ _ ذكر توجيه تلك القراءات .

معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ فن جليل ، وبه تعرف جلاله المعاني وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به عناية فائقة .
وفائدته : أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجحاً ، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى ، وهذا غير مرضي ؛ لأن كليهما متواترة^٥ ، ومما ذكره أبو حيان في ذلك ما يلي :

^١ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٤١٢ - ٤١٣) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٤) .

^٣ _ ابن أبي عبلة هو : إبراهيم بن شمر بن يقظان ، أبو إسماعيل ، الشامي الدمشقي ، تابعي ، توفي سنة ١٥١ هـ ، وقيل : ١٥٢ هـ ، وقيل : ١٥٣ هـ . ينظر : غاية النهاية : (١ / ١٩) .

^٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٩) .

^٥ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٤١٩) .

— في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٣] قال — رحمه الله — : ((وقرأ الجمهور (المحال) بكسر الميم ، فعن ابن عباس : المحال العداوة ، وعنه : الحقد ، وعن عليّ : الأخذ ، وعن مجاهد : القوة ، وعن قطرب ^١ : الغضب ، وعن الحسن : الهلاك بالحل ، وهو القحط ، وقرأ الضحاك والأعرج ^٢ :

(المحال) بفتح الميم ، فعن ابن عباس : الحول ، وعن عبيدة : الحيلة يقال : المحال والمحالة ، وهي الحيلة ، ومنه قول العرب في مثل : المرء يعجز لا المحالة ^٣ .

— في قوله تعالى ﴿ إِلَّا عِبَادٌ مِّنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٤٠] قال — رحمه الله — : ((وقرأ الكوفيون ونافع والحسن والأعرج بفتح اللام ، ومعناه : إلا من أخلصته للطاعة أنت ، فلا يؤثر فيه تزييني ، وقرأ باقي السبعة والجمهور بكسرها ، أي : إلا من أخلص العمل لله ولم يشرك فيه غيره ولا راعى به ^٤ .

إلى غير ذلك من المظاهر المتعددة في العناية بالقراءات إلا أنه نص على ما ذكرت في مقدمته .



^١ — محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي ، الشهير بقطرب ، لازم سيبويه ، مات سنة ٢٠٦ هـ . ينظر : إنباه الرواة : (٣ / ٢١٩) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٤٢ — ٢٤٣) .

^٢ — الأعرج : حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان المكي القاري ، توفي سنة ١٣٠ هـ . ينظر : غاية النهاية : (١ / ٢٦٥) .

^٣ — البحر المحيط : (٥ / ٣٦٧) .

^٤ — البحر المحيط : (٥ / ٤٤١) .

المطلب السابع : عنايته بأسباب النزول .

اعتنى بذكر أسباب النزول كثير من المفسرين في تفاسيرهم ، لما لمسوه من شدة الحاجة إليه في تفسير القرآن الكريم ، وقد أفردته جماعة منهم بالتأليف .

ويراد بسبب النزول : هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه . والمعنى : أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ ، أو سؤال وجه إليه ، فزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال^١ .

وفي ذكر أسباب النزول فوائد حجة منها :

- ١ _ بيان وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .
- ٢ _ تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .
- ٣ _ الوقوف على المعنى ، وإزالة الإشكال ، فبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز .

قال الشاطبي _ رحمه الله _ : « ومعرفه الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط ، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد ، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال ، وينشأ عن هذا الوجه الوجه الثاني ؛ وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات ، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال ، حتى يقع الاختلاف ، وذلك مظنة وقوع التزاع^٢ .

٤ _ أن اللفظ قد يكون عاماً ، ويقوم الدليل على تخصصه .

٥ _ دفع توهم الحصر .

٦ _ تيسير الحفظ وتسهيله ، وتثبيت الوحي ، في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها^٣ .

ولا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ومجثوا عن علمها^٤ .

^١ _ ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ٩٩) ، ومباحث في علوم القرآن : (٧٧) .

^٢ _ الموافقات : (٣ / ٣٤٧) .

^٣ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٤٥ - ٥٠) ، والإتقان في علوم القرآن : (١ / ٨٢) ، ومناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٠٢ - ١٠٧) ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم : (١٣٢) ، ومباحث في علوم القرآن : (٧٩ - ٨٢) .

^٤ _ ينظر : ، مناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٠٧) ، ومباحث في علوم القرآن : (٧٦ - ٧٧) .

وقد اعتنى أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ بذكر أسباب النزول كما ذكر ذلك في مقدمته ،
فيورد الأسباب في الآية دون الترجيح بينها أحياناً ، وأحياناً يورد سبباً واحداً للآية ، وقد يبين المعنى
الصحيح للآية بسبب النزول ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَآءُ وَهُمْ يُجَدِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ
الْمِحَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٣] قال _ رحمه الله _ : « وفي الخبر أن الرسول ﷺ _ بعث إلى
جبار من العرب ليسلم ، فقال : أخبرني عن إله محمد أمن لؤلؤ هو ، أم من ذهب ؟ . فتزلت عليه
صاعقة ونزلت الآية فيه ، وقال مجاهد : ناظر يهودي الرسول ﷺ _ فبينا هو كذلك نزلت صاعقة
فأخذت قحف رأسه فتزلت الآية فيه ، وقال ابن جريج^١ : سبب نزولها قصة أريد بن ربيعة^٢ ، وعامر
بن الطفيل^٣ ، وذكر قصتهما المشهورة ، مضمونها أن عامراً توعد الرسول ﷺ _ إذا لم يجبه إلى ما
طلب ، وأنه وأربداً راما الفتك به ، فعصمه الله تعالى ، وأصاب عامراً بغدة فمات غريباً ، وأريد
بصاعقة فقتلته »^٤ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَآءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤] قال : « سبب نزولها أن قريشاً
قالوا : ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي ، فتزلت »^٥ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ
أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤١] قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « والذين هاجروا

^١ _ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد ، وأبو خالد القرشي مولا هم المكي ، الفقيه أحد الأعلام ،
توفي سنة ١٥٠ هـ . ينظر : الكاشف : (١ / ٦٦٦) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٣٦٣) ، وتهذيب التهذيب
: (٦ / ٣٥٧ _ ٣٥٩) .

^٢ _ إريد بن ربيعة : ستأتي ترجمته في الترجيح رقم (١ / ١) ، ص : (١٦٣) .

^٣ _ عامر بن الطفيل : ستأتي ترجمته في الترجيح رقم (١ / ١) ، ص : (١٦٣) ، والحديث سيأتي تخريجه ص :
(١٦٤) .

^٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٧) .

^٥ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٩٤) .

قال قتادة : نزلت في مهاجري أصحاب الرسول ﷺ _ وقال داود بن أبي هند^١ : في أبي جندل بن سهيل بن عمرو^١ ، وعن ابن عباس : في صهيب^٢ وبلال^٣ وخباب بن الأرت^٤ وأضرابهم ، المشركون بمكة ، فبوأهم الله المدينة ، وعلى هذا الاختلاف في السبب يتزل المراد بقوله ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ قال ابن عطية : لما ذكر الله كفار مكة الذين أقسموا بأن الله لا يبعث من يموت ورد على قولهم ، ذكر مؤمني مكة المعاصرين لهم وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، هذا قول الجمهور ، وهو الصحيح في سبب الآية ؛ لأن هجرة المدينة ما كانت إلا بعد وقت نزول الآية . انتهى^٥ .



^١ _ داود بن أبي هند ، أبو بكر ، واسم أبي هند : دينار ، العالم المثبت والزهيد المحبت ، توفي سنة ١٣٩ هـ . ينظر : حلية الأولياء : (٣ / ٩٢ _ ٩٧) ، وصفة الصفوة : (٣ / ٣٠٠ _ ٣٠١) ، والتاريخ الكبير : (٣ / ٢٣١) .

^١ _ أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري ، كان من السابقين إلى الإسلام ، ومن عذب بسبب إسلامه ، توفي سنة ١٨ هـ بالطاعون . ينظر : الطبقات الكبرى : (٧ / ٤٠٥) ، والإصابة : (٧ / ٦٩) ، والاستيعاب : (٤ / ١٦٢١ _ ١٦٢٣) .

^٢ _ صهيب بن سنان ، أبو يحيى النمري ، من النمر بن قاسط ، ويعرف بالرومي لأنه أقام في الروم مدة وهو من أهل الجزيرة ، السابق المهاجر المطعم المتاجر ، لماله بذول ، ولنفسه قنول ، ولديته عقول ، وبربه تعالى يجول ويصول ، أسرع الإجابة لله تعالى وللرسول ﷺ _ ، توفي سنة ٣٨ هـ . ينظر : حلية الأولياء : (١ / ١٥١ _ ١٥٦) ، وسير أعلام النبلاء : (٢ / ١٧ _ ٢٦) ، وشذرات الذهب : (١ / ٤٧) .

^٣ _ بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الكريم ، ويقال أيضا أبو عمرو ، ويقال أيضا أبو عبد الله ، مؤذن النبي ﷺ _ ، السيد المتعبد المتجرد ، عتيق الصديق ذي الفضل والسماح ، علم الممتحنين في الدين والمعذيين ، خازن الرسول الأمين محمد ﷺ _ ، مات بالشام زمن عمر ، وقيل : مات في طاعون عمواس ، وقيل : مات سنة عشرين . ينظر : حلية الأولياء : (١ / ١٤٧ _ ١٥١) ، والتاريخ الكبير : (٢ / ١٠٦) ، والإصابة : (١ / ٣٢٦) .

^٤ _ خباب بن الأرت _ بتشديد المثناة _ بن جندلة بن تميم التميمي ، السابق المفتن ، المعذب الممتحن ، أبو عبد الله مولى بني زهرة ، أسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهدا ، وثبت في إسلامه شاكرا ، مات سنة سبع وثلاثين . ينظر : حلية الأولياء : (١ / ١٤٣ _ ١٤٧) ، والتاريخ الكبير : (٣ / ٢١٥) ، والإصابة : (٢ / ٢٥٨) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٧٧) .

المطلب الثامن : عنايته بالناسخ والمنسوخ .

معرفة ناسخ القرآن من منسوخه ، والعلم به أمر عظيم الشأن في التفسير والفقہ ، وقد صنف فيه جماعة من العلماء ، ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ ، وقد قال علي بن أبي طالب _ عليه السلام _ لقاص : « أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ » ، قال : الله أعلم ، قال : هلكت وأهلكت ^١ .

والنسخ في اللغة : يأتي بعدة معانٍ ، منها :

١ _ الإزالة ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الْكَيْطَنُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيَّتَهُ ﴾ [سورة الحج : ٥٢] .

٢ _ التبديل ، كقوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾ [سورة النحل : ١٠١] .

٣ _ التحويل ، كتناسخ المواريث _ يعني تحويل الميراث من واحد إلى واحد _ .

٤ _ النقل من موضع إلى موضع ، ومنه : « نسخت الكتاب » إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه ^٢ .

وفي الاصطلاح : هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي ^٣ .

والنسخ مما خصت به أمة محمد _ صلى الله عليه وسلم _ ، وله حكم كثيرة منها :

١ _ مراعاة مصالح العباد ، ورعاية الأصلاح لهم في كل وقت بحسب أحوالهم فيه .

٢ _ التدرج بالتشريع إلى مرتبة الكمال في تربية النفس .

٣ _ إن كان النسخ إلى أخف فالحكمة التيسير على الأمة .

٤ _ إن كان النسخ إلى أشق فالحكمة زيادة الثواب مع ابتلاء المكلف .

٥ _ إن كان النسخ إلى مساوٍ فالحكمة الابتلاء والاختبار للمكلف ؛ لكمال الانقياد والعبودية لله تعالى ^١ .

^١ _ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه : (٣ / ٢٢٠) ، رقم : (٥٤٠٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه : (٥ / ٢٩٠) ، رقم : (٢٦١٩٢) ، والطبراني في الكبير : (١٠ / ٢٥٩) ، رقم : (١٠٦٠٣) ، الناسخ والمنسوخ ، للنحاس : (١ / ٤٩) . قال الهيثمي : « وفيه أبو راشد مولى بني عامر ولم أر من ذكره » . مجمع الزوائد : (١ / ١٥٤) .

^٢ _ ينظر : معجم مقاييس اللغة : (٥ / ٤٢٤) ، والناسخ والمنسوخ ، للنحاس : (١ / ٥٧) ، والبرهان في علوم القرآن : (٢ / ٣٣) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٥٩) ، ومناهل العرفان : (٢ / ٧١) .

^٣ _ ينظر : مناهل العرفان : (٢ / ٧٢) .

ويرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ - أو عن صحابي يقول : آية كذا نسخت كذا ، وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ ؛ ليعرف المتقدم والمتأخر ، ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين ، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة ؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده ﷺ - والمعتمد فيه النقل والتاريخ ، دون الرأي والاجتهاد^١ .

وقد أولى أبو حيان جانب النسخ والمنسوخ عناية كبيرة في تفسيره ؛ وذلك لما في معرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات من أهمية في فهم الآيات والعمل بها ، ومن ذلك :
- في قوله تعالى ﴿ وَءَاتَلَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِن بَرَّ

الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤] : قال - رحمه الله - : « ودعوى أن هذه الآية منسوخة بآية النحل لا يلتفت إليها »^٢ .
- في قوله تعالى ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٧] قال أبو حيان - رحمه الله - : « والسكر في اللغة : الخمر ... وقاله ابن مسعود وابن عمر والجمهور ، وهذه الآية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ثم حرمت بالمدينة ، فهي منسوخة ، وقال ابن عباس : هو الخل بلغة الحبشة ، وقيل : العصير الحلو الحلال ، وسمي سكرًا باعتبار ماله إذا ترك ، ... وعلى هذه الأقوال لا نسخ »^٣ .



^١ - ينظر : الإتيان في علوم القرآن : (٣ / ٦٠) ، ومناهل العرفان : (٢ / ٩٠ - ٩٢) ، ومباحث في علوم القرآن : (٢٤٠) .

^١ - ينظر : الإتيان في علوم القرآن : (٣ / ٧١) ، ومناهل العرفان : (٢ / ١٠٥ - ١٠٦) .

^٢ - البحر المحيط : (٥ / ٤١٧) .

^٣ - البحر المحيط : (٥ / ٤٩٤ - ٤٩٥) .

المطلب التاسع : عنايته بذكر المكي والمدني :

من أشرف علوم القرآن علم المكي والمدني ، وقد عني العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة ، فتتبعوا القرآن آية آية ، وسورة سورة ، لترتيبها وفق نزولها ، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب ، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني ^١ . وللعلماء في المراد بالمكي والمدني ثلاثة اصطلاحات :

أحدها : أن المكي ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة .

الثاني : وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة ، وهذا القول لوحظ فيه زمن النزول ، وهو تقسيم صحيح سليم ؛ لأنه ضابط حاصر ومطرّد لا يختلف بخلاف القولين الآخرين ؛ ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم .

الثالث : أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ^٢ .

ومن فوائده :

- ١ _ معرفة الناسخ والمنسوخ ؛ لأن فيه العلم بالمتأخر .
 - ٢ _ معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام .
 - ٣ _ الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف .
 - ٤ _ الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم .
 - ٥ _ تذوق أساليب القرآن الكريم ، والاستفادة منها في الدعوة إلى الله ﷻ .
- ولا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك ؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ _ بيان للمكي والمدني ؛ وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون الوحي والتزيل ، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عياناً .
- وقد اعتنى أبو حيان _ رحمه الله _ بذكر المكي والمدني في تفسيره ، ومن الأمثلة على ذلك :
- _ قال في سورة الرعد : « هذه السورة مكية في قول الحسن ، وعكرمة ، وعطاء ^١ ، وابن جبير ، وعن عطاء إلا قوله ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [سورة الرعد : ٤٣] ، وعن

^١ _ ينظر : مباحث في علوم القرآن : (٥٣) .

^٢ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٢٣٩) ، والإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي : (١ / ٢٣) ، ومناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٨٦ - ١٨٧) ، ومباحث في علوم القرآن : (٦١ - ٦٢) .

^٣ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٢٣٩) ، والإتقان في علوم القرآن (١ / ٢٢ - ٢٣) ، ومناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٨٨) ، ومباحث في علوم القرآن : (٥٩ - ٦٠) .

^٤ _ ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن : (١ / ١٨٩) .

غيره إلا قوله ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ [سورة الرعد : ١٢] إلى قوله ﴿لَهُ عَوْدَةُ الْحَقِّ﴾ [سورة الرعد : ١٤] ، ومدنية في قول الكلبي^٢ ، ومقاتل ، وابن عباس وقتادة واستثنيا آيتين قالا نزلتا بمكة وهما ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [سورة الرعد : ٣١] إلى آخرهما ، وعن ابن عباس إلا قوله ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الرعد : ٣١] إلى آخر الآية وعن قتادة مكة إلا قوله ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الرعد : ٣١] الآية ،»^٣ .

— وقال في سورة إبراهيم : « هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور ، وعن ابن عباس وقتادة هي مكية إلا من قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [سورة إبراهيم : ٢٨] إلى قوله ﴿إِلَى النَّارِ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٠] »^٤ .

— وقال في سورة الحجر : « هذه السورة مكية بلا خلاف »^٥ .

— وقال في سورة النحل : « قال الحسن ، وعطاء ، وعكرمة ... هي كلها مكية ، وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد حمزة^٦ ، وهي قوله ﴿وَلَا تَتَرَوْا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة النحل : ٩٥] إلى قوله ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل : ٩٧] ، وقيل : إلا ثلاث آيات ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتُنَا﴾ [سورة النحل : ١٢٦] الآية نزلت في المدينة في شأن التمثيل

^١ — عطاء بن أبي رباح ، أبو محمد ، مولى آل أبي خثيم القرشي الفهري المكي ، واسم أبي رباح أسلم ، شيخ الإسلام ، فقيه الحرم ، كان من أوعية العلم ، مات سنة ١١٤ هـ ، وقيل : ١١٥ هـ . ينظر : حلية الأولياء : (٣١٠ / ٣ - ٣٢٥) ، و التاريخ الكبير : (٦ / ٤٦٣) ، وسير أعلام النبلاء : (٥ / ٧٨ - ٨٨) .

^٢ — محمد بن السائب الكلبي ، أبو النضر ، كوفي ، وكان من كبار الوضعيين ، مات سنة ١٤٠ هـ . ينظر : الكشف الحثيث : (١ / ٢٣٠) ، الضعفاء ، للنسائي : (١ / ٩٠) ، و المروجين : (٢ / ٢٥٣ - ٢٥٦) .

^٣ — البحر المحيط : (٥ / ٣٥٣) .

^٤ — المرجع السابق : (٥ / ٣٩٢) .

^٥ — المرجع السابق : (٥ / ٤٣٢) .

^٦ — حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، الإمام البطل الضرغام أسد الله أبو عمارة وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي ، ثم المدني البدري الشهيد ، عم رسول الله ﷺ — وأخوه من الرضاة ، قتل يوم أحد . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١ / ١٧١ - ١٨٤) ، والطبقات الكبرى : (٣ / ٨ - ١٨) ، والإصابة : (٢ / ١٢١ - ١٢٢) .

بجمزة وقتلى أحد ، وقوله ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ١٢٧] ، وقوله ﴿ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ [سورة النحل : ١١٠] ...^١ .



^١ _ البحر المحيط : (٤٥٨ / ٥) .

المبحث الثاني تفسيره القرآن بالرأي

وفيه تمهيد ، وثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تفسيره القرآن باللغة .

المطلب الثاني : عنايته بالمناسبات .

المطلب الثالث : عنايته بأسرار التعبير .

تمهيد :

التفسير بالرأي منه ما هو محمود ، ومنه ما هو مذموم ، والمراد بالرأي هنا : الاجتهاد ، فإن كان الاجتهاد موفقاً ، أي : مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه ، بعيداً عن الجهالة والضلالة ، فالتفسير به محمود ، وإلا فمذموم^١ .

قال الزركشي _ رحمه الله _ : « واعلم أن القرآن قسمان : أحدهما : ورد تفسيره بالنقل عن من يعتبر تفسيره ، وقسم لم يرد ، والأول ثلاثة أنواع : إما أن يرد التفسير عن النبي _ ﷺ _ ، أو عن الصحابة ، أو عن رؤوس التابعين ... »

الثاني : ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل ، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق^٢ .

وبين الزركشي حكم التفسير بمجرد الرأي فقال _ رحمه الله _ : « ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل ؛ لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [سورة الإسراء : ٣٦] ، وقوله ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٩] ، وقوله ﴿ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] فأضاف البيان إليهم . وعليه حملوا ... قوله _ ﷺ _ : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ^٣ ... »^٤ .

قال ابن كثير _ رحمه الله _ بعد ذكره لأقوال للسلف في ترجحهم من تفسير بعض الآيات التي لاعلم لهم بها : « فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على ترجحهم عن الكلام في التفسير بما لاعلم لهم به ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ، ولا منافاة ؛ لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه^٥ . »

وقد كان أبو حيان _ رحمه الله _ من العلماء الذين يرون جواز التفسير بالرأي إذا استوفى المفسر شروطه فقال : « ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب ، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة ، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه ، فلن يحتاج في فهم ما تركيب من تلك الألفاظ

^١ _ ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن : (٢ / ٣٦) .

^٢ _ البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٨٨ - ١٨٩) .

^٣ _ تقدم تحريجه : (٦٠ - ٦١) .

^٤ _ البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٧٨ - ١٧٩) .

^٥ _ تفسير القرآن العظيم : (١ / ٧) .

إلى مفهم ولا معلم ، وإنما تفاوتت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه ؛ فلذلك اختلفت أفهامهم وتباينت أقوالهم ، وقد جربنا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا ، فكان يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه بالإسناد إلى مجاهد ، وطاوس ، وعكرمة وأضرابهم ، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك ، والعجب له أنه يرى أقوال هؤلاء كثيرة الاختلاف متباينة الأوصاف متعارضة ينقض بعضها بعضاً ، ... وكان هذا المعاصر يزعم أن كل آية نقل فيها التفسير خلف عن سلف بالسند إلى أن وصل ذلك إلى الصحابة ، ومن كلامه أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن تفسيرها ، هذا وهم العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلسانهم ، ... وعلى قول هذا المعاصر يكون ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه وإظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة والبيان والإعجاز ، لا يكون تفسيراً حتى ينقل بالسند إلى مجاهد ونحوه ، وهذا كلام ساقط^١ .

وقال : « وما روي عنه ﷺ _ من قوله : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » محمول على من تسور على تفسيره برأيه دون النظر في أقوال العلماء وقوانين العلوم كالنحو واللغة والأصول ، وليس من اجتهد ففسر على قوانين العلم والنظر بداخل في ذلك الحديث ، ولا هو يفسر برأيه ، ولا يوصف بالخطأ^٢ .

قال ابن الأثير في بيان معنى الحديث ، وبيان أهمية النقل والسماع : « النهي يمتثل وجهين : أحدهما : أن يكون له في الشيء رأي ، وإليه ميل من طبعه وهواه ، فيتناول القرآن على وفقه محتجاً به لغرضه ، ولو لم يكن له هوى لم يلح له منه ذلك المعنى ، وهذا يكون تارة مع العلم كمن يحتاج منه بآية على تصحيح بدعته عالماً بأنه غير مراد بالآية ، وتارة يكون مع الجهل بأن تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافق غرضه ، ويرجح برأيه وهواه ، فيكون فسر برأيه إذ لولاه لم يترجح عنده ذلك الاحتمال ، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن فيستدل به بما يعلم أنه لم يرد به

الثاني : أن يتسارع إلى تفسيره بظاهر العربية بغير استظهار بالسماع والنقل يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة والاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلظه ، ودخل في زمرة من فسر

^١ _ البحر المحيط : (١ / ١٠٤) .

^٢ _ المرجع السابق : (١ / ١١٩) .

القرآن بغير علم ، فالنقل والسماع لا بد منهما أولاً ، ثم هذه تستتبع التفهم والاستنباط ، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر »^١ .

وقد اعتنى أبو حيان _ رحمه الله _ في تفسيره بنقل ما ورد في الآية من الأقوال ، ولم يكتف بذلك بل كان يوجه الأقوال ، ويرجح في بعض الأحيان ، كما اعتنى بالتفسير بالرأي فأعمل فكره في عدة جوانب منها : اعتناؤه بتفسير القرآن باللغة ، وذكره للمناسبات بين السور ، والمناسبات بين الآيات بعضها ببعض في كثير من المواضع ، كذلك اعتنى بذكر أسرار التعبير ، وذكر اللطائف من الآيات ، وهذا ما سيأتي ذكره فيما يلي .



^١ _ فيض القدير : (٦ / ١٩٠) .

المطلب الأول تفسيره القرآن باللغة

وفيه خمسة أمور:

أولاً: مصادره في اللغة ، والأعلام الذين سماهم .

ثانياً: عنايته بمعاني المفردات .

ثالثاً: عنايته بمعاني الحروف والأدوات .

رابعاً: عنايته بالإعراب .

خامساً: عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني .

أولاً : مصادره في اللغة ، وبعض الأعلام الذين سماهم .

يعد أبو حيان _ رحمه الله _ من علماء اللغة البارعين ، وهو مرجع في ذلك ، و لتقدمه في هذا المجال فقد تميز تفسيره بالاهتمام البالغ بهذا الجانب ، وقد ذكر في مقدمته كثير من مصادره في ذلك عند ذكره للعلوم التي يحتاجها المفسر^١ .

ومن علماء النحو واللغة الذين استفاد منهم ، ونقل عنهم :

١ _ سيويه^٢ .

٢ _ الكسائي^٣ .

٣ _ قطرب^٤ .

٤ _ الفراء^١ .

^١ _ ذكر _ رحمه الله _ من مصادره في علم اللغة : كتاب ابن سيده ، وكتاب الأزهرى ، والموعب لابن التياتي ، والصحاح للجوهري ، والبارع لأبي علي القالي ، ومجمع البحرين للصاغاني ، والفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني .

ومن مصادره في الأفعال : كتاب ابن القوطية ، وكتاب ابن طريف ، وكتاب السرقسطي ، وكتاب ابن القطاع .

ومن مصادره في علم النحو : كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيويه ، وكتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمد بن مالك الجياتي الطائي ، وكتاب الممتع لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي الإشبيلي . ومن مصادره في علم البيان والبديع : ما جمعه أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب ، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير ، وما وضعه أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري المسمى : منهاج البلغاء وسراج الأدباء . ينظر : البحر المحيط : (١ / ١٠٥ - ١٠٧) .

^٢ _ عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر المعروف بسيويه النحوي من أهل البصرة ، كان يطلب الآثار والفقهاء ثم صحب الخليل بن أحمد فبرع في النحو . مات سنة ١٨٠ هـ ، وقيل : ١٩٤ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : (١٢ / ١٩٥ - ١٩٨) ، وإنباه الرواة : (٢ / ٣٤٦) ، وبغية الوعاة : (٢ / ٢٢٩) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٨ ، ٣٨٠) .

^٣ _ علي بن حمزة ، أبو الحسن الكسائي ، مولاهم الكوفي ، المقرئ النحوي ، مستقيم الحديث ، مات سنة ١٨٧ هـ ، وقيل : ١٨٩ هـ . ينظر : التاريخ الكبير : (٦ / ٢٦٨) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ١٠٠ - ١٠٧) ، والثقات : (٨ / ٤٥٧ - ٤٥٨) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٣ ، ٤١٤) .

^٤ _ ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٤٠١ ، ٤٢٧) .

٥ _ أبو عبيدة^٢ .

٦ _ الأخفش^٣ .

٧ _ المبرد^٤ .

٨ _ الزجاج^٥ .

^١ _ يحيى بن زياد بن عبد الله ، أبو زكريا الأسلمي النحوي الكوفي المعروف بالفراء شيخ النحاة ، توفي سنة ٢٠٧ هـ . ينظر : غاية النهاية : (٢ / ٣٧١ _ ٣٧٢) ، وبغية الوعاة (٢ / ٣٣٣) ، وتقريب التهذيب : (١ / ٥٩٠) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٩ ، ٣٨٢ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤١٥) ، ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٥٨) .

^٢ _ معمر بن المثني التيمي ، أبو عبيدة النحوي البصري ، العلامة ، له تصانيف تقارب المائتين ، توفي سنة تسع أو عشر أو إحدى عشر أو ثلاث عشرة ومائتين بالبصرة . ينظر : طبقات المفسرين للداودي : (١ / ٣٠ _ ٣١) ، وإنباه الرواة : (٣ / ٢٧٦) ، وبغية الوعاة : (٢ / ٢٩٤) .

ينظر : على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٨ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٣١) ،

(٤٣٢) .

^٣ _ سعيد بن مسعدة الماشعي ، أبو الحسن ، المعروف بالأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي أخذ النحو عن سيبويه ، صنف كتباً كثيرة منها كتاب في معاني القرآن ، توفي سنة ٢١٠ هـ ، وقيل : ٢١٥ هـ ، وقيل : ٢٢١ هـ . ينظر : البداية والنهاية : (١٠ / ٢٩٣) ، والوافي بالوفيات : (١٥ / ١٦١ _ ١٦٢) ، وسير أعلام النبلاء : (١٠ / ٢٠٦ _ ٢٠٨) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٢ ، ٣٩٨ ، ٤١٤ ، ٤٣٨) .

^٤ _ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العباس النحوي ، المعروف بالمبرد ، النحوي اللغوي الفقيه ، توفي سنة ٢٨٦ هـ . ينظر : لسان الميزان : (٧ / ١٦٥) ، وإنباه الرواة : (٣ / ٢٤١) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢٦٩) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٩) .

^٥ _ إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، وكان من أهل الفضل والدين ، وجمال المذهب والاعتقاد ومن تصانيفه معاني القرآن في التفسير ، توفي سنة ٣١١ هـ . ينظر : البداية والنهاية : (١١ / ١٤٨ _ ١٤٩) ، والبلغة : (١ / ٤٥) ، وطبقات المفسرين للداودي : (١ / ٥٢) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٥ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٤٠١ ، ٤١٤) ،

(٤٣٨) .

٩ _ ابن الأنباري^١ .

١٠ _ الجوهري^٢ .

١١ _ أبو البقاء^٣ .

وغيرهم من علماء اللغة _ رحمهم الله تعالى _ .



^١ _ محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن فروة بن قطن بن دعامة ، أبو بكر بن الأنباري ، النحوي ، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً ، ولد سنة ٢٧١ هـ ، صنف كتباً كثيرة ، توفي سنة ٣٢٨ هـ . ينظر : تاريخ بغداد : (٣ / ١٨١ - ١٨٦) ، وإنباه الرواة : (٣ / ٢٠١) ، وبغية الوعاة : (١ / ٢١٢) .
ينظر : على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٤٠١ ، ٤٢٧ ، ٤٣٣) .

^٢ _ إسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر الفارابي ، إمام في النحو واللغة والصرف ، صاحب الصحاح في اللغة ، توفي سنة ٣٩٣ هـ ، وقيل : ٣٩٨ هـ . ينظر : البلغة : (١ / ٦٦ - ٧٦) ، وبغية الوعاة : (١ / ٤٤٦) ، ولسان الميزان : (١ / ٤٠٠ - ٤٠١) .

ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٨) .

^٣ _ عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء ، العكبري الأصل ، البغدادي المولد ، الفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضريير ، صنف مصنفات مفيدة ، توفي سنة ٦١٦ هـ . ينظر : إنباه الرواة : (٢ / ١١٦) ، وسير أعلام النبلاء : (٢٢ / ٩١ - ٩٣) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ٢١٩) .
ينظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٨١ ، ٣٩٧ ، ٤٢٨) . (٤٦٠) .

ثانياً : عنايته بمعانى المفردات :

اهتم المفسرون ببيان غريب القرآن ، وهو فن ضروري للمفسر ، ويراد به : معرفة المدلول ، ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة اسماً وفعالاً وحرفاً ، ومعرفة حقائق اللغة وموضوعاتها ، و العناية بتدبر الألفاظ ، ومراعاة السياق ، ويلتمس كثير منه في الشعر ؛ لأن الشعر ديوان العرب^١ ، وقد ألقت كتب في ذلك ، واشتهرت بكتب معاني القرآن^٢ .

قال الزركشي _ رحمه الله _ : « الذي يجب على المفسر البدأة به العلوم اللفظية ، وأول ما يجب البدأة به منها تحقيق الألفاظ المفردة ؛ فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه ، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه .

قالوا : وليس ذلك في علم القرآن فقط ؛ بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره ، وهو كما قالوا : إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته ؛ لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي ، فنقول : النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها .
وأما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة :

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها ، وهو يتعلق بعلم اللغة .

ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة ، وهو من علم

التصريف .

ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها ، وهو من علم الاشتقاق^٣ .

وقد بدأ أبو حيان تفسيره للآيات ببيان للمفردات التي تحتاج إلى بيان من اللغة ، وذلك بذكر صيغ المفردة ، وتصريفها^٤ ، وبيان معانيها اللغوية ، مستدلاً بأشعار العرب ، ذاكراً أقوال النحويين ، وقد يضعف بعض الأقوال ، وهو منهج قل أن نجد في التفاسير بهذا النحو ، وفي بعض المفردات لم يفصل ذلك التفصيل بل اقتصر على بعض ما سبق ، وإذا كان للكلمة معنيان ذكره في أول موضع لتلك الكلمة ، ثم ينظر في كل موضع ما يناسب من المعنى حسب سياق الآيات .

^١ _ روى عكرمة عن ابن عباس قال : « إذا سألتموني عن غريب اللغة ، فالتمسوه في الشعر ؛ فإن الشعر ديوان العرب » . ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٦٨) .

^٢ _ البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٦٥ _ ٣٧٠) ، والإتقان في علوم القرآن : (٢ / ٥) .

^٣ _ البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٩٠) .

^٤ _ التصريف : هو ما يلحق الكلمة ببنيتها ، وفائدته : حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد ، ويكون ذلك في الأسماء والأفعال ، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر . ينظر : البرهان : (١ / ٣٧٣ _ ٣٧٤) .

وهذه نماذج على ذلك :

- _ في تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٣] قال _ رحمه الله تعالى _ :
« المحال : القوة والإهلاك ، ... ويقال : محل الرجل بالرجل مكر به ، وأخذه بسعاية شديدة ،
والماحلة : المكايدة والمماكرة ، ومنه : تمحل لكذا ، أي : تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه »^١ .
- _ في قوله تعالى ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٢] قال _
رحمه الله _ : « المصرخ : المغيث ، ... والصارخ المستغيث صرخ يصرخ صرخاً وصرخاً وصرخة ،
... واصطرخ بمعنى صرخ ، وتصرخ تكلف الصراخ ، واستصرخ استغاث ، فقال : استصرخني
فأصرخته ، والصريخ مصدر كالتريح ، ويوصف به المغيث والمستغيث ، من الأضداد »^٢ .
- _ في قوله تعالى ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ [سورة النحل : ٥] قال _ رحمه الله _ : « الدفء : اسم
لما يدفأ به ، أي : يسخن ، وتقول العرب : دفيء يومنا فهو دفيء إذا حصلت فيه سخونة تزيل البرد
، ودفيء الرجل دفء ودفأ ، وجمع الدفء أدفاء ، ورجل دفآن وامرأة دفأى ، والدفئة الإبل الكثيرة
الأوبار ؛ لإدفاء بعضها بعضاً بأنفاسها ، وقد تشدد ، وعن الأصمعي : الدفئة الكثيرة الأوبار
والشحوم ، وقال الجوهري : الدفء نتاج الإبل وألبانها وما ينتفع به منها »^٣ .



^١ _ البحر المحيط : (٣٥٢ / ٥) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٠٤ / ٥) .

^٣ _ البحر المحيط : (٤٥٨ / ٥) .

ثالثاً : عنايته بمعانى الحروف والأدوات :

اعتنى أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ ببيان معاني كثير من الحروف ، والأدوات وأسرار الإتيان بها دون غيرها في تفسيره ؛ وذلك لما لها من أثر كبير في فهم الآيات ، فمن ذلك :

_ في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد : ١١] قال _ رحمه الله _ : « قيل : (من) للسبب ، كقولك : كسرته من عرى ^١ ، ويكون معناها ومعنى الباء سواء ، كأنه قيل : يحفظونه بأمر الله وبأذنه ، فحفظهم إياه متسبب عن أمر الله لهم بذلك ، قال ابن جريج : يحفظون عليه عمله ، فحذف المضاف ، وقال قتادة : يكتبون أقواله وأفعاله ، وقراءة علي وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد (يحفظونه بأمر الله) يؤيد تأويل السببية في من ، ... وورود (من) للسبب ثابت من لسان العرب ، وقيل : يحفظونه من بأس الله ونقمته ، كقولك : حرس زيدا من الأسد ، ومعنى ذلك إذا أذن الله لهم في دعائهم أن يمهلهم رجاء أن يتوب عليه وينيب ، كقوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٢] ، يصير معنى الكلام إلى التضمين ، أي : يدعون له بالحفظ من نعمات الله رجاء توبته ^٢ .

_ في قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٢] قال _ رحمه الله _ : « ويجوز أن تكون (من) لبيان الجنس قاله ابن عطية ^٣ والزمخشري ^٤ ، وكأنه قال : فأخرج به رزقاً لكم هو الثمرات ، وهذا ليس بجيد ؛ لأن من التي لبيان الجنس إنما تأتي بعد المبهم الذي تبينه ، وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون ﴿ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ مفعول أخرج ، ورزقاً حالاً من المفعول أو نصباً على المصدر من أخرج ؛ لأنه في معنى رزق ^٥ . وقيل : من زائدة ، وهذا لا يجوز عند جمهور البصريين ؛ لأن ما قبلها واجب ، وبعدها معرفة ، ويجوز عند الأخفش ^٦ .

_ في قوله تعالى ﴿ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنُجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٥٩] قال _ رحمه الله _ : « و ﴿ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ ﴾ يحتمل أن يكون استثناء من الضمير المستكن في مجرمين ، والتقدير أجرموا كلهم إلا آل لوط ، فيكون استثناء متصلاً ، والمعنى : إلا آل لوط فإنهم لم يجرموا ، ويكون

^١ _ كذا في المطبوع ، وفي المخطوط : (٦ / ورقة ١١) : (كسوته من عري) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٤) .

^٣ _ ينظر : المخرر الوجيز : (٣ / ٣٣٩) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٢) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٢) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤١٦) .

قوله ﴿ لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ استئناف إخبار عن نجاتهم ، وذلك لكونهم لم يجرموا ، ويكون حكم الإرسال منسحباً على قوم مجرمين ، وعلى آل لوط ؛ لإهلاك هؤلاء ، وإنحاء هؤلاء ، والظاهر أنه استثناء منقطع^١ .

— في قوله تعالى ﴿ يُنْزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَآءُ مِنْ عِبَادٍ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة النحل : ٢] قال : « و ﴿ أَنْ ﴾ مصدرية ، وهي التي من شأنها أن تنصب المضارع .. ، وقال الزمخشري : و ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا ﴾ بدلاً من الروح ، أي : ننزلهم بأن أنذروا ، وتقديره : ﴿ أَنْذِرُوا ﴾ أي بأن الشأن أقول لكم ﴿ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾^٢ انتهى ، فجعلها المخفف من الثقيلة ، وأضمر اسمها ، وهو ضمير الشأن .. ، وجوز ابن عطية^٣ وأبو البقاء^٤ .. أن تكون مفسرة^٥ . إلى غير ذلك من المواضع التي يتبين فيها عناية أبي حيان — رحمه الله — ببيان معاني الحروف والأدوات .

رابعاً : عنايته بالإعراب .

اهتم بعض المفسرين ببيان وجوه الإعراب ، فبعضهم ذكره في ثنايا تفسيره ، وبعضهم ألف فيه ، وهي كتب إعراب القرآن ، وهو علم يؤخذ من علم النحو ، وفائدته : أنه يبين المعنى ، ويميز المعاني ، ويوقف على أغراض المتكلمين^٦ .

والمتكلم في هذا العلم عليه مراعاة عدة أمور ، منها :

١ — أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه ، مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب ؛ فإن الإعراب فرع المعنى .

٢ — أن يتجنب الأمور البعيدة ، والأوجه الضعيفة ، واللغات الشاذة ؛ فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش .

^١ — المرجع السابق : (٤٤٧ / ٥) .

^٢ — ينظر : الكشاف : (٤٢٣ / ٣) .

^٣ — ينظر : المحرر الوجيز : (٣٧٨ / ٣) .

^٤ — ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٣) .

^٥ — البحر المحيط : (٤٥٩ / ٥) .

^٦ — ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٧٧) ، والإتقان في علوم القرآن : (٢ / ٢٦٠) .

٣ _ أن يتجنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى ، أو التكرار ، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل
كقولهم : الباء زائدة ونحوه ، مرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها ، لا أنه لا فائدة فيه أصلاً ؛ فإن
ذلك لا يحتمل من متكلم ، فضلاً عن كلام الحكيم .

٤ _ تجنب الأعراب التي هي خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام .

٥ _ تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة ، ولا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة في شعر امرئ
القيس^١ وغيره .

٦ _ البحث عن الأصلي والزائد في الكلمة^٢ .

وقد اعتنى أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ ببيان وجوه الإعراب عناية فائقة ، فذكر الأقوال في
ذلك مع المناقشة لها والترجيح ، وبيان الضعيف منها ، مع ذكر للقواعد النحوية ، والإحالة في
تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو ، وبيان لما أجمع عليه علماءهم ، مع عدم الخروج عن
إجماعهم إلا بدليل بين ، فمن ذلك :

_ في قوله تعالى ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ ﴾ [سورة الرعد : ١٠] قال : « وأعربوا ﴿ سَوَاءٌ ﴾ خير مبتدأ أو
﴿ مِّنْ أَسْرٍ ﴾ ، والمعطوف عليه مبتدأ ، ويجوز أن يكون ﴿ سَوَاءٌ ﴾ مبتدأ ؛ لأنه موصوف بقوله
﴿ مِّنْكُمْ ﴾ ومن المعطوف الخير ، وكذا أعرب سيبويه قول العرب : سواء عليه الخير والشر ، وقول
ابن عطية إن سيبويه ضعف ذلك بأنه ابتداء بنكرة^٣ ، وهو لا يصح^٤ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة الرعد : ٢٢] قال : « وانتصب
(ابتغاء) قيل : على أنه مصدر في موضع الحال ، والأولى أن يكون مفعولاً لأجله ، أي : إن صبرهم
هو لا ابتغاء وجه الله خالصاً لا لرجاء أن يقال : ما أصبره ، ولا مخافة أن يعاب بالجزع أو تشمت به
الأعداء ، ... ولأن الجزع لا طائل تحته ، أو يعلم أنه لا مرد لما فات ولا لما وقع^٥ .

^١ _ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الملك بن عمرو ، من شعراء الجاهلية ، بين مولد النبي _ صلى الله عليه
وسلم _ وبين موت امرئ القيس خمساً وخمسين سنة . ينظر : بغية الطلب في تاريخ حلب : (٤ / ١٩٩١ -
١٩٩٧) ، و تاريخ مدينة دمشق : (٩ / ٢٢٢ - ٢٣٢) .

^٢ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٧٨ - ٣٨٣) ، والإتقان في علوم القرآن : (٢ / ٢٦١ - ٢٦٨) ،
(، وقد زاد أموراً أخرى غير ما ذكر .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٢٢٩) .

^٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٢) .

^٥ _ المرجع السابق : (٥ / ٣٧٦ - ٣٧٧) .

— في قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ ۖ أَرَأَيْتُمُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة النحل : ٣٠] قال — رحمه الله — : «
تقدم إعراب (ماذا) ، إلا أنه إذا كانت ذا موصولة لم يكن الجواب على وفق السؤال ؛ لكون ماذا
مبتدأ وخبراً ، أو الجواب نصب ، وهو جائز ، ولكن المطابقة في الإعراب أحسن»^١ .



^١ — المرجع السابق : (٥ / ٤٧٣) .

خامساً : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني .

أ _ عنايته بأساليب اللغة والتركيب :

قال الزركشي عن أساليب تركيب اللغة : « وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة :

الأول : باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابلة من حيث إنها مؤدية أصل المعنى ، وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع ، وذلك متعلق بعلم النحو .

الثاني : باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى ، أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء ، وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني .

الثالث : باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها ، وباعتبار الحقيقة والحجاز ، والاستعارة والكناية والتشبيه ، وهو ما يتعلق بعلم البيان .

الرابع : باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله ، وهو يتعلق بعلم البديع»^١ .

ومما ذكره أبو حيان _ رحمه الله في ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [سورة الرعد : ٣٠] قال _ رحمه الله _ : « الظاهر أن الضمير في قوله ﴿ وَهُمْ ﴾ عائد على أمة المرسل إليهم الرسول ، إعادة على المعنى ؛ إذ لو أعاد على اللفظ لكان التركيب وهي تكفر ، والمعنى أرسلناك إليهم ، وهم يدينون دين الكفر ، فهدى الله بك من أراد هدايته»^٢ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ [سورة الرعد : ٣٣] قال : « ثم أمره تعالى أن يقول لهم : سموهم ، أي اذكروهم بأسمائهم ، والمعنى : أنهم ليسوا ممن يذكر ويسمى إنما يذكر ويسمى من هو ينفع ويضر ، وهذا مثل من يذكر لك أن شخصاً يوقر ويعظم وهو عندك لا يستحق ذلك ، فتقول لذاكره : سمه حتى أبين لك زيفه وأنه ليس كما تذكر ، وقريب من هذا قول من قال في قوله ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ : إنما يقال ذلك في الشيء المستحقر ، الذي يبلغ في الحفارة إلى أن لا يذكر ، ولا يوضع له اسم ، فعند ذلك يقال له : سمه إن شئت ، أي : هو أحسن من أن يذكر ويسمى ، ولكن إن شئت أن تضع له اسماً فافعل ، فكأنه قال سموهم بالآلهة على جهة التهديد ،

^١ _ البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٧٣) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٨١) .

والمعنى سواء سميتموهم بهذا الاسم أم لم تسموهم به فإنها في الحقارة بحيث لا يستحق أن يلفت العاقل إليها»^٢ .

— في قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم : ٧] قال — رحمه الله — : «وجاء التركيب على ما عهد في القرآن من أنه إذا ذكر الخبر أسند إليه تعالى ، وإذا ذكر العذاب بعده عدل عن نسبه إليه فقال ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ، فنسب الزيادة إليه ، وقال ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ، ولم يأت التركيب (لأعذبنكم) ، وخرج في ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ بالمفعول ، وهنا لم يذكر وإن كان المعنى عليه ، أي : إن عذابي لكم لشديد»^٣ .

— في قوله تعالى ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٦] قال — رحمه الله — : «﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ أي : على ديني وما أنا عليه فإنه مني ، جعله لفرط الاختصاص به وملاسته ، ... ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ هذا فيه طباق معنوي ؛ لأن التبعية طاعة»^٤ .

— في قوله تعالى ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة الحجر : ٤١] قال — رحمه الله — : «والعرب تقول طريقك في هذا الأمر على فلان ، أي : إليه يصير النظر في أمرك»^٥ .

ب _ عنايته بالبلاغة :

يعتبر علم البديع والبيان من أهم أركان التفسير ؛ فإنه لا بد للمفسر من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، من الحقيقة والمجاز ، وتأليف النظم ، وأن يؤاخي بين الموارد ، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك ، ولا طريق إلى تحصيله لذوى الفطر السليمة إلا إتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما ، وبه يعرف كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح^٦ .

^١ — كذا في المطبوع ، وفي المخطوط : (٦ / ورقة ٢٥) : (يلتفت) .

^٢ — البحر المحيط : (٥ / ٣٨٥) .

^٣ — المرجع السابق : (٥ / ٣٩٦) .

^٤ — المرجع السابق : (٥ / ٤٢٠) .

^٥ — البحر المحيط : (٥ / ٤٤١) .

^٦ — ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٣٨٧) .

وقد اهتم أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ ببيان دقائق الآداب من بديع وبيان ، وذكر للأساليب
البلاغية ، فمن ذلك :

_ في قوله تعالى ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِآيِلٍ
وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴾ [سورة الرعد : ١٠] قال _ رحمه الله _ : « وقال ابن عباس : ﴿ مُسْتَخْفٍ
﴿ مستتر ، و ﴿ وَسَارِبٍ ﴾ ظاهر . وقال مجاهد : ﴿ مُسْتَخْفٍ ﴾ بالمعاصي ، وتفسير الأخفش
وقطرب المستخفي هنا بالظاهر ، وإن كان موجوداً في اللغة ينبو عنه اقترانه بالليل ، واقتران السارب
بالنهار وتقابل الوصفان في قوله ﴿ مَّنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ ﴾ إذ قابل من أسر القول ، وفي قوله ﴿
سَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴾ ؛ إذ قابل ومن جهر به »^١ .

_ في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ [سورة
الرعد : ١٢] قال _ رحمه الله _ : « وعن ابن عباس وغيره أنه كنى بالبرق عن الماء لما كان المطر
يقاربه غالباً ، وذلك من باب إطلاق الشيء مجازاً على ما يقاربه غالباً »^٢ .
_ في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَرَأْنَاهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْؤًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [سورة النحل : ٥٨]
[قال _ رحمه الله _ : « واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والتكبر والنفرة التي لحقت بولادة
الأنثى »^٣ .



^١ _ البحر المحيط : (٣٦٢ / ٥) .

^٢ _ البحر المحيط : (٣٦٥ / ٥) .

^٣ _ المرجع السابق : (٤٨٨ / ٥) .

المطلب الثاني : عنايته بالمناسبات .

إن معرفة المناسبة بين الآيات والسور علم شريف تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ، وقد أفردته بعض العلماء بالتأليف^١ .

والمناسبة في اللغة : المقاربة والمشاكلة ، وفلان يناسب فلاناً ، أي : يقرب منه ، ويشاكله ، ومنه النسب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه ، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة ، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس : الوصف المقارب للحكم ؛ لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ، ولهذا قيل المناسبة أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها _ والله أعلم _ إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي ، وغير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين ، والضدين ونحوه ، أو التلازم الخارجي كالترتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر^٢ .

وفائدته : جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء^٣ .

ومعرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست أمراً توقيفياً ، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه بلاغة القرآن ، وأوجه بيانه ، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى ، منسجمة مع السياق ، متفقة مع الأصول اللغوية ، كانت مقبولة لطيفة^٤ .

وقد اعتنى أبو حيان بذكر المناسبات بين الآيات بعضها ببعضها ، وبين السور ، ومن الأمثلة على ذلك :

أولاً : ما ذكره بين السور من المناسبات :

_ قال في مناسبة سورة إبراهيم بعد الرعد : « وارتباط أول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جداً ؛ لأنه ذكر فيها ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَنَا ﴾ [سورة الرعد : ٣١] ، ثم ﴿ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [سورة الرعد : ٣٧] ، ثم ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد : ٤٣] ، فناسب هذا قوله ﴿ أَلَمْ يَكْتُبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة إبراهيم : ١] ، وأيضاً فإنهم لما قالوا على سبيل الاقتراح

^١ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٦١) ، ومباحث في علوم القرآن : (٩٧) .

^٢ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٦١ - ٦٢) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٣٢٣) .

^٣ _ ينظر : البرهان في علوم القرآن : (١ / ٦٢) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٣٢٣) .

^٤ _ ينظر : مباحث في علوم القرآن : (٩٧) .

﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [سورة الرعد : ٢٧] وقيل له ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَآءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ [سورة الرعد : ٢٧] أنزل ﴿ أَلَمْ يَكْتُبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة إبراهيم : ١] كأنه قيل : أو لم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات هي الضلال إلى النور وهو الهدى »^١ .

— في مناسبة سورة الحجر بعد سورة إبراهيم قال — رحمه الله — : « ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر في آخر السورة قبلها أشياء من أحوال القيامة من تبديل السموات والأرض وأحوال الكفار في ذلك اليوم وأن ما أتى به هو على حسب التبليغ والإنذار ابتداءً في هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس وأحوال الكفرة وودادهم لو كانوا مسلمين »^٢ .

— قال في مناسبة سورة النحل بعد سورة الحجر : « ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال ﴿ فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَلَنَّهْمَ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٩٢] كان ذلك تنبيهاً على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما أجرموه في دار الدنيا ، فقيل ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ١] »^٣ .

ثانياً ما ذكره من المناسبات بين الآيات بعضها ببعض :

— في قوله تعالى ﴿ لَهُ عَوَّةٌ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ [سورة الرعد : ١٤] قال — رحمه الله — : « ولما ذكر تعالى جدال الكفار في الله تعالى ، وكان جدالهم في إثبات آلهة معه ، ذكر تعالى أنه له الدعوة الحق ، أي : من يدعو له فدعوته هي الحق بخلاف أصنامهم التي جادلوا في الله لأجلها فإن دعائها باطل لا يتحصل منه شيء فقال ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ [سورة الرعد : ١٤] »^٤ .

— في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَكْتُبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سورة إبراهيم : ١] قال : « ولما ذكر علة إنزال الكتاب وهي قوله ﴿ لِتُخْرِجَ ﴾ قال ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي ذلك الإخراج بتسهيل مالكم الناظر في مصالحهم ، إذ هم عبده ، فناسب ذكر الرب هنا تنبيهاً على منة المالك وكونه ناظراً في حال عبده »^٥ .

^١ — البحر المحيط : (٣٩٢ / ٥) .

^٢ — المرجع السابق : (٤٣٢ / ٥) .

^٣ — المرجع السابق : (٤٥٨ / ٥) .

^٤ — البحر المحيط : (٣٦٨ / ٥) .

^٥ — المرجع السابق : (٣٩٢ / ٥) .

— في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة الحجر : ١١] قال
— رحمه الله _ : « لما ذكر تعالى استهزاء الكفار به _ عليه السلام _ ونسبته إلى الجنون واقتراح
نزول الملائكة سلاه تعالى بأن من أرسل من قبلك كان ديدن الرسل إليهم مثل ديدن هؤلاء
معك »^١ .

— في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة النحل : ٤] قال _
رحمه الله _ : « ولما ذكر ما دل على وحدانيته من خلق العالم العلوي والأرض وهو استدلال
بالخارج ذكر الاستدلال من نفس الإنسان فذكر إنشاءه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وكان حقه
والواجب عليه أن يطيع وينقاد لأمر الله »^٢ .

^١ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٣٥) .

^٢ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٦٠) .

المطلب الثالث : عنايته بأسرار التعبير .

إن استنباط أسرار التعبير في الكلام يحتاج إلى فهم عميق لكتاب الله تعالى ، وبراعة في اللغة والبلاغة ، وقد أوتي أبو حيان _ رحمه الله _ كلا الأمرين ، مما جعل له عناية باستخراج أسرار التعبير في كثير من الآيات ، ومن ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد : ٢٢] قال : « ونبه على هاتين الخصلتين العبادة البدنية والعبادة المالية ؛ إذ هما عمود الدين ، والصبر عليهما أعظم صبر ؛ لتكرر الصلوات ؛ ولتعلق النفوس بحب تحصيل المال ، ونبه على حالتي الإنفاق ، فالسر أفضل حالات إنفاق التطوع ، كما جاء في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «) ورجل تصدق بصدقة فأخفاها »^١ ، والعلانية أفضل حالات إنفاق الفروض ؛ لأن الإظهار فيها أفضل «^٢ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَعَنِيَّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ٨] قال _ رحمه الله _ : « ثم نبه موسى _ عليه السلام _ قومه على أن الباري تعالى وإن أوعد بالعذاب الشديد على الكفر فهو غير مفتقر إلى شكركم ؛ لأنه تعالى هو الغني عن شكركم ، الحميد المستوجب الحمد على ما أسبغ من نعمه وإن لم يحمده الحامدون ، فثمره شكركم إنما هي عائدة إليكم ، و ﴿ أَنْتُمْ ﴾ خطاب لقومه وقال ﴿ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني الناس كلهم ؛ لأن من كان في العالم العلوي وهم الملائكة لا يدخلون في من في الأرض ، وجواب ﴿ إِنَّ تَكْفُرُوا ﴾ محذوف ؛ لدلالة المعنى التقدير : فإنما ضرر كفركم لاحق بكم والله تعالى متصف بالغني المطلق

^١ _ أخرجه البخاري في صحيحه : (٥١٧ / ٢) ، باب الصَّدَقَةِ بِالْيَمِينِ ، ح رقم : (١٣٥٧) ، وباب فضل من ترك الفواحش ، ح رقم : (٦٤٢١) ، (٢٤٩٦ / ٦) ، ومسلم في صحيحه : (٩٨٣ / ٢) ، باب : فضل إخفاء الصدقة ، ح رقم : (١٠٣١) .

^٢ _ البحر المحيط : (٣٧٧ / ٥) .

والحمد سواء كفروا أم شكروا ، وفي خطابه لهم تحقير لشأنهم ، وتعظيم لله تعالى ، وكذلك في ذكر هاتين الصفتين»^١ .

٤ _ في قوله تعالى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَآءُ مِنْ عِبَادٍ ۖ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ . خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُرْكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٢ - ٣] قال _ رحمه الله _ : « وجاءت الحكاية على المعنى في قوله ﴿ إِلَّا أَنَا ﴾ ، ولو جاءت على اللفظ لكان لا إله إلا الله ، وكلاهما سائغ ، وحكاية المعنى هنا أبلغ ؛ إذ فيها نسبة الحكم إلى ضمير المتكلم المتزل ﴿ الْمَلَائِكَةَ ﴾ ، ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض ، وهم مقرون بأنه تعالى هو خالقها»^٢ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٤ - ٦٥] قال _ رحمه الله _ : « لما ذكر إنزال الكتاب للتبيين كان القرآن حياة الأرواح ، وشفاء لما في الصدور من علل العقائد ؛ ولذلك ختم بقوله ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي : يصدقون ، والتصديق محله القلب ، فكذا إنزال المطر الذي هو حياة الأجسام وسبب لبقائها ، ثم أشار بإحياء الأرض بعد موتها إلى إحياء القلوب بالقرآن كما قال تعالى ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٢] ، فكما تصير الأرض خضرة بالنبات نضرة بعد همودها كذلك القلب يحيا بالقرآن بعد أن كان ميتاً بالجهل ، وكذلك ختم بقوله ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ هذا التشبيه المشار إليه ، والمعنى : سماع إنصاف وتدبر ، وملاحظة هذا المعنى والله أعلم لم يختتم بـ ﴿ لِّقَوْمٍ ﴾ يبصرون ، وإن كان إنزال المطر مما يبصر ويشاهد»^٣ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٩٦ / ٥) .

^٢ _ المرجع السابق : (٤٦٠ / ٥) .

^٣ _ المرجع السابق : (٤٩١ / ٥) .

وبعد فهذه بعض أهم النقاط التي في منهج هذا المفسر الجليل _ رحمه الله _ نجد فيها دقته ،
وبراعته في عرض تفسيره ، وتدرجه في بيان معاني القرآن الكريم ، مع تمكن في الشرح والتوضيح ،
والتزام بالمنهج في معظم الكتاب _ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته _ .

الفصل الثاني منهج أبي حيان في الترجيح

في التفسير

وفيه تمهيد ، ومبحثان :

التمهيد : تعريف التعارض ، و الترجيح .

المبحث الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان الأندلسي .

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي .

تمهيد

تعريف التعارض ، و الترجيح .

أولاً : تعريف التعارض :

التعارض في اللغة : هُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ الْعُرْضِ - بِضَمِّ الْعَيْنِ - وَهُوَ النَّاحِيَةُ وَالْجِهَةُ ، وَكَأَنَّ الْكَلَامَ الْمُتَعَارِضَ يَقِفُ بَعْضُهُ فِي عُرْضِ بَعْضٍ ، أَي : نَاحِيَتِهِ وَجِهَتِهِ ، فَيَمْنَعُهُ مِنَ التَّفُؤُذِ إِلَى حَيْثُ وَجَّهَ ، وَيُقَالُ : عَارِضُهُ بِمَثَلِ مَا صَنَعَ ، أَي : أَتَى إِلَيْهِ بِمَثَلِ مَا أَتَى ، وَ عَارِضَ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ ، أَي : قَابِلُهُ^١ .

وفي الاصطلاح : تَقَابُلُ الدَّلِيلَيْنِ عَلَى سَبِيلِ الْمُمَانَعَةِ^٢ .

ثانياً : تعريف الترجيح :

الترجيح لغة : يُقَالُ : رَجَحَ الْمِيزَانَ يَرْجِحُ وَيَرْجَحُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ رَجْحَانًا فِيهِمَا ، أَي : مَالَ ، وَرَجَحَ الشَّيْءَ بِيَدِهِ رَزَنَهُ وَنَظَرَ مَا ثَقَلَهُ^٣ .
والترجيح عند الأصوليين : تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى للدليل^٤ .

^١ - ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه : (٤ / ٤٠٧) ، ومختار الصحاح : (١ / ١٧٨) .

^٢ - ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه : (٤ / ٤٠٧) .

^٣ - ينظر : لسان العرب : (٢ / ٤٤٥) ، ومختار الصحاح : (١ / ٩٩) .

^٤ - ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه : (٤ / ٤٢٥) .

قال الزركشي : « وَالْقَصْدُ مِنْهُ - أَي : التَّرْجِيحُ - تَصْحِيحُ الصَّحِيحِ ، وَإِبْطَالُ البَاطِلِ ، اعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْصَبْ عَلَى جَمِيعِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ أُدْلَةٌ قَاطِعَةٌ ، بَلْ جَعَلَهَا ظَنِّيَّةً قَصْدًا لِلتَّوَسُّعِ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ ، لِئَلَّا يَنْحَصِرُوا فِي مَذْهَبٍ وَاحِدٍ ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْأُدْلَةُ الظَّنِّيَّةُ ، فَقَدْ تُعَارِضُ بِعَارِضٍ فِي الظَّاهِرِ بِحَسَبِ جَلَائِهَا وَخَفَائِهَا ، فَوَجِبَ التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا وَالْعَمَلُ بِالْأَقْوَى ، وَالدَّلِيلُ عَلَى تَعَيُّنِ الْأَقْوَى أَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَ دَلِيلَانِ أَوْ أَمَارَتَانِ ، فَإِمَّا أَنْ يَعْمَلَ جَمِيعًا ، أَوْ يُلْعَبَا جَمِيعًا ، أَوْ يُعْمَلَ بِالْمَرْجُوحِ وَالرَّاجِحِ وَهَذَا مُتَعَيَّنٌ »^١ .

والتَّرجيحُ في التفسير : هو تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية للدليل ، أو قاعدة تقويه ، أو لتضعيف ، أو ردِّ ما سواه^٢ .



^١ - البحر المحيط في أصول الفقه : (٤ / ٤٠٦) .

^٢ - ينظر : قواعد التفسير عند المفسرين : (١ / ٣٥) .

المبحث الأول صيغ الترجيح وأساليبه عند

أبي حيان الأندلسي

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التنصيص على القول الراجح .

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره .

المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر

الأقوال الأخرى بصيغة التمرير .

المطلب الأول : التنصيص على القول الراجح .

التنصيص على القول الراجح من أوضح طرق الترجيح عند المفسرين ، وقد تنوعت صيغ التنصيص على القول الراجح عند أبي حيان _ رحمه الله _ في عدة طرق ، منها :

١ _ التصريح باختيار أحد الأقوال في تفسير الآية :

كقوله :

_ الذي أختاره^١ .

٢ _ التصريح بتصحيح أو تصويب أحد الأقوال :

كقوله :

_ والصحيح^٢ .

_ والصواب^٣ .

٣ _ التنصيص على تحسين قول ، وتفضيله على غيره :

كقوله :

_ هو الأولى^٤ .

_ أولى^٥ .

_ الأولى^٦ .

_ الأظهر القول الأول^٧ .

_ أرجح^٨ .

_ ويرجح القول الأول^٩ .

^١ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٣١ / ٥) .

^٢ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٤٢ / ٥) .

^٣ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٣٨ / ٥) .

^٤ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٣٦٣ / ٥) .

^٥ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٣٧٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠) .

^٦ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٣٩ / ٥) .

^٧ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٢٣ / ٥) .

^٨ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٣٨ / ٥) .

^٩ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٧٢ / ٥) .

ـ والظاهر القول الأول^١ .

ـ والأجود^٢ .

ـ والأول أظهر^٣ .

ـ وهذا الثاني عندي أظهر^٤ .

ـ وهذا التأويل أولى^٥ .

ـ والمناسب من هذه الأقوال هو الأول^٦ .

فهذه الصيغ ظاهرة في الدلالة على الرجح من الأقوال في تفسير الآية ، وإن كان بعضها أبين من بعض في بيان الرجح .



^١ ـ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٧) .

^٢ ـ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٧٨) .

^٣ ـ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٠) .

^٤ ـ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٢) .

^٥ ـ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤١٣) .

^٦ ـ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٩) .

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النصّ على ضعف غيره .

التفسير بقول مع النصّ على ضعف غيره يؤدي إلى حصر القول الرّاجح ، أو الأقوال الرّاجحة فيما عدا الأقوال المردودة ، وإن لم يبين المفسر اختياره وترجيحه .

قال ابن عبد البر^١ _ رحمه الله _ في اعتبار العلماء لهذه الطريقة في الترجيح بين الأقوال بقوله : « ولا خلاف بين أهل العلم والنظر أنّ المسألة إذا كان فيها وجهان ، فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما ، أنّ الحقّ في الوجه الآخر ، وأنه مستغن عن قيام الدليل على صحته ، بقيام الدليل على بطلان ضده »^٢ .

وفي تضعيف القول المرجوح طريقان :

الأول : التصريح بالنصّ على التضعيف ، بأن يكون فيه لفظ الضعف ، وما في معناه : كقول أبي

حيان _ رحمه الله _ :

_ وهو قول ضعيف^٣ .

_ ضعيف ، وأضعف منه^٤ .

_ وهذا بعيد^٥ .

_ ويبعد^٦ .

_ وأبعد من ذهب إلى^٧ .

_ وهذا بعيد جداً^٨ .

_ وهو بعيد^٩ .

_ ليس بصحيح^١ .

^١ _ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، أبو عمر ، الإمام ، شيخ الإسلام ، حافظ المغرب ، أحد الأعلام ، وصاحب التصانيف ، ولد سنة ٣٦٨ هـ ، توفي سنة ٤٦٣ هـ . ينظر : نفع الطيب : (٢٩ / ٩٩ - ١٠٠) ، وتذكرة الحفاظ : (٣ / ١١٢ - ١١٣) ، العبر في أخبار من غير : (٣ / ٢٥٧) .

^٢ _ التمهيد : (٢٠ / ١٩٩ - ٢٠٠) .

^٣ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٦ - ٣٦٧) .

^٤ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٩) .

^٥ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٠٣) .

^٦ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٧٠) .

^٧ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٥ ، ٤٥٢ ، ٤٧٢) .

^٨ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٢١) .

^٩ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٣) .

- ٢ _ ولا يصح .
- ٣ _ ووهم في ذلك .
- ٤ _ ويضعف هذا .
- ٥ _ ضعيف .
- ٦ _ ولا يصح هذا القول .
- ٧ _ ويضعف هذا القول .
- ٨ _ وهذا فيه بعد .
- ٩ _ ليس بجيد .

الثاني : ما لم يكن صريحاً في النصّ على التضعيف ، وذلك بذكر عبارة في سياق القول المرجوح تدلّ على ضعفه : وذلك كقول أبي حيان _ رحمه الله _ :
 _ وهو مخالف لما قد بيناه^{١٠} .



-
- ١ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٣١ / ٥) .
 - ٢ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٤٠ / ٥) .
 - ٣ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٣٢ / ٥) .
 - ٤ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٤٦ / ٥) .
 - ٥ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٤٨ / ٥) .
 - ٦ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٦٩ / ٥) .
 - ٧ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٧٨ / ٥) .
 - ٨ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٩١ / ٥) .
 - ٩ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٢٥ / ٥) .
 - ١٠ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٤٢٥ / ٥) .

المطلب الثالث : التفسير بالقول الرَّاجِح ، وذكره بصيغة الجَزْم ، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض .

استعمل العلماء هذه الصيغة في الترجيح ؛ وذلك باعتماد قول وذكره بصيغة الجزم ، كقال ، وروى ، وذكر فلان ، إشارة لترجيح هذا القول وتصويبه ، وأما الأقوال التي لم يعتمدوها فذكروها بصيغة التمريض ، كروى ، وقيل ، وذكر ، وما في معناها ، إشارة إلى تضعيفهم لها . وهذه الطريقة يعمل بها علماء الحديث في التصحيح والتضعيف بين الأقوال^١ .

وهذه الصيغة واضحة الدلالة على الترجيح والاختيار ، إلا أنها ليست في قوة الصيغ السابقة التي ينصّ فيها العالم على القول الرَّاجِح ، وبيان القول المرجوح ؛ لأن هذه الصيغة يكون فيها احتمال ، و الأقوال الأخرى قد يكون فيها وجه من الصحة .

وأبو حيان _ رحمه الله _ استعمل هذه الصيغة ، إلا أنه في الغالب يوجد في كلامه ما يشير إلى توجهه إلى القول الذي جزم به ، وأغلبها استعماله للفظه (الظاهر) :

كقوله _ رحمه الله _ :

١ _ والظاهر^٢ .

٢ _ ويظهر^٣ .

٣ _ والذي يظهر لي^٤ .

٤ _ والأظهر^٥ .

مثال ذلك : ما ذكره أبو حيان _ رحمه الله _ عند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ

بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴾ [سورة الحجر : ١٦] قال : « والظاهر أن الضمير في ﴿

وَزَيَّنَّاهَا ﴾ عائد على البروج ؛ لأنها المحدث عنها ، والأقرب في اللفظ ، وقيل : على السماء »^٦ .

^١ _ ينظر : الباعث الحثيث : (٨٦) ، والنكت على ابن الصلاح : (١ / ٣٢٦ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧) ، وأصول الحديث : (٣٥٧ _ ٣٥٨) .

^٢ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٨ ، ٤٥٤ ، ٤٦٦) .

^٣ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٣) .

^٤ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٤) .

^٥ _ ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : (٥ / ٤٦٠ ، ٤٨٨) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٣٧) .

كذلك ما ذكره عند قوله تعالى ﴿ فَأَخْلُوهَا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ .. ﴾ [سورة النحل : ٢٩]
قال : « والظاهر الأبواب حقيقة ، وقيل : المراد الدركات ، وقيل : الأصناف »^١ .
فهذه بعض الصيغ في الترجيح في التفسير ، والتي سار عليها أبو حيان في تفسيره ، واستخدمها في
ترجيحه بين الأقوال .



^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٢) .

المبحث الثاني وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي

وفيه أحد عشر مطلباً :

- المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .
- المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن .
- المطلب الثالث : الترجيح بالقراءات .
- المطلب الرابع : الترجيح بالسياق .
- المطلب الخامس : الترجيح بالحديث النبوي .
- المطلب السادس : الترجيح بأسباب التزول .
- المطلب السابع : الترجيح في النسخ والمنسوخ .
- المطلب الثامن : الترجيح بالعموم .
- المطلب التاسع : الترجيح بالمطلق .
- المطلب العاشر : الترجيح بالمفهوم .
- المطلب الحادي عشر : الترجيح باللغة .

المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .

من وجوه الترجيح التي استخدمها كثيراً أبو حيان _ رحمه الله _ في تفسيره ، الترجيح بالنظائر القرآنية ، وهو يعني : الترجيح بدلالة آية أو آيات قرآنية ، وهو وجه مقدم ومعتمد عند العلماء ، فعند الاختلاف في تفسير آية ، فإن كان أحد الدليلين موافقاً لظاهر القرآن فيقدم ؛ لأجل موافقته لآية أو آيات من كتاب الله ^١ ، كما أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على ما عدّم ذلك ^٢ . وقد رجح أبو حيان بين الأقوال في تفسيره باستخدام النظائر القرآنية في مواضع عدة ، ومن ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الرعد : ١٣] قال _ رحمه الله _ : « والظاهر إسناد التسبيح إلى الرعد ، فإن كان يصح منه التسبيح ، فهو إسناد حقيقي ، وإن كان مما لا يصح منه ، فهو إسناد مجازي ، وتنكيره في قوله ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٩] ينفي أن يكون علماً ملك ^٣ .

_ في قوله تعالى ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [سورة النحل : ٤٦] قال _ رحمه الله _ : « والأخذ هنا : الإهلاك ، كقوله ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٠] » ^٤ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦١] قال _ رحمه الله _ : « والظاهر عموم ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ فيهلك الصالح بالطالح فكان يهلك جميع ما يدب على الأرض حتى الجعلان في جحرها قاله ابن مسعود ... وهذا نظير ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً ﴾ [سورة الأنفال : ٢٥] الآية ^٥ .

^١ _ ينظر : المنحول من تعليقات الأصول لأبي حامد الغزالي : (٤٣١ - ٤٣٢) ، والبحر المحيط في أصول الفقه للزرکشي : (٤ / ٤٦٩) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ، للحري : (١ / ٣١٢) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٦) .

^٤ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٧٩) .

^٥ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٩٠) .



المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن .

إن ألفاظ القرآن ثلاثة أقسام :

- ١ _ نصوص لا تحمل إلا معنى واحداً ، فهي تفيد اليقين بمدلولها قطعاً ، ولا يعدل عنها إلا بنسخ ، وعامة ألفاظ القرآن من هذا الضرب .
- ٢ _ ظواهر تحمل غير معناها احتمالاً بعيداً مرجوحاً ، ولكن قد اطرقت في موارد استعمالها على معنى واحد ، فحرت مجرى النصوص التي لا تحمل غير مسماتها ، ولا يعدل عنها إلا بدليل على قصد المحتمل المرجوح .

٣ _ ألفاظ مجملة تحتاج إلى بيان ، ويتوقف عن العمل بها إلا بدليل على تعيين المراد^١ .
والأصل في نصوص القرآن والسنة أن تحمل على ظواهرها ، وتفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ ، ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظواهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه ؛ لأنه لا يُعرف مراد المتكلم إلا بالألفاظ الدالة عليه ، والأصل في كلامه وألفاظه أن يكون دالاً على ما في نفسه من المعاني ، وليس لنا طريق لمعرفة مراده غير كلامه وألفاظه ، وكل تفسير ليس مأخوذاً من ظاهر ألفاظ الآية وسياقها فهو ردٌّ على صاحبه^٢ .

والظَّاهر لغة : الظاء والماء و الراء أصل صحيح واحد يدل على قوّة وبروز . من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر إذا انكشف وبرز ، وبذلك سُمّي وقت الظهر الظهيرة ، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها ، والأصل فيه كَلَّه ظهر الإنسان ، وهو خلاف بطنه ، وهو يجمع البروز والقوة ، فالظاهر : ضد الباطن ، وظَهَرَ الشيء إذا تبين ، وأظهرته : بينته : والظُّهور : بدو الشيء الخفي^٣ .

والظَّاهر اصطلاحاً : ما دلّ على معنى ، واحتمل غيره احتمالاً مرجوحاً^١ .

^١ - ينظر : الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية : (٢ / ٦٧٠ - ٦٧٢) ، ومذكورة في أصول الفقه : (٢١١) ، والمستصفي من علم الأصول : (٣ / ٨٤) ، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد : (١ / ٣٩٨ - ٣٩٩) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٩٥) .

^٢ - ينظر : المنحول : (٤٣٢) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

^٣ - ينظر : معجم مقاييس اللّغة : (٣ / ٤٧١) ، مختار الصحاح : (١ / ١٧١) ، ومفردات ألفاظ القرآن : (٥٤٠) ، ولسان العرب : (٤ / ٥٢٣) ، مادة : ظهر .

^١ - ينظر : البحر المحيط ، للزركشي : (٣ / ٢٥) ، والبرهان في علوم القرآن : (٢ / ٢٣٤) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٩٥) .

وفي البحر المحيط يكثر استعمال أبي حيان للفظ الظاهر ، ومن ذلك ما يلي :

— في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن قَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [سورة الرعد : ٣١] قال — رحمه الله — : «
والكفار عام في جميع الكفار ، وهذا الأمر مستمر فيهم إلى يوم القيامة ، قاله الحسن ... ، أو هو ظاهر اللفظ»^١ .

— في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَرَمِيمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرْبِِينَ ﴾ [سورة النحل : ٦٦] قال — رحمه الله — : «والذي يظهر من لفظ الآية أن اللبن يكون وسطاً بين الفرث والدم ، والبينية يحتمل أن تكون باعتبار المكانية حقيقة كما قاله المفسرون»^٢ .



^١ — البحر المحيط : (٥ / ٣٨٤) .

^٢ — المرجع السابق : (٥ / ٤٩٤) .

المطلب الثالث : الترجيح بالقراءات .

الترجيح بالقراءات من الأوجه المعتمدة عند المفسرين في تعضيد الأقوال المختارة ، وقد قرر بعض العلماء أن تعدد القراءات بمثابة تعدد الآيات .

قال ابن تيمية _ رحمه الله _ : « فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق ، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها »^١ .

وقال النَّحَّاس _ رحمه الله _ : « إذا قرئ الحرف على وجوه ، فهو منزلة آيات ، كل واحدة تفيد معنى »^٢ .

فمضى ثبتت القراءة فلا يجوز ردها ، أو رد معناها^٣ .

وأما القصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة ، وتبيين معانيها ، وأدنى ما يستنبط من علم هذه الحروف معرفة صحة التأويل^٤ .

وقد استعمل أبو حيان _ رحمه الله _ القراءات في ترجيحه بين الأقوال ، ومن ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [سورة الرعد : ١٤] قال _ رحمه الله _ : « فالضمير في ﴿ يَدْعُونَ ﴾ عائد على الكفار ، والعائد على ﴿ الَّذِينَ ﴾ محذوف ، أي : يدعونهم ، ويؤيده قراءة من قرأ بالتاء في (تدعون) »^٥ .

^١ _ مجموع الفتاوى : (١٣ / ٣٩١) .

^٢ _ إعراب القرآن : (٤ / ١٨٠) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح : (١ / ٨٩) .

^٤ _ البرهان في علوم القرآن : (١ / ٤١٢ - ٤١٣) .

^٥ _ وهي قراءة شاذة ؛ لأنني لم أجد لها في النشر .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٨) .

— في قوله تعالى ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم : ١٥] قال — رحمه الله — : «والظاهر أن الضمير في ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ عائد على الأنبياء ، أي : استنصروا الله على أعدائهم ، ويقوي عود الضمير على الرسل خاصة قراءة ... (واستفتحو) بكسر التاء ^١ ، أمراً للرسول معطوفاً على ﴿لَنُهْلِكَنَّ﴾ ، أي : أوحى إليهم ربه ، وقال لهم : ليهلكن ، وقال لهم : استفتحو ، أي : اطلبوا النصر ، وسلوه من ربكم » ^٢ .

٤ — في قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [سورة الحجر : ٦٦] قال — رحمه الله — : «وقرأ الأعمش وزيد بن علي (إن دابر) ^٣ بكسر الهمزة ، لما ضمن ﴿قَضَيْنَا﴾ معنى أوحينا ، فكان المعنى : أعلمنا ، علق الفعل فكسر إن ، أو لما كان القضاء بمعنى : الإيحاء ، معناه القول كسر إن ، ويؤيده قراءة عبد الله (وقلنا إن دابر) ، وهي قراءة تفسير لا قرآن لمخالفتها السواد » ^٤ .



^١ — وهي قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، وابن محيصن ، وهي قراءة شاذة . ينظر : المحتسب : (١ / ٣٥٩) .

^٢ — البحر المحيط : (٥ / ٤٠١) .

^٣ — وهي قراءة شاذة ؛ لأنني لم أجدها في النشر .

^٤ — البحر المحيط : (٥ / ٤٤٩) .

المطلب الرابع : الترجيح بالسياق .

دلالة سياق الآيات من الأمور المهم مراعاتها في تفسير الآيات ؛ وذلك لأنها ترشد إلى تبين الجمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظيره ، وغالط في مناظراته^١ .
ومن أولى ما يرجح به بين الأقوال ما دلّ عليه سياق الكلام ، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمّله على أحدهما أوضح وأشدّ موافقة للسياق ، كان الحمل عليه أولى^٢ .
فالسياق يرشد إلى تبين الجملات ، وترجيح الاحتمالات ، وتقرير الواضحات ، وكلّ ذلك بعرف الاستعمال^٣ .

والسياق لغة : هو حدو الشيء ، يقال : ساقه يسوقه سوقاً ، والسيقة : ما استيق من الدواب ، ويقال : سقت إلى امرأتى صداقها وأسقتّه ، والمساقفة : المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً ، يقال : ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة ، أي بعضهم على إثر بعض ، ليس بينهم جارية^٤ .
والسياق اصطلاحاً : بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يُخرجه عن السياق واللحاق إلاّ بدليل صحيح يجب التسليم له^٥ .

فالسّياق هو الكلام السابق واللاحق للمتكلم الذي أورده في كلامه ليبدل على معنى معين .
فلسّياق القرآني جزءان إلى : سياق ، ولحاق .

فالسّباق لغة : ما قبل الشيء ، ومادة "سَبَق" تدل على التقديم ، وعلى هذا فالسّبق يعني : التّقدّم^٦ .

والسّباق اصطلاحاً : الكلام الذي يبين معنى ما بعده^٧ .

^١ — ينظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي : (٢ / ٢١٨) .

^٢ — الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز : (٢٢٠) .

^٣ — البحر المحيط في الأصول : (٦ / ٥٢) .

^٤ — ينظر : معجم مقاييس اللغة : (٣ / ١١٧) ، ولسان العرب : (١٠ / ١٦٦ — ١٦٩) ، ومختار الصحاح : (١ / ١٣٥) ، مادة : ساق .

^٥ — ينظر : دلالة السّياق القرآني وأثرها في التفسير : (١ / ٦٢) .

^٦ — ينظر : معجم مقاييس اللغة : (٣ / ١٢٩) ، والكليات : (٥٠٨) .

^٧ — ينظر : دلالة السّياق القرآني وأثرها في التفسير : (١ / ٦٤) .

أما اللّحاق لغة : مصدر لحق يلحق لحاقاً ، وهو إدراك شيء وبلوغه إلى غيره ، يقال : لحق فلان فلاناً ، فهو لاحق^١ .

واللّحاق اصطلاحاً : الكلام الذي يبين معنى ما قبله^٢ .

وقد استخدم أبو حيّان - رحمه الله - هذا الوجه في الترجيح بين الأقوال ، فمن ذلك :
_ في قوله تعالى ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِيَّتِ فِي ذَلِكَ لَأَيَّتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٥] قال _ رحمه الله _ : « و (أيام الله) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : نعم الله عليهم ... ، وعن ابن عباس أيضاً ومقاتل وابن زيد : وقائعه ونقماته في الأمم الماضية ، وعن ابن عباس أيضاً : نعمائه وبلاؤه ، والإشارة بقوله ﴿ إِيَّتِ فِي ذَلِكَ ﴾ إلى التذكير بأيام الله ، و ﴿ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ صفتا مبالغة ، وهما مشعرتان بأنّ (أيام الله) المراد بهما : بلاؤه ونعمائه ، أي : صبار على بلائه ، شكور لنعمائه ، فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم ، أو بما أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر إذا أصابه بلاء ، ومن الشكر إذا أصابته نعماء^٣ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ١٧] قال _ رحمه الله _ : « ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ ﴾ أي : أسبابه ، والظاهر أنّ قوله ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ معناه : من الجهات الست ، وذلك لفظيخ ما يصيبه من الآلام ، ... والظاهر أنّ هذا في الآخرة ، وقال الأخفش : أراد البلايا التي تصيب الكافر في الدنيا سماها موتاً ، وهذا بعيد ؛ لأنّ سياق الكلام يدل على أنّ هذا من أحوال الكافر في جهنم^٤ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [سورة الحجر : ٤] قال _ رحمه الله _ : « والظاهر أنّ الكتاب المعلوم : هو الأجل الذي كتب في اللوح وبين ، ويدل على ذلك ما بعده _ يعني قوله تعالى ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٥] _ «^٥ .

^١ _ ينظر : معجم مقاييس اللغة : (٥ / ٢٣٨) ، ولسان العرب : (١٠ / ٣٢٧) ، ومختار الصحاح : (١ / ٢٤٧) ، مادة "الحق" .

^٢ _ ينظر : دلالة السّياق القرآني وأثرها في التفسير (١ / ٦٥) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٩٥) .

^٤ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٠٣) .

^٥ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٣٤) .

– في قوله تعالى ﴿ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَّسِي أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٥] قال – رحمه الله – : « وسبلاً : طرقاً إلى مقاصدكم ، ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ بالسبيل إلى مقاصدكم ، هذا هو الظاهر ، ويدل عليه ما بعده – يعني قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمْتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٦] – »^١ .



^١ – البحر المحيط : (٤٦٦ / ٥) .

المطلب الخامس : الترجيح بالحديث النبوي .

اعتمد العلماء - رحمهم الله - في ترجيحهم بين الأقوال على حديث الرسول الله - ﷺ - ، واشتروا في ذلك ثبوته عن النبي - ﷺ - ، فبينوا ما يحتج به من الأحاديث ، وما لا يحتج به^١ . وقد سار أبو حيان - رحمه الله - في ترجيحه بين الأقوال في تفسيره على ذلك ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

- في قوله تعالى ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة الرعد : ١٧] قال - رحمه الله - : « وقيل : هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل ، فالماء مثل القرآن ؛ لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين ، والأودية مثل للقلوب ، ومعنى ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ على سعة القلوب وضيقها ، فمنها ما انتفع به فحفظه ووعاه وتدبر فيه فظهرت ثمرته وأدرك تأويله ومعناه ، ومنها دون ذلك بطبقة ، ومنها دونه بطبقات ، والزبد مثل الشكوك والشبه وإنكار الكافرين أنه كلام الله ودفعهم إياه بالباطل ، والماء الصافي المنتفع به مثل الحق . انتهى . وفي الحديث الصحيح ما يؤيد هذا التأويل وهو قوله - ﷺ - : « مثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبت الكأ والعشب الكثير ، وكانت منها طائفة أجادب فأمسكت الماء فانفع الناس به وسقوا ورعوا ، وكانت منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كأ ، فذلك مثلما جئت به من العلم والهدى ومثل من لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »^٢ ... »^٣ .

- في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٤] قال - رحمه الله - : « والشجرة الطيبة ... : النخلة

^١ - ينظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : (١٣ / ٣٦٣ - ٣٦٤) ، والبرهان في علوم القرآن ، للزركشي : (٢ / ١٩٢ ، ٢٠٠) ، والمواقفات في أصول الأحكام ، للشاطبي : (٤ / ٧ - ٨) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحري : (١ / ١٩١) .

^٢ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب فضل من علم وعلم : (١ / ٤٢) ، ح : (٧٩) ، و مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث به النبي - ﷺ - من الهدى والعلم : (٤ / ١٧٨٧) ، ح : (٢٢٨٢) . و لفظ الحديث ذكره أبو حيان بالمعنى .

^٣ - البحر المحيط : (٥ / ٣٧١) .

« ... وجاء ذلك نصاً من حديث ابن عمر ... قال : قرأ رسول الله ﷺ - وذكر الآية ، فقال : « أتدرون ما هي ؟ ، فوقع في نفسي أنها النخلة » الحديث ^١ . »^٢

— في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [سورة الحجر : ٨٧] قال — رحمه الله — على أن المراد بـ (سبعاً من المثاني) : الفاتحة : « ولا ينبغي أن يعدل عن هذا القول ، بل لا يجوز العدول عنه ؛ لما في حديث أبي في آخره : « هي السبع المثاني »^٣ ،

وحدِيث أبي هريرة عن النبي ﷺ — : « إنما السبع المثاني ، وأمّ القرآن ، وفاتحة الكتاب »^٤ »^٥

— في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦١] قال — رحمه الله — : « والظاهر عموم ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ فيهلك الصالح بالطالح ، فكان يهلك جميع ما يدب على الأرض حتى الجعلان في جحرها ... وهذا نظير ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً ﴾ [سورة الأنفال : ٢٥] الآية ، والحديث « أهلك وفيها الصالحون »^٦ ... »^١ .

^١ — أخرجه البخاري في صحيحه في عدة مواضع منها : كتاب العلم ، باب طَرَحَ الْإِمَامِ الْمَسْأَلَةَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ : (١ / ٣٤) ، ح : (٦٢) ، وفي كتاب التفسير ، باب قَوْلِهِ ﴿ كَشَحْرَةَ طَيْبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥] : (٤ / ١٧٣٤) ، ح : (٤٤٢١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ : (٤ / ٢١٦٤) ، ح : (٢٨١١) .

^٢ — البحر المحيط : (٥ / ٤١٠) .
^٣ — أخرجه النسائي في المحتبى ، باب تَأْوِيلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [سورة الحجر : ٨٧] : (٢ / ١٣٩) ، ح : (٩١٤) ، والدارمي في سننه ، باب فضل فاتحة الكتاب : (٢ / ٥٣٨) ، ح : (٣٣٧٢) ، عن أبي هريرة عن أبي بن كعب .

^٤ — أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ماجاء في فاتحة الكتاب : (٤ / ١٧٣٨) ، ح : (٤٤٢٧) ، عن أبي هريرة — رضي الله عنه — ولفظه : « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم » .
^٥ — البحر المحيط : (٥ / ٤٥٢) .

^٦ — أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج : (٣ / ١٢٢١) ، ح : (٣١٦٨) ، وأخرجه في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام : (٣ / ١٣١٧) ، ح : (٣٤٠٣) ، وفي كتاب الفتن ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ — : « وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ » : (٦ / ٢٥٨٩) ، ح : (٦٦٥٠) .

المطلب السادس : الترجيح بأسباب النزول .

تقدم ذكر عناية أبي حيان بذكر أسباب النزول ، وقد اعتمده ، واستدلَّ به على ترجيح بعض

الأقوال في التفسير ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

— في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ

بَعْضَهُ ﴾ [سورة الرعد : ٣٦] قال — رحمه الله — : « نزلت في مؤمني أهل الكتابين ... وعن

مجاهد والحسن وقتادة : أن المراد بأهل الكتاب جميعهم يفرحون بما أنزل من القرآن ؛ إذ فيه تصديق

كتبهم وثناء على أنبيائهم وأخبارهم ورهبانهم الذين هم على دين موسى وعيسى — عليهما السلام

— ، وضعف هذا القول بأن همهم به أكثر من فرحهم ، فلا يعتد بفرحهم ، وأيضاً فإن اليهود

والنصارى ينكرون بعضه »^٢ .

— في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ

الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤١] قال أبو حيان — رحمه الله — :

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ قال قتادة : نزلت في مهاجري أصحاب الرسول — ﷺ — وقال داود بن أبي

هند : في أبي جندل بن سهيل بن عمرو ، وعن ابن عباس : في صهيب وبلال وخباب بن الأرت

وأصراهم ، عذبهم المشركون بمكة ، فبوأهم الله المدينة ، وعلى هذا الاختلاف في السبب يتنزل المراد

بقوله ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ قال ابن عطية : لما ذكر الله كفار مكة الذين أقسموا بأن الله لا يبعث من

يموت ورد على قولهم ، ذكر مؤمني مكة المعاصرين لهم وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، هذا

قول الجمهور ، وهو الصحيح في سبب الآية ؛ لأن هجرة المدينة ما كانت إلا بعد وقت نزول الآية

انتهى »^٣ .



^١ — البحر المحيط : (٤٩٠ / ٥) .

^٢ — البحر المحيط : (٣٨٦ / ٥ — ٣٨٧) .

^٣ — ينظر : البحر المحيط : (٤٧٧ / ٥) .

المطلب السابع : الترجيح فى الناسخ والمنسوخ .

اعتنى أبو حيان _ رحمه الله _ بذكر الناسخ والمنسوخ فى تفسيره ، وقد سلك فى مسألة النسخ بأنه قد يرد دعوى النسخ التى قيلت فى الآية ، إذا لم تتوفر فيها شروط النسخ ، أو إذا كانت تحتل محاصات أخر ، أو لأن ما فى الآية خبر ، والنسخ لا يدخل الأخبار ، أو غير ذلك .

وقد يقبل النسخ ، ويقول به ، إذا كانت الأدلة تدل عليه ، ومن ذلك ما يلي :

_ فى قوله تعالى ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَأَنسَنَ لَظُلُومَ كَفَّارٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤] : قال _ رحمه الله _ : « ودعوى أن هذه الآية منسوخة بآية النحل لا يلتفت إليها »^١ .

_ فى قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٧] قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « والسكر فى اللغة الخمر ... وقاله ابن مسعود وابن عمر والجمهور ، وهذه الآية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ثم حرمت بالمدينة فهى منسوخة ، وقال ابن عباس : هو الخل بلغة الحبشة ، وقيل : العصير الحلو الحلال ، وسمى سكرًا باعتبار مآله إذا ترك ، ... وعلى هذه الأقوال لا نسخ »^٢ .



^١ _ البحر المحيط : (٤١٧ / ٥) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٩٤ / ٥ - ٤٩٥) .

المطلب الثامن : الترجيح بالعموم .

يعتبر العموم عند العلماء من الأدلة المعتمدة في الترجيح بين الأقوال ، وقد أجمعوا على إجراء ألفاظ الكتاب والسنة على العموم إلا ما دل الدليل على تخصيصه ، وكانوا يطلبون دليل الخصوص لا دليل العموم^١ .

والعموم لغة : شمول أمر لمتعدد سواء كان الأمر لفظاً أو غيره ، ومنه قولهم : عمهم الخبر إذا شملهم وأحاط بهم^٢ .

واصطلاحاً : لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر^٣ .

ويستدل على عموم اللفظ بقبوله الاستثناء منه ، إلا في العدد^٤ .

وصيغ العموم متعددة منها :

١ _ الألفاظ الموضوعية للجمع ، مثل :

(كل ، وجميع ، ومعشر ، وعامة ، وكافة ، وقاطبة) .

٢ _ الألفاظ المبهمة ، مثل :

_ الأسماء الموصولة ، مثل : (ما ، مَنْ ، التي ، الذي ، اللذان ، اللاتي ، الذين) .

_ أسماء الشرط ، منها : (أي ، مَنْ ، ما ، أين ، إن) .

_ أسماء الاستفهام ، منها : (أي ، مَنْ ، ما ، أين ، متى) .

_ المعرفة بالإضافة ، وهو نوعان : (اسم الجنس المضاف ، والجمع المضاف) .

٣ _ المعرفة بأل الاستغراقية ، ويشمل : (الجمع الذي له واحد ، واسم الجنس ، والجمع الذي لا واحد له) .

٤ _ النكرة في سياق النهي ، أو في سياق النفي ، أو في سياق الشرط ، أو في سياق الامتنان^٥ .

ويستفاد العموم أيضاً من غير هذه الصيغ فلا يؤخذ من اللفظ ، بل يؤخذ من المعنى وهذا ما

يسمى بالعموم المعنوي^١ .

^١ _ ينظر : العدة لأبي يعلى (٢ / ٤٩٢) .

^٢ _ ينظر : الكليات : (٦٠٠) ، وإرشاد الفحول : (١ / ١٩٧) ، والبحر المحيط في أصول الفقه : (٢ / ١٧٩) .

^٣ _ ينظر : الإتيان في علوم القرآن : (٣ / ٤٣) ، وروضة الناظر : (١ / ٢٢٠) ، وإرشاد الفحول : (١ / ١٩٧) ، وشرح الكوكب المنير : (٣ / ١٠٢) ، والبحر المحيط في أصول الفقه : (٢ / ١٧٩) .

^٤ _ ينظر : التبصرة في أصول الفقه : (١٠٨) ، وشرح الكوكب المنير : (٣ / ١٥٣) .

^٥ _ ينظر : الإتيان في علوم القرآن : (٣ / ٤٣ - ٤٤) ، ومباحث في علوم القرآن : (٢٢٣ - ٢٢٤) ، شرح الكوكب المنير : (٣ / ١١٩ - ١٥٣) ، والمحصول : (٢ / ٣١١ - ٣١٣) .

وقد اعتمد أبو حيان هذا الوجه من وجوه الترجيح في تفسيره البحر المحيط ، وهذه بعض الأمثلة لذلك :

— في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ [سورة الرعد : ٢٠] قال — رحمه الله — : « وما أمر الله به أن يوصل ظاهره العموم في كل ما أمر به في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ — ... »^٢ .

وقال — رحمه الله — في تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧] : « و (ما) موصولة ، بمعنى : الذي ، وفيه خمسة أقوال ... الخامس أنه على العموم في كل ما أمر الله به أن يوصل ، وهذا هو الأوجه ؛ لأن فيه حمل اللفظ على مدلوله من العموم ، ولا دليل واضح على الخصوص »^٣ .

— في قوله تعالى ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ابِّ فِي ذَالِكَ لَأَيَّتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٥] قال — رحمه الله — : « وأيام الله ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : نعم الله عليهم ... ، وعن ابن عباس أيضاً ومقاتل وابن زيد : وقائعه ونقماته في الأمم الماضية ... ، وعن ابن عباس أيضاً : نعمائوه وبلائه ... ، ولفظة الأيام تعم المعنيين ؛ لأن التذكير يقع بالوجهين جميعاً »^٤ .



^١ — ينظر : البحر المحيط في أصول الفقه : (٣ / ١٤٦) ، والواضح في أصول الفقه للأشقر (١٨٨ — ١٩٢) .

^٢ — البحر المحيط : (٥ / ٣٧٦) .

^٣ — المرجع السابق : (١ / ٢٧٣) .

^٤ — المرجع السابق : (٥ / ٣٩٥) .

المطلب التاسع : الترجيح بالمطلق .

تعريف المطلق والمقيد :

المطلق في اللغة : التخلية والإرسال ، وأطلق الأسير خلاه ، وأطلق الناقة من عقالها فطلقت هي بالفتح ، وأطلق يده بالخير ، وطلقها أيضا بالتخفيف ، والطلاق الأسير الذي أطلق عنه إساره وخلي سبيله^١ .

والمقيد في اللغة : مأخوذ من القيّد ، وهو معروفٌ ، ثم يستعار في كل شيء يجبس^٢ .

والمطلق في الاصطلاح : هو ما تناول واحداً غير معين باعتبار حقيقة شاملة لجنسه ، نحو : ﴿ فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ ﴾ [سورة المجادلة : ٣]^٣ .

والمقيد في الاصطلاح : هو ما تناول معيناً ، أو موصوفاً بزائد على حقيقة جنسه ، نحو : ﴿ شَهْرَيْنِ مُتْتَابِعَيْنِ ﴾ [سورة النساء : ٩٢]^٤ .

والمقيد عند العلماء أنه متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه ، وإلا فلا ، بل يبقى المطلق على إطلاقه ، والمقيد على تقييده ؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب^٥ .

والضابط فيه أن الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقاً نُظِرَ ، فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر^٦ .

إذا ورد شيء من نصوص الوحي مطلقاً غير مقيد بغيره ، أو شرط ، فلا يجوز تقييده ، بل يجب العمل بالنص وتفسيره على إطلاقه وإهامه ، إلا إذا قام الدليل على التقييد ، ومن خالف ذلك بحمل النصوص المطلقة على غير إطلاقها فقولها مردود ، وفعله تحكّم في تفسير النصوص بلا دليل ، فلا يقبل منه ذلك أبداً .

كما أن النص إذا ورد مقيداً فلا بد أن يفسر ويُعمل به بمقتضى قيده ، ومن أوله بما يؤدي إلى بطلان قيده فلا يقبل منه ذلك ، ولا يعتمد عليه ، بل هو رد على صاحبه^٧ .

^١ — ينظر : معجم مقاييس اللغة : (٣ / ٦٣٠) ، و مختار الصحاح : (١ / ١٦٦) ، ولسان العرب : (١٠ / ٢٢٧) ، مادة : طلق .

^٢ — ينظر : معجم مقاييس اللغة : (٥ / ٤٤) ، و مختار الصحاح : (١ / ٢٣٣) .

^٣ — ينظر : المختصر في أصول الفقه : (١ / ١٢٥) .

^٤ — ينظر : المختصر في أصول الفقه : (١ / ١٢٥) ، و شرح الكوكب المنير : (٣ / ٣٩٣) .

^٥ — ينظر : البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٨) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٩١) .

^٦ — ينظر : البرهان في علوم القرآن : (٢ / ١٥) .

^٧ — ينظر : التعارض والترجيح ، للبرزخي : (٢ / ٤٠ - ٤١) .

وقد اعتمد أبو حيان _ رحمه الله _ على هذا الوجه في ترجيحه بين الأقوال التفسيرية ، ومن ذلك ما يلي :

_ في قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [سورة الرعد : ١٨] قال : « فالحسنى مبتدأ ، وخبره في قوله ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا ﴾ مبتدأ ، خبره ما بعده ، وغاير بين جملي الابتداء ؛ لما يدل عليه تقديم الجار والمجرور في الاعتناء والاهتمام ، وعلى رأي الزمخشري من الاختصاص ، أي : لهؤلاء الحسنى لا لغيرهم ؛ ولأن قراءة شيوخنا يقفون على قوله ﴿ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة الرعد : ١٧] ، ويتدئون ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ ، وعلى هذا المفهوم أعرب الحوفي ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ مبتدأ ، و ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ خبره ، وفسر ابن عطية وفهم السلف ... ، وعلق الزمخشري ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ بقوله ﴿ يَضْرِبُ ﴾ [سورة الرعد : ١٧] فقال : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا ﴾ متعلقة بـ ﴿ يَضْرِبُ ﴾ ، أي : كذلك

يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا ، وللكافرين الذين لم يستجيبوا ، أي : هما مثلاً الفريقين ، والحسنى : صفة لمصدر استجابوا ، أي : استجابوا الاستجابة الحسنى ، وقولهم : ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُمْ ﴾ كلام مبتدأ ذكر ما أعد لغير المستجيبين انتهى ، والتفسير الأول أولى لأنه فيه ضرب الأمثال غير مقيد بمثل هذين ، والله تعالى قد ضرب أمثالا كثيرة في هذين وفي غيرهما ؛ ولأنه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري ، فكما ذكر ما لغير المستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب ؛ ولأن تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقييد الاستجابة ، ومقابلتها ليس نفي الاستجابة مطلقاً إنما مقابلتها نفي الاستجابة الحسنى ، والله تعالى قد نفي الاستجابة مطلقاً^١ .



^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٧٣) .

المطلب العاشر : الترجيح باللغة :

القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، قال تعالى ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٥] ، ويعتبر أبو حيان من أجل علماء اللغة العربية بالإضافة إلى كونه مفسراً ، وقد امتلأ تفسيره البحر المحيط بكثير من الدرر اللغوية ، وكان منها ما استخدمه في الترجيح بين الأقوال ، وقد تعددت جوانب استخدام اللغة عنده في الترجيح ، فمنها :

أولاً : الترجيح بما يسمى عند العرب :

ومن ذلك :

_ في قوله تعالى ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا وَيَثِبُ يَشَاءُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد : ٣٩] قال _ رحمه الله _ : « وأما قوله ﴿ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ... وقال الزمخشري : أصل كل كتاب ، وهو اللوح المحفوظ ؛ لأن كل كائن مكتوب فيه انتهى ، وما جرى مجرى الأصل للشيء تسميه العرب أمّاً ، كقولهم : أم الرأس للدماغ ، وأم القرى مكة »^١ .

_ في قوله تعالى ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٥] قال _ رحمه الله _ : « و (أيام الله) .. وعن ابن عباس أيضاً نعماءه وبلاؤه ، ومن ذلك قولهم : يوم عبوس ، ويوم عصيب ، ويوم بسام ، والحقيقة وصف ما وقع فيه من شدة أو سرور »^٢ .

ثانياً : الترجيح في مرجع الضمير لأقرب مذكور :

_ في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [سورة الحجر : ١٦] قال _ رحمه الله _ : « والظاهر أن الضمير في ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ عائد على البروج ؛ لأنها المحدث عنها والأقرب في اللفظ »^٣ .

_ في قوله تعالى ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ١] قال _ رحمه الله _ : « والظاهر عود الضمير في ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ على الأمر ؛ لأنه هو المحدث عنه »^٤ .

إلى غير ذلك من الجوانب في اللغة .

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٨ / ٥) .

^٢ _ المرجع السابق : (٣٩٥ / ٥) .

^٣ _ البحر المحيط : (٤٣٧ / ٥) .

^٤ _ المرجع السابق : (٤٥٩ / ٥) .

أولاً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي

في سورة الرعد من الآية : ١٠ إلى آخر السورة

وفيها تسعة وثلاثون ترجيحاً

قال الله تعالى ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [١٠] .

١ / ١ _ مسألة : المراد بـ ﴿سَوَاءٌ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ بأن المراد بـ ﴿سَوَاءٌ﴾ : أي مستوٍ ، فقال : « ولما ذكر أنه تعالى عالم الغيب والشهادة على العموم ، ذكر تعالى تعلق علمه بشيء خاص من أحوال المكلفين ، فقال : ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ﴾ الآية ، والمعنى : سواء في علمه المسر القول والجاهر به لا يخفى عليه شيء من أقواله ، و ﴿سَوَاءٌ﴾ تقدم الكلام فيه وفي معانيه ، وهو هنا بمعنى مستو ، وقيل : هو على حذف ، أي : سواء منكم سرّ من أسرّ القول »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿سَوَاءٌ﴾ على قولين :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿سَوَاءٌ﴾ : أي مستوٍ ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن الأنباري^٢ ، والبغوي^٣ ، والفخر الرازي^٤ ، وأبي البقاء^٥ ، ووافقهم السمين الحلبي^٦ ، وابن كثير^٧

^١ _ البحر المحيط : (٣٦٢ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (١١٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٣٠٩ / ٤) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٢٩٩ / ٤) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٨ / ١٩) .

^٥ _ ينظر : إملأ ما من به الرحمن : (٣٥٨) .

^٦ _ ينظر : الدر المصون : (٢٣ / ٧) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٠٣ / ٢) .

وابن كثير : هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، ولد سنة ٧٠٠ هـ — أو بعدها بيسير ، الإمام المفتي المحدث البارع فقيه متفنن محدث متقن مفسر نقال وله تصانيف مفيدة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته ، توفي سنة ٧٧٤ هـ . ينظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : (١ / ٤٤٥ — ٤٤٦) ، و طبقات المفسرين للداوودي : (١ / ٢٦٠ — ٢٦١) ، ومعجم المحدثين : (١ / ٧٤ — ٧٥) .

وابن عادل^١ ، والشهاب^٢ ، وأبو السعود^٣ ، والطاهر بن عاشور^٤ ، والشنقيطي^٥ .
قال الفخر الرازي _ رحمه الله _ : « لفظ ﴿سَوَاءٌ﴾ يطلب اثنين ، تقول : سواء زيد وعمرو
وثم فيه وجهان :

الأول : أن سواء مصدر ، والمعنى : ذوا سواء ، كما تقول : عدل زيد وعمرو ، أي : ذوا عدل .
الثاني : أن يكون سواء بمعنى مستو ، وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى الإضمار ، إلا أن سيبويه
يستقبح أن يقول : مستو زيد وعمرو ؛ لأن أسماء الفاعلين إذا كانت نكرات لا يبدأ بها .
ولقائل أن يقول : بل هذا الوجه أولى ؛ لأن حمل الكلام عليه يعني عن التزام الإضمار الذي هو
خلاف الأصل^٦ .

واعترض أبو حيان على سيبويه بأنه وإن كان نكرة ، إلا أنه خصص بـ ﴿مِنْكُمْ﴾ فقال _
رحمه الله _ : « ويجوز أن يكون ﴿سَوَاءٌ﴾ مبتدأ ؛ لأنه موصوف بقوله ﴿مِنْكُمْ﴾ ومن المعطوف

^١ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٢٦٢) .

وابن عادل : هو عمر بن علي بن سراج الدين أبو حفص الحنبلي ، عالم في التفسير ، توفي سنة ٨٨٠ هـ ،
وقيل بعدها بقليل . ينظر : الأعلام : (٥ / ٥٨) ، وكشف الظنون : (٥ / ٧٩٤) .

^٢ _ ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٣٨٩) .

والشهاب : هو أحمد بن محمد الخفاجي المصري ، العالم الفاضل العلامة المحقق ، شهاب الدين ، كان عالماً في
جميع العلوم ، ومصنفاته كثيرة ومشهورة ، وكانت وفاته في حدود سنة بعد السبعين وألف . ينظر : طبقات
المفسرين للداوودي : (١ / ٤١٥ _ ٤١٦) .

^٣ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٨) .

وأبو السعود : هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، مفتي ، مفسر ، شاعر ، ولد سنة ٨٩٦ هـ ، وتوفي
سنة ٩٨٢ هـ . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي : (١ / ٣٩٨) ، وشذرات الذهب : (١٠ / ٥٨٤) ،
والأعلام : (٧ / ٥٩) .

^٤ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٩٩) .

والطاهر ابن عاشور : هو محمد بن الطاهر ابن عاشور ، ولد سنة ١٢٩٦ هـ ، كان رئيس المفتين المالكيين
بتونس ، وشيخ جامع الزيتونة ، توفي سنة ١٣٩٣ هـ . ينظر : الأعلام : (٦ / ١٧٤) .

^٥ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٩٧) .

والشنقيطي : هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن يعقوب بن جاك ، ولد سنة ١٣٢٥ هـ ،
مفسر لغوي فقيه أصولي ، برع في تفسير القرآن ، توفي سنة ١٣٩٣ هـ . ينظر : ترجمة تلميذه عطية سالم _ رحمه
الله _ في مقدمة أضواء البيان : (١ / ١٩) ، والأعلام : (٦ / ٤٥) ، وأعلام من أرض النبوة : (١٨٤) .

^٦ _ التفسير الكبير : (١٩ / ١٨) .

الخير ، وكذا أعرب سيبويه قول العرب : سواء عليه الخير والشر ، وقول ابن عطية : إن سيبويه ضعف ذلك بأنه ابتداء بنكرة ، وهو لا يصح»^١ .

وقال ابن الأنباري : « ناب ﴿ سَوَاءٌ ﴾ عن مستو ، والمعنى : مستو منكم»^٢ .

القول الثاني : أن المراد : معتدل عند الله منكم أيها الناس الذي أسر القول ، والذي جهر به . قال به الطبري^٣ ، والزجاج^٤ ، وابن عطية^٥ .

قال الزجاج _ رحمه الله _ : « موضع (من) رفع بسواء ، وكذلك (من) الثانية يرتفعان جميعاً بسواء ؛ لأن سواء يطلب اثنين ، تقول : سواء زيد وعمرو ، في معنى ذوا سواء زيد وعمرو ؛ لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلا على الحذف ، تقول : عدل زيد وعمرو ، والمعنى ذوا عدل زيد وعمرو ؛ لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين ، وإنما ترفع الأسماء أو صافها ، فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا أكدرت فإنما هي إقبال وإدبار^٦ .

المعنى : فإنما هي ذات إقبال وذات إدبار ، وكذلك زيد إقبال وإدبار . وهذا مما كثر استعماله أعني سواء ، فجرى مجرى أسماء الفاعلين ، ويجوز أن يرتفع على أن يكون في موضع مستو ، إلا أن سيبويه يستقبح ذلك ، لا يميز مستو زيد وعمرو ؛ لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها لضعفها عن الفعل فلا يبتدأ بها ، ويجريها مجرى الفعل»^٧ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٦٢ / ٥) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٣٠٩ / ٤) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٣٣٦ / ١٦) .

والطبري هو : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، الإمام أبو جعفر ، رأس المفسرين على الإطلاق ، أحد الأئمة جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، ، ولد سنة ٢٢٤ هـ ، صاحب المصنفات والتفسير والتاريخ ، توفي سنة ٣١٠ هـ . ينظر : طبقات المفسرين ، للسيوطي : (٩٥ / ١ - ٩٧) ، ومعرفة القراء الكبار : (٢١٢ / ١ - ٢١٣) ، وتذكرة الحفاظ : (٧١٠ / ٢ - ٧١٥) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (١٤١ / ٣) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز : (١٨ / ٩) .

^٦ _ ينظر : ديوان الخنساء : (٣٥ / ١) ، وخزانة الأدب : (٤١١ / ١) .

^٧ _ معاني القرآن : (١٤١ / ٣) .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على المعنيين ،
فلاآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، وإذا ورد أكثر من
معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بما^١ .

قال القرطبي _ رحمه الله _ : « و ﴿ مِّنكُمْ ﴾ يحتمل أن يكون وصفاً لـ ﴿ سَوَاءً ﴾ التقدير :
سر من أسر وجهر من جهر سواء منكم ؛ ويجوز أن يتعلق بـ ﴿ سَوَاءً ﴾ على معنى : يستوي منكم
، كقولك : مررت بزيد . ويجوز أن يكون على تقدير : سر من أسر منكم وجهر من جهر منكم .
ويجوز أن يكون التقدير : ذو سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، كما تقول : عدل زيد
وعمرو ، أي : ذو عدل . وقيل : ﴿ سَوَاءً ﴾ أي : مستو ، فلا يحتاج إلى تقدير حذف مضاف .
﴿ وَمَنْ سَوَاءٌ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ أي : يستوي في علم الله السر والجهر ،
والظاهر في الطرقات ، والمستخفي في الظلمات »^٢ .



^١ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

^٢ _ الجامع لأحكام القرآن : (٢٩٠ / ٩) .

قال الله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَأَىٰ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَّةَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [١١] .

في الآية الكريمة ثلاث مسائل :

٢ / ٢ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ عود الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ على ﴿ مِّنْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِّنْ أَسْرٍ الْقَوْلِ ﴾ [سورة الرعد : ١٠] حيث قال : « والظاهر عود الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ على ﴿ مِّنْ ﴾ كأنه قيل : لمن أسرّ ومن جهر ، ومن استخفى ومن سرب معقبات والقول الأول في عود الضمير هو الأولى الذي ينبغي أن يحمل عليه وعليه يفسر ، ويقول لما تقدم أن من أسر القول ، ومن جهر به ، ومن استخفى بالليل ، وسرب بالنهار مستوفي علم الله تعالى لا يخفى عليه من أحوالهم شيء ، ذكر أيضاً أن لذلك المذكور معقبات جماعات من الملائكة تعقب في حفظه وكلاءته »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في عود الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ على أقوال :

القول الأول :

عود الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ على ﴿ مِّنْ ﴾ ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزجاج^٢ ، والزمخشري^٣ ، وابن عطية^٤ ، والرازي^٥ ، والبيضاوي^٦ ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٦٣ / ٥) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (١٤٢ / ٣) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٣٣٧ / ٣) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٠٠ / ٣) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٩) .

^٦ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٢١ / ٣) .

والبيضاوي هو : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، صاحب المصنفات ، وعالم آذربيجان ، كان إماماً مبرزاً خيراً صالحاً متعبداً ، توفي سنة ٦٩١ هـ ، وقيل : ٦٨٥ هـ . ينظر : طبقات الشافعية : (٢ / ١٧٢) ، وطبقات المفسرين ، للدواودي : (١ / ٢٤٥ - ٢٤٦) ، وبغية الوعاة : (٥٠ / ٢) .

والنسفي^١ ، ووافقهم ابن جزى^٢ ، وابن كثير^٣ ، والثعالبي^٤ ، والسيوطي^٥ ، وأبو السعود^٦ ،
والسعدى^٧ ، والمراغى^٨ .

^١ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٤٣) .

والنسفي هو : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي حافظ الدين أبو البركات ، كان إماماً في جميع العلوم
ومصنفاته في الفقه والأصول أكثر من أن تحصى ، وصنف المدارك في التفسير ، توفي في سنة ٧١٠ هـ .
ينظر : طبقات المفسرين للداوودي : (١ / ٢٦٣) ، والدرر الكامنة : (٢ / ١٥١) ، آثار البلاد في أخبار
العباد : (٣٠٢) .

^٢ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤١) .

وابن جزى هو : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الأندلسي ، أبو القاسم ، ولد سنة ٦٩٣
هـ ، كان إماماً ، مقرأً ، حافظاً للتفسير مستوعباً للأقوال ، توفي سنة ٧٤١ هـ .
ينظر : الديباج المذهب : (١ / ٢٩٥ - ٢٩٦) ، وغاية النهاية : (٢ / ٨٣) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٠٣) .

^٤ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ١٨٢) .

والثعالبي هو : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري المقرئ المالكي ، كان إماماً علامة مصنفاً ، وكانت
وفاته في سنة ٨٧٦ هـ . ينظر : طبقات المفسرين للداودي : (١ / ٣٤٢) ، وشجرة النور الزكية : (٢٦٥) ،
والأعلام : (٣ / ٣٣١) .

^٥ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٠٦) .

والسيوطي هو : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عمر بن خليل بن نصر بن الخضر بن الهمام ،
الشافعي ، الإمام الكبير صاحب التصانيف ، ولد سنة ٨٤٩ هـ ، ونشأ يتيماً ، توفي سنة ٩١١ هـ . ينظر :
البدر الطالع : (١ / ٣٢٨ - ٣٣٥) ، وشذرات الذهب : (٨ / ٥١ - ٥٥) ، والأعلام : (٣ / ٣٠١) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٨) .

^٧ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٧٢) .

والسعدى هو : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدى ، ولد سنة ١٣٠٧ هـ ، كان ذا معرفة
تامة بالفقه ، أصوله وفروعه ، توفي سنة ١٣٧٦ هـ . ينظر : مقدمة تفسيره تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٥
- ٩) .

^٨ _ ينظر : تفسير المراغى : (١٣ / ٧٦) .

والمراغى هو : محمد مصطفى بن محمد بن عبد المنعم ، باحث مصري ، عارف بالتفسير ، من دعاة الإصلاح ،
وممن تولى مشيخة الأزهر ، ولد سنة ١٢٩٨ هـ ، وتوفي سنة ١٣٦٤ هـ . ينظر : الأعلام : (٧ / ١٠٣) .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وهذا التأويل عندي أقوى ؛ لأن غرض الآية إنما هو التنبيه على قدرة الله تعالى ، فذكر استواء من هو مستخف ومن هو سارب وأن له معقبات من الله تحفظه في كل حال ، ثم ذكر أن الله تعالى لا يغير هذه الحالة من الحفظ للعبد حتى يغير ما بنفسه »^١ .

القول الثاني : أن الضمير يعود على ﴿ مَنَّ ﴾ الأخيرة في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌ ﴾

بِالَّذِي ﴿ [سورة الرعد : ١٠] وأن المراد : السلاطين والأمراء لهم حرس يحفظونهم ، وهو قول ابن عباس^١ ، وعكرمة^٢ ، ورجحه ابن جرير الطبري^٣ .

قال ابن جرير _ رحمه الله _ : « قوله : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ ﴾ [سورة الرعد : ١١] ، أقرب إلى قوله : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌ بِالَّذِي ﴾ [سورة الرعد : ١٠] ، منه إلى ﴿ عَلِمَ الْغَيْبِ ﴾ [سورة الرعد : ٩] ؛ فهي لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنى بذلك هذا ، مع دلالة قول الله : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ [سورة الرعد : ١١] على أنهم المعنيون بذلك . وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قومًا أهل معصية وأهل ريبة ، يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم ، ومنعة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله . ثم أخبر أن الله تعالى إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم ، ولا يدفع عنهم حفظهم »^٤ .

وهذا القول داخل في القول الأول .

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « ويجوز أن تتصل الجملة بـ ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌ ﴾ بِالَّذِي وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [سورة الرعد : ١٠] وإفراد الضمير لمراعاة عطف صلة على صلة دون إعادة الموصول ، والمعنى كالوجه الأول »^٥ .

^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٠٠) .

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٠٠) ، وزاد المسير : (٤ / ٣١٠) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٠٠) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٣٧٤) .

^٤ _ المرجع السابق : (١٦ / ٣٧٤) .

^٥ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ١٠٠) .

القول الثالث : أن الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ عائد على الله تعالى ، أي : لله معقبات ملائكة من بين يدي العبد ، ومن خلفه ، وهو قول مجاهد ، والنخعي ، والحسن^١ ، وقول البغوي^٢ ، والقرطبي^٣ .

وضعف هذا القول ابن جزري فقال : « وهو قول ضعيف ؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق »^٤ .

وكذلك رد هذا القول الألويسي حيث قال : « ومنهم من جعله لله تعالى وما بعده لـ ﴿ مَنْ ﴾ وفيه تفكيك للضمائر من غير داع »^٥ .

القول الرابع : عود الضمير على النبي ﷺ ، وهو قول ابن زيد^٦ ، ومحمد بن علي البلنسي^٧ . واستدلوا على ذلك بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أَنَّ أَرْبَدَ بْنَ قَيْسِ بْنِ جَزَى بْنِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ^٨ وَعَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ بْنِ مَالِكٍ^٩ قَدِمَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْتَهَبَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فَجَلَسَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : يَا مُحَمَّدُ مَا تَجْعَلُ لِي إِنْ أَسَلَمْتُ ؟ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ . قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : أَتَجْعَلُ لِي الْأَمْرَ إِنْ أَسَلَمْتُ مِنْ بَعْدِكَ ؟ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ ، وَلَكِنْ لَكَ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ . قَالَ : أَنَا الْآنَ فِي أَعِنَّةِ خَيْلٍ نَجِدُ ، اجْعَلْ لِي الْوَبْرَ وَلَكَ الْمَدْرَ ؟ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا . فَلَمَّا قَفَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ عَامِرُ : أَمَا وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّهَا

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٠) .

^٢ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٢٩٩) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٢٩١) .

^٤ _ التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤١) .

^٥ _ روح المعاني : (١٣ / ١١٥) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : للنحاس : (٣ / ٤٨٠) ، ومعالم التنزيل : (٤ / ٣٠١) ، والمحرر الوجيز : (٣ /

٣٠١) ، وزاد المسير : (٤ / ٣١٠) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٢٩٢) ، والبحر المحييط : (٥ / ٣٦٣) .

^٧ _ ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ٦٣) .

والبلنسي هو : محمد بن علي بن أحمد الأوسي ، أبو عبد الله ، ولد سنة ٧٢٤ هـ ، عالم بالعربية ، من غرناطة توفي سنة ٧٨٢ هـ . ينظر : الدرر الكامنة : (٤ / ٨٩) ، والأعلام : (٦ / ٢٨٦) .

^٨ _ أربد بن قيس : هو أخو ليبد بن ربيعة لأمه . ينظر : غوامض الأسماء المبهمة : (٢ / ٧٧٠) .

^٩ _ عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري الفارس المشهور ذكره جعفر المستغفري في الصحابة وهو غلط وموت عامر المذكور على الكفر أشهر عند أهل السير أن يتردد فيه . ينظر : الإصابة : (٥ / ١٧٢) .

عَلَيْكَ خَيْلاً وَرَجَالاً . فقال رسول الله ﷺ _ : يَمْنَعُكَ اللَّهُ . فلما خَرَجَ أَرَبْدُ وَعَامِرٌ قَالَ عَامِرٌ :
يَأْرَبْدُ أَنَا أَشْعَلُ عَنْكَ مُحَمَّدًا بِالْحَدِيثِ فَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ فَإِنِ النَّاسَ إِذَا قَتَلْتَ مُحَمَّدًا لَمْ يَزِيدُوا عَلَيَّ
أَنْ يَرْضَوْا بِالِدِّيَّةِ وَيَكْرَهُوا الْحَرْبَ فَسَنُعْطِيهِمُ الدِّيَّةَ . قَالَ أَرَبْدُ : أَفْعَلُ . فَأَقْبَلَا رَاجِعِينَ إِلَيْهِ فَقَالَ عَامِرٌ
: يَا مُحَمَّدُ قُمْ مَعِيَ أَكَلْمُكَ . فَقَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ _ فَخَلَبَا إِلَى الْجِدَارِ ، وَوَقَفَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ
_ ﷺ يُكَلِّمُهُ ، وَسَلَّ أَرَبْدُ السَّيْفَ فَلَمَّا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَائِمِ السَّيْفِ يَبْسُتُ عَلَى قَائِمِ السَّيْفِ فَلَمْ
يَسْتَطِعْ سَلَّ السَّيْفِ فَأَبْطَأَ أَرَبْدُ عَلَى عَامِرٍ بِالضَّرْبِ فَانْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ _ ﷺ فرأى أَرَبْدَ وَمَا يَصْنَعُ
فَانصَرَفَ عَنْهُمَا ، فَلَمَّا خَرَجَ عَامِرٌ وَأَرَبْدُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ _ ﷺ حتى إِذَا كَانَا بِالْحَرَّةِ حَرَّةً
وَاقِمٍ نَزَلَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ١ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَا : اشْخَصَا يَا عَدُوِّي اللَّهُ لَعَنُوكُمَا اللَّهُ
. قَالَ عَامِرٌ : مِنْ هَذَا يَأْسَعِدُ ؟ . قَالَ : هَذَا أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ الْكَاتِبُ . قَالَ : فَخَرَجَا حَتَّى إِذَا كَانَا
بِالرَّقْمِ أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرَبْدَ صَاعِقَةً فَقَتَلَتْهُ ، وَخَرَجَ عَامِرٌ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْحَرِّ ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ
عَلَيْهِ قَرْحَةً فَأَخَذَتْهُ أَذْرَكَهُ اللَّيْلُ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سُلُولٍ فَجَعَلَ يَمَسُّ قُرْحَتَهُ فِي حَلْقِهِ وَيَقُولُ غُدَّةً
كَغُدَّةِ الْجَمَلِ فِي بَيْتِ سُلُولِيَّةٍ يَرِغَبُ أَنْ يَمُوتَ فِي بَيْتِهَا ، ثُمَّ رَكَعَ _ رَكْبَ _ فَرَسَهُ فَأَحْضَرَهُ حَتَّى
مَاتَ عَلَيْهِ رَاجِعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمَا ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴾ [سورة الرعد :
٨] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ □ وَنِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [سورة الرعد : ١١] قَالَ : الْمُعَقَّبَاتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
يَحْفَظُونَ مُحَمَّدًا ٢ .

وجاء في رواية أخرى عنه _ رضي الله تعالى عنه _ أنه قال : « هذه للنبي _ عليه الصلاة
والسلام _ خاصة » ٣ .

واستبعد الطبري هذا القول حيث قال : « وهذا القول الذي قال به ابن زيد في تأويل هذه الآية ،
قول بعييد من تأويل الآية ، مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل . وذلك أنه جعل

١ _ سعد بن معاذ بن النعمان بن الأوس الأنصاري ، سيد الأوس ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق ، رمي يوم الخندق
بسهم فعاش شهرًا ثم انتفض جرحه فمات منه . ينظر : الإصابة : (٣ / ٨٤ - ٨٥) ، والاستيعاب :
(٢ / ٦٠٢) .

٢ _ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : (٣١٣ / ١٠) ، ح (١٠٧٦٠) ، والمعجم الأوسط : (٩ / ٦٠ - ٦٢) ،
ح : (٩١٢٧) ، وعزه السيوطي لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني في الكبير ، وابن مردويه ، وأبو نعيم
في الدلائل . ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦١١) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : (٧ / ٤٢) : ((رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفي إسنادهما عبد العزيز
بن عمران : ضعيف)) .

٣ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦٢١) .

(الهاء) في قوله ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ ، من ذكر رسول الله ﷺ ، ولم يجر له في الآية التي قبلها ولا في التي قبل الأخرى ذكر ، إلا أن يكون أراد أن يردها على قوله ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] ، ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ . فإن كان ذلك ، فذلك بعيد ؛ لما بينهما من الآيات بغير ذكر الخبر عن رسول الله ﷺ -^١ .
 وضعف هذا القول أيضاً ابن عطية^٢ .

وجوزه الألويسي فقال : « ومنهم من جعله للنبي ﷺ - وهو عليه الصلاة والسلام معلوم من السياق وقد تقدم الإخبار عنه - ﷺ - في قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن ... ﴾ الآية [سورة الرعد : ٧] ، والأكثر على اعتبار العموم ، وسبب التزول لا يأتي ذلك . والله تعالى أعلم »^٣ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح في مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ - والله تعالى أعلم بالصواب - ما رجحه أبو حيان ، ومن معه ، وهو أن مرجع الضمير إلى ﴿ مِّن ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلِ ﴾ [سورة الرعد : ١٠] ، ويؤيد هذا الترجيح ما يلي :

١ - أن غرض الآية إنما هو التنبيه على قدرة الله تعالى ، فذكر استواء من هو مستخف ومن هو سارب ، وأن له معقبات من الله تحفظه في كل حال ، ثم ذكر أن الله تعالى لا يغير هذه الحالة من الحفظ للعبد حتى يغير ما بنفسه^٤ .

٢ - اعتبار تأويله بالمذكور وإجرائه مجرى اسم الإشارة^٥ .

قال محمد الطاهر بن عاشور - رحمه الله - : « جملة ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ إلى آخرها يجوز أن تكون متصلة بـ ﴿ مِّن ﴾ الموصولة من قوله ﴿ مِّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾ [سورة الرعد : ١٠] على أن الجملة خبر ثان عن ﴿ مِّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلِ ﴾ [سورة الرعد : ١٠] وما عطف عليه .

^١ - جامع البيان : (١٦ / ٣٨٢) .

^٢ - ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٠١) .

^٣ - روح المعاني : (١٣ / ١١٥ - ١١٦) .

^٤ - ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٠١) .

^٥ - ينظر : حاشية الشهاب : (٥ / ٣٩٠) ، وروح المعاني : (١٣ / ١١١) .

والضمير في ﴿ لَهُ ﴾ والضمير في ﴿ يَحْفَظُونَهُ ﴾ وضميرا ﴿ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ .

جاءت مفردة ؛ لأن كلاً منها عائد إلى أصحاب تلك الصلوات ؛ حيث إن ذكرهم ذكر أقسام من الذين جعلوا سواء في علم الله تعالى ، أي لكل من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار معقبات يحفظونه من غوائل تلك الأوقات «^١ .

٣ _ تعلق مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ ﴾ بدلالة السياق ، و إدخال الكلام في

معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٢ .

٤ _ أن إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^٣ .



^١ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ١٠٠) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

^٣ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٦٠٣) .

٣ / ٣ _ المسألة الثانية : المراد بالمعقبات^١ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالمعقبات : جماعات من الملائكة ، فقال : « لما تقدم أن ﴿ مِنْ أَسْرَى الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾ [سورة الرعد : ١٠] ومن استخفى بالليل وسرب بالنهار مستوفي علم الله تعالى لا يخفى عليه من أحوالهم شيء ، ذكر أيضاً أن لذلك المذكور معقبات جماعات من الملائكة ، تعقب في حفظه وكلاءته »^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالمعقبات على أقوال :

القول الأول : أن المراد بالمعقبات : جماعات من الملائكة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي

عن علي^٣ ، وابن عباس^٤ ، وسعيد بن جبير^٥ ، ومجاهد^٦ ، والحسن^٧ ، وعطاء^٨ ، وقتادة ، وابن جريج^٩ ، وقول الفراء^{١٠} ، والزجاج^{١١} ، والنحاس^{١٢} ، والواحدي^{١٣} ، والبغوي^{١٤} ،

^١ _ التعقيب : أن يأتي شيء بعد آخر ، والعاقب : الذي يخلف من كان قبله في الخير والمعقبات : الملائكة يتعاقبون عليه حافظين . ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٥٧٥) ، والقاموس المحيط : (١١٦) .

^٢ _ البحر المحيط : (٣٦٣ / ٥) .

^٣ _ ينظر : الدر المنثور : (٦١٥ / ٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٣٧١ / ١٦) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٣٠ / ٧) ، والدر المنثور : (٦١٢ - ٦١٤ / ٤) .

^٥ _ ينظر : الدر المنثور : (٦١٢ / ٤) .

^٦ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٢٦ / ١) ، و جامع البيان : (٣٧١ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦١٢ / ٤) - (٦١٥) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (٣٧٠ - ٣٧٣ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦١٢ / ٤) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٣٠ / ٧) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (٣٧٢ / ١٦) .

^{١٠} _ ينظر : معاني القرآن : (٦٠ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (١٤٢ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : معاني القرآن : (٤٧٩ / ٣) .

^{١٣} _ ينظر : الوسيط : (٧ / ٣) .

^{١٤} _ ينظر : معالم التنزيل : (٢٩٩ / ٤) .

والزنجشري^١، والرازي^٢، والقرطبي^٣، والبيضاوي^٤، والنسفي^٥، ووافقهم ابن جزى^٦، وابن كثير^٧، ومحمد بن علي البننسي^٨، والثعالبي^٩، وابن عادل^{١٠}، والسيوطي^{١١}، وأبو السعود^{١٢}، والسعدي^{١٣}، والطاهر بن عاشور^{١٤}، والمراغي^{١٥}، وهو قول جمهور المفسرين^{١٦}.

القول الثاني: أنهم الحرس الذي يتعاقب على الأمير، قاله ابن عباس^{١٧}، وعكرمة^{١٨}، والضحاك

^{١٩}، ورجحه الطبري؛ حيث قال: «وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قومًا أهل معصية وأهل ريبة، يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم، ومنعة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله. ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم، ولا يدفع عنهم حفظهم»^{٢٠}.

ووجه ابن كثير هذا القول فقال: «والظاهر — والله أعلم — أن مراد ابن عباس، وعكرمة،

والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبد يشبه حرس هؤلاء الملوكهم وأمرائهم»^{٢١}.

^١ — ينظر: الكشاف: (٣ / ٣٣٧).

^٢ — ينظر: التفسير الكبير: (١٩ / ١٩).

^٣ — ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩ / ٢٩٣).

^٤ — ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٣ / ٣٢١).

^٥ — ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (١ / ٢٤٣).

^٦ — ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢ / ٢٤١).

^٧ — ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢ / ٥٠٣).

^٨ — ينظر: تفسير مبهمات القرآن: (٢ / ٦٣).

^٩ — ينظر: الجواهر الحسان: (٢ / ١٨٢).

^{١٠} — ينظر: اللباب: (١١ / ٢٦٧).

^{١١} — ينظر: تفسير الجلالين: (٢٠٦).

^{١٢} — ينظر: إرشاد العقل السليم: (٥ / ٨).

^{١٣} — ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (١ / ٨٧٢).

^{١٤} — ينظر: التحرير والتنوير: (١٣ / ١٠٠).

^{١٥} — ينظر: تفسير المراغي: (١٣ / ٧٦).

^{١٦} — ينظر: الوسيط: (٣ / ٧)، والتفسير الكبير: (١٩ / ١٩)، وروح المعاني: (١٣ / ١١٣).

^{١٧} — ينظر: جامع البيان: (١٦ / ٣٧٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: (٧ / ٢٢٣٠).

^{١٨} — ينظر: جامع البيان: (١٦ / ٣٧٣)، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: (٧ / ٢٢٣٠).

^{١٩} — ينظر: جامع البيان: (١٦ / ٣٧٤).

^{٢٠} — جامع البيان: (١٦ / ٣٧٤).

^{٢١} — تفسير القرآن العظيم: (٢ / ٥٠٣).

القول الثالث : أنه ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه في عبادته ، قاله عبد الرحمن بن زيد ^١ .
القول الرابع : الأعمال ، قال الشوكاني _ رحمه الله _ : « وقيل المراد بالمعقبات : الأعمال ،
ومعنى ﴿ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ [سورة الرعد : ١١] ما تقدم منها وما تأخر » ^٢ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ ومن معه ، وهو أن المراد بالمعقبات : جماعات من الملائكة ؛ وذلك للأدلة التالية :

١ _ ما صح عن النبي _ ﷺ _ حيث قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم _ وهو أعلم بهم _ كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » ^٣ .
وإذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه ^٤ .
٢ _ ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كُنْتِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الانفطار : ١٠ - ١٢] .

قال الطبري _ رحمه الله _ : « وقوله ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ يقول : وإن عليكم رقباء حافظين يحفظون أعمالكم ويحسونها عليكم . ﴿ كِرَامًا كُنْتِينَ ﴾ يقول : كراماً على الله كاتين يكتبون أعمالكم ... وقوله ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ يقول : يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خير أو شر يحصون ذلك عليكم » ^٥ .

^١ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ٩٨) .

^٢ _ فتح القدير : (٣ / ٦٩) .

^٣ _ أخرجه البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، ح (٥٥٥) : (٢ / ٤٢) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٠٦) .

^٥ _ جامع البيان : (٣ / ٨٨) .

٣ _ ورود الآثار في ذلك :

فعن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ في قوله ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ قال : « هم الملائكة تعقب بالليل والنهار وتكتب على بني آدم »^١ .

وعن مجاهد _ رحمه الله _ في قوله ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ قال : « الحفظة »^٢ .

وعن عطاء _ رحمه الله _ ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ قال : « هم الكرام الكاتبون حفظة من الله على ابن آدم أمروا به »^٣ .

قال النحاس _ رحمه الله _ : « وأولى هذه الأقوال الأول لعلو إسناده وصحته »^٤ .

وقال الثعالبي _ رحمه الله _ : « وقوله سبحانه ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد : ١١] المعنى : جعل الله للعبد معقبات يحفظونه في كل

حال من كل ما جرى القدر باندفاعه فإذا جاء المقدور الواقع أسلم المرء إليه ، والمعقبات على هذا التأويل : الحفظة على العباد أعمالهم ، والحفظة لهم أيضاً ... وهذا أقوى التأويلات في الآية »^٥ .



^١ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦١٣) .

^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦١٣) .

^٣ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦١٣) .

^٤ _ معاني القرآن : (٣ / ٤٧٩) .

^٥ _ الجواهر الحسان ، للثعالبي : (٢ / ١٨٢ - ١٨٣) .

٤ / ٤ المسألة الثالثة : معنى قوله تعالى ﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن معنى ﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ : يحفظونه بأمر الله ، فقال _ رحمه الله _ : « والظاهر أن قوله تعالى ﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ متعلق بقوله ﴿ يَحْفَظُونَهُ ﴾ قيل : ﴿ مِنْ ﴾ للسبب ، كقولك : كسوته من عري ، ويكون معناها ومعنى الباء سواء ، كأنه قيل : يحفظونه بأمر الله وبإذنه ، فحفظهم إياه متسبب عن أمر الله لهم بذلك »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في معنى ﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن معنى ﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ : يحفظونه بأمر الله ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً المروي عن ابن عباس^٢ ، ومجاهد^٣ ، وسعيد بن جبير^٤ ، والحسن ، وعكرمة^٥ ، وقتادة^٦ ، والبعوي^٧ وابن الأنباري^٨ ، والمراغي^٩ .

ورد هذا القول ابن عطية بقوله : « وهذا تحكم في التأويل »^{١٠} .

ورد عليه أبو حيان بقوله : « وليس بتحكم ، و ورود ﴿ مِنْ ﴾ للسبب ثابت من لسان

العرب »^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٤ - ٣٦٥) .

^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦١٢) .

^٣ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٢٦) .

^٤ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦١٢) .

^٥ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣١١) .

^٦ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦١٢) .

^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٠٠) .

^٨ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٨) .

^٩ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ٧٧) .

^{١٠} _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٠٢) .

^{١١} _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٤) .

ويؤيد هذا القول ما يلي :

- ١ _ قراءة علي ، وابن عباس ، وعكرمة ، وزيد بن علي (يحفظونه بأمر الله)^١ .
 - ٢ _ قول اللغويين : إن الباء تقوم مقام ﴿ مِنْ ﴾ ، وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض^٢ .
ورد ذلك الشهاب فقال : « وقيل : من بمعنى الباء محل نظر »^٣ .
 - ٣ _ أنه لا قدرة للملائكة ولا لأحد من الخلق على أن يحفظوا أحداً من أمر الله ومما قضاه عليه^٤ .
- القول الثاني :** يحفظونه من أجل أمر الله ، أي : من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه ، فـ ﴿ مِنْ ﴾
تعليقية ، وأن المعقبات كائنة من أمر الله ، فـ ﴿ مِنْ ﴾ متعلقة بمحذوف ، فتكون صفة للمعقبات ،
وهو قول ابن عباس^٥ ، والفراء^٦ ، والزجاج^٧ ، و الزمخشري^٨ ، والبيضاوي^٩ ، والنسفي^{١٠} ، وابن
جزى^{١١} وأبي السعود^{١٢} ، والطاهر بن عاشور^{١٣} ، ونسبه الطبري إلى بعض نحوي الكوفة^{١٤} .

-
- ١ _ ينظر : الحرر الوجيز : (٣ / ٣٠٢) ، البحر المحيط : (٥ / ٣٦٤) ، الجواهر الحسان : (٢ / ١٨٣) .
 - ٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣١١) ، و اختيارات أبي حيان النحوية : (٢ / ٥٢٨) .
 - ٣ _ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٣٩٢) .
 - ٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٢١) .
 - ٥ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦١٢) .
 - ٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٠) .
 - ٧ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ١٤٢) .
 - ٨ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٣٨) .
 - ٩ _ ينظر : تفسير البيضاوي : (٣ / ٣٢١) .
 - ١٠ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٤٤) .
 - ١١ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤١) .
 - ١٢ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩) .
- وأبو السعود هو : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، ولد سنة ٨٩٨ هـ ، من علماء الترك ، مفسر ،
وشاعر ، توفي سنة ٩٨٢ هـ . ينظر : شذرات الذهب : (٨ / ٣٩٨ - ٣٩٩) ، وطبقات المفسرين ،
للداودي : (١ / ٣٩٨ - ٣٩٩) ، والأعلام : (٧ / ٥٩) .
- ١٣ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١٠١) .
 - ١٤ _ ينظر جامع البيان : (١٦ / ٣٨٦) .

واستدلوا على ذلك بما يلي :

١ _ أنه كقوله تعالى ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء : ٨٥] ، وقوله ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [سورة الشورى : ٥٢] يعني القرآن^١ .

٢ _ أنه كما تقول للرجل : أجبتك من دعائك إياي ، وبدعائك إياي^٢ .

القول الثالث : أن يراد بـ ﴿ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ نفس ما يحفظ منه كمرادة الإنس والجن وغيرهم ،

والمعنى : يحفظونه من أمر الله حتى يأتي أمر الله ، فإذا جاء أمر الله خلوا عنه ، وهو محكي عن ابن عباس^٣ ، وإبراهيم^٤ ، فتكون ﴿ مِنْ ﴾ على بابها ، قال به أبو البقاء^٥ . وتكون ﴿ مِنْ ﴾ لابتداء الغاية .

القول الرابع : أن ﴿ مِنْ ﴾ بمعنى عن ، أي : يحفظونه عن أمر الله ، وهو مروى عن ابن عباس^٦ ،

وهو قول الحسن^٧ ، والمعنى : من عند الله لا من عند أنفسهم ، كقوله : ﴿ أَطَعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ ﴾ [سورة قريش : ٤] أي : عن جوع^٨ . ونسب الطبري هذا القول إلى بعض نحويي البصرة^٩ . وردده السمين الحلبي فقال : « وليس عليه معنى يليق بالآية الكريمة »^{١٠} .

الترجيح :

باستعراض ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن القول بأن ﴿ مِنْ ﴾ سببية

أو تعليلية ، أو أن ﴿ مِنْ ﴾ بمعنى الباء ، و﴿ مِنْ ﴾ بمعنى (عن) أقوال متقاربة ؛ حيث بين الشهاب

^١ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١٠١) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٣٨٦) .

^٣ _ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٣٢) ، و النكت والعيون : (٣ / ٩٩) ، و زاد المسير : (٤ / ٣١٢) .

^٤ _ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٣٢) .

^٥ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه القراءات والإعراب : (٣٥٨) .

^٦ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦١٢) .

^٧ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٢٩٢) .

^٨ _ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٣٢) ، إملاء ما من به الرحمن من وجوه القراءات والإعراب :

(٣٥٨) ، إعراب القرآن الكريم وبيانه : (٥ / ٩١) .

^٩ _ ينظر جامع البيان : (١٦ / ٣٨٦) .

^{١٠} _ الدر المصون : (٧ / ٣٠) .

أنه لا فرق بين أن تكون ﴿ مِنْ ﴾ سببية ، أو تكون تعليلية فقال : « ولا فرق بين العلة والسبب عند النحاة وإن فرق بينهما أهل المعقول »^١ .

وكذلك جمع القرطبي بين أن تكون ﴿ مِنْ ﴾ بمعنى الباء ، والقول بأن ﴿ مِنْ ﴾ بمعنى عن ، فقال بعد ذكرهما : « وهذا قريب من الأول »^٢ .

وأما القول بأن ﴿ مِنْ ﴾ على بابها وأنها لا ابتداء الغاية فهو قول مكمل للأقوال السابقة ؛ حيث إن المعقبات كائنة من أمر الله ، وتحفظ العبد بأمر الله وعنه ، فهي تحفظ العبد مما يضره من إنس وجن ووحش وغيره ، مما هو من قدر الله تعالى وأمره ، فإذا كتب على العبد الضر تخلت المعقبات عن حفظه ، وهو أيضاً بأمر الله تعالى .

^١ _ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٣٩٢) .

^٢ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٢٩٢) .

قال الله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [١٣] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٥ / ٥ _ المسألة الأولى : المراد بالرعد :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالرعد : اسم الصوت المسموع فقال : « والمعروف في اللغة : أنه اسم الصوت المسموع »^١ .

وقال : « والظاهر إسناد التسييح إلى الرعد ، فإن كان يصح منه التسييح فهو إسناد حقيقي ، وإن كان مما لا يصح منه فهو إسناد مجازي ، وتنكيره في قوله ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٩] ينفي أن يكون علماً لملك »^٢ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالرعد عدة أقوال :

القول الأول : أن المراد الصوت المسموع ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول البغوي^٣ ، و الزمخشري^٤ ، و الفخر الرازي^٥ ، و القرطبي^٦ ، والبيضاوي^٧ ، ووافقهم الثعالبي^٨ ، و أبو السعود^٩ ، والسعدي^{١٠} .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن ذلك هو المعلوم من لغة العرب^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٢١٩ / ١) .

^٢ _ البحر المحيط : (٣٦٦ / ٥) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥٣ / ١) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (١١٦ / ١) .

^٥ _ ينظر : مفاتيح الغيب : (٧٢ / ٢) .

^٦ - ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٢١٧ / ١) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢٠٢ / ١) .

^٨ _ ينظر : الجواهر الحسان : (١٦٣ / ١) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥٣ / ١) .

^{١٠} _ ينظر : تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن : (٤١٤ / ١) .

^{١١} _ ينظر : المحرر الوجيز : (١٠٢ / ١) ، وتفسير القرطبي : (٢١٧ / ١) ، والبحر المحيط : (٢١٩ / ١) .

قال ليبيد : فَجَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْفَارِسِ يَوْمَ الْكَرْيَهَةِ التَّجْدِ^١ .
٢ _ أن تنكير الرعد في قوله تعالى ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَّبَرْقٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٩] ينفي أن يكون علماً لملك^٢ .

القول الثاني : أن الرعد ملك من الملائكة وما يسمع فهو صوته ، وهو مروى عن علي بن أبي طالب^٣ ، وابن عباس^٤ ، وعكرمة^٥ ، ومجاهد^٦ ، وقول الواحدي^٧ ،

وابن عطية^٨ ، وابن جزى^٩ ، والقونوي^{١٠} ، والشوكاني^{١١} ، وهو الذي عليه أكثر المفسرين^{١٢} .
واستدل لهذا القول بما روي عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ قال : « أَقْبَلْتُ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ _ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ ؟ . قال : « مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ

^١ _ ينظر : ينظر ديوان ليبيد بن ربيعة العامري : (٢٠ / ١) ، والمحزر الوجيز : (١٠٢ / ١) ، تفسير القرطبي : (٢١٧ / ١) .

وليبيد هو : ابن ربيعة العامري ، الشاعر ، وهو الذي أنشد ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل ، مات وهو ابن ١٤٠ سنة ، وقيل : ١٦٠ سنة . ينظر : الإصابة : (٥ / ٦٧٥ _ ٦٧٩) ، والاستيعاب : (٣ / ١٣٢٥ _ ١٣٢٨) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٦) ، روح المعاني : (١٣ / ١١٩) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١ / ١٥١) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٢١) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١ / ١٥٠) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٢١ _ ٦٢٢) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١ / ١٥١) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٢٢) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١ / ١٥٠ _ ١٥١) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٢٢) .

^٧ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٩٤) .

^٨ _ ينظر : المحزر الوجيز : (٣ / ٣٠٣) .

^٩ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ١٣٢) .

^{١٠} _ ينظر : حاشية القونوي على تفسير البضاوي : (١٠ / ٤٧٣) .

^{١١} _ ينظر : فتح القدير : (١ / ٤٨) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير السمعاني : (١ / ٥٤) ، تفسير البغوي : (٣ / ١١) ، المحزر الوجيز : (١ / ١٠٢) ،

تفسير القرطبي : (١ / ٢١٧) ، اللباب : (١١ / ٢٧٤) ، فتح القدير : (١ / ٤٨) ، روح المعاني : (١٣ / ١١٩) .

بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ . فَقَالُوا : فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ ؟ . قَالَ : « زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ » . قَالُوا : صَدَقْتَ ^١ .

وقال القونوي _ رحمه الله _ : « إن أريد بالرعد : ملك موكل بالسحاب ، فعطف الملائكة عليه عطف العام على الخاص إظهاراً لشرف الخاص ، حتى قيل : إنه عنى بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد ، فإنه تعالى جعل له أعواناً ، وهذا هو الظاهر إذ في غير هذا الاحتمال عطف الملائكة وربطه بما قبله مشكل يحتاج إلى العناية في تحصيل المناسبة » ^٢ .

واستشكل بأنه لو كان علماً للملك لما ساغ تنكيهه وقد نكر في البقرة ، وأجيب بأن له إطلاقين ثانيهما : إطلاقه على نفس الصوت ، والتنكير على هذا الإطلاق ^٣ .

القول الثالث : أن الرعد : صوت اختناق الريح ^٤ ، وهو مروى عن أبي الخلد ^٥ .

القول الرابع : أن الرعد : صوت اصطكاك أجرام السحاب ، وهو قول بعض المفسرين واتبعوا في ذلك قول الفلاسفة ^٦ . ورد القرطبي هذا القول حيث قال : « وهذا مردود ، لا يصح به نقل ، والله أعلم » ^٧ .

^١ _ أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة الرعد ، وقال : « هذا حديث حسن غريب » ، (٢٩٤ / ٥) ، ح : (٣١١٧) ، والنسائي في الكبرى ، باب كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل : (٥ / ٣٣٦) ، ح : (٩٠٧٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره : (٥٥ / ١) ، والطبراني في المعجم الكبير : (٤٥ / ٢) ، ح : (١٢٤٢٩) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ، وقال : « غريب من حديث سعيد تفرد به بكير » ، (٤ / ٣٠٤) ، جميعهم من طريق عبد الله بن الوليد ، عن بكير بن شهاب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس . قال الشوكاني : « وفي إسناده مقال » فتح القدير : (٤٨ / ١) . فيه : بكير بن شهاب : مقبول من السادسة . تقريب التهذيب : (١٢٧ / ١) .

^٢ _ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (٤٧٣ / ١٠) .

^٣ _ ينظر : روح المعاني : (١١٩ / ١٣) .

^٤ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٥٤ / ١) ، والمحزر الوجيز : (٣٠٣ / ٣) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٥١ / ١) .

^٦ _ ينظر : المحزر الوجيز : (١٠٢ / ١) ، وزاد المسير : (٤٣ / ١) ، والجامع لأحكام القرآن : (٢١٧ / ١) وتفسير النسفي : (٢٤ / ١) ، وفتح القدير : (٤٨ / ١) .

^٧ _ الجامع لأحكام القرآن : (٢١٧ / ١) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ الجمع بين الأقوال ، فإن الرعد : وإن كان هو الصوت المسموع المعروف ، فإن ذلك لا يمنع من أنه صادر عن ملك ، أو أنه بسبب اختناق الريح ، أو بسبب اصطكاك الأجرام .

قال ابن تيمية^١ _ رحمه الله _ : « وأما الرعد والبرق : ففي الحديث المرفوع في الترمذي وغيره أنه سئل عن الرعد قال : « ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله »... وقد روي عن بعض السلف أقوال لا تخالف ذلك كقول من يقول : أنه اصطكاك أجرام السحاب بسبب انضغاط الهواء فيه . فإن هذا لا يناقض ذلك ؛ فإن الرعد مصدر رعد يرعد رعداً ، وكذلك الراعد يسمى رعداً ، كما يسمى العادل عدلاً ، والحركة توجب الصوت ، والملائكة هي التي تحرك السحاب وتنقله من مكان إلى مكان ، وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فهي عن الملائكة ، وصوت الإنسان : هو عن اصطكاك أجرامه الذي هو شفتاه ولسانه وأسنانه ولهاته وحلقه ، وهو مع ذلك يكون مسبحاً للرب ، وأمرأً بمعروف وناهياً عن منكر .

فالرعد إذاً صوت يزجر السحاب ، وكذلك البرق : قيل لمعان الماء أو لمعان النار ، وكونه لمعان النار أو الماء لا ينافي أن يكون اللامع مخراقاً بيد الملك ، فإن النار التي تلمع بيد الملك كالمخراق ، مثل مزجي المطر ، والملك يزجي السحاب كما يزجي السائق للمطي^٢ .

ويؤيد ما سبق القاعدة الترجيحية التي تنص على أنه : « إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية به »^٣ .



^١ _ ابن تيمية : شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ، مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . طبقات الحفاظ : (١ / ٥٢٠ - ٥٢١) ، المقصد الأرشد : (١ / ١٣٣ - ١٣٩) .

^٢ _ مجموع الفتاوى : (٢٤ / ٢٦٣ - ٢٦٤) .

^٣ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

٦ / ٦ _ المسألة الثانية : مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضمير في قوله تعالى ﴿ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ يعود على الله تعالى ، فقال : « والظاهر عود الضمير في قوله ﴿ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ على الله تعالى ، كما عاد في قوله ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ ، ومعنى خيفته : من هيئته وإجلاله »^١ .

الدراسة والموازنة :

للعلماء في مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ قولان :

القول الأول : أنه يعود على الله عز وجل وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ، والواحدي^٣ ، والبغوي^٤ ، والزمخشري^٥ ، وابن الجوزي^٦ ، والفخر الرازي^٧ ، وهو قول جمهور المفسرين^٨ .

القول الثاني : أنه عائد على الرعد ، قال الماوردي _ رحمه الله _ : « ولعله قول مجاهد »^٩ . وهذا القول ضعفه أبو حيان^{١٠} ، والألوسي^{١١} ، والقونوي^{١٢} . قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « وقيل : يعود على الرعد ، والملائكة أعوانه جعل الله له ذلك ، فهم خائفون خاضعون طائعون له ، والرعد وإن كان مندرجاً تحت لفظ الملائكة فهو تعميم بعد تخصيص انتهى ، وهو قول ضعيف »^{١٣} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٦٦ / ٥ - ٣٦٧) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٣ / ١٢٤) .

^٣ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٦٧) .

^٤ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣ / ١١) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٢ / ٤٨٩) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣١٤) .

^٧ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٢٢) .

^٨ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٢٢) ، الجواهر الحسان : (٥ / ٢٧٩) ، إرشاد العقل السليم

(٥ / ٦٠) ، فتح القدير : (٣ / ٧٢) ، روح المعاني : (١٣ / ١٢٠) .

^٩ _ النكت والعيون : (٣ / ١٠١) .

^{١٠} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٧) .

^{١١} _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ١٢٠) .

^{١٢} _ ينظر : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (١٠ / ٤٧٣) .

^{١٣} _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٦ - ٣٦٧) .

وقال القونوي _ رحمه الله _ : « لكن خوف الملائكة من الرعد بعيد سواء كان اسم الرعد : ملك موكل ، أو عبارة عن صوت هائل »^١ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ، وجمهور المفسرين ، وهو أن مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ يعود على الله عز وجل ؛ لأن توحيد الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها^٢ ؛ فكما عاد الضمير في قوله تعالى ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ على الله تعالى ؛ فكذلك الضمير في قوله تعالى ﴿ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ يعود عليه عز وجل^٣ .



^١ _ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (١٠ / ٤٧٣) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح : (٢ / ٦١٣) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٦) .

قوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [١٤] .
٧ / ٧ _ المراد بالحق في قوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بالحق : الذي هو نقيض الباطل ؛ حيث قال _ رحمه الله _ : « وقال الزمخشري : فيه وجهان :

أحدهما : أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل ، كما تضاف الكلمة إليه في قوله^١ : كلمة الحق ؛ للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق المختصة به ، وأنها بمغزل من الباطل ، والمعنى : أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ، ويعطي الداعي سؤاله^٢ إن كانت مصلحة له ، فكانت دعوته^٣ ملابسة للحق ؛ لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء ؛ لما في دعوته من الجدوى والنفع ، بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه .

والثاني : أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وجل^٤ على معنى : دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب ، وعن الحسن _ رحمه الله _ : الحق هو الله تعالى ، وكل دعاء إليه دعوة الحق انتهى^٥ . وهذا الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري لا يظهر ؛ لأن مآله إلى تقدير لله دعوة لله ، كما تقول : لزيد دعوة زيد ، وهذا التركيب لا يصح ، والذي يظهر أن هذه الإضافة من باب إضافة الموصوف إلى الصفة ، كقوله ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [سورة يوسف : ١٠٩] على أحد الوجهين ، والتقدير لله الدعوة الحق بخلاف غيره فإن دعوتهم باطلة ، والمعنى أن الله تعالى الدعوة له هي الدعوة الحق^٦ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالحق في قوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بالحق : ضد الباطل ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول البيضاوي^٧ ،

^١ _ في الكشف : (٣ / ٣٤٢) : « في قولك » .

^٢ _ في الكشف : (٣ / ٣٤٢) : « سؤاله » .

^٣ _ في الكشف : (٣ / ٣٤٢) : « دعوة » .

^٤ _ في الكشف : (٣ / ٣٤٢) : « عز وعلا » .

^٥ _ ينظر الكشف : (٣ / ٣٤٢ - ٣٤٣) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٨) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ١٦٨) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٢٣) .

والنسفي^١ ، ووافقهم السمين الحلبي^٢ ، وأبو السعود^٣ ، والشوكاني^٤
وهذا القول صححه ابن عطية فقال : « ويصح أن يكون معناها له دعوة العباد الحق ، ودعاء
غيره من الأوثان باطل »^٥ .

واستدل لهذا القول بمناسبته لآخر الآية ، وهو قوله تعالى ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ .
قال أبو السعود _ رحمه الله _ : « ﴿ لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقِّ ﴾ أي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المحاجة
عند وقوعها ، والإضافة للإيدان بملاستها للحق ، واختصاصها به ، وكونه بمعزل من شائبة البطلان
والضياع والضلال ، كما يقال كلمة الحق . وقيل : له دعوة الله سبحانه ، أي الدعوة اللائقة بحضوره
... والأولى هو الأول لقوله تعالى ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ »^٦ .

القول الثاني : أن المراد بالحق : الله ﷻ ، وهو قول الحسن^٧ .

ورد أبو حيان _ رحمه الله _ هذا القول فقال : « وهذا الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري لا
يظهر ؛ لأن مآله إلى تقدير لله دعوة الله ، كما تقول : لزيد دعوة زيد ، وهذا التركيب لا يصح »^٨ .
وقال الشهاب راداً على اعتراض أبي حيان : « ولما الكلام مسوقاً لاختصاصه تعالى بأن يدعى ،
ويبعد رداً لمن يجادل في الله ويشرك به الأنناد ، فلا بد من أن يكون في الإضافة إشعار بهذا
الاختصاص ، فإن جعل الحق مقابل الباطل فهو ظاهر ، وإن جعل اسماً من أسمائه تعالى فالأصل دعوة
الله تأكيداً للاختصاص باللام والإضافة ، ثم زيد ذلك بإقامة الظاهر مقام المضمرة معاداً بوصف ينبيء
عن اختصاصها به أشد الاختصاص ، فقيل : له دعوة المدعو الحق ، والحق من أسمائه تعالى يدل على
أنه الثابت بالحقيقة ، وما سواه باطل من حيث هو ، وحق بتحقيق الله له . وبهذا سقط ما قيل إن
مآل الكلام على هذا دعوة الله فهو كما تقول لزيد دعوة زيد ، وهو غير صحيح ولا حاجة إلى
تأويله بأن المراد لله الدعوة التي تليق أن تنسب ، وتضاف إلى ذاته فإنه قليل الجدوى »^٩ .

^١ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٤٥) .

^٢ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٣٤) .

^٣ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١) .

^٤ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ٧٣) .

^٥ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٠٥) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١) .

^٧ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٤٢ - ٣٤٣) ، وزاد المسير : (٤ / ٣١٧) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ٣٠) .

^٨ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٦٨) .

^٩ _ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٣٩٨) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد بالحق : ضد الباطل ؛ وذلك لمناسبته للسياق اللاحق من الآيات كما استدل به أصحاب هذا القول ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية^١ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٩٩) .

قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْمًا لَهُمْ
بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [١٥] .

في الآية الكريمة ثلاث مسائل :

٨ / ٨ _ المسألة الأولى : هل الآية عامة أم خاصة ، وما المراد بالسجود ؟

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ بأن الآية عامة ، وأن المراد بالسجود في الآية الكريمة سجود الانقياد والخضوع فقال : « إن كان السجود بمعنى الخضوع والانقياد ، فمن عمومها ينقاد كلهم إلى ما أَرَادَهُ تَعَالَى بِهِمْ شَأْوًا أَوْ أَبَا ، وتنقاد له تعالى ظلالم حيث هي على مشيئته من الامتداد والتقلص والفيء والزوال ، وإن كان السجود عبارة عن الهيئة المخصوصة ، وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه الواضع فيكون عاماً مخصوصاً ، إذ يخرج منه من لا يسجد ... ، والذي يظهر أن مساق هذه الآية إنما هو أن العالم كله مقهور لله تعالى خاضع لما أَرَادَ مِنْهُ مَقْصُورٌ عَلَى مَشِيئَتِهِ لَا يَكُونُ مِنْهُ إِلَّا مَا قَدَرَ تَعَالَى ، فالذين تعبدوهم كائناً ما كانوا داخلون تحت القهر ، ويدل على هذا المعنى تشريك الظلال في السجود ، والظلال ليست أشخاصاً يتصور منها السجود بالهيئة المخصوصة ، ولكنها داخلية تحت مشيئته تعالى يصرفها على ما أَرَادَ إِذْ هِيَ مِنَ الْعَالَمِ ، فالعالم جواهره وأعراضه داخلية تحت إرادته كما قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْأَمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [سورة النحل : ٤٨] .^١

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في عموم الآية أو خصوصها ، وفي المراد بالسجود قولان :

القول الأول : أن الآية عامة في كل سجود ، فهو هنا بمعنى الخضوع والانقياد ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول السمعاني^٢ ، والزمخشري^٣ ، ووافقهم أبو السعود^٤ ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٦٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن : (٨٦ / ٣) .

والسمعاني هو : منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي ، أبو المظفر ، ولد سنة ٤٢٦ هـ ، إمام عصره ، صنف التصانيف في التفسير والحديث والفقه ، توفي سنة ٤٨٩ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١٩ / ١١٤ - ١١٩) ، وطبقات المفسرين ، للدواودي : (١٤٣ / ١ - ١٤٤) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٤٩١ / ٢) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٢ - ١١ / ٥) .

والشوكاني^١، والألوسي^٢، والسعدي^٣.

واستدل لهذا القول بما يلي :

١_ أن أصل السجود في لغة العرب الذل والخضوع ، ومنه قول العرب : أسجد : إذا طأطأ رأسه وانحنى^٤ ، وعلى هذا القول فالسجود لغوي لا شرعي^٥.

٢_ ما يفيدته تقديم ﴿لِلَّهِ﴾ على الفعل من الاختصاص ، فإن سجود الكفار لأصنامهم معلوم ولا ينقادون لهم كأنقيادهم لله في الأمور التي يقرون على أنفسهم بأنها من الله كالخلق والحياة والموت ونحو ذلك^٦.

٣_ أن تحقيق انقياد الكل في الإبداع والإعدام له تعالى أدخل في التوبيخ على اتخاذ أولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى ، وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم أيضاً كذلك ؛ لأنهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم^٧.

٤_ تشيرك الظلال في السجود ، والظلال ليست أشخاصاً يتصور منها السجود بالهيئة المخصوصة ولكنها داخلة تحت مشيئته تعالى يصرفها على ما أراد ؛ إذ هي من العالم ، فالعالم جواهره وأعراضه داخلة تحت إرادته^٨.

القول الثاني : أن الآية من العام الذي يراد به خصوص السجود الحقيقي . ويكون المعنى : ﴿وَلِلَّهِ

يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ : يعني الملائكة والمؤمنين ، ﴿وَكَرْهًا﴾ : وهم من أكرهوا على السجود ، كالمنافقين ؛ لأنهم كفار في الباطن ولا يسجدون لله إلا كرهاً كما قال تعالى ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالٍ يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [سورة النساء : ١٤٢] ، وقال تعالى ﴿وَمَا مَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالٍ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [سورة التوبة : ٥٤] .

^١ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ٧٤) .

^٢ _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ١٢٦) .

^٣ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٤١٥) .

^٤ _ ينظر : القاموس المحيط : (٢٨٧) ، ولسان العرب : (٣ / ٢٠٦) ، ومفردات ألفاظ القرآن : (٣٩٦) .

^٥ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٩٩ - ١٠٠) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ٧٤) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢) .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٦٩) .

والدليل على أن سجود أهل السموات والأرض من العام المخصوص قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] ، فقوله ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾ دليل على أن بعض الناس غير داخل في السجود المذكور ، أو سجود الكفرة كرهاً حال الشدة والضرورة ، وقيل : ﴿ طَوْعًا ﴾ من طالت مدة إسلامه فألف السجود ، و ﴿ وَكَرْهًا ﴾ من يكره نفسه لله تعالى ؛ لأن التزام التكليف مشقة ، ولكنهم يتحملون المشقة إخلاصاً وإيماناً إلى أن يألفوا الحق ويمرنوا عليه . فالآية في المؤمنين ، وعلى هذا يكون معنى ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ : وبعض من في الأرض ، وقيل المراد بسجود الكافر : سجود ظله^١ .

وهذا القول مروى عن الحسن ، و مجاهد^٢ ، وقتادة ، وابن زيد^٣ ، وهو قول الطبري^٤ ، والواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، وابن كثير^٧ ، والبيضاوي^٨ ، والثعالبي^٩ ، ومحمد الأمين الشنقيطي^{١٠} .

الترجيح :

باستعراض ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ القول الثاني ، وهو أن الآية عامة يراد بها الخصوص ، وأن السجود على حقيقته ؛ وذلك لأن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية ؛ لأن الشارع معني ببيان الشرع لا ببيان اللغات^١ ، كما لو كان الكلام يحتمل المجاز والحقيقة ، لقدمدت الحقيقة على المجاز ؛ لأنها الأصل^٢ .

^١ _ ينظر : أضواء البيان : (٩٩ / ٣) .

^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٦٢٩ / ٤) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٤٠٣ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٢٩ / ٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٤٠٣ / ١٦) .

^٥ _ ينظر : الوجيز : (٥٦٨ / ١) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (١٢ / ٣) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٥٠٨ / ٢) .

^٨ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٢٤ / ٣) .

^٩ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٨٢ / ٥) .

^{١٠} _ ينظر : أضواء البيان : (١٠٠ / ٣) .

^١ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٣٤) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (٤٠١ / ٢) .

^٢ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٥٤٨) .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي _ رحمه الله _ : « ولا يخفى أن حاصل القولين :
أن أحدهما : أن السجود شرعي ، وعليه فهو في أهل السموات والأرض من العام المخصوص .
والثاني : أن السجود لغوي بمعنى الانقياد والذل والخضوع ، وعليه فهو باق على عمومته .
والمقرر في الأصول عند المالكية والحنابلة وجماعة من الشافعية أن النص إن دار بين الحقيقة
الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية ، وهو التحقيق خلافاً لأبي حنيفة^١ في تقديم اللغوية ولمن
قال يصير اللفظ مجماً لاحتمال هذا وذاك ، وعقد هذه المسألة صاحب مراقبي السجود بقوله :
واللفظ محمول على الشرعي إن لم يكن فمطلق العرفي
فـاللغوي على الجلي ولم يجب بحث عن المجاز في الذي انتخب^٢ »^٣ .



١ _ أبو حنيفة : النعمان بن ثابت / مولى بني تميم الله بن ثعلبة ، فقيه العراق ، مات سنة ١٥٠ هـ . ينظر :
الكاشف : (٢ / ٣٢٢) ، والتاريخ الكبير : (٨ / ٨١) .
٢ _ ينظر : نشر البنود على مراقبي السجود : (١ / ١٢٩ - ١٣٠) .
٣ _ أضواء البيان : (٣ / ١٠٠) .

٩ / ٩ _ المسألة الثانية : المراد بالظلال في قوله تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَاهُمْ بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ ﴾ :

رجح أبو حيان بأن المراد بالظلال في قوله تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَاهُمْ بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ ﴾ الظل المعروف فقال _ رحمه الله _ : « والظلال ليست أشخاصاً يتصور منها السجود بالهيئة المخصوصة ولكنها داخلة تحت مشيئته تعالى يصرفها على ما أراد ؛ إذ هي من العالم ؛ فالعالم جواهره وأعراضه داخلة تحت إرادته كما قال تعالى ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّلُهُ عَنِ الِّيمِينِ عَمَّالٍ وَآلِ سُّجَّدًا لِلَّهِ ﴾ [سورة النحل : ٤٨] ، وكون الظلال يراد بها الأشخاص كما قال بعضهم ، ضعيف »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالظلال قولان :

القول الأول : أن المراد الظل المعروف ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً المروي عن مجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وابن زيد^٢ ، وقول السمعاني^٣ ، والبغوي^٤ ، و القرطبي^٥ ، ووافقهم أبو السعود^٦ ، والشوكاني^٧ ، والألوسي^٨ .

القول الثاني : أن المراد بالظلال : الأشخاص ، حكاه الزجاج وضعفه فقال : « وهذا مخالف للتفسير »^٩ ، وذكره السمعاني^{١٠} ، وضعفه أبو حيان^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٦٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٦٣٠ / ٤) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن : (٨٦ / ٣) .

^٤ _ ينظر : معالم التنزيل : (١٢ / ٣) .

^٥ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٣٠٢ / ٩) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٢ / ٥) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٧٣ / ٣) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٢٦ / ١٣) .

^٩ _ معاني القرآن : (١٤٤ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير القرآن : (٨٦ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : البحر المحيط : (٣٦٩ / ٥) .

الترجيح:

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ومن معه ، وهو أن المراد بالظلال : الظل المعروف ؛ لأن الأصل حمل نصوص الوحي على الحقيقة ، فالأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة^١ .



^١ _ ينظر : قواعد التفسير عند المفسرين : (٢ / ٣٨٧) .

١٠ / ١٠ المسألة الثالثة : المراد بسجود الظلال :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بسجود الظلال : ميلها من جانب إلى جانب فقال _ رحمه الله _ : « وأما الظل فعرض لا يتصور قيام الحياة به ، وإنما معنى سجود الظلال ميلها من جانب إلى جانب كما أراد تعالى »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بسجود الظلال على قولين :

القول الأول : أن السجود هنا عبارة عن ميلها من جانب إلى جانب ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، ووافقهما ابن جزري^٣ ، وأبو السعود^٤ ، والألوسي^٥ .

القول الثاني : أنه سجود على الحقيقة ، وهو سجود ظلال كل من سجد لله طوعاً وكرهاً بالغدوات والعشايا ، وذلك أن ظل كل شخص يفيء بالعشي ، كما قال جل ثناؤه ﴿ أَوْلَمَ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّلهُ عَنِ الَّيْمِينِ وَالْمَآئِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ ﴾ [النحل : ٤٨] وهو مروى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيد^٦ ، وقول الفراء^٧ ، والطبري^٨ ، والزجاج^٩ ، والسمرقندي^{١٠} ، والماوردي^{١١} ، والواحدي^{١٢} ، والسمعاني^{١٣} ، والبغوي^{١٤}

^١ _ البحر المحيط : (٣٦٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٤٩١ / ٢) .

^٣ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (١٣٣ / ٢) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٢ / ٥) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٢٦ / ١٣) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (٤٠٤ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٣٠ / ٤) .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن : (٦١ / ٢) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (٤٠٤ / ١٦) .

^٩ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (١٤٤ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : بحر العلوم : (٢٢١ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : النكت والعيون : (١٠٤ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : الوجيز : (٥٦٨ / ١) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير القرآن : (٨٦ / ٣) .

^{١٤} _ ينظر : معالم التنزيل : (١٢ / ٣) .

وابن عطية^١ ، والقرطبي^٢ ، والنسفي^٣ ، والثعالبي^٤ ، والشوكاني^٥ ، والسعدي^٦ ، ومحمد الأمين الشنقيطي^٧ .

ثم اختلفوا في كيفية سجود الظلال على أقوال منها :

قول السمرقندي _ رحمه الله _ : « وسجود الظل دورانه »^٨ .
وقول ابن الأنباري _ رحمه الله _ : « يجعل للظلال عقول تسجد بها وتخضع بها كما جعل للجبال أفهام حتى خاطبت وخوطبت »^٩ .
وقول الواحدي _ رحمه الله _ : « ﴿ وَظَلَّلَهُمْ بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ ﴾ كل شخص مؤمن أو كافر فإن ظله يسجد لله ونحن لا نقف على كيفية ذلك »^{١٠} .
وقول الشيخ السعدي _ رحمه الله _ : « ﴿ وَظَلَّلَهُمْ بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ ﴾ أي : وتسجد له ظلال المخلوقات أول النهار وآخره ، وسجود كل شيء بحسب حاله كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] »^{١١} .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن المراد بسجود الظلال : أنه سجود على الحقيقة ، ونكل علمه إلى الله تعالى ؛ ويؤيد ذلك القاعدة الترجيحية التي تنص على أنه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة^{١٢} .

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٠٦) .

^٢ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٠٢) .

^٣ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢ / ٢١٣) .

^٤ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٥ / ٢٨٢) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ٧٣) .

^٦ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٤١٥) .

^٧ _ ينظر : أضواء البيان : (٢ / ٢٣٨) .

^٨ _ بحر العلوم : (٢ / ٢٢٢) .

^٩ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٠٢) .

^{١٠} _ الوجيز : (١ / ٥٦٨) .

^{١١} _ تيسر الكريم الرحمن : (١ / ٤١٥) .

^{١٢} _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٥٤٨) ، وقواعد الترجيح : (٢ / ٣٨٧) .

قال البغوي _ رحمه الله _ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَفْقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَيَاةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] : « فإن قيل الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى ؟ . قيل : الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه ، ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غير الله ، فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] ، وقال ﴿ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمَ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ ﴾ [سورة النور : ٤١] ، وقال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ الآية [سورة الحج : ١٨] ، فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى »^١ .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي _ رحمه الله _ : « ونحن نقول إن الله جل وعلا قادر على كل شيء فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكاً يسجد به لله تعالى سجوداً حقيقياً ، والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من كتاب أو سنة »^٢ .



^١ _ معالم التنزيل : (١ / ٨٥ - ٨٦) .

^٢ _ أضواء البيان : (٢ / ٢٣٨) .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [١٦] .

١١ / ١١ _ من القائل ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ ؟

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن القائل ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ السائل نفسه ؛ لوضوحه ، ولعدم إنكارهم لذلك : « ولما كان السؤال عن أمر واضح لا يمكن أن يدفع منه أحد كان جوابه من السائل فكان السبق إليه أفصح في الاحتجاج إليهم وأسرع في قطعهم في انتظار الجواب منهم ؛ إذ لا جواب إلا هذا الذي وقعت المبادرة إليه كما قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [سورة سبأ : ٢٤] »^١ .

الدراسة والموازنة :

في بيان من القائل ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ للمفسرين أقوال :

القول الأول : أن القائل ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ هو السائل نفسه ؛ لوضوحه ، ولعدم إنكارهم لذلك ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الواحدي^٢ ، وابن عطية^٣ ، وابن الجوزي^٤ ، والرازي^٥ ، والبيضاوي^٦ ، والخازن^٧ ، ووافقهم ابن جزى^٨ ، وابن عادل^٩ ، والمراغي^{١٠} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٠ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ١١ - ١٢) ، والوجيز : (١ / ٥٦٩) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٠٦) .

^٤ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٢٠) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٣٢) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٢٤) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ٥٦) .

^٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٣) .

^٩ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٢٨٢) .

و ابن عادل هو : عمر بن علي سراج الدين الحنبلي ، أبو حفص ، عالم بالتفسير ، جماعة له ، توفي سنة ٨٨٠ هـ ، أو بعدها بقليل . ينظر : الأعلام : (٥ / ٥٨) ، وكشف الظنون : (٥ / ٧٩٤) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ٨٥) .

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة لقمان : ٢٥] ^١ .

القول الثاني : أن القائل ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ هو السائل نفسه ؛ لأن المسئولين جهلوا الإجابة ، وهو قول مكِّي ^{٣٢} .

واستبعد هذا القول أبو حيان فقال : « ويعد ما قال مكِّي من أنهم جهلوا الجواب فطلبوه من جهة السائل فأعلمهم به السائل ؛ لأنه قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة لقمان : ٢٥] فإذا كانوا مقرين بأن منشئ السموات والأرض ومخترعها هو الله فكيف يقال بأنهم جهلوا الجواب فطلبوه من السائل » ^٤ .

القول الثالث : أن قوله ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ حكاية لاعتراضهم تأكيد له عليهم ؛ لأنه إذا قال لهم : من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله ، وهو قول الشوكاني ^٥ . وقال الزمخشري ^٦ ، والنسفي ^٧ ، وأبو السعود ^٨ بهذا القول والقول الأول . واستدل أصحاب هذا القول بما يلي :

١ _ أنه كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٨٦ - ٨٧] ^٩ .

^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٧٠ / ٥) ، وتفسير المراغي : (١٣ / ٨٥) .

^٢ _ مكِّي بن أبي طالب بن حيوس أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي ، إمام علامة محقق عارف أستاذ القراء والمجودين ، ولد سنة ٣٥٥ هـ ، وتوفي سنة ٣٩٤ هـ . ينظر : غاية النهاية : (٢ / ٣٠٩ - ٣١٠) ، و البلغة : (١ / ٢٢٥ - ٢٢٦) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ٣١٦ - ٣١٧) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٧٠ / ٥) .

^٤ _ المرجع السابق : (٣٧٠ / ٥) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ٧٤) .

^٦ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٤٤) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٤٦) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٤٤) .

٢ _ قراءة ابن مسعود ، وأبي^١ _ رضي الله عنهما _ (قالوا الله)^٢ .
ورد الشهاب هذا القول بأن السياق يأباه^٣ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان ومن معه ، وهو أن القائل ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ هو السائل نفسه ؛ وذلك لأن السياق فيه تقرير لوضوح استحقاق الله تعالى للعبادة دون سواه ، فكان رد السائل أبلغ في بيان ذلك لوضوحه وتقرره في نفوسهم .



^١ _ أبي بن كعب بن قيس بن عبيد ، من بني النجار ، أبو المنذر ، وأبو الطفيل ، الأنصاري ، أقرأ الأمة ، كان حبراً من أحبار اليهود قبل الإسلام ، وبعده أصبح من كتاب الوحي ، توفي سنة ١٩ هـ ، وقيل سنة ٢١ هـ ، وقيل سنة ٢٢ هـ ، وقيل : سنة ٣٠ هـ . ينظر : معرفة القراء الكبار : (١ / ٣٢ _ ٣٣) ، والاستيعاب : (١ / ٦٥) ، والإصابة في تمييز الصحابة : (١ / ٢٧) .

^٢ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٤٦) .

^٣ _ ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٤٠٢) .

قال الله تعالى ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ۗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [١٧] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٢ / ١٢ _ المسألة الأولى : فيم ضرب له هذان المثالن في الآية الكريمة :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن هذا المثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل ؛ حيث قال : « وقيل : هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل ، فالماء مثل القرآن ؛ لما فيه من حياة القلوب وبقاء الشرع والدين ، والأودية مثل للقلوب ، ومعنى بقدرها على سعة القلوب وضيقها ، فمنها ما انضغ به فحفظه ووعاه وتدبر فيه فظهرت ثمرته وأدرك تأويله ومعناه ، ومنها دون ذلك بطبقة ، ومنها دونه بطبقات ، والزبد مثل الشكوك والشبه وإنكار الكافرين أنه كلام الله ودفعهم إياه بالباطل ، والماء الصافي المنتفع به مثل الحق انتهى . وفي الحديث الصحيح ما يؤيد هذا التأويل وهو قوله _ ﷺ _ : « مثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً وكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبت الكأ والعشب الكثير ، وكانت منها طائفة أجادب فأمسكت الماء فانتفع الناس به وسقوا ورعوا ، وكانت منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل ما جئت به من العلم والهدى ، ومثل من لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »^١ ...^٢ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين فيما ضرب له هذان المثالن في الآية أقوال :

القول الأول : أن هذا المثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ موافقاً للمروي عن ابن عباس^٣ ، وقول الماوردي^٤ ،

١ _ أخرجه البخاري في صحيحه ، باب فضل من علم وعلم ، (٤٢ / ١) ، ح : (٧٩) ، ومسلم في صحيحه ، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم ، (١٧٨٧ / ٤) ، ح : (٢٢٨٢) .

٢ _ البحر المحيط : (٣٧١ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (١٧٢ / ٢) .

٣ _ ينظر : الوسيط : (١٢ / ٣) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٥٧ / ٣) .

٤ _ ينظر : النكت والعيون : (١٠٦ / ٣) .

والواحد^١ ، والسمعي^٢ ، ونحوه قول السعدي^٣ .

القول الثاني : أنه مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلاً لهما ، فمثل الحق وأهله بالماء الذي يتزل من السماء فتسيل به أودية للناس ، فيحيون به ، وينفعهم أنواع المنافع ، وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلبي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى فيه ، وإن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهراً يثبت الماء في منفعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والجبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكثر ، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة ، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به ويزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب ، وهو مروى عن ابن عباس^٤ _ رضي الله عنهما _ ، وعطاء^٥ ، وقتادة^٦ ، ومجاهد^٧ ، وقول الصنعاني^٨ ، والطبري^٩ ، والثعلبي^{١٠} ، والزمخشري^{١١} ، والقرطبي^{١٢} ، والبياضوي^{١٣} ، وابن جزى^{١٤} ، وابن كثير^{١٥} ، والثعالبي^{١٦} ، والشوكاني^{١٧} ،

^١ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٩٦ - ٥٧٠) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن : (٣ / ٨٨) .

^٣ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٧٥) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤١٠) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٣٣) .

^٥ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦٣٣) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤١٢ - ٤١٣) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٣٤) .

^٧ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٢٧ / ٣٢٨) ، وجامع البيان : (١٦ / ٤١١ - ٤١٢) ، والدر المنثور : (٤ /

٦٣٥) .

^٨ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٣٤) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٠٨) .

^{١٠} _ ينظر : الكشف والبيان : (٢ / ٢٨٣) .

^{١١} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٤٥) .

^{١٢} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٠٤) .

^{١٣} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٢٦) .

^{١٤} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٣) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٠٨) .

^{١٦} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ١٨٥) .

^{١٧} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ٧٤) .

والألوسي^١، والمراغي^٢.

القول الثالث: أنه مثل للحق والباطل والإيمان والكفر والشك في الشرع واليقين به، وهو قول ابن عطية^٣.

القول الرابع: أنه مثل يريد به الشرع والدين، فسالت أودية يريد القلوب، أي: أخذ النبيل بحظه والبليد بحظه. وهو مروى عن ابن عباس^٤ - رضي الله عنهما -.

ورده ابن عطية فقال - رحمه الله - : « وهذا قول لا يصح والله أعلم عن ابن عباس لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز، وقد تمسك به الغزالي، وأهل ذلك الطريق، ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة تدعو إلى ذلك، والله الموفق للصواب برحمته، وإن صح هذا القول عن ابن عباس فإنما قصد أن قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ معناه: الحـق الذي يتقرر في القلوب المهدية والباطل الذي يعتريها أيضا من وساوس وشبه حين تنظر في كتاب الله عز وجل »^٥.

الترجيح:

باستعراض ما سبق يظهر أن الراجح - والله تعالى أعلم بالصواب - القول الثاني أنه مثل لبيان الحق من الباطل، وهو صريح من سياق الآيات، والقولان الأول والثالث فرع عن القول الثاني. قال السمرقندي - رحمه الله - : « فهذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد، كما يضمحل هذا الزبد، ويبقى خالص الماء، وخالص الذهب والفضة والحديد والصفير، فكذلك يضمحل الباطل عن أهله، وكما يمكث الماء في الأرض ويخرج نباتها، وكما يبقى خالص الذهب والفضة حين يدخلان النار، فكذلك يبقى الحق وثوابه لصاحبه »^٦.



^١ - ينظر: روح المعاني: (١٣ / ١٣٢ - ١٣٣).

^٢ - ينظر: تفسير المراغي: (١٣ / ٨٧).

^٣ - ينظر: المحرر الوجيز: (٣ / ٣٠٧).

^٤ - ينظر: جامع البيان: (١٦ / ٤١٠)، والدر المنثور: (٤ / ٦٣٢).

^٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٣ / ٣٠٨).

^٦ - بحر العلوم: (٢ / ٢٢٣).

١٣ / ١٣ _ المسألة الثانية : المراد بـ (من) في قوله تعالى ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ (من) في قوله تعالى ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ أنها للتبويض ، وعليه فإن الزبد يكون بعض ما يوقد عليه من المعادن ، فقال : « و (زبد) مرفوع بالابتداء ، وخبره في قوله ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ ، و (من) الظاهر أنها للتبويض ؛ لأن ذلك الزبد هو بعض ما يوقد عليه من تلك المعادن »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ (من) في قوله تعالى ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ قولان :

القول الأول : أن المراد بـ (من) في قوله تعالى ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ أنها للتبويض ، وعليه فإن الزبد يكون بعض ما يوقد عليه من المعادن ، وهو ما رجحه أبو حيان .

القول الثاني : وهو أن المراد بـ (من) في قوله تعالى ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ ابتداء الغاية ، وعليه يكون الزبد ينشأ من المعادن التي توقد على النار ، وهو قول الزمخشري^٢ ، والبيضاوي^٣ والنسفي^٤ وأبو السعود^٥ ، والشوكاني^٦ ، والطاهر بن عاشور^٧ .

قال أبو السعود _ رحمه الله _ : « ومن : ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئاً منه ، لا تبعية معربة عن كونه بعضاً منه كما قيل ؛ لإخلال ذلك بالتمثيل ، وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من إيقاد النار عليه جري على سنن الكبرياء بإظهار التهـاون به كما في قوله تعالى ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الْطِينِ ﴾ [سورة القصص : ٣٨] ، وإشارة إلى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه ، و ﴿ فِي ﴾ زيادة ﴿ فِي النَّارِ ﴾ إشعار بالمبالغة في الاعتماد للإذابة وحصول الزبد كما أشير إليه ، وعدم التعرض لإخراجه من الأرض لعدم دخل ذلك العنوان في

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٢ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣٤٦ / ٣) .

^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٢٦ / ٣) .

^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢١٤ / ٢) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٤ / ٥) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (٧٥ / ٣) .

^٧ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١١٩ / ١٣) .

التمثيل ، كما أن لعنوان إنزال الماء من السماء دخلاً فيه حسبما فصل فيما سلف ، بل له إخلال بذلك»^١ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على القولين ، قال به السمين الحلبي^٢ ، وابن عادل^٣ .

قال السمين الحلبي _ رحمه الله _ : ((و (من) في قوله ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ تحتمل الوجهين ، أحدهما : أن تكون لا ابتداء الغاية ، أي : ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء ، والثاني : أنها للتبعيض ، بمعنى : وبعضه زبد))^٤ .

وزاد ابن عادل _ رحمه الله _ فقال : ((والثاني : أنها للتبعيض ، بمعنى : وبعض زبد ، هذا مثل آخر . فالأول : ضرب المثل بالزبد الحاصل من المثال ، ووجه المماثلة : أن كلاً منهما ناشئ من الأكدار))^٥ .

ويؤيد ما سبق القاعدة الترجيحية التي تنص على أنه : إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٦ .



^١ _ إرشاد العقل السليم : (١٥ / ٥ - ١٤) .

^٢ _ ينظر : الدر المصون : (٤١ / ٧) .

^٣ _ ينظر : اللباب في علوم الكتاب : (٢٨٨ / ١١) .

^٤ _ الدر المصون : (٤١ / ٧) .

^٥ _ اللباب في علوم الكتاب : (٢٨٨ / ١١) .

^٦ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

قال الله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [١٨] .

١٤ / ١٤ _ في إعراب ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۗ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن إعراب ﴿ الْحُسْنَىٰ ۗ ﴾ مبتدأ وخبره ﴿ لِلَّذِينَ ۗ ﴾ ، والمعنى : للذين دعاهم الله على لسان رسوله _ ﷺ _ فأجابوا إلى ما دعاهم إليه من اتباع دينه : الحالة الحسنى ، فقال : « والظاهر أنه لما ضرب هذا المثل للحق والباطل انتقل إلى ما لأهل الحق من الثواب ، وأهل الباطل من العقاب فقال ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۗ ﴾ ، أي : الذين دعاهم الله على لسان رسوله _ ﷺ _ فأجابوا إلى ما دعاهم إليه من اتباع دينه : الحالة الحسنى ، وذلك هو النصر في الدنيا ، وما اختصوا به من نعمة الله ودخول الجنة في الآخرة ، فالحسنى : مبتدأ وخبره في قوله ﴿ لِلَّذِينَ ۗ ﴾ ، و ﴿ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ۗ ﴾ مبتدأ خبره ما بعده ، وغاير بين جملي الابتداء ؛ لما يدل عليه تقديم الجار والجرور من الاعتناء والاهتمام ، وعلى رأي الزمخشري من الاختصاص ، أي : لهؤلاء الحسنى لا لغيرهم ؛ ولأن قراءة شيوخنا يقفون على قوله ﴿ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة الرعد : ١٧] ويتدئون ﴿ لِلَّذِينَ ۗ ﴾ ، وعلى هذا المفهوم أعرب الحوفي ﴿ الْحُسْنَىٰ ۗ ﴾ مبتدأ ، و ﴿ لِلَّذِينَ ۗ ﴾ خبره وفسر ابن عطية ، وفهم السلف ، ... وعلق الزمخشري ﴿ لِلَّذِينَ ۗ ﴾ بقوله ﴿ يَضْرِبُ ﴾ [سورة الرعد : ١٧] فقال : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا ۗ ﴾ متعلقة بـ ﴿ يَضْرِبُ ﴾ [سورة الرعد : ١٧] أي : كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا ، وللكافرين الذين لم يستجيبوا ، أي : هما مثل للفريقين ، و ﴿ الْحُسْنَىٰ ۗ ﴾ صفة لمصدر ﴿ اسْتَجَابُوا ۗ ﴾ أي : استجابوا الاستجابة الحسنى ، وقولهم ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُمْ ۗ ﴾ كلام مبتدأ ذكر ما أعد لغير المستجيبين . انتهى ^١ . والتفسير الأول
أولى » ^٢ .

^١ _ ينظر : الكشاف : (٢ / ٤٩٤) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٧٣) .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في إعراب ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ آلْحُسْنَىٰ﴾ قولان :

القول الأول : إن إعراب ﴿آلْحُسْنَىٰ﴾ مبتدأ وخبره ﴿لِلَّذِينَ﴾ ، والمعنى : للذين دعاهم الله على لسان رسوله ﷺ _ فأجابوا إلى ما دعاهم إليه من اتباع دينه : الحالة الحسنی ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول النسفي^١ ، ووافقهما ابن جزى^٢ ، وشيخ زادة^٣ ، وأبو السعود^٤ ، والشهاب^٥ ، والقونوي^٦ ، والألوسي^٧ .

وبين أبو حيان _ رحمه الله _ أن هذا التفسير أولى لعدة أسباب فقال : « والتفسير الأول أولى ؛ لأن فيه ضرب الأمثال غير مقيد بمثل هذين ، والله تعالى قد ضرب أمثالا كثيرة في هذين وفي غيرهما ؛ ولأنه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري ، فكما ذكر ما لغير المستجيبين من العقاب ذكر ما للمستجيبين من الثواب ؛ ولأن تقديره : الاستجابة الحسنی مشعر بتقييد الاستجابة ، ومقابلتها ليس نفي الاستجابة مطلقاً ، إنما مقابلتها نفي الاستجابة الحسنی ، والله تعالى قد نفي الاستجابة مطلقاً ؛ ولأنه على قوله يكون قوله ﴿لَوَأَنَّ لِلَّهِ مِثْلَ الْجِبَالِ مِثْلَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ كلاماً مفلتاً مما قبله ، أو كالمفلت ، إذ يصير المعنى : كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين والكافرين لو أن لهم ما في الأرض ، فلو كان التركيب بحرف رابط ﴿لَوْ﴾ بما قبلها زال التفلت ، وأيضاً فيوهم الاشتراك في الضمير ، وإن كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوماً لهم »^٨ .

^١ _ ينظر : مدارك الترتيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٤٨) .

^٢ _ ينظر : التسهيل لعلوم الترتيل : (٢ / ١٣٤) .

^٣ _ ينظر : حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي : (٣ / ١١٦) .

وشيوخ زادة هو : محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي ، محي الدين الرومي ، الحنفي ، مفسر ، من فقهاء الحنفية ، برع في العلوم ، توفي سنة ٩٥١ هـ . ينظر : السبدر الطالع : (٢ / ٢٦٩ _ ٢٧٠) ، وهدية العارفين (٦ / ٢٣٨) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٥) .

^٥ _ ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٤٠٧) .

^٦ _ ينظر : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (١٠ / ٤٩١) .

والقونوي هو : إسماعيل بن مصطفى ، أبو المفدى ، عصام الدين ، مفسر ، من فقهاء الحنفية ، توفي بدمشق عام ١١٩٥ هـ . ينظر : الأعلام : (١ / ٣٢٦) .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ١٣٤ _ ١٣٥) .

^٨ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٧٣) .

القول الثاني: وهو أن الحسنى صفة لمصدر ﴿أَسْتَجَابُوا﴾ أي: استجابوا الاستجابة الحسنى ، وهو ما رجحه الزمخشري^١ ، والبيضاوي^٢ ؛ حيث جعلاً متعلقاً ﴿لِلَّذِينَ﴾ بقوله ﴿يَضْرِبُ﴾ [سورة الرعد : ١٧] . وضعفه أبو حيان ، وأبو السعود^٣ ، والقونوي^٤ ، والألوسي^٥ .

ورد على هذا القول بما يلي :

١ _ أن عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه أمر التمثيل ، وأن الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل ، نعم قد يستعمل في هذا المعنى أيضاً كما في قوله سبحانه ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة التحريم : ١١] ونظائره ، على أن بعض الأمثال المضروبة لا سيما المثل الأخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل ، ولا مساغ لجعل الفريقين مضروباً لهم أيضاً بأن يجعل في حكم أن يقال ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [سورة الرعد : ١٧] ؛ إذ لا وجه حينئذ لتنويهم إلى المستجيبين وغير المستجيبين^٦ .

٢ _ أن ضرب المثل للفريقين يجعلهما مفعولاً ثانياً لـ (جعل) ، ووجه الجعل : المبالغة في اتصافهما بهما ، كأنهما عين الحق والباطل ، لكن المراد بالأمثال حينئذ المثالان المذكوران ، وصيغة الجمع لا تلائم^٧ .

الترجيح :

مما سبق يظهر _ والله تعالى أعلم _ أن الراجح في معنى ﴿لِلَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَلْحُسْنَىٰ.....﴾ القول الأول ، وهو أن ﴿أَلْحُسْنَىٰ﴾ مبتدأ ، وخبرها ﴿لِلَّذِينَ﴾ وتقديره : لهم الحسنى لا لغيرهم ، وهو ما رجحه أبو حيان ؛ وذلك لما يلي :

^١ _ ينظر : الكشاف : (٤٩٤ / ٢) .

^٢ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٢٦ / ٣) .

^٣ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٦ / ٥) .

^٤ _ ينظر : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (٤٩١ / ١٠) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٣٤ / ١٣) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٦ / ٥) ، وحاشية القونوي : (٤٩١ / ١٠) ، وروح المعاني :

(١٣٤ / ١٣) .

^٧ _ ينظر : حاشية القونوي : (٤٩١ / ١٠) .

١ _ أنه الذي يستدعيه النظم الجليل ؛ لأن تمام حسن الفاصلة أن تكون كاسمها^١ . وتؤيده القاعدة التي تنص على أن الواجب علينا أن نحمل القرآن على لفظه ، ولا نزيله عن نظمه إذا لم تدعنا إلى ذلك ضرورة^٢ .

٢ _ أن قراءة الشيوخ الوقف على قوله ﴿الْأَمْثَالُ﴾ [سورة الرعد : ١٧] وبيندون ، وبيندون بـ ﴿لِلَّذِينَ﴾^٣ .

٣ _ أنه هو فهم السلف حيث فسروا ﴿الْحُسْنَى﴾^٤ : بالجنة ، أو الحياة الطيبة ، أو الجزاء المضاعف وغير ذلك^٥ ، ويؤيده القاعدة التفسيرية التي تنص على أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^٥ .

٤ _ أن ضرب المثل في هذا القول غير مقيد^٦ .

٥ _ أن في هذا القول ذكر ثواب المستجيبين^٧ .

٦ _ أن المثل المضروب مثل للحق والباطل ، وليس مثلاً للفريقين : المستجيبين وغير المستجيبين^٨ . ولكن يمكن القول بأن الآية الكريمة استئنافية بيانية ؛ حيث إن فائدة هذه الأمثال لمن يستجيب لها أن يكون جزاؤه الحسن ، ومن لم يستجب فجزاؤه العذاب الشديد .

قال الشيخ طاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِمْ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة الرعد : ١٨] استئناف بياني لجملة ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [سورة الرعد : ١٧] . أي : فائدة هذه الأمثال أن ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾^٩ حين يضرها لهم الحسن إلى آخره . فمناسبتة لما تقدم من التمثيلين : أنهما

^١ _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ١٣٤ - ١٣٥) .

^٢ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن : (٥٣١) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٧٣) ، وروح المعاني : (١٣ / ١٣٤ - ١٣٥) .

^٤ _ ينظر البحر المحيط : (٥ / ٣٧٣) .

^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٧١) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٧٣) .

^٧ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٧٣) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٦) ، وحاشية القونوي : (١٠ / ٤٩١) ، وروح المعاني : (١٣ /

١٣٤ - ١٣٥) .

عائدان إلى أحوال المسلمين والمشركين ، ففي ذكر هذه الجملة زيادة تنبيه للتمثيل وللغرض منه مع ما في ذلك من جزاء الفريقين ؛ لأن المؤمنين استجابوا لله بما عقلوا الأمثال فجوزوا بالحسنى . وأما المشركون فأعرضوا فلم يعقلوا الأمثال ، فمعنى ﴿ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ : استجابوا لدعوته بما تضمنه المثل السابق وغيره . وقوله ﴿ الْحُسْنَى ﴾ مبتدأ ، و ﴿ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا ﴾ خبره . وفي العدول إلى الموصولين وصلتيهما في قوله ﴿ لِلَّذِينَ أَسْتَجَابُوا ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ ﴾ إيماء إلى أن الصلتين سبيان لما حصل للفريقين . وتقديم المسند في قوله ﴿ لِلَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى ﴾ ؛ لأنه الأهم لأن الغرض التنويه بشأن الذين استجابوا مع جعل الحسنى في مرتبة المسند إليه ، وفي ذلك تنويه بها أيضاً . وأما الخبر عن وعيد الذين لم يستجيبوا فقد أجري على أصل نظم الكلام في التقديم والتأخير لقق الاكتراث بهم »¹ .



¹ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ١٢٢ - ١٢٣) .

قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [٢٠] .

١٥ / ١٥ المراد بالعهد :

رجح أبو حيان أن المراد بالعهد : العموم ، فقال _ رحمه الله _ : « (والظاهر عموم العهد) »^١ .
الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالعهد قولان :

القول الأول : أن المراد بالعهد العموم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول البغوي^٢ ، وابن عطية^٣ ، و القرطبي^٤ ، ووافقهم الشوكاني^٥ ، والسعدي^٦ .

القول الثاني : أن المراد بالعهد : عهد خاص وهو ما عقده على أنفسهم من الشهادة بربوبيته في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غٰفِلِينَ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] ، وهو مروى عن قتادة^٧ ، وهو قول الواحدي^٨ ، والزمخشري^٩ ، والبيضاوي^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، وأبي السعود^{١٢} .

قال الزمخشري _ رحمه الله _ : « (وعهد الله ما عقده على أنفسهم من الشهادة بربوبيته ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢]) »^{١٣} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٦ / ٥) .

^٢ _ ينظر : معالم التنزيل : (١٤ / ٣) .

^٣ _ ينظر : الخمر الوجيز : (٣٦ / ٩) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٠٧ - ٣٠٨) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (١٧ / ٣) .

^٦ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٧٦) .

^٧ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٧٦ / ٥) .

^٨ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٧٠) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٤٧) .

^{١٠} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٢٦ - ٣٢٧) .

^{١١} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢ / ٢١٦) .

^{١٢} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٦ - ١٧) .

^{١٣} _ الكشاف : (٣ / ٣٤٧) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ومن معه ، وهو أن المراد بالعهد العموم ؛ لأن القول الثاني داخل في القول الأول ؛ إذ إن الإيمان بربوبية الله تعالى يقتضي الالتزام بجميع أوامره تعالى ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه عز وجل . وعليه فلفظ العموم يشمل ذلك كله ، ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^١ .

وعليه فإن إضافة العهد إلى الفاعل ، أي : بما عهد الله ، أو إضافة العهد إلى المفعول ، أي : ما عقده على أنفسهم من الشهادة بربوبيته ، يمكن الجمع بينهما .

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : ((وعهد الله مصدر مضاف لمفعوله ، أي : ما عاهدوا الله على فعله ، أو من إضافة المصدر إلى فاعله ، أي : ما عاهد الله به إليهم . وعلى كلا الوجهين فالمراد به الإيمان الذي أحذه على الخلق المشار إليه بقوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [سورة

الأعراف : ١٧٢] .. فذلك عهدهم برهم . وأيضاً بقوله ﴿ أَلَمْ آعْهَدَ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ

لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنْ أَعْبُدُونِي ﴾ [سورة يس : ٦٠ - ٦١] وذلك

عهد الله إليهم بأن يعبدوه ولا يعبدوا غيره . فحصل العهد باعتبار إضافته إلى مفعوله وإلى فاعله^٢ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٢ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ١٢٥) .

قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ [٢١] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٦ / ١٦ المسألة الأولى : المراد بما أمر الله به أن يوصل :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بما أمر الله به أن يوصل : العموم في كل ما أمر الله تعالى به وما أمر به رسوله _ ﷺ _ ، فقال : « و ﴿ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ : ظاهره العموم في كل ما أمر به في كتابه وعلى لسان نبيه _ ﷺ _ »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بما أمر الله به أن يوصل أقوال :

القول الأول : أن المراد العموم في كل ما أمر الله تعالى به وما أمر به رسوله _ ﷺ _ وهو ماروجه أبو حيان موافقاً لابن عطية^٢ ، و القرطبي^٣ ، ووافقهم الشوكاني^٤ ، والألوسي^٥ ، و الطاهر بن عاشور^٦ ، و السعدي^٧ .

القول الثاني : أن المراد صلة القربات وهو قول قتادة^٨ ، والطبري^٩ ، والواحدي^{١٠} ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٦ / ٥) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٦ / ٩) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٣١٠ / ٩) .

^٤ _ ينظر : فتح القدير : (٧٨ / ٣) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٤٠ / ١٣) .

^٦ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٢٧ / ١٣) .

^٧ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٨٧٦ / ١) .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٧٦ / ٥) ، والدر المنثور : (٦٣٧ / ٤) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٤٠ / ١٣) .

^{١٠} _ ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد : (١٣ / ٣) .

و الزمخشري^١ ، والبيضاوي^٢ ، والنسفي^٣ ، ووافقهم ابن جزى^٤ ، وابن كثير^٥ ، وأبو السعود^٦ .
إلا أنهم أضافوا إلى صلة القرابات عدة أمور تجعل هذا القول يندرج تحت القول بالعموم .
فقال الزمخشري _ رحمه الله _ : « ﴿ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ : من الأرحام والقرابات ،
ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله _ ﷺ _ ، وقرابة المؤمنين بسبب الإيمان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات : ١٠] بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ، ونصرهم ، والذب عنهم ،
والشفقة عليهم ، والنصيحة لهم ، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم ، وإفشاء السلام عليهم ، وعبادة
مرضاهم ، وشهود جنازتهم ، ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر ،
وكل ما تعلق منهم بسبب »^٧ .
وقال ابن عطية _ رحمه الله _ : « ووصل ما أمر الله به أن يوصل : ظاهره في القرابات ، وهو
مع ذلك يتناول جميع الطاعات »^٨ .
وقال القرطبي _ رحمه الله _ : « ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ ظاهر في صلة
الأرحام ، وهو قول قتادة وأكثر المفسرين ، وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات »^٩ .
ونحو أقوالهم قال النسفي^{١٠} ، وابن جزى^{١١} ، وابن كثير^{١٢} وغيرهم من المفسرين .

^١ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٤٧) .

^٢ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٢٧) .

^٣ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢ / ٢١٦) .

^٤ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٥) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥١١) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٧) .

^٧ _ الكشاف : (٣ / ٣٤٧) .

^٨ _ المحرر الوجيز : (٩ / ٣٦) .

^٩ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٠) .

^{١٠} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢ / ٢١٦) .

^{١١} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٥) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥١١) .

القول الثالث: الإيمان بجميع الرسل ، وهو أن يصل بينهم بالإيمان بالجميع ، كما أخبر عن المؤمنين

في قولهم ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥] ، وهو قول ابن

عباس^١ ، وسعيد بن جبير^٢ ، ورجحه الواحدي في الوجيز^٣ .

القول الرابع: صلة الرسول ﷺ – بالإيمان به ، وهو قول الحسن^٤ .

القول الخامس: صلة الإيمان بالعمل الصالح^٥ .

الترجيح:

باستعراض ما سبق يظهر أن الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ومن معه في أن المراد بما أمر الله به أن يوصل : العموم ، ويدخل فيه صلة الرحم دخولاً أولاً ، ثم الأقوال الأخرى ؛ لأن العموم يشمل جميع ما أمر الله به ، ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٦ .

قال الشوكاني – رحمه الله – : ((وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ ظاهره شمول كل ما أمر الله بصلته ونهى عن قطعه من حقوق الله وحقوق عباده ، ويدخل تحت ذلك صلة الأرحام دخولاً أولاً ، وقد قصره كثير من المفسرين على صلة الرحم ، واللفظ أوسع من ذلك))^٧ .
وقال الألوسي – رحمه الله – : ((الظاهر العموم من كل ما أمر الله تعالى به في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ – ... ومن ذهب إلى العموم أدخل في ذلك الأنبياء عليهم السلام ، ووصلهم أن يؤمن بهم جميعاً ولا يفرق بين أحد منهم ، والناس على اختلاف طبقاتهم ، ووصلهم بمراعاة حقوقهم ، وفي سائر الحيوانات ، ووصلها بمراعاة ما يطلب من حقها وجوباً أو ندباً))^٨ .

^١ – ينظر : الوسيط : (٣ / ١٣) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٠) .

^٢ – ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٠٨) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٠) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٣٧) .

^٣ – ينظر : الوجيز : (١ / ٥٧٠) .

^٤ – ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٠٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٦) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٠) .

^٥ – ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٠٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٦) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٠) .

^٦ – ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٧ – فتح القدير : (٣ / ٧٨) .

^٨ – روح المعاني : (١٣ / ١٤٠) .

١٧ / ١٧ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي : يخشون كل ما توعده الله تعالى عليه ، فقال : ((﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي : وعيده كله))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي : يخشون كل ما توعده الله تعالى به وهو

ما رجحه أبو حيان موافقاً في ترجيحه هذا قول الزمخشري^٢ ، والبيضاوي^٣ ، والنسفي^٤ .

القول الثاني : يخافون الله تعالى في طبيعة ما أمرهم بوصله ، وهو مروى عن سعيد بن جبيرة^٥ .

القول الثالث : يخافون الله في قطع الرحم ، وهو قول الطبري^٦ .

القول الرابع : يراقبون الله فيما يأتون وما يذرون من الأعمال ، وهو قول ابن كثير^٧ .

القول الخامس : يخشونه خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه ، وهو قول أبي السعود^٨ .

القول السادس : خشية تحملهم على فعل ما وجب واجتناب ما لا يحل ، وهو قول الشوكاني^٩ .

القول السابع : يخافونه ، فيمنعهم خوفهم منه ، ومن القدوم عليه يوم الحساب ، أن يتجرؤوا على

معاصي الله ، أو يقصروا في شيء مما أمر الله به ، خوفاً من العقاب ، ورجاءاً للثواب ، وهو قول

السعدي^{١٠} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٦ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣٤٧ / ٣) .

^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٢٧ / ٣) .

^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢١٦ / ٢) .

^٥ _ ينظر : الدر المنثور : (٦٣٧ / ٤) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٤٠ / ١٣) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥١١ / ٢) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٧ / ٥) .

^٩ _ ينظر : فتح القدير : (٧٨ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٨٧٧ / ١) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ؛ لأنه يفيد العموم ، أما الأقوال الأخرى فهي على سبيل المثال لما يخشى منه ، ويجمعه كله القول الأول ؛ ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^١.



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [٢٢] .

في الآية الكريمة ثلاث مسائل :

١٨ / ١٨ _ المسألة الأولى : معنى ﴿ ابْتِغَاءَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ انتصاب ﴿ ابْتِغَاءَ ﴾ على أنه مفعول لأجله ، وعليه يكون المعنى : أي : أن صبرهم لابتغاء وجه الله تعالى ، فقال : « وانتصب ابتغاء قيل : على أنه مصدر في موضع الحال ، والأولى أن يكون مفعولاً لأجله ، أي : إن صبرهم هو لابتغاء وجه الله خالصاً ، لا لرجاء أن يقال : ما أصبره ، ولا مخافة أن يعاب بالجزع ، أو تشمت به الأعداء ؛ ولأن الجزع لا طائل تحته ، أو يعلم أنه لا مرد لما فات ولا لما وقع »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في معنى ﴿ ابْتِغَاءَ ﴾ قولان :

القول الأول : أن ﴿ ابْتِغَاءَ ﴾ مفعول لأجله ، والمعنى : أن صبرهم لابتغاء وجه الله تعالى ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن أبي عمران الجوني^٢ ، وسعيد بن جبير^٣ ، وقول الطبري^٤ ، والواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، وابن الجوزي^٧ ، والبيضاوي^٨ ، ووافقهم السمين الحلبي^٩ ، وابن كثير^{١٠} ، وأبو السعود^١ ، والشوكاني^٢ ، والظاهر بن عاشور^٣ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٦ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الجامع حكام القرآن : (٣١٠ / ٩) .

وأبو عمران الجوني هو : عبد الملك بن حبيب البصري ، الإمام الثقة ، قيل توفي في سنة ثلاث وعشرين ومئة وقيل توفي سنة ثمان وعشرين عن سن عالية . ينظر : سير أعلام النبلاء : (٥ / ٢٥٥ _ ٢٥٦) ، والثقات :

(٥ / ١١٧) ، والطبقات الكبرى : (٧ / ٢٣٨) .

^٣ _ ينظر : الدر المصون : (٤ / ٦٣٧) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٣ / ١٤٠) .

^٥ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٧٠) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣ / ١٦) .

^٧ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٢٤) .

^٨ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٢٧) .

^٩ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٤٣) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥١١) .

القول الثاني : أن يكون ﴿ أَبْتَعَاءَ ﴾ مصدراً في موضع الحال ، أي : مبتغين ، والمصدر مضاف لمفعوله ، وجوزه السمين الحلبي^٤ ، و الشهاب^٥ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، أي : أن صبرهم لابتغاء وجه الله ، وهو ما ذكره عامة المفسرين في معنى الآية : أن الصبر كان طلباً لرضى الله تعالى ، وهو الذي به يمتدح المؤمن ، والآيات في سياق المدح .

قال ابن عادل _ رحمه الله _ : « واعلم أن العبد قد يصبر لوجهه : إما أن يصبر ليقال : ما أصبره ، وما أشد قوته على تحمل النوائب . وإما أن يصبر لثلاث يعاب على الجزع . وإما أن يصبر لثلاث تحصل شماتة الأعداء ، وإما أن يصبر لعلمه أن الجزع لا فائدة فيه ، فإذا كان أتى بالصبر لأحد هذه الوجوه لم يكن داخلياً في كمال النفس ، أما إذا صبر على البلاء لعلمه أن البلاء قسمة القاسم الحكيم العلام المتزه عن العبث والباطل والسفه ، وأن تلك القسمة مشتملة على حكمة بالغة ، ومصلحة راجحة ، ورضي بذلك ؛ لأنه لا اعتراض على المالك في تصرفه في ملكه ، فهذا هو الذي يصدق عليه أنه صبر ابتغاء وجه ربه ؛ لأنه صبر لمجرد طلب رضوان الله »^٦ .



^١ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٧ / ٥) .

^٢ _ ينظر : فتح القدير : (٧٨ / ٣) .

^٣ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٢٩ / ١٣) .

^٤ _ ينظر : الدر المصون : (٤٣ / ٧) .

^٥ _ ينظر : حاشية الشهاب : (٤٠٩ / ٥) .

^٦ _ اللباب : (٢٩٤ / ١١) .

١٩ / ١٩ _ المسألة الثانية : المراد بالوجه في قوله تعالى ﴿ وَجْهَ رَبِّهِمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن معنى الوجه هنا الجهة ، فقال : « والظاهر في معنى الوجه هنا جهة الله ، أي : الجهة التي تقصد عنده تعالى بالحسنات لتقع عليها المثوبة ، كما تقول : خرج زيد لوجه كذا »^١ .

وقال _ رحمه الله _ عند قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] : « ﴿ فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ هذا جواب شرط ، وهي جملة ابتدائية ، فقيل معناها : فثم قبلة الله ، فيكون الوجه بمعنى : الجهة ، وأضيف ذلك إلى الله حيث أمر باستقبالها ، فهي الجهة التي فيها رضا الله تعالى ... ، وحيث جاء الوجه مضافاً إلى الله تعالى فله محمل في لسان العرب ، إذ هو لفظ يطلق على معان ، ويستحيل أن يحمل على العضو وإن كان ذلك أشهر فيه ، وقد ذهب بعض الناس إلى أن تلك صفة ثابتة لله بالسمع زائدة على ما توجهه العقول من صفات القديم تعالى ، وضعف أبو العالية وغيره هذا القول ؛ لأن فيه الجزم بإثبات صفة لله تعالى بلفظ محتمل ، وهي صفة لا يدري ما هي ولا يعقل معناها في اللسان العربي فوجب اطراح هذا القول ، والاعتماد على ما له محمل في لسان العرب إذا كان للفظ دلالة على التجسيم فنحمله إما على ما يسوغ فيه من الحقيقة التي يصح نسبتها إلى الله تعالى إن كان اللفظ مشتركاً ، أو من المجاز إن كان اللفظ غير مشترك »^٢ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالوجه في قوله تعالى ﴿ وَجْهَ رَبِّهِمْ ﴾ أقوال :

القول الأول : أن معنى الوجه هنا الجهة وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن الحسن^٣ ، ومجاهد^٤ ، وقتادة^٥ ، ومقاتل^٦ .

القول الثاني : أن المراد به وجه الله تعالى الحقيقي ، ورجحه البغوي^٧ ، وابن عثيمين^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٧ / ٥) .

^٢ _ المرجع السابق : (٥٣٠ / ١) - (٥٣١) .

^٣ _ ينظر : المرجع السابق : (٥٣٠ / ١) - (٥٣١) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٥٣٦ / ٢) ، و البحر المحيط : (٥٣٠ / ١) - (٥٣١) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥٣٠ / ١) - (٥٣١) .

^٦ _ ينظر : المرجع السابق : (٥٣٠ / ١) - (٥٣١) .

^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (١٠٨ / ١) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن الكريم ، سورة البقرة : (١٣ / ٢) =

القول الثالث: أن المراد بالوجه الذات ، وأنه موجود ، وهو مروى عن ابن عباس^١ ، ومقاتل^٢ ، واستدل أصحاب هذا القول بأنه كقوله تعالى ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن : ٢٧] ، وقوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] .

قال القرطبي _ عند قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِيَّاهُ تَوَلَّى سِيمًا فِي الْأَرْضِ لِيُخْرِجَ مِنَ الْأَرْضِ مَن يَشَاءُ وَيُضِلِّ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] _ « قال الحذاق : ذلك راجع إلى الوجود ، والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام ، إذ كان الوجه أظهر الأعضاء في الشاهد وأجلها قدرًا قال ابن فورك^٣ : قد تذكر صفة الشيء والمراد بها الموصوف توسعاً ... والمراد من له الوجه ، أي : الوجود ، وعلى هذا يتأول قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [سورة الإنسان : ٩] ؛ لأن المراد : الله الذي له الوجه ؛ وكذلك قوله تعالى ﴿ إِلَّا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [سورة الليل : ٢٠] أي : الذي له الوجه^٤ .

القول الرابع: أن المعنى القصد و النية و العمل لله ، قاله الفراء^٥ .

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي :

١ _ أن نظيره قوله تعالى ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٩] ^٦ .

= وابن عثيمين هو : محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهبي التميمي ، أبو عبد الله ، إمام عالم ، ولد سنة ١٣٤٧ هـ ، كان ذا ذكاء وهمة عالية وحرص على التحصيل العلمي ، وكان زاهداً عابداً متواضعاً — توفي سنة ١٤٢١ هـ . ينظر : مقدمة شرح العقيدة الواسطية : (١ / ٩ _ ١٥) .

^١ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٢ / ٨٤) ، والبحر المحيط : (١ / ٥٣٠ _ ٥٣١) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (١ / ٥٣٠ _ ٥٣١) .

^٣ _ ابن فورك : _ بضم الفاء ، وسكون الواو ، وفتح الراء بعدها كاف _ أبو بكر محمد بن الحسن الحافظ الأصبهاني ، المتكلم الأصولي الأديب النحوي ، توفي سنة ٤٠٦ هـ . ينظر : البداية والنهاية : (١٢ / ٨) ، وفيات الأعيان : (٤ / ٢٧٢ _ ٢٧٣) .

^٤ _ الجامع لأحكام القرآن : (٢ / ٨٤) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (١ / ٥٣٠) ، ولم أجده في معاني القرآن ، للفراء .

^٦ _ ينظر : التفسير الكبير : (٤ / ٢٣) .

٢ _ قول الشاعر :

أستغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل^١ .

القول الخامس : أن المراد رضا الله وثوابه ؛ كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾

[سورة الإنسان : ٩] أي : لرضائه وطلب ثوابه^٢ .

القول السادس : أن المراد بالوجه : الجاه كما يقال : فلان وجه القوم ، أي : موضع شرفهم ،

ولفلان وجه عند الناس ، أي : جاه وشرف^٣ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن القول الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني : وهو أن المراد بالوجه في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ وجه الله تعالى الحقيقي ؛ وذلك لأن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية ؛ لأن الشارع معني ببيان الشرع لا بيان اللغات^٤ ، كذلك الكلام لو كان يحتمل المجاز والحقيقة ، لقدمت الحقيقة على المجاز ؛ لأنها الأصل^٥ .

قال الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله _ عند قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا

فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ بِلَدِّ اللَّهِ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] : « الراجح أن المراد به الوجه

الحقيقي ؛ لأن ذلك هو الأصل ؛ وليس هناك ما يمنعه ؛ وقد أخبر النبي ﷺ _ أن الله تعالى قبل وجه المصلي^٦ »^٧ .

وقال _ رحمه الله _ : « من عقيدتنا أننا نثبت أن لله وجهاً حقيقة ، ونأخذه من قوله

تعالى ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن : ٢٧] ، ونقول بأن هذا

^١ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٣ / ٤) ، والجامع لأحكام القرآن : (٨٤ / ٢) ، والبحر المحيط : (١ / ٥٣٠)
_ (٥٣١) . ولم أقف على قائل البيت .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٣ / ٤) ، والجامع لأحكام القرآن : (٨٤ / ٢) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (١ / ٥٣٠ - ٥٣١) .

^٤ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٣٤) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٤٠١) .

^٥ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٥٤٨) .

^٦ _ أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : حك البزاق باليد من المسجد ، ح (٤٠٦) ، وأخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها ، ح (١٢٢٣) .

^٧ _ تفسير القرآن الكريم ، سورة البقرة : (٢ / ١٣) .

الوجه لا يماثل أوجه المخلوقين ؛ لقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى : ١١] ،
 ونجهل كيفية هذا الوجه ؛ لقوله تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [سورة طه : ١١٠] .
 إلا أن بعض الأقوال لا تعارضه ، كالقول بأن المراد بالوجه : الذات ، أي : المراد ذات الله تعالى
 مع إثبات صفة الوجه له ، والقول بأن المراد : القصد والنية تكون لله عز وجل ، والقول بأن المراد
 رضا الله وثوابه .

قال الشيخ ابن عثيمين _ رحمه الله _ في قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة
 القصص : ٨٨] : « المعنى : كل شيء فان وزائل إلا وجه الله عز وجل فإنه باق ؛ ولهذا قال ﴿ لَهُ
 الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة القصص : ٨٨] ، فهو الحكم الباقي الذي يرجع إليه الناس
 ليحكم بينهم . وقيل في معنى الآية : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : ٨٨]
 أي : إلا ما أريد به وجهه . قالوا : لأن سياق الآية يدل على ذلك ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
 لِآلِ اللَّهِ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] كأنه يقول : لا تدع مع الله إلهاً
 آخر فتشرك به ؛ لأن عملك وإشراكك هالك ، أي : ضائع سدى ، إلا ما أخلصته لوجه الله فإنه
 يبقى ؛ لأن العمل الصالح له ثواب باق لا يفنى في جنات النعيم . ولكن المعنى الأول أسد وأقوى .
 وعلى طريقة من يقول بجواز استعمال المشترك في معنييه ، نقول : يمكن أن نحمل الآية على المعنيين ؛
 إذ لا منافاة بينهما ، فتحمل على هذا وهذا ، فيقال : كل شيء يفنى إلا وجه الله عز وجل ، وكل
 شيء من الأعمال يذهب هباء إلا ما أريد به وجه الله . وعلى أي التقديرين ؛ ففي الآية دليل على
 ثبوت الوجه لله عز وجل فإن قيل : ما المراد بالوجه في قوله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾
 [سورة القصص : ٨٨] ؟ إن قلت : المراد بالوجه الذات ؛ فيخشى أن تكون حرفت . وإن أردت
 بالوجه نفس الصفة أيضاً ؛ وقعت في محذور _ وهو ما ذهب إليه بعض من لا يقدر الله حق
 قدره ؛ حيث قالوا : إن الله يفنى إلا وجهه _ فماذا تصنع ؟ . فالجواب : إن أردت بقولك : إلا
 ذاته ؛ يعني : أن الله تعالى يبقى هو نفسه مع إثبات الوجه لله ؛ فهذا صحيح ، ويكون هنا عبر بالوجه
 عن الذات لمن له وجه . وإن أردت بقولك : الذات : أن الوجه عبارة عن الذات بدون إثبات
 الوجه ؛ فهذا تحريف وغير مقبول . وعليه فنقول ﴿ إلا وجهه ﴾ أي : إلا ذاته المتصفة بالوجه ، وهذا

^١ _ شرح العقيدة الواسطية : (١ / ٢٨٤) .

ليس فيه شيء ؛ لأن الفرق بين هذا وبين قول أهل التحريف أن هؤلاء يقولون : إن المراد بالوجه الذات ، ولا وجه له ، ونحن نقول : المراد بالوجه الذات ؛ لأن له وجهاً ، فعبر به عن الذات «^١ . وقال _ رحمه الله _ : « (فإن قلت : هل كل ما جاء من كلمة (الوجه) مضافاً إلى الله يراد به وجه الله الذي هو صفته ؟ . فالجواب : هذا هو الأصل ؛ كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٢] ، ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ [سورة الليل : ١٩ _ ٢١] وما أشبهها من الآيات »^٢ .



^١ _ شرح العقيدة الواسطية : (١ / ٢٨٦ - ٢٩١) .

^٢ _ المرجع السابق : (١ / ٢٨٨) .

٢٠ / ٢٠ المسألة الثالثة : معنى قوله تعالى ﴿ وَبَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد أي : لا يكافئون الشر بالشر قال _ رحمه الله _ بعد ذكره لمجموعة من الأقوال : « وهذه الأقوال كلها على سبيل المجاز ، وبالجملة لا يكافئون الشر بالشر »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في معنى قوله تعالى ﴿ وَبَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ أقوال :

القول الأول : أنهم لا يكافئون الشر بالشر ، وهو ما رجحه أبو حيان ، وقريب منه قول كثير من المفسرين فمن ذلك :

- ١ _ يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم ، وهو قول ابن عباس^٢ .
- ٢ _ يدفعون المنكر بالمعروف ، وهو قول ابن جبير^٣ .
- ٣ _ يدفعون الشر بالخير ، وهو قول ابن زيد^٤ .
- ٤ _ ردوا عليهم معروفاً كقوله ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٣] ، وهو قول قتادة^٥ .
- ٥ _ إذا حرموا أعطوا ، وإذا ظلموا عفوا ، وإذا قطعوا وصلوا ، وهو قول الحسن^٦ .
- ٦ _ يدفعون الفحش بالسلام ، وهو قول الضحاك^٧ .
- ٧ _ يدفعون بالسلام غوائل الناس^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٧ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٤٨) ، وإرشاد العقل السليم : (٥ / ١٧) ، وتفسير المراغي : (١٣ / ٩٤) .

^٣ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٠٩) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٢٤) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٣٧) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٢٢) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٣٨) .

^٥ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣١٣) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣١٣) ، والكشاف : (٣ / ٣٤٨) ، ولتفسير الكبير : (١٩ / ٤٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) ، واللباب : (١١ / ٢٩٥) ، وإرشاد العقل السليم : (٥ / ١٧) .

^٧ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٠٩) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١١) .

^٨ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٠٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) .

٨ _ يدفعون من رأوا منه مكروهاً بالتي هي أحسن ، وهو قول ابن عطية^١ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ قوله تعالى ﴿ اَدْفَعْ بِاَلَّتِي هِيَ اَحْسَنُ فَاِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَاَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [سورة فصلت : ٣٤]^٢ .

٢ _ وقوله تعالى ﴿ وَاِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٣]^٣ .

٣ _ وقوله تعالى ﴿ وَاِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [سورة الفرقان : ٧٢]^٤ .

القول الثاني : أنهم يتبعون السيئة بالحسنة ، وهو قول الضحاك في رواية عنه^٥ ، وقريب منه قول كثير من المفسرين فمن ذلك :

١ _ يدفعون بالصالح من العمل السيء من العمل ، وهو قول ابن عباس^٦ .

٢ _ إذا أذنبوا تابوا ، وإذا هربوا أنابوا ليدفعوا عن أنفسهم بالتوبة معرة الذنب ، وهو قول ابن كيسان^٧ ، ومثله قال الواحدي^٨ .

٣ _ إذا هموا بالسيئة فكروا ورجعوا عنها واستغفروا^٩ .

٤ _ يدفعون بلا إله إلا الله شركهم^{١٠} .

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٠٩) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥١٠) ، وفتح القدير : (٣ / ٧٨) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣١٣) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) ، واللباب : (١١ / ٢٩٥) ، وتفسير المراغي : (١٣ / ٩٤) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٤٥) ، واللباب : (١١ / ٢٩٥) .

^٥ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦٣٨) .

^٦ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ١٤) ، ومعالم التنزيل : (٤ / ٣١٣) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٢٤) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٠ - ٣١١) ، اللباب : (١١ / ٢٩٥) .

^٧ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ١٤) ، ومعالم التنزيل : (٤ / ٣١٣) ، والكشاف : (٣ / ٣٤٨) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٢٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) ، وإرشاد العقل السليم : (٥ / ١٧) .

^٨ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٧٠ - ٥٧١) .

^٩ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) .

^{١٠} _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ٣٧) . والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) ، والتسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٥) .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤].^١

٢ _ قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ^٢ _ رضي الله عنه _ : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها »^٣ .
٣ _ ويؤيده ما روي في الحديث : « أن معاذاً قال : أوصني يا رسول الله ؟ . فقال : إذا عملت سيئة فاعمل إلى جنبها حسنة تمحها »^٤ .

القول الثالث : يدفعون العذاب بالصدقة^٥ .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أنها أقوال متقاربة ، إلا أن القول الثاني عام يدخل فيه القولان الآخران .

^١ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣١٣) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١١) ، والتسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٥) ، واللباب : (١١ / ٢٩٥) ، وحاشية الشهاب : (٥ / ٤١٠) .
^٢ _ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن الخزرج ، السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البصري ، شهد العقبة شاباً أمرد ، توفي سنة سبع أو ثمان عشرة . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١ / ٤٤٣ - ٤٦١) ، والإصابة : (٦ / ١٣٦ - ١٣٧) ، ومعجم الصحابة : (٣ / ٢٤ - ٢٥) .
^٣ _ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : (٢٠ / ١٤٤) ، ح : (٢٩٦) ، من حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه .

وأخرجه أحمد في مسنده : (٥ / ١٥٣) ، ح : (٢١٣٩٢) ، من حديث أبي ذر ، وقال : قال وكيعٌ : وقال سُفْيَانُ مَرَّةً عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَدَّةٍ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَهُوَ السَّمَاعُ الْأَوَّلُ ، وأخرجه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في معاشرته الناس : (٤ / ٣٥٥) ، ح : (١٩٨٧) ، من حديث أبي ذر ، و قال أبو عيسى هذا حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وقال : قال مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَيْبٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ قَالَ مُحَمَّدٌ وَالصَّحِيحُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ _ رضي الله عنه _ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه : (١ / ١٢١) ، ح : (١٧٨) ، من حديث أبي ذر _ رضي الله عنه _ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١١) ، والتحرير والتنوير : (١٣ / ١٢٩) .

^٤ _ أخرجه أحمد : (٥ / ١٦٩) ، وسعيد بن منصور في السنن : (٣ / ٦٤) ، وأبو نعيم في الحلية : (٤ / ٢١٧ ، ٥٢١٨) ، وقال الهيثمي : « رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن شهر بن عطية حدث به عن أشياخه عن أبي ذر ، ولم يسم أحداً » . مجمع الزوائد : (١٠ / ٨١) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ١٤) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ٢٠) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) ، واللباب : (١١ / ٢٩٥) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٧٧) .

قال القرطبي بعد ذكره للأقوال : « معناها كلها متقارب ، والأول _ يعني : يدفعون بالصالح من العمل السيئ ، وهو قول ابن عباس _ يتناولها بالعموم »^١ .
وقال الشوكاني _ رحمه الله _ : « ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور »^٢ .
وممن جمع بين الأقوال أيضاً البيضاوي^٣ ، وأبو السعود^٤ .
ويؤيد ما سبق القاعدة الترجيحية التي تنص على أنه : إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٥ .



^١ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١١) .

^٢ _ فتح القدير : (٣ / ٧٨) .

^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار : (٣ / ٣٢٧) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٩) .

^٥ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

قال الله تعالى ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ^ط
 وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ [٢٣] .

٢١ / ٢١ المراد بالصلاح في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ صَلَحَ ﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بالصلاح : الإيمان والعمل الصالح ، فقال : « قال مجاهد وغيره ﴿ وَمَنْ صَلَحَ ﴾ أي : عمل صالحاً وآمن . انتهى ، وهذا يدل على أن مجرد النسب من الصالح لا ينفع إنما تنفع الأعمال الصالحة »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالصلاح في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ صَلَحَ ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بالصلاح : الإيمان والعمل الصالح وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول أكثر السلف ، ومنهم : ابن عباس^٢ ، ومجاهد^٣ ، وسعيد بن جبير^٤ ، وهو قول ابن جرير^٥ ، و الزجاج^٦ ، والسمين الحلبي^٧ ، والزخشي^٨ ، وابن الجوزي^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والبيضاوي^{١١} ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٨ / ٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٤٢٤ / ١٦) ، الدر المنثور : (٦٣٩ / ٤) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٤٢٤ / ١٦) ، الدر المنثور : (٦٣٩ / ٤) .

فائدة : والأثر أخرجه الطبري من طريق ابن جريج : « ﴿ وَمَنْ صَلَحَ ﴾ قال : من آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم » إسناده حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجيح لابن جريج ولفظه : « من آمن في الدنيا » . ينظر : رسالة ابن جريج ومروياته وأقواله في التفسير : (١١٩٢ / ٤) .

^٤ _ ينظر : الدر المنثور : (٦٣٩ / ٤) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (٤٢٣ / ١٦) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (١٤٧ / ٣) .

^٧ _ ينظر : الدر المصون : (٤٤ / ٧) .

^٨ _ ينظر : الكشاف : (٣٤٩ / ٣) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٣٢٥ / ٤) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٣١٢ / ٩) .

^{١١} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٢٧ / ٣) .

والنسفي^١ ، ووافقه ابن جزري^٢ ، والثعالبي^٣ ، والشوكاني^٤ ، والمراغي^٥ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِنَا إِلَهُمُ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [سورة الطور : ٢١] .^٦

٢ _ ذكر الصلاح في الآية دليل على اشتراطه ، قال الشوكاني _ رحمه الله _ : « وذكر الصلاح دليل على أنه لا يدخل الجنة إلا من كان كذلك من قرابات أولئك ، ولا ينفع مجرد كونه من الآباء أو الأزواج أو الذرية بدون صلاح »^٧ .

القول الثاني : قوله ﴿ وَمَنْ صَلَحَ ﴾ أي : لذلك بقدر الله تعالى وسابق علمه ، واحتمله ابن عطية^٨ .

القول الثالث : من صدق بما صدقوا به وإن لم يعمل مثل أعمالهم . وهو قول ابن عباس^٩ . ورجحه الواحدي^{١٠} ، والألوسي^{١١} .

قال الواحدي _ رحمه الله _ : « والصحيح ما قال ابن عباس ؛ لأن الله تعالى جعل ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة ، وذلك يدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع الآتي بالأعمال الصالحة ، ولو دخلوها بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به ، إذ كل من كان مصلحاً في عمله فهو يدخل الجنة »^{١٢} .

^١ _ ينظر : مدارك التنزيل وأسرار التأويل : (١ / ٢٤٩) .

^٢ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٥ - ٢٤٦) .

^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ١٨٦) .

^٤ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٠٦) .

^٥ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ٩٥) .

^٦ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤١٣) .

^٧ _ فتح القدير : (٤ / ١٠٦) .

^٨ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٠) .

^٩ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ١٤) ، التفسير الكبير : (١٩ / ٤٦) .

^{١٠} _ ينظر : الوجيز : (١ / ٣٨٣) .

^{١١} _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٢٥٦) .

^{١٢} _ روح المعاني : (١٣ / ١٤٣) . ولم أجده في الوسيط ، والوجيز للواحدي .

ورد عليه الرازي فقال : ((و اعلم أن هذه الحجة ضعيفة ؛ لأن المقصود بشارة المطيع بكل ما يزيده سروراً وبهجة ، فإذا بشر الله المكلف بأنه إذا دخل الجنة فإنه يحضر معه آباؤه وأزواجه وأولاده ، فلا شك أنه يعظم سرور المكلف بذلك وتقوى بهجته به))^١ .

وقال القشيري راداً على هذا القول : ((وفي هذا نظر ؛ لأنه لا بد من الإيمان ، فالقول في اشتراط العمل الصالح كالقول في اشتراط الإيمان))^٢ .

وقال القرطبي _ رحمه الله _ : ((فالأظهر أن هذا الصلاح في جملة الأعمال ، والمعنى : أن النعمة غداً تتم عليهم بأن جعلهم مجتمعين مع قراباتهم في الجنة ، وإن دخلها كل إنسان بعمل نفسه ؛ بل برحمة الله تعالى))^٣ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن المراد بالصلاح يشمل الأقوال كلها حيث إن صلاحهم بالأعمال الصالحة يقتضي إيمانهم ، وصلاحهم وإيمانهم هو بتقدير الله تعالى وعلمه .

ويؤيد ما سبق القاعدة الترجيحية التي تنص على أنه : ((إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها))^٤ .

قال الراغب الأصبهاني^٥ _ رحمه الله _ : ((وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلق إياه صالحاً ، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده ، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح قال ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد : ٢] ، ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : ٧١] ، ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ [سورة الأحقاف : ١٥]))^٦ .

وقال ابن كثير _ رحمه الله _ : ((وقوله ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ ﴾ أي : يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح لدخول الجنة من

^١ _ التفسير الكبير : (١٩ / ٤٦) .

^٢ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٢) .

^٣ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٢) .

^٤ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

^٥ _ الراغب الأصبهاني هو : الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم ، العلامة المحقق ، عالم باللغة والتفسير ، توفي سنة ٥٣٥ هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١٨ / ١٢٠ - ١٢١) ، وطبقات المفسرين للداوودي : (١ / ١٦٨ - ١٦٧) ، والوافي بالوفيات : (١٣ / ٢٩) .

^٦ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٤٩٠) .

المؤمنين ؛ لتقر عينهم بهم حتى أنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً من غير
تنقيص للأعلى عن درجته كما قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الآيه [سورة الطور : ٢١] ﴾^١ .



^١ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥١٠) .

قال الله تعالى ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [٢٤] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٢٢ / ٢٢ المسألة الأولى : المراد بالسلام في قوله تعالى ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالسلام في قوله تعالى ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾ التحية ، فقال : « والظاهر أن قوله تعالى ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾ تحية الملائكة لهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالسلام في قوله تعالى ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾ قولان :

القول الأول : أن المراد بالسلام في قوله تعالى ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾ التحية ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، وقول السمرقندي^٣ ، و البغوي^٤ ، و الزمخشري^٥ ، والرأزي^٦ ، و النسفي^٧ ، ووافقهم ابن كثير^٨ ، و البقاعي^٩ ، و الطاهر بن عاشور^{١٠} .

القول الثاني : أن المراد : إنما سلمكم الله تعالى من أهوال يوم القيامة بصيركم في الدنيا ، وهذه السلامة دائمة لهم ، فيحمل قوله ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾ على الإخبار ؛ إذ لا معنى للدعاء بالسلامة في دار السلامة ، ويستفاد ذلك أيضاً من الجملة الاسمية ؛ حيث تدل على الثبوت والاستقرار ، وهو قول الواحدي^{١١} ، و القرطبي^١ ، و البيضاوي^٢ ، و الخازن^٣ ، و أبي السعود^٤ ، و الشوكاني^٥ ، و الألوسي^٦ ، و المراغي^٧ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٨ / ٥) ، و ينظر : النهر الماد : (١٧٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (١٤ / ٣) ، و زاد المسير : (٣٢٥ / ٤) ، و الدر المنثور : (٦٣٩ / ٤) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٤١٣ / ٢) .

و السمرقندي هو : نصر بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الفقيه الحنفي ، أبو الليث ، الملقب بامام الهدى ، توفي سنة ٣٧٣ هـ ، و قيل ٣٧٥ هـ . ينظر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : (٤٩٠ / ٦) ، و طبقات المفسرين ، للدواودي : (٩١ / ١) ، و الوافي بالوفيات : (٥٤ / ٢٧) .

^٤ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣١٤ / ٤) .

^٥ _ ينظر : الكشف : (٣٤٩ / ٣) .

^٦ _ ينظر : التفسير الكبير : (٤٧ / ١٩) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٤٩ / ١) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥١٠ / ٢) .

^٩ _ ينظر : نظم الدرر : (٣٤٧ / ٤) .

^{١٠} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣٢ / ١٣) .

^{١١} _ ينظر : الوسيط : (١٤ / ٣) ، و الوجيز : (٣٨٣ / ١) .

ورد الشهاب على كون الدوام مستفاداً من الجملة الاسمية بقوله : « وفيه نظر ؛ لأن الجملة الإنشائية لا تقع حالاً ، فالظاهر أن مراده _ أي : البيضاوي _ أنها مفعول قائلين المقدر الواقع حالاً من فاعل يدخلون ، أو هو حال من غير تقدير ؛ لأنها فعلية في الأصل ، أي : يسلمون سلاماً »^٨ .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو أن المراد بالسلام التحية ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ومن معه ؛ وذلك لقول النبي ﷺ : « أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : ايتوهم فحيوهم ، فتقول الملائكة : نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك ، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء ونسلم عليهم ؟ فيقول : إنهم كانوا عبداً يعبدوني لا يشركون بي شيئاً ، وتسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء _ قال _ فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ »^٩ .

والواحد هو : علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن النيسابوري ، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز ، وأسباب التزول وغيرها ، توفي سنة ٤٦٨ هـ . ينظر : طبقات المفسرين ، للسيوطي : (١ / ٧٨ - ٧٩) ، وطبقات المفسرين ، للداودي : (١ / ١٢٧ - ١٢٨) ، والوافي بالوفيات : (٢٠ / ١٠١ - ١٠٢) .

^١ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٢) .

^٢ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٢٨) .

^٣ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ٨٥) .

والخازن هو : علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الشافعي خازن كتب خاتناه السمساطية بدمشق ولد سنة ٦٧٨ هـ ، سمع الحديث ، وكان صالحاً خيراً ، جمع وألف ، توفي سنة ٧٤١ هـ . ينظر : شذرات الذهب : (٦ / ١٣١) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٨) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٠٦) .

^٦ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٢٥٨) .

^٧ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ٩٥) .

^٨ _ حاشية الشهاب : (٥ / ٤١١) .

^٩ _ أخرجه أحمد في مسنده : (٢ / ١٦٨) واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه : (١٦ / ٤٣٨) ، والبزار في مسنده : (٦ / ٤٢٧) ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . وقال الهيثمي : « رواه أحمد والبزار والطبراني وزاد بعد قول الملائكة وسكان سمواتك وإنك تدخلهم الجنة قبلنا ورجاهم ثقات » . مجمع الزوائد : (١٠ / ٢٥٩) .

ويمكن الجمع بين القولين حيث تحييهم الملائكة عند دخولهم ، مع حصول السلامة لهم من كل مكروه ؛ فإن المعنيين لا يتنافيان .

فالسالم في اللغة : من التسليم ، والسالم جمع سلامة ، والسلام التحية ، و يجوز أن يكون السالم والسلامة لغتين ، والسالم من أسماء الله تعالى ، قيل : معناه سلامته مما يلحق الخلق من العيب والفناء ، والسالم في الأصل السلامة **يـ**قال : سلم يسلم سلامة وسلاماً ، ومنه قيل : الجنة دار السالم ؛ لأنها دار السلامة من الآفات^١ .

قال السعدي _ رحمه الله _ : ((**﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾** [سورة الرعد : ٢٣] يهنئوهم بالسلامة وكرامة الله لهم ويقولون : **﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴾** أي : حلت عليكم السلامة ، والتحية من الله حصلت لكم ، وذلك متضمن لزوال كل مكروه ، ومستلزم لحصول كل محبوب))^٢ .

ويؤيد ما سبق القاعدة الترجيحية التي تنص على أنه : ((إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها))^٣ .



^١ _ ينظر : مختار الصحاح : (١ / ١٣١) ، والنهية : (٢ / ٣٩٢) ، ولسان العرب : (١٢ / ٢٨٩) .

^٢ _ تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٧٨) .

^٣ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

٢٣ / ٢٣ المسألة الثانية : متعلق ﴿بِمَا﴾ في قوله تعالى ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن ﴿بِمَا﴾ في قوله تعالى ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلق بمحذوف ، فهي : خبر لمبتدأ محذوف ، وما : مصدرية ، والباء سببية أو بدلية ، فقال : « والظاهر أن قوله تعالى ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ تحية الملائكة لهم ، ويكون قوله تعالى ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي : هذا الثواب بسبب صبركم في الدنيا على المشاق ، أو تكون الباء بمعنى بدل ، أي : بدل صبركم ، أي : بدل ما احتملتكم من مشاق الصبر هذه الملاذ والنعم »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في متعلق ﴿بِمَا﴾ في قوله تعالى ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن ﴿بِمَا﴾ في قوله تعالى ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلق بمحذوف ، فهي : خبر لمبتدأ

محذوف ، وما : مصدرية ، والباء سببية أو بدلية ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول النسفي^٢ .

القول الثاني : أنها متعلقة بما تعلق به ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أو به نفسه ، وهو قول العكبري^٣ ، ووافقه

السمين الحلبي^٤ ، والبيضاوي^٥ ، والألوسي^٦ ، والطاهر بن عاشور^٧ .

قال الطاهر بن عاشور : « والباء في ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ للسببية ، وهي متعلقة بالكون المستفاد من

الجرور وهو ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ، والتقدير : نالكم هذا التكريم بالسلام بسبب صبركم »^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٨ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (١٧٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢١٧ / ٢) .

^٣ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : (٣٦٠) .

^٤ _ ينظر : الدر المصون : (٤٤ / ٧) .

^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٢٨ / ٣) .

^٦ _ ينظر : روح المعاني : (١٤٤ / ١٣) .

^٧ - ينظر : التحرير والتنوير : (١٣٢ / ١٣) .

^٨ - التحرير والتنوير : (١٣٢ / ١٣) .

ومنع ذلك السفاقي^١ وقال : « لاوجه له »^٢ .

القول الثالث : أنها متعلقة بـ ﴿ سَلِّمْ ﴾ أي : نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم ، جوزه

الزبخشري^٣ ، وابن جزري^٤ .

ورد العكبري على هذا القول فقال : « ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ لا يجوز أن تتعلق بـ ﴿ سَلِّمْ ﴾ لما فيه من الفصل بين الخبر _ أي الفصل بين المصدر ومعموله بالأجنبي وهو الخبر^٥ _ ، وإنما يتعلق بـ ﴿ عَلَيَّكُمْ ﴾ أو بما تعلق به^٦ .

ومثله قال البيضاوي^٧ .

قال السمين الحلبي _ رحمه الله _ : « والظاهر أنه لا يعترض عليه _ أي : الزبخشري _ بما تقدم ؛ لأن ذلك في المصدر المؤول بحرف مصدري وفعل ، وهذا المصدر ليس من ذلك »^٨ .
قال القونوي^٩ _ رحمه الله _ : « وفيه خلاف بين النحاة ، جوزه بعض ، ومنعه آخرون ، والمصنف _ يعني : البيضاوي _ اختار عدم الجواز لثلاثة دليله ، وهو أن المصدر مؤول بأن مع الفعل ، وفيه لا يجوز ذلك ، وكذا في المصدر المؤول به ، والقائلون بالجواز أجابوا بأن كل مؤول بشيء لا يثبت له جميع أحكامه . انتهى وهذا كما ترى »^{١٠} .

^١ _ السفاقي هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي ، المغربي المالكي العلامة برهان الدين أبو إسحاق ، النحوي صاحب إعراب القرآن ، كانت ولادته في حدود سنة ٦٩٧ هـ ، كان فاضلاً ماهراً في جميع الفنون ، وكانت وفاته سنة ٧٤٣ هـ . ينظر : طبقات المفسرين ، للداودي : (١ / ٢٧٦) ، والدرر الكامنة : (١ / ٦١)

^٢ _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ١٤٤) .

^٣ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٣٤٩) .

^٤ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ١٣٤) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ١٤٤) .

^٦ _ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : (٣٦٠) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٢٨) .

^٨ _ الدرر المصون : (٧ / ٤٥) .

^٩ _ القونوي هو : إسماعيل بن مصطفى ، أبو المفدى ، عصام الدين ، مفسر ، من فقهاء الحنفية ، توفي سنة ١١٩٥ هـ . ينظر : الأعلام : (١ / ٣٢٦) .

^{١٠} _ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (١٠ / ٤٩٧) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر الراجح _ والله أعلم _ صحة حمل الآية الكريمة على الأقوال الثلاثة ،
ويؤيده أنه إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^١ .
قال البقاعي _ رحمه الله _ : « بين أن سبب هذا السلام الصبر فقال ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي :
بصبركم ، والذي صبرتم له ، والذي صبرتم عليه ، إشارة إلى أن الصبر عماد الدين كله »^٢ .
وقال الشوكاني _ رحمه الله _ : « ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي : بسبب صبركم ، وهو متعلق
بالسلام ، أي : إنما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم ، أو متعلق بعلبيكم ، أو بمحذوف ،
أي : هذه الكرامة بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر »^٣ .



^١ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

^٢ _ نظم الدرر : (٤ / ٣٤٧) .

^٣ _ فتح القدير : (٤ / ١٠٦) .

قال الله تعالى ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [٢٦] .

٢٤ / ٢٤ _ المراد بـ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ : التضييق ، فقال : « ويقدر مقابل يبسط ، وهو التضييق من قوله ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [سورة الطلاق : ٧] ، وعليه يحمل ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧] »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ قولان :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ : التضييق ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً
قول الطبري^٢ ، والواحدي^٣ ، والسمعي^٤ ، والبغوي^٥ ، وابن الجوزي^٦ ، والقرطبي^٧ ،
والبيضاوي^٨ ، والهازني^٩ ، والنسفي^{١٠} ، ووافقهم ابن جزي^{١١} ، والسيوطي^{١٢} ، وأبو السعود^{١٣}
، والشوكاني^{١٤} ، والألوسي^{١٥} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٧٩ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (١٧٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٤٣٠ / ١٦) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (١٤ / ٣) ، والوجيز : (٥٧١ / ١) .

^٤ _ ينظر : تفسير القرآن : (٩١ / ٣) .

^٥ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣١٥ / ٤) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٣٢٦ / ٤) .

^٧ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٣١٤ / ٩) .

^٨ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٢٨ / ٣) .

^٩ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٦١ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٤٩ / ١) .

^{١١} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٤٦ / ٢) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٠٨) .

^{١٣} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٩ / ٥) .

^{١٤} _ ينظر : فتح القدير : (٨١ / ٣) .

^{١٥} _ ينظر : روح المعاني : (١٤٧ / ١٣) .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ أن يقدر مقابل يبسط^١ .
 - ٢ _ أنه نظير قوله تعالى ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ [سورة الطلاق : ٧] ، وقوله تعالى ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧]^٢ .
- القول الثاني :** يقدر : يعطي بقدر الكفاية^٣ .

ويبين الفخر الرازي أن هذا القول هو معنى القول الأول فقال : « وقال المفسرون : معنى ﴿ يَقْدِرُ ﴾ ههنا يضيق ، ومثله قوله تعالى ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ [سورة الطلاق : ٧] أي ضيق ، ومعناه : أنه يعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء^٤ .
وفي اللغة يقال : قَدَرْتُ عليه الشيء : ضيقته ، كأنما جعلته بقدر بخلاف ما وصف بغير حساب^٥ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد بـ ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ : التضيق ؛ وذلك لأمر :
١ _ أنه قول تؤيده النظائر القرآنية ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٦ .
٢ _ أنه قول تؤيده قرينة في السياق ، وهو قوله تعالى ﴿ يَبْسُطُ ﴾ فهو ضد ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ في المعنى ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية^٧ .
٣ _ أنه قول تؤيده اللغة .
أما القول الثاني فهو جزء من القول الأول ؛ لأن التضيق على درجات ، منها أن يعطى المرء بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء^٥ .

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣١١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٩) .

^٢ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٩) ، وفتح القدير : (٣ / ٨١) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٧٩) .

^٤ _ التفسير الكبير : (١٩ / ٤٩) .

^٥ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٦٥٩) ، ولسان العرب : (٥ / ٧٧) .

^٦ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

^٧ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٩٩) .

قال الله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ [٢٧] .

٢٥ / ٢٥ مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن مرجع الضمير في ﴿ إِلَيْهِ ﴾ إلى الله تعالى ، حيث قال :
((والضمير في ﴿ إِلَيْهِ ﴾ عائد على القرآن أو على الرسول _ ﷺ _ ، والظاهر أنه عائد على الله تعالى على حذف مضاف ، أي : إلى دينه وشرعه)^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴾ أقوال :

القول الأول : أن مرجع الضمير في ﴿ إِلَيْهِ ﴾ إلى الله تعالى ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول البغوي^٢ ، و القرطبي^٣ ، ووافقهم السمين الحلبي^٤ ، و ابن كثير^٥ ، وابن عادل^٦ ، وأبو السعود^٧ ، والألوسي^٨ .

القول الثاني : أن الضمير يعود على القرآن^٩ .

القول الثالث : أنه يعود على الرسول _ ﷺ _^{١٠} .

ورد الألوسي هذين القولين حيث قال : ((وقيل : الضمير للقرآن أو للرسول _ عليه الصلاة والسلام _ وهو خلاف الظاهر جداً))^١ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٠ / ٥) .

^٢ _ ينظر : معالم التنزيل : (١٧ / ٣) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٣١٥ / ٩) .

^٤ _ ينظر : الدر المصون : (٤٦ / ٧) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥١٣ / ٢) .

^٦ _ ينظر : اللباب : (٣٠٠ : ١١) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٩ / ٥) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٤٨ / ١٣) .

^٩ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣١١ / ٣) ، والبحر المحيط : (٣٨٠ / ٥) ، والدر المصون : (٤٦ / ٧) ،

واللباب : (٣٠٠ / ١١) .

^{١٠} _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣١١ / ٣) ، والجامع لأحكام القرآن : (٣١٥ / ٩) ، والبحر المحيط :

(٣٨٠ / ٥) ، والدر المصون : (٤٦ / ٧) ، واللباب : (٣٠٠ / ١١) .

القول الرابع: أنه يعود إلى الدين ، قال به السمرقندي^٢ ، و الواحدي^٣ ، والخازن^٤ ، والنسفي^٥ ، والبقاعي^٦ .

الترجيح:

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو أن الضمير عائد إلى الله تعالى ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، ويؤيده القاعدة التفسيرية التي تنص على : أن إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر^٧ .

أما القول بأن الضمير يعود على الدين فإنه يرجع إلى القول الأول بأن مرجعه إلى الله تعالى ؛ لأن من اختار هذا القول فسره على حذف مضاف أي : إلى شرعه ودينه ، أو على تقدير : ويهدي إلى دينه وطاعته^٨ ، ويؤيده أن ﴿إِلَيْهِ﴾ متعلق بـ ﴿وَيَهْدِي﴾ أي : إلى طاعته^٩ .



^١ _ روح المعاني : (١٣ / ١٤٨) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٢٦) .

^٣ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٧١) .

^٤ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ٨٦) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢ / ٢١٧) .

^٦ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٤٩) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٩٣) .

^٨ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٨٠) ، والدر المصون : (٧ / ٤٦) ، اللباب : (١١ / ٣٠٠) .

^٩ _ النهر الماد : (٢ / ١٧٨) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه : لمحيي الدين الدرويش (٥ / ١١٩) .

قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّكَابٍ﴾ [٢٩] .

٢٦ / ٢٦ المراد بـ ﴿طُوبَىٰ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الأقوال الواردة في معنى ﴿طُوبَىٰ﴾ متقاربة ، والمعنى : العيش الطيب لهم ؛ حيث قال : ((واختلف القائلون بهذا في معناها فقال الضحاك : المعنى غبطة لهم^١ ، وعنه أيضاً : أصبت خيراً^٢ . وقال عكرمة : نعمى لهم^٣ . وقال ابن عباس : فرح وقرّة عين^٤ . وقال قتادة : حسنى لهم^٥ . وقال النخعي : خير لهم ، وعنه أيضاً : كرامة لهم^٦ ... وهذه أقوال متقاربة ، والمعنى : العيش الطيب لهم))^٧ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿طُوبَىٰ﴾ أقوال :

القول الأول : أن الأقوال الواردة في معنى ﴿طُوبَىٰ﴾ متقاربة ، والمعنى : العيش الطيب لهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزجاج^٨ ، والنحاس^٩ ، والفخر الرازي^{١٠} . قال النحاس _ رحمه الله _ : ((وهذه الأقوال متقاربة ؛ لأن طوبى فعلى من الطيب ، أي : من العيش الطيب لهم ، وهذه الأشياء ترجع إلى الشيء الطيب))^{١١} .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٤٦ / ١٣) ، والدر المنثور : (٦٤٢ / ٤) .

وهو قول السمرقندي أيضاً . ينظر : بحر العلوم : (٢٢٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٨٠ / ٥) ، والدر المنثور : (٦٤٣ / ٤) .

وهو قول عبد الرزاق ، والزحشري ، والنسفي ، وأبو السعود . ينظر على التوالي : تفسير الصنعاني : (٢ /

٣٣٥) ، الكشاف : (٤٩٧ / ٢) ، تفسير النسفي : (٢١٨ / ٢) ، إرشاد العقل السليم : (٢٠ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٤٥ / ١٣) ، والدر المنثور : (٦٤٢ / ٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٤٦ / ١٣) ، والدر المنثور : (٦٤٢ / ٤) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٤٦ / ١٣) ، والدر المنثور : (٦٤٣ / ٤) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٤٦ / ١٣) ، والدر المنثور : (٦٤٣ / ٤) .

^٧ _ البحر المحيط : (٣٨٠ / ٥) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (١٤٨ / ٣) .

^٩ _ ينظر : معاني القرآن : (٤٩٤ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : التفسير الكبير : (٥٢ / ١٩) .

^{١١} _ معاني القرآن : (٤٩٤ / ٣) .

وقال الفخر الرازي _ رحمه الله _ : ((واعلم أن المعاني متقاربة ، والتفاوت يقرب من أن يكون في اللفظ . والحاصل أنه مبالغة في نيل الطيبات . ويدخل فيه جميع اللذات . وتفسيره أن أطيب الأشياء في كل الأمور حاصل لهم))^١ .

القول الثاني : أن ﴿ طوبى ﴾ اسم شجرة في الجنة ، وهو مروى عن النبي _ ﷺ _ ، فعن عتبة بن عبد السلمي يقول جاء أعرابي إلى رسول الله ، فقال يا رسول الله : إن في الجنة فاكهة ؟ قال : ((نعم فيها شجرة تدعى طوبى ...))^٢ .

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله _ ﷺ _ أن رجلاً قال : يا رسول الله ، طوبى لمن رآك ، وآمن بك . قال : ((طوبى لمن رآني وآمن ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ، ولم يريني)) . قال رجل : وما طوبى ؟ قال : ((شجرة في الجنة مسيرة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها^٣))^٤ .

وهو قول أبي هريرة^٥ ، وابن عباس^٦ ، ومغيث بن سمي^٧ ، وشهر بن حوشب^٨ ،

^١ _ التفسير الكبير : (١٩ / ٥٢) .

^٢ _ أخرجه الطبري في تفسيره : (١٦ / ٤٤٢) ، وقال عنه محققه محمود شاکر : إسناده جيد .

وأخرجه أحمد في مسنده : (٤ / ١٨٣) ، ح : (١٧٦٧٩) . وقال محمود شاکر عنه : إسناده صحيح .

^٣ _ أكمامها : جمع كم بالكسر وعاء الطلع . ينظر : فيض القدير : (٤ / ٢٨٢) .

^٤ _ أخرجه أحمد في المسند : (٣ / ٧١) ، ح : (١١٦٩١) ، وأبو يعلى في مسنده : (٢ / ٥١٩) ، ح : (١٣٧٤) ، وابن حبان في صحيحه ، باب ذكر الإخبار عن اسم هذه الشجرة التي تقدم نعتنا لها : (١٦ / ٤٢٩) ، ح : (٧٤١٣) مقتصراً على آخره ، وابن جرير في تفسيره : (١٦ / ٤٤٣) ، وقال في الأمالي المطلقة : (١ / ٤٧) : هذا حديث حسن . وقال محمود شاکر _ محقق جامع البيان _ : وأحسن حاله أن يكون مما لا بأس به ، ومما يعتبر به . وينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦٤٤) .

^٥ _ ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٢ / ٣٣٦) ، وجامع البيان : (١٦ / ٤٣٨) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٣٧) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٣٨) .

ومغيث بن سمي هو : الأوزاعي أبو أيوب الشامي ، لقي زهاء ألف من الصحابة _ رضي الله عنهم _ . ينظر :

الكاشف : (٢ / ٢٨٤) ، والتاريخ الكبير : (٨ / ٢٤) ، وتهذيب التهذيب : (١٠ / ٢٥٥) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٣٨) .

وشهر بن حوشب هو : الأشعري ، الشامي ، من كبار علماء التابعين ، يقال مات سنة مائة . ينظر : التاريخ

الكبير : (٤ / ٢٥٨) ، وسير أعلام النبلاء : (٤ / ٣٧٢ - ٣٧٨) .

والراغب الأصفهاني^١ ، والواحدي^٢ ، والقرطبي^٣ ، والألوسي^٤ ، وعليه أكثر المفسرين^٥ .

القول الثالث : أن ﴿ طُوبَى ﴾ اسم للجنة وهو قول مجاهد^٦ ، و عكرمة^٧ ، وقيل : اسم للجنة

بالحبشية ، وهو قول ابن عباس^٨ ، وقيل : اسم للجنة بالهندية ، وهو قول ابن جبير^٩ .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن المراد بـ ﴿ طُوبَى ﴾ : شجرة

في الجنة .

قال القرطبي _ رحمه الله _ : « قلت : و الصحيح أنها شجرة ؛ للحديث المرفوع الذي ذكرناه ، وهو صحيح »^{١٠} .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : « والأخبار المصرفة بأنها شجرة في الجنة منتشرة جداً »^{١١} .

ولكن ذلك لا يمنع من أن يكون المراد : العيش الطيب ، حيث إن ﴿ طُوبَى ﴾ عند النحويين

فعلى من الطيب ، ومعناها : الحال المستطابة لهم^{١٢} ، فيجمع بين المعنيين ، وتكون شجرة طوبى من النعيم الذي لأهل الجنة .

وجمع ابن حجر بين الأقوال فقال _ رحمه الله _ : « وطوبى في الأصل شجرة في الجنة ... »

وتطلق ويراد بها الخـير ، أو الجنة ، أو أقصى الأمنية ، وقيل : هي من الطيب ، أي : طاب عيشكم »^١ .

^١ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٥٢٨) .

^٢ _ الوجيز : (١ / ٥٧٢) .

^٣ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٢١٧) .

^٤ _ روح المعاني : (١٣ / ١٥١) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ١٥) .

^٦ _ ينظر : تفسير مجاهد : (١ / ٣٢٨) ، وجامع البيان : (١٦ / ٤٣٧) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٤٣) .

فائدة : الأثر أخرجه ابن جرير من رواية ابن جريج ، وابن أبي نجیح . وإسناد ابن جريج : حسن لغيره ؛ لمتابعة

ابن أبي نجیح له . ينظر : رسالة : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١١٩٤) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٣٧) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٤٣) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٣٦) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٤٣) .

^٩ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦٤٣) .

^{١٠} _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٧) .

^{١١} _ روح المعاني : (١٣ / ١٥١) .

^{١٢} _ معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ١٤٨) ، و الوسيط : (٣ / ١٦) .

وقال الشيخ السعدي _ رحمه الله _ : ((**طُوبَى لِهَمِّ وَحُسْنِ مَثَابٍ**)) أي : لهم حالة طيبة ومرجع حسن ، وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة ، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة ، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها كما وردت بها الأحاديث الصحيحة))^٢ .



^١ _ فتح الباري : (٧ / ٤٥٠) ، ح : (٣٩٣٧) .

^٢ _ تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٤١٨) .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَأْتَسِرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [٣١] .

في الآية الكريمة خمس مسائل :

٢٧ / ٢٧ _ المسألة الأولى : جواب ﴿ لَوْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن جواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف تقديره : (لكان هذا القرآن) ، فقال : « (ولما ذكر تعالى علة إرساله ، وهي تلاوة ما أوحاه إليه ذكر تعظيم هذا الموحى ، وأنه لو كان قرآنًا تسير به الجبال عن مقارها ، أو تقطع به الأرض حتى تترايل قطعاً قطعاً ، أو تكلم به الموتى فتسمع وتجب لكان هذا القرآن ؛ لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف ، كما قال ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ [سورة الحشر : ٢١] الآية فجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف وهو ما قدرناه ، وحذف جواب ﴿ لَوْ ﴾ لدلالة المعنى عليه جائز ، نحو قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] ، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفِّقُوا عَلَى النَّارِ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٧] ، وقال الشاعر : وَجَدَّكَ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ^١ »^٢ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في جواب ﴿ لَوْ ﴾ قولان :

القول الأول : أن جواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف ، ثم اختلفوا في تقديره على قولين :

الأول : أن تقديره : (لكان هذا القرآن) ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن قتادة^٣ ، والضحاك^٤ ، وابن زيد^٥ ، وهو قول الطبري^٦ ،

^١ _ البيت لامرئ القيس ، ينظر : ديوان امرئ القيس : (٧٣) .

^٢ _ البحر المحيط : (٣٨١ / ٥ - ٣٨٢) ، وينظر : النهر الماد : (١٧٩ / ٢) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٤٤٩ / ١٦) .

^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (٤٤٩ / ١٦) .

^٥ _ ينظر : المرجع السابق : (٤٤٩ / ١٦ - ٤٥٠) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٥ / ١٦) .

والسمرقندي^١ ، والزمخشري^٢ ، وابن عطية^٣ ، والفخر الرازي^٤ ، وأبو البقاء^٥ ، والقرطبي^٦ ، والبيضاوي^٧ ، والنسفي^٨ ، ووافقه السمين الحلبي^٩ ، وابن كثير^{١٠} ، وابن عادل^{١١} ، والبقاعي^{١٢} ، وأبو السعود^{١٣} ، والطاهر بن عاشور^{١٤} ، والمراغي^{١٥} ، وعليه أكثر المحققين^{١٦} .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وتتضمن الآية _ على هذا _ تعظيم القرآن ، وهذا قول حسن يجرز فصاحة الآية »^{١٧} .

واستدل هذا الفريق بما يلي :

١ _ أن القرآن غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف ، كما قال ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ

عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ [سورة الحشر : ٢١] الآية^{١٨} .

٢ _ أن القرآن في غاية ما يكون من الصحة^{١٩} .

^١ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤١٧) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٥٢) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٣) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٥٤) .

^٥ _ ينظر : التبيان في إعراب القرآن : (٢ / ٧٥٨) .

^٦ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣١٩) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٣٠) .

^٨ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٥٠) .

^٩ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٥٠) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥١٥) .

^{١١} _ ينظر : اللباب : (١١ / ٣٠٥) .

^{١٢} _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٥١) .

^{١٣} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٢١ - ٢٢) .

^{١٤} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١٤٣) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٠٤) .

^{١٦} _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٢٧٣) .

^{١٧} _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٣) .

^{١٨} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٣٠) ، والبحر المحيظ : (٥ / ٣٨٢) .

^{١٩} _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٥٠) .

٣ _ أن حذف جواب ﴿لَوْ﴾ لدلالة المعنى عليه جائز ، نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] ، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفُفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [سورة الأنعام : ٢٧] ، وقال الشاعر :

وَجَدَّكَ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ عَنْكَ مَدْفَعًا^١ .

قال الفراء : « والعرب تحذف جواب الشيء إذا كان معلوماً إرادة الإيجاز »^٢ .

ورد القونوي هذا القول فقال : « لو كان المراد هذا القرآن ، لكان الجواب المحذوف عين الشرط المذكور ، ولو قيل : المراد هذا القرآن اتحاد الشرط والجزاء للتعظيم »^٣ .

الثاني : أن تقديره (لما آمنوا) ، وهو قول الزجاج^٤ ، ووافقه ابن جزي^٥ ، والسيوطي^٦ .

القول الثاني : أن جواب ﴿لَوْ﴾ مقدم قبلها ، والمعنى : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [سورة

الرعد : ٣٠] ، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرَّءَانًا﴾ [سورة الرعد : ٣١] ، أي : وهم يكفرون بالرحمن ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن ، وقالوا : هو من المؤخر الذي معناه التقديم ، وجعلوا جواب ﴿لَوْ﴾ مقدماً

قبلها ، وذلك أن الكلام على معنى قيلهم : ولو أن هذا القرآن سيرت به الجبال ، أو قطعت به الأرض ، لكفروا بالرحمن . وهذا القول يوافق المروي عن ابن عباس ، ومجاهد^٧ ، ونسبه أبوالبقاء^٨ وأبوحيان^٩ للفراء ، إلا أن الفراء ذكر هذا القول ، والقول الآخر لكنه لم يقدر المحذوف فقال _ رحمه الله _ : « وإن شئت كان جوابه متروكاً ؛ لأن أمره معلوم » ، ولم يرجح^{١٠} .

^١ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٣) ، وجامع البيان : (١٦ / ٤٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ /

٣١٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٨٢)

^٢ _ معاني القرآن : (٢ / ٦٣) . وينظر : اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط : (٢ / ٥٨٩) .

^٣ _ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (١٠ / ٥٠٦) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٤٨) .

^٥ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٧) .

^٦ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٠٨) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان (١٦ / ٤٤٦ - ٤٤٨) .

^٨ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٦٠) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٢) .

^{١٠} _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٣) .

واستدل هذا الفريق بما يلي :

١ _ قالوا هو كقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الأنعام : ١١١]^١ .

٢ _ أن الغالب في اللغة العربية أن يكون الجواب المحذوف من جنس المذكور قبل الشرط ليكون ما قبل الشرط دليلاً على الجواب المحذوف^٢ .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : ((وعلى قول الفراء يترتب جواب ﴿ لَوْ ﴾ أن يكون (لما آمنوا) ؛ لأن قولهم ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [سورة الرعد : ٣٠] ليس جواباً ، وإنما هو دليل على الجواب ، .. ويترتب على أن يكون الجواب المحذوف (لما آمنوا) ... ، وأما على تقدير : (لكان هذا القرآن) ، فيحتاج إلى ضمنية ، وهو أن يقدر : لكان هذا القرآن الذي أوحينا إليك المطلوب فيه إيمانهم وما تضمنه من التكليف))^٣ .

وقال الشهاب _ رحمه الله _ : ((وهذا منقول عن الفراء وغيره ممن يجوز تقديم جواب الشرط عليه ، ولا يخفى أن في اللفظ نبوة عنه ؛ لكونها اسمية مقترنة بالواو ، ... لكنه يكون لا فرق بينه وبين تقدير (لما آمنوا) في المعنى))^٤ .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على القولين ؛ لأن الآية تحتملها بلا تضاد .

ويؤيد ذلك القاعدة التي تنص على أنه : إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها^٥ .



^١ _ ينظر : معاني القرآن للزجاج : (٣ / ١٤٨) ، ومعالم التنزيل : (٤ / ٣٢٠) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ٥٤) .

^٢ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٠٢) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٨٢) .

^٤ _ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٤١٧) .

^٥ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٥٩١) .

٢٨ / ٢٨ _ المسألة الثانية : المراد بـ (اليأس) في قوله تعالى ﴿ أَقْلَمَ يَأْيَسُ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد باليأس في الآية : العلم فقال : « واليأس : القنوط في الشيء ، وهو هنا في قول الأكثرين بمعنى العلم ، كأنه قيل : ألم يعلم الذين آمنوا »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد باليأس في الآية الكريمة قولان :

القول الأول : أن المراد باليأس في الآية : العلم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن علي^٢ ، وابن عباس^٣ ، ومجاهد^٤ ، وقتادة^٥ ، وابن زيد^٦ ، وهو قول الطبري^٧ ، والزمخشري^٨ ، وابن عطية^٩ ، والعكبري^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، ووافقه ابن جزى^{١٢} ، و الثعالبي^{١٣} ، والسيوطي^{١٤} ، والألوسي^{١٥} ، و المراغي^{١٦} ، وعليه أكثر المفسرين^{١٧} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٢ / ٥) ، النهر الماد : (١٧٩ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٢ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٥٣ / ٤) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٢ / ١٦ _ ٤٥٤) ، والدر المنثور : (٦٥٣ / ٤ _ ٦٥٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٤ / ١٦) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٤ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٥٤ / ٤) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٥ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٥٤ / ٤) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٥ / ١٦) .

^٨ _ ينظر : الكشاف : (٣٥٣ / ٣) .

^٩ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣١٣ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : التبيان في إعراب القرآن : (٧٥٩ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٥٠ / ١) .

^{١٢} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٤٧ / ٢) .

^{١٣} _ ينظر : الجواهر الحسان : (١٨٨ / ٢) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٠٨) .

^{١٥} _ ينظر : روح المعاني : (٢٧٤ / ٩) .

^{١٦} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٠٥ / ١٣) .

^{١٧} _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٥ / ١٦) .

واستدلوا بما يلي :

- ١ _ أنها من لغات العرب ، فعن القاسم بن معن^١ : أنها لغة هوازن ، وعن ابن الكلبي^٢ : أنها لغة لحي من النخع^٣ .
- ٢ _ أن الشواهد الشعرية تثبت لغة أيضاً ، ومن ذلك قول سحيم بن وثيل الرياحي^٤ :
أقول لهم بالشعب إذ يأسروني ألم تياسوا أي ابن فارس زهدم^٥
- ٣ _ أنه قول تؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة (أفلم يتبين)^٦ ، إلا أنها قراءة شاذة^٧ .
- ٤ _ إجماع المفسرين على ذلك^٨ .

-
- ^١ _ القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي ، قاضي الكوفة ، وكان ثقة عالماً بالحديث والفقهاء والشعر وأيام الناس . ينظر : التاريخ الكبير : (١٧٠ / ٧) ، و طبقات ابن سعد : (٣٨٤ / ٦) .
 - ^٢ _ ابن الكلبي : محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي ، كان عالماً بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم مات سنة ١٤٦ هـ . ينظر : الكاشف : (١٧٤ / ٢) ، والتاريخ الكبير : (١٠١ / ١) ، و طبقات ابن سعد : (٣٥٨ / ٦) .
 - ^٣ _ ينظر : معاني القرآن للفراء : (٦٤ / ٢) ، وجامع البيان : (٤٥١ / ١٦) ، والكشاف : (٣٥٣ / ٣) ، والمحزر الوجيز : (٣١٣ / ٣) ، والبحر المحيط : (٣٨٢ / ٥) ، ولسان العرب : (٢٦٠ / ٦) ، شرح قطر الندى : (٦٢ / ١) .
 - ^٤ _ سحيم بن وثيل _ بالمثلثة مصغراً _ بن أعيفر بن أي عمرو بن إهاب بن حميري بن رياح بن يربوع الرياحي _ بالتحتمانية _ ، شاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية أربعين وفي الإسلام ستين . ينظر : الإصابة : (٢٥٢ / ٣) ، و طبقات فحول الشعراء : (٥٧١ / ٢) .
 - ^٥ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٠ / ١٦) ، والكشاف : (٣٥٣ / ٣) ، والمحزر الوجيز : (٣١٣ / ٣) ، ولسان العرب : (٢٦٠ / ٦) ، مادة : (يئس) ، والعقد الفريد : (٢٠٧ / ٥) ، والحلبة في أسماء الخيل : (٤٤ / ١) .
 - ^٦ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٢ / ١٦) ، وبحر العلوم : (٤١٧ / ٢) ، والدر المنثور : (٦٥٣ / ٤) ، وروح المعاني : (٢٧٤ / ٩) .
 - ^٧ _ قال ابن جني : « قوله تعالى (أفلم يتبين الذين آمنوا) وتفسير هذه القراءة لقراءة الجماعة استعمال يئس بمعنى يعلم » المحتسب : (٣٩١ / ١) . وأنكر أبو حيان أن تكون هذه القراءة تفسيراً وقال : « بل هي قراءة مسندة إلى الرسول ﷺ _ وليست مخالفة للسواد ؛ إذ كتبوا (يئس) بغير صورة الهمزة ، وهذه قراءة (فتبينوا) و (فتثبتوا) وكلتاها في السبعة » . البحر المحيط : (٣٩١ / ٥) .
 - ^٨ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٥ / ١٦) .

وأنكر الكسائي^١ ، والفراء^٢ ، أن يكون يئس بمعنى علم ، وإنما لم يسمع أحداً من العرب يقول يئست بمعنى علمت^٣ .

ورد على ذلك أبو حيان فقال : « وقد حفظ ذلك غيره ، وهذا القاسم بن معن من ثقة الكوفيين وأجلاتهم نقل أنها لغة هوزان ، وابن الكلبي نقل أنها لغة لحي من النخع ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه ؛ لأنّ اليأس من الشيء عالم بأنه لا يكون ، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف ، والنسيان في معنى الترك^٤ .

ورد البقاعي على من قال : إن المعنى العلم فقال : « والعلم بالشيء يوجب اليأس من خلافه ، لكنه لم يهدمهم جميعاً فلم يشأ ذلك ، ولا يكون إلا ما شاءه ، فلا يزال فريق منهم كافراً ، فقد وضع أن ﴿ يَايُئْسِ ﴾ على باهما ، وكذا في البيت الذي استشهدوا به على أنها بمعنى (علم) يمكن أن يكون معناه : ألم تياسوا عن أذاي أو عن قتلي علماً منكم بأني ابن فارس زهدم ، فلا يضيع لي ثأر ، وكذا قراءة علي ومن معه من الصحابة _ رضوان الله عليهم أجمعين _ (أفلم يتبين الذين آمنوا) أي أن أهل الضلال لا يؤمنون لآية من الآيات علماً منهم بأن الأمر لله جميعاً ، وأن إيمانهم ليس موقوفاً على غير مشيئته^٥ .

القول الثاني : أن اليأس هنا على المعروف فيه في اللغة : وهو القنوط من الشيء ، فيكون على بابه مع إضمار العلم ، ومتعلقه محذوف تقديره : إيمانهم ، والمعنى : أفلم يئس الذين آمنوا من إيمان الكفار من قريش المعاندين لله ورسوله ؛ وذلك أنه لما سألوا هذه الآيات اشتاق المؤمنون إليها وأحبوا نزولها ؛ ليؤمن هؤلاء الذين علم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون ، فقال : أفلم يئس الذين آمنوا من إيمانهم ، أي : أفلم يياسوا علماً ، يقول : يؤيسهم العلم ، فكان فيهم العلم مضمراً ؛ لأن الله تعالى قال ﴿ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [سورة الرعد : ٣١] ، وهو قول الكسائي^٦ ،

^١ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٩٠ / ٤) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (٦٣ / ٢ _ ٦٤) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥١ / ١٦) .

^٤ _ البحر المحيط : (٣٨٣ / ٥) .

^٥ _ نظم الدرر : (٣٥٢ / ٤) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٤٩٨ / ٣) ، وزاد المسير : (٣٣٢ / ٤) ، والبحر المحيط : (٣٨٣ / ٥) ،

والدر المصون : (٥١ / ٧) ، واللباب : (٣٠٦ / ١١) .

وتلميذه الفراء^١ ، والزجاج^٢ ، والبيضاوي^٣ ، والبقاعي^٤ .

وقال الفراء _ رحمه الله _ : « قال المفسرون : يئس يعلم . وهو في المعنى على تفسيرهم ؛ لأن

الله قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ، فقال : أفلم يئسوا علماً . يقول :

يؤيسهم العلم ، فكان فيهم العلم مضمرأ ، كما تقول في الكلام : قد يئست منك ألا تفلح علماً ،

كأنك قلت : علمته علماً ... ولم نجد لها في العربية إلا على ما فسرت وقول الشاعر^٥ :

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضفاً دواجن قافلاً أعصامها

معناه : حتى إذا يئسوا من كل شيء مما يمكن إلا ظهر لهم أرسلوا . فهو معنى : حتى إذا علموا أن

ليس وجه إلا الذي رأوا أرسلوا . كان ما وراءه يئساً^٦ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه

أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد باليأس في الآية الكريمة : العلم ؛ وذلك لأمر :

١ _ وروده عن السلف ، وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^٧ .

٢ _ أن عليه أكثر المفسرين ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ

أبعد^٨ .

٣ _ ثبوته في اللغة ، ويؤيده : أن عدم العلم بالشيء لا يلزم منه إنكاره^٩ ، وقاعدة : من حفظ حجة

على من لم يحفظ^{١٠} .



^١ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٣ - ٦٤) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ١٤٩) .

^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٣٠) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٥٢) .

^٥ _ هو لبيد في معلقته ، والبيت في وصف كلاب الصيد ، والغضب : كلاب الصيد ؛ لغضب آذانهم ، وهو

إقبالها على القفا ، و" دواجن " ألفن البيوت ، و" قافلاً " يابساً ، و" الأعصام " القلائد . ينظر : معاني القرآن

للفراء ، تحقيق : محمد علي النجار : (٢ / ٦٤) ، حاشية (١) .

^٦ _ معاني القرآن : (٢ / ٦٣ - ٦٤) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٧١) .

^٨ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٨٨) .

^٩ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٢٧١ ، ٦٨٢) .

^{١٠} _ ينظر : المرجع السابق : (٢٧٢ ، ٤٧٩ ، ٦٨٣) .

٢٩ / ٢٩ _ المسألة الثالثة _ المراد بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ عام في جميع الكفار ؛ حيث قال : « والكفار عام في جميع الكفار ، وهذا الأمر مستمر فيهم إلى يوم القيامة ، قاله الحسن ، وابن السائب ، أو هو ظاهر اللفظ »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ عام في جميع الكفار ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الحسن^٢ ، وابن السائب^٣ ، والزمخشري^٤ ، والقرطبي^٥ ، والبيضاوي^٥ .

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي :

١ _ أنه أمر مستمر في جميع الكفار .

٢ _ أنه ظاهر اللفظ^٦ .

القول الثاني : أن المراد كفار قريش والعرب لا تزال تصيبهم قوارع من سرايا رسول الله ﷺ _

_ وغزواته ، وهو قول ابن عطية^٧ .

القول الثالث : أن المراد كفار مكة ، وهو قول مقاتل ، والطبري^٨ ، والسمرقندي^٩ ، وابن جزري^{١٠} ،

والسيوطي^{١١} ، وأبي السعود^{١٢} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٤ / ٥) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٨٤ / ٥) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٣٥٣ / ٣) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٣١٨ / ٩) .

^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٣١ / ٣) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٨٤ / ٥) .

^٧ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣١٣ / ٣) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٦ / ١٦) .

^٩ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٢٨ / ٢) .

^{١٠} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٤٧ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٠٨) .

^{١٢} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٢٣ / ٥) .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو القول بأن المراد العموم في جميع الكفار ، ويدخل في هذا القول القولان الآخران دخولاً أولاً ؛ لأنهم المعاصرون لتزول الآيات ، وكانت تنتزل عليهم القوارع والمصائب ، وهذه الأقوال هي من باب اختلاف التنوع ، أو ما يسمى باختلاف التمثيل ، فالذين كفروا اسم عام ، فعندما ينص بعض المفسرين على أحد هذه الأنواع لا يريد قصر لفظ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ عليه ، وإنما يريد التمثيل ببعض أفرادها ، ويؤيد هذا القول ما يلي :

١ _ أن الاسم الموصول ﴿ الَّذِينَ ﴾ من صيغ العموم ، فلا يجوز تخصيصه إلا بدليل صحيح لا يحتمل غيره ، وفي هذا رد على من خصص ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بكفار مكة ، أو العرب من الكفار .

٢ _ أنه الظاهر من اللفظ ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^١ .

٣ _ أنه يصح دخول كفار مكة ، وكفار العرب في لفظ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

٤ _ قاعدة : « أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص »^٢ .



^١ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٥٢٧) .

٣٠ / ٣٠ _ المسألة الرابعة : مرجع الضمير في ﴿ تَحُلُّ ﴾ :

استظهر أبو حيان _ رحمه الله _ أن مرجع الضمير في ﴿ تَحُلُّ ﴾ عائداً على قارعة ؛ حيث قال :
« والظاهر أن الضمير في ﴿ تَحُلُّ ﴾ عائداً على قارعة »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في مرجع الضمير في ﴿ تَحُلُّ ﴾ قولان :

القول الأول : أن مرجع الضمير في ﴿ تَحُلُّ ﴾ عائداً على قارعة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً
المروي عن الحسن^٢ ، وهو قول البغوي^٣ ، والزمخشري^٤ ، والعكبري^٥ ، والبيضاوي^٦ ، والخازن^٧ ،
ووافقهم السمين الحلبي^٨ ، وابن جزى^٩ ، وابن كثير^{١٠} ، وابن عادل^{١١} ، وأبو السعود^{١٢} ،
والشوكاني^{١٣} ، والمراغي^{١٤} .
واستدل هذا الفريق بأن ذلك هو الظاهر من السياق^{١٥} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٤ / ٥) .

^٢ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٣٣٧ / ٢) ، وجامع البيان : (١٦ / ٤٥٩) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٥٥) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٢٠ / ٤) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣٥٣ / ٣) .

^٥ _ ينظر : إملأ ما من به الرحمن : (٣٦٠) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٣١ / ٣) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٦٣ / ٣) .

^٨ _ ينظر : الدر المصون : (٥٥ / ٧) .

^٩ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٤٧ / ٢ - ٢٤٨) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥١٦ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : اللباب : (٣٠٩ / ١١) .

^{١٢} _ ينظر : رشاد العقل السليم : (٢٣ / ٥) .

^{١٣} _ ينظر : فتح القدير : (٨٤ / ٣) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٠٦ / ١٣) .

^{١٥} _ ينظر : البحر المحيط : (٣٨٤ / ٥) ، والتسهيل لعلوم التنزيل : (٢٤٨ / ٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٥١٦ / ٢) .

القول الثاني: أن مرجع الضمير إلى النبي ﷺ - يلح قريباً من دارهم ، وهو مروى عن ابن عباس^١ ، وعكرمة^٢ ، ومجاهد^٣ ، وسعيد بن جبير^٤ ، وقتادة^٥ ، وقول الفراء^٦ ، والطبري^٧ ، والسمرقندي^٨ ، والواحدي^٩ ، والسيوطي^{١٠} .
وجمع بين القولين النسفي^{١١} ، والطاهر بن عاشور^{١٢} .

الترجيح:

بالنظر في ما سبق يتضح أن الراجح - والله تعالى أعلم بالصواب - القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن مرجع الضمير في ﴿ تَحُلُّ ﴾ للقارعة ؛ وذلك لما يلي :

- ١ - أنه المعنى الظاهر للسياق ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل^{١٣} .
- ٢ - أن لفظ (القارعة) أقرب مذكور ، والأصل عود الضمير إليه ما لم يرد دليل على خلافه^{١٤} .
- ٣ - أنه لم يجر ذكر للنبي ﷺ - في سياق الآية الكريمة .



^١ - ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٥٧) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٥٤) .

^٢ - ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٥٧) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٥٥) .

^٣ - ينظر : تفسير مجاهد : (٣٢٩) ، وجامع البيان : (١٦ / ٤٥٨) .

^٤ - ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٥٨) .

^٥ - ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٣٧) ، و جامع البيان : (١٦ / ٤٥٨) .

^٦ - ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٤) .

^٧ - ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٥٦) .

^٨ - ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٢٨) .

^٩ - ينظر : الوجيز : (١ / ٥٧٣) .

^{١٠} - ينظر : تفسير الجلالين : (٢٠٩) .

^{١١} - ينظر : مدارك التزويل وحقائق التأويل : (١ / ٢٥٠ - ٢٥١) .

^{١٢} - ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١٤٦ - ١٤٧) .

^{١٣} - ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

^{١٤} - ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٦٢١) .

٣١ / ٣١ _ المسألة الخامسة : المراد بـ ﴿ وَعَدُّ اللَّهِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ وَعَدُّ اللَّهِ ﴾ يوم القيامة أو موتهم ؛ حيث قال :
«ووعد الله قيام الساعة»^١ . وقال في النهر الماد : « ﴿ وَعَدُّ اللَّهِ ﴾ وهو موتهم أو القيامة»^٢ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ وَعَدُّ اللَّهِ ﴾ ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿ وَعَدُّ اللَّهِ ﴾ يوم القيامة أو موتهم ، وهو ما رجحه أبو حيان ، موافقاً
قول الزمخشري^٣ ، ووافقهم أبو السعود^٤ ، والشوكاني^٥ .

قال أبو السعود _ رحمه الله _ : « ﴿ وَعَدُّ اللَّهِ ﴾ أي موتهم أو القيامة ؛ فإن كلاً منهما وعد
محتوم ، ولا مرد له ، وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة ، وأن ما
ذكر سابقه نفحة يسيرة بالنسبة إليه»^٦ .

القول الثاني : أن المراد بـ ﴿ وَعَدُّ اللَّهِ ﴾ يوم القيامة ، وهو مروى عن الحسن^٧ ، وقول
الواحدي^٨ .

القول الثالث : أن وعد الله فتح مكة ، وهو مروى عن ابن عباس^٩ ، ومجاهد^{١٠} ، وقتادة^{١١} ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٤ / ٥) .

^٢ _ النهر الماد : (١٨٠ / ٢) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٣٥٣ / ٣) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٢٣ / ٥) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٨٤ / ٣) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٢٣ / ٥) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٦٠) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٥٥) .

^٨ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٧٣) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٥٦) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٥٤) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٢٩) ، وجامع البيان : (١٦ / ٤٥٨) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٥٥) .

^{١١} _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٣٧) ، وجامع البيان : (١٦ / ٤٥٨) .

وهو قول الطبري^١ ، والسمرقندي^٢ ، وابن جزري^٣ ، وابن عادل^٤ ، والمراغي^٥ .
وجمع البيضاوي^٦ ، والنسفي^٧ بين الأقوال الثلاثة .

الترجيح :

مما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ العموم في كل ما وعد الله به ، وأن الآية تحتمل جميع الأقوال ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أن ﴿ وَعَدُ اللَّهُ ﴾ معرف بالإضافة ، وهو اسم جنس مضاف ، فهو من صيغ العموم^٨ ، ويجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٩ .

٢ _ أنه لا مانع من حمل الآية على الأقوال السابقة ؛ لأنها على سبيل التمثيل لبعض أفراد ما وعد الله به ، فإن الكفار لا تزال تصيهم القوارع حتى يأتي النصر الذي وعد الله لنبيه _ ﷺ _ بفتح مكة ، أو غيره من الفتوحات ، أو يأتيهم الموت ، أو تقوم القيامة عليهم .

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « ﴿ وَعَدُ اللَّهُ ﴾ من إطلاق المصدر على المفعول ، أي موعود الله ، وهو ما توعدهم به من العذاب ، كما في قوله ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢] فأشارت الآية إلى استئصالهم ؛ لأنها ذكرت الغلب ودخول جهنم . فكان المعنى أنه غلب بسيف المسلمين وهو البطشة الكبرى ، ومن ذلك يوم بدر ، ويوم حنين ، ويوم الفتح^{١٠} .



- ١ _ ينظر : جامع البيان : (٤٥٦ / ١٦) .
- ٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٢٨ / ٢) .
- ٣ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٤٨ / ٢) .
- ٤ _ ينظر : اللباب : (٣٠٩ / ١١) .
- ٥ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٠٦ / ١٣) .
- ٦ _ تفسير البيضاوي : (٣٣١ / ٣) .
- ٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٥٠ / ١) .
- ٨ _ ينظر : الإتيقان في علوم القرآن : (٤٣ / ٣) ، وشرح الكوكب المنير : (١١٩ / ٣) ، (١٥٣) ، ومباحث في علوم القرآن : (٢٢٣ - ٢٢٤) .
- ٩ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٥٢٧ / ٢) .
- ١٠ _ التحرير والتنوير : (١٤٧ / ١٣) .

قال الله تعالى ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّوهُمْ ۚ
أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ۚ أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ ۚ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ
وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۗ ﴾ [٣٣] .

٣٢ / ٣٢ _ المراد بـ ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله أن القائم على كل نفس بما كسبت هو الله عز وجل ؛ حيث قال :
« والباري تعالى هو المحيط بأحوال النفوس جليها وخفيها ، ونبه على بعض حالاتها وهو الكسب ؛
ليتفكر الإنسان فيما يكسب من خير وشر ، وما يترتب على الكسب في الجزاء ، وعبر بقائم عن
الإحاطة والمراقبة التي لا يغفل عنها ، وأبعد من ذهب إلى أن قوله أفمن هو قائم المراد به الملائكة
الموكلون ببني آدم »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ ﴾ قولان :

القول الأول : أن القائم على كل نفس بما كسبت هو الله عز وجل ، وهو
ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، والضحاك^٣ ،
وعطاء^٤ ، وقتادة^٥ ، وابن جريج^٦ ، وهو قول الطبري^٧ ، والسمرقندي^٨ ،
والواحدي^٩ ، والسمعي^{١٠} ، والبغوي^{١١} ، والزمخشري^{١٢} ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٥ / ٥)

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٤٦٤ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٥٥ / ٤) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٤٦٤ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٥٦ / ٤) .

^٤ _ ينظر : الدر المنثور : (٦٥٥ / ٤) .

^٥ _ ينظر : تفسير الصنعائي : (٣٣٧ / ٢) ، وجامع البيان : (٤٦٤ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٥٦ / ٤) .

^٦ _ ينظر : الدر المنثور : (٦٥٦ / ٤) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (٤٦٢ / ١٦) .

^٨ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٢٨ / ٢) .

^٩ _ ينظر : الوسيط : (١٧ / ٣) ، والوجيز : (٥٧٤ / ١) .

^{١٠} _ تفسير القرآن : (٩٦ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٢١ / ٤) .

^{١٢} _ ينظر : الكشف : (٣٥٤ / ٣) .

وابن عطية^١ ، وابن الجوزي^٢ ، والرازي^٣ ، والقرطبي^٤ ، والبيضاوي^٥ ، والحازن^٦ ، والنسفي^٧ ،
ووافقهم ابن جزى^٨ ، وابن كثير^٩ ، والسيوطي^{١٠} ، وأبو السعود^{١١} ، والشوكاني^{١٢} ، والألوسي^{١٣} ،
والطاهر بن عاشور^{١٤} ، والمراغي^{١٥} وعليه أكثر المفسرين^{١٦} .

القول الثاني : أن المراد الملائكة الموكلون ببني آدم ، وهو مروى عن الضحاك^{١٧} ، واستبعده أبو
حيان^{١٨} .

وقال الألوسي _ رحمه الله _ : « وما حكاه القرطبي عن الضحاك من أن المراد بذلك الملائكة
الموكلون ببني آدم فمما لا يكاد يعرج عليه هنا »^{١٩} .

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٤) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٣٣) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٥٧) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٢٢) .

^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٣١) .

^٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ٦٣) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٥١) .

^٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٨) .

^٩ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥١٦) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٠٩) .

^{١١} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٢٤) .

^{١٢} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ٨٥) .

^{١٣} _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ١٦٠) .

^{١٤} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١٤٩) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٠٧) .

^{١٦} _ تفسير القرآن ، للسمعاني : (٣ / ٩٦) .

^{١٧} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٢٢) .

^{١٨} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٥) .

^{١٩} _ روح المعاني : (١٣ / ١٥٩) .

الترجيح :

- في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن القائم على كل نفس بما كسبت هو الله عز وجل ، ويؤيده ما يلي :
- ١ _ سياق الآيات ونسق نظمها ، فالآيات تتحدث عن الذين كفروا واتخاذهم للآلهة شركاء مع الله تعالى ، وبيان عدم استحقاق هذه الآلهة لذلك ، بل المستحق لذلك هو الله وحده ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب التسليم له^١ .
- ٢ _ لم يتقدم ذكر للملائكة في الآيات حتى يكون المراد بالقائم على كل نفس الملائكة الموكلون ببني آدم ، فهو قول بعيد كما قال أبو حيان _ رحمه الله _ .
- ٣ _ أنه قول جمهور السلف _ رحمهم الله تعالى _ ، وقولهم مقدم على غيرهم^٢ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٩٩) .

^٢ _ ينظر : قواعد التفسير عند المفسرين : (١ / ٦٤) .

قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [٣٥] .

٣٣ / ٣٣ _ المراد بـ ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بـ ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ أي : صفتها ، فقال : ((﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ أي : صفتها التي هي في غرابة المثل ، وارتفع ﴿ مَثَلُ ﴾ على الابتداء في مذهب سيوييه ، والخبر محذوف ، أي : فيما قصصنا عليكم ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ ، و ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ تفسير لذلك المثل ، تقول : مثلت الشيء إذا وصفته وقربته للفهم ، وليس هنا ضرب مثل لها ، فهو كقوله تعالى ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [الروم : ٢٧] أي : الصفة العليا)^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ أربعة أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ أي : صفتها ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ موافقاً للمروى عن علي بن أبي طالب^٢ ، و عكرمة^٣ ، وهو قول بعض نحويي البصريين^٤ ، والواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، والزمخشري^٧ ، وابن الجوزي^٨ ، والبيضاوي^٩ ، والنسفي^{١٠} ، ووافقهم ابن جزي^{١١} ، وابن كثير^{١٢} ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٦ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (١٨١ / ٢ - ١٨٢) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم ، للسمرقندي : (٤٢٠ / ٢) .

^٣ _ ينظر : الدر المنثور : (٦٥٧ / ٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٤٦٩ / ١٦) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (١٨ / ٣) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٢٢ / ٤) .

^٧ _ ينظر : الكشاف : (٣٥٥ / ٣) .

^٨ _ ينظر : زاد المسير : (٣٣٤ / ٤) .

^٩ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٣٢ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٥١ / ١) .

^{١١} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٤٨ / ٢) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥١٧ / ٢) .

والخازن^١، والسيوطي^٢، وأبو السعود^٣، والشوكاني^٤، والسعدي^٥، والألوسي^٦، والظاهر بن عاشور^٧، والمراغي^٨، وهو قول الجمهور^٩.

فمعنى الكلام: كأنه قال: وصف الجنة صفة تجري من تحتها الأنهار، أو صفة فيها أنهار^{١٠}.

واستدلوا بما يلي:

١ _ أنه كقوله تعالى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧] أي: الوصف الأعلى^{١١}.

٢ _ أن المثل بمعنى الصفة موجود، ومنه قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]^{١٢}.

٣ _ تؤيده اللغة، فالمثل: الشبه في أصل اللغة، ثم قد يصير المعنى صورة الشيء وصفته، يقال: مثلت لك كذا، أي: صورته ووصفته^{١٣}.

وأنكر محمد بن يزيد أن يكون ﴿مَثَلٌ﴾ بمعنى الصفة، قال النحاس: ((قال محمد بن يزيد: من قال مثل بمعنى صفة فقد أخطأ؛ لأنه إنما يقال: صفة فلان أنه ظريف وأنه كريم، ويقال: مثل زيد مثل عمرو، ومثل مأخوذ من المثل والحدو، وصفة مأخوذة من التحلية والنعث))^{١٤}. وكذلك أنكره أبو علي، قال القرطبي: ((وأنكره أبو علي وقال: لم يسمع مثل بمعنى الصفة؛ إنما معناه الشبه؛ ألا تراهم يجري مجراه في مواضعه ومتصرفاته، كقولهم: مررت برجل مثلك، كما تقول: مررت برجل شبهك، قال: ويفسد أيضاً من جهة المعنى؛ لأن مثلاً إذا كان معناه صفة

^١ _ ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: (٩٢ / ٤).

^٢ _ ينظر: تفسير الجلالين: (٢٠٩).

^٣ _ ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢٥ / ٥).

^٤ _ ينظر: فتح القدير: (١١٦ / ٤).

^٥ _ ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٨٨٢ / ١).

^٦ _ ينظر: روح المعاني: (٢٨٥ / ٩).

^٧ _ ينظر: التحرير والتنوير: (١٥٥ / ١٣).

^٨ _ ينظر: تفسير المراغي: (١١١ - ١١٠ / ١٣).

^٩ _ ينظر: زاد المسير: (٣٣٤ / ٤)، واللباب: (٣١٥ / ١١)، وروح المعاني: (٢٨٤ / ٩).

^{١٠} _ ينظر: جامع البيان: (٤٦٩ / ١٦).

^{١١} _ ينظر: المحرر الوجيز: (٣١٥ / ٣)، والبحر المحيط: (٣٨٦ / ٥)، وروح المعاني: (٢٨٤ / ٩).

^{١٢} _ ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٢٤ / ٩).

^{١٣} _ ينظر: تأويل مشكل القرآن: (٢٣٥).

^{١٤} _ إعراب القرآن: (٣٥٩ / ٢).

كان تقدير الكلام : صفة الجنة التي فيها أثمار ، وذلك غير مستقيم ؛ لأن الأنهار في الجنة نفسها لا صفتها^١ .

القول الثاني : تأول قوم على أن ﴿ مَثَلٌ ﴾ مقحم للتأكيد ، وأن التقدير : الجنة التي وعد المتقون تجري^٢ ، ذهب إليه الفراء^٣ .

ورد ابن عطية هذا القول فقال : ((وفي هذا قلق))^٤ .

ولم يجوز أبو حيان إقحام الأسماء فقال : ((وإقحام الأسماء لا يجوز ، وحكوا عن الفراء : أن العرب تقحم كثيراً المثل والمثل ، وخرج على ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى : ١١] ، أي : كهو شيء))^٥ .

وجمع الطبري بين القول بأن المراد بـ ﴿ مَثَلٌ ﴾ الصفة وبأنها مقحمة فقال : ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : ذكر (المثل) ، فقال ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ والمراد الجنة ، ثم وصفت الجنة بصفتها ، وذلك أن مثلها إنما صفتها ، وليست صفتها شيئاً غيرها . وإذا كان كذلك ، ثم ذكر (المثل) فقيل ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ ، ومثلها صفتها وصفة الجنة ، فكان وصفها كوصف (المثل) ، وكان كأن الكلام جرى بذكر الجنة فقيل : الجنة تجري من تحتها الأنهار ، كما قال الشاعر^٦ :
أرى مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال^٧
فذكر (المر) ، ورجع في الخبر إلى (السنين)))^٨ .

القول الثالث : أنه تمثيل للغائب بالشاهد ، ذهب إليه الزجاج حيث قال : ((والذي عندي _ والله أعلم _ أن الله عز وجل عرفنا أمور الجنة التي لم نرها ، ولم نشاهدها بما شاهدناه من أمور الدنيا

^١ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٢٤ - ٣٢٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٧٠) ، والمحزر الوجيز : (٣ / ٣١٥) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٢٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٨٦) .

^٣ _ معاني القرآن : (٢ / ٦٥) .

^٤ _ المحزر الوجيز : (٣ / ٣١٥) .

^٥ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٨٦) .

^٦ _ هو جرير بن عطية .

^٧ _ ينظر : ديوان جرير بن عطية : (٤٤٩) ، ولسان العرب : (٨ / ٧٣) ، مادة : (خضع) ، وتهذيب اللغة : (١ / ١٠٨) ، مادة : (خضع) .

^٨ _ جامع البيان : (١٦ / ٤٧٢) .

وعايناه ، فالمعنى ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ﴿ جنة ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾^١ .

وأنكره أبو علي ، قال القرطبي : « وأنكره أبو علي فقال : لا يخلوا المثل على قوله أن يكون الصفة أو الشبه ، وفي كلا الوجهين لا يصح ما قاله ؛ لأنه إذا كان بمعنى الصفة لم يصح ؛ لأنك إذا قلت : صفة الجنة جنة ، فجعلت الجنة خبراً لم يستقم ذلك ؛ لأن الجنة لا تكون الصفة ، وكذلك أيضاً شبه الجنة جنة ؛ ألا ترى أن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين ، وهو حدث ، والجنة غير حدث ؛ فلا يكون الأول الثاني »^٢ .

القول الرابع : قول ابن عطية : « ويظهر أن المعنى الذي يتحصل في النفس مثلاً للجنة هو جري الأنهار وأن أكلها دائم »^٣ .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول الذي رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن ﴿ مَثَلُ ﴾ في الآية المراد به الصفة ؛ وذلك لما يلي :

١ _ وروده في القرآن بهذا المعنى كما تقدم ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٤ .

٢ _ تأييد اللغة له .

٣ _ أنه قول الجمهور كما تقدم ، وتفسير جمهور السلف مقدم على غيرهم^٥ .

قال الألويسي _ رحمه الله _ عن هذا القول : « والأولى بعد القيل والقال الوجه الأول ؛ فإنه سالم من التكلف مع ما فيه من الإيجاز والإجمال والتفصيل »^٦ .



^١ _ معاني القرآن : (٣ / ١٥٠) .

^٢ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٢٥) .

^٣ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٥) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح : (١ / ٣١٢) .

^٥ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٦٤) .

^٦ _ روح المعاني : (٩ / ٤٨٥) .

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [٣٨] .

٣٤ / ٣٤ _ المراد بـ ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ عام في الأشياء التي لها آجال ؛ حيث قال : « وقوله لكل أجل كتاب لفظ عام في الأشياء التي لها آجال ؛ لأنه ليس منها شيء إلا وله أجل في بدئه وفي خاتمته ، وذلك الأجل مكتوب محصور »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ عام في الأشياء التي لها آجال ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ، والواحدي^٣ ، والسمعي^٤ ، والبغوي^٥ ، وابن عطية^٦ ، والخازن^٧ ، ووافقه ابن كثير^٨ ، وأبو السعود^٩ ، والشوكاني^{١٠} ، والطاهر بن عاشور^{١١} ، والمراغي^{١٢} . واستدل هذا الفريق بمناسبة هذا المعنى للسياق السابق فالآية تذييل لقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وذلك لإبطال لتوهم المشركين أن تأخر الوعيد يدل على عدم صدقه _ ﷺ _ فقوله ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ أفاد عموم الآجال ، فشمّل أجل الإتيان بآية^١ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٧ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (١٨٣ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٤٧٦ / ١٦) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (١٩ / ٣) .

^٤ _ ينظر : تفسير القرآن : (٩٩ / ٣) .

^٥ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٢٤ / ٤) .

^٦ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣١٦ / ٣) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٦٥ / ٣) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥١٩ / ٢) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٢٧ / ٥) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (٨٨ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٦٤ / ١٣) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير المراغي : (١١٥ / ١٣) .

^١ _ ينظر : الوسيط : (١٩ / ٣) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٦٥ / ٣) ، واللباب : (٣١٩ / ١١) ،

والتحرير والتنوير : (١٦٤ / ١٣) .

القول الثاني : أن المعنى لكل كتاب يتزل من السماء أجل ، فيمحو الله من ذلك ما يشاء ويثبت ، وهو قول الضحاك^١ .

واستدل هذا الفريق بما يلي :

١ _ أنه نظير قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ [سورة الأنعام : ٦٧]^٢ .

٢ _ السياق الآتي وهو قوله تعالى ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ [سورة الرعد : ٣٩]^٣ .

ورد ابن عطية _ رحمه الله _ هذا القول فقال : « وهذا العكس غير لازم ولا وجه له ؛ إذ المعنى تام في ترتيب القرآن ، بل يمكن هدم قولهما _ يقصد الضحاك والفراء _ بأن الأشياء التي كتبها الله تعالى أزلية باقية كتنعيم أهل الجنة وغيره يوجد كتابها لا أجل له »^٤ .

وكذلك رده أبو حيان فقال _ رحمه الله _ : « ولا يجوز ادعاء القلب إلا في ضرورة الشعر ، وأما هنا فالمعنى في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب ، بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه ؛ إذ ثم أشياء كتبها الله تعالى أزلية كالجنة ونعيم أهلها لا أجل لها »^٥ .

القول الثالث : أن كلاهما بمعنى واحد ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ، و (لكل كتاب أجل) ، وهو قول الفراء^٦ .

قال الفراء _ رحمه الله _ : « وقوله ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ جاء التفسير : لكل كتاب أجل ، ومثله ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة ق : ١٩] ، وذلك عن أبي بكر الصديق _ رضي الله عنه _ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة ق : ١٩]^١ لأن الحق أتى بها وتأتي به . فكذلك تقول : لكل أجل مؤجل ، ولكل مؤجل أجل والمعنى واحد والله أعلم »^٢ .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (٤٧٦ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٥٩ / ٤) .

^٢ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٣٢٩ / ٩) ، وفتح القدير : (٨٨ / ٣) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن ، لابن كثير : (٥١٩ / ٢) ، وفتح القدير : (٨٨ / ٣) .

^٤ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣١٦ / ٣) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٨٧ / ٥) .

^٦ _ معاني القرآن : (٦٥ / ٢ - ٦٦) .

^١ _ لعلها (وجاءت سكرة الحق بالموت) . وهي قراءة الصديق _ رضي الله عنه _ وسعيد بن جبير وطلحة .

ينظر : المحتسب : (٢٨٣ / ٢) .

^٢ _ معاني القرآن : (٦٥ / ٢ - ٦٦) .

وقال ابن جزري _ رحمه الله _ : « قال الفراء لكل كتاب أجل وبالعكس ، وهذا لا يلزم بل المعنى صحيح من غير عكس ، أي : لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ »^١ .

الترجيح :

من خلال الدراسة تبين لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ عام في الأشياء التي لها آجال ويؤيده ما يلي :

١ _ ما استدل به هذا الفريق من أن قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ تذييل للآية ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ فهي أنسب لسياق الآية ، فمن ضمن الأشياء التي لها أجل وهي في كتاب لا تأتي إلا في وقتها وأجلها الآيات التي يأتي بها الأنبياء _ عليهم صلوات الله وسلامه _ .

٢ _ أن الأصل حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل^٢ .

٣ _ أن القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير ؛ لأنه الأصل في الكلام ، ولا ينتقل عن الأصل إلا بدليل واضح ، وقرينة بينة ، لا سيما إذا استقام المعنى به^٣ .



^١ _ التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح : (٢ / ٤٥١) .

قال الله تعالى ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [٣٩] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٣٥ / ٣٥ _ المسألة الأولى : المراد بالمحو والإثبات .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد العموم ، فقال أبو حيان : ((وقيل غير ذلك مما يطول نقله ... وأما الآية فقد احتملت تلك التأويلات المتقدمة ، فليست نصاً فيما ادعوه ، ولو كانت نصاً وجب تأويله))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالمحو والإثبات أقوال منها :

القول الأول : العموم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن عمر بن الخطاب^٢ ، وابن مسعود ، وابن عباس^٣ ، والضحاك^٤ ، وهو قول الواحدي^٥ ، ابن عطية^٦ ، والقرطبي^٧ ، ووافقهم أبو السعود^٨ ، والشوكاني^٩ .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((وهذا التخصيص في الآجال أو غيرها لا معنى له ، وإنما يحسن من الأقوال هنا ما كان عاماً في جميع الأشياء ، فمن ذلك أن يكون معنى الآية أن الله تعالى يغير الأمور على أحوالها أعني ما من شأنه أن يغير على ما قدمناه ، فيمحوه من تلك الحالة ، ويشبته في التي نقله إليها))^{١٠} .

القول الثاني : أن المراد بالمحو : النسخ من الشرائع والأحكام .

والإثبات : دوامها وتقررها وبقاؤها وهو مروي عن ابن عباس ، وقتادة^{١١} ، وابن زيد^{١٢} ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٨ / ٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٨١ - ٤٨٢) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦١) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٨٣) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦١) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٨٤) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٤) .

^٥ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٣٨٧) .

^٦ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٧) .

^٧ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٢٩ - ٣٣٢) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٢٧) .

^٩ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١١٩) .

^{١٠} _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٧) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٨٥) .

^{١٢} _ ينظر : المرجع السابق : (١٦ / ٤٨٦) .

وابن جريج^١ ، وهو قول الزمخشري^٢ ، والنسفي^٣ ، و البقاعي^٤ ، ووافقهم الألويسي^٥ .
القول الثالث : يحو الله ما يشاء من أمور عباده فيغيره ، إلا الشقاء والسعادة ، فإنهما لا يغيران ،
وهو مروى عن ابن عباس^٦ ، ومجاهد^٧ .

ورد القرطبي هذا القول فقال : ((وفي هذا القول نوع تحكم))^٨ .
القول الرابع : أنه يحو من قد حان أجله ، ويثبت من لم يجيء أجله إلى أجله ، وهو مروى عن
الحسن^٩ ، ومجاهد^{١٠} ، ورجحه الطبري فقال : ((وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية
وأشبهها بالصواب ، القول الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد ؛ وذلك أن الله تعالى ذكره توعد
المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ _ الآيات بالعقوبة ، وتهددهم بها ، وقال لهم ﴿ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [سورة الرعد : ٣٨] يعلمهم بذلك
أن لقضائه فيهم أجلاً مثبتاً في كتاب ، هم مؤخرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل . ثم قال لهم : فإذا
جاء ذلك الأجل ، يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه ، أو حان هلاكه أو اتضاعه من
رفعة أو هلاك مال ، فيقضي ذلك في خلقه ، فذلك محوه ، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله
، فيتركه على ما هو عليه فلا يحويه))^{١١} .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٨٥ - ٤٨٦) ، ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٣ / ٥٠٣) ، والدر
المنثور : .

فائدة : والأثر أخرجه الطبري ، وإسناده صحيح . ينظر : رسالة ابن جريج ومروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٠٠) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٥٦) .

^٣ _ ينظر : مدراك الترتيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٥٢) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٥٩) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٢٩٤) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٧٧ - ٤٧٩) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٥٩) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٨٠ - ٤٨١) . والدر المنثور : (٤ / ٦٦٣) .

^٨ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٢٩) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٨٦ - ٤٨٧) .

^{١٠} _ ينظر : المرجع السابق : (١٦ / ٤٨٧) .

^{١١} _ جامع البيان : (١٦ / ٤٨٨) .

القول الخامس : أنه تعالى يغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفر ، وهو مروى عن سعيد بن جبير^١ .

القول السادس : يمحو بالتوبة جميع الذنوب ، ويثبت بدل الذنوب حسنات ، قال تعالى ﴿إِنَّ مِنَ تَابِ وَءَامِنٍ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [سورة الفرقان : ٧٠]

، وهو قول عكرمة^٢ .

القول السابع : يمحو الله القمر ، و ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ يعني الشمس ، بيانه في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء : ١٢] ، وهو قول السدي^٣ .

القول الثامن : يمحو من ديوان الحفظة ما ليس حسنة ، ولا سيئة ؛ لأنهم مأمورون بكتب كل قول وفعل ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ غيره ، وهو قول ابن عباس ، والضحاك^٤ ، والفراء^٥ ، والزجاج^٦ .

الترجيح :

من خلال الدراسة يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو العموم ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أنه لم يرد نص يحدد المراد بالحو والإثبات ، وهما من الأمور التي لا تدرك بالرأي والاجتهاد ، والأصل حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٧ .

قال القرطبي _ رحمه الله _ : ((مثل هذا لا يدرك بالرأي والاجتهاد ، وإنما يؤخذ توقيفاً ، فإن صح فالقول به يجب ويوقف عنده ، وإلا فتكون الآية عامة في جميع الأشياء ، وهو الأظهر والله أعلم))^٨ .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٨٧) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٨٨) .

^٣ _ ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٣٨٨) .

^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٣٨٨) .

^٥ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٦) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ١٥٠) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٩) .

^٨ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٢٩ - ٣٣٢) .

وقال أبو السعود _ رحمه الله _ : ((والأنسب تعميم كل من المحو والإثبات ليشمل الكل))^١ .
٢ _ ما تفيده ﴿ مَا ﴾ في قوله تعالى ﴿ مَا يَشَاءُ ﴾ من العموم .

قال الشوكاني _ رحمه الله _ : ((والأول أولى كما تفيده ﴿ مَا ﴾ في قوله ؛ ﴿ مَا يَشَاءُ ﴾ من العموم مع تقدم ذكر الكتاب في قوله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [سورة الرعد : ٣٨] ومع قوله : ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي : أصله ، وهو اللوح المحفوظ ، فالمراد من الآية أنه يحو ما يشاء مما في اللوح المحفوظ فيكون كالعدم ، ويثبت ما يشاء مما فيه فيجري فيه قضاؤه وقدره على حسب ما تقتضيه مشيئته))^٢ .



^١ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٢٧) .

^٢ _ فتح القدير : (٤ / ١٢٠) .

٣٦ / ٣٦ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن المراد بـ ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ : جملة الكتاب وأصله ، وهو ديوان الأمور المحدثه ، فقال : « ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ هو ديوان الأمور المحدثه التي سبق في القضاء أن تبدل تمحى وتثبت »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ : جملة الكتاب وأصله ، وهو ديوان الأمور المحدثه وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس ، والضحاك^٢ ، وعكرمة^٣ ، وقتادة^٤ ، وهو قول الطبري^٥ ، والزجاج^٦ ، والسمرقندي^٧ ، والواحدي^٨ ، والبعوي^٩ ، والزمخشري^{١٠} ، وابن عطية^{١١} ، والرازي^{١٢} ، والقرطبي^{١٣} ، والبيضاوي^{١٤} ، والخازن^{١٥} ، والنسفي^{١٦} .

- ١ _ في البحر المحيط : (٣٨٨ / ٥) ذكر الأقوال ولم يرجح ، ولكنه اقتصر على ذكر هذا القول في النهر الماد : (١٨٣ / ٢ - ١٨٤) .
- ٢ _ ينظر : جامع البيان : (٤٩٠ / ١٦) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٤) .
- ٣ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦٦٤) .
- ٤ _ ينظر : جامع البيان : (٤٩٠ / ١٦) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٤) .
- ٥ _ ينظر : جامع البيان : (٤٩٢ / ١٦) .
- ٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٥٠) .
- ٧ _ بحر العلوم : (٢ / ٤٢١) .
- ٨ _ الوسيط : (٣ / ٢٠) ، والوجيز : (١ / ٣٨٧) .
- ٩ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٢٦) .
- ١٠ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٣٥٧) .
- ١١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٨) .
- ١٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٦٧) .
- ١٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٣٢ - ٣٣٣) .
- ١٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٣٤) .
- ١٥ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ٩٨) .
- ١٦ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٥٢) .

ووافقهم ابن جزى^١ ، وابن عادل^٢ ، والبقاعي^٣ ، والسيوطي^٤ ، وأبو السعود^٥ ، والشوكاني^٦ ، والألوسي^٧ ، والسعدي^٨ .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((وأصوب ما يفسر به ﴿ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أنه كتاب الأمور المجزومة التي قد سبق القضاء فيها بما هو كائن وسبق ألا تبدل ، ويبقى المحو والتشيت في الأمور التي سبق في القضاء أن تبدل وتمحى وتثبت))^٩ .

القول الثاني : أن عنده الحلال والحرام ، وهو قول الحسن^{١٠} .

القول الثالث : أن المراد : الذكر ، وهو قول ابن عباس^{١١} ، ومجاهد^{١٢} ، وابن جريج^{١٣} .

القول الرابع : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ، وهو قول كعب^{١٤} ، والمراغي^{١٥} .

^١ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٥٠) .

^٢ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٣٢١) .

^٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٥٩) .

^٤ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٠) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٢٧) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٢٠) .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٢٩٦) .

^٨ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٨٣) .

^٩ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٨) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٠) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩١) .

^{١٢} _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦٦٤ - ٦٦٥) .

^{١٣} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٨٥ - ٤٨٦) ، ومعاني القرآن ، للنحاس : (٣ / ٥٠٣) ، والدر المنثور :

(٤ / ٦٦٤) . فائدة : والأثر إسناده صحيح . ينظر : رسالة ابن جريج ومروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٠٠) .

^{١٤} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩١) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٥) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١١٦) .

الترجيح :

- الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبوحيان ومن معه ، وهو أن المراد بأم الكتاب : جملة الكتاب وأصله ، وهو ديوان الأمور المحدثه ؛ وذلك لما يلي :
- ١ _ أن الله تعالى عندما أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت ، عقب بقوله ﴿ وَعِنْدَهُرُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ، فاتضح أن المراد بأم الكتاب الأصل الذي فيه الممحو والمثبت . وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^١ .
- قال الإمام الطبري _ رحمه الله _ : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : « وعنده أصل الكتاب وجملته » ؛ وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، ثم عقب ذلك بقوله ﴿ وَعِنْدَهُرُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ، فكان بيناً أن معناه : وعنده أصل المثبت منه ، والممحو ، وجملته في كتاب لديه »^٢ .
- ٢ _ أن هذا القول تؤيده اللغة ؛ فالعرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل للشيء أمماً له . قال الرازي _ رحمه الله _ : « والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل للشيء أمماً له ، ومنه أم الرأس للدماغ ، وأم القرى لمكة ، وكل مدينة فهي أم لما حولها من القرى ، فكذلك أم الكتاب هو الذي يكون فيه أصل لجميع الكتب »^٣ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٢) .

^٣ _ التفسير الكبير : (١٩ / ٦٧ - ٦٨) .

قال الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [٤١] .

٣٧ / ٣٧ _ المراد بنقصان الأرض :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن نقصان الأرض يكون بفتحها ، فقال : ((ويعني بنقصها من أطرافها للمسلمين من جوانبها ، كان المسلمون يغزون من حوالي أرض الكفار مما يلي المدينة ، ويغلبون على جوانب أرض مكة ، والأطراف : الجوانب))^١ . ثم قال بعد ذكره للأقوال الأخرى : ((والمناسب من هذه الأقوال هو الأول))^٢ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بنقصان الأرض أقوال :

القول الأول : أن نقصان الأرض يكون بفتحها ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٣ ، والضحاك ، والحسن^٤ ، وقتادة^٥ ، وهو قول الفراء^٦ ، والطبري^٧ ، و الزجاج^٨ ، والنحاس^٩ والسمرقندي^{١٠} ، والواحدي^{١١} ، والزمخشري^{١٢} ، وابن عطية^{١٣} ، والبيضاوي^{١٤} ، والنسفي^{١٥} ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٨٩ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (١٨٤ / ٢) .

^٢ _ البحر المحيط : (٣٨٩ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٣ _ ٤٩٤) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٦) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٤) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٦) .

^٥ _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦٦٦) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٦) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٧ _ ٤٩٨) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٥١) .

^٩ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ٥٠٤) .

^{١٠} _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٢٢) .

^{١١} _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٢٠) ، والوجيز : (١ / ٣٨٨) .

^{١٢} _ ينظر : الكشف : (٣ / ٣٥٧) .

^{١٣} _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٩) .

^{١٤} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٣٤) .

^{١٥} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٥٣) .

ووافقهم ابن جزى^١، وابن كثير^٢، والبقاعي^٣، والسيوطي^٤، وأبو السعود^٥، والشوكاني^٦، والألوسي^٧، والسعدي^٨، والمراغبي^٩، وهو قول أكثر المفسرين^{١٠}.

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي :

١ _ أن الآية يفسرها قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٤]^{١١} .

٢ _ ما يدل عليه قوله تعالى ﴿ نَأْتِي ﴾ من الفتح والغلبة ، قال أبو السعود : ((وفي لفظ الإتيان المؤذن بالاستواء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى ، كما في قوله عز وجل ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ [سورة الفرقان : ٢٣]))^{١٢} .

٣ _ أنها كقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٧]^{١٣} .

^١ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٥٠) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٢٠) .

^٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٦١) .

^٤ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٠) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٢٨) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٢٣) .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٣٠٠) .

^٨ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٨٤) .

^٩ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١١٧) .

^{١٠} _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٢٦) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ٩٩) ، واللباب : (١١ / ٣٢٢) ، والتحرير والتنوير : (١٣ / ١٧١) .

^{١١} _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٥١) ، والكشاف : (٣ / ٣٥٧) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ٦٩) ، واللباب : (١١ / ٣٢٣) ، وإرشاد العقل السليم : (٥ / ٢٨) .

^{١٢} _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٢٨) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٢٠) .

القول الثاني: أن المراد تخريب الأرض ، قال به ابن عباس^١ ، ومجاهد^٢ ، وعكرمة^٣ .

القول الثالث: أن المراد : نقص بركات الأرض وثمراتها وموت أهلها ، قال به ابن عباس ، ومجاهد^٤ ، والشعبي^٥ .

القول الرابع: أن المراد : نقص الأرض بموت أهلها ، قال به مجاهد^٦ ، وعكرمة^٧ .

القول الخامس: أن نقص الأرض يكون بذهاب فقهاءها وخيارها وأشرفها ، قال به مجاهد^٨ ، وعطاء^٩ .

واستدلوا بأن الطرف من كل شيء خياره ، ومنه قول علي بن أبي طالب _ رضي الله عنه _ :
« العلوم أودية ، في أي واد أخذت منها حسرت ، فخذوا من كل شيء طرفاً » ، يعني خياراً .
وقال القرطبي _ رحمه الله _ : « قال أبو عمر بن عبد البر : قول عطاء في تأويل الآية حسن جداً ؛ تلقاه أهل العلم بالقبول »^{١٠} .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « ويتجه قول من قال : النقص بموت الأشراف والعلماء والخيار »^{١١} .

ورد الرازي هذا القول فقال : « ويمكن أن يقال : هذا الوجه أيضاً لا يليق بهذا الموضع وتقريره أن يقال : أولم يروا ما يحدث في الدنيا من الاختلافات خراب بعد عمارة ، وموت بعد حياة ، وذل بعد عز ، ونقص بعد كمال ، وإذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم من أن

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٤ - ٤٩٥) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٧) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٥) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٧) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٤ - ٤٩٥) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٧) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٥) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٧) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٦) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٧) .

والشعبي هو : عامر بن شراحيل ، أبو عمرو ، كان له حلقة عظيمة وأصحاب رسول ﷺ _ يومئذ كثير ، وتوفي بالكوفة فجاء سنة ١٠٤ هـ ، وقيل : سنة ١٠٥ هـ . ينظر : حلية الأولياء : (٤ / ٣١٠) ، وصفة الصفة : (٣ / ٧٥) .

^٦ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٣٠) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٦ - ٤٩٧) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٤٩٧) .

^٩ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٣٤) .

^{١٠} _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٣٤) .

^{١١} _ البحر المحيط : (٥ / ٣٨٩) .

يقلب الله الأمر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليين بعد أن كانوا عزيزين ، ويجعلهم مقهورين بعد أن كانوا قاهرين ، وعلى هذا يحسن اتصال الكلام بما قبله ^١ .

ورده أيضاً القرطبي حيث قال : « ولكن هذا القول بعيد ؛ لأن مقصود الآية : أنا أريناهم النقصان في أمورهم ، ليعلموا أن تأخير العقاب عنهم ليس عن عجز ؛ إلا أن يحمل قول ابن عباس على موت أحبار اليهود والنصارى » ^٢ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان _ رحمه الله _ ومن معه ، وهو أن نقصان الأرض يكون بفتحها ؛ وذلك لما يلي :
١ _ أنه المناسب لسياق الآيات السابقة واللاحقة ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما ^٣ .

قال الإمام الطبري _ رحمه الله _ : « وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بظهور المسلمين من أصحاب محمد _ ﷺ _ عليها وقهرهم أهلها ، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم إياهم ؟ ؛ وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركي قومه بقوله ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوْفَيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [سورة الرعد : ٤٠] ، ثم وبخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعاينون من فعل الله بضر بائتهم من الكفار ، وهم مع ذلك يسألون الآيات ، فقال ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بقهر أهلها والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك » ^٤ .

وجمع ابن عطية بين الأقوال فقال : « وكل ما ذكر يدخل في لفظ الآية ، وجملة معنى هذه الآية : الموعظة وضرب المثل ، أي : ألم يروا فيقع منهم اتعاض . وأليق ما يقصد لفظ الآية هو تنقص الأرض بالفتوح على محمد _ ﷺ _ » ^٥ .

^١ _ التفسير الكبير : (١٩ / ٦٩) .

^٢ _ الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٣٣) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

^٤ _ جامع البيان : (١٦ / ٤٩٧ - ٤٩٨) .

^٥ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣١٩) .

٢ _ دلالة قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٤] على هذا القول ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدا ذلك^١ .



^١ _ شرح مقدمة التفسير ، لابن عثيمين _ رحمه الله تعالى _ : (١٢٧) ، وقواعد التفسير ، لخالد السبت : (١ / ١٠٩) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

قال الله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ ﴾ [٤٢] .

٣٨ / ٣٨ _ المراد بالكفار في الآية :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالكفار في الآية : العموم ، فيشمل جميع الكفار ؛ حيث قال : « وفسر عطاء الكافر بالمستهزئين وهم خمسة ، والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون ، وقال ابن عباس : يريد بالكافر أبا جهل ، وينبغي أن يحمل تفسيره وتفسير عطاء على التمثيل ؛ لأن الإخبار بعلم الكافر لمن عقبى الدار معنى يعم جميع الكفار »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالكفار في الآية الكريمة ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المراد بالكفار في الآية : عموم يشمل جميع الكفار ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ موافقاً قول الزجاج^٢ ، والواحدي^٣ ، وابن عطية^٤ ، والرازي^٥ ، وأبو البقاء^٦ ، والبيضاوي^٧ ، والنسفي^٨ ، ووافقهم ابن جزى^٩ ، وابن عادل^{١٠} ، والشوكاني^{١١} ، والألوسي^{١٢} ، والطاهر ابن عاشور^{١٣} ، والمراغي^{١٤} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٩٠ / ٥) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (١٥١ / ٣) .

^٣ _ ينظر : الوجيز : (٥٧٦ / ١) .

^٤ _ المحرر الوجيز : (٣١٩ / ٣) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (٧٠ / ١٩) .

^٦ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٦١) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٣٥ / ٣) .

^٨ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٥٣ / ١) .

^٩ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٥٠ / ٢) .

^{١٠} _ ينظر : اللباب : (٣٢٤ / ١١) .

^{١١} _ ينظر : فتح القدير : (٩١ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : روح المعاني : (١٧٥ / ١٣) .

^{١٣} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٧٤ / ١٣) .

^{١٤} _ تفسير المراغي : (١١٩ / ١٣) .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن قراءة المدنيين وابن كثير وأبي عمرو (الكافر) على التوحيد ^١ ، والمراد الجنس ، وهو من صيغ العموم ، فيشمل سائر الكفار ^٢ .

٢ _ أن الإخبار بعلم الكافر لمن عقبى الدار معنى يعم جميع الكفار ^٣ .

القول الثاني : أن المراد : المستهزؤون وهم خمسة ، وهو قول عطاء ^٤ .

القول الثالث : أن المراد : أبو جهل ، وهو قول ابن عباس ^٥ .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو القول بالعموم ، و يحمل تفسير ابن عباس وعطاء على التمثيل ببعض أفراد الكفار ^٦ ؛ ويؤيد ذلك ما يلي :

١ _ أن الأصل حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص ^٧ .

٢ _ تؤيده قراءة (الكافر) كما تقدم ، وإذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها ، وهي بمنزلة آية مستقلة ^٨ .

٣ _ أن علم الكافر لمن عقبى الدار معنى يعم جميع الكفار ، كما تقدم .



^١ _ ينظر : النشر في القراءات العشر : (٢ / ٢٩٨) ، و التيسير في القراءات السبع : (١٣٤) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٧٠) ، وإملاء ما من به الرحمن : (٣٦١) ، وروح المعاني : (١٣ / ١٧٥) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٩٠) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٩٠) .

^٥ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٤١) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٣٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٩٠) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٩٠) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٩) .

^٨ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٩) .

قال الله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [٤٣] .

٣٩ / ٣٩ _ مرجع الضمير في ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ ، والمراد بالكتاب :

رجح أبو حيان أن مرجع الضمير في ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ إلى كل من عرف ما أُلف فيه القرآن الكريم ، والمراد بالكتاب : القرآن الكريم ؛ حيث قال _ رحمه الله _ : ((ثم أردف شهادة الله بشهادة من عنده علم الكتاب ، والكتاب هنا القرآن ، والمعنى إن من عرف ما أُلف فيه من المعاني الصحيحة والنظم المعجز الفاتت لقدرة البشر يشهد بذلك))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في مرجع الضمير في ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ والمراد بالكتاب أقوال :

القول الأول : أن مرجع الضمير في ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ إلى كل من عرف ما أُلف فيه القرآن الكريم ، والمراد بالكتاب : القرآن الكريم ، وهو ما رجحه أبو حيان .

القول الثاني : أن مرجع الضمير في ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ يعود إلى الله تعالى ، والكتاب هو القرآن الكريم ، وذلك على من قرأ ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ على أنه حرف جر^٢ ، وهو مروى عن ابن عباس ، ومجاهد^٣ ، والحسن^٤ ، وسعيد بن جبيرة^٥ ، وقول الزجاج^٦ ، والبقاعي^٧ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٩٠ / ٥) .

^٢ _ وفيها عدة قراءات وهي :

_ قراءة (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) ونسبها أبو حيان إلى علي بن أبي طالب ، وابن السميع ، والحسن .

_ قراءة (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) ونسبها أبو حيان إلى علي بن أبي طالب ، وأبي ، وابن عباس ، وعكرمة ، وابن جبيرة ، وعبد الرحمن بن أبي بكرة ، والضحاك ، وسالم بن عبد الله بن عمرو بن أبي إسحاق ، ومجاهد ، والحكم ، والأعمش . ينظر : البحر المحيط : (٣٩١ / ٥) ، وهاتان القراءتان شاذتان ذكرهما ابن جني في المحتسب : (٣٩١ / ١) .

_ قراءة (وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ) ذكرها أبو حيان ولم ينسبها . ينظر : البحر المحيط : (٣٩١ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٥٠٤ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٦٩ / ٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٥٠٤ / ١٦) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (٥٠٥ / ١٦) ، والدر المنثور : (٦٦٩ / ٤) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (١٥١ / ٣) .

^٧ _ ينظر : نظم الدرر : (٣٦٢ / ٤) .

قال الزجاج : ((لأن الأشبه _ والله أعلم _ أن الله لا يستشهد على خلقه بغيره))^١ .
 وقال البقاعي : ((وفي سوقه هكذا على طريق الإجماع من ترويع النفس بجزءها إلى تطلب المتصف
 بهذا الوصف ما ليس في التعيين ، فهو إذن كدعوى الشيء مقروناً بدليله ، فقد انطبق هذا الآخر على
 أول السورة في أن المتزل حق من عنده وأهم لا يؤمنون _ والله الموفق _))^٢ .
 قال الخازن : ((وهذا قول مشكل ؛ لأن عطف الصفة على الموصوف وإن كان جائزاً إلا أنه
 خلاف الأصل . فلا يقال شهد بهذا زيد والفقير . بل يقال : شهد بهذا زيد الفقيه))^٣ .
 ثم اختلفوا في المراد بالكتاب :

أ _ أنه القرآن الكريم ، وهو قول الزمخشري^٤ ، وأبي السعود^٥ ، والألوسي^٦ .
 ب _ أنه اللوح المحفوظ ، وهو قول الحسن^٧ .

القول الثالث : أن المراد بالذي عنده علم الكتاب : من أسلم من علمائهم ،
 كعبدالله بن سلام^٨ ، أو أهل الكتاب على العموم ؛ لأنهم يشهدون نعتهم _ عليه
 الصلاة والسلام _ في كتبهم ، والكتاب هو التوراة والإنجيل ، وهو قول ابن
 عباس^٩ ، ومجاهد^{١٠} ، وقتادة^{١١} ، ورجح الطبري^{١٢} ، والسمرقندي^{١٣} ، والواحدي^{١٤} ،

^١ _ معاني القرآن : (٣ / ١٥٢) .

^٢ _ نظم الدرر : (٤ / ٣٦٢) .

^٣ _ تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٠١) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٥٨) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٢٩) .

^٦ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٣٠٣) .

^٧ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٥٨) ، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٥٣) .

^٨ _ عبد الله بن سلام بن الحرث من بني قينقاع أسلم سنة ثمان من الهجرة ، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله
 ﷺ _ عبد الله ، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ . ينظر : الإصابة : (٤ / ١١٨) ، والاستيعاب
 : (٣ / ٩٢١) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٠٢) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٧ - ٦٦٨) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٣١) ، وجامع البيان : (١٦ / ٥٠٢) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٨) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٠٣) ، والدر المنثور : (٤ / ٦٦٨) .

^{١٢} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٠٧) .

^{١٣} _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٢٣) .

^{١٤} _ ينظر : الوجيز : (١ / ٣٨٨) .

والبغوي^١ ، وابن كثير^٢ ، ومحمد بن علي البلنسي^٣ ، والسيوطي^٤ ، والشوكاني^٥ ، والسعدي^٦ ،
ومحمد الأمين الشنقيطي^٧ ، والطاهر بن عاشور^٨ ، والمراغي^٩ .

إلا أن ابن كثير^{١٠} ، والطاهر بن عاشور^{١١} استبعدا أن يكون المراد عبد الله بن سلام ؛ لأن
السورة مكية .

وقال أبو حيان أيضاً مستبعداً هذا القول بعد ذكره لقول قتادة ، ومجاهد : ((وهذان القولان لا
يستقيمان إلا على أن تكون الآية مدنية ، والجمهور على أنها مكية))^{١٢} .

وأجيب : بأن هذه السورة وإن كانت مكية إلا أن هذه الآية مدنية^{١٣} .

وقال الشهاب : ((وقيل إنه لا ينافي كون الآية مكية ، وهي إخبار عما سيشهدون به ، أو أنهم
قيل لهم لستم بأهل كتاب ، فاسألوا أهله ؛ فإنهم في جواركم . فتأمل))^{١٤} .

القول الرابع : أن مرجع الضمير في ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ جرير ، وهو قول سعيد بن جبير^{١٥} ، و

الكتاب : اللوح المحفوظ ، ذكره أبو حيان ولم ينسبه^{١٦} .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثالث ، وهو أن مرجع الضمير

في ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ إلى من أسلم من علماء أهل الكتاب ؛ وذلك لما يلي :

^١ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٢٨) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٢١) .

^٣ _ ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ٧٠) .

^٤ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٠) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٢٤) .

^٦ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٨٥) .

^٧ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٠٣) .

^٨ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١٧٦) .

^٩ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١١٩) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٢١) .

^{١١} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١٧٦) .

^{١٢} _ البحر المحيط : (٥ / ٣٩٠) .

^{١٣} _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٧١) ، اللباب : (١١ / ٣٢٦) .

^{١٤} _ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٤٣٢) .

^{١٥} _ ينظر : الدر المنثور : (٤ / ٦٦٩) .

^{١٦} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٩٠) .

١ _ أنه قول تؤيده قراءة الجمهور ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ ﴾^١ .

قال الطبري : ((وعلى هذه القراءة فسر ذلك المفسرون))^٢ .

وقال : ((فإذا كان ذلك كذلك ، وكانت قراءة الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الأخرى وهي : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ ﴾ ، كان التأويل الذي على المعنى الذي عليه قراءة الأمصار أولى بالصواب مما خالفه ؛ إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب))^٣ .
ويؤيده أن معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة^٤ .

٢ _ أنه قول تؤيده آيات أخرى منها :

_ قوله تعالى ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [سورة يونس : ٩٤]^٥ .

_ قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٧]^٦ .

_ قوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧]^٧ .

والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٨ .

٣ _ أن أهل الكتاب كانوا يخبرون بمجيء النبي ﷺ _ فهم قد قرءوا الكتب السابقة ، فهم أولى بالاستشهاد .

^١ _ جامع البيان : (١٦ / ٥٠٧) .

^٢ _ جامع البيان : (١٦ / ٥٠١) .

^٣ _ جامع البيان : (١٦ / ٥٠٦ - ٥٠٧) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٠٤) .

^٥ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٠٣) .

^٦ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٢ / ٥٢١) ، التحرير والتنوير : (١٣ / ١٧٦) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٢ / ٥٢١) .

^٨ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

قال الزجاج عن هذا القول : ((وذلك التفسير جائز ؛ لأن البراهين إذا قامت مع اعتراف من قرأ الكتب التي أنزلت قبل القرآن فهو أمر مؤكد))^١ .

وقال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - : ((وذلك أن اليهود كانوا قبل هجرة النبي - ﷺ - إلى المدينة يستظهرون على المشركين بمجيء النبي المصدق للتوراة))^٢ .

وقال السعدي - رحمه الله - : ((وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب ؛ لأنهم أهل هذا الشأن ، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ، ومن هم أعلم به من غيرهم ، بخلاف من هو أجنبي عنه كالأميين ، من مشركي العرب وغيرهم ، فلا فائدة في استشهادهم ؛ لعدم خبرتهم ومعرفتهم . والله أعلم))^٣ .



^١ - معاني القرآن : (٣ / ١٥٢) .

^٢ - التحرير والتنوير : (١٣ / ١٧٦) .

^٣ - تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٨٥) .

ثانياً ترجيحات أبي حيان الأندلسي

في سورة إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _

وفيها واحد وثلاثون ترجيحاً

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [٥] .

٤٠ / ١ _ المراد بـ ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهُ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهُ ﴾ نعم الله وبلاؤه ، فقال : ((وأيام الله
بلاؤه ونعمائه ، ... ولفظة الأيام تعم المعنيين ؛ لأن التذكير يقع بالوجهين جميعاً ، وفي هذه اللفظة
تعظيم الكوائن المذكور بها))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهُ ﴾ ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهُ ﴾ نعم الله وبلاؤه ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً
المروي عن ابن عباس^٢ ، وقول الفراء^٣ ، والطبري^٤ ، والزجاج^٥ ، والواحدي^٦ ، وابن
عطية^٧ ، والرازي^٨ ، والنسفي^٩ ، ووافقهم السمين الحلبي^{١٠} ، وابن جزي^{١١} ،
والثعالبي^{١٢} ، وابن عادل^{١٣} ، والبقاعي^{١٤} ، وأبو السعود^{١٥} ، والألوسي^{١٦} ،

^١ _ البحر المحيط : (٣٩٥ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (١٩٠ / ٢) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٩٥ / ٥) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن : (٦٨ / ٢) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٥٢٠ / ١٦) .

^٥ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (١٥٥ / ٣) .

^٦ _ ينظر : الوسيط : (٢٣ / ٣) ، والوجيز : (٣٩٠ / ١) .

^٧ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٢٤ / ٣) .

^٨ _ ينظر : التفسير الكبير : (٨٥ / ١٩) .

^٩ _ ينظر : تفسير مدارك الترتيل وحقائق التأويل : (٢٥٥ / ١) .

^{١٠} _ ينظر : الدر المصون : (٧٠ / ٧) .

^{١١} _ ينظر : التسهيل لعلوم الترتيل : (٢٥٣ / ٢) .

^{١٢} _ ينظر : الجواهر الحسان : (١٩١ / ٢) .

^{١٣} _ ينظر : اللباب : (٣٤٠ / ١١ - ٣٤١) .

^{١٤} _ ينظر : نظم الدرر : (٣٦٧ / ٤) .

^{١٥} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٣٣ / ٥) .

^{١٦} _ ينظر : روح المعاني : (٣١٨ / ٩) .

والطاهر بن عاشور^١ ، و السعدي^٢ ، و المراغي^٣ .

واستدلوا بما يلي :

- ١ _ قوله تعالى ﴿ إِن يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٠] ^٤ .
- ٢ _ أن التذكير يقع بالنعم والبلاء^٥ .
- ٣ _ أن لفظة الأيام تعم المعنيين ، يقال : يوم عبوس ، ويوم بسام ، والحقيقة وصف ما وقع فيه من شدة أو سرور^٦ .
- ٤ _ أن سياق الآية اللاحق يشير إلى هذا المعنى ، قال أبو حيان _ رحمه الله _ : ((و قوله تعالى ﴿ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٥] صفتا مبالغة ، وهما مشعرتان بأن أيام الله المراد بهما بلاؤه ونعمائه ، أي : ﴿ صَبَّارٍ ﴾ على بلائه ، ﴿ شَكُورٍ ﴾ لنعمائه))^٧ .
- القول الثاني : أن المراد : نعم الله عليهم ، وهو قول ابن عباس^٨ ، ومجاهد^٩ ، وقتادة^{١٠} ، وسعيد بن جبير^{١١} ، ووافقهم ابن كثير^{١٢} ، والسيوطي^{١٣} .

^١ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١٨٩) .

^٢ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٨٧) .

^٣ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٢٨) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٨٥) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٩٥) .

^٦ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٢٤) ، البحر المحيط : (٥ / ٣٩٥) .

^٧ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٩٥) .

^٨ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ٦) .

^٩ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٣٣) ، وتفسير عبد الرزاق : (٣ / ٣٧٢) ، وجامع البيان : (١٦ / ٥٢٠) _ (٥٢٣) .

فائدة : الأثر أخرجه الطبري من عدة طرق ومنها طريق لابن أبي نجيح ، وابن جريج ، ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٢١) . وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجيح له . ينظر : رسالة ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٥ / ١٢٠٤) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٣ / ٣٧١) ، وجامع البيان : (١٦ - ٥٢٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٦)

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٢١) ، والدر المنثور : (٥ / ٦) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٢٣) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١١) .

واستدلوا بقول الشاعر : وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن نديننا^١
القول الثالث : وقائعه ونقماته في الأمم الماضية ، وهو قول ابن عباس^٢ ، ومقاتل^٣ ، وابن زيد^٤ ،
ومالك^٥ ، والربيع^٦ ، والسمرقندي^٧ ، والزمخشري^٨ ، والبيضاوي^٩ ، والشوكاني^{١٠} .

واستدلوا بما يلي :

- ١ _ أنه قول تؤيده اللغة ، يقال : فلان عالم بأيام العرب ، أي : وقائعه وحروبها وملاحمها^{١١} .
- ٢ _ قول الشاعر : وأيامنا مشهورة في عدونا^{١٢} .
- ٣ _ أنه هو المناسب للتذكير^{١٣} .

الترجيح :

الذي يظهر _ والله تعالى أعلم _ أن الراجح ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد بالأيام
في الآية الكريمة نعيم الله وبـلاؤه ؛ وذلك لما يلي :
١ _ أنه قول تؤيده آيات قرآنية كما قدم أصحاب هذا القول ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية
مقدم على ما عدم ذلك^١ .

^١ _ البيت لعمر بن كلثوم ، ينظر البيت في شرح القوائد العشر للبريزي : (٢٩٢) ، شرح القوائد السبع ،
لابن الأباري : (٣٨٨) ، اللسان : (٦ / ٤٩٧٥) ، مادة : (يوم) ، وتهذيب اللغة : (١٥ / ٤٦٤) ،
وجامع البيان : (١٦ / ٥١٩) .

^٢ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٤٢) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٤٢) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٢٢) .

^٥ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٤٢) .

^٦ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٧ / ٢٢٣٥) ، والدر المنثور : (٥ / ٦) .

^٧ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٢٤) .

^٨ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٦٣) .

^٩ _ ينظر : تفسير البيضاوي : (٣ / ٣٣٨) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٢٨) .

^{١١} _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٨٥) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٤٢) ، والبحر المحيط :
(٥ / ٣٩٥) .

^{١٢} _ البيت لسـمـوعـل بن عـاديا . ينظر : الحماسة المغربية : (١ / ٥٩٥) ، ديوان الحماسة ، للبريزي :
(١ / ٢٠) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٩٥) .

^{١٣} _ ينظر : حاشية الشهاب : (٥ / ٤٤٠) .

^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

٢ _ أنه قول يجمع القولين الآخرين ، وجميع الأقوال تؤيدها اللغة ، وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^١ .

٣ _ سياق الآية اللاحق يؤيد هذا القول كما تقدم ، وهو قوله تعالى قوله تعالى ﴿ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٥] ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب التسليم له^٢ .



^١ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن : (٥٩١) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٩٩) .

قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [٩] .

٤١ / ٢ _ مرجع الضمير في ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضمير في ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ وفي ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ عائد على الذين جاءتهم الرسل ، فقال : ((والظاهر أن الأيدي هي الجوارح ، وأن الضمير في ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ وفي ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ عائد على الذين جاءتهم الرسل))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في مرجع الضمير في ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أقوال :

القول الأول : أن الضمير في ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ وفي ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ عائد على الذين جاءتهم الرسل ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن عبد الله بن عباس^٢ ، وابن مسعود^٣ ، وابن زيد^٤ ، وأبي صالح^٥ ، وهو قول الطبري^٦ ، والنحاس^٧ ، والواحدي^٨ ، ووافقه السيوطي^٩ ، والشوكاني^{١٠} ، والظاهر بن عاشور^{١١} ، والمراغي^{١٢} .

^١ _ البحر المحيط : (٣٩٧ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (١٩٢ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٥٣٣ / ١٦) ، والدر المنثور : (١٠ / ٥) .

^٣ _ ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٣٧٤ / ٣) ، وجامع البيان : (٥٣١ / ١٦) ، وتفسير القرآن العظيم ،

لابن أبي حاتم : (٢٢٣٧ / ٧) ، والدر المنثور : (١٠ / ٥) .

^٤ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٣٧ / ٧) ، والدر المنثور : (١٠ / ٥) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٩٧ / ٥) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (٥٣٥ / ١٦) .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن : (٥٢٠ / ٣) .

^٨ _ ينظر : الوجيز : (٣٩١ / ١) .

^٩ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١١) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (١٣١ / ٤) .

^{١١} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٩٦ / ١٣) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣٣ / ١٣) .

ثم اختلفوا في سبب وضع أيديهم في أفواههم على أقوال :

- ١ _ إما غيظاً مما جاءت به الرسل ، وهو قول ابن مسعود^١ ، وابن زيد^٢ ، واختاره ابن جرير^٣ .
- ٢ _ أو تعجباً ، وهو قول ابن عباس^٤ .
- ٣ _ أو تكديباً ورداً واستبشاعاً لما جاءت به الرسل كما قال أبو صالح^٥ .
- ٤ _ وإما ضحكاً واستهزاء^٦ .

واستدلوا بما يلي :

- ١ _ قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٩] ^٧.
 - ٢ _ أن هذا المعنى معروف في كلام العرب ، ومنه قول الشاعر :
لو أن سلمى أبصرت تخددي ودقة بعظم ساقي ويدي
وبعد أهلي وجفـاء عودي عضت من الوجد بأطراف اليد^٨
 - ٣ _ أنه أمر مشهور بين البشر ، قال ابن عطية : ((والعض من الغيظ مشهور من البشر))^٩ .
- القول الثاني :** أن الضميرين عائدان على الرسل ، وهو قول مقاتل ، أي : أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم^{١٠} .
- ورده ابن عطية فقال : ((وهذا عندي لا وجه له))^١ .

-
- ^١ _ ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٣ / ٣٧٤) ، وجامع البيان : (١٦ / ٥٣١) ، والدر المنثور : (٥ / ١٠) .
 - ^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ١٠ - ١١) .
 - ^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٣٥ - ٥٣٦) .
 - ^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٣٣) ، والدر المنثور : (٥ / ١٠) .
 - ^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٣١ - ٥٣٣) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٢٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٩٧) .
 - ^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٣١ - ٥٣٣) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٢٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٩٧) .
 - ^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٣٥ - ٥٣٦) ، ومعاني القرآن ، للنحاس : (٣ / ٥٢٠) ، والمحزر الوجيز : (٣ / ٣٢٦) .
 - ^٨ _ لم أقف على قائل الأبيات . ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٣ / ٥٢٠) ، والمحزر الوجيز : (٣ / ٣٢٦) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٤٥) .
 - ^٩ _ المحزر الوجيز : (٣ / ٣٢٦) .
 - ^{١٠} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٩٧) .
 - ^١ _ المحزر الوجيز : (٣ / ٣٢٦) .

القول الثالث : جعلوا أيدي أنفسهم في أفواه الرسل ردّاً لقولهم ، وهو قول الحسن ^١ ، قال أبو حيان : ((وهذا أشنع في الرد وأذهب في الاستطالة على الرسل والنيل منهم ، فعلى هذا الضمير في ﴿ أَيَدِيَهُمْ ﴾ عائد على الكفار ، وفي ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ عائد على الرسل)) ^٢ .

القول الرابع : أنهم كذبوهم بأفواههم ، والمراد بالأيدي هنا : النعم ، وهو قول مجاهد ^٣ ، وفتادة ^٤ ، ومحمد بن كعب ^٥ .

قال أبو حيان : ((أي : ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى إليهم من الشرائع والآيات في أفواه الأنبياء ؛ لأنهم إذا كذبوها لم يقبلوها ، فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل ، وقيل : الضمير في ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ على هذا القول عائد على الكفار ، وفي بمعنى الباء ، أي : بأفواههم ، والمعنى : كذبوهم بأفواههم ، وفي بمعنى الباء يقال : جلست في البيت وبالبيت ، وقال الفراء : قد وجدنا من العرب من يجعل (في) موضع الباء ، فتقول : أدخلك الله الجنة وفي الجنة ، وأنشد :

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سننيس لست أرغب ^٦

يريد : أرغب بها)) ^٧ .

وقال ابن كثير _ رحمه الله _ : ((ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام ﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٩] ، فكان هذا _ والله أعلم _ تفسيراً لمعنى ﴿ فَرَدُّوا أَيَدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ^٨ .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٣٥) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٢٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٩٧) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٩٧) .

^٣ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٣٤) ، وجامع البيان : (١٦ / ٥٣٣ _ ٥٣٥) ، والدر المنثور : (٥ / ١٠) .
فائدة : الأثر أخرجه الطبري من طريق ابن جريج ، وابن أبي نجیح ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجیح له . ينظر : رسالة ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٥ / ١٢٠٦) .

^٤ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٢ / ٥٢٤) ، وأضواء البيان : (٣ / ١٠٦) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٣٧) .

^٦ _ هذا البيت لم اهتد لقائله . ينظر البيت في : معاني القرآن ، للفراء : (٢ / ٧٠) ، وتهذيب اللغة : (٥ / ٦٦) ، مادة : (ذراً) ، ولسان العرب : (١ / ٧٩) ، مادة : (ذراً) .

^٧ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٩٧ _ ٣٩٨) .

^٨ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٢٤) .

ورد الأمين الشنقيطي قول ابن كثير فقال : ((الظاهر عندي خلاف ما استظهره ابن كثير _ رحمه الله تعالى _ ؛ لأن العطف بالواو يقتضي مغايرة ما بعده لما قبله ، فيدل على أن المراد بقوله ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية غير التصريح بالتكذيب بالأفواه والعلم عند الله تعالى))^١ .

القول الخامس : أنه مثل ، وإنما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا ، وهو قول أبي عبيدة^٢ ، والبقاعي^٣ ، واستدل أبو عبيدة بأن العرب تقول للرجل إذا أمسك عن الجواب : ((رد يده في فمه ، أي : أمسك إذا لم يجب))^٤ .

ورد الطبري هذا القول فقال : ((وهذا أيضاً لا وجه له ؛ لأن الله عز ذكره قد أخبر عنهم أنهم قالوا ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ [سورة إبراهيم : ٩] فقد أجابوا بالتكذيب))^٥ . ونحوه قال الخازن^٦ .

ورد أبو حيان قول الطبري فقال : ((ولا يرد ما قاله الطبري ؛ لأنه يريد أبو عبيدة أنهم أمسكوا وسكتوا عن الجواب المرضي الذي يقتضيه مجيء الرسل بالبينات ، وهو الاعتراف بالإيمان والتصديق للرسول))^٧ .

القول السادس : أنهم ردوا جميع مدافعهم بأقوالهم ، قال ابن عطية : ((وتحتل الألفاظ معنى رابعاً وهو أن يتجاوز في لفظ الأيدي ، أي : أنهم ردوا قوتهم ومدافعهم ومكافحتهم فيما قالوه بأقوالهم من التكذيب ، فكان المعنى : ردوا جميع مدافعهم في أقوالهم ، أي : في أقوالهم ، وعبر عن جميع المدافعة بالأيدي ؛ إذ الأيدي موضع أشد المدافعة والمرادة))^٨ .

^١ _ أضواء البيان : (٣ / ١٠٦) .

^٢ _ ينظر : مجاز القرآن : (١ / ٥٩) .

^٣ _ نظم الدرر : (٤ / ٣٧١) .

^٤ _ ينظر : مجاز القرآن ، لأبي عبيدة : (١ / ٥٩) ، وجامع البيان : (١٦ / ٥٣٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٣٩٨) .

^٥ _ جامع البيان : (١٦ / ٥٣٥) .

^٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٠٦) .

^٧ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٩٨) .

^٨ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٢٦) .

القول السابع : أنهم أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم ، وما نطقت به من قولهم ﴿ اَنَا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٩] ، أي : هذا جواب لكم ليس عندنا غيره إقناطاً لهم من التصديق^١ .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : ((وحاصله أنهم أشاروا إلى جوابهم هذا كأنهم قالوا : هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطاً لهم من التصديق ، وهذا كما يقع في كلام المخاطبين أنهم يثيرون إلى أن هذا هو الجواب ، ثم يقررونه أو يقرونه فهم يثيرون بأيديهم إلى أن هذا هو الجواب ، فضمير ﴿ أَيَدِيَهُمْ ﴾ إلى الكفار ، والأيدي على حقيقتها ، والرد مجاز عن الإشارة وهي تحتمل المقارنة والتقدم والتأخر))^٢ .

ثم علل هذا القول بقوله ((لأنهم لما حاولوا الإنكار على الرسل _ عليهم السلام _ كل الإنكار جمعوا في الإنكار بين الفعل والقول ؛ ولذا أتى بالفاء تنبيهاً على أنهم لم يمهلوا بل عقبوا ادعوتهم بالتكذيب وصدروا الجملة بيان))^٣ .

الترجيح :

هذه الأقوال جميعها وإن كانت تتفق في أن الآية الكريمة ، قد أخبرت بأبلغ عبارة عما قابل به الأقسام المكذبين رسلهم من سوء أدب ، إلا أن الراجح _ والله أعلم _ ما ذهب إليه الإمام أبو حيان ومن معه ؛ أن الضمير في ﴿ أَيَدِيَهُمْ ﴾ وفي ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ عائد على الذين جاءتهم الرسل ، وأنهم فعلوا ذلك إما غيظاً مما جاءت به الرسل ، أو تعجباً ، أو تكديباً ورداً واستبشاعاً لما جاءت به الرسل ، وإما ضحكاً واستهزاء ، وذلك لما يلي :

١ _ أنه أظهر الأقوال في معناها .

٢ _ أنه قد استشهد لهذا القول من كتاب الله تعالى ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٤ .

٣ _ وتؤيده اللغة كما تقدم مما استدل به أصحاب هذا القول ، وهو المشهور بينهم ، و يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر^٥ .

^١ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٣٢٧) .

^٢ _ روح المعاني : (١٣ / ١٩٣) .

^٣ _ المرجع السابق : (١٣ / ١٩٤) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

^٥ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٣٦٩) .

قال الطبري _ رحمه الله _ : ((وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية ، القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود : أنهم ردوا أيديهم في أفواههم ، فعضوا عليها ، غيظاً على الرسل ، كما وصف الله جل وعز به إخوانهم من المنافقين فقال ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنْامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران : ١١٩] . فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من رد اليد إلى الفم)^١ .



^١ _ جامع البيان : (١٦ / ٥٣٥ - ٥٣٦) .

قال الله تعالى ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ
مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانِ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأَنُوتُنَا بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴾ [١٠] .

٤٢ / ٣ _ مسألة : المراد بـ ﴿ مِّنْ ﴾ في ﴿ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن ﴿ مِّنْ ﴾ في ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ للتبويض ؛ حيث
قال : « ﴿ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ ... والتبويض يصح فيها ؛ إذ المغفور هو ما بينهم وبين الله ، بخلاف ما
بينهم وبين العباد من المظالم . وبطريق آخر يصح التبويض وهو أن الإسلام يجب ما قبله ، ويبقى ما
يستأنف بعد الإيمان من الذنوب مسكوتاً عنه ، هو في المشيئة والوعد إنما هو بغفران ما تقدم ، لا
بغفران ما يستأنف ^١»

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ مِّنْ ﴾ في ﴿ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ قولان :

القول الأول : إنها للتبويض ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري ^٢ ، والزمخشري ^٣ ،
وابن عطية ^٤ ، والبيضاوي ^٥ ، ووافقهم أبو السعود ^٦ ، والمراعي ^٧ .
واستدلوا بما يلي :

- ١ _ أن المغفور هو ما بينهم وبين الله ، بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ^٨ .
- ٢ _ أن الإسلام يجب ما قبله ، ويبقى ما يستأنف بعد الإيمان من الذنوب مسكوتاً عنه ، هو في
المشيئة والوعد إنما هو بغفران ما تقدم ، لا بغفران ما يستأنف ^٩ .

^١ _ البحر المحيط : (٣٩٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٥٣٧ / ١٦) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٣٦٧ / ٣) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٢٨ / ٣) .

^٥ _ تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٤٤٧ / ٥) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٣٧ / ٥) .

^٧ _ ينظر : تفسير المراعي : (١٣٤ / ١٣) .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٣٩٩ / ٥) .

^٩ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٢٨ / ٣) ، والبحر المحيط : (٣٩٩ / ٥) .

القول الثاني : أنها زائدة ، أي : ليغفر لكم ذنوبكم ، وهو قول أبي عبيدة ^١ ، والأخفش ^٢ ،
والخازن ^٣ .

ووجه ذلك :

١ _ قوله تعالى في موضع آخر ﴿ قُلْ يَلْعَابِدَى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر : ٥٣] ^٤ ،
فوجب حمل الأول على الزيادة دفعاً للتعارض .

ورد ذلك الزركشي _ رحمه الله _ فقال : « وقد نوزع في ذلك ، بأنه إنما يقع التعارض لو
كانتا في حق قبيل واحد ، وليس كذلك » ^٥ .

٢ _ أنه كقوله تعالى ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَلِيزِينَ ﴾ [سورة الحاقة : ٤٧] ^٦ .

٣ _ قول الشاعر ^٧ : جزيتك ضعف الحب لما شكوته وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي ، أي :
أحد ^٨ .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « وجمهور البصريين لا يميز زيادتها في الواجب ، ولا إذا جرت
المعرفة » ^٩ .

قال ابن عادل _ رحمه الله _ : « أما كونها صلة فمعناه الحكم على كلمة من كلام الله
_ عز و جل _ بأنها عبث ، والعاقل لا يجوز له المصير إليه من غير ضرورة » ^{١٠} .

^١ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٢٥) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ٩٥) ، والجامع لأحكام القرآن :
(٩ / ٣٤٦) .

^٢ _ لم أجد في كتابه معاني القرآن . ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٣٩٩) ، والبرهان في علوم القرآن :
(٤ / ٤٤٨) .

^٣ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ٧٢) .

^٤ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ٩٨) .

^٥ _ البرهان في علوم القرآن : (٤ / ٤٤٨) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٥٠) .

^٧ _ الشاعر هو : أبو ذؤيب . ينظر : ديوان الهذليين : (١ / ٣٥) ، و شرح أشعار الهذليين : (١ / ٨٨) .

^٨ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٥٠) .

^٩ _ البحر المحيط : (٥ / ٣٩٩) .

^{١٠} _ اللباب : (١١ / ٣٥١) .

الترجيح :

مما سبق يظهر _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن القول الراجح هو القول الأول وهو ما ذهب إليه أبو حيان ومن معه ، وهو أن ﴿ مِّن ﴾ في ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ للتبعيض .
قالت الدكتورة هيفاء فدا : « وواضح أن كلام العلماء قد اتفق على إفادة ﴿ مِّن ﴾ التبعيض
، وأما القول بزيادتها فبقي قولاً مضعوفاً لم ينسب إلا إلى أبي عبيدة والأخفش »¹ .



¹ _ زيادة الحروف بين التأيد والمنع : (٦٠٩ _ ٦١٠) .

قال الله تعالى ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [١٥] .

٤٣ / ٤ _ مرجع الضمير في ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ مرجع الضمير في قوله ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ على الأنبياء فقال : «
والظاهر أن الضمير في ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ عائد على الأنبياء ، أي : استنصروا على أعدائهم ،
كقوله ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ [سورة الأنفال : ١٩] ، ويجوز أن يكون من
الفتاحة وهي الحكومة ، أي : استحكموا الله طلبوا منه القضاء بينهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في مرجع الضمير في ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ أقوال :

القول الأول : أن مرجع الضمير في قوله ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ على الأنبياء ، وهو ما رجحه
أبو حيان موافقاً للمرووي عن ابن عباس^٢ ، ومجاهد^٣ ، وابن جريج^٤ ،
وقتادة^٥ ، وقول الزجاج^٦ ، والسمرقندي^٧ ، والواحدي^٨ ،
والزمخشري^٩ ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٠١ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (١٩٤ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٥٤٤ / ١٦) .

^٣ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٣٤) ، وجامع البيان : (١٦ / ٥٤٣ - ٥٤٤) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن
أبي حاتم : (٢٢٣٨ / ٧) ، و الدر المنثور : (١٤ / ٥) .

فائدة : أخرج الطبري الأثر من طريق ابن جريج ، وابن أبي نجيح . ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة
ابن أبي نجيح له . ينظر : رسالة ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (١٢٠٧ / ٥) .

^٤ _ أخرج الطبري . ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٤٤) . وإسناده صحيح . ينظر : رسالة ابن جريج مروياته
وأقواله في التفسير : (١٢٠٧ / ٥) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٤٥) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٣٨ / ٧) ، و الدر
المنثور : (١٤ / ٥) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (١٥٦ / ٣) .

^٧ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٢٨ / ٢) .

^٨ _ ينظر : الوسيط : (٢٦ / ٣) ، والوجيز : (٣٩١ / ١) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣٦٩ / ٣) .

وابن عطية^١ ، والقرطبي^٢ ، والبيضاوي^٣ ، والنسفي^٤ ، ووافقهم ابن جزى^٥ ، والثعالبي^٦ ، والبقاعي^٧ ، والسيوطي^٨ ، وأبو السعود^٩ ، والشوكاني^{١٠} ، والألوسي^{١١} .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أن استنصار الرسل ورد في القرآن كثيراً ، كقول نوح _ عليه الصلاة والسلام _ ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ١١٨] ، وقول لوط _ عليه الصلاة والسلام _ ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٦٩] ، وقول شعيب _ عليه الصلاة والسلام _ ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٨٩] ، وقول موسى _ عليه الصلاة والسلام _ ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [سورة يونس : ٨٨] .^{١٢}

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٣٠) .

^٢ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٤٩) .

^٣ _ ينظر : تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٥ / ٤٥١) .

^٤ _ ينظر : مدارك الترتيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٥٧) .

^٥ _ ينظر : التسهيل لعلوم الترتيل : (٢ / ٢٥٥) .

^٦ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ١٩٣) .

^٧ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٧٤) .

^٨ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٢) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٣٩) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٣٥) .

^{١١} _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٣٣٧) .

^{١٢} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٠١) .

٢ _ قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، وابن محيصن (واستفتحوا)^١ بكسر التاء أمراً للرسول معطوفاً على ﴿ لَنْهَلِكَنَّ ﴾ [سورة إبراهيم : ١٣] .

أي : اطلبوا النصر وسلوه من ربكم^٢ .

القول الثاني : أن الضمير عائد على الكفار ، وهو قول ابن عباس ، ومقاتل^٣ ، وابن زيد^٤ ، والسعدي^٥ .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : ((أي : واستفتح الكفار على نحو ما قالت قريش ﴿ عَجِّلْ لَنَا قِطْناً ﴾ [سورة ص : ١٦] ، وكأنهم لما قوي تكذيبهم وأذاهم ولم يعاجلوا بالعقوبة ظنوا أن ما جاؤوا به باطل ، فاستفتحوا على سبيل التهكم والاستهزاء))^٦ .

واستدلوا بما ورد من الآيات في استفتاح الكفار ، فمن ذلك : قول قوم نوح _ عليه الصلاة والسلام _ ﴿ فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٧٠] ، وقوم شعيب _ عليه الصلاة والسلام _ ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٨٧] ، وقول عاد ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٣٨] ، وقول بعض قريش ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِمَّنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ أَرْسِلْنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٢]^٧ .

^١ _ وهي قراءة شاذة ذكرها ابن جني في المحتسب : (٣٥٩ / ١) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣٦٩ / ٣) ، والمحزر الوجيز : (٧٢ / ٩) ، وزاد المسير : (٤٥١ / ٤) ، والبحر المحيط : (٤٠١ / ٥) ، والدر المصون : (٧٩ / ٧) ، واللباب : (٣٥٦ / ١١) ، وروح المعاني : (٩ / ٣٣٧) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل ، للبخاري : (٣٤٠ / ٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٤٥ - ٥٤٦) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٤٩) ، والبحر المحيط : (٤٠١ / ٥) .

^٥ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٩٢) .

^٦ _ البحر المحيط : (٤٠١ / ٥) .

^٧ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٠١ / ٥) .

القول الثالث : أن الضمير عائد على أهل مكة ، وأن المراد : الاستمطار ، أي : طلب المطر ، قال الزمخشري : ((ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا ، أي : استمطروا ، والفتح : المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة الرسول فلم يسقوا ، فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد ، وأنه يسقى في جهنم بدل سقيه ماء آخر ، وهو صديد أهل النار ، ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأمهم))^١ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر لي _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على القول الأول والثاني ، وهو أن الضمير عائد على الفريقين الأنبياء ومكذبيهم ؛ وذلك لما يلي :

١ _ لأنهم كانوا كلهم سألوا أن ينصر الله الحق ويطل المبطل^٢ .

قال ابن كثير : ((ويحتمل أن يكون هذا مراداً وهذا مراداً ، كما أنهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر ، واستفتح رسول الله ﷺ _ واستنصر ، وقال الله تعالى للمشركين ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [سورة الأنفال : ١٩] الآية والله أعلم))^٣ .

٢ _ لدلالة الآيات الأخرى من كتاب الله ﷻ على هذا المعنى ، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن الذي يعد أعلى درجات التفسير^٤ .



^١ _ الكشاف : (٣ / ٣٦٩) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٠١) .

^٣ _ تفسير القرآن الكريم : (٢ / ٥٢٦) .

^٤ _ ينظر : شرح مقدمة التفسير ، لابن عثيمين : (١٢٧) ، وقواعد التفسير ، لخالد السبت : (١ / ١٠٩) ،

وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [٢٤] .

٤٤ / ٥ _ المراد بالشجرة في قوله تعالى ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾

رجح أبو حيان أن المراد بالشجرة : النخلة ، فقال بعد ذكره لعدد من الأقوال : ((أو النخلة ،
وعليه أكثر المتأولين))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين بالمراد بالشجرة في قوله تعالى ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بالشجرة : النخلة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن
مسعود^٢ ، وابن عباس^٣ ، وأنس^٤ ، ومجاهد^٥ ، وعكرمة^٦ ، والضحاك^٧ ، ومسروق^٨ ،
وقتادة^٩ ، وابن زيد^{١٠} ، وهو قول الطبري^{١١} ، والسمرقندي^{١٢} ، والواحيدي^{١٣} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤١٠) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧١ - ٥٧٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٢٣) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٤٣) ، والدر
المنثور : (٥ / ٢٣) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٦٩ - ٥٧٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٢٢) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧١) ، والدر المنثور : (٥ / ٢٣) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٤٣) ، والدر
المنثور : (٥ / ٢٣) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٢) .

^٨ _ ينظر : المرجع السابق : (١٦ / ٥٧١) .

^٩ _ ينظر : المرجع السابق : (١٦ / ٥٧٢) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٢٢ - ٢٣) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٣٧) .

^{١٢} _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٢١) .

^{١٣} _ ينظر : الوجيز : (١ / ٣٩٤) .

والبغوي^١، وابن عادل^٢، والسيوطي^٣، والألوسي^٤، والسعدي^٥، وهو قول أكثر المفسرين^٦.

واستدلوا بما يلي :

١ _ حديث ابن عمر _ رضي الله عنهما _ عن النبي _ ﷺ _ قال : ((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ ، حَدُّنِي مَا هِيَ ؟ ، قال : فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي . قال عبد الله : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَمَا النَّخْلَةُ . ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قال : هِيَ النَّخْلَةُ))^٧ .

٢ _ حديث أنس بن مالك _ رضي الله عنه _ قال : ((أُتِيَ رَسُولَ اللَّهِ _ ﷺ _ بِقِنَاعٍ عَلَيْهِ رُطْبٌ فَقَالَ : مِثْلُ ﴿ كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٤ - ٢٥] قال : هِيَ النَّخْلَةُ))^٨ .

^١ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٤٦) .

^٢ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٣٧٩) .

^٣ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٣) .

^٤ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٣٥٨) .

^٥ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٩٥) .

^٦ _ ينظر : الخرج الوجيز : (٣ / ٣٣٥) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ١٢٢) ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦١) ، والتسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٥٧) ، والجواهر الحسان : (٢ / ١٩٥) ، وروح المعاني : (٩ / ٣٥٨) .

^٧ _ أخرجه البخاري : في صحيحه ، كتاب العلم ، باب طرق المسألة على أصحابه ؛ ليختبر ما عندهم من العلم : (١ / ١٧٨) ، ح : (٦٢) ، وأخرجه في كتاب التفسير ، باب قوله ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ... ﴾ ، (٤ / ١٧٣٥) ، ح : (٤٤٢١) ، ومسلم في صحيحه : بكتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، لبب مثل المؤمن مثل النخلة ، (٤ / ٢١٦٦) ، ح : (٢٨١١) .

^٨ _ أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة إبراهيم _ عليه السلام _ : (٥ / ٢٩٥) ، ح : (٣١١٩) ، من طريق حماد بن سلمة ، قال الترمذي : حدثنا قتيبة حدثنا أبو بكر بن شعيب بن الحبحاب عن أبيه عن أنس بن مالك نحوه بمعناه ولم يرفعه ... وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة ، وروى غير واحد مثل هذا موقوفاً ولا تعلم أحداً رفعه غير حماد بن سلمة ، ورواه معمر وحماد بن زيد وغير واحد ولم يرفعه ، حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب عن أنس نحو حديث قتيبة ولم يرفعه . ورفعته النسائي في سننه الكبرى : (٦ / ٣٧١) ، ح : (١١٢٦٢) ، والحاكم في مستدركه : (٢ / ٣٨٣) ، ح : (٣٣٤١) ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » . وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي في الأحاديث المختارة : (٦ / ١٩٣) : « رجاله ثقات والصحيح أنه موقوف » .

ورد الفخر الرازي على القائلين بأنها النخلة : ((هؤلاء وإن أصابوا في البحث عن مفردات ألفاظ الآية ، إلا أنهم بعدوا عن إدراك المقصود ؛ لأنه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة ، ولا حاجة بنا إلى أن تلك الشجرة هي النخلة أم غيرها ، فإننا نعلم بالضرورة أن الشجرة الموصوفة بالصفات الأربع المذكورة شجرة شريفة ينبغي لكل عاقل أن يسعى في تحصيله وتملكها لنفسه ، سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن ؛ لأن هذه الصفة أمر مطلوب التحصيل))^١ .

القول الثاني : أنها المؤمن ، وهو قول ابن عباس^٢ ، والربيع بن أنس^٣ .

القول الثالث : شجرة جوزة الهند ، وهو قول علي ، وابن عباس^٤ .

القول الرابع : شجرة في الجنة ، وهو قول لابن عباس^٥ .

واستدلوا : بقوله تعالى ﴿ تَوَوَّيْ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٥] أي : غدوة

وعشية ومتى أريد جناها ، قال أبو حيان : ((ويتخرج على أنها شجرة في الجنة))^٦ .

القول الخامس : كل شجرة مثمرة طيبة الثمار ، وهو قول الزمخشري^٧ ، وابن عطية^٨ ، والنسفي^٩ ، والخازن^{١٠} ، والمراعي^{١١} .

^١ _ التفسير الكبير : (١٩ / ١٢٣) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٤١) ، والدر المنثور : (٥ / ٢٠) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٤١) ، والدر المنثور : (٥ / ٢١) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤١٠) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٣) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٤٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤١٠) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤١١) .

^٧ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٧٨) .

^٨ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ٨٢) .

^٩ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦١) .

^{١٠} _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١١٢) .

^{١١} _ ينظر : تفسير المراعي : (١٣ / ١٤٨) .

الترجيح :

الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد بالشجرة : النخلة ؛ ويؤيده ما يلي :

١ _ ورود الحديث الصحيح في بيائها ، وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^١ .

وقال الألويسي _ رحمه الله _ : ((وأنت تعلم أنه إذا صح الحديث ، ولم يتأت حمل ما فيه على التمثيل لا ينبغي العدول عنه))^٢ .

٢ _ ثبوته موقوفاً على أنس _ رضي الله عنه _ كما تقدم .

٣ _ أنه قول جمهور السلف _ رضي الله عنهم _ وقولهم مقدم على غيرهم^٣ .

وقد جمع ابن القيم _ رحمه الله _ بين القول بأها النخلة ، وبأها المؤمن ، وبأها شجرة في الجنة ، فقلل عن القول الأول : بأها النخلة ، والقول الثاني : بأها المؤمن .. ((ولا اختلاف بين القولين ، والمقصود بالمثل : المؤمن ، والنخلة مشبهة به ، وهو مشبه بها . وإذا كانت النخلة شجرة طيبة ، فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك .

ومن قال من السلف إنها شجرة في الجنة ، فالنخلة من أشرف أشجار الجنة))^٤ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٠٦) .

^٢ _ روح المعاني : (٩ / ٣٥٨) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٦٤) .

^٤ _ التفسير القيم : (٣٢٩) .

قال الله تعالى ﴿ تُوْتِيْ اَكْلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِاِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ ﴾ [٢٥] .

٤٥ / ٦ _ المراد بـ ﴿ كُلَّ حِيْنٍ ﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بـ ﴿ كُلَّ حِيْنٍ ﴾ : كل وقت ، فقال _ رحمه الله _ : « والحين في اللغة قطعة من الزمان ، قال الشاعر :

تناذرهما الراقون من سوء سمها تطلقه حيناً وحيناً تراجع
والمعنى : تعطي جناها كل وقت وقته الله له »^١ .

وقال في النهر الماد : « ديمومة وجود ثمرتها وحضورها في كل الأوقات ، والحين في اللغة : قطعة من الزمان »^٢ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في قوله تعالى ﴿ كُلَّ حِيْنٍ ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿ كُلَّ حِيْنٍ ﴾ : كل وقت وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٣ ، والضحاك ، والريبع^٤ ، وقول الطبري^٥ ، والزجاج^٦ ، والسمرقندي^٧ ، والواحدي^٨ ، والزمخشري^٩ ، والرازي^{١٠} ، والبيضاوي^{١١} ، والنسفي^{١٢} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤١١ / ٥) .

^٢ _ النهر الماد : (١٩٩ / ٢) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٦) ، والدر المنثور : (٢٣ / ٥) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٧) .

^٥ _ ينظر : المرجع السابق : (١٦ / ٥٨٢) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٦١) .

^٧ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٣١) .

^٨ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٣٩٤) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٧٨) .

^{١٠} _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١١٩) .

^{١١} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٤٧) .

^{١٢} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦١) .

ووافقهم ابن كثير^١ ، وابن عادل^٢ ، وأبو السعود^٣ ، والشوكاني^٤ ، والألوسي^٥ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أن الحين في اللغة : الوقت ، والقطعة من الزمان^٦ .

٢ _ قول الشاعر:

تناذرهما الراقون من سوء سمها تطلقه حيناً وحيناً تراجع^٧

وفيه دليل على أن الحين بمرتلة الوقت .

القول الثاني : أن المراد كل سنة ، وهو قول ابن عباس^٨ ، وعكرمة^٩ ، ومجاهد^{١٠} ، وابن زيد^{١١} ،

وقول النحاس^{١٢} .

القول الثالث : ستة أشهر ، وهي مدة بقاء الثمر عليها^{١٣} ، وهو قول علي^{١٤} ، وابن عباس^{١٥} ،

وعكرمة^{١٦} .

^١ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٣٠) .

^٢ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٣٨٠) .

^٣ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٤٤) .

^٤ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٤٤) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٣٥٨) .

^٦ _ ينظر : مختار الصحاح : (١ / ٦٩) ، ولسان العرب : (١٣ / ١٣٤) ، وتاج العروس : (٣٤ / ٤٧٠)

، مادة (حين) .

^٧ _ هو قول النابغة ، أنشدته الأصمعي في صفة الحية والملدوغ . ينظر : ديوان المتنبّي : (٣ / ٢٠٠) ، ومعاهدة

التنصيص : (١ / ٣٣١) ، ولسان العرب : (٥ / ٢٠١) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٩ ، ٥٨١) ، و الدر المنثور : (٥ / ٢٤) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٨١) ، و الدر المنثور : (٥ / ٢٤ - ٢٥) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٣٤) ، و جامع البيان : (١٦ / ٥٨٠) ، و الدر المنثور : (٥ / ٢٤) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٨٠) ، و الدر المنثور : (٥ / ٢٤) .

^{١٢} _ معاني القرآن : (٣ / ٥٢٩) .

^{١٣} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤١١) .

^{١٤} _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ٢٤) .

^{١٥} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٧ - ٥٧٩) ، و الدر المنثور : (٥ / ٢٤) .

^{١٦} _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٧٧ - ٥٧٩) ، و الدر المنثور : (٥ / ٢٤) .

القول الرابع : شهران ؛ لأن النخلة تدوم مثمرة شهرين ، وهو قول ابن المسيب^١ .

القول الخامس : لا تتعطل من ثمر تحمل في كل شهر وهي شجرة جوز الهند ، وهو قول ابن عباس^٢

— رضي الله عنهما — .

القول السادس : أن الحين وقت غير محدود ، وقد تقترن به قرينة تحده ، وهو قول الراغب

الأصفهاني^٣ ، وابن عطية^٤ ، وابن جزري^٥ ، والثعالبي^٦ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — هو القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، بأن المراد بالحين : الوقت ، والمعنى : تؤتي أكلها كل وقت ، ويؤيده ما يلي :

١ — أنه قول تؤيده اللغة كما استدل به أصحاب هذا القول ، ويجب حمل كلام الله ﷻ على المعهود من كلام العرب^٧ .

٢ — أنه قول تؤيده قرينة في السياق ، وهي أن المؤمن له في كل وقت وحين عمل صالح يرفع ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية^٨ .

قال الطبري — رحمه الله — : « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : عنى بالحين في هذا الموضوع ، غدوة وعشية وكل ساعة ؛ لأن الله تعالى ذكره ضرب ما تؤتي هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلاً ، ولا شك أن المؤمن يرفع له إلى الله في كل يوم صالح من العمل والقول ، لا في كل سنة ، أو في كل ستة أشهر ، أو في كل شهرين . فإذا كان كذلك ، فلا شك أن المثل لا يكون خلافاً للممثل به في المعنى . وإذا كان ذلك كذلك ، كان بيننا صحة ما قلنا . فإن قال قائل : فأني نخلة تؤتي في كل وقت أكلاً صيفاً وشتاءً ؟ قيل : أما في الشتاء ، فإن الطلع من أكلها ، وأما في الصيف فالبلح والبسر والرطب والتمر ، وذلك كله من أكلها^٩ . »

^١ — ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٨١) ، و البحر المحيط : (٥ / ٤١١) ، و الدر المنثور : (٥ / ٢٥) .

^٢ — ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤١١) ، و الدر المنثور : (٥ / ٢٥) .

^٣ — ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٢٦٧) .

^٤ — ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ٨٢) .

^٥ — ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٥٧) .

^٦ — ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ١٩٥) .

^٧ — ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٣٦٩) .

^٨ — ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٩٩) .

وقال ابن كثير _ رحمه الله _ : « والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار ، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل و أطراف النهار في كل وقت وحين »^٢ .
وأما الأقوال الأخرى فهي متقاربة ، وهي من باب اختلاف التمثيل لذكر بعض الأوقات التي يقع عليها لفظ الحين .

قال النحاس _ رحمه الله _ : « و هذه الأقوال متقاربة غير متناقضة ؛ لأن الحين عند جميع أهل اللغة إلا من شذ منهم . بمعنى الوقت يقع لقليل الزمان وكثيره ، وأنشد الأصمعي بيت النابغة :
تناذرهما الراقون من سوء سمها تطلقه حيناً وحيناً تراجع
فهذا يبين لك أن الحين . بمعنى الوقت »^٣ .



^١ _ جامع البيان : (١٦ / ٥٨٢) .
^٢ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٣٠) .
^٣ _ معاني القرآن : (٣ / ٥٢٨ - ٥٢٩) .

قال الله تعالى ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [٢٦] .

٤٦ / ٧ _ المراد بالشجرة في ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ شجرة الحنظل ؛ حيث قال : « والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل ، قاله الأكثرون »^١ .
إلا أنه في النهر الماد رجح أن المراد شجرة غير معينة ، فقال : « والظاهر أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة إذا وجدت منها هذه الأوصاف »^٢ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالشجرة في ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد شجرة الحنظل _ وهو ما رجحه أبو حيان في البحر المحيط موافقاً قول ابن عباس^٣ ، وأنس بن مالك^٤ ، ومجاهد^٥ ، وقول السمرقندي^٦ ، والبغوي^٧ ، والقرطبي^٨ ، ووافقهم ابن كثير^٩ ، وابن عادل^{١٠} ، والسيوطي^{١١} ، والسعدي^{١٢} ، والمراغي^{١٣} ، وهو قول أكثر المفسرين^{١٤} .

^١ _ البحر المحيط : (٤١١ / ٥) .

^٢ _ النهر الماد : (١٩٩ / ٢) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٤١١ / ٥) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٨٣ _ ٥٨٤) ، والدر المنثور : (٥ / ٢٢ ، ٢٥) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٨٥) .

^٦ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٣٣) .

^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٤٨) .

^٨ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٦١) .

^٩ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٣٠) .

^{١٠} _ ينظر : اللباب : (١١ / ٣٨١) .

^{١١} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٣) .

^{١٢} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٩٥) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٤٩) .

^{١٤} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٥٨) ، الجواهر الحسان : (٢ / ١٩٥) .

واستدلوا بحديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «أتى رسول الله ﷺ - بقنّاع عليه رطبٌ فقال: مثل ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤ - ٢٥] قال: هي النخلة، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٦] قال هي الحنظل»^١.

قال ابن عطية: «وهذا عندي على جهة المثال»^٢.

القول الثاني: أن المراد بـ ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ شجرة غير معينة، وهو ما رجحه أبو حيان في النهر الماد موافقاً قول الطبري^٣، والزمخشري^٤، وابن عطية^٥، والرازي^٦، والبيضاوي^٧، والنسفي^٨، ووافقهم الألويسي^٩.

^١ - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة إبراهيم - عليه السلام - (٥ / ٢٩٥)، ح (٣١١٩)، من طريق حماد بن سلمة، قال الترمذي: حدثنا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ الْحَبَّابِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ وَلَمْ يَرْفَعَهُ... وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَرَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِثْلَ هَذَا مَوْفُوقًا وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا رَفَعَهُ غَيْرَ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ وَلَمْ يَرْفَعُوهُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبَّابِ عَنْ أَنَسِ نَحْوِ حَدِيثِ قُتَيْبَةَ وَلَمْ يَرْفَعَهُ. ورفعته النسائي في سننه الكبرى: (٦ / ٣٧١)، ح: (١١٢٦٢)، والحاكم في مستدركه: (٢ / ٣٨٣)، ح: (٣٣٤١)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي في الأحاديث المختارة: (٦ / ١٩٣): «رجالها ثقات والصحيح أنه موقوف». وقال الألباني: «صحيح موقوفاً، ضعيف مرفوعاً». ينظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي: (٧ / ١١٩)، ح (٣١١٩).

^٢ - المحرر الوجيز: (٣ / ٣٣٦).

^٣ - ينظر: جامع البيان: (١٦ / ٥٨٥).

^٤ - ينظر: الكشاف: (٣ / ٣٧٨).

^٥ - ينظر: المحرر الوجيز: (٣ / ٣٣٦).

^٦ - ينظر: التفسير الكبير: (١٩ / ١٢٣).

^٧ - ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٣ / ٣٤٧).

^٨ - ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (١ / ٢٦١).

^٩ - ينظر: روح المعاني: (٩ / ٣٦١).

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « والظاهر عندي أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة إذا وجدت فيها هذه الأوصاف . فالخبيث هو أن تكون كالعضاة ، أو كشجر السموم ونحوها . إذا اجتثت _ أي : اقتلعت حيث جثتها بترع الأصول وبقيت في غاية الوهاء والضعف _ لتقلبها أقل ريح . فالكافر يرى أن بيده شيئاً وهو لا يستقر ولا يغني عنه ، كهذه الشجرة التي يظن بما على بعد أو للجهل بما أكلها شيء نافع وهي خبيثة الجني غير باقية »^١ .

القول الثالث : شجرة الثوم ، وهو مروى عن ابن عباس ، وهو قول الزجاج^٢ .

القول الرابع : شجرة الكشوت ، وهي شجرة لا ورق لها ولا أصل^٣ ، وهو قول الواحدي^٤ .

ورد ابن عطية هذه الأقوال فقال : « ويرد على هذه الأقوال من الاعتراض : أن هذه كلها من النجم وليست من الشجر ، والله تعالى إنما مثل بالشجرة فلا تسمى هذه شجرة إلا بتجوز ، فقد قال رسول الله _ ﷺ _ في الثوم والبصل : « من أكل من هذه الشجرة »^٥ ، وأيضاً فإن هذه كلها ضعيفة وإن لم تحت ، اللهم إلا أن نقول : اجتثت بالخلقة »^٦ .

القول الخامس : الطحلبة^٧ .

القول السادس : الكمأة^٨ .

القول السابع : كل شجر لا يطيب له ثمر^٩ .

^١ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٣٦) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٦١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤١١) ، ولم أجده في معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج .

^٣ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٦٠) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤١١) .

^٤ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٣٩٤) .

^٥ _ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب صفة الصلاة ، باب ما جاء في الثوم النبيئ : (١ / ٢٩٢ ، ح : (٨١٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو نحوهما : (١ / ٣٩٣ / ح : (٥٦١) .

^٦ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٣٦) .

^٧ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤١٢) .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤١٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٢٦) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤١٢) .

ورد الرازي هذه الأقوال فقال : «واعلم أن هذا التفصيل لا حاجة إليه ، فإن الشجرة قد تكون خبيثة بحسب الرائحة ، وقد تكون بحسب الطعم ، وقد تكون بحسب الصورة والمنظر ، وقد تكون بحسب اشتغالها على المضار الكثيرة ، والشجرة الجامعة لكل هذه الصفات وإن لم تكن موجودة ، إلا أنها لما كانت معلومة الصفة كان التشبيه بها نافعاً في المطلوب»^١ .

القول الثامن : الكافر، وهو قول لا ابن عباس^٢ .

القول التاسع : أنه مثل ، وليست بشجرة مخلوقة ، وهو قول لابن عباس^٣ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد بالشجرة الخبيثة الخنظلة ؛ وذلك لما يلي :

١ _ لصحة وروده عن أنس _ رضي الله عنه _ ، كما تقدم .

٢ _ أنه قول أكثر المفسرين .

وتفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ، ومن الخطأ أبعد^٤ .



^١ _ التفسير الكبير : (١٩ / ١٢٣) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٤٢) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٦٠) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤١٢) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٨٥) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٦٠) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤١٢) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٨٨) .

قال الله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [٢٧] .

٤٧ / ٨ _ المراد بالثبات في ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ و ﴿الْآخِرَةِ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالثبات في ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الثبات أمام الفتن في الدنيا ، والثبات في ﴿الْآخِرَةِ﴾ : بالثبات على معتقدهم رغم أهوال يوم القيامة ، فقال : ((والقول الثابت هو الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه ، وتمكن فيه واطمأنت إليه نفسه ، وتشببتهم به في الدنيا : كونهم لو فتنوا عن دينهم في الدنيا لثبتوا عليه ، وما زالوا كما جرى لأصحاب الأعداء ، والذين نشروا بالمناشير ، وكشطت لحومهم بأمشاط الحديد ، كما ثبت جرجيس ، وشمعون ، وبلال حتى كان يعذب بالرمضاء وهو يقول : أحد .. أحد ، وتشببتهم في الآخرة : كونهم إذا سئلوا عند توافق الأَشهاد عن معتقدهم ، ولم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالثبات في ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ و ﴿الْآخِرَةِ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بالثبات في ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الثبات أمام الفتن في الدنيا ، والثبات في ﴿الْآخِرَةِ﴾ : بالثبات على معتقدهم رغم أهوال يوم القيامة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، البيضاوي^٣ ، ووافقهم أبو السعود^٤ ، والمراغي^٥ .
قال الألوسي معللاً لمن اختار هذا القول : ((نعم اختار بعضهم أن الحياة الدنيا : مدة حياتهم ، والآخرة : يوم القيامة والعرض ؛ وكأن الداعي لذلك عموم ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وشمولهم لمؤمني الأمم السابقة ، مع عدم عموم سؤال القبر))^٦ .

^١ _ البحر الحيط : (٤١٢ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : ٢ / ٢٠١) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣٧٩ / ٣) .

^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٤٧ / ٣) .

^٤ _ إرشاد العقل السليم : (٤٤ / ٥) .

^٥ _ تفسير المراغي : (١٥٠ / ١٣) .

^٦ _ روح المعاني : (٢١٧ / ١٣) .

القول الثاني : أن تثبتهم في الدنيا : هو مدة حياة الإنسان ، وفي الآخرة : هو وقت سؤاله في قبره ، وهو قول طاووس^١ ، وقتادة^٢ ، ورجحه الطبري^٣ ، والزجاج^٤ ، والواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، وابن عطية^٧ ، والثعالبي^٨ ، وابن عادل^٩ ، والألوسي^{١٠} ، وهو قول أكثر أهل التفسير^{١١} .

قال الزجاج : ((روي أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر ، فإذا مات الميت قيل له : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ . فإذا قال : الله ربي ، ومحمد نبي ، والإسلام ديني . فقد ثبته الله بالقول الثابت في الآخرة ؛ لأن هذا بعد وفاته ، وتثبته في الدنيا ؛ لأنه لا يلفقه^{١٢} في الآخرة إلا أن يكون ذلك عقدة^{١٣} في الدنيا))^{١٤} .

قال الواحدي : ((قال المفسرون : هذه الآية وردت في فتنه القبر ، وسؤال الملكين ، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال ، وتثبته إياه على الحق))^{١٥} .

وأيد الشهاب أن المراد بـ ﴿ وَفِي الْأَخِرَةِ ﴾ أي : في القبر حيث قال عن حديث البراء : ((وهذا الحديث يدل على أن المراد من الآخرة : القبر ؛ لأنه أول منزل من منازلها))^{١٦} .

واستدلوا بما روي عن البراء بن عازب — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — عَنِ النَّبِيِّ ﷺ — قَالَ : ((إِذَا أُفْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ ﴾

^١ — ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٦٠٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٣٣) .

^٢ — ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٦٠٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٣٣) .

^٣ — ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٦٠٢) .

^٤ — ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٦٢) .

^٥ — ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٠) ، الوجيز : (١ / ٣٩٤) .

^٦ — معالم التنزيل : (٤ / ٣٤٩) .

^٧ — ينظر : الحرر الوجيز : (٣ / ٣٣٧) .

^٨ — ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ١٩٦) .

^٩ — ينظر : اللباب : (١١ / ٣٨٢) .

^{١٠} — ينظر : روح المعاني : (١٣ / ٢١٧) .

^{١١} — ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٤٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤١٢) ، وروح المعاني : (١٣ / ٢١٧) .

^{١٢} — كذا في المطبوع ، ولعلها : (يلقته) .

^{١٣} — كذا في المطبوع ، ولعلها : (عقيدة) .

^{١٤} — معاني القرآن : (٣ / ١٦٢) .

^{١٥} — الوسيط : (٣ / ٣٠) .

^{١٦} — حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٤٦٥) .

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴿١﴾ ، وزاد في رواية أخرى : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ ﴿٢﴾ .

وعنه _ رضي الله عنه _ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ _ قَالَ : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ قال : نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَيُقَالُ : لَهُ مِنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ _ ﷺ _ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ ﴿٣﴾ .

القول الثالث : ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ : وقت سؤاله في قبره ، ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ : هو يوم القيامة عند العرض ، وهو قول أبي هريرة^٤ ، والبراء بن عازب^٥ ، والربيع^٦ ، وابن زيد^٧ ، والخازن^٨ . قال الخازن : ﴿ وهذا القول واضح ، ويدل عليه ما روي عن البراء بن عازب ... ﴾^٩ . وقال ابن عطية معللاً كون السؤال في القبر يعد من الحياة الدنيا : ﴿ ووجه القول لأن ذلك _ أي : السؤال في القبر _ في مدة وجود الدنيا ﴾^{١٠} .

ورد أبو حيان الاستدلال بالحديث في هذين القولين فقال : ﴿ وما صح عن الرسول _ ﷺ _ في حديث البراء من تلاوته عند إبعاد المؤمن في قبره وسئل وشهد شهادة الإخلاص قوله تعالى ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية ، لا يظهر منه يعني أن الحياة الدنيا هي حياة الإنسان ، وأن الآخرة في القبر ، ولا أن الحياة الدنيا هي في القبر ، وأن الآخرة هي يوم القيامة ، بل اللفظ محتمل ﴾^{١١} .

^١ _ أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ما جاء في عذاب القبر ، (٥ / ١٦٠) ، ح (١٢٨٠) .

^٢ _ أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ما جاء في عذاب القبر ، (٥ / ١٦٠) ، ح (١٢٨٠) .

^٣ _ أخرجه مسلم ، في صحيحه ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ، (١٤ / ٣٣) ، ح (٥١١٧) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٩٦) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٥٨٩ - ٥٩١) ، والدر المنثور : (٥ / ٢٨) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٦ / ٦٠٠) .

^٧ _ ينظر : المرجع السابق : (١٦ / ٦٠١) .

^٨ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١١٤) .

^٩ _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١١٤) .

^{١٠} _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٣٧) .

^{١١} _ البحر المحيط : (٥ / ٤١٢) .

القول الرابع: أن التثبيت في الدنيا : الفتح والنصر ، وفي الآخرة : الجنة والثواب^١ .

قال الألويسي راداً على هذا القول : ((ومن الناس من زعم أن التثبيت في الدنيا : الفتح والنصر ، وفي الآخرة : الجنة والثواب ، لا يخفى أن هذا مما لا يكاد يقال))^٢ .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو ما ذهب إليه الجمهور من أن الثبات في الدنيا : هو الثبات على الإيمان مدة حياتهم ، والثبات في الآخرة : هو الثبات في القبر ؛ وذلك لما يلي :

١ _ ورود الحديث في ذلك ، وإذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره^٣ .
قال الطبري : ((والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ _ في ذلك ، وهو أن معناه : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ _ ، ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ . بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا ، وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ _ .))^٤ .

٢ _ اعتبار سبب التزول ، وإذا صح سبب التزول الصريح فهو مرجح لما وافقه^٥ .

٣ _ أنه قول الجمهور ، وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^٦ .



^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤١٢) .

^٢ _ روح المعاني : (١٣ / ٢١٧) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٩١) .

^٤ _ جامع البيان : (١٦ / ٦٠٢) .

^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٤١) .

^٦ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٧١) .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ . [٢٨] .

٤٨ / ٩ _ المراد بـ ﴿ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بهم عامة المشركين ؛ حيث قال : ((والذين بدلوا ظاهره أنه عام في جميع المشركين))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بهم عامة المشركين ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن الحسن^٢ .
القول الثاني : أن المراد كفار أهل مكة ، وهو مروى عن علي^٣ ، وابن عباس^٤ ، ومجاهد^٥ ، وسعيد بن جبير ، والضحاك^٦ ، وهو قول الزمخشري^٧ ، وابن عطية^٨ ، والرازي^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، وابن جزي^{١٢} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤١٣ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٠١ / ٢) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٣٦٢ / ٤) ، والجامع لأحكام القرآن : (٣٦٥ / ٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤١٣) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٨ / ١٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٤٧ / ٧) ، والدر المنثور : (٤٢ - ٤١ / ١٣) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٨ - ٩ / ١٧) ، والدر المنثور : (٤٢ - ٤١ / ١٣) ، وصحيح البخاري ، تفسير سورة إبراهيم ، باب : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ ، (٣٧٨ / ٨) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (٨ / ١٧) .

^٦ _ ينظر : المرجع السابق : (٩ / ١٧) .

^٧ _ ينظر : الكشاف : (٣٨٠ / ٣) .

^٨ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٣٧ / ٣) .

^٩ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٢٥ / ١٠) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٣٦٤ / ٩) .

^{١١} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٦٢ / ١) .

^{١٢} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٥٨ / ٢) .

وابن كثير^١ ، والثعالبي^٢ ، والسيوطي^٣ ، والسعدي^٤ ، والألوسي^٥ ، والطاهر بن عاشور^٦ ، وإليه ذهب جمهور المفسرين^٧ .

وعلل ابن عطية لهذا القول بأن هذا ما اشتهر من حال كفار قريش ، فقال : « (والمراد بـ ﴿ الَّذِينَ ﴾ كفرة قريش جملة _ هذا بحسب ما اشتهر من حالهم _ وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين) »^٨ .

واستدل الطاهر بن عاشور بأنهم أهل مكة بقرينة قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ ﴾ فقال : « (والذين بدلوا هذا التبدل فريق معروفون ، بقرينة قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ ﴾ ، وهم الذين تلقوا الكلمة الخبيثة من الشيطان ، أي كلمة الشرك ، وهم الذين استكبروا من مشركي أهل مكة فكابروا دعوة الإسلام وكذبوا النبي ﷺ _ وشردوا من استطاعوا ، وتسببوا في إحلال قومهم دار البوار ..) »^٩ .

القول الثالث : أنهم بنوا أمية ، وبنوا المغيرة ، وهو مروى عن عمر بن الخطاب^{١٠} ، وعلي بن أبي طالب _ رضي الله عنهما^{١١} ، ومقاتل^{١٢} .

^١ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٣٨) .

^٢ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ١٩٧) .

^٣ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٣) .

^٤ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٩٦) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٣٦٤) .

^٦ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٢٨) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٤٨) .

^٨ _ المحرر الوجيز : (٩ / ٨٥) .

^٩ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٢٨) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٥ - ٦) ، والدر المنثور : (١٣ / ٤١) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٥ - ٦) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٤٧) ، والدر المنثور : (١٣ / ٤١) .

^{١٢} _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٣٤) .

ورد الطاهر بن عاشور هذا القول فقال : ((وما يروون عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه _ ، وعن علي رضي الله عنه _ كرم الله وجهه _ أن ﴿ الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ هم الأفجران من قريش : بُنُو أمية وبنو المغيرة بن مخزوم ، قال : فأما بنو أمية فمُتَّعُوا إلى حين وأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر . فلا أحسبه إلا من وضع بعض المغرضين المضادين لبني أمية))^١ .

القول الرابع : أنهم المشركون يوم بدر ، وهو مروى عن علي^٢ ، وابن عمر^٣ ، وابن عباس^٤ ، وسعيد بن جبيرة^٥ ، وقتادة^٦ ، وابن زيد^٧ .

القول الخامس : أنهم منافقوا قريش ، وهو مروى عن علي رضي الله عنه _^٨ .

قال أبو حيان : ((أنعم عليهم بإظهار علم الإسلام بأن صان دماءهم وأموالهم وذريتهم ، ثم عادوا إلى الكفر))^٩ .

القول السادس : أنه جبلة بن الأيهم^{١٠} ، وهو قول ابن عباس _ رضي الله عنهما _^{١١} .

^١ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٢٨) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦) ، و الدر المنثور : (٥ / ٤١ - ٤٢) .

^٣ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ٤٢) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٨) ، و الدر المنثور : (٥ / ٤٢) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٠) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٠) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٧) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤١٣) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٢ / ٥٣٨) .

^٩ _ البحر المحيط : (٥ / ٤١٣) .

^{١٠} _ جبلة بن الأيهم الغساني ، أبو المنذر ، أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم _ ، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه _ ارتد ، ولحق بالروم ، ثم ندم على رده . ينظر : سير أعلام النبلاء : (٣ / ٥٣٢) ، و المنتظم : (٥ / ٢٥٦ - ٢٦٠) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٠) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٤٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤١٣) ، و الدر المنثور : (١٣ / ٤٢ - ٤٣) .

وذكر الماوردي قصة جبلة فقال : ((حين لطم ، فجعل له عمر بن الخطاب _ ﷺ _ القصاص
بمثلها ، فلم يرض وأنف ، فارتد متنصراً ولحق بالروم في جماعة من قومه .. ولما صار إلى بلاد الروم
ندم وقال :

تنصرت الأشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكفني منها لجأج ونخوة وبعث لها العين الصحيحة بالعمور
فيا ليتني أرعى المخاض ببلدتي ولم أنكر القول الذي قاله عمر^١ .
ووجه أبو حيان هذا القول بقوله : ((ولا يريد _ أي : ابن عباس _ أنها نزلت فيه ؛ لأن نزول
الآية قبل قصته ، وقصته كانت في خلافة عمر ، وإنما يريد ابن عباس أنها تخص من فعل فعل جبلة إلى
يوم القيامة))^٢ .

الترجيح :

مما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ هو القول الثاني ، وهو أن المراد كفار
قريش من أهل مكة ؛ ويؤيد ذلك ما يلي :

١ _ أنه قول مدعم بقريظة قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ ﴾ ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق
مرجح على ما خالفه^٣ .

٢ _ أنه قول جمهور المفسرين ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ
أبعد^٤ .

إلا أن معنى الآية يشمل كل الكفار .

قال ابن كثير _ رحمه الله _ : ((والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول _ يريد أنهم
كفار أهل مكة _ وإن كان المعنى يعم جميع الكفار ، فإن الله تعالى بعث محمداً _ ﷺ _ رحمة للعالمين
ونعمة للناس ، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ، ومن ردّها وكفر دخل النار))^٥ .

^١ _ النكت والعيون : (٣ / ١٣٦) ، وينظر : الأغاني : (١٥ / ١٦٢) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٦٤ - ٣٦٥) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤١٣) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٩٩) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٨٨) .

^٥ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٣٨) .

أما الأقوال الأخرى فهي من باب التمثيل على جزء من أفراد الذين كفروا من كفار مكة ، فهي من باب اختلاف التنوع ، أو ما يسمى باختلاف التمثيل^١ .



^١ _ ينظر : التفسير اللغوي : (٢٢٢) .

قال الله تعالى ﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِن سِ
الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٤٩ / ١٠ _ المسألة الأولى : المراد بقوله تعالى ﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن المراد تفرق النعم في البشر فيحسب هذا الجميع أوتوا
النعم ، فقال : «﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ والخطاب للجنس من البشر ، أي : إن
الإنسان قد أوتي من كل ما شأنه أن يسأل وينتفع به ، ولا يطرد هذا في كل واحد من الناس ، وإنما
تفرقت هذه النعم في البشر ، فيقال : بحسب هذا الجميع أوتيتم كذا على جهة التقرير للنعمة»^١ .
الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بقوله تعالى ﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد تفرق النعم في البشر فيحسب هذا الجميع أوتوا النعم ، وهو ما رجحه أبو
حيان موافقاً ابن عطية^٢ ، والثعالبي^٣ ، وهو قول بعض نحوي أهل البصرة^٤ .
القول الثاني : أن المعنى : من كل الذي سألتموه ، قاله مجاهد^٥ ، والحسن^٦ ، وعكرمة^٧ ، وهو قول
الزجاج^٨ ، وجوزه الواحدي^٩ ، وهو قول ابن كثير^{١٠} ، والسعدي^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٤١٦ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الحرر الوجيز : (٣ / ٣٤٠) .

^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ١٩٨) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٤) .

^٥ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٣٥) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٥) ، والدر المنثور : (٥ / ٤٤) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٥) ، والدر المنثور : (٥ / ٤٤) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٤٩) ، والدر المنثور : (٥ / ٤٣) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٦٣) .

^٩ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٢) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٠) .

^{١١} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٩٧ - ٨٩٨) .

قال النحاس _ رحمه الله _ : ((وهذا قول حسن يذهب إلى أنهم قد أعطوا مما لم يسألوه ، وذلك معروف في اللغة أن يقال : امض إلى فلان فإنه يعطيك كل ما سألت وإن كان يعطيه غير ما سأل))^١ وقال الزجاج _ رحمه الله _ : ((فإن قال قائل : فقد أعطى العباد ما لم يسألوا ؟ . قيل له : ذلك غير ناقض هذه الآية ، إذا قال : (وآتاكم من كل الذي سألتموه) لم يوجب هذا أن يكون لم يعطهم غير ما سألوه ، ويجوز أن يكون ﴿ مَا ﴾ نفيًا ، ويكون المعنى : وآتاكم من كل ما لم تسألوه ، أي : آتاكم كل الشيء الذي لم تسألوه))^٢ .

القول الثالث : من كل ما سألتموه ، لو سألتموه ، قاله الفراء^٣ .

قال الفراء _ رحمه الله _ : ((كأنك قلت : وآتاكم كل سؤالكم ، ألا ترى أنك تقول للرجل لم يسأل شيئًا : والله لأعطينك سؤالك : ما بلغته مسألتك وإن لم تسأل))^٤ .

القول الرابع : وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم عليكم من كل شيء سألتموه شيئًا ، فأضمر الشيء ، أو حذف الشيء الثاني اكتفاء بما التي أضيفت إليها كل ، وإنما جاز حذفه ؛ لأن من تبعض ما بعدها ، فكفت بدلالتها على التبعض من المفعول ، فلذلك جاز حذفه ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٢٣] أي : من كل شيء في زمانها شيئًا ، وهو قول الطبري^٥ ، والواحدي^٦ ، والبغوي^٧ ، والزمخشري^٨ ، والرازي^٩ ، والنسفي^{١٠} ،

^١ _ معاني القرآن : (٣ / ٥٣٣) .

^٢ _ معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ١٦٣) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٧٨) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٤) ، و زاد المسير : (٤ / ٣٦٤) .

^٤ _ معاني القرآن : (٢ / ٧٨) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٤) .

^٦ - ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٢) .

^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٥٣) .

^٨ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٢) .

^٩ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٣١) .

^{١٠} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٣) .

و الأحنف^١ ، والخازن^٢ ، وأبي السعود^٣ ، والطاهر بن عاشور^٤ .

القول الخامس : من كل ما سألتموه وما لم تسألوه ؛ لأنكم لم تسألوا شمساً ولا قمرًا ولا كثيراً من النعم التي ابتدأكم بها ، فاكتفى بالأول من الثاني ، كقوله ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ أَحْرًا ﴾ [النحل : ٨١] ، قاله ابن الأنباري^٥ ، والمراغي^٦ .

القول السادس : على قراءة ابن عباس ، والحسن ، والضحاك ، ويعقوب^٧ : (من كل ما) بالتنوين من غير إضافة ، فالمعنى : آتاكم من كل ما لم تسألوه ، قاله قتادة^٨ ، والضحاك^٩ . وجوزه النحاس على بعد فقال : ((وفي الآية قول آخر وهو أنه لما قال جل وعز وآتاكم من كل ما سألتموه لم ينف غير هذا ، على أن الضحاك قد قرأ (وآتاكم من كل ما سألتموه) وقد رويت هذه القراءة عن الحسن أيضاً ، وفسره الضحاك وفتادة على النفي ، وقال الحسن أي من كل الذي سألتموه بمعنى وآتاكم من كل الأشياء التي سألتم . قال أبو جعفر : وقول الحسن أولى ، والآخر يجوز على بعد ، وبعده أنه بالواو أحسن عطفًا ، بمعنى وما سألتموه إلا أنه يجوز على بعد))^{١٠} . وبين الشهاب أن هذا القول مرجوح ، حيث قال : ((لأنه خلاف الظاهر ، ووجهه أنها تخالف القراءة الأولى ، والأصل توافق القراءتين ، وإن فهم منها إيتاء ما سألتموه بطريق الأولى))^{١١} . ورد الطبري هذا القول فقال : ((والصواب من القول في ذلك عندنا ، القراءة التي عليها قرأ الأمصار ، وذلك إضافة (كل) إلى (ما) بمعنى : وآتاكم من سؤلكم شيئاً . على ما قد بينا قبل ، لإجماع الحجة من القراء عليها ولرفضهم القراءة الأخرى))^{١٢} .

^١ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٠٠) .

^٢ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١١٩) .

^٣ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٤٨) .

^٤ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٣٦) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٥) ، و الوسيط : (٣ / ٣٢) ، و زاد المسير : (٤ / ٣٦٤ _ ٣٦٥) .

^٦ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٥٧) .

^٧ _ وهذه القراءة شاذة . ينظر : المحتسب : (١ / ٣٦٣) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦) .

^٩ _ ينظر : المرجع السابق : (١٧ / ١٥) .

^{١٠} _ معاني القرآن : (٣ / ٥٣٤) .

^{١١} _ حاشية الشهاب : (٥ / ٤٧١) .

^{١٢} _ جامع البيان : (١٧ / ١٦) .

الترجيح :

بعد استعراض ما ورد عن المفسرين يظهر أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — صحة حمل الآية على المعنيين الأول والرابع ، فالقول الأول ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان ، ومن معه ، وهو أن المراد تفرق النعم في البشر فيحسب هذا يكون الجميع أوتوا النعم ، والقول الرابع ، وهو ما ذهب إليه الطبري ، ومن معه ، وهو أنه أعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم عليكم من كل شيء سألتموه شيئاً ؛ ويؤيد ما سبق القاعدة الترجيحية التي تنص على أنه : ((إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها))^١ .

وجمع البيضاوي بينهما فقال : ((أي : بعض جميع ما سألتموه ، يعني من كل شيء سألتموه شيئاً فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى))^٢ .

وقال الشهاب : ((والمراد الامتنان ، وبيان أن في القدرة ما هو أكثر مما أنعم به فهو بعض من كل ، وقليل من كثير ، فما قيل إنه ليس فيه كثير معنى ، وهم))^٣ .

وقال القونوي معقّباً على قول البيضاوي : ((فأشار إلى أن ههنا عمومين مقصودين بالإفادة ، الأول : عموم الأفراد ، بمعنى المجموع كما قال أولاً : بعض جميع ما سألتموه ، والثاني : عموم الأصناف ، بمعنى كل صنف وقد أشار إليه بقوله : كل صنف ، فالمعنى : من جميع أفراد كل صنف سألتموه شيئاً من ذلك الجميع ، وبين وجهه بقوله : فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى))^٤ .



^١ — التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

^٢ — أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٥٠) .

^٣ — حاشية الشهاب : (٥ / ٤٧١) .

^٤ — حاشية القونوي : (١١ / ٧٧) .

٥٠ / ١١ _ المسألة الثانية : المراد بالنعمة :

رجح أبو حيان أن المراد بالنعمة : عموم النعم ؛ حيث قال : ((والذي يظهر أن النعمة هو المنعم به ، وأنه هو اسم جنس لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع ، كأنه قيل : وإن تعدوا نعمة الله ، ومعنى لا تحصوها : لا تحصروها ولا تطبقوا عدها ، هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال . وأما التفصيل فلا يقدر عليه ، ولا يعلمه إلا الله))^١ .

وقال في سورة النحل : ((والنعمة يراد بها النعم لا نعمة واحدة يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا ﴾ ، وقوله ﴿ لَا تُحْصَوْهَا ﴾ ؛ إذ ينتفي العد والإحصاء في الواحدة ، والمعنى : لا تحصوا عدها ؛ لأنها لكثرتها خرجت عن إحصائكم لها ، وانتفاء إحصائها يقتضي انتفاء القيام بحققها من الشكر))^٢ .

الدراسة والموازنة :

القول الأول : أن المراد عموم نعم الله تعالى ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول البغوي^٣ ، وابن عطية^٤ ، والقرطبي^٥ ، والبيضاوي^٦ ، ووافقه السمين الحلبي^٧ ، والألوسي^٨ ، والشنقيطي^٩ .
واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ سياق الآية الآتي : وهو قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا ﴾ ، وقوله ﴿ لَا تُحْصَوْهَا ﴾ ؛ إذ ينتفي العد والإحصاء في الواحدة^{١٠} .

٢ _ تؤيده اللغة ؛ وذلك أن المفرد المضاف من صيغ العموم^١ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤١٧) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٠٢) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٨) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٥٤) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٨٥) .

^٥ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٦٧) .

^٦ _ ينظر : تفسير البيضاوي : (٣ / ٣٥٠) .

^٧ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١١٠) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ٢٢٦) .

^٩ _ ينظر : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٥٣) .

^{١٠} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤١٧) ، والنهر الماد : (٢ / ٢٠٢) .

^١ _ ينظر : الإتيان في علوم القرآن : (٣ / ٤٣ - ٤٤) ، ومباحث في علوم القرآن : (٢٢٣ - ٢٢٤) ،

شرح الكوكب المنير : (٣ / ١١٩ - ١٥٣) ، والفتية والمتفقه : (١ / ٢٢٤) ، والحصول : (٢ / ٣١١ -

(٣١٣) .

قال البيضاوي : ((**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا**)) لا تحصروها ولا تطبقوا عد أنواعها فضلا عن إفرادها ، فإنها غير متناهية ، وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة))^١ .
وقال الشنقيطي : ((وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن المفرد إذا كان اسم جنس وأضيف إلى معرفة أنه يعم كما تقرر في الأصول ؛ لأن « نعمة الله » مفرد أضيف إلى معرفة فعم النعم))^٢ .
قال الشهاب : ((أورد عليه أن الاستغراق ليس مأخوذاً من الإضافة بل من الحكم بعدم العد والإحصاء ، وفيه نظر ؛ لأن الحكم المذكور يقتضي صحة إرادته منه ولولاه تنافيا))^٣ .
القول الثاني : أن المراد : إنعامه ، وهو قول الواحدي^٤ ، والبقاعي^٥ ، والسيوطي^٦ .
قال الواحدي : ((**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ**)) أي : إنعامه ، والنعمة ههنا اسم أقيم مقام المصدر ؛ ولذلك لم يجمع))^٧ .

قال البقاعي : ((**وَإِنْ تَعُدُّوا**)) أيها الناس كلكم **نِعْمَتَ اللَّهِ**)) أي تروموا عد إنعام الملك الأعلى الذي له الكمال المطلق أو تأخذوا في عدّه ، وعبر عنه بالنعمة إرشاداً إلى الاستدلال بالأثر على المؤثر **لَا تَحْصُوهَا**)) أي لا تحيطوا بها ولا تعرفوا عد الحصى المقابلة لها إن عدتموها بما كما كانت عادة العرب ، أو لا تجدوا من الحصى ما يوفي بعددها ، هذا في النعمة الواحدة فكيف بما زاد!))^٨ .
ورد الألوسي هذا القول فقال : ((والمعول عليه ما أشرنا إليه من أنها اسم جنس بمعنى المنعم به ، والمراد بها الجمع ، كأنه قيل : وإن تعدوا نعم الله لا تحصوها))^٩ .

^١ _ تفسير البيضاوي : (٣ / ٣٥٠) .

^٢ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٥٣) .

^٣ _ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٤٧٢) .

^٤ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٢ - ٣٣) ، والوجيز : (١ / ٥٨٤) .

^٥ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٨٤) .

^٦ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٤) .

^٧ _ الوسيط : (٣ / ٣٢ - ٣٣) .

^٨ _ نظم الدرر : (٤ / ٣٨٤) .

^٩ _ روح المعاني : (١٣ / ٢٢٦) .

القول الثالث : أن المراد أفراد النعمة الواحدة . ذكره الشهاب فقال : ((وقال بعض الفضلاء : المعنى : إن تشرعوا في عد أفراد نعمة من نعمه تعالى لاتطبقوا عددا ، وإنما أتى بيان ، وعدم العد مقطوع به نظراً إلى توهم أنه يطاق ، وفيه مخالفة لكلام المصنف _ يريد البيضاوي _ رحمه الله تعالى ، وهو أدق منه ؛ إذ فيه إشارة إلى أن النعمة الواحدة لا يمكن عد تفصيلها فتدبر))^١ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد عموم نعم الله تعالى ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أنه قول يؤيده السياق الآتي للآية كما تقدم ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٢ ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية^٣ .

٢ _ أنه قول تؤيده اللغة ، وهو أن المفرد المضاف يفيد العموم ، كما تقدم .

^١ _ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٤٧٢ / ٥) .

^٢ _ قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي ١ / ١٢٥ .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٩٩) .

قال الله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [٣٧] .

في الآية الكريمة ثلاث مسائل :

٥١ / ١٢ _ المسألة الأولى : هل البيت كان موجوداً قبل دعاء إبراهيم أم لا ؟ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن البيت كان موجوداً حيث قال : ((والظاهر أن قوله : ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ يقتضي وجود البيت حالة الدعاء وسبقه قبله))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في هل البيت كان موجوداً قبل دعاء إبراهيم أم لا ؟ أقوال :

القول الأول : أن البيت كان موجوداً ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول القرطبي^٢ ، ووافقهما السيوطي^٣ ، والألوسي^٤ .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : ((وسماه عليه السلام بيتاً باعتبار ما كان فإنه كان مبنياً قبل))^٥ .

القول الثاني : أنه لم يكن موجوداً ، وأن الله أعلم إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ أنه سيبني هنالك بيت له تعالى^٦ ، وبه قال الواحدي^٧ .

قال الواحدي _ رحمه الله _ : ((والمعنى : عند بيتك الحرم الذي يحدث في هذا الوادي ؛ لأن إسكان الخليل إسماعيل مكة كان قبل بنائهما البيت))^٨ .

وقال البيضاوي _ رحمه الله _ : ((ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان سيؤول إليه))^٩ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٠ - ٤٢١) .

^٢ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٧١) .

^٣ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٤) .

^٤ _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ٢٣٦) .

^٥ _ روح المعاني : (١٣ / ٢٣٦) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٦٦) ، والمحرر الوجيز : (٩ / ٩٢) .

^٧ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٤) .

^٨ _ الوسيط : (٣ / ٣٤) .

^٩ _ تفسير البيضاوي : (٣ / ٣٥١) .

وقال القونوي _ رحمه الله _ : ((أي : على القول بأن أول من بنى البيت إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _))^١ .

القول الثالث : أن هذا الدعاء كان بعد بناء البيت ، وهذا قول أبي سليمان الدمشقي^٢ ، وابن كثير^٣ ، والنيسابوري^٤ .

قال ابن الجوزي _ رحمه الله _ : ((كان أبو سليمان الدمشقي يقول : ظاهر الكلام يدل على أن هذا الدعاء إنما كان بعد أن بني البيت وصارت مكة بلداً))^٥ .

وقال ابن كثير _ رحمه الله _ : ((وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عند ما ولى عن هاجر وولدها ، وذلك قبل بناء البيت ، وهذا كان بعد بنائه تأكيداً ورغبة إلى الله ﷻ ؛ ولهذا قال ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾))^٦ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثالث ، وهو أن دعاء إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ كان بعد بنائه للبيت ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أنه ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل^٧ .

وقال ابن كثير _ رحمه الله _ : ((فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدئاً وأول من أسسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك معتنى بها مشرفة في سائر الأعصار والأوقات قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٩٦]))^٨ .

^١ _ حاشية القونوي : (١١ / ٨٤) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٦٦) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤١) .

^٤ _ تفسير النيسابوري : (٤ / ٤٦٦) .

والنيسابوري هو : الحسن بن محمد بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم بن الخليلي المصري الشيخ الأصيل الدين ابن نظام الدين ، مفسر ، مات سنة ٧٢٠ هـ . ينظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : (٢ / ١٤٣) ، وبغية الوعاة : (١ / ٥٢٥) .

^٥ _ زاد المسير : (٤ / ٣٦٦) .

^٦ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤١) .

^٧ _ ينظر قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

^٨ _ البداية والنهاية : (٢ / ٣٦٥) .

٢ _ أن في قوله تعالى ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة آل عمران : ٩٧] دلالة ظاهرة أنه من بناء إبراهيم الخليل _ عليه الصلاة والسلام _^١ .
قال ابن كثير _ رحمه الله _ : « وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام »^٢ .



^١ _ ينظر : البلد الحرام فضائل وأحكام : (١٨) .

^٢ _ البداية والنهاية : (٢ / ٣٠٢) .

٥٢ / ١٣ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ أَفئدة ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالأفئدة : القلوب ، حيث قال : ((و ﴿ أَفئدة ﴾ جمع فؤاد ، وهي القلوب ، سمي القلب فؤاداً لإنفاده مأخوذ من فؤد ، ومنه المفتاد : وهو مستوقد النار حيث يشوى اللحم))^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ أَفئدة ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بالأفئدة : القلوب ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن جرير^٢ ، وابن عطية^٣ ، والقرطبي^٤ ، ووافقه السيوطي^٥ ، والشوكاني^٦ ، والمراغي^٧ ، وهو قول عامة المفسرين^٨ . قال الشوكاني : ((الأفئدة جمع فؤاد ، وهو القلب ، عبر به عن جميع البدن ؛ لأنه أشرف عضو فيه))^٩ .

واستدلوا بقول امرؤ القيس :

رمتني بسهم أصاب الفؤاد غداة الرحيل فلم أنتصر^{١٠}

القول الثاني : أن الأفئدة : القطع من الناس بلغة قريش ، وإليه ذهب ابن بحر^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢١) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٤١) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٧٣) .

^٥ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٤) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٥٣) .

^٧ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٦٠) .

^٨ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١١٢) ، واللباب : (١١ / ٣٩٧) .

^٩ _ فتح القدير : (٤ / ١٥٣) .

^{١٠} _ ديوان امرؤ القيس : (١ / ٥٧) ، وينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٦٧) .

^{١١} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢١) .

القول الثالث : على قراءة هشام (أفئدة) بياء بعد الهمزة ، فهو من الوفود^١ ، وهو في قراءة أم الهيثم^٢ (أفودة) بالواو المكسورة بدل الهمز .
وعليه فالأفئدة : جمع وفد ، والأصل أفودة ، فقدمت الفاء وقلبت الواو ياء كما هي ، فكأنه قال : فاجعل وفوداً من الأمم تهوي إليهم^٣ .
قال صاحب اللوامح : ((وهو جمع وفد ، والقراءة حسنة لكني لا أعرف هذه المرأة بل ذكرها أبو حاتم))^٤ .

القول الرابع : المراد الإفادة ؛ لأن زيد بن علي قرأ (إفادة) على وزن إشارة^٥ .
قال أبو حيان : ((ويظهر أن الهمزة بدل من الواو المكسورة ، كما قالوا : إشاح في وشاح ، فالوزن فعالة ، أي : فاجعل ذوي وفادة ، ويجوز أن يكون مصدر أفاد إفادة ، أو ذوي إفادة وهم الناس الذين يفيدون وينتفع بهم))^٦ .

الترجيح :

مما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان ، وهو أن المراد بالأفئدة : القلوب ؛ على قراءة (أفئدة) ، وكذلك القول الثالث ، وهو أنه يراد بها الوفود على قراءة (أفئدة) ؛ وذلك لما يلي :
١ _ أن كليهما قراءة سبعية^٧ ، وإذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها ، أو رد معناها^٨ .

^١ _ ينظر : النشر في القراءات العشر : (٢ / ٢٩٩) .

^٢ _ قال أبو حيان : ((وأم الهيثم : امرأة نقل عنها شيء من لغات العرب)) . البحر المحيط : (٥ / ٤٢١) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢١) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٣٨) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٧٣) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢١) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢١) ، والدر المصون : (٧ / ١١٣) ، واللباب : (١١ / ٣٩٧) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢١) .

^٧ _ ينظر : النشر في القراءات العشر : (٢ / ٢٩٩ - ٣٠٠) .

^٨ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٨٩) .

قال ابن تيمية _ رحمه الله _ : « فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق ، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمتزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها ، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً »^١ .

٢ _ ويؤيد القول الأول اللغة ، فإن الفؤاد : القلب ، لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد ، أي : التوقد^٢ .



^١ _ مجموع الفتاوى : (١٣ / ٣٩١) .

^٢ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٦٤٦) ، ولسان العرب : (٣ / ٣٢٩) ، والقاموس المحيط : (٣٠٥) .

٥٣ / ١٤ _ المسألة الثالثة : المراد بـ ﴿ تَهَوَّى ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد : الإسراع شوقاً ونزاعاً ، فقال : « وقرأ الجمهور ﴿ تَهَوَّى إِلَيْهِمْ ﴾ أي : تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً ، ولما ضمن تهوي معنى تميل عداه بـ (إلى) ، وأصله أن يتعدى باللام »^١ .

وقال في النهر الماد : « وأصل الهوي أن يكون من علو »^٢ .

الدراسة والموازنة :

في قوله تعالى ﴿ تَهَوَّى ﴾ ثلاث قراءات :

القراءة الأولى : ﴿ تَهَوَّى ﴾ بكسر الواو ، ولا قول بزيادة (إلى) على هذه القراءة ، ثم اختلفوا في معنى ﴿ تَهَوَّى ﴾ على أقوال :

القول الأول : الإسراع شوقاً ونزاعاً ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الواحدي^٣ ، والزخشري^٤ ، وابن عطية^٥ ، والبيضاوي^٦ ، والنسفي^٧ ، ووافقه السمين الحلبي^٨ ، وابن جزري^٩ ، وابن عادل^{١٠} ، والبقاعي^{١١} ، وأبو السعود^{١٢} ، والطاهر بن عاشور^{١٣} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢١) .

^٢ _ النهر الماد : (٢ / ٢٠٤) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٤) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٥) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٤٢) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٥٢) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٤) .

^٨ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١١٥) .

^٩ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٥٩) .

^{١٠} _ ينظر : اللباب : (١١ / ٣٩٨) .

^{١١} _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٨٧) .

^{١٢} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٢) .

^{١٣} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٢) .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن قراءة الجمهور ﴿ تَهَوَّى ﴾ بكسر الواو ، وماضيه هوى ، ومصدره الهوى ^١ ؛ فهي القراءة المختارة^٢.

٢ _ أنه معنى تقره اللغة : يقال : هوي نحوه إذا مال ، وهوت الناقة تهوى هُوباً فهي هاوية إذا عدت عدواً شديداً كأنها في هواء بئر^٣ .

٣ _ تأكيده بحرف الجر (إلى) الذي يفيد الغاية .

قال البقاعي _ رحمه الله _ : « ﴿ تَهَوَّى ﴾ أي تقصدهم فتسرع نحوهم برغبة وشوق ، إسراع من يتزل من حالق ؛ وزاد المعنى وضوحاً وأكدته بحرف الغاية الدال على بعد ؛ لأن الشيء كلما بعد مدى مرماه اشتد وقعه فقال : ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾^٤ .

القول الثاني : أنه بمعنى تزل وتنحط وتنحدر إليهم ؛ لأن مكة في واد والقاصد إليها نازل إليها ، وهو قول ابن الأنباري^٥ .

القول الثالث : ترتفع إليهم ؛ لأن ما في القلوب بخروجه منها كالمرتفع عنها^٦ . وهو قول الزجاج^٧ ، ورده محقق كتاب معاني القرآن وإعرابه وعده سهواً ؛ إذ هوى : سقط ووقع^٨ .

القول الرابع : تحن وتشتاق إليهم ، وهو مروى عن ابن عباس^٩ ، وهو قول السمرقندي^{١٠} ، والبغوي^{١١} ، والحازن^{١٢} ، والسيوطي^{١٣} .

^١ _ ينظر : المحتسب : (١ / ٣٦٤) ، وإملاء ما من به الرحمن : (٣٦٥) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن ، للزجاج : (٣ / ١٦٥) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٧٣) .

^٤ _ نظم الدرر : (٤ / ٣٨٧) .

^٥ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٣٨) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٦٩) .

^٦ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٣٩) .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ١٦٥) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ١٦٥) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٦٧) .

^{١٠} _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٣٦) .

^{١١} _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٥٧) .

^{١٢} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٢٢) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٤) .

القول الخامس : تترع إليهم ، وهو مروى عن قتادة^١ ، وهو قول الطبري^٢ ، والزجاج^٣ ، والقرطبي^٤ ، والشوكاني^٥ .

القول السادس : تريدهم ، كقولك : رأيت فلاناً يهوي نحوك أي : يريدك ، وهو قول الفراء^٦ .

القول السابع : تحبهم وتحب الموضوع الذي هم ساكنون فيه ، قال به السعدي^٧ .

القراءة الثانية : (تُهوى) بضم التاء مبنياً للمفعول ، من أهوى المنقولة بجمزة التعديّة ، من هَوَىّ اللازمة ، كأنه قيل : يسرع بها إليهم^٨ .

وهي قريبة في المعنى من القراءة الأولى ، إلا أنها قراءة شاذة^٩ .

القراءة الثالثة : (هَوَى) بفتح الواو وبالألف بعدها ، وماضيه هَوَى يَهْوَى هَوَىً ، بمعنى أحب ،

ولما ضمن معنى التروع والميل عدي بـ (إلى)^{١٠} ، وعليها فـ (إلى) أصلية وليست زائدة ،

أو (هَوَى إليهم) بمعنى : قهواهم ، وعليها فـ (إلى) زائدة كقوله ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ [النمل :

٧٢] ، أي : ردفكم ، و (إلى) توكيد للكلام^{١١} .

إلا أن هذه القراءة شاذة^{١٢} .

^١ _ ينظر : تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني : (٣ / ٣٩٠) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٦) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٦٧ - ٣٦٨) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٦٥) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٧٣) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٥٤) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٧٨) .

^٧ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٩٩) .

^٨ _ وهي قراءة مسلمة بن عبد الله . ينظر : المحتسب : (١ / ٣٦٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) ، والدر المصون : (٧ / ١١٦) .

^٩ _ ينظر : المحتسب : (١ / ٣٦٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) ، والدر المصون : (٧ / ١١٦) .

^{١٠} _ قرأ بها علي بن أبي طالب وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد . ينظر : المحتسب : (١ / ٣٦٤) ، وإملاء ما من به الرحمن : (٣٦٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) .

^{١١} _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٦٨) .

^{١٢} _ ينظر : المحتسب : (١ / ٣٦٤) .

قال أبو البقاء عن هذه القراءة وقراءة الجمهور : « والمعنيان متقاربان ، إلا أن هوى يتعدى بنفسه ، وهَوِي يتعدى بـ (إلى) ، إلا أن القراءة الثانية عدت بـ (إلى) حملاً على تميل »^١ .

الترجيح :

الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن الأقوال متقاربة وبعضها يكمل بعضاً ؛ ويؤيده أن تهوي إليهم في اللغة : ترتفع إليهم ، وتريدهم كما تقول رأيت فلاناً يهوي نحوك معناه يريدك ، و تسرع إليهم^٢ .

قال الشوكاني _ رحمه الله _ : « ومعنى ﴿ تَهَوَّى إِلَيْهِمْ ﴾ : تترع إليهم ، يقال : هوى نحوه : إذا مال ، وهوت الناقة تهوي هويماً فهي هاوية : إذا عدت عدواً شديداً كأنها تهوي في بئر ، ويحتمل أن يكون المعنى : تجيء إليهم أو تسرع إليهم ، والمعنى : متقارب »^٣ .

قالت الدكتورة هيفاء فدا : « والمتبع لمفهوم الفعل ﴿ تَهَوَّى ﴾ في القرآن الكريم لا يجده يخرج عن إطار دلالاته اللغوية : السقوط أو الخلو ، وما يجري مجراها من ميل نفسي وخلافه والفعل هنا في هذه الآية لا ينفك عن معنى الانحطاط والانحدار وما يلزم منهما ؛ فأبو الأنبياء إبراهيم _ عليه السلام _ يدعو الله تعالى في هذا السياق المبتهل الخاشع المتضرع المتذلل لبعض ذريته ، وقد أسكنهم بهذا الوادي المقفر غير ذي زرع عند بيته المحرم ، يدعو أن تهوي إليهم ، أي : تسرع نحوهم وتنحدر إليهم أفئدة من الناس من الجبال والوهاد إلى هذا الوادي الحديد متزاحمة متدافعة مسرعة شوقاً وتحانناً ووداداً ؛ لتزيل الوحشة وتعمر المكان ، وكأن منتهى غاية الأمل والشوق ، ومنتهى حد الرغائب التي تتنامى ولا تكاد تنتهي الوصول إلى هؤلاء الساكنين في هذا الوادي عند بيته المحرم . وهذا هو بعض ما يومئ إليه الحرف (إلى) . وإن شاء المرء المزيد لتدافعت إليه المعاني تدافع الأفئدة إلى هذا المكان »^٤ .



^١ _ إملاء ما من به الرحمن : (٣٦٥) .

^٢ _ ينظر : لسان العرب : (١٥ / ٣٧٤) .

^٣ _ فتح القدير : (٤ / ١٥٤) .

^٤ _ زيادة الحروف بين التأييد والمنع : (٧٥٣) .

قال الله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [٣٨] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٥٤ / ١٥ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بقوله تعالى ﴿ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ ﴾ العموم ، حيث قال _ رحمه الله _ : « ﴿ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ ﴾ عام فيما يخفونه وما يعلنونه »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بقوله تعالى ﴿ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ ﴾ العموم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ، والبغوي^٣ ، والزمخشري^٤ ، والرازي^٥ ، والقرطبي^٦ ، والبيضاوي^٧ ، والنسفي^٨ ، ووافقهم البقاعي^٩ ، أبو السعود^{١٠} ، والشوكاني^{١١} ، والألوسي^{١٢} ، والسعدي^{١٣} .
القول الثاني : ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة ، وما نعلن من البكاء والدعاء^{١٤} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٢ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٠٤ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٢٧ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٥٧) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٦ - ٣٨٧) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٤٠) .

^٦ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٧٥) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٥١) .

^٨ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٤ / ١٢٤) .

^٩ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٨٨) .

^{١٠} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٣) .

^{١١} _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٥٤) .

^{١٢} _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ٢٤٠) .

^{١٣} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٨٩٩) .

^{١٤} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٧) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ١٤٠) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) ، و

تفسير البيضاوي : (٣ / ٣٥١) .

القول الثالث : ما نخفي من كآبة الافتراق ، وما نعلن مما جرى بينه وبين هاجر ، حين قالت له عند الوداع : «إلى من تكلنا ؟ قال : إلى الله أكلكم . قالت : آله أمرك بهذا ، قال : نعم ، قالت : لا نخشى تركتنا إلى كاف»^١ .

القول الرابع : ما نخفي من الوجد بمفارقة إسماعيل ، وما نعلن من الحب له ، وهو مروى عن ابن عباس^٢ .

القول الخامس : ما نخفي من حب إسماعيل وأمه ، وما نعلن : ما نظهر من الجفاء لهما ، وهو مروى عن ابن عباس^٣ .

الترجيح :

مما سبق يتضح أن الراجح _ والله أعلم _ القول الأول ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان ومن معه من القول بالعموم ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أن الوجد من جملة المخفيات فيدخل تحت العموم دخولاً أولاً ، فلا يناسب التخصيص^٤ ، والأصل حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٥ .

٢ _ أنه يفهم ظاهراً من النظم أن التضرع من الأمور المعلنة^٦ .

٣ _ أن ضمير الجماعة في الدعاء يبين أن المراد ليس مجرد علمه تعالى بما يخفى وما يعلن بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه _ عليه الصلاة والسلام _ بقوله على وجه الاعتراض : ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ؛ لما أن علمه تعالى ذاتي فلا يتفاوت بالنسبة إلى _ معلوم دون معلوم^٧ .

^١ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٧) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ١٤٠) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٦٨) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٥٠) ، والدر المنثور : (٥ / ٤٩) .

^٤ _ ينظر : حاشية القونوي : (١١ / ٨٩) .

^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٦ _ ينظر : حاشية القونوي : (١١ / ٨٩) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ١٥٤) ، وروح المعاني : (١٣ / ٢٤٠) .

٤ _ أن سياق الآيات اللاحقة وهي قوله ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ تشير إلى عموم علمه^١ ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب التسليم له^٢ .
أما الأقول الأخرى فهي من باب التمثيل على جزء من أفراد عموم علم الله تعالى ، فهي من باب اختلاف التنوع ، أو ما يسمى باختلاف التمثيل^٣ .



^١ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٨٨) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٩٩) .

^٣ _ ينظر : التفسير اللغوي : (٢٢٢) .

٥٥ / ١٦ _ المسألة الثانية : هل قوله تعالى ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ ﴾ من كلام الله تعالى أم من كلام إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ ؟ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أنها من كلام إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ حيث قال :
« والظاهر أن قوله ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ من كلام إبراهيم ؛
لاكتشاف ما قبله وما بعده بكلام إبراهيم لما ذكر أنه تعالى عمم ما يخفي هو ، ومن كنى عنه ، تم
جميع الأشياء وأنها غير خافية عنه تعالى »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في هل الآية من كلام الله تعالى أم من كلام إبراهيم _ عليه السلام _ ؟ أقوال :

القول الأول : أنها من كلام إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول
الطبري^٢ ، وابن عطية^٣ ، ووافقه البقاعي^٤ ، وأبو السعود^٥ ، والألوسي^٦ ، والظاهر بن عاشور^٧ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أن سياق الآيات السابقة واللاحقة من كلام إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _^٨ .

٢ _ صياغة الآيات والتي تدل على الأدب في الدعاء ومنها :

أ _ المبالغة في النفي ؛ لبيان عموم علم الله ، وزيادة في المدح والثناء .

قال البقاعي _ رحمه الله _ : « ثم أشار إلى عموم علمه فقال : ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي الذي

أحاط بكل شيء قدرة وعلماً . وبالغ في النفي فقال : ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ من ذلك ولا غيره ﴿ فِي

الْأَرْضِ ﴾ ولما كان في سياق المبالغة ، أعاد النافي تأكيداً فقال : ﴿ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ أي فهو غير

محتاج إلى التعريف بالدعاء ، فالدعاء إنما هو لإظهار العبودية ، واسم الجنس شامل لما فوق الواحد ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٧) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٤٢) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٨٨) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٣) .

^٦ _ ينظر : روح المعاني : (١٣ / ٢٤٠) .

^٧ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٣) .

^٨ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) .

ومن فوائد التعبير بالإفراد الدلالة على أن من كان محيطاً بكل ما في المتقابلين من غير أن يحجبه أحدهما عن الآخر ، كان محيطاً بغيرهما كذلك من غير فرق^١ .

ب _ الفائدة في اختيار لفظ ﴿ وَمَا يَخْفَى ﴾ على لفظ (ويعلم) :

قال الألوسي _ رحمه الله _ : « وإنما قال _ عليه السلام _ : ﴿ وَمَا يَخْفَى ﴾ إلى آخره دون أن يقول : ويعلم ما في السموات والأرض تحقيقاً لما عناه بقوله : ﴿ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي ﴾ من أن علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة إلى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة إلى علوم المخلوقات^٢ .

ج _ أسلوب التذييل في الدعاء :

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « وجملة ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ تذييل لجملة ﴿ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِنُ ﴾ ، أي تعلم أحوالنا وتعلم كل شيء ؛ ولكونها تذييلاً أظهر فيها اسم الجلالة ليكون التذييل مستقلاً بنفسه بمتزلة المثل والكلام الجامع^٣ .

القول الثاني : وهو أن الآية من كلام الله تعالى وارد بطريق الاعتراض تصديقاً لإبراهيم _ عليه

الصلاة والسلام _ ، وذلك كقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٤] ، وهو قول الأكثرين^٤ .

وخالف في ذلك الألوسي فذكر بأن الأكثرين على القول الأول^٥ .

الترجيح :

مما سبق يظهر لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل قوله تعالى ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ على القولين فيحتمل أن يكون من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من كلام إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أن كثيراً من المفسرين ذكر القولين ولم يرجح^٦ .

^١ _ نظم الدرر : (٤ / ٣٨٨) .

^٢ _ روح المعاني : (١٣ / ٢٤١) .

^٣ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٣) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) ، وإرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٣) .

^٥ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٥٧) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٢٤) ، واللباب : (١١ /

٤٠١) ، وفتح القدير : (٤ / ١٥٤) .

^٦ _ روح المعاني : (١٣ / ٢٤١) .

- ٢ _ أن كلا المعنيين يدل على سعة علم الله عز وجل .
٣ _ أن (من) على القولين تفيد الاستغراق^٢ .



^١ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٧) .
^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٧) ، وإرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٣) ، وروح المعاني : (١٣ / ٢٤١) .

قال الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [٣٩] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٥٦ / ١٧ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن قوله ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ مطلق دون تعيين لسن معينة حيث قال : « و ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ يدل على مطلق الكبر ، ولم يتعرض لتعيين المدة التي وهب له فيها ولديه »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ أقوال :

القول الأول : أن قوله ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ مطلق دون تعيين لسن معينة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ .

القول الثاني : وهو القول بتعيين عمر إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ عندما وهب له ولداه على أقوال :

أحدها : روي أنه ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة ، وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة ، وهو مروى عن ابن عباس^٣ .

الثاني : قيل : إسماعيل لأربع وستين ، وإسحاق لتسعين^٤ .

الثالث : أنه لم يولد له إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة ، وهو مروى عن ابن جبير^٥ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٢ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٠٥ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٢٧ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : زاد المسير : (٣٦٨ / ٤) ، والبحر المحيط : (٤٢٢ / ٥) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٢٢ / ٥) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (٢٧ / ١٧) ، والبحر المحيط : (٤٢٢ / ٥) ، والدر المنثور : (٤٩ / ٥) .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما ذهب إليه الطبري ، وأبو حيان من الإطلاق وعدم التقييد بسن معينة ؛ وذلك لما يلي :

١ _ لاختلاف الروايات في تحديد سنه _ عليه الصلاة والسلام _ عندما ولد له إسماعيل وإسحاق _ عليهما الصلاة والسلام _ ؛ فالأولى بقاؤه على إطلاقه ، وإذا دار اللفظ بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً فإنه يحمل على إطلاقه .

٢ _ يؤيده أيضاً حرف الجر ﴿ عَلَى ﴾ حيث يفيد الاستعلاء ، فكأنه صار مستعلياً على الكبر .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « و ﴿ عَلَى الْكَبْرِ ﴾ في موضع الحال ؛ لأنه قال : وأنا كبير ، و ﴿ عَلَى ﴾ على باهما : من الاستعلاء ، لكنه مجاز إذ الكبر معنى لا جرم يتكون ، وكأنه لما أسن وكبر صار مستعلياً على الكبر »^١ .

وقال الألويسي _ رحمه الله _ : « ومعنى استعلائه على الكبر أنه وصل غايته ، فكأنه تجاوزه وعلا ظهره كما يقال : على رأس السنة ، وفيه من المبالغة ما لا يخفى »^٢ .



^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٢) .

^٢ _ روح المعاني : (٩ / ٣٩٩) .

٥٧ / ١٨ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿سَمِعَ الدُّعَاءَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿سَمِعَ الدُّعَاءَ﴾ كناية عن الإجابة والقبول ، فقال : « وكفى بـ ﴿سَمِعَ الدُّعَاءَ﴾ عن الإجابة والتقبل ، وكان قد دعا الله أن يهبه ولداً بقوله : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات : ١٠٠] فحمد الله على ما وهبه من الولد وأكرمه به من إجابة دعائه »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بـ ﴿سَمِعَ الدُّعَاءَ﴾ أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿سَمِعَ الدُّعَاءَ﴾ كناية عن الإجابة والقبول ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، والفخر الرازي^٣ ، والبيضاوي^٤ ، والخازن^٥ ، والنسفي^٦ ، ووافقهم ابن كثير^٧ ، والبقاعي^٨ والشهاب^٩ ، وأبو السعود^{١٠} ، والشوكاني^{١١} ، والطاهر بن عاشور^{١٢} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٣ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٠٥ / ٢ - ٢٠٦) .

^٢ _ ينظر : الكشف : (٣٨٧ / ٣ - ٣٨٨) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩٩ / ١٤٢) .

^٤ _ ينظر : تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٤٧٩ / ٥) .

^٥ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٤ / ٤) .

^٦ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٦٤ / ١) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٤١ / ٢) .

^٨ _ ينظر : نظم الدرر : (٣٨٨ / ٤) .

^٩ _ ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٤٨٠ / ٥) .

^{١٠} _ إرشاد العقل السليم : (٥٤ / ٥) .

^{١١} _ ينظر : فتح القدير : (١٥٥ / ٤) .

^{١٢} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٤٣ / ١٣) .

واستدلوا بما يلي :

١ _ في قوله ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ إشعار بمعنى : مجيبه ، فإنه كان قد دعا ربه وسأله الولد ، فقال : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات : ١٠٠] ، فشكر الله ما أكرمه به من إجابته خاصة بعد ما وقع اليأس منه ، فكان من أجل النعم وأحلاها ، فهو كالتعليل لقوله ﴿وَهَبْ﴾ ، أي وهب ذلك ؛ لأنه سميع الدعاء^١ .

٢ _ أن ذلك وارد في اللغة ، وهو كقول : سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقبله ، ومنه : سمع الله لمن حمده^٢ .

٣ _ أن لفظ ﴿سَمِيعٌ﴾ مستعمل في إجابة المطلوب كناية ، وصيغ بمنال المبالغة أو الصفة المشبهة ؛ ليدل على كثرة ذلك وأن ذلك من شأنه ، فيفيد أنه وصف ذاتي لله عز وجل^٣ ، ويدل لذلك قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر : ٦٠] .

قال البقاعي : «﴿لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي من شأنه إجابة الدعاء على الوجه الأبلغ تعريضاً بالأنداد»^٤ .

وقال الشوكاني : «﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي : لمجيب الدعاء ، من قولهم : سمع كلامه : إذا أجابه واعتد به وعمل بمقتضاه ، وهو من إضافة الصفة المتضمنة للمبالغة إلى المفعول ، والمعنى : إنك لكثير إجابة الدعاء لمن يدعوك»^٥ .

^١ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٧ - ٣٨٨) ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٤٧٩ -

٤٨٠) ، وإرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٤) ، و التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٣) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٧ - ٣٨٨) ، و التفسير الكبير : (١٩ / ١٤٢) ، و إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٤) .

^٣ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٣) .

^٤ _ نظم الدرر : (٤ / ٣٨٨) .

^٥ _ فتح القدير : (٤ / ١٥٥) .

القول الثاني : أن المراد : سماع الله ، وجوزه الزمخشري^١ ، وتبعه البيضاوي^٢ .

قال الزمخشري : « ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله ، ويجعل دعاء الله سميعاً على الإسناد المجازي ، والمراد : سماع الله »^٣ .

واستبعده أبو حيان فقال : « وهو بعيد لاستلزامه أن يكون من باب الصفة المشبهة ، والصفة متعدية ، ولا يجوز ذلك إلا عند أبي علي الفارسي حيث لا يكون لبس . وأما هنا فاللبس حاصل ، إذ الظاهر أنه من إضافة المثل للمفعول ، لا من إضافته إلى الفاعل . وإنما أجاز ذلك الفارسي في مثل : زيد ظالم العبيد إذا علم أن له عبيداً ظالمين »^٤ .

ورد السمين الحلبي على أبي حيان فقال : « واللبس أيضاً هنا منتف ؛ لأن المعنى على الإسناد المجازي كما تقرر فانتفى اللبس »^٥ .

وضعف الشهاب القول بعدم اللبس فقال : « وهو كلام واه ؛ لأن الجواز خلاف الظاهر فاللبس فيه أشد ، وكذا ما قيل : إن عدم اللبس إنما يشترط في إضافته إلى فاعله على القطع ، وهو ضعيف جداً »^٦ .

القول الثالث : إثبات صفة السمع لله تعالى ، وأنه عز وجل يسمع الدعاء ، ذهب إليه الطبري^٧ .

^١ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٧ - ٣٨٨) .

^٢ _ تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٥ / ٤٧٩) .

^٣ _ الكشاف : (٣ / ٣٨٧ - ٣٨٨) .

^٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٣) .

^٥ _ الدر المصون : (٧ / ١١٧) .

^٦ _ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٤٨٠) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٧) .

الترجيح :

مما سبق يتبين أن الراجح _ والله أعلم _ ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ في أن المراد أن الله عَلَّمَ مجيب الدعاء ؛ وذلك لعدة أمور :

- ١ _ أن ما ورد في الدعاء مشعر بذلك ؛ وذلك لحمد إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ ربه فيما وهبه من الأولاد بعد قربه من اليأس منهم ، ففيه مراعاة لسياق الآيات ، فسياق الآية دل على المعنى المختار ، ومعلوم أن سياق الآية إذا دل على معنى ؛ كان هو المعنى المقدم عند كثير من أئمة التفسير^١ .
- ٢ _ أن إجابة الدعاء من شأن الله تعالى فامتدحه إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ بذلك ؛ وهو من آداب الدعاء ، وفيه إشارة إلى عظيم شكره وامتنانه لله تعالى وحده .
- ٣ _ ما استدل به القائلون بهذا القول من وروده في اللغة .

^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ١٢٥) ، قاعدة : إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب التسليم له .

قال الله تعالى ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [٤١] .

٥٨ / ١٩ _ كيف استغفر إبراهيم لوالده مع كفره بالله تعالى :

» رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن استغفاره لأبيه كان قبل يأسه من إيمانه ؛ حيث قال :
والظاهر أن إبراهيم سأل المغفرة لأبويه القرييين ، وكانت أمه مؤمنة ، وكان والده لم ييأس من إيمانه
ولم تتبين له عداوة الله ، وهذا يتمشى إذا قلنا : إن هذه الأدعية كانت في أوقات مختلفة ، فجمع هنا
أشياء مما كان دعا بها . وقيل : أراد أمه ، ونوحاً عليه السلام . وقيل : آدم وحواء . والأظهر القول
الأول . وقد جاء نصاً دعاؤه لأبيه بالمغفرة في قوله : ﴿ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [الشعراء : ٨٦]^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في الاستفهام عن استغفار إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام لوالده مع كفره بالله

تعالى أقوال :

القول الأول : أن استغفاره لأبيه كان قبل يأسه من إيمانه ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول
الطبري^٢ ، والزجاج^٣ ، والسمرقندي^٤ ، والزمخشري^٥ ، ووافقهم ابن جزري^٦ ، وابن كثير^٧ ،
والبقاعي^٨ ، والسيوطي^٩ ، وأبو السعود^{١٠} ، والألوسي^{١١} ، والمراغي^{١٢} ، والسعدي^{١٣} ، والطاهر بن
عاشور^{١٤} .

^١ _ البحر المحيط : (١٧١ / ٧) . وينظر : النهر الماد : (٢٠٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٢٨ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن : (١٦٥ / ٣) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٣٧ / ٢) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٣٨٨ / ٣) .

^٦ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٦٠ / ٢) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٤١ / ٢) .

^٨ _ ينظر : نظم الدرر : (٣٩٠ / ٤) .

^٩ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٥) .

^{١٠} _ إرشاد العقل السليم : (٥٤ / ٥) .

^{١١} _ ينظر : روح المعاني : (٤٠٢ / ٩) .

^{١٢} _ تفسير المراغي : (١٦٢ / ١٣) .

^{١٣} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٠٠ / ١) .

^{١٤} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٤٥ / ١٣) .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أنه جاء نصاً دعاؤه لأبيه بالمغفرة في قوله : ﴿ وَأَعْفِرْ لِأَيِّبِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [الشعراء : ٨٦]^١ .

٢ _ أنه وعده بالدعاء له ، فلما علم أنه عدو لله تبرأ منه ، قال الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّبِهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤]^٢ .

٣ _ أن المنع لا يعلم إلا بالتوقيف ، فلعله لم يجد منعاً ، فظن جوازه^٣ .
قال الزمخشري : « فإن قلت : كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين؟ قلت : هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه إلا بالتوقيف »^٤ .
قال أبو حيان : « وهو في ذلك موافق لأهل السنة ، مخالف لمذهب الاعتزال »^٥ .

^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٧ / ١٧١) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٣٧) ، وتيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٠) ، وأضواء البيان : (٣ / ١١٤) .

^٣ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٣٨٨ - ٣٨٩) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ١٤٢) ، واللباب : (١١ / ٤٠٤) .

^٤ _ الكشف : (٣ / ٣٨٨ - ٣٨٩) .

^٥ _ البحر المحيط : (٧ / ١٧١) .

٤ _ أن هذه الأدعية كانت في أوقات مختلفة ، فكان هذا الدعاء لهما قبل النهي واليأس عن إيمانهما^١ ، فوجه هذا القول بأنه قال ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم^٢ .

وقيل : إن أمه^٣ أسلمت فدعا لها ؛ لأنه تبرأ من والده فخصه بالذكر في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ أَسْتَعْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ١١٤]^٤ .

القول الثاني : أنه استغفر لهما بشرط الإيمان . ، وهو قول ابن الأنباري^٥ ، والواحدي^٦ ، و الخازن^٧ .

قال الخازن _ رحمه الله _ : « فإن قلت : كيف استغفر إبراهيم لأبويه وكانا كافرين؟ قلت : أراد أنهما إن أسلما وتابا »^٨ .

^١ _ ينظر : البحر المحيط : (١٧١ / ٧) ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٥) ، و روح المعاني : (٤٠٢ / ٩) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : للنحاس : (٥٣٧ / ٣) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٥ / ٤) .

^٣ _ أم إبراهيم : نونا بنت كرنبا ، وقيل : توتا بنت كرينا وقيل : اسمها ليوثا ، وقيل : أبيونا ، وقيل : أيونا ، وقيل : أمتلي بنت يكفور . ينظر : الطبقات الكبرى لابن سعد : (١ / ٤٦) ، وتاريخ الطبري : (١ / ٢١٧) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٤٣ / ١٩) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٥ / ٤) ، وتفسير مبهمات القرآن ، للبلنسي : (٨٤ / ٢) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٥) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٦٩) ، وتفسير الجلالين : (٢١٥) ، وتفسير المراغي : (١٣ / ١٦٢) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٣٩٧) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٥ / ٤) .

^٨ _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٥ / ٤) .

وضعف الزمخشري هذا القول فقال : « وقيل : بشرط الإسلام . ويأباه قوله ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة : ٤] ؛ لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفاراً صحيحاً لا مقال فيه ، فكيف يستثني الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم »^١ ، ونحوه ذكر الفخر الرازي^٢ ، وأبو السعود^٣ .

القول الثالث : أنه أراد بوالديه آدم وحواء _ عليهما الصلاة والسلام _^٤ .

القول الرابع : أنه أراد آدم ونوحاً _ عليهما الصلاة والسلام _^٥ .

القول الخامس : أن الدعاء كان لولديه ؛ لأنه في قراءة ابن مسعود ، وأبي ، والنخعي^٦ ، والزهري (ولولدي)^٧ ، يعني : إسماعيل و إسحاق^٨ .

و ضعف الزجاج هذه القراءة فقال : « وهذه القراءة ليست بشيء ؛ لأنها خلاف ما عليه أهل الأمصار من أهل القراءات »^٩ .

^١ _ الكشاف : (٣ / ٣٨٨ - ٣٨٩) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٤٣) .

^٣ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٤) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن ، للزجاج : (٣ / ١٦٥) ، ومعاني القرآن : للنحاس : (٣ / ٥٣٧) ، و الوسيط : (٣ / ٣٥) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٦٩) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ١٤٢) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٢٥) .

^٥ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠١) .

^٦ _ هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران النخعي الكوفي ، الإمام المشهور فقيه العراق ، قرأ على الأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس ، وقرأ عليه سليمان الأعمش وطلحة بن مصرف ، توفي سنة ٩٦ ، وقيل : سنة ٩٥ .

^٧ _ ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء : (١ / ١٢) ، و سير أعلام النبلاء : (٤ / ٥٢٠ - ٥٢٩) .

^٨ _ ينظر المحتسب : (١ / ٣٦٥) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٨) ، و زاد المسير : (٤ / ٣٦٩) ، والدر المصون : (٧ / ١١٨) .

^٩ _ معاني القرآن : (٣ / ١٦٥) .

الترجيح :

مما سبق يتضح أن الراجح القول الأول ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان ومن معه ، وهو أن استغفار إبراهيم لأبيه كان عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين عداوته لله تعالى تبرأ منه ، فكان هذا الدعاء منه قبل معرفته باستمرار أبيه على الكفر بالله تعالى ، وهو قول يؤيده قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] ، فهذا المعنى مستند إلى الآيات القرآنية ويحل في أفضل وأعلى درجات التفسير ، وهو تفسير القرآن بالقرآن^١ .



^١ _ ينظر : شرح مقدمة التفسيري لابن عثيمين (١٢٧) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٣١٢) ، وقواعد التفسير ، لخالد السبت (١ / ١٠٩) .

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [٤٢] .

٥٩ / ٢٠ _ من المخاطب في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ :

رجح أبو حيان أن المخاطب السامع الذي يقع منه هذا الحسبان بالله ﷻ لجهل هذا السامع بصفات الله تعالى ، فقال : « الخطاب بقوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ للسامع الذي يمكن منه حسبان مثل هذا ؛ لجهله بصفات الله ، لا للرسول ﷺ _ فإنه مستحيل ذلك في حقه ، وفي هذه الآية وعيد عظيم للظالمين وتسوية للمظلومين »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في تعيين المخاطب بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ قولان :

القول الأول : أن المخاطب السامع الذي يقع منه هذا الحسبان ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً فيه قول النسفي^٢ ، ووافقهما الألوسي^٣ .

القول الثاني : أن الخطاب للنبي ﷺ _ ، وهو قول الطبري^٤ ، والسمرقندي^٥ ، وابن عطية^٦ ، وابن كثير^٧ ، والثعالبي^٨ ، وأبي السعود^٩ ، والمراغي^{١٠} ، وذهبوا إلى ذلك ؛ لأنه الأصل المتبادر ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٣ _ ٤٢٤) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٠٦) .

^٢ _ ينظر : مدارك الترتيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٥) .

^٣ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٠٣) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٨) .

^٥ _ بحر العلوم : (٢ / ٤٣٧) .

^٦ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ٩٦) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤١) .

^٨ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠١) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٤) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٦٥) .

لكن لما كان ﷺ - أعلم الناس بالله فهو لا يتصور منه جواز الغفلة^١ ، فوجه هذا القول بعدة أمور :

- ١ - أن المراد بالنهي غير النبي ﷺ - ممن يليق به أن يحسب مثل هذا ، أو هو في صورته للنبي ﷺ - والمراد أمته ، فهو كقولهم : (إياك أعني واسمعي يا جارة)^٢ .
- ٢ - أن المراد تنبيته ﷺ - على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً ، كقوله : ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٤] ، ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢١٣] ، كما جاء في الأمر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَاكْتُبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَاكْتُبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [النساء : ١٣٦] .

وضعه الشهاب فقال : ((ولا يخفى ما فيه ؛ لأنه لا يتوهم منه عدم الدوام))^٣ .
ورد الألوسي على الشهاب فقال : ((وتعقب - أي القول بأن الخطاب للرسول ﷺ - بأنه غير مناسب لمقام النبوة ؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - لا يتوهم منه عدم الدوام على ما هو عليه من عدم الحسبان ليثبت ، وفيه نظر))^٤ .
٣ - أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلاً ، الإيدان بأن الله عالم بما يفعل الظالمون ، لا يخفى عليه منه شيء ، وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٣] يريد الوعيد .

٤ - أن المراد : ولا تحسبهم يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ، ولكن معاملة الرقيب عليهم ، المحاسب على التقير والقطمير^٥ .

^١ - ينظر : حاشية الشهاب : (٥ / ٤٨١) .

^٢ - ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ٩٦) ، وتفسير المراغي : (١٣ / ١٦٥) .

^٣ - حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٤٨١) .

^٤ - روح المعاني : (٩ / ٤٠٣) .

^٥ - ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٨٩) ، و التفسير الكبير : (١٩ / ١٤٣ - ١٤٤) ، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٥) ، ولباب التأويل وحقائق التنزيل : (٤ / ١٢٥) ، و التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٠) ، و اللباب : (١١ / ٤٠٦) ، وإرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٤ - ٥٥) ، و فتح القدير : (٣ / ١١٤ - ١١٥) ، وروح المعاني : (٩ / ٤٠٣) .

الترجيح :

الذي يظهر لي أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — صحة حمل الآية على القولين ، ومن جمع بين القولين البيضاوي^١ ، وابن جزري^٢ ، والشوكاني^٣ ، والطاهر بن عاشور^٤ .

قال الطاهر بن عاشور — رحمه الله — : ((وصيغة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ ظاهرها نهي عن حسابان ذلك . وهذا النهي كناية عن إثبات و تحقيق ضد المنهي عنه في المقام الذي من شأنه أن يثير للناس ظنّ وقوع المنهي عنه لقوة الأسباب المثيرة لذلك . وذلك أن إمهالهم وتأخير عقوبتهم يشبه حالة الغافل عن أعمالهم ، أي تحقق أن الله ليس بغافل ، وهو كناية ثانية عن لازم عدم الغفلة وهو المؤاخذة ، فهو كناية بمرتبين ، ذلك لأن النهي عن الشيء يأذن بأن المنهي عنه بحيث يتلبس به المخاطب ، فنهيه عنه تحذير من التلبس به بقطع النظر عن تقدير تلبس المخاطب بذلك الحساب . وعلى هذا الاستعمال جاءت الآية سواء جعلنا الخطاب لكل من يصح أن يخاطب فيدخل فيه النبي — عليه الصلاة والسلام — ، أم جعلناه للنبي ابتداءً ويدخل فيه أمته .

ونفي الغفلة عن الله ليس جارياً على صريح معناه ؛ لأن ذلك لا يظنه مؤمن بل هو كناية عن النهي عن استعجال العذاب للظالمين . ومنه جاء معنى التسلية للرسول — ﷺ —))^٥ .



^١ — ينظر : تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٥ / ٤٨١) .
^٢ — ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٠) .
^٣ — ينظر : فتح القدير : (٣ / ١١٤ — ١١٥) .
^٤ — التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٥ — ٢٤٦) .
^٥ — التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٥ — ٢٤٦) .

قال الله تعالى ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [٤٣] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٦٠ / ٢١ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿هَوَاءٌ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿هَوَاءٌ﴾ تشبيه القلوب في خلوها واضطرابها بالهواء ، فقال : ((وهواء تشبيه محض ، لأنها ليست بهواء حقيقة ، ويحتمل أن يكون التشبيه في فراغها من الرجاء والطمع في الرحمة ، فهي منحرقة مشبهة الهواء في تفرغه من الأشياء وانخراقه ، وأن يكون في اضطراب أفئدتهم وجيشانها في الصدور ، وأنها تجيء وتذهب وتبلغ على ما روي حناجرهم ، فهي في ذلك كالهواء الذي هو أبداً في اضطراب))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف العلماء في المراد بـ ﴿هَوَاءٌ﴾ على عدة أقوال :

القول الأول : اضطراب الأفئدة وجيشانها ، ليس لها مكان تستقر فيه ، كما هي حالة الهواء الذي هو أبداً في اضطراب ، وهو مروى عن سعيد بن جبير^٢ ، وقول المراغي^٣ .

القول الثاني : أنها خالية ، فارغة ، ثم اختلفوا في أنها خالية من ماذا .. ؟ على أقوال :

أحدها : أنها خالية منحرقة خربة لا تعي من الخير شيئاً ، وهو مروى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وأبي صالح ، ورجحه الطبري^٤ ، وقول والزجاج^٥ ، والسمرقندي^٦ ، والراغب الأصفهاني^٧ ، والبغوي^٨ ، والزمخشري^٩ ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٤ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٠٦) . وقوله هذا منقول عن ابن عطية إلا أن أبا حيان لم يعزه إليه . ينظر : المحرر الوجيز : (٩٧ / ٩) . (٩٨) .
^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٣٤ / ١٧) ، والدر المنثور : (٥١ / ٥) .
^٣ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٦٥ / ١٣) .
^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٣٤ / ١٧) .
^٥ _ ينظر : معاني القرآن : (١٦٦ / ٣) .
^٦ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٣٧ / ٢) .
^٧ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٨٤٩) .
^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٥٩ / ٤) .
^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣٩٠ / ٣) .

والنسفي^١ ، و السمين الحلبي^٢ ، وابن عادل^٣ ، والسيوطي^٤ .
واستدلوا بما يلي :

١ _ أنه يقال للبيت الذي ليس فيه شيء إنما هو هواء^٥ .

٢ _ أن العرب تسمي كل أجوف خاو : هواء ، ومنه قول حسّان بن ثابت :
ألا أبلغُ أبا سُفْيَانَ عَنِّي... فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخِيبٌ هَوَاءُ^٦ .

قال الزمخشري : ((الهواء : الخلاء الذي لم تشغله الأجرام ، فوصف به فقيل : قلب فلان هواء إذا كان جباناً لا قوّة في قلبه ولا جرأة . ويقال للأحمق أيضاً : قلبه هواء))^٨ .

ورد أبو السعود على من زعم بأنها خالية من كل الخير بأنه لا يناسب المقام^٩ .

الثاني : أنها خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش ، روي معنى ذلك عن ابن زيد ، و أبي عبيدة ، وسفيان^{١٠} ، وهو قول الواحدي^{١١} ، والبيضاوي^{١٢} ، وأبي السعود^{١٣} ، والشوكاني^{١٤} ، والألوسي^{١٥} ، والطاهر بن عاشور^{١٦} .

^١ _ ينظر : مدارك الترتيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٥) .

^٢ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١٢٣) .

^٣ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٠٨ - ٤٠٩) .

^٤ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٥) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٣٤) ، و البحر المحيط : (٥ / ٤٢٤) .

^٦ _ ينظر : ديوان حسان بن ثابت : (٣) .

وقال محقق المحرر الوجيز : ((المجوف : الجبان ، ومثله : النخب الهواء)) . المحرر الوجيز : حاشية (٧٤) :
(٩ / ٩٨) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٣٤) ، و الدر المصون : (٧ / ١٢٣) .

^٨ _ الكشف : (٣ / ٣٩٠) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٦) .

^{١٠} _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٠٧) .

^{١١} _ ينظر : الوجيز : (١ / ٣٩٧) .

^{١٢} _ تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٥ / ٤٨٣) .

^{١٣} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٦) .

^{١٤} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١١٥) .

^{١٥} _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٠٦) .

^{١٦} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٧) .

قال الشوكاني _ رحمه الله _ : ((ومما يقارب معنى هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ [سورة القصص : ١٠] ، أي : خالياً من كل شيء إلا من هم موسى)^١ .
٣ _ أهما عدم فارغة لا شيء فيها من الجرأة والأنفة التي يظهرونها الآن ، كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنت مجوف نخب هواء .
وهو قول البقاعي^٢ .

٤ _ أهما خالية إلا من فزع ذلك اليوم ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ [سورة القصص : ١٠] ، أي : إلا من هم موسى ، وهو مروى عن سفيان^٣ .
٥ _ أن قلوب الكفار خالية يوم القيامة عن جمع الخواطر ، والأفكار لعظم ما نالهم من الحيرة لما تحقّقوه من العذاب ، وخالتهم من كل سرور لكثرة ما هم فيه من الحزن ، وهو قول الرازي^٤ ، وابن عادل^٥ .

القول الثالث : الجمع بين القولين السابقين ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً ابن عطية^٦ ، ووافقهما ابن جزى^٧ ، ومحمد بن علي البنسي^٨ ، والثعالبي^٩ .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((وعلى هاتين الجهتين يشبه قلب الجبان ، وقلب الرجل المضطرب في أموره بالهواء ، فمن ذلك قول الشاعر :
ولا تكن من أخذان كل يراعه ... هواء كسقب الناب جوفاً مكاسر^{١٠}

^١ _ فتح القدير : (٣ / ١١٥) .

^٢ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٩٠ - ٣٩١) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٤) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٤٥) .

^٥ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٠٩) .

^٦ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ٩٧ - ٩٨) .

^٧ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦١) .

^٨ _ ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ٢٦١) .

^٩ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٢) .

^{١٠} _ قال محقق المحرر : « رواه في اللسان بلفظ : البان ، بدل : الناب ، وجوف ، بدل : جوفاً . والسقب : ولد الناقة ، وقيل : ولدها الذكر . والناب : المسنة من النوق . والمكاسر جمع مكسر _ بفتح الميم وكسر السين _ موضع الكسر . والبراعة : الجبان الضعيف » . المحرر الوجيز : حاشية (٧٤) : (٩ / ٩٨) . وينظر اللسان : (٨ / ٤١٣) ، مادة : (يرع) .

ومن ذلك قول حسان : ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنت مجوف نخب هواء
... فالمعنى : أنه في غاية الخفة في إجهاله^١ .

القول الرابع : أنها خرجت من أماكنها فنشبت بالحلوق ، وهو مروى عن أبي الضحى ، وفتادة^٢ ،
وهو قول السعدي^٣ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة
فيها عن المفسرين .

قال ابن كثير _ رحمه الله _ : « ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ أي : وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها
شيء لكثرة الوجل والخوف ؛ ولهذا قال فتادة وجماعة : إن أمكنة أفئدتهم خالية ؛ لأن القلوب لدى
الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف . وقال بعضهم : ﴿ هَوَاءٌ ﴾ خراب لا تـ عي
شيئاً^٤ .

وقال الخازن _ رحمه الله _ : « ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ ... ومعنى الآية أن القلوب يومئذ زائلة عن
أماكنها والأبصار شاخصة والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته^٥ .



^١ _ المحرر الوجيز : (٩ / ٩٧ - ٩٨) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني : (٣ / ٣٩٢) ، وجامع البيان : (١٧ / ٣٤) ، والدر المنثور :
(٥ / ٥١) .

^٣ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٠) .

^٤ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٣) .

^٥ _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٢٥ - ١٢٦) .

٦١ / ٢٢ _ المسألة الثانية : متى يكون حصول هذه الصفات ؟ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن هذه الصفات تكون قبل المحاسبة ، فقال : « وحصول هذه الصفات الخمس للظالمين قبل المحاسبة بدليل ذكرها عقيب قوله : يوم يقوم الحساب »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف في وقت حصول هذه الصفات على أقوال :

القول الأول : أيها تكون للظالمين قبل المحاسبة ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول الفخر الرازي^٢ .

واستدلوا بَلَّغَ اللهُ تعالى إنما ذكر هذه الصفات عقيب وصف ذلك اليوم بأنه يوم يقوم الحساب^٣

القول الثاني : عند إجابة الداعي ، والقيام من القبور^٤ .

القول الثالث : عند ذهاب السعداء إلى الجنة ، والأشقياء إلى النار^٥ .

الترجيح :

مما سبق يظهر لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه الفخر الرازي ، وأبو حيان ، وأن هذه الصفات تكون للظالمين قبل الحساب ؛ وذلك لمراعاة سياق الآيات ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٦ ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية^٧ .



^١ _ البحر المحيط : (٤٢٤ / ٥) ، ينظر : النهر الماد : (٢٠٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٤٥ / ١٩) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٤٥ / ١٩) ، والبحر المحيط : (٤٢٤ / ٥) ، و النهر الماد : (٢٠٦ / ٢) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٤٥ / ١٩) ، البحر المحيط : (٤٢٤ / ٥) ، و روح المعاني : (٩ / ص ٤٠٧) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٤٥ / ١٩) ، البحر المحيط : (٤٢٤ / ٥) ، و روح المعاني : (٩ / ص ٤٠٧) .

^٦ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١٢٥ / ١) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢٩٩ / ١) .

قال الله تعالى ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبِّ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَم تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [٤٤] .

في الآية الكريمة أربع مسائل :

٦٢ / ٢٣ _ المسألة الأولى : المراد بالناس في قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالناس : الظالمين ، فقال : « والمعنى : وأنذر الناس الظالمين ، ويبين ذلك قوله : فيقول الذين ظلموا ؛ لأن المؤمنين يبشرون ولا يندرون »^١ .
الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالناس في قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المراد بهم الكفار المعبر عنهم بالظالمين ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان ، ووافقه السيوطي^٢ ، والألوسي^٣ ، والطاهر بن عاشور^٤ ، والمراغي^٥ .
واستدلوا بما يلي :

١ _ وجود قرينة في السياق تدل عليه ، وهو قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾^٦ .

٢ _ أن (أل) في ﴿ النَّاسَ ﴾ للعهد ، وهم المشركون^٧ .

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « والناس يعم جميع البشر . والمقصود : الكافرون ، بقرينة قوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ، ولك أن تجعل الناس ناساً معهودين وهم المشركون »^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٤ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٠٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٥) .

^٣ _ ينظر : روح المعاني : (٤٠٨ / ٩) .

^٤ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٤٧ / ١٣) .

^٥ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٦٦ / ١٣) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٢٤ / ٥) ، والتحرير والتنوير : (٢٤٧ / ١٣) .

^٧ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٤٧ / ١٣) .

^٨ _ التحرير والتنوير : (٢٤٧ / ١٣) .

٣_ أن المؤمنين يبشرون ولا يندرون^١ .

القول الثاني : أن المراد أهل مكة ، وهو مروى عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _^٢ ، وهو قول السمرقندي^٣ .

القول الثالث : أن المراد عموم الناس ، وهو قول الخازن^٤ ، و البقاعي^٥ ، ورجحه الشوكاني^٦ .
واستدلوا بما يلي :

١ _ أن الإنذار كما يكون للكافر يكون أيضاً للمسلم . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ [سورة يس : ١١]^٧ .

٢ _ أن الإتيان يعم الفريقين من كونهما في الموقف ، وإن كان لحوقه بالكفار خاصة^٨ .
الترجيح :

بعد استعراض الأقوال في بيان المراد بـ ﴿ النَّاسَ ﴾ يظهر _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن الراجح هو القول الثالث ، وهو القول بالعموم ؛ وذلك لما استدل به أصحاب هذا القول ؛ ولأنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل^٩ .



^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٤) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٧٢) ، والوسيط : (٣ / ٣٦) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٣٨) .

^٤ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٢٧) .

^٥ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٩١) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١١٥) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١١٥) ، وروح المعاني : (٩ / ٤٠٨) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٠٨) .

^٩ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

٦٣ / ٢٤ _ المسألة الثانية : المراد باليوم في قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد باليوم : يوم القيامة ، فقال : « هذا خطاب للرسول _ ﷺ _ ، وهذا اليوم هو يوم القيامة »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد باليوم في قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾ على

أقوال :

القول الأول : أن المراد به يوم القيامة ، أي : خوفهم هذا اليوم ، وهو يوم إتيان العذاب ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً فيه المروي عن مجاهد^٢ ، وقول الطبري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، والواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، والزمخشري^٧ ، وابن عطية^٨ ، والرازي^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، والخازن^{١٢} ، ومحمد بن علي البنسي^{١٣} ، والثعالبي^{١٤} ، وابن عادل^{١٥} ، والسيوطي^{١٦} ، وأبي السعود^١ ، والشوكاني^١ ، والألوسي^٢ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٤) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٠٦) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٣٥) ، والدر المنثور : (٥ / ٥٢) .

فائدة : أخرج الطبري الأثر من طريق ابن جريج عن مجاهد . وإسناده منقطع . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢١٦) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٣٥) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٣٨) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٦) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٥٩) .

^٧ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٣٩١) .

^٨ _ المحرر الوجيز : (٩ / ٩٨) .

^٩ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٤٥ _ ١٤٦) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٧٨) .

^{١١} _ ينظر " مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٥) .

^{١٢} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٢٧) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ٢٦١) .

^{١٤} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٢) .

^{١٥} _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٠٩) .

^{١٦} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٥) .

^١ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٦) .

واستدلوا بما يلي :

١ _ سياق الآية حيث قال الله تعالى بعدها ﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾^٣ .

٢ _ سياق الآيات السابقة حيث تذكر أحوال الكفار يوم القيامة^٤ .

قال الرازي : « والألف واللام في لفظ « العذاب » للمعهود السابق ، يعني : وأنذرهم يوم يأتيهم العذاب الذي تقدّم ذكره ، وهو شخصُ الأَبصار ، وكونهم مهطعين متنعبي رءوسهم »^٥ .

القول الثاني : يوم هلاكهم بالعذاب العاجل^٦ .

ورده أبو السعود فقال : « ويأباه القصر السابق »^٧ .

ورد عليه الألوسي بقوله : « وأجيب بأن فيه ما فيه »^٨ .

القول الثالث : يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ، ولقاء الملائكة بلا بشرى ، كقوله : ﴿ لَوْلَا

أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ [سورة المنافقين : ١٠] ^٩ .

القول الرابع : أنه يوم يشمل العذاب في الدنيا أوفي الآخرة ، وهو قول الطاهر بن عاشور^{١٠} .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن القول الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ هو القول الأول ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان ومن وافقه ، وهو أن المراد باليوم يوم القيامة ؛ ويشهد لذلك أن سياق الآيات يدل على المعنى المختار ، ففيها ذكر لأحوال الكفار يوم القيامة ، ومعلوم أن سياق الآية إذا دلّ على معنى ؛ كان هو المعنى المقدم عند كثير من أئمة التفسير ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له^١ ، وكذلك فإن القول الذي

^١ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١١٥) .

^٢ _ روح المعاني : (٩ / ٤٠٨) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٤) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٤٥ - ١٤٦) ، واللباب : (١١ / ٤٠٩) .

^٥ _ التفسير الكبير : (١٩ / ١٤٥ - ١٤٦) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٤) .

^٧ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٦) .

^٨ _ روح المعاني : (٩ / ٤٠٨) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٤) .

^{١٠} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٧) .

^١ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية^١ .



^١ — ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٩٩) .

٦٤ / ٢٥ _ المسألة الثالثة : من القائل ﴿أَوْلَم تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلِ مَا لَكُمْ مِّن

زَوَالٍ؟

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن القائل الملائكة ، أو الله تعالى ، حيث قال : «أو لم تكونوا : هو على إضمار القول ، والظاهر أن التقدير : فيقال لهم ، والقائل الملائكة ، أو القائل الله تعالى . يوبخون بذلك ، ويذكرون مقالتهم في إنكار البعث ، وإقسامهم على ذلك»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في القائل في قوله تعالى ﴿أَوْلَم تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلِ مَا لَكُمْ مِّن

زَوَالٍ؟ على أقوال :

القول الأول : أن القائل إما الملائكة ، أو الله تعالى ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن محمد بن كعب القرظي ، وقول الطبري^٢ ، والسمرقندي^٣ ، والماوردي^٤ ، والفخر الرازي^٥ ، والواحدي^٦ ، وابن عطية^٧ ، وابن الجوزي^٨ ، والنسفي^٩ ، ووافقهم السمين الحلبي^{١٠} ، وابن جزي^{١١} ، وابن كثير^{١٢} ، والخازن^{١٣} ، والبقاعي^{١٤} ، والثعالبي^{١٥} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٤ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٠٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٣٦ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٣٨ / ٢) .

^٤ _ ينظر : النكت والعيون : (١٤٢ / ٣) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٤٦ / ١٩) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (٣٩٧ / ١) .

^٧ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩٩ / ٩) .

^٨ _ ينظر : زاد المسير : (٣٧٢ / ٤) .

^٩ _ ينظر : الوسيط : (٣٦ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : الدر المصون : (١٢٤ / ٧) .

^{١١} _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢٦١ / ٢) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٤٢ / ٢) .

^{١٣} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٧ / ٤) .

^{١٤} _ ينظر : نظم الدرر : (٣٩١ / ٤) .

^{١٥} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٠٢ / ٢) .

وابن عادل^١ ، والسيوطي^٢ ، وأبي السعود^٣ ، والشهاب^٤ ، والشوكاني^٥ ، والطاهر بن عاشور^٦ ،
والمراغي^٧ ، والسعدي^٨ .

القول الثاني : أنهم هم القائلون ، وهو ما ذهب إليه الزمخشري^٩ .

وقال الزمخشري _ رحمه الله _ : « **﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾** على
إرادة القول ، وفيه وجهان : أن يقولوا ذلك بطراً وأشراً ، ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه
 . وأن يقولوه بلسان الحال ؛ حيث بنوا شديداً ، وأمّلوا بعيداً »^{١٠} .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « فجعل الزمخشري أو لم تكونوا محكيماً بقولهم ، وهو مخالف لما قد
بيناه من أنه يقال لهم ذلك »^{١١} .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما
رجحه أبو حيان ومن معه ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أن هذا المعنى هو الظاهر من لفظ الآية بوضوح ؛ ويؤيده أنه يجب عدم العدول عن ظاهر
القرآن إلا بدليل ، وهي قاعدة مهمة عند أئمة التفسير^{١٢} .
قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وقوله : **﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا﴾** إلى آخر الآية ، معناه : يقال لهم ،
فحذف ذلك إيجازاً ؛ إذ المعنى يدل عليه »^{١٣} .

^١ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤١٠) .

^٢ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٥) .

^٣ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٦) .

^٤ _ ينظر : حاشية الشهاب : (٥ / ٤٨٤) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١١٦) .

^٦ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٨) .

^٧ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٦٦) .

^٨ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠١) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٩١ - ٣٩٢) .

^{١٠} _ الكشاف : (٣ / ٣٩١ - ٣٩٢) .

^{١١} _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٤) . وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٠٦) .

^{١٢} _ ينظر : قواعد التفسير ، لخالد السبت : (٢ / ٨٤٣) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١٣٧ / ١) .

^{١٣} _ المحرر الوجيز : (٩ / ٩٩) .

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « لما ذُكر قبل هذه الجملة طلب الذين ظلموا من رهم ،
تعين أن الكلام الواقع بعدها يتضمن الجواب عن طلبهم فهو بتقدير قول محذوف ، أي يقال لهم .
وقد عُدل عن الجواب بالإجابة أو الرفض إلى التقرير والتوبيخ ؛ لأن ذلك يستلزم رفض ما
سألوه »^١ .

٢ _ سياق الآيات اللاحقة يدل على أن هناك من يقول لهم ذلك ، وهو قوله تعالى ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي
مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ [
سورة إبراهيم : ٤٥] ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا
بدليل يجب التسليم له^٢ .



^١ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٨٧) .

^٢ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

٦٥ / ٢٦ _ المسألة الرابعة : المراد من قوله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المعنى : لا نبعث من القبور ، فقال : « ومعنى ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ﴾ من الأرض بعد الموت أي : لا نبعث من القبور »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد من قوله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ﴾ على أقوال :

القول الأول : لا نبعث من القبور ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول البغوي^٢ ، وابن عطية^٣ ، والخازن^٤ ، ووافقهم ابن جزى^٥ ، والطاهر بن عاشور^٦ .
واستدلوا بما يلي :

١ _ أنه يشهد له ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [سورة النحل : ٣٨]^٧ .
٢ _ أنه المعنى الظاهر .

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « والزوال : الانتقال من المكان . وأريد به هنا الزوال من القبور إلى الحساب . وحذف متعلق ﴿ مِّنْ زَوَالٍ ﴾ لظهور المراد ، قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [سورة النحل : ٣٨] »^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٥ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٠٧ / ٢) .

^٢ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٦٠ / ٤) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩٩ / ٩) .

^٤ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٧ / ٤) .

^٥ _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢٦١ / ٢) .

^٦ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٨ - ٢٤٩) .

^٧ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٩٢) ، والمحرر الوجيز : (٩ / ٩٩) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ١٤٦) .

^٨ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٤٨ - ٢٤٩) .

القول الثاني: لا تنتقلون من الدار الدنيا إلى الدار الآخرة ، وهو مروى عن مجاهد^١ ، وهو قول السيوطي^٢ ، وهذا القول يرجع إلى القول الأول ؛ لأن معناه : كفرهم بالبعث ؛ لذلك من المفسرين من جمع بين القولين السابقين ، كالطبري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، والواحدي^٥ ، وابن الجوزي^٦ ، والفخر الرازي^٧ ، والمعنى : لا نبعث من القبور ، ولا ننتقل من الدنيا إلى الآخرة .

القول الثالث: أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه ، وأنه لا معاد ولا جزاء ، وهو قول ابن كثير^٨ ، والألوسي^٩ .

القول الرابع: أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت والفناء ، وهو مروى عن مجاهد^{١٠} ، وهو قول الزمخشري^{١١} .

ورد أبو حيان هذا القول فقال : « وقوله : لا يزولون بالموت والفناء ليس بجيد ؛ لأنهم مقرون بالموت والفناء »^{١٢} .

القول الخامس: ما لكم من زوال عن العذاب ، وهو قول الحسن^{١٣} .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٣٦) ، والدر المنثور : (٥ / ٥٢) .

فائدة : أخرج الطبري من طريق ابن جريج ، وإسناده منقطع . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢١٦) .

^٢ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٣٦) .

^٤ _ بحر العلوم : (٢ / ٤٣٨) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٦) ، والوجيز : (١ / ٣٩٧) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٧٢) .

^٧ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٤٦) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٢) .

^٩ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٠٩) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٣٦) ، معاني القرآن ، للنحاس : (٣ / ٥٤١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٢٥) .

^{١١} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٩٢) .

^{١٢} _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٥) .

^{١٣} _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٤٢) .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ الأقوال الثلاثة الأولى ؛ لأنها مترتبة على بعضها ، فهم يرون أن لا زوال لما هم عليه من متع الدنيا إلا بالموت ، فإذا ماتوا فلا بعث ، ولا انتقال إلى دار أخرى ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ [سورة النحل : ٣٨] ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^١ .

قال النسفي _ رحمه الله _ : « ﴿ زَوَالٍ ﴾ : « ﴿ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ﴾ أي : حلفتم في الدنيا أنكم إذا متم لا تزالون عن تلك الحالة ، ولا تنتقلون إلى دار أخرى ، يعني كفرتم بالبعث كـ قوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ [سورة النحل : ٣٨] »^٢ .

وقال البقاعي _ رحمه الله _ : « ﴿ زَوَالٍ ﴾ عما أنتم عليه من الكفران وعدم الإذعان للإيمان ، أو من هذه الدار إلى الدار الآخرة ، أو من منازلكم التي أنتم بها ، كناية عن ثبات الأمر وعدم المبالاة بالمخالف كائنًا من كان »^٣ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

^٢ _ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٥) .

^٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٩١) .

قال الله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [٤٦] .

في الآية الكريمة أربع مسائل :

٦٦ / ٢٧ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضمير في ﴿ مَكَرُوا ﴾ عائد على المخاطبين في قوله تعالى ﴿ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ ﴾ ، فقال : « الظاهر أن الضمير في ﴿ مَكَرُوا ﴾ عائد على المخاطبين في قوله : أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ ﴾ أي مكروا بالشرك بالله ، وتكذي _ ب _ الرسل »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن الضمير في ﴿ مَكَرُوا ﴾ عائد على المخاطبين في قوله : ﴿ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ ﴾^٢ ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول الفخر الرازي^٣ ، والخازن^٤ . واستدلوا بأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور^٥ .

القول الثاني : أن الضمير عائد على قوم الرسول ، وهو قول الواحدي^٦ ، و السيوطي^٧ . واستدلوا بقوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ ، وذلك المكر هو الذي ذكر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٠]^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٥ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٠٧ / ٢) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٢٥ / ٥) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٤٧ / ١٩) .

^٤ _ ينظر : تفسير الخازن : (١٢٨ / ٤) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٤٧ / ١٩) ، و تفسير الخازن : (١٢٨ / ٤) .

^٦ _ ينظر : الوسيط : (٣٦ / ٣) ، والوجيز : (٣٩٨ / ١) .

^٧ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٥) .

^٨ _ ينظر : الوسيط : (٣٦ / ٣) ، وزاد المسير : (٣٧٤ / ٤) ، و التفسير الكبير : (١٤٧ / ١٩) ، والبحر المحيط : (٤٢٥ / ٥) .

القول الثالث : أن الضمير عائد على الذين ظلموا من الأمم الخالية ، المذكورين في قوله تعالى ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٥] ، وهو قول الطبري ^١ ، والسمرقندي ^٢ .

القول الرابع : أن مرجع الضمير العموم ، يعود على المكذبين للرسول ، وهو قول ابن عطية ^٣ ، وأبي السعود ^٤ ، والألوسي ^٥ ، و السعدي ^٦ .

الترجيح :

الذي يظهر _ والله تعالى أعلم بالصواب _ في ضوء ما استعرض من أقوال أن الراجح القول الرابع ، وهو القول بالعموم في جميع المكذبين للرسول ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أن الكفار دائماً في مكر على دين الله تعالى وأهله .

٢ _ أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل ^٧ .



^١ _ ينظر : جامع البيان : (٣٨ / ١٧) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٣٩ / ٢) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩٩ / ٩ - ١٠٠) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥٨ / ٥) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (٤١١ / ٩) .

^٦ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٠١ / ١) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٥٢٧ / ٢) .

٦٧ / ٢٨ _ المسألة الثانية : المراد بالمكر في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد المكر العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم ، فقال : « ومعنى مكرهم أي : المكر العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالمكر في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ على قولين :

القول الأول : أن المراد المكر العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، والفخر الرازي^٣ ، والبيضاوي^٤ ، والنسفي^٥ ، ووافقه البقاعي^٦ ، وأبو السعود^٧ ، والشوكاني^٨ ، والمراغي^٩ .

واستدلوا بما يلي :

- ١ _ أن المكر في اللغة : الخديعة و الاحتيال في خفية ، وهو صرف الغير عما يقصده بحيلة^١ .
- ٢ _ أن إعراب كلمة ﴿ مَكْرَهُمْ ﴾ يدل على المبالغة .
- قال الألوسي _ رحمه الله _ : « ﴿ مَكْرَهُمْ ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق ؛ لأنه لازم ، فدلالته على المبالغة لقوله تعالى الآتي : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ ﴾ الخ ؛ لأن إضافة المصدر تفيد العموم ، أي : أظهروا كل مكر لهم ، أو لأن إضافته وأصله التكرير لإفادة أنهم معروفون بذلك »^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٦ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٠٧ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الكشف : (٣٩٢ / ٣) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٤٧ / ١٩) .

^٤ _ ينظر : تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٤٨٤ / ٥) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٦٦ / ١) .

^٦ _ ينظر : نظم الدرر : (٣٩١ / ٤) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥٨ / ٥) .

^٨ _ ينظر : فتح القدير : (١١٦ / ٣) .

^٩ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٦٧ / ١٣) .

^{١٠} _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٧٧٢) ، و القاموس المحيط : (٨ / ٢) ، و مختار الصحاح : (١ / ١) .

(٢٩٨) ، ولسان العرب : (١٨٣ / ٥) .

^{١١} _ روح المعاني (٤١١ / ٩) .

القول الثاني : أن المراد بمكرهم : شركهم وهو مروى عن ابن عباس^١ ، وهو قول الطبري^٢ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد المكر العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم ؛ وذلك لأن اللغة تؤيده ، إلا أن هذا القول وهو شدة مكرهم مترتب على كفرهم وشركهم بالله تعالى ، وهو الدافع القوي لهم على المكر العظيم للإيمان وأهله .



^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٤١) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٥٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٥٣) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٤٣) .

٦٨ / ٢٩ _ المسألة الثالثة : المراد بقوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانِ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد من الآية بيان شدة مكر أعداء الله تعالى وعظمه فقال : « والجبال لا تزول ، وهذا من باب الغلو والإيغال و المبالغة في ذم مكرهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين :

القول الأول : أن الجبال لا تزول ، ولكن من باب المبالغة في بيان شدة المكر وعظمه ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول السمرقندي^٢ ، والبيضاوي^٣ ، ووافقهم أبو السعود^٤ ، والسعدي^٥ . وهذا القول يوافق قراءة من قرأ ﴿ لِتَزُولَ ﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية^٦ ، أراد : قد كادت الجبال تزول من مكرهم ، استعظماً له ، كذلك فسرها ابن الأنباري^٧ . ويوافق أيضاً قراءة من قرأ ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾^٨ .

واستدلوا لهذا القول بما يلي :

١ _ أنه نحو قوله تعالى ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخَرُّوا الْجِبَالَ هَدًّا ﴾ [سورة مريم : ٩٠] .^٩

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٦ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٠٨ / ٢) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٣٩ / ٢) .

^٣ _ ينظر : تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٤٨٥ / ٥) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥٨ / ٥) .

^٥ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٠١ / ١) .

^٦ _ قرأ الكسائي بما وحده ، ووافق ابن محيصة ، وقرأ الباقون ﴿ لِتَزُولَ ﴾ بكسر اللام وفتح اللام الثانية . ينظر : النشر : (٣٠٠ / ٢) ، وإتحاف فضلاء البشر : (٢٧٣) .

وعدها ابن جني من شواذ القراءات . ينظر : المحتسب : (٣٦٥ / ١) .

^٧ _ ينظر : النكت والعيون : (١٤٣ / ٣) ، وزاد المسير : (٣٧٤ / ٤) .

^٨ _ قرأ بها عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عباس ، وأبي بن كعب _ رضي الله عنهم _ ، وهي قراءة شاذة . ينظر : المحتسب : (٣٦٥ / ١) ، وينظر : النكت والعيون : (١٤٣ / ٣) ، وزاد المسير : (٣٧٤ / ٤) .

^٩ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٥١ / ١٣) .

٢ _ أن هذا الأسلوب معروف في كلام العرب .

قال النحاس _ رحمه الله _ عن معنى قراءة الكسائي _ رحمه الله _ : « وهذا معروف في كلام العرب ، كما يقال : لو بلغت أسباب السماء ، وهو لا يبلغها ، فمثله هذا »^١ .

وقال أبو حيان _ رحمه الله _ : « فمَنْ قرأ ﴿ كاد ﴾ بالدال فالمعنى : أنه يقرب زوال الجبال بمكرهم ، ولا يقع الزوال .

وعلى قراءة ﴿ كان ﴾ بالنون ، يكون زوال الجبال قد وقع ، ويكون في ذلك تعظيم مكرهم وشدته ، وهو بحيث يزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها . ويحتمل أن يكون معنى ﴿ لتزول ﴾ : ليقرب زوالها ، فيصير المعنى كمعنى قراءة ﴿ كاد ﴾ . ويؤيد هذا التأويل ... أن في قراءة أبي : ﴿ ولولا كلمة الله لزال من مكرهم الجبال ﴾ ، وينبغي أن تحمل هذه القراءة على التفسير لمخالفتها لسواد المصحف المجمع عليه »^٢ .

القول الثاني : قرأ الأكثرون ﴿ لتزول ﴾ بكسر اللام الأولى من «لتزول» وفتح الثانية^٣ . وعلى هذه القراءة في المراد بـ ﴿ إن ﴾ ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أنها نافية ، والمعنى : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، احتقاراً له ، أي : هو أضعف وأوهن ، وهو قول ابن عباس ، والحسن البصري^٤ ، ورجحه الطبري^٥ ، وقول الواحدي^٦ ، والقرطبي^٧ ، والخازن^٨ ، وابن جزري^٩ ، والمراغي^{١٠} .

قال الطبري _ رحمه الله _ : « والصواب من القراءة عندنا ، قراءة من قرأه ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية ، بمعنى : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال .

^١ _ معاني القرآن : (٣ / ٥٤٣) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٥_٤٢٦) .

^٣ _ ينظر : ينظر : النشر : (٢ / ٣٠٠) ، وإتحاف فضلاء البشر : (٢٧٣) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٤٣) ، والدر المنثور : (٥ / ٥٣) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٤٣) .

^٦ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٦) ، والوجيز : (١ / ٣٩٨) .

^٧ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩ / ٣٨٠) .

^٨ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٢٨) .

^٩ _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢ / ٢٦١) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٦٧_١٦٨) .

وإنما قلنا : ذلك هو الصواب ؛ لأن اللام الأولى إذا فُتحت ، فمعنى الكلام : وقد كان مكرهم تزول منه الجبال ، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة ، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تنزل ، وأخرى إجماع الحجة من القرّاء على ذلك ، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها وفساد غيرها بغيره .

فإن ظنّ ظانٌّ أن ذلك ليس بإجماع من الحجة إذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك ، فإن الأمر بخلاف ما ظنّ في ذلك ، وذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام الأولى ورفع الثانية قرءوا: ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ بالمدال ، وهــي إذا قرئت كذلك ، فالصحيح من القراءة مع ﴿ وَإِنْ كَادَ ﴾ فتح اللام الأولى ورفع الثانية على ما قرءوا ، وغير جائز عندنا القراءة كذلك ، لأن مصاحفنا بخلاف ذلك ، وإنما خطّ مصاحفنا وإن كان بالنون لا بالمدال ، وإذ كانت كذلك ، فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين ، وإذا لم يجوز ذلك لم يكن الصحاح من القراءة إلا ما عليه قرّاء الأمصار دون من شدّ بقراءته عنهم^١ .

قال أبو حيان راداً على من اختار أن المراد بـ ﴿ إِنْ ﴾ : ما النافية ، فقال : « لكنّ هذا التأويل ، وما روي عن ابن مسعود من قراءة ﴿ وما ﴾ بالنفي ، يعارض ما تقدم من القراءات ، لأنّ فيها تعظيم مكرهم ، وفي هذا تحقيره^٢ .

الوجه الثاني : أن تكون ﴿ إِنْ ﴾ الخفيفة من الثقيلة ، أي : وإن كان مكرهم في غاية الشدة والمتانة وهو قول الزمخشري^٣ ، وابن عطية^٤ ، والبقاعي^٥ ، والألوسي^٦ .

قال الزمخشري : « ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة ، فضرّب زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته ، أي : وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال ، معداً لذلك^١ .

^١ _ جامع البيان : (٤٢ / ١٧) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٢٥ / ٥ _ ٤٢٦) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ص ٣٩٢ _ ٣٩٣) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز : (١٠٠ / ٩) .

^٥ _ ينظر : نظم الدرر : (٣٩١ / ٤) .

^٦ _ ينظر : روح المعاني : (٤١١ / ٩) .

^١ _ الكشاف : (٣ / ص ٣٩٢ _ ٣٩٣) .

وقال ابن عطية : « وتحتمل عندي هذه القراءة أن تكون بمعنى تعظيم مكرهم ، أي : وإن كان شديداً إنما يفعل لتذهب به عظام الأمور »^١ .

وقال أبو حيان معلقاً على قول الزمخشري وابن عطية : « وعلى تخريج هذين تكون ﴿ إن ﴾ هي المخففة من الثقيلة ، و ﴿ كَانَ ﴾ هي الناقصة . وعلى هذا التخريج تتفق معاني القراءات أو تتقارب ، وعلى تخريج النفي تتعارض كما ذكرنا »^٢ .

وقال البقاعي : « ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ ﴾ من القوة والضحامة ﴿ لِتَنْزُولَ ﴾ أي لأجل أن تنزل ﴿ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ والتقدير على قراءة فتح اللام الأولى ورفع الثانية : وإن كان بحيث إنه تنزل منه الجبال ، والمعنيان متقاربان »^٣ .

الوجه الثالث : أنها شرطية ، وجوابها محذوف ، أي : وإن كان مكرهم معداً لإزالة أشباه الجبال الرواسي ، وهي المعجزات والآيات ، فالله مجازيهم بمكر هو أعظم منه .
ذكر هذه الأوجه الثلاثة السمين الحلبي ، وابن عادل وذكرنا أن الراجح الوجهان الأخيران^٤ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة فيها عن المفسرين؛ وذلك لأن القراءتين ثابتان ، وإذ ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها^٥ .

قال الزجاج : « القراءة بكسر اللام الأولى ، من ﴿ لِتَنْزُولَ ﴾ وفتح اللام الأخيرة ، هي قراءة حسنة جيدة ، والمعنى : وما كان لتزول منه الجبال ، ويقراً ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ على الرفع وفتح اللام الأولى ومعناه معنى حسن صحيح ، والمعنى : وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال ، فإن الله ينصر دينه ، ومكرهم عنده لا يخفى عليه »^١ .

^١ _ المحرر الوجيز : (٩ / ١٠٠) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٢٥ - ٤٢٦) .

^٣ _ نظم الدرر : (٤ / ٣٩١) .

^٤ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١٢٦ - ١٢٧) ، واللباب : (١١ / ٤١٢ - ٤١٣) .

^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٨٩) .

^١ _ معاني القرآن : (٣ / ١٦٦ - ١٧٦) .

٦٩ / ٣٠ _ المسألة الرابعة : المراد بالجمال في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانِ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ

الْجِبَالُ ۖ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالجمال المعروفة ، فقال : « والذي يظهر أن زوال الجبال مجاز ضرب مثلاً لمكر قريش ، وعظمه والجمال لا تزول ، وهذا من باب الغلو والإيغال والمبالغة في ذم مكرهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالجمال في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانِ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ

على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المراد بالجمال المعروفة ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول الزجاج^٢ ، والواحدي^٣ ، والقرطبي^٤ ، والنسفي^٥ ، ووافقه ابن جزى^٦ ، والمراغي^٧ ، وهو قول الجمهور^٨ ، والجمال لا تزول ولكن القصد تعظيم مكرهم بحيث تزول منه الجبال ، أي : إن مكرهم في غاية الشدة ، أو بيان ضعف مكرهم ، والمعنى : وإن كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال .

القول الثاني : أنها ضربت مثلاً لأمر النبي ﷺ _ وثبت دينه كثبت الجبال^٩ .

القول الثالث : أن المراد بالجمال آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على أيدي الرسل السالفة _ عليهم السلام _ التي هي كالجمال في الرسوخ والثبات ، والقصد إلى تحقير مكرهم ، وأنه ما كان لتزول منه الآيات والنبوءات ، وهو مروى عن الحسن^١ ، وقول الزمخشري^٢ ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٦ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٠٨ / ٢) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (١٦٧ / ٣) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٣٦ / ٣) ، والوجيز : (٣٩٨ / ١) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٣٨١ / ٩) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٦٦ / ١) .

^٦ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٦١ / ٢) .

^٧ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٦٧ / ١٣) .

^٨ _ ينظر : النكت والعيون : (١٤٣ / ٣) ، وزاد المسير : (٣٧٤ / ٤) .

^٩ _ ينظر : النكت والعيون : (١٤٣ / ٣) ، وزاد المسير : (٣٧٤ / ٤) .

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (١٠٠ / ٩) ، والجواهر الحسان : (٢٠٣ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣٩٢ / ٣) .

والبقاعي^١ ، وأبي السعود^٢ .

واستدلوا على ذلك بما يلي :

١ _ قراءة ابن مسعود : ﴿ وما كان مكرهم ﴾^٣ .

٢ _ قوله تعالى في الآيات اللاحقة : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو

أَنْتِقَامٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٧] أي : فقد وعدك الظهور عليهم . ويريد بوعدده : النصر والفتح وإظهار الدين ، كما قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٣٣]^٤ .

قال الزمخشري : « والمعنى : ومحال أن تزول الجبال بمكرهم ، على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعها ، لأنها بمثلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً . وتنصره قراءة ابن مسعود : « وما كان مكرهم »^٥ .

ورد أبو السعود قول من قال إن المراد أمر النبي ﷺ _ وأمر القرآن ، بل المراد شرائع الأمم السابقة ، فقال : « والحال أن مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على أنها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعها ومعجزاته الظاهرة على أيدي الرسل السالفة _ عليهم السلام _ التي هي بمثلة الجبال الراسيات في الرسوخ ، وأما كونها عبارة عن أمر النبي ﷺ _ وأمر القرآن العظيم كما قيل ، فلا مجال له ؛ إذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين ، وإن خص الخطاب بالمنذرين »^٦ .

^١ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٩١) .

^٢ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٩) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٩٢) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ١٤٨) ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ١٦٦) ، واللباب : (١١ / ٤١٢) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن ، للزجاج : (٣ / ١٦٧) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٧٤) .

^٥ _ الكشاف : (٣ / ٣٩٢) .

^٦ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٥٩) .

الترجيح :

الذي يظهر _ والله تعالى أعلم بالصواب _ في ضوء ما استعرض من الأقوال أن الراجح القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، بأن المراد بالجبال : الجبال المعروفة ؛ لأن الأصل حمل نصوص الوحي على الحقيقة^١ .

إلا أن فيه تعريضاً بأن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على أيدي الرسل السالفة عليهم السلام ، وأن الرسول _ ﷺ _ والمسلمين الذين يريد المشركون المكر بهم لا يزعزعهم مكرهم ؛ لأنهم ثابتون كثبات الجبال الرواسي ، وأن عاقبة مكر المشركين تعود عليهم .

قال الطبري : « وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم وافتروا عليه فريتهم عليه ، وعند الله علم شركهم به وافترائهم عليه ، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلها ، وما كان شركهم وفريتهم على الله لتزول منه الجبال ، بل ما ضرّوا بذلك إلا أنفسهم ، ولا عادت بغية مكروهه إلا عليهم »^٢ .

وقال الطاهر بن عاشور : « وما كان مكرهم زائلة منه الجبال ، وهو استخفاف بهم ، أي ليس مكرهم بمتجاوز مكر أمثالهم ، وما هو بالذي تزول منه الجبال . وفي هذا تعريض بأن الرسول _ ﷺ _ والمسلمين الذين يريد المشركون المكر بهم لا يزعزعهم مكرهم لأنهم كالجبال الرواسي »^٣ .

وقال السعدي : « ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ أي : ولقد كان مكر الكفار المكذبين للرسل بالحق وبمن جاء به من عظمه لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها ، أي : ﴿ وَمَكْرُوهٌ مَكْرًا كُبْرًا ﴾ [سورة نوح : ٢٢] لا يقادر قدره ولكن الله رد كيدهم في نحورهم . ويدخل في هذا كل من مكر من المخالفين للرسل لينصر باطلاً أو يبطل حقاً ، والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئاً ، ولم يضرروا الله شيئاً وإنما ضرّوا أنفسهم »^٤ .



^١ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٥٤٨) ، وقواعد الترجيح : (٢ / ٣٨٧)

^٢ _ جامع البيان : (١٧ / ٤٣) .

^٣ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٥٠) .

^٤ _ تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠١) .

قال الله تعالى ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

٧٠ / ٣١ _ المشار إليه في قوله تعالى ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المشار إليه ما ذكر به تعالى من قوله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٢ _ ٥١] ، فقال : « والإشارة بـ ﴿ هَذَا ﴾ إلى ما ذكر به تعالى من قوله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً ﴾ إلى قوله : ﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المشار إليه في قوله تعالى ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ ﴾ أربعة أقوال :

القول الأول : الإشارة بـ ﴿ هَذَا ﴾ إلى ما ذكر به تعالى من قوله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٢ _ ٥١] ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، والنسفي^٣ ، ووافقهم أبو السعود^٤ .
القول الثاني : الإشارة إلى القرآن ، وهو مروى عن ابن زيد^٥ ، وقول الطبري^٦ ، والسمرقندي^٧ ، والواحدي^٨ ، والبغوي^٩ ، وابن عطية^{١٠} ، وأبي البقاء^{١١} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٢٩ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٠٩ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣٩٥ / ٣) .

^٣ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٦٧ / ١) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٦٢ / ٥) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (٥٧ / ١٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٥٤ / ٧) ، و النكت والعيون : (١٤٦ / ٣) ، و البحر المحيط : (٤٢٩ / ٥) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (٥٧ / ١٧) .

^٧ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٤٠ / ٢) .

^٨ _ ينظر : الوسيط : (٣٧ / ٣) ، والوجيز : (٣٩٨ / ١) .

^٩ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٦٣ / ٤) .

^{١٠} _ ينظر : المحرر الوجيز : (١٠٥ / ٩) .

^{١١} _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٦٧) .

وابن كثير^١ ، والحازن^٢ ، والثعالبي^٣ ، والسعدي^٤ ، والشنقيطي^٥ ، والمراغي^٦ .
واستدلوا :

١ _ بأنه قول تفسره آيات أخرى تدل على أن المراد القرآن الكريم ، كقوله : ﴿لَا نُذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام : ١٩] ، وكما قال في أول السورة ﴿الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ وَلَمْ يَقْرَأُواهُ لَئِيْلٌ مُّسْتَقْبِرُونَ﴾ [سورة إبراهيم : ١] .

قال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَغٌ لِلنَّاسِ ﴾ الآية . بين في هذه الآية الكريمة أن هذا القرآن بلاغ لجميع الناس وأوضح هذا المعنى في قوله : ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٩] »^٨ .

٢ _ سياق الآية اللاحق يدل عليه^٩ ، قال السعدي : « فلما بين البيان المبين في هذا القرآن قال في مدحه : ﴿ هَذَا بَلَغٌ لِلنَّاسِ ﴾ أي : يتبلغون به ويترودون إلى الوصول إلى أعلى المقامات وأفضل الكرامات ، لما اشتمل عليه من الأصول والفروع ، وجميع العلوم التي يحتاجها العباد . ﴿ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾ لما فيه من الترهيب من أعمال الشر وما أعد الله لأهلها من العقاب ، ﴿ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ﴾ حيث صرف فيه من الأدلة والبراهين على ألوهه — يته ووحدانيته ، ما صار ذلك حق اليقين ، ﴿ وَلِيَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي : العقول الكاملة ما ينفعهم في فعلونه ، وما يضرهم فيتركونه ، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر .

إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم ، وتنورت أفكارهم لما أخذوه غصاً طرئاً فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق والأعمال وأفضلها ، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها .

^١ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٥) .

^٢ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٣١) .

^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٥) .

^٤ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٢ - ٩٠٣) .

^٥ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١١٥) .

^٦ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ١٧٠) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٢ / ٥٤٥) .

^٨ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١١٥) .

^٩ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٢ - ٩٠٣) ، و تفسير المراغي : (١٣ / ١٧٠) .

وهذه القاعدة إذا تدرب بها العبد الذكي لم يزل في صعود ورقي على الـدوام في كل خصـلة حميدة»^١ .

القول الثالث : الإشارة إلى السورة^٢ ، وحسنه الطاهر بن عاشور حيث قال : « الإشارة إلى الكلام السابق في السورة كلها من أين ابتدأته أصبت مراد الإشارة ، والأحسن أن يكون للسورة كلها»^٣ .
القول الرابع : هذا الإنذار كاف للناس ، وهو قول ابن شجرة^٤ ، والنحاس^٥ .

الترجيح :

بالنظر في أقوال أئمة التفسير يظهر لي _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن الأقوال جميعها يصح أن تكون مرجع اسم الإشارة .

ومن قال بذلك البيضاوي ؛ حيث قال : « هَذَا » إشارة إلى القرآن ، أو السورة ، أو ما فيه العظة والتذكير ، أو ما وصفه من قوله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٢] «^٦ .
وكذلك قال الألوسي إلا أنه بين أن القول الأول أبلغ ؛ حيث قال : « هَذَا بَلَّغٌ ﴾ أي ما ذكر من قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٢] إلى هنا ، وجوز أن يكون الإشارة إلى القرآن وهو المروى عن ابن زيد ، أو إلى السورة والتذكير باعتبار الخبر ، وهو ﴿ بَلَّغٌ ﴾ ، والكلام على الأول أبلغ ، فكأنه قيل : هذا المذكور آنفاً كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة إلى ما انطوى عليه السورة الكريمة ، أو كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع»^٧ .

^١ _ تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٢ - ٩٠٣) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٢٩) .

^٣ _ التحرير والتنوير : (١٣ / ٢٥٤) .

^٤ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٤٦) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٧٨) .

^٥ _ ينظر : إعراب القرآن : (٢ / ٣٧٤) .

^٦ _ تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٥ / ٤٩١) .

^٧ _ روح المعاني : (٩ / ٤٢٤) .

وقال البقاعي : « ولما اشتملت هذه السورة على ما قرع سمعك من هذه المواعظ والأمثال والحكم التي أبكمت البلغاء ، وأخرست الفصحاء ، وبهرت العقول ، ترجمها سبحانه بما يصلح عنواناً لجميع القرآن فقال : ﴿ هَذَا ﴾ أي الكتاب الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴿ هَذَا بَلَّغٌ ﴾ أي كافٍ غاية الكفاية في الإيصال ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ ليصلوا به إلى الله بما يتحلون به من المزايا في سلوك صراطه القويم»¹ .



¹ _ نظم الدرر : (٤ / ٣٩٣) .

ثالثاً ترجيحات أبي حيان الأندلسي

في سورة الحجر

وفيها ثلاثة وأربعون ترجيحاً

قال الله تعالى ﴿رُبَّمَا يَوۡقُوۡنَ الَّذِيۡنَ كَفَرُوۡا لَوۡ كَانُوۡا مُسۡلِمِيۡنَ﴾ [٢] .

١ / ٧١ _ المراد بـ (رُبَّ) في قوله تعالى ﴿رُبَّمَا﴾ :

رجح أبوحيان أن معنى (رُبَّ) في هذا الموضع التكثير ، وأنه المفهوم من سياق الكلام ؛ حيث قال : « ومن قال : إنَّ التقليل والتكثير إنما يفهم من سياق الكلام لا من موضوع (رُبَّ) ، قال : دل سياق الكلام على الكثرة »^١ .

وبين في النهر الماد أن اختيار التقليل أو التكثير في معنى (رُبَّ) يكون على حسب الفهم من سياق الكلام ؛ حيث قال : « وقد اختلفوا تفيد التقليل أم التكثير ، والذي يظهر أن ذلك يفهم من سياق الكلام لا من موضعها ، ومثال هذا التركيب القرآني قول الشاعر :
ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقل »^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في (رُبَّ) تفيد التقليل أم التكثير على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنها للتقليل والتكثير ، وأن التقليل والتكثير إنما يفهم من سياق الكلام لا من موضوع رب ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ووافقه ابن عثيمين^٤ ، والسياق هنا دل على الكثرة^٥ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أن ﴿رُبَّمَا﴾ تقع على التقليل والتكثير ، وهو وارد في اللغة ، كما يقع الناهل : على العطشان والريان ، والجون : على الأسود والأبيض^٦ .

٢ _ أنها جاءت على هذا المعنى _ وهو التكثير _ في الشعر كثيراً^٧ . ومنه قول الشاعر :
ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقل .

٣ _ أن سياق الكلام دل على الكثرة^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٣ / ٥) .

^٢ _ قال الشهاب : ((هو من شعر أمية بن الصلت ، وقيل : لحنيفة بن عمير البشكري ، وقيل : للبهري ابن أخت مسيلمة الكذاب)) . حاشية الشهاب : (٤٩٤ / ٥) .

^٣ _ النهر الماد : (٢١٢ / ٢) .

^٤ _ ينظر : شرح المقدمة الآجرومية : (٢٠) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٣٣ / ٥) ، واختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط : (٥١٩ / ٢) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٣٨١ / ٤) .

^٧ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٦٨) .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٣٣ / ٥) .

القول الثاني: أن (رُبَّ) للتقليل، وهو قول الزجاج^١، والنحاس^٢، والزمخشري^٣، وابن عطية^٤، وابن الجوزي^٥، والرازي^٦، والبيضاوي^٧، والباقعي^٨، والخازن^٩، والثعالبي^{١٠}، وأبي السعود^{١١}، والمراغي^{١٢}.

وذكر الرازي أن العلماء اتفقوا على ذلك^{١٣}، ورد عليه أبو حيان أن دعواه اتفاق العلماء على ذلك باطلة^{١٤}.

و احتاج أصحاب هذا القول إلى تأويل مجيء (رُبَّ) هنا^{١٥}؛ لأن هذه الآية خارجة مخرج الوعيد، فإنما يناسب الوعيد تكثير ما يُتوَعَدُ به، فاستدلوا بثلاثة أمور:

١ _ دلالة سياق الآية اللاحقة عليه.

قال النحاس _ رحمه الله _ : « والدليل على أنه وعيد وتهديد قوله بعد ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الحجر: ٣]»^{١٦}.

^١ _ ينظر: معاني القرآن: (١٧٢ / ٣).

^٢ _ ينظر: معاني القرآن: (٩ / ٤).

^٣ _ ينظر: الكشاف: (٣٩٦ / ٣).

^٤ _ ينظر: المحرر الوجيز: (١٠٧ / ٩).

^٥ _ ينظر: زاد المسير: (٣٨٠ / ٤).

^٦ _ ينظر: التفسير الكبير: (١٥٦ / ١٩).

^٧ _ ينظر: تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب: (٤٩٥ / ٥).

^٨ _ ينظر: نظم الدرر: (٣٩٧ / ٤).

^٩ _ ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: (١٣٣ / ٤).

^{١٠} _ ينظر: الجواهر الحسان: (٢٠٦ / ٢).

^{١١} _ ينظر: إرشاد العقل السليم: (٦٤ / ٥).

^{١٢} _ ينظر: تفسير المراغي: (٥ / ١٤).

^{١٣} _ ينظر: التفسير الكبير: (١٥٦ / ١٩).

^{١٤} _ ينظر: البحر المحيط: (٤٣١ / ٥).

^{١٥} _ ينظر: البحر المحيط: (٤٣٣ / ٥).

^{١٦} _ معاني القرآن: (٩ / ٤).

٢ _ أنه وارد على مذهب العرب في قولهم : لعلك ستندم على فعلك ، وربما ندم الإنسان على ما فعل ، ولا يشكون في تدمه ، ولا يقصدون تقليله ، ولكنهم أرادوا : ولو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل ؛ لأنّ العقلاء يتحرّزون من التعرّض للغم المظنون ، كما يتحرّزون من المتيقن ومن القليل منه ، كما من الكثير ، وكذلك المعنى في الآية : لو كانوا يودّون الإسلام مرة واحدة ، فبالحري أن يسارعوا إليه ، فكيف وهم يودّونه في كل ساعة ، فقوله تعالى ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحجر : ٢] : حكاية ودادتهم^١ ، وهو مستعمل في التهكم والتخويف^٢ ، وأبلغ في التهديد^٣ .

وذكروا أن لفظ التقليل أبلغ من لفظ التكثير فقالوا : إن الرجل يقول لصاحبه : لا تعادي فرمما ندمت . وهذا موضع ينبغي أن تكثر فيه الندامة ، ولكن المراد أن الندامة لو كانت قليلة لوجب أن يتجنب ما يؤدي إليها ، فكيف وهي كثيرة ؟ فصار لفظ التقليل هنا أبلغ من التصريح بلفظ التكثير . وعلى هذا تأولوا قوله تعالى ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحجر : ٢] .^٤

٢ _ وقيل : تدهشهم أهوال ذلك اليوم فييقنون مبهوتين ، فإن كانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا ؛ فلذلك قلل^٥ .

٣ _ أنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها^٦ .

^١ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٧٢) ، والكشاف : (٣ / ٣٩٦) ، و تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٥ / ٤٩٥) ، ونظم الدرر : (٤ / ٣٩٧) ، و تفسير المراغي : (٥ / ١٤) .

^٢ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١١) .

^٣ _ ينظر : إعراب القرآن ، للأصبهاني : (١٨٥) .

^٤ _ ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني : (١ / ٧٤) .

^٥ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٧٢) ، والكشاف : (٣ / ٣٩٦) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٨١) ، ومدارك التأويل وحفائق التنزيل : (١ / ٢٦٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٣٣) ، و تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : (٥ / ٤٩٥) .

^٦ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٤٨) .

القول الثالث : إنها مستعملة في هذا الموضع للتكثير ، وإن كانت في الأصل موضوعة للتقليل ، أي :
يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين ، قاله الكوفيون^١ ، وهو قول الماوردي^٢ ، والقرطبي^٣ ،
والشوكاني^٤ .

فالتكثير على هذا القول في الآية ظاهر ؛ لأنّ ودادهم ذلك كثيرة^٥ .
وبين ابن عطية أنها تجيء شاذة للتكثير ، وذكر أن قوماً قالوا : إن هذه الآية من ذلك ، ومنه :
رب كأس هرقت يا ابن لؤي^٦ .

وذكر ابن جزري أنه قيل في توجيه هذا القول : إنما عبر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكم
كقوله تعالى ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [سورة النور : ٦٤]^٧ .
وأنكر الزجاج^٨ ، والنحاس^٩ ، والنسفي^{١١} على من قال : إنها للتكثير ، بأنه سهو ، ولا يعرف
في كلام العرب ، وهو ضد ما يعرفه أهل اللغة في أنها وضعت للتقليل ، وإنما حوطبوا بما يعقلون .

^١ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١ / ١٠) ، وفتح القدير : (٣ / ١٢١) .

^٢ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٤٨) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١ / ١٠) .

^٤ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٢١) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٣) .

^٦ _ أنشده ابن بري :

رب كأس هرقتها ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقة . ينظر : لسان العرب : (١٠ / ٣١٥ ، ٣٦٥) ،
وتاج العروس : (١ / ٦٥٥٧ ، ٦٦٢٣) ،

^٧ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ١٠٧ - ١٠٨)

^٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٣) .

^٩ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٧٢) .

^{١٠} _ ينظر : معاني القرآن : (٤ / ٩) .

^{١١} _ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٨) .

ورد أبو حيان على الزجاج فقال : « وقول الزجاج : إن رب للكثرة ضد ما يعرفه أهل اللغة ليس بصحيح^١ »^٢ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أنه يفهم من السياق هل هي للتقليل أم التكثر ، وهي هنا في هذه الآية للتكثر ، وكذلك يترجح القول الثالث ، وهو أنها للتكثر في هذا الموضع ، وإن كان الأصل فيها أنها للتقليل ؛ وذلك لما يلي :

١ _ وروده في اللغة .

٢ _ أن القول بالتكثر في الآية واضح لا يحتاج إلى تأويل ، والقول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار^٣ .

٣ _ هذه الآية خارجة مخرج الوعيد ، وإنما يناسب الوعيد تكثر ما يُتوَعَد به .

^١ _ اختلف أهل اللغة في معنى (رُبَّ) على أقوال :

الأول : أنها للتقليل . وهو مذهب أكثر النحويين . ونسبه صاحب البسيط إلى سيويه .

الثاني : أنها للتكثر . نقله صاحب الإفصاح عن صاحب العين ، وابن درستويه ، وجماعة . ولم يذكر صاحب العين أنها تجيء للتقليل .

الثالث : أنها تكون للتقليل والتكثر . فهي من الأضداد . وإلى هذا ذهب الفارسي في كتاب الحروف .

الرابع : أنها أكثر ما تكون للتقليل .

الخامس : أنها أكثر ما تكون للتكثر ، والتقليل بها نادر . وهو اختيار ابن مالك .

السادس : أنها حرف إثبات ، لم يوضع لتقليل ولا تكثر . بل ذلك مستفاد من السياق ، وهو ما رجحه أبو حيان .

السابع : أنها للتكثر في موضع المباهاة والافتخار . ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني : (١ / ٧٤) ، والإتقان

: (١ / ١٨٦) ، وروح المعاني : (٩ / ٤٣٢) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣١) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٤٢١) .

٤ _ أن سياق الكلام دل على الكثرة^١ ، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حملة على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى^٢ ، ودلالة السياق من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم^٣ .



^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٣) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٩) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣١) .

قال الله تعالى ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾^(١)

٧٢ / ٢ _ المراد بقوله تعالى ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد ترك قتالهم ، وتخليه سبيلهم ، وبمهادنتهم وموادعتهم ، فقال : « ويظهر أنه أمر بترك قتالهم ، وتخليه سبيلهم ، وبمهادنتهم وموادعتهم ؛ ولذلك ترتب أن يكون جواباً ؛ لأنه لو شغلهم بالقتال ومصالاة السيوف وإيقاع الحرب ما هناهم أكل ولا تمتع ، ويدل على ذلك أن السورة مكية ، وإذا جعلت ذرهم أمراً بترك نصيحتهم وشغل باله بهم ، فلا يترتب عليه الجواب ؛ لأنهم يأكلون ويتمتعون سواء ترك نصيحتهم ، أم لم يتركها »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالآية على قولين :

القول الأول : ترك قتالهم وتخليه سبيلهم وبمهادنتهم وموادعتهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٢ ، ووافقهما الثعالبي^٣ ، والسيوطي^٤ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أنه لو شغلهم بالقتال ومصالاة السيوف وإيقاع الحرب ما هناهم أكل ولا تمتع .

٢ _ أن السورة مكية^٥ .

٣ _ أن هذه الآية نسخت بآية السيف^٦ .

ورد الألوسي على أبي حيان فقال : « وما في البحر من أنه إذا جعل ﴿ ذَرَّهُمْ ﴾ أمراً بترك

نصيحتهم وشغل باله _ ﷺ _ بهم لا يترتب عليه الجواب ؛ لأنهم يأكلون ويتمتعون سواء ترك

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٣٤) .

^٢ _ ينظر : الحرر الوجيز : (٩ / ١١٠) .

^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٦) .

^٤ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٦) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٤) .

^٦ _ وآية السيف هي : قوله تعالى ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُكْرِبِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ٥] . ينظر : الإتيان في علوم القرآن : (٣ / ٦٩) .

^٧ _ ينظر : الحرر الوجيز : (٩ / ١١٠) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٨٢) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٢) ،

و لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٣٣) ، واللباب : (١١ / ٤٢٦) .

نصيحتهم أم لا . وقوف في ساحل التحقيق كما لا يخفى على من غاص في لجة المعاني ، فاستخرج درر الأسرار ، واستظهر أنه أمر بترك قتالهم وتخية سبيلهم وموادعتهم ثم قال : ولذلك صح أن يكون المذكور جواباً ؛ لأنه _ عليه الصلاة والسلام _ لو شغلهم بالقتال ومصاللة السيوف وإيقاع الحروب ما هناهم أكل ولا تمتع ويدل على ذلك أن السورة مكية . وهو كما ترى .

ثم المراد على ما قيل دوامهم على ما هم عليه ، لا إحداث ما ذكر ، أو تمتعهم بلا استمتاع ما ينغص عيشهم ، والتمتع كذلك أمر حادث يصلح أن يكون مرتباً على تخليتهم وشأنهم ، فتأمل^١ .
القول الثاني : اقطع طمعك من ارعوائهم ، ودعهم عن النهي عما هم عليه ، والصدّ عنه بالتذكرة والنصيحة ، وخلصهم ﴿ يَاكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ فسوف يعلمون حقيقة ما يثول إليه الأمر من شدة تعذيبهم وإهانتهم ، وهو قول الزمخشري^٢ ، والبيضاوي^٣ ، والنسفي^٤ ، وأبي السعود^٥ ، والألوسي^٦ ، والشوكاني^٧ ، والطاهر ابن عاشور^٨ ، والشنقيطي^٩ .

ووجه الطاهرين عاشور هذا القول فقال _ رحمه الله _ : « والأمر بتركهم مستعمل في لازمه ، وهو قلة جدوى الحرص على إصلاحهم . وليس مستعملاً في الإذن بمتاركتهم ؛ لأن النبي مأمور بالدوام على دعائهم . قال تعالى : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٠] . فما أمره بتركهم إلا وقد أعقبه بأمره بالتذكير بالقرآن ؛ فعلم أن الترك مستعمل في عدم الرجاء في صلاحهم^{١٠} .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ؛ وذلك لما يلي :

- ^١ _ روح المعاني : (٩ / ٤٣٨) .
- ^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٩٧) .
- ^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٢٨٠) .
- ^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٨) .
- ^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : (٥ / ٦٤) .
- ^٦ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٣٨) .
- ^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٢١) .
- ^٨ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٣) .
- ^٩ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١١٧) .
- ^{١٠} _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٣) .

١ _ النظائر القرآنية : فهذا النوع من التهديد ورد في مواضع أخر كقوله تعالى ﴿ فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٨٣] ، وقوله تعالى ﴿ فَذَرَّهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ [سورة الطور : ٤٥] ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^١ .

٢ _ ما وجه به الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ هذا القول بأن الأمر بتركهم مستعمل في لازمه ، وهو قلة جدوى الحرص على إصلاحهم . وليس مستعملاً في الإذن بمتاركتهم وعدم نصحهم وتذكيرهم .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [٤] .
في الآية الكريمة مسألتان :

٧٣ / ٣ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ أَهْلَكْنَا ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالهلاك : الاستئصال ، فقال : ((والظاهر أن المراد بالهلاك هلاك الاستئصال لمكذبي الرسل ، وهو أبلغ في الزجر))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالهلاك على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المراد بالهلاك : الاستئصال ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الخازن^٢ ، ووافقهما ابن عادل^٣ . واستدل لهذا القول بأنه أبلغ في الزجر^٤ .

القول الثاني : المراد الإهلاك بالموت^٥ .

القول الثالث : المراد بهذا الهلاك مجموع الأمرين ، وهو نزول عذاب الاستئصال ، ونزول الموت . قال الفخر الرازي _ رحمه الله _ : ((قال قوم : المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان الله يتزله بالمكذبين المعاندين كما بينه في قوم نوح وقوم هود وغيرهم ، وقال آخرون : المراد بهذا الهلاك الموت وقال قوم آخرون : المراد بهذا الهلاك مجموع الأمرين ، وهو نزول عذاب الاستئصال ، ونزول الموت ؛ لأن كل واحد منهما يشارك الآخر في كونه هلاكاً ، فوجب حمل اللفظ على القدر المشترك الذي يدخل فيه القسمان معاً))^٦ .

الترجيح :

مما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثالث ؛ لأن كلاً من الاستئصال والموت يشارك الآخر في كونه هلاكاً ، ففي جمع الأمرين حمل للفظ على القدر المشترك الذي يدخل فيه القسمان معاً ، والجمع بين الأقوال أولى من القول بأحدها إذا لم يكن بينها تضاد^٧ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٤ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢١٣) .

^٢ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٣٤) .

^٣ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٢٩) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٦٠) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٣٤) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٦٠) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٣٤) ، و اللباب : (١١ / ٤٢٩) .

^٦ _ التفسير الكبير : (١٩ / ١٦٠) .

^٧ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

٧٤ / ٤ _ المسألة الثانية : المراد بالكتاب في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ

مَعْلُومٌ ﴿ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالكتاب : الأجل ، فقال : « والظاهر أن الكتاب المعلوم هو الأجل الذي كتب في اللوح وبين ، ويدل على ذلك ما بعده »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالكتاب على خمسة أقوال :

القول الأول : أن الكتاب المعلوم هو الأجل الذي كتب في اللوح وبين ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن مجاهد^٢ ، وقول الطبري^٣ ، والزجاج^٤ ، والسمرقندي^٥ ، والواحدي^٦ ، والبغوي^٧ ، والزمخشري^٨ ، وابن الجوزي^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والبيضاوي^{١١} ، والنسفي^{١٢} ، والخازن^{١٣} ، ووافقه ابن عادل^{١٤} ، والبقاعي^{١٥} ، والسيوطي^{١٦} ، وأبو السعود^{١٧} ، والشوكاني^{١٨} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٣٤) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٥٨) ، والدر المنثور : (٥ / ٦٦) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٦٥) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٧٣) .

^٥ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٤٢) .

^٦ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٣٩) ، و الوجيز : (١ / ٣٩٩) .

^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٦٩) .

^٨ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٣٩٨) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٨٣) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٢٨١) .

^{١٢} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٩) .

^{١٣} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٣٤) .

^{١٤} _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٢٩) .

^{١٥} _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٣٩٩) .

^{١٦} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٦) .

^{١٧} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٦٥) .

^{١٨} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٢١) .

والألوسي^١ ، والمراعي^٢ .

واستدل لهذا القول بأن ما بعده يدل عليه ، وهو قوله تعالى ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٥]^٣ .

القول الثاني : أن المراد بالكتاب : القدر المحدود عند الله ، وهو قول السعدي^٤ ، والطاهر بن عاشور^٥ .

ووجه الطاهر ابن عاشور تشبيه القدر بالكتاب فقال : ((شبه بالكتاب في أنه لا يقبل الزيادة والنقص ، وهو معلوم عند الله ، لا يضلّ ربي ولا ينسى))^٦ .

القول الثالث : أنه الوقت المحدود ، وهو قول ابن جزري^٧ .

القول الرابع : كتاب مكتوب فيه آجال هلاكهم ، وهو قول الفخر الرازي^٨ .

القول الخامس : كتاب معلوم أي : فرض محتوم^٩ .

الترجيح :

بالنظر في مجمل الأقوال الواردة في بيان معنى الآية يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ هو القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد الأجل المكتوب في اللوح المحفوظ ؛ وذلك لدلالة ما بعده من السياق عليه كما ذكره أصحاب القول الأول ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^{١٠} ، ودلالة السياق من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم^{١١} .

^١ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٤٠) .

^٢ _ ينظر : تفسير المراعي : (١٤ / ٦) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٣٤) ، ونظم الدرر : (٤ / ٣٩٩) ، وحاشية الشهاب : (٥ / ٤٩٧) .

^٤ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٤) .

^٥ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٥) .

^٦ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٥) .

^٧ _ التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٣) .

^٨ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٦٠) .

^٩ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٤٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٣٤) .

^{١٠} _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

^{١١} _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣١) .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : ((ولما بين سبحانه أن الأمم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم ، وأنه لم يكن إلا حسبما كان مكتوباً في اللوح ، بين جل شأنه أن كل أمة من الأمم منهم ، ومن غيرهم لهم كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه ، فقال عز قائلاً : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٥] من الأمم المهلكة وغيرهم ... ﴿ أَجَلَهَا ﴾ [سورة الحجر : ٥] المكتوب في كتابها ، أي : لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها ، أو لا تمضي أمة قبل مضي أجلها ، ... وإيراده بعنوان الأجل باعتبار ما يقتضيه من السبق ، كما أن إيراده بعنوان الكتاب باعتبار ما يوجبه من الإهلاك))^١ .



^١ _ روح المعاني : (٩ / ٤٤١ _ ٤٤٢) .

قال الله تعالى ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴾ [٨] .

٥ / ٧٥ _ المراد بالحق في قوله تعالى ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي أرادها الله تعالى لعباده ، فقال : ((والظاهر أن معناها : كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي أرادها الله تعالى لعباده ، لا على اقتراح كافر ، ولا باختيار معترض . ثم ذكر عادة الله تعالى في الأمم من أنه لم يأتمم بآية اقتراح إلا ومعها العذاب في أثرها إذ لم يؤمنوا ، فكان الكلام ما تنزل الملائكة إلا بحق لا باقتراحكم)^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالحق في الآية على تسعة أقوال :

القول الأول : أن معناها : كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي أرادها الله تعالى لعباده ، لا على اقتراح كافر ، ولا باختيار معترض ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٢ ، ووافقهما ابن جزري^٣ ، والثعالبي^٤ .

ورده الألويسي _ رحمه الله _ فقال : ((وفيه ما فيه))^٥ ، ومراده _ والله أعلم _ أن قصره على هذا المعنى فيه قصور .

القول الثاني : أي ملتبساً بالوجه الذي يحق ملابسة التزليل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية ، وهو قول الزمخشري^٦ ، والبيضاوي^٧ ، والنسفي^٨ ، وأبي السعود^٩ ، والألويسي^{١٠} ، والمراغي^{١١} .

^١ _ النهر الماد : (٢ / ٢١٥) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ١١١ - ١١٢) .

^٣ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٤) .

^٤ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٧) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٤٧) .

^٦ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٩٩) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٢٨٢) .

^٨ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٩) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٦٧ - ٦٨) .

^{١٠} _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٤٥) .

^{١١} _ ينظر : تفسير المراغي : (٩ / ١٤) .

قال أبو السعود _ رحمه الله _ : ((**﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** أي : ملتبساً بالوجه الذي يحق ملابسة التزئيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية كقوله سبحانه : **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** [سورة الحجر : ٨٥] .

والذي اقترحوه من التزئيل لأجل الشهادة لديهم وهم همٌ ومرتلتهم في الحقارة والهوان مرتلتهم ، مما لا يكاد يدخل تحت الصِّحة والحكمة أصلاً ، فإن ذلك من باب التزئيل بالوحي الذي لا يكاد يُفتح على غير الأنبياء الكرام من أفراد كُمل المؤمنين ، فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللثام؟ وإنما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التزئيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأضراهم من الأمم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرّة)^١ .

القول الثالث : العذاب ، وهو قول الحسن^٢ ، ووافقه الواحدي^٣ ، و البغوي^٤ ، والسيوطي^٥ ، والطاهر ابن عاشور^٦ .

واستدلوا بما يلي :

_ أنه بيئنه قوله تعالى **﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾** [سورة الحج : ١٨] .

_ أن قرينة السياق اللاحق وهو قوله تعالى **﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾** [سورة الحجر : ٨] تدل على أن المراد العذاب .

_ أن نظيره قوله تعالى **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾** [سورة الأنعام : ٨]^٧ .

القول الرابع : إلا بالقرآن ، وهو قول القرطبي^٨ .

القول الخامس : قبض الأرواح عند الموت ، وهو قول ابن السائب^٩ .

^١ _ إرشاد العقل السليم : (٦٧ / ٥ - ٦٨) .

^٢ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٤٩) ، والكشاف : (٣ / ٣٩٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٣٤) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٤٠) ، والوجيز : (١ / ٤٠٠) .

^٤ _ ينظر : معالم التزئيل : (٤ / ٣٦٩) .

^٥ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٦) .

^٦ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٩) .

^٧ _ ينظر : المرجع السابق : (١٤ / ١٩) .

^٨ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٤ / ١٠) .

^٩ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٤٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٣٥) .

القول السادس : الرسالة والعذاب ، يعني بالرسالة إلى رسلنا ، و بالعذاب لمن أردنا تعذيبه ، وهو مروى عن مجاهد^١ ، وقول الطبري^٢ ، والبقاعي^٣ .

قال الألويسي : ((قيل : المعنى ما نزل الملائكة إلا بالرسالة والعذاب ولو نزلناهم عليهم ما كانوا منظرين ؛ لأن التتريل عليهم بالرسالة مما لا يكاد ، فتعين أن يكون التتريل بالعذاب))^٤ .

القول السابع : إنما تنزل بآجال أو بوحى من الله ، وهو قول الزجاج^٥ .

القول الثامن : بالوحي ، والعذاب ، وقبض أرواحهم ، وهو قول السمرقندي^٦ .

القول التاسع : بالعذاب أو وقت الموت ، وهو قول الخازن^٧ .

الترجيح :

والذي يتبين لي أن هذه الأقوال الأخيرة هي بيان لبعض ما كلفت به الملائكة من الأمور التي تنزل بها من الله تعالى ، وتكرر في بعضها أن المراد بالحق العذاب ، وهو الذي يظهر رجحانه _ والله أعلم _ ؛ لما ذكره أصحاب القول الثالث من الأدلة ، وهي :

_ أنه بيّنه قوله تعالى ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] .

_ أن قرينة السياق اللاحق وهو قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٨] تدل على أن المراد العذاب ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٨ .

^١ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٣٩) ، و جامع البيان : (١٧ / ٦٨) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٥٨ / ٧) ، والدر المنثور : (٦٧ / ٥) .

فائدة : أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج عنه ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره لمتابعة ابن أبي نجيح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٢٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٦٧ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٠١ / ٤) .

^٤ _ روح المعاني : (٤٤٦ / ٩) .

^٥ _ ينظر : معاني القرآن : (١٧٣ / ٣) .

^٦ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٤٢ / ٢) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التتريل : (٤ / ١٣٤) .

^٨ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١٢٥ / ١) .

— أن نظيره قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٨] ^١ ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك ^٢ .
وهذا القول مترتب على ما رجحه أبو حيان من أن نزول العذاب يكون بأمر الله تعالى ، وذلك وفق حكمته وعدله سبحانه .

وقد وجه الألوسي هذا القول فقال : ((وقيل : في توجيه الآية على تقدير كون اقتراحهم لإتيان الملائكة لتعذيبهم : إن المعنى إنا ما نزل الملائكة للتعذيب إلا تزيلاً ملتبساً بما تقتضيه الحكمة ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك ملتبساً بما تقتضيه ؛ لأنها اقتضت تأخير عذابهم إلى يوم القيامة ، وحيث كان في نسبة تزييلهم للتعذيب إلى عدم موافقة الحكمة نوع إيهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر إلى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل : لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة ، فتدبر جميع ذاك والله تعالى يتولى هداك)) ^٣ .



^١ — ينظر : المرجع السابق : (١٤ / ١٩) .

^٢ — ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

^٣ — روح المعاني : (٩ / ٤٤٧) .

قال الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٩] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٦ / ٧٦ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن مرجع الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ إلى الذكر ، فقال : ((الظاهر أن الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ عائد على الذكر ، لأنه المصرح به في الآية ، وهو قول الأكثر : مجاهد ، وقتادة ، وغيرهما))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ على قولين :

القول الأول : أن الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ عائد على الذكر ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً
المروي عن مجاهد ، وقتادة ، وقول الطبري^٢ ، و الزجاج^٣ ، والسمرقندي^٤ ، والواحدي^٥ ،
و البغوي^٦ ، والزمخشري^٧ ، والرازي^٨ ، والقرطبي^٩ ، والبيضاوي^{١٠} ، والخازن^{١١} ،
والنسفي^{١٢} ، ووافقهم السمين الحلي^{١٣} ، وابن جزي^{١٤} ، وابن كثير^{١٥} ، وابن عادل^{١٦} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٣٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٦٨) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٧٤) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٤٢) .

^٥ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٤٠٠) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٦٩) .

^٧ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٣٩٩) .

^٨ _ ينظر : مفاتيح الغيب : (١٩ / ١٦٤) .

^٩ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٥) .

^{١٠} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٢٨٢) .

^{١١} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٣٤) .

^{١٢} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٩) .

^{١٣} _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١٤٦) .

^{١٤} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٤) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٧) .

^{١٦} _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٣٢) .

والسيوطي^١ ، وأبو السعود^٢ ، والشوكاني^٣ ، والألوسي^٤ ، والطاهر بن عاشور^٥ ، والسعدي^٦ ،
والشنقيطي^٧ ، والمراغي^٨ ، وهو قول الأكثر^٩ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أنه المصرح به في الآية .

٢ _ أنه الأولى بالمقام .

٣ _ أن رد الكناية إلى أقرب مذكور أولى^{١٠} .

القول الثاني : الضمير في له عائد على رسول الله ﷺ _ أي : يحفظه من أذاكم ، ويحوطه من
مكركم كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٧]^{١١} ، وهو قول ابن
السائب ، ومقاتل^{١٢} .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ ما سبق في قولهم ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [سورة
الحجر : ٦]^{١٣} .

^١ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٦) .

^٢ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٦٨ / ٥) .

^٣ _ ينظر : فتح القدير : (١٢٢ / ٣) .

^٤ _ ينظر : روح المعاني : (٤٤٩ / ٩) .

^٥ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢١ / ١٤) .

^٦ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٠٥ / ١) .

^٧ _ ينظر : أضواء البيان : (١٢٠ / ٣) .

^٨ _ ينظر : تفسير المراغي : (٩ / ١٤) .

^٩ _ ينظر : المحرر الوجيز : (١١٢ / ٩) ، وزاد المسير : (٣٨٤ / ٤) ، والبحر المحيط : (٤٣٥ / ٥) ، و

لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٣٤ / ٤) ، وروح المعاني : (٤٥٠ / ٩) .

^{١٠} _ ينظر : مفاتيح الغيب : (١٦٤ / ١٩) ، والبحر المحيط : (٤٣٥ / ٥) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن
كثير : (٥٤٧ / ٢) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (١٣٤ / ٤) ، وفتح القدير : (١٢٢ / ٣) ، وأضواء
البيان : (١٢٠ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (٦٨ / ١٧) ، والكشاف : (٤٠٠ / ٣) ، والبحر المحيط : (٤٣٥ / ٥) .

^{١٢} _ ينظر : زاد المسير : (٣٨٤ / ٤) .

^{١٣} _ زاد المسير : (٣٨٤ / ٤) .

٢ _ دلالة ما بعده عليه في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الحجر : ١٠] .^١

الترجيح :

مما سبق يتبين أن الراجح _ والله أعلم _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن مرجع الضمير للذكر ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أنه المصرح به في الآية ، فهو المتبادر من ظاهر السياق ، وهو الأولى بالمقام ، والواجب علينا أن نحمل القرآن على لفظه ، ولا نزيله عن نظمه إذا لم تدعنا إلى ذلك ضرورة^٢ ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^٣ .

٢ _ أن رد الكناية إلى أقرب مذكور أولى^٤ ، وإعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^٥ ، وكذلك إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر^٦ .



^١ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٦٩) .

^٢ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن : (٥٣١) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

^٤ _ ينظر : مفاتيح الغيب : (١٩ / ١٦٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٣٥) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٢ / ٥٤٧) ، و لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٣٤) ، وفتح القدير : (٣ / ١٢٢) ، وأضواء البيان : (٣ / ١٢٠) .

^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٦٠٣) .

^٦ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٥٩٣) .

٧٧ / ٧ _ المسألة الثانية : المراد بالحفظ في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن المراد بالحفظ العموم ، فقال : ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي : حافظون له من الشياطين ، وفي كل وقت تكفل تعالى بحفظه ، فلا يعتريه زيادة ولا نقصان ، ولا تحريف ولا تبديل ، بخلاف غيره من الكتب المتقدمة ، فإنه تعالى لم يتكفل حفظها بل قال تعالى : إن الربانيين والأحبار استحفظوا ؛ ولذلك وقع فيها الاختلاف ^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالحفظ أقوال :

القول الأول : عموم الحفظ ، ومنه : حافظون له من الشياطين ، وفي كل وقت تكفل تعالى بحفظه ، فلا يعتريه زيادة ولا نقصان ، ولا تحريف ولا تبديل ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروى عن قتادة ^٢ ، وقول الطبري ^٣ ، والزجاج ^٤ ، وابن عطية ^٥ ، والواحدي ^٦ ، والبغوي ^٧ ، والزمخشري ^٨ ، والقرطبي ^٩ ، والنسفي ^{١٠} ، والبيضاوي ^{١١} ، ووافقهم ابن جزى ^{١٢} ، وابن كثير ^{١٣} ، والخازن ^{١٤} ، والسيوطي ^{١٥} ، والشوكاني ^{١٦} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٥ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢١٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٦٨) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٥٨) ، والدر المنثور : (٥ / ٦٧) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٦٨) ، والمحرم الوجيز : (٩ / ١١٢) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٧٤) .

^٥ _ ينظر : المحرم الوجيز : (٩ / ١١٢) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٤٠٠) .

^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٦٩ - ٣٧٠) .

^٨ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٣٩٩) .

^٩ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٥) .

^{١٠} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٦٩) .

^{١١} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٢٨٢) .

^{١٢} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٤) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٧) .

^{١٤} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٣٤) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٦) .

^{١٦} _ فتح القدير : (٣ / ١٢٢) .

والطاهر ابن عاشور^١ ، والسعدي^٢ ، والشنقيطي^٣ ، والمراغي^٤ .
 واستدلوا بأن هذه الآية نحو قوله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] .^٥

القول الثاني : حفظه من كل ما لا يليق به ، وهو قول أبي السعود^٦ ، والألوسي^٧ .
 قال أبو السعود _ رحمه الله _ : ((﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] من كل ما لا يليق به ، فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزأؤهم به دخولاً أولاً فيكون وعيداً للمستهزئين ، وأما الحفظُ عن مجرد التحريفِ والزيادة والنقصِ وأمثالها فليس بمقتضى المقام ، فالوجهُ الحملُ على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ، ويجوزُ أن يراد حفظه بالإعجاز دليلاً على التزليل من عنده تعالى ؛ إذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادةُ والنقصُ والاختلاف ، وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياءِ والجلالة وعلى فخامة شأن التزليل ما لا يخفى ، وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالةً على دوام الحفظِ والله سبحانه أعلم))^٨ .
 والذي يتضح لي أن هذا القول قريب من القول الأول ، إلا أن دلالة على العموم أوضح ، فلا يتنافيان .

القول الثالث : حفظه بإبقاء شريعته إلى يوم القيامة ، وهو قول الحسن^٩ . وهو قول مترتب على القولين السابقين _ والله أعلم _ .

القول الرابع : يحفظه في قلوب من أراد بهم خيراً ، حتى لو غير أحد نقطة ؛ لقال له الصبيان : كذبت ، وصوابه كذا^{١٠} .

وقال ابن عطية عن القول الأول والرابع : ((والمعنى متقارب))^{١١} .

^١ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢١) .

^٢ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٥) .

^٣ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٢٠) .

^٤ _ ينظر : تفسير المراغي : (٩ / ١٤) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ١١٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٦٧) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٦٨ - ٦٩) .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٤٩) .

^٨ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٦٨ - ٦٩) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٥) .

^{١٠} _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٤٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٣٥) .

^{١١} _ المحرر الوجيز : (٩ / ١١٢) .

الترجيح :

بالنظر في مجمل الأقوال الواردة في بيان معنى الآية يتضح أن اختلاف المفسرين فيها اختلاف في ذكر الأنواع ، بمعنى أن بعضهم عبّر عن المراد بالحفظ العموم ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه . ونجد البعض الآخر يبين معنى الحفظ ببعض أنواع الحفظ التي يكون بها حفظ القرآن الكريم ، وكل هذه من أنواع الحفظ التي تكفل الله عز وجل بها ليحفظ بها القرآن الكريم ، فيصح بناءً عليه حمل الآية على الجميع ؛ لعدم التضاد بينها ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^١ .



^١ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

قال الله تعالى ﴿ كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [١٢] .

٨ / ٧٨ _ مرجع الضمير في ﴿ نَسَلُكُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان أن مرجع الضمير في ﴿ نَسَلُكُمْ ﴾ على الاستهزاء ، فقال : ((والذي يظهر

عوده على الاستهزاء المفهوم من قوله : ﴿ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾)^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ نَسَلُكُمْ ﴾ على قولين :

القول الأول : الضمير في نسلكه عائد على الاستهزاء والشرك ونحوه ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن الحسن^٢ ، وقتادة^٣ ، وابن جريج^٤ ، وابن زيد^٥ ، وقول الفراء^٦ ، والطبري^٧ ، والزجاج^٨ ، والسمرقندي^٩ ، ومكي بن أبي طالب القيسي^{١٠} ، والواحدي^{١١} ، والبغوي^{١٢} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٦ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢١٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٧٠ / ١٧) ، و تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٥٨ / ٧) ، والدر المنثور : (٦٧ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٧٠ / ١٧) ، والدر المنثور : (٦٧ / ٥) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٧٠ / ١٧) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (٧٠ / ١٧) ، و تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٥٨ / ٧) ، والدر المنثور : (٦٧ / ٥) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٨٥ / ٢) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (٧٠ / ١٧) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن : (١٧٤ / ٣) .

^٩ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٤٢ / ٢) .

^{١٠} _ ينظر : مشكل إعراب القرآن : (٥ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : الوجيز : (٤٠٠ / ١) .

^{١٢} _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٦٩ - ٣٧٠) .

والعكبري^١ ، والبيضاوي^٢ ، والخازن^٣ ، والنسفي^٤ ، ووافقهم ابن كثير^٥ ،
والسيوطي^٦ ، والسعدي^٧ .

القول الثاني : عائد على الذكر ، أي : مثل ذلك السلك . ونحوه : نسلك الذكر في قلوب المجرمين ،
إلزاماً للحجة ، على معنى أنه يلقيه في قلوبهم مكذباً مستهزأً به غير مقبول ، كما لو أنزلت بلئيم
حاجة فلم يجبك إليها فقلت : كذلك أنزلها باللثام يعني : مثل هذا الإنزال أنزلها بهم ، مردودة غير
مقضية ، وهو قول الزمخشري^٨ ، وواقفه السمين الحلبي^٩ ، والبقاعي^{١٠} ، وابن عادل^{١١} ، أبو السعود^{١٢}
، والشوكاني^{١٣} ، والطاهر بن عاشور^{١٤} ، والمراغي^{١٥} .

وقال الشوكاني _ رحمه الله _ : ((**كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ** ﴾) أي : مثل ذلك
الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين برسلمهم ﴿ **نَسَلُكُمْ** ﴾ أي : الذكر . ﴿ **فِي قُلُوبِ
الْمُجْرِمِينَ** ﴾ ، فالإشارة إلى ما دلّ عليه الكلام السابق من إلقاء الوحي مقروناً بالاستهزاء))^{١٦} .

^١ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٦٨) .

^٢ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢٨٤ / ٣) .

^٣ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٣٥ / ٤) .

^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٧٠ / ١) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٤٧ / ٢) .

^٦ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٦) .

^٧ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٠٥ / ١) .

^٨ _ ينظر : الكشاف : (٤٠٠ / ٣) .

^٩ _ ينظر : الدر المصون : (١٤٧ / ٧) .

^{١٠} _ ينظر : نظم الدرر : (٤٠٣ / ٤) .

^{١١} _ ينظر : اللباب : (٤٣٥ / ١١) .

^{١٢} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٦٩ / ٥ - ٧٠) .

^{١٣} _ ينظر : فتح القدير : (١٢٣ / ٣) .

^{١٤} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٥ / ١٤) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٠ / ١٤) .

^{١٦} _ فتح القدير : (١٢٣ / ٣) .

ورد على القول الأول بأنه بعيد فقال : ((وقيل : إن الضمير في ﴿ نَسَلُكُمْ ﴾ للاستهزاء ، وفي : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ للذكر ، وهو بعيد ، والأولى أن الضميرين للذكر))^١ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ دلالة السياق اللاحق وهو قوله تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ ﴾ [سورة الحجر : ١٤] أي : أنهم مهما شاهدوا من الآيات والدلالات لا يؤمنون ؛ لأنهم معاندون .

٢ _ أنه نظير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَا تَهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَا تَهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَا تَهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٤ - ١٢٥]^٢ .

الترجيح :

بالنظر في أقوال أئمة التفسير يظهر لي _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على المعنيين ، الأول والثاني ، وإلى ذلك ذهب ابن عطية ، وابن جزري^٣ ، والثعالبي^٤ . قال ابن عطية : ((والمعنى في ذلك كله ينظر بعضه إلى بعض))^٥ . وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٦ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٧ .



^١ _ المرجع السابق : (١٢٣ / ٣) .

^٢ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٤ / ١٤) .

^٣ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥) .

^٤ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٨) .

^٥ _ المحرر الوجيز : (٩ / ١١٣) .

^٦ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

^٧ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

قال الله تعالى ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ وَقَدْ حَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿ [١٣] .

٧٩ / ٩ _ مرجع الضمير في ﴿ بِهِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن مرجع الضمير في ﴿ بِهِ ﴾ أي : لا يؤمنون بسببه ، فقال :
(« والذي يظهر عوده على الاستهزاء المفهوم من قوله : ﴿ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ، والباء في ﴿ بِهِ ﴾
للسبب »)^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ بِهِ ﴾ على أقوال :

القول الأول : يعود على نفس الاستهزاء ، أي : لا يؤمنون بسببه ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه
الله _^٢ .

القول الثاني : لا يؤمنون بالله ، وهو قول السمرقندي _ رحمه الله _^٣ .

القول الثالث : لا يؤمنون بمحمد ﷺ _ ، وهو قول الواحدي^٤ ، والخازن^٥ ، والسيوطي^٦ _
رحمهم الله _ .

القول الرابع : يعود على القرآن ، وهو مروى عن الحسن^٧ ، وهو قول الطبري^٨ ، وقول الزمخشري^٩
، ووافقهم السمين الحلبي^{١٠} ، والبقاعي^{١١} ، وابن عادل^{١٢} ، وأبو السعود^{١٣} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٦ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢١٦) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٣٥ / ٥) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٤٢ / ٢) .

^٤ _ ينظر : الوجيز : (٤٠٠ / ١) .

^٥ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٣٦) .

^٦ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٦) .

^٧ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٥٠) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٧٠) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٠٠) .

^{١٠} _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١٤٧) .

^{١١} _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٠٣) .

^{١٢} _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٣٥) .

^{١٣} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٦٩ - ٧٠) .

والشوكاني^١ ، والطاهر ابن عاشور^٢ ، والمراغبي^٣ ، والسعدي^٤ _ رحمه الله _ .
وجوز السمين الحلبي^٥ ، وابن عادل^٦ عود الضمير في ﴿بِهِ﴾ للذكر ، أو الاستهزاء ، أو الشرك .
وجمع الواحدي^٧ ، والبغوي^٨ _ رحمه الله _ بين القول الثالث والرابع ، أي : لا يؤمنون بمحمد
_ ﷺ _ وبالقرآن .

الترجيح :

مما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على جميع الأقوال
السابقة ؛ وذلك لعدم التضاد بينها ، فإنه لا خلاف جوهرى بينها ، فكلها تصب في معنى واحد وهو
عدم إيمانهم بالله تعالى ، فتحمل الآية عليه ، وتفسر به ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل
واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٩ .



-
- ^١ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٢٣) .
 - ^٢ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٥ / ١٤) .
 - ^٣ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٠) .
 - ^٤ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٥) .
 - ^٥ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١٤٧) .
 - ^٦ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٣٥) .
 - ^٧ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٤٠) .
 - ^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٦٩ _ ٣٧٠) .
 - ^٩ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ _ ٣١) .

قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ [١٤] .

١٠ / ٨٠ _ مرجع الضمير في ﴿ فَظَلُّوا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن مرجع الضمير في ﴿ فَظَلُّوا ﴾ عائد على المشركين ، فقال :

((والضمير في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ عائد على المشركين ، وذلك لفرط تكذيبهم وبعدهم عن الإيمان حتى ينكروا ما هو محسوس ومشاهد بالأعين مماس بالأجساد بالحركة والانتقال ، وهذا بحسب المبالغة التامة في إنكار الحق . والظاهر أن الضمير في ﴿ فَظَلُّوا ﴾ عائد على من عاد عليه في قوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ، أي : لو فتح لهم باب من السماء ، وجعل لهم معراج يصعدون فيه لقالوا : هو شيء تتخيله لا حقيقة له ، وقد سخرنا بذلك . وجاء لفظ ﴿ فَظَلُّوا ﴾ مشعراً بحصول ذلك في النهار ؛ ليكونوا مستوضحين لما عاينوا))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ فَظَلُّوا ﴾ على قولين :

القول الأول : أن الضمير في ﴿ فَظَلُّوا ﴾ عائد على المشركين ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن الحسن^٢ ، وهو قول الواحدي^٣ ، و الزمخشري^٤ ، ووافقهم السمين الحلبي^٥ ، والبقاعي^٦ ، وابن جزري^٧ ، وابن كثير^٨ ، والشوكاني^٩ ، والألوسي^{١٠} ، والطاهر ابن عاشور^{١١} ، والسعدي^{١٢} ، والمراغي^{١٣} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٦ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢١٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٧٣ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : الوجيز : (٤٠٠ / ١) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٤٠١ / ٣) .

^٥ _ ينظر : الدر المصون : (١٤٨ / ٧) .

^٦ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٠٤ / ٤) .

^٧ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٦٥ / ٢) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٤٧ / ٢) .

^٩ _ ينظر : فتح القدير : (١٢٣ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : روح المعاني : (٤٥٦ / ٩) .

^{١١} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٦ / ١٤) .

^{١٢} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٠٥ / ١) .

القول الثاني: أن الضمير في فظلوا يعود على الملائكة لقولهم: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ

مِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ [سورة الحجر: ٧] أي: ولو رأوا الملائكة تصعد وتنصرف في باب مفتوح في السماء لما آمنوا، وهو مروى عن ابن عباس^٢، والضحاك^٣، وهو قول الفراء^٤، والسمرقندي^٥، ومكي بن أبي طالب القيسي^٦، والواحدي^٧، والبغوي^٨، والعكبري^٩، وابن عادل^{١٠}، وهو قول الأكثرين^{١١}.

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – القول الأول، وهو ما رجحه أبو حيان

ومن معه، وهو أن الضمير في ﴿فَظَلُّوا﴾ عائد على المشركين؛ ويدل على ذلك ما يلي:

١ – أن سياق الآيات السابقة واللاحقة يدل على هذا المعنى، وهو أن الكلام في المشركين خالو الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^{١٢}، والاستدلال بالسياق على المعنى الراجح من القواعد المهمة عند المفسرين

٢ – أن الضمائر في ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، و ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و ﴿فَظَلُّوا﴾ و ﴿يَعْرَجُونَ﴾ و ﴿لَقَالُوا﴾ و ﴿أَبْصَرْنَا﴾ و ﴿نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [سورة الحجر: ١٣ – ١٥] تعود على المشركين، وتوحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها فهذا القول أولى لتوافق الضمائر.

^١ – ينظر: تفسير المراغي: (١٤ / ١١).

^٢ – ينظر: جامع البيان: (١٧ / ٧٢)، و تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: (٢٢٥٩ / ٧)، والدر المنثور: (٦٨ / ٥).

^٣ – ينظر: جامع البيان: (١٧ / ٧٢ – ٧٣).

^٤ – ينظر: معاني القرآن: (٢ / ٨٥).

^٥ – ينظر: بحر العلوم: (٢ / ٤٤٢).

^٦ – ينظر: مشكل إعراب القرآن: (٢ / ٥).

^٧ – ينظر: الوسيط: (٣ / ٤١).

^٨ – ينظر: معالم التنزيل: (٤ / ٣٦٩ – ٣٧٠).

^٩ – ينظر: إملاء ما من به الرحمن: (٣٦٨).

^{١٠} – ينظر: اللباب: (١١ / ٤٣٦).

^{١١} – ينظر: معالم التنزيل: (٤ / ٣٦٩ – ٣٧٠).

^{١٢} – قواعد الترجيح عند المفسرين: (١ / ١٢٥).

^١ – الإتقان للسيوطي (١ / ٥٠٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين: (٢ / ٦١٣).

إلا أن بعض المفسرين قال برجوع الضمير في ﴿ فَظَلُّوا ﴾ إلى القولين ، للملائكة والمشركين .
قال الزجاج : ((ويصلح أن يكون ﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ للملائكة والناس ، وقد جاء بهما
التفسير))^١ .

- ١ . ووافقه ابن عطية^٢ ، والبيضاوي^٣ ، والثعالبي^٤ ، وأبو السعود^٥ .
- ٢ . إلا أن ابن عطية قال عن الأول : ((وهو أبلغ في إصرارهم))^٦ .
- ٣ . وقال الثعالبي عن القول الأول أيضاً : ((وهو تأويل حسن))^٧ .



^١ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٧٤ _ ١٧٥) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٩ / ١١٤) .

^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٢٨٦) .

^٤ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٨) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧٠) .

^٦ _ المحرر الوجيز : (٩ / ١١٤) .

^٧ _ الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٨) .

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [١٦] .

١١ / ٨١ _ مرجع الضمير في ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضمير في ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ عائد على البروج ، فقال :
(« والظاهر أن الضمير في ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ عائد على البروج ؛ لأنها المحدث عنها ، والأقرب في اللفظ »)^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في مرجع الضمير في ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ قولان هما :

القول الأول : أن الضمير في ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ عائد على البروج ، وهو ما رجحه أبو حيان .

واستدل بما يلي :

١ _ أنها المحدث عنها في الآية الكريمة .

٢ _ أنها الأقرب في اللفظ^٢ .

القول الثاني : أن الضمير في ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ يعود على السماء ، وهو قول الطبري^٣ ،

والسمرقندي^٤ ، والماوردي^٥ ، والواحدي^٦ ، والبغوي^٧ ، والفخر الرازي^٨ ،

والقرطبي^٩ ، والبيضاوي^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، والخازن^{١٢} ، ووافقهم السمين الحلبي^{١٣} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٧ / ٥) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٣٧ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٧٧ / ١٧) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٤٣ / ٢) .

^٥ _ ينظر : النكت ولعيون : (١٥٢ / ٣) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (٤٠١ / ١) .

^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٧٢ / ٤) .

^٨ _ ينظر : مفاتيح الغيب : (١٧٢ / ١٩) .

^٩ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٠) .

^{١٠} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢٨٨ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٧٠ / ١) .

^{١٢} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل (١٣٧ / ٤) .

^{١٣} _ ينظر : الدر المصون : (١٥٠ / ٧) .

والبقاعي^١ ، وابن عادل^٢ ، وأبو السعود^٣ ، والشوكاني^٤ ، والألوسي^٥ ، والسعدي^٦ ، والشنقيطي^٧ ،
والمراغي^٨ ، وهو قول الجمهور^٩ .

وذهبوا إلى ذلك حذراً من تشتت الضمائر^{١٠} .

وقال الألوسي _ رحمه الله _ : « واستظهر أبو حيان عود الضمير للبروج ؛ لأنها المحدث عنها ،
والأقرب في اللفظ ، والجمهور على ما ذكرنا حذراً من انتشار الضمائر »^{١١} .

الترجيح :

مما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو أن مرجع الضمير
في ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ للسماء ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أنه قول تؤيده آيات أخرى كقوله تعالى ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾
[سورة الصافات : ٦]^{١٢} ، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ ﴾ [سورة
الملك : ٥] . وهذا من تفسير القرآن بالقرآن الذي يعد أعلى درجات التفسير^{١٣} ، والقول الذي تؤيده
آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^{١٤} .

^١ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٠٦) .

^٢ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٣٨) .

^٣ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧٠) .

^٤ _ فتح القدير : (٣ / ١٢٥) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٦٠) .

^٦ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٥) .

^٧ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٢١) .

^٨ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٣) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٧) .

^{١٠} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٧) ، وروح المعاني : (٩ / ٤٦٠) .

^{١١} _ روح المعاني : (٩ / ٤٦٠) .

^{١٢} _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٢١) .

^{١٣} _ شرح مقدمة التفسير ، لابن عثيمين : (١٢٧) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) ، وقواعد

التفسير ، لخالد السبت : (١ / ١٠٩) .

^{١٤} _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

٢ _ حتى لا تختلف الضمائر^١ ، وتؤيده القاعدة الترجيحية : توحيد الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها^٢.

٣ _ أن جمهور المفسرين على هذا المعنى ، ولم يقل بالقول الأول إلا أبو حيان دليل على رجحانه ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ أبعد^٣ . والله أعلم بالصواب .



^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٣٧ / ٥) ، و روح المعاني : (٤٦٠ / ٩) .

^٢ _ انظر : قواعد الترجيح : (٦١٣ / ٢) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢٨٨ / ١) .

قال الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [١٨] .

١٢ / ٨٢ _ نوع الاستثناء في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الاستثناء متصل فقال : ((والظاهر أن قوله : ﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ ، استثناء متصل والمعنى : فإنها لم تحفظ منه والمعنى : أنه سمع من خبرها شيئاً وألقاه إلى الشياطين))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في نوع الاستثناء في الآية الكريمة على قولين :

القول الأول : أن الاستثناء متصل ، والمعنى : فإنها لم تحفظ منه ، وهو ما رجحه أبو حيان .

ورد الفخر الرازي على هذا القول فقال : ((لا يمكن حمل لفظة ﴿إِلَّا﴾ ههنا على الاستثناء ،

بدليل أن إقدامهم على استراق السمع لا يخرج السماء من أن تكون محفوظة منهم إلا أنهم ممنوعون من دخولها ، وإنما يحاولون القرب منها ، فلا يصح أن يكون استثناء على التحقيق ، فوجب أن يكون معناه : لكن من استرق السمع))^٢ .

القول الثاني : هو استثناء منقطع ، والمعنى : أي حفظت منه ، أي : الخطفة اليسيرة فإنه يتبعه شهاب

يجرقه ، وهو قول الأخفش^٣ ، و الزجاج^٤ ، والبغوي^٥ ، والفخر الرازي^٦ ، والقرطبي^٧ ، ووافقهم الخازن^٨ ، والثعالبي^٩ ، و السيوطي^{١٠} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٣٧) .

^٢ _ مفاتيح الغيب : (١٩ / ١٧٣) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٠٢) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٧٦) .

^٥ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٧٢) .

^٦ _ ينظر : مفاتيح الغيب : (١٩ / ١٧٣) .

^٧ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٠) .

^٨ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل (٤ / ١٣٨) .

^٩ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٩) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٧) .

وقالوا هو نحو قوله تعالى ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .
دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ . إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [سورة الصافات
: ٨ - ١٠] ، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا
لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [سورة الملك : ٥] ، وقوله تعالى ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلَأَّتْ
حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا
رَّصَدًا﴾ [سورة الجن : ٨ - ٩]^١ .

الترجيح :

مما سبق يتضح أن الراجح - والله تعالى أعلم بالصواب - جواز القولين ، وبه قال أبو السعود^٢ ،
والشوكاني^٣ ، والمراغي^٤ .

قال أبو السعود - رحمه الله - : ((﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ [سورة الحجر : ١٨] محله
النصبُ على الاستثناء المتصل إن فسّر الحِفظُ بمنع الشياطين عن التعرّض لها على الإطلاق والوقوف
على ما فيها في الجملة ، أو المنقطع إن فسّر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها))^٥ .
وقال الشوكاني - رحمه الله - : ((﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ [سورة الحجر : ١٨] استثناء
متصل ، أي : إلا من استرق السمع ، ويجوز أن يكون منقطعاً ، أي : ولكن من استرق السمع
﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الحجر : ١٨] والمعنى : حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع
شيئاً من الوحي وغيره إلا من استرق السمع ، فإنها تتبعه الشهب فتقتله أو تخبله))^٦ .
وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٧ .



^١ - ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٢٢) ، وتفسير المراغي : (١٤ / ١٤) .

^٢ - ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧١) .

^٣ - ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٢٥) .

^٤ - ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٣) .

^٥ - إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧١) .

^٦ - فتح القدير : (٣ / ١٢٥) .

^٧ - التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

قال الله تعالى ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [١٩] .

١٣ / ٨٣ _ مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضمير في ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ يعود على الأرض الممدودة ، فقال : ((والظاهر أن الضمير في ﴿ فِيهَا ﴾ يعود على الأرض الممدودة))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الضمير في ﴿ فِيهَا ﴾ يعود على الأرض الممدودة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ، والبغوي^٣ ، والرازي^٤ ، والقرطبي^٥ ، والخازن^٦ ، ووافقهم السمين الحلبي^٧ ، وابن عادل^٨ ، والشوكاني^٩ ، وهو قول الأكثرين^{١٠} .
قال الفخر الرازي _ رحمه الله _ : ((رجوعه إلى الأرض أولى ؛ لأن أنواع النبات المنتفع بها إنما تتولد في الأراضي ، فأما الفواكه الجبلية فقليلة النفع))^{١١} .

القول الثاني : أن الضمير في ﴿ فِيهَا ﴾ يعود على الجبال^{١٢} ، وهو قول الكلبي^{١٣} ، والفراء^{١٤} ، والسمرقندي^١ ، والواحدي^٢ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٨ / ٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٧٩ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٧٤ / ٤) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٧٥ / ١٩) .

^٥ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٣ / ١٠) .

^٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٣٩ / ٤) .

^٧ _ ينظر : الدر المصون : (١٥١ / ٧) .

^٨ _ ينظر : اللباب : (٤٤٢ / ١١) .

^٩ _ ينظر : فتح القدير : (١٢٦ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : زاد المسير : (٣٩٠ / ٤) .

^{١١} _ التفسير الكبير : (١٧٥ / ١٩) .

^{١٢} _ ينظر : البحر المحيط : (٤٣٨ / ٥) .

^{١٣} _ ينظر : الوسيط : (٤٢ / ٣) .

^{١٤} _ ينظر : معاني القرآن : (٨٦ / ٢) .

واستدلوا بما يلي :

- ١ _ أن الجبال أقرب مذكور^٣ .
٢ _ أن المعادن إنما تتولد في الجبال ، والأشياء الموزونة في العرف والعادة ، هي المعادن لا النبات^٤ .
ورد الشهاب على هذا القول فقال : ((والمراد بالإنبات : إخراج المعادن ، فبعيد))^٥ .
القول الثالث : يعود على الجبال وعلى الأرض معاً^٦ ، وهو قول البيضاوي^٧ ، وأبي السعود^٨ ،
واحتمله ابن عادل^٩ .

قال ابن عادل _ رحمه الله _ : ((والضمير في قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ يحتمل أن يكون راجعاً إلى الأرض ، وأن يكون راجعاً إلى الجبال الرواسي ، إلا أن رجوعها إلى الأرض أولى ؛ لأن أنواع النبات المنتفع بها ، إنما تتولد في الأرض ، وأما الجبلية ، فقليلة النفع))^{١٠} .
قال الشهاب شارحاً لقول البيضاوي : ((وقوله : ((في الأرض)) وهي إما شاملة للجبال ؛ لأنها تعد من الأرض ، أو خاصة بغيرها ؛ لأن أكثر النبات وأحسنه فيها ، وقوله : ((أو فيها ، وفي الجبال)) أي : فالضمير إما لما قبله مطلقاً بالتأويل ، وإما عائد على الأرض بمعنى ما يقابل السماء على طريق الاستخدام ، وإما عوده على الرواسي لقرنها))^{١١} .
وقال القونوي _ رحمه الله _ : ((خصصها أولاً لأن أكثر النبات وأحسنه فيها ، ثم عمم الضمير إلى الأرض والجبال ؛ لأن الجبال أيضاً منبتة للنبات والأشجار))^{١٢} .

^١ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٤٣) .

^٢ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٤٠١) .

^٣ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٣٩) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٧٥) .

^٥ _ حاشية الشهاب : (٥ / ٥٠٥) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٨) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣ / ٢٩١) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧١) .

^٩ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٤٢) .

^{١٠} _ اللباب : (١١ / ٤٤٢) .

^{١١} _ حاشية الشهاب : (٥ / ٥٠٥) .

^{١٢} _ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (١١ / ١٣٥) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن الضمير يعود إلى الأرض ، وهي تشمل الجبال ؛ وذلك لما يلي :

١ _ سياق الآية ونظمها ؛ فالمتحدث عنها الأرض ، ويتضح ذلك في قوله تعالى ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدًا نَّهْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [سورة الحجر : ١٩] ، فسياق الآية دل على المعنى المختار ، ومعلوم أن سياق الآية إذا دل على معنى ؛ كان هو المعنى المقدم عند كثير من أئمة التفسير^١ .

٢ _ سياق الآية اللاحق أيضاً يتحدث عن الأرض ، وما جعل الله فيها من النعم لأهلها ، وهو قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٢٠] ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٢ .

٣ _ أن الجبال من الأرض ، والجبال مما تنبت فيه النبات .

٤ _ أن الأرض مقابل السماء ، فتعد الجبال من الأرض^٣ .

قال البقاعي _ رحمه الله _ : ((﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ أي : الأرض ، ولا سيما الجبال بقوتنا الباهرة))^٤ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ١٢٥) .

^٣ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٦٩) .

^٤ _ نظم الدرر : (٤ / ٤٠٧) .

قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ [٢٠] .

١٤ / ٨٤ _ مسألة : المراد بـ ﴿مَنْ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن ﴿مَنْ﴾ لمن يعقل ، ويراد به العيال والمماليك والخدم ، ويدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب ، كالأنعام والدواب ، فقال : ((والظاهر أن ﴿مَنْ﴾ لمن يعقل ، ويراد به العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون ، فإن الله هو الرزاق يرزقكم وإياهم ويدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالأنعام والدواب ، وما بتلك المثابة مما الله رازقه ، وقد سبق إلى ظنهم أنهم الرازقون))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿مَنْ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن ﴿مَنْ﴾ لمن يعقل ويراد به العيال والمماليك والخدم ، ويدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالأنعام والدواب ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن بحر^٢ ، والفراء^٣ ، والزجاج^٤ ، والنحاس^٥ ، والواحدي^٦ ، والزمخشري^٧ ، وابن عطية^٨ ، والعكبري^٩ ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٨ / ٥) .

^٢ _ ينظر : النكت والعيون : (١٥٤ / ٣) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن : (٨٦ / ٢) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (١٧٧ / ٣) .

^٥ _ ينظر : معاني القرآن : (١٨ / ٤) .

^٦ _ ينظر : الوسيط : (٤٢ / ٣) ، و الوجيز : (٤٠١ / ١) .

^٧ _ ينظر : الكشف : (٤٠٢ / ٣) .

^٨ _ ينظر : المحرر الوجيز : (١٢٢ / ٤) .

^٩ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٦٩) .

والقرطبي^١ ، والبيضاوي^٢ ، والنسفي^٣ ، ووافقهم السمين الحلبي^٤ ، وابن كثير^٥ ،
والثعالبي^٦ ، وابن عادل^٧ ، والبقاعي^٨ ، والسيوطي^٩ ، وأبو السعود^{١٠} ، والألوسي^{١١} ، والشوكاني^{١٢}
، والسعدي^{١٣} ، والمراغي^{١٤} .

قال الزجاج _ رحمه الله _ : ((والنحويون يذهبون إلى أن ﴿ مَنْ ﴾ لا يكاد أن يكون لغير ما
يعقل ، وقد قال عز وجل ﴿ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ
وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ [النور : ٤٥] ، فجاءت ﴿ مَنْ ﴾ لغير الناس إذ وصف غير الناس
بصفتهم ، كما جاءت الواو لغير الناس في قوله ﴿ وَكُلُّ فِي فَلَكَ يُسَبِّحُونَ ﴾ [سورة يس : ٤٠] .
والأجود والله أعلم أن يكون ﴿ مَنْ ﴾ ههنا أعني ﴿ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ [سورة الحجر :
٢٠] يراد بها : العبيد والأنعام والدواب فيكون المعنى : جعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم العبيد
والدواب والأنعام وكفيتهم مؤونة أرزاقها))^{١٥} .

قال السمين الحلبي _ رحمه الله _ : ((وهو حسن لفظاً ومعنى))^{١٦} .

القول الثاني : أن ﴿ مَنْ ﴾ لغير العاقل ، ف قيل : المراد : الدواب والأنعام

والبهائم والطيور ، وهو قول مجاهد^١ ، والسمرقندي^٢ ، والبغوي^٣ ،

^١ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٣) .

^٢ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٢٩٢) .

^٣ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧١) .

^٤ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١٥٢) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٨) .

^٦ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٠٩) .

^٧ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٤٣) .

^٨ _ نظم الدرر : (٤ / ٤٠٧) .

^٩ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٧) .

^{١٠} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧١) .

^{١١} _ روح المعاني : (٩ / ٤٧٠) .

^{١٢} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٢٦) .

^{١٣} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٧) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٥) .

^{١٥} _ معاني القرآن : (٣ / ١٧٧) .

^{١٦} _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١٥٢) .

والخازن^٤ ، وابن جزري^٥ .

قال الخازن _ رحمه الله _ : ((وقيل : يجوز إطلاق لفظة ﴿مَنْ﴾ على من لا يعقل كقوله تعالى

: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ [النور : ٤٥]))^٦ .

قال الطبري _ رحمه الله _ : ((فتأويل ﴿مَنْ﴾ في : ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [سورة

الحجر : ٢٠] على هذا التأويل بمعنى ما ، وذلك قليل في كلام العرب))^٧ .

الترجيح :

مما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، أن ﴿مَنْ﴾ لمن يعقل ويراد به العيال والمماليك والخدم ، ويدخل معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالأنعام والدواب ؛ وهو قول تؤيده اللغة ؛ فإن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم^٨ .

قال الطبري _ رحمه الله _ : ((وأولى ذلك بالصواب ، وأحسن أن يقال : عنى بقوله ﴿وَمَنْ

لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [سورة الحجر : ٢٠] من العبيد والإماء والدواب والأنعام . فمعنى ذلك :

وجعلنا لكم فيها معاش . والعبيد والإماء والدواب والأنعام ، وإذا كان ذلك كذلك ، حسن أن

توضع حينئذ مكان العبيد والإماء والدواب ﴿مَنْ﴾ ، وذلك أن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر

عن البهائم معها بنو آدم))^٩ .

^١ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٠) ، وجامع البيان : (١٧ / ٨٢) وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٦٠ / ٧) ، والدر المنثور : (٧٠ / ٥) .

فائدة : أخرج الطبري الأثر من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجيح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٢٧) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٤٤٣ / ٢) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٧٤ / ٤) .

^٤ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٤٠) .

^٥ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٥) .

^٦ _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٤٠) .

^٧ _ جامع البيان : (١٧ / ٨٢) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٨٢) .

^٩ _ جامع البيان : (١٧ / ٨٢) .

وقال أبو جعفر النحاس _ رحمه الله _ عن القول الأول : ((وهذا أولى لأن ﴿ مَنْ ﴾ لا تكون لما لا يعقل إلا أن يختلط معه من يعقل ، والمعنى : وجعلنا لكم الممالك والدواب والأنعام ، ويجوز أن يكون المعنى : أعشناكم وأعشنا من لستم له برازقين))^١ .

قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [٢١] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٥ / ٨٥ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن المراد بـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ العموم ، فقال : ((والظاهر أن المعنى : وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجادهِ وتكوينهِ والإنعام به))^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ على قولين :

القول الأول : العموم ، والمعنى : وما من شيء ينتفع به العباد ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول البغوي^٣ ، وابن عطية^٤ ، والزمخشري^٥ ، وابن الجوزي^٦ ، والرازي^٧ ، والقرطبي^٨ ، والبيضاوي^٩ ، ووافقهم ابن جزى^{١٠} ، وابن كثير^{١١} ، والبقاعي^{١٢} ، والطاهر ابن عاشور^{١٣} ، وأبو السعود^{١٤} ، والشوكاني^{١٥} ، والسعدي^١ ، المراغي^٢ .

^١ _ معاني القرآن : (١٨ / ٤) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٣٨ / ٥) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٧٥ / ٤) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز : (١٢٣ / ٤) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٤٠٢ / ٣) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٣٩٢ / ٤) .

^٧ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٧٨ / ١٩) .

^٨ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٤ / ١٠) .

^٩ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢٩٢ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٦٦ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٤٨ / ٢) .

^{١٢} _ نظم الدرر : (٤٠٧ / ٤) .

^{١٣} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٣٦ / ١٤) .

^{١٤} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٧٢ / ٥) .

^{١٥} _ ينظر : فتح القدير : (١٢٦ / ٣) .

قال الشوكاني _ رحمه الله _ : ((**وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ** ﴾ [سورة الحجر : ٢١] هي النافية ، و **﴿ مِّن ﴾** مزيدة للتأكيد ، وهذا التركيب عام ؛ لوقوع النكرة في حيز النفي مع زيادة **﴿ مِّن ﴾** ، ومع لفظ **﴿ شَيْءٍ ﴾** المتناول لكل الموجودات الصادقة على كل فرد منها . فأفاد ذلك أن جميع الأشياء عند الله خزائنها لا يخرج منها شيء))^٣ .

القول الثاني : المراد بالشيء هنا المطر ، وهو مروى عن ابن مسعود^٤ ، وابن عباس^٥ ، ومجاهد^٦ ، وابن جريج^٧ ، والحكم بن عتيبة^٨ ، وهو قول الطبري^٩ ، والواحدي^{١٠} ، وعمامة المفسرين^{١١} . وذكروا بأنه السبب للأرزاق ولمعاش بني آدم وغيرهم^{١٢} .

إلا أن ابن عطية وجه بأن الآية أعم من ذلك ، فقال : ((وينبغي أن تكون أعم من هذا في كثير من المخلوقات))^{١٣} .

ورد الرازي هذا القول بأن التخصيص فيه ، تحكم محض ، فقال : ((تخصيص قوله تعالى **﴿ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾** [سورة الحجر : ٢١] بالمطر تحكم محض ؛ لأن قوله **﴿ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ ﴾** [سورة الحجر : ٢١] يتناول جميع الأشياء))^{١٤} .

-
- ١ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٧) .
 - ٢ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٧) .
 - ٣ _ فتح القدير : (٣ / ١٢٦) .
 - ٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٨٣ - ٨٤) .
 - ٥ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ٧١) .
 - ٦ _ ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٧٠) .
 - ٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٨٤) ، البحر المحيط : (٥ / ٤٣٩) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٠) .
 - ٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٨٤) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٠) ، والدر المنثور : (٥ / ٧١) .
 - ٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٧٩) .
 - ١٠ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٤٠١) .
 - ١١ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٤٢) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ١٧٨) ، فتح القدير : (٣ / ١٢٦) .
 - ١٢ _ ينظر : والتفسير الكبير : (١٩ / ١٧٨) .
 - ١٣ _ المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٣) .
 - ١٤ _ التفسير الكبير : (١٩ / ١٧٨) .

وبين الألووسي أن الاقتصار على أن المراد : المطر ، قصور ؛ حيث قال : ((والاقتصار عليه قصور))^١ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله أعلم _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو القول بالعموم ؛ وذلك لأن من صيغ العموم النكرة في سياق النفي^٢ ، ومنه هذه الآية ، ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل^٣ .
والقول بالعموم في الآية يدخل فيه المطر دخولاً أولياً .

قال أبو السعود _ رحمه الله _ : ((أي ما من شيء من الأشياء الممكنة ، فيدخل فيه ما ذكر دخولاً أولياً))^٤ .

وقال الألووسي _ رحمه الله _ : ((﴿ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الحجر : ٢١] ﴿ وَإِنْ ﴾ نافية و ﴿ مِّنْ ﴾ مزيدة للتأكيد و ﴿ شَيْءٍ ﴾ في محل الرفع على الابتداء ، أي : ما شيء من الأشياء الممكنة ، فيدخل فيها ما ذكر دخولاً أولياً ، والاقتصار عليه قصور))^٥ .



^١ _ روح المعاني : (٩ / ٤٧١) .

^٢ _ ينظر : الإتقان في علوم القرآن : (٣ / ٤٤) .

^٣ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٤ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧٢) .

^٥ _ روح المعاني : (٩ / ٤٧١) .

١٦ / ٨٦ _ المسألة الثانية : المراد بالخزائن في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الخزائن : ما يحفظ فيه الأشياء ، وهو في الآية على الاستعارة ، فقال : « والظاهر أن المعنى : وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإينعام به ، فتكون الخزائن وهي ما يحفظ فيه الأشياء مستعارة من المحسوس الذي هو الجسم إلى المعقول »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف العلماء في المراد بالخزائن على خمسة أقوال :

القول الأول : الإشارة إلى قدرة الله تعالى إيجاد كل ما ينتفع به العباد ، فالخزائن : ما يحفظ فيه الأشياء ، وهو في الآية على الاستعارة ، أي : مستعارة من المحسوس الذي هو الجسم إلى المعقول ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الراغب^٢ ، والزمخشري^٣ ، والبيضاوي^٤ ، والنسفي^٥ ، ووافقهم الطاهر ابن عاشور^٦ ، وأبو السعود^٧ ، والشوكاني^٨ .

قال الراغب _ رحمه الله _ : « الخزن : حفظ الشيء في الخزانة ، ثم يعبر به عن كل حفظ ، كحفظ السر ونحوه ، وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [سورة الحجر : ٢١] ، ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [المنافقون : ٧] ، فإشارة منه إلى قدرته تعالى على ما يريد إيجاده »^٩ .

قال الزمخشري _ رحمه الله _ : « ذكر الخزائن تمثيل . والمعنى : وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإينعام به ، وما نعطيه إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له ، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور »^{١٠} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٨ / ٥) .

^٢ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٢٨٠) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٤٠٢ / ٣) .

^٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢٩٢ / ٣) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٧١ / ١) .

^٦ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٣٦ / ١٤) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٧٢ / ٥) .

^٨ _ ينظر : فتح القدير : (١٢٦ / ٣) .

^٩ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٢٨٠) .

^{١٠} _ الكشاف : (٤٠٢ / ٣) .

وقال أبو السعود - رحمه الله - : ((والخزائنُ جمعُ الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائسُ الأموال لا غيرُ ، غلبَ في العرفِ على ما للملوكِ والسلاطينِ من خزائنِ أرزاقِ الناسِ ، شُبِّهتْ مقدوراًتهُ تعالى الفائتةُ للحصرِ المندرجةُ تحتِ قدرتهِ الشاملةِ في كونها مستورةٌ عن علومِ العالمينِ ومصونةٌ عن وصولِ أيديهم مع كمالِ افتقارِهِم إليها ورغبتِهِم فيها ، وكونها مهياًةً متأتيةً لإيجادهِ وتكوينه ، بحيث متى تعلقَت الإرادةُ بوجودها وُجِدَت بلا تأخرِ بنفائسِ الأموالِ المخزونةِ في الخزائنِ السلطانيةِ فذكرُ الخزائنِ على طريقةِ الاستعارةِ التخيليةِ))^١ .

وقال الشوكاني - رحمه الله - : ((والخزائنُ جمعُ خزانة : وهي المكان الذي يحفظ فيه نفائسِ الأمور ، وذكر الخزائنِ تمثيلاً لاقتداره على كل مقدور؛ والمعنى : أن كل الممكنات مقدورة ومملوكة يخرجها من العدم إلى الوجود بمقدار كيف شاء))^٢ .

القول الثاني : أن المراد الخزائن حقيقة ، وهي التي تحفظ فيها الأشياء ، وأن للريح مكاناً ، وللمطر مكاناً ، ولكل مكان ملك وحفظة ، فإذا أمر الله بإخراج شيء منه أخرجته الحفظة^٣ .
ورد الألووسي هذا القول فقال : ((وقال قوم : الخزائن على حقيقتها وهي الأماكن التي تحفظ فيها الأشياء وإن للريح مكاناً ، وللمطر مكاناً ، ولكل مكان حفظة من الملائكة - عليهم السلام - ، ولا يخفى أنه لا يمكن مع تعميم الشيء))^٤ .

القول الثالث : الخزائن : المواضع الخازنة ، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت ، وهو قول ابن عطية^٥ ، وابن جزري^٦ .

القول الرابع : مفاتيح رزقه ، أي في السماء مفاتيح الأرزاق ، وهو قول السمرقندي^٧ ، والكلبي^٨ .
القول الخامس : المطر ، وهو مروى عن الحسن^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، وابن جريج^{١١} .

^١ - إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧٢) .

^٢ - فتح القدير : (٣ / ١٢٦) .

^٣ - ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٨ - ٤٣٩) .

^٤ - روح المعاني : (٩ / ٤٧١) .

^٥ - ينظر : المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٣) .

^٦ - ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٦) .

^٧ - ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٤٣) .

^٨ - ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤) .

^٩ - ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤) .

^{١٠} - ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤) .

^{١١} - ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٨٤) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٠) .

وقال القرطبي عن القولين الأخيرين أنهما بمعنى واحد ؛ حيث قال : ((قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [سورة الحجر : ٢١] أي : وإن من شيء من أرزاق الخلق ومنافعهم إلا عندنا خزائنه ، يعني : المطر المتزل من السماء ، لأن به نبات كل شيء . قال الحسن : المطر خزائن كل شيء . وقيل : الخزائن المفاتيح ، أي في السماء مفاتيح الأرزاق ، قاله الكلبي . والمعنى واحد))^١ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو أن المراد الخزائن حقيقة ، وهي التي تحفظ فيها الأشياء ، ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة ، فالأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة^٢ . وهو مع ذلك يشمل الأقوال الأخرى ، فمفاتيح الأرزاق بيد الله تعالى ، وهي موجودة عنده ، يتزل منها ما يشاء ، ومن أهمها المطر . قال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((و (الخزائن) المواضع الحاوية ، وظاهر هذا أن الماء والرياح ونحو ذلك موجود مخلوق ، وهو ظاهر في قولهم في الريح : عنت على الخزان وانفتح منها قدر حلقة الخاتم ، ولو كان قدر منخر الثور لأهلك الأرض ؛ إلى غير هذا من الشواهد . وذهب قوم إلى أن كونها في القدرة هو خزنها ، فإذا شاء الله أوجدها . قال القاضي أبو محمد : وهذا أيضاً ظاهر في أشياء كثيرة . وهو لازم في الاعتراض إذا عممنا لفظة ﴿ شَيْءٍ ﴾ وكيفما كان الأمر فالقدرة تسعه وتتقنه))^٣ .



= فائدة : أخرج الأثر الطبري ، وإسناده صحيح . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٢٨) .

^١ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤) .

^٢ _ ينظر : قواعد التفسير عند المفسرين : (٢ / ٣٨٧) .

^٣ _ المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٣) .

قال الله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [٢٢] .

٨٧ / ١٧ _ مسألة : المراد بـ ﴿ الرِّيحِ لَوَاحٍ ﴾ .

رحج أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ الرِّيحِ لَوَاحٍ ﴾ أن الرياح : لاقحة وملقحة ، فقال : « ولواح جمع لاقح ، يقال : ریح لاقح جائيات بخير من إنشاء سحاب ماطر ، كما قيل للتي لا تأتي بخير بل بشر ریح عقيم ، أو ملاقح أي : حاملات للمطر »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في هل الرياح لاقحة ، أو ملقحة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الرياح : لاقحة وملقحة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الفراء^٢ ، والطبري^٣ ، والزجاج^٤ ، والقرطبي^٥ ، والبيضاوي^٦ ، ووافقهم أبو السعود ، والطاهر ابن عاشور^٧ .
القول الثاني : أن الرياح ملقحة ، وهو مروى عن ابن مسعود^٨ ، وابن عباس^٩ ، وإبراهيم^{١٠} ، والحسن^{١١} ، وقتادة^{١٢} ، والضحاك^{١٣} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٣٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (٨٧ / ٢) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٨٧ / ١٧) .

^٤ _ معاني القرآن : (١٧٧ / ٣) .

^٥ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٥ / ١٠) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢٩٢ / ٣) .

^٧ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٣٧ / ١٤) .

^٨ _ ينظر : الدر المنثور : (٧٢ / ٥) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (٨٨ / ١٧) ، والدر المنثور : (٧٢ / ٥) .

فائدة : أخرجه الطبري من طريق ابن جريج . وإسناده منقطع . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (١٢٢٨ / ٤) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (٨٧ / ١٧) ، والدر المنثور : (٧٣ / ٥) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (٨٧ / ١٧) ، و تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٦١ / ٧) ، والدر المنثور : (٧٢ / ٥) .

^{١٢} _ ينظر : جامع البيان : (٨٨ / ١٧) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٦١ / ٧) ، والدر المنثور : (٧٢ / ٥) .

وقول أبي عبيدة^١ ، والنحاس^٢ ، ومكي بن أبي طالب القيسي^٣ ، والواحدي^٤ ، وابن عطية^٥ ، وابن الجوزي^٦ ، ووافقه ابن جزى^٧ ، وابن كثير^٨ ، ومحمد بن علي البلنسي^٩ ، والثعالبي^{١٠} ، والسيوطي^{١١} ، والسعدي^{١٢} .

واستدلوا بما يلي :

١ _ النظائر القرآنية ، ومنها قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾ [سورة الأعراف : ٥٧]^{١٣} .

٢ _ ما رواه أبو هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((الرِّيحُ الْجَنُوبُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَهِيَ الرِّيحُ اللَّوَّاحُحُ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَفِيهَا مَنَافِعُ لِلنَّاسِ))^{١٤} .

٣ _ وأصل هذا من قولهم : لقحت الناقة ، وألقحها الفحل ، إذا ألقى إليها الماء ، فحملته فكذلك الرياح كالفحل للسحاب^{١٥} .

٤ _ يدل عليه سياق الآية اللاحقة ، لقوله بعده ﴿ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾^{١٦} .

^١ _ ينظر : معاني القرآن : للنحاس : (٤ / ١٩) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٥٥) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٩٣) .

^٢ _ معاني القرآن : (٤ / ٢٠) .

^٣ _ ينظر : إعراب القرآن : (٢ / ٦) .

^٤ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٤٢) ، والوجيز : (١ / ٤٠٢) .

^٥ _ المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٤) .

^٦ _ زاد المسير : (٤ / ٣٩٤) .

^٧ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٦) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٩) .

^٩ _ ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ٨٩) .

^{١٠} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٠) .

^{١١} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٧) .

^{١٢} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٠٧) .

^{١٣} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٢٧) ، وأضواء البيان : (٣ / ١٣٤) .

^{١٤} _ أخرجه الطبري في جامع البيان : (١٧ / ٨٧) . وضعفه ابن كثير . ينظر تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٩) .

^{١٥} _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن الكريم : (٧٤٤) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٤١) ، والقاموس المحيط : (٢٣٩ - ٢٤٠) .

^{١٦} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٤١) .

٥ _ ما في صحيح البخاري : « لواقح : ملاقح ملقحة »^١ .

٦ _ تفسير الصحابة وكبار التابعين .

القول الثالث : أن الرياح لاقحة ، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة^٢ ، وقول البغوي^٣ ، والنسفي^٤ ، والألوسي^٥ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الرياح الجنوب من الجنة ، وهي اللواقح التي ذكر الله ، وفيها منافع للناس »^٦ .

٢ _ أن الرياح منها ما فيها عذاب أو حر ونار ، ومنها ما فيه ارحمة ومطر أو نصر أو غير ذلك ، فإذا بما تحمل ما حملتها القدرة ، أو ما علقته من الهواء أو التراب أو الماء الذي مرت عليه ، فهي لاقحة بهذا الوجه ، وإن كانت أيضاً تلقح غيرها وتصير إليه نفعها .

٣ _ أن العرب تسمي الجنوب الحامل واللاقحة ، وتسمي الشمال الحایل والعقيم ومحوة ، لأنها تمحو السحاب .

وبين ابن عطية أن هذه الأدلة تدل على أنها ملقحة لا لاقحة ، حيث قال : « ويخرج هذا على أنها ملقحة ، فلا حجة فيه »^٧ .

٤ _ وإنما جعلوا الرياح لاقحاً ، أي : حاملاً ؛ لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصرفه ، ثم تحله فيترل ، فهي على هذا حامل ، ويدل على هذا قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾ [الأعراف : ٥٧] أي : حملت .

٥ _ يقال : ناقة لاقحة إذا حملت الولد^٨ . قال ابن الأنباري : شبه ما تحمله الرياح من الماء وغيره ، بالولد التي تشتمل عليه الناقة ، وكذلك يقولون : حرب لاقح ، لما تشتمل عليه من الشر^٩ .

^١ _ صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الحجر : (٤ / ١٧٣٦) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٩٣) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٧٥) .

^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧١) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٧٣) .

^٦ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٤) .

^٧ _ المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٤) .

^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٧٥) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٩٤) ، و معالم التنزيل : (٤ / ٣٧٥) ، و المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٤) ، و

لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٤١) .

الترجيح :

مما سبق يتبين أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — ما ذهب إليه أبو حيان ومن معه من الجمع بين كون الرياح لاقحة ملقحة ؛ لأن القول بأن الرياح ملقحة مترتب على أنها لاقحة .
قال الطبري — رحمه الله — : ((والصواب من القول في ذلك عندي : أن الرياح لواقح كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها ، وإن كانت قد تلحق السحاب والأشجار ، فهي لاقحة ملقحة ، ولقحها : حملها الماء ، وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه ، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود))^١ .

فعن عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — ، في قوله ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ قال : ((يرسل الرياح ، فتحمل الماء من السحاب ، ثم تمرى السحاب ، فتدر كما تدر اللقحة))^٢ .
قال الطبري — رحمه الله — : ((فقد بين عبد الله بقوله : يرسل الرياح فتحمل الماء ، أنها هي اللاقحة بحملها الماء وإن كانت ملقحة بإلقاحها السحاب والشجر))^٣ .



^١ — جامع البيان : (١٧ / ٨٦) .

^٢ — ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٨٦) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٢) .

^٣ — جامع البيان : (١٧ / ٨٦) .

وقال القرطبي _ رحمه الله _ : ((ومعنى ﴿لَوَاقِحَ﴾ قال حوامل ، لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب والخير والنفع ... وقيل : لواقح بمعنى ملقحة وهو الأصل ، ولكنها لا تلقح إلا وهى في نفسها لاقح ، كأن الرياح لقت بخير . وقيل : ذوات لقع ، وكل ذلك صحيح ، أي منها ما يلقح الشجر ، كقولهم : عيشة راضية ، أي فيها رضا ، وليل نائم ، أي فيه نوم ، ومنها ما تأتي بالسحاب))^١ .

وقال البقاعي _ رحمه الله _ : ((﴿لَوَاقِحَ﴾ أي حوامل تحمل الندى ثم تمجه في السحاب التي تنشئها ، فهي حوامل للماء ، لواقح بالجو ، قوته على ذلك عالية حساً ومعنى))^٢ .



^١ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٥) .

^٢ _ نظم الدرر : (٤ / ٤٠٧) .

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ [٢٤] .

١٨ / ٨٨ _ مسألة : المراد بالمستقدمين والمستأخرين .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أنه تعالى محيط علمه بمن تقدم وبمن تأخر وبأحوالهم ، فالآية على العموم ، فقال _ بعد ذكره للأقوال الواردة في الآية _ : ((والأولى حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر ، والمعنى : أنه تعالى محيط علمه بمن تقدم وبمن تأخر وبأحوالهم))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالمستقدمين والمستأخرين على أقوال :

القول الأول : العموم وأنه تعالى محيط علمه بمن تقدم وبمن تأخر وبأحوالهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، و ابن عطية^٣ ، والفخر الرازي^٤ ، والبيضاوي^٥ ، والخازن^٦ ، والنسفي^٧ ، ووافقهم ابن عادل^٨ ، والألوسي^٩ .

قال ابن عادل _ رحمه الله _ : ((واعلم أن ظاهر الآية يدل على أنه لا يخفى على الله شيء من أحوالهم ؛ فيدخل فيه علمه بتقدمهم ، وتأخرهم ، في الحدوث ، الوجود في الطاعات وغيرها ؛ فلا ينبغي أن تخص بحالة دون حالة))^{١٠} .

^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٣٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٤٠٣ / ٣) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (١٢٥ / ٤) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٨٢ / ١٩) .

^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢٩٢ / ٣) .

^٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٤٣ / ٤) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٧١ / ١) .

^٨ _ ينظر : اللباب : (٤٤٩ / ١١ - ٤٥٠) .

^٩ _ ينظر : روح المعاني : (٤٧٦ / ٩) .

^{١٠} _ اللباب : (٤٤٩ / ١١ - ٤٥٠) .

القول الثاني: المستقدمين : الأموات ، والمستأخرين الأحياء ، وهو مروى عن ابن عباس^١ ، والضحاك ، وابن زيد^٢ ، وقول الطبري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، ووافقهم البقاعي^٥ ، وأبو السعود^٦ ، والشوكاني^٧ ، والطاهر ابن عاشور^٨ .

واستدل لهذا القول بدلالة ما قبله من الكلام ، وهو قوله ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ أَلْوَارِثُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٢٣] ، وما بعده وهو قوله ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَجْرُهُمْ ﴾ [سورة الحجر : ٢٥] ، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه ، ولا جاء بعد^٩ .

القول الثالث: المستقدمين في الخلق ، والمستأخرين الذين لم يخلقوا بعد ، وهو مروى عن ابن عباس^{١٠} ، وقتادة^{١١} ، وعكرمة^{١٢} ، ومجاهد^{١٣} ، والمراغي^{١٤} .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩١) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩١) .

^٣ _ جامع البيان : (١٧ / ٩٤) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٤٤) .

^٥ _ نظم الدرر : (٤ / ٤٠٩) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧٣) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٢٧) .

^٨ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٤٠) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٤) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩١) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٥) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٠) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٥) .

^{١٢} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٠ - ٩١) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير القرآن ، لعبد الرزاق الصنعاني : (٣ / ٤١٨) ، وجامع البيان : (١٧ / ٩٠ - ٩١) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٥) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٨) .

القول الرابع : أن المتقدمين : أول الخلق ، والمستأخرين آخر الخلق ، قاله الشعبي ^١ ، وابن جزى ^٢ ،
والثعالبي ^٣ ، والسيوطي ^٤ .

القول الخامس : المتقدمين من الأمم والمستأخرين أمة محمد ﷺ ، وهو مروى عن مجاهد ^٥ .

القول السادس : المتقدمين في الطاعة والخير ، والمستأخرين بالمعصية والشر ، وهو مروى عن
الحسن ، وقتادة ^٦ .

القول السابع : المتقدمين في صفوف الصلاة ، والمستأخرين عنها ، وذكروا أن في سبب نزولها
قولين :

أحدهما : أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ ، فكان بعضهم يستقدم حتى
يكون في أول الصفِّ لئلا يراها ، ويتأخر بعضهم حتى يكون في آخر صف ، فإذا ركع نظر من تحت
إبطه ، فتزلت هذه الآية ^٧ ، وهو مروى عن ابن عباس ^٨ .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٢) .

^٢ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٦) .

^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٠) .

^٤ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٧) .

^٥ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٠ - ٣٤١) ، وجامع البيان : (١٧ / ٩٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن
أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٦) .

فائدة : أخرج الطبري الأثر من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن
أبي نجيح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٢٩) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٣) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٢) ، والدر
المنثور : (٥ / ٧٥) .

^٧ _ رواه الترمذي ، كتاب التفسير ، باب (سورة الحجر) : (٥ / ٢٧٦) ، والنسائي ، في السنن الكبرى ،

كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٢٤] : (٦ /

٣٧٤) ، وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب الخشوع في الصلاة : (٢ / ٣٣٢) ، والبيهقي ، في السنن
الكبرى ، كتاب الصلاة ، باب الرجل يعف : (٣ / ٩٨) ، والحاكم في المستدرک ، كتاب التفسير : (٢ / ٣٥٣)
(من حديث ابن عباس _ رضي الله عنهما _ وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٣) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦١) .

وبين ابن عطية _ رحمه الله _ أن الآية المتقدمة على هذه الآية ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي ۚ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٢٣] ، والآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُحَرِّمُ ۚ ﴾ [سورة الحجر : ٢٥] ، يضعف هذه التأويلات ؛ لأنها تذهب اتصال المعنى^١ .

وضعف هذا الحديث الثعالبي فقال : ((والحديث المتقدم ، إن صحَّ ، فلا بد من تأويله ، فإن الصحابة يترهون عن فعل ما ذكّر فيه ، فيؤول بأن ذلك صدر من بعض المنافقين ، أو بعض الأعراب الذين قرّب عهدهم بالإسلام ، ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث))^٢ .

وقال ابن كثير _ رحمه الله _ : ((وهذا الحديث فيه نكارة شديدة))^٣ .

والثاني : أن النبي _ ﷺ _ حرّض على الصف الأول ، فازدحموا عليه ، وقال قوم بيوتهم قاصية عن المدينة : لنبيعن دورنا ، ولنشترين دوراً قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المتقدم ، فترلت هذه الآية^٤ ؛ ومعناها : إنما تُجزون على النيات ، فاطمأنوا وسكنوا ، رواه أبو صالح عن ابن عباس^٥ . وعليه فالتقدم في الصف الأول ، والتأخر عنه ، فعلى الأول : هو التقدم للتقوى ، والتأخر للخيانة بالنظر ، وعلى الثاني : هو التقدم لطلب الفضيلة ، والتأخر للعدو^٦ .

القول الثامن : المستقدمين : من قتل في الجهاد ، والمستأخرين من لم يقتل ، وهو مروى عن القرظي^٧ .

وجمع عطاء^٨ بين القول السابع والثامن بأنهم المستقدمين والمستأخرين في صفوف الصلاة والقتال .

القول التاسع : السابقين إلى الإسلام والمتقاعسين عنه ، وهو مروى عن قتادة^٩ .

^١ _ المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٥) .

^٢ _ الجواهر الحسان : (٢ / ٢١١) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٤٩ _ ٥٥٠) .

^٤ _ قال السيوطي : ((لم أقف عليه)) . الدر المنثور : (٥ / ٧٣) .

^٥ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٩٦) .

^٦ _ ينظر : المرجع السابق : (٤ / ٣٩٦) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٢) .

^٨ _ ينظر : الدر المنثور : (١٥ / ٧٥) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٣٩) .

الترجيح :

يتبين مما سبق أن الراجح — والله أعلم — الحمل على العموم ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، فالمعنى : علمنا من اتصف بالتقدم والتأخر في الولادة والموت والإسلام وصفوف الصلاة وغيرها ^١ ، فما ذكر من الأقوال على سبيل التمثيل ، لا الحصر .

قال القرطبي — بعد ذكره للأقوال — : ((وكل هذا معلوم لله تعالى ، فإنه عالم بكل موجود ومعدوم ، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة)) ^٢ .

وإن كان القول الثاني ، وهو أن المستقدمين : الأموات ، والمستأخرين الأحياء ، يدل عليه سياق الآيات ، إلا أنه لا يمنع العموم .

قال الطبري — رحمه الله — : ((وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصف لشأن النساء ، والمستأخرين فيه لذلك ، ثم يكون الله عز وجل عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق ، فقال جل ثناؤه لهم : قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم ، وما كانوا يعملون ، ومن هو حيّ منكم ، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس ، وأعمال جميعكم خيرها وشرّها ، وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم ، فنجازي كلاً بأعماله ، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً . فيكون ذلك تهديداً ووعيداً للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكل من تعدى حدّ الله وعمل بغير ما أذن له به ، ووعداً لمن تقدّم في الصفوف لسبب النساء ، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها)) ^٣ .

وقال البقاعي — رحمه الله — : ((قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ﴾ أي : بما لنا من الإحاطة المعجزة ، ﴿ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ﴾ وهم من قضينا بموته أولاً ، فيكون في موته كأنه يسارع إلى التقدم وإن كان هو وكل من أهله مجتهداً بالعلاج في تأخيره ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ﴾ بعظمتنا ﴿ الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ أي الذين نمد في أعمارهم فنؤخر موتهم حتى يكونوا كأنهم يسابقون إلى ذلك وإن عاجلوا الموت بشرب سم وغيره ، أو عاجله لهم غيرهم بضربهم بالسيف أو غيره ، فعرف بذلك قطعاً أن الفاعل واحد مختار ، وكذا كل متقدم ومتأخر في وصف من الأوصاف غير الموت)) ^٤ .



^١ — ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٠٣) ، وروح المعاني : (٩ / ٤٧٦) .

^٢ — الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٩) .

^٣ — جامع البيان : (١٧ / ٩٤) .

^٤ — نظم الدرر : (٤ / ٤٠٩) .

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [٢٦] .

١٩ / ٨٩ _ مسألة : معنى ﴿ مَسْنُونٍ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ ، أن معنى ﴿ مَسْنُونٍ ﴾ : الطين الرطب المصبوب ، فقال : « وقال ابن عباس : المسنون الطين ، ومعناه : المصبوب ، لأنه لا يكون مصبوباً إلا وهو رطب ، فكفى عن المصبوب بوصفه ، لأنه موضوع له »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ مَسْنُونٍ ﴾ على خمسة أقوال :

القول الأول : الطين الرطب مصبوب ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، وحسنه النحاس^٣ ، وهو قول أبي عبيدة^٤ ، ووافقهم السمين الحلبي^٥ ، وابن عادل^٦ .
واستدل لهذا القول من اللغة بأنه من سنيئ الماء على الوجه إذا صببته عليه ، تقول : سنتت التراب والماء إذا صببته شيئاً بعد شيء^٧ ، و يقال : سنتت الشيء ، أي : صببته^٨ .
قال البقاعي _ رحمه الله _ : « ثم بين أصل الصلصال فقال : ﴿ حَمَإٍ ﴾ أي : طين أسود منتن ﴿ مَسْنُونٍ ﴾ أي : مصبوب مهياً لعمل ما يراد منه بالدلك والتحسين من الذهاب والاضطراب والجعل على طبع وطريقة مستوية ، وكل ذلك على غاية السهولة والطواعية والهوان »^٩ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٤٠) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٩) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٣) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٧) .

^٣ _ معاني القرآن : (٤ / ٢٥) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٤ / ٢٥) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٩٨) ، و الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٢٢) .

^٥ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٧ / ١٥٧) .

^٦ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٥٢) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٧) ، ومفردات ألفاظ القرآن : (٤٢٩) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٥٨) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٤ / ٢٥) .

^٩ _ نظم الدرر : (٤ / ٤٠٩) .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((وهذا تفسير لا يخص اللفظة))^١ .
القول الثاني : المتن المتغير ، وهو مروى عن ابن عباس^٢ ، ومجاهد^٣ ، وقتادة^٤ ، وقول السمرقندي^٥ ،
والواحدي^٦ ، والبغوي^٧ ، والقرطبي^٨ ، وابن جزى^٩ ، والسيوطي^{١٠} .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ النظائر القرآنية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَتَسَنَّهٗ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٩]^{١١} .
- ٢ _ أنه قول تؤيده اللغة : فهو من قولهم : سنتت الحجر على الحجر إذا حككته به ، فالذي يسيل بينهما سنين ، ولا يكون إلا منتنا^{١٢} . وقيل : من أسن الماء إذا تغير^{١٣} .
- ورد الطبري _ رحمه الله _ هذا القول ، فقال : ((وليس من الآسن المتغير ؛ لأنه من سَنَن مضاعف))^{١٤} .
- وقال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((والتصريف يرد هذا القول))^{١٥} .
- وقال أبو حيان _ رحمه الله _ : ((ولا يصح لاختلاف المادتين))^١ .

^١ _ المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٦) .
^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٨) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٣) والدر المنثور : (٥ / ٧٧) .
^٣ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤١) ، وجامع البيان : (١٧ / ٩٨) .
فائدة : الأثر أخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج عنه . وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛
لمتابعة ابن أبي نجيح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٣٠) .
^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٨) .
^٥ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٤٥) .
^٦ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٤٤) ، والموجيز : (١ / ٤٠٣) .
^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٧٨) .
^٨ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٢١) .
^٩ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٦٦) .
^{١٠} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٧) .
^{١١} _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٣٩٨) .
^{١٢} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٧) ، والقاموس المحيط : (١٢٠٧) ، والكشاف : (٣ / ٤٠٤) .
^{١٣} _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٥٨) ، والمحرف الوجيز : (٤ / ١٢٦) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٤٠) .
^{١٤} _ جامع البيان : (١٧ / ٩٧) .
^{١٥} _ المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٦) .

القول الثالث : المسنون المصور من سنة الوجه ، وهي صورته ^٢ ، وهو قول الزمخشري ^٣ ، والنسفي ^٤ ، ووافقه أبو السعود ^٥ ، والمراغي ^٦ .

قال الزمخشري _ رحمه الله _ : ((مسنون بمعنى : مصور أن يكون صفة لصلصال ، كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف ، فيبس حتى إذا نقر صلصل ، ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر)) ^٧ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ قول حمزة وهو يمدح رسول الله _ ﷺ _ :
أغر كأن البدر سنة وجهه جلا الغيم عنه ضوءه فتبددا ^٨ .

٢ _ قول الشاعر : تريك سنة وجه غير مقرفة ^٩ ... ^{١٠}

القول الرابع : المحكوك ^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٤٠) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٩٧) ، و معاني القرآن ، للنحاس : (٤ / ص ٢٥) ، و الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٢٢) ، و البحر المحيط : (٥ / ٤٤٠) .

^٣ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٤٠٤) .

^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧١) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧٣) .

^٦ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٢٠) .

^٧ _ الكشف : (٣ / ٤٠٤) .

^٨ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ٧٧) ، و أضواء البيان : (٢ / ١٤٣) .

^٩ _ هذا صدر بيت من البسيط لذي الرمة ، وعجزه : ملساء ليس بها خال ولا ندب . ينظر : ديوان ذي الرمة (٨) ، و جمهرة أشعار العرب : (٤٣٧) ، و خزنة الأدب : (٥ / ٩٠) ، و لسان العرب : (٣ / ٢١٢٣) (مادة سنن) .

^{١٠} _ ينظر : و الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٢٢) ، و البحر المحيط : (٥ / ٤٤٠) ، و أضواء البيان : (٢ / ١٤٣) .

^{١١} _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٥٨) ، و زاد المسير : (٤ / ٣٩٨) .

واحتج لهذا القول بقول العرب : سنتت الحجر على الحجر : إذا حككته عليه . وسمي المسنن مسناً ، لأن الحديد يُحَكُّ عليه^١ ، ومن ذلك قول الشاعر :
ثم دافعتها إلى القبة الخضرا ... ء وتمشي في ممر مسنون^٢
أي : محكم الإملاس بالسن^٣ .

القول الخامس : المسنون : المنسوب ، أي : ينسب إليه ذريته^٤ .

وأشار الألويسي _ رحمه الله _ إلى ضعف هذا القول فقال : ((وقيل : المسنون المنسوب أي نسب إليه ذريته ، وهو كما ترى))^٥ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة في الأقوال الأربعة الأولى ؛ فإن كل قول له ما يؤيده من اللغة وغيرها كما تقدم والمعنى : أنه طين رطب مصبوب محكوك صور على صورة ، ومن جمع بين الأقوال البيضاوي^٦ ، والبعض جمع بين قولين كابن عطية جمع بين كونه محكوكاً و مصبوباً^٧ ، والألويسي جمع بين كونه مصبوباً مصوراً^٨ . وقال الخازن _ رحمه الله _ : ((والجمع بين هذه الأقاويل ، أي : المنتن المتغير ، أو : المصبوب ، أو : التراب المبتل المنتن جعل صلصالاً كالفخار _ على ما ذكره بعضهم أن الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام ، قبض قبضة من تراب الأرض فبلها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها ، وتغيرت وإليه الإشارة بقوله ﴿ إِنْ مَثَلٌ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آءِآءٍ مَّخْلَقَةٌ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٩] ثم إن ذلك التراب بله بالماء وخرمه حتى اسود ؟ ، وأنتن ريحه وتغير ، وإليه الإشارة بقوله : من حمأ مسنون ، ثم ذلك الطين الأسود المتغير صورته صورة إنسان أجوف ، فلما جف وبيس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة يعني صوتاً ، وإليه الإشارة بقوله ﴿ مِنْ

^١ _ ينظر : القاموس المحيط : (١٢٠٧) .

^٢ _ قول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . ينظر : غريب الحديث ، لأبي عبيد : (١ / ٣٠٩) ، وأخبار النساء : (١ / ٢٥) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٦) ، وزاد المسير : (٤ / ٣٩٨) .

^٤ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٥٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٤٠) .

^٥ _ روح المعاني : (٩ / ٤٧٩) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٢٩٣) .

^٧ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٤ / ١٢٦) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (٩ / ٤٧٨) .

صَلَّصَلَّ كَأَلْفَخَّارٍ ﴿ [سورة الرحمن : ١٤] ، وهو الطين اليابس ، إذا تفخَّر في الشمس ثم نفخ فيه الريح فكان بشراً سويّاً^١ .

قال الشوكاني _ رحمه الله _ : « والحاصل على هذه الأقوال أن التراب لما بلَّ ، صار طيناً ، فلما أنتن صار حمماً مسنوناً ، فلما يئس صار صلصالاً . فأصل الصلصال : هو الحمأ المسنون ، ولهذا وصف بهما^٢ .^٣ »



^١ _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٤٤) .

^٢ _ فتح القدير : (٣ / ١٣٠) .

^٣

قال الله تعالى ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [٤١]

٢٠ / ٩٠ _ من المشار إليه بـ ﴿ هَذَا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المشار إليه بـ ﴿ هَذَا ﴾ : الإخلاص الذي يكون في عباد الله المخلصين ، فقال : « والإشارة بهذا إلى ما تضمنه المخلصين من المصدر أي : الإخلاص الذي يكون في عبادي هو صراط مستقيم لا يسلكه أحد فيفضل أو يزل ، لأن من اصطفته أو أخلص لي العمل لا سبيل لك عليه وقرأ الضحاك ، وإبراهيم ويعقوب : ﴿ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ م^١ أي : عال لارتفاع شأنه . وهذه القراءة تؤكد أن الإشارة إلى الإخلاص ، وهو أقرب إليه »^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في من المشار إليه بـ ﴿ هَذَا ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء ، وهو تخلص المخلصين من إغوائه ، والمعنى : أن الإخلاص طريق علي ، وإلي ، يؤدي إلى كرامتي ورضواني ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان موافقاً قول الواحدي^٣ ، وابن عطية^٤ ، والبيضاوي^٥ ، وابن تيمية^٦ ، ووافقهم السمين الحلبي^٧ ، وابن جزري^٨ ، وابن عادل^٩ ، وأبو السعود^{١٠} ، والألوسي^{١١} .

قال ابن تيمية : « وَقَوْلُهُ ﴿ هَذَا ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٤٠] .

^١ _ قوله تعالى ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ قرأ يعقوب بكسر اللام ، ورفع الياء وتنوينها ، وقرأ الباقون بفتح اللام والياء من غير تنوين . ينظر : النشر : (٣٠١ / ٢) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٤٢ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٢١ / ٢) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٤٥ / ٣) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز : (١٣٠ / ٤) .

^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢٩٩ / ٣) .

^٦ _ ينظر : مجموع فتاوى ابن تيمية : (٢٠٧ / ١٥) .

^٧ _ ينظر : الدر المصون : (١٥٩ / ٧) .

^٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٦٨ / ٢) .

^٩ _ ينظر : اللباب : (٤٥٩ / ١١) .

^{١٠} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٧٩ / ٥) .

^{١١} _ روح المعاني : (٨ / ١٠) .

فَتَعْبُدُ الْعِبَادَ لَهُ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ : طَرِيقٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَهُوَ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ . وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ [سورة الحجر : ٤٢] «^١ .

القول الثاني : الإشارة إلى الحق ، والمعنى : هذا الحق يرجع إلي ، وعليه طريقه لا يعرج على شيء ، وهو قول مجاهد^٢ ، والواحدي^٣ .

قال الواحدي عن القول الأول أنه يعود إلى قول مجاهد هذا ؛ حيث قال : « وهذا معنى قول مجاهد : الحق يرجع إلى الله ، وعليه طريقه ، يعرج عليه »^٤ .

القول الثالث : الإشارة إلى الطريق ، ثم اختلفوا في المعنى على أقوال :

الأول : المعنى : ﴿ هَذَا ﴾ طريق حق ﴿ عَلَيَّ ﴾ أن أراعيه ، وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي ، إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته ، وهو قول الزمخشري^٥ ، والبيضاوي^٦ ، والنسفي^٧ ، ووافقه أبو السعود^٨ ، والشوكاني^٩ ، والمراغي^{١٠} .

الثاني : هذا صراط عهدة استقامته عليّ ، أي : عليّ هدايته ودلالته ، وهو قول الأنخفش^{١١} ، وهو قوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة النحل : ٩]^{١٢} .

^١ _ مجموع فتاوى ابن تيمية : (٢٠٧ / ١٥) .

^٢ _ ينظر : تفسير مجاهد ، وجامع البيان : (١٧ / ١٠٤) ، والدر المنثور : (٧٩ / ٥) .

فائدة : أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجیح ، وابن جريج ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجیح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٣١) .

^٣ _ ينظر : الوجيز : (٤٠٦ / ١) .

^٤ _ الوسيط : (٤٥ / ٣) .

^٥ _ ينظر : الكشف : (٤٠٧ / ٣) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢٩٩ / ٣) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٧٣ / ١) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٧٩ / ٥) .

^٩ _ ينظر : فتح القدير : (١٣١ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير المراغي : (٢٠ / ١٤) .

^{١١} _ ينظر : معاني القرآن : (٦٠٤ / ٢) .

^{١٢} _ ينظر : بحر العلوم : (٤٤٦ / ٢) ، والبحر المحيط : (٤٤٢ / ٥) .

الثالث : هذا صراط إلى مستقيم ، وهو قول الحسن^١ .

وهذه المعاني متقاربة ، تعود جميعها إلى قول مجاهد أيضاً .

الرابع : المعنى : هذا طريق علي جوازه ؛ لأني بالمرصاد ، فأجازيهم بأعمالهم ، وهو خارج مخرج الوعيد والتهديد ، كقولك لمن تهدده : طريقك علي ومصيرك إلي ، وكقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ [سورة الفجر : ١٤] ، فكان معنى الكلام : هذا طريق مرجعه إلي فأجازي كلاً بعمله ، يعنى طريق العبودية ، وهو قول الكسائي^٢ ، والفراء^٣ ، وابن كثير^٤ ، والثعالبي^٥ ، والمراغي^٦ . وقال ابن تيمية عن هذا القول بأنه أضعف الأقوال فقال : « وَأَبْنُ عَطِيَّةَ لَمْ يَذْكُرْ فِي آيَةِ الْحَجْرِ إِلَّا قَوْلَ الْكِسَائِيِّ وَهُوَ أضعفُ الأَقْوَالِ ، وَذَكَرَ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ تَفْسِيرًا لِلْقِرَاءَةِ الأُخْرَى » .

وقال أيضاً : « هَذَا قَوْلٌ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ ، لَأ فِي هَذِهِ الآيَةِ وَلَا فِي نَظِيرِهَا . وَإِنَّمَا قَالَه الْكِسَائِيُّ لَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ مَعْنَى الآيَةِ الَّذِي فَهَمَهُ السَّلْفُ وَدَلَّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ وَالتَّظَايُرُ . وَكَلَامُ الْعَرَبِ لَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ . فَإِنَّ الرَّجُلَ وَإِنْ كَانَ يَقُولُ لِمَنْ يَتَهَدَّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ : عَلَيَّ طَرِيقُكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَقُولُ : إِنَّ طَرِيقَكَ مُسْتَقِيمٌ . وَأَيْضًا فَالْوَعِيدُ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْمَسِيءِ لَا يَكُونُ لِلْمُخْلِصِينَ . فَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُهُ ﴿ هَذَا ﴾ إِشَارَةً إِلَى انْقِسَامِ النَّاسِ إِلَى غَاوٍ وَمُخْلِصٍ ، وَطَرِيقِ هَؤُلَاءِ غَيْرِ طَرِيقِ هَؤُلَاءِ ؟ هَؤُلَاءِ سَلَكَوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى اللَّهِ وَهَؤُلَاءِ سَلَكَوا السَّبِيلَ الْجَائِرَةَ .

وأيضاً فإنما يقول لغيره في التهديد : طريقك علي ، من لا يقدر عليه في الحال لكن ذاك يمر بنفسه عليه وهو متمكن منه ومثل هذا المعنى لا يقال في حق الله تعالى . فإن الله قادر على العباد حيث كانوا كما قالت الجن ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ [سورة الجن : ١٢] ، وقال ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة العنكبوت : ٢٢] وإذ كانت العرب تقول ما ذكره : يقولون " طريقك في هذا الأمر على فلان ، أي : إليه يصير أمرك

^١ — ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٤ / ٢٦) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٠٤) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٦١) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٠١) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٢٨) ، والدر المنثور : (٥ / ٧٩) ، ومجموع الفتاوى : (١٥ / ٢٠٠) .

^٢ — ينظر : المحرر الوجيز : (٤ / ١٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٢٨) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٤٧) .

^٣ — ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٨٩) .

^٤ — ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٥١) .

^٥ — ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٢) .

^٦ — تفسير المراغي : (١٤ / ٢٣) .

فَهَذَا يُطَابِقُ تَفْسِيرَ مُجَاهِدٍ ، وَغَيْرِهِ مِنْ السَّلَفِ كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ : الْحَقُّ يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَعَلَيْهِ طَرِيقُهُ
لَا يُعْرَجُ عَلَى شَيْءٍ . فَطَرِيقُ الْحَقِّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ ﴿ هَذَا صِرَاطٌ
عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴾ كَمَا فَسَّرَتْ بِهِ الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى ١ .

الترجيح :

مما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو قول مجاهد ، وهو
أن الإشارة إلى الحق ، وإليه يرجع ما رجحه أبو حيان ومن معه ، كما تقدم عن الواحدي .
قال ابن تيمية _ رحمه الله _ : « الْقَوْلُ الصَّوَابُ هُوَ قَوْلُ أُمَّةِ السَّلَفِ - قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَنَحْوِهِ -
فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴾ الْحَقُّ يَرْجِعُ
إِلَى اللَّهِ وَعَلَيْهِ طَرِيقُهُ لَا يُعْرَجُ عَلَى شَيْءٍ » ٢ .



١ _ مجموع الفتاوى : (١٥ / ٤٠٢ - ٤٠٣) .

٢ _ مجموع فتاوى ابن تيمية : (١٥ / ٢٠٣) .

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ آتَبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [٤٢] .

٩١ / ٢١ _ مسألة : المراد بـ ﴿ عِبَادِي ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ المراد بـ ﴿ عِبَادِي ﴾ : المخلصين الذين ذكرتهم ليس لك عليهم سلطان ، فقال : ((والإضافة في قوله : ﴿ عِبَادِي ﴾ ، إضافة تشریف أي : إنّ المختصين بعبادتي ، وعلى هذا لا يكون قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ آتَبَعَكَ ﴾ ، استثناء متصلًا ؛ لأنّ من اتبعه لم يندرج في قوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي ﴾ ، وإن كان أريد بعبادي : عموم الخلق ، فيكون : ﴿ إِلَّا مَنْ آتَبَعَكَ ﴾ ، استثناء من عموم ، ويكون فيه دلالة على استثناء الأكثر ، وبقاء المستثنى منه أقل والذي يظهر أن إبليس لما استثنى العباد المخلصين كانت الصفة ملحوظة في قوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي ﴾ أي : عبادي المخلصين الذين ذكرتهم ليس لك عليهم سلطان))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ عِبَادِي ﴾ على قولين :

القول الأول : أن المراد : عبادي المخلصين الذين ذكرتهم ليس لك عليهم سلطان ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقا للمروي عن ابن عباس^٢ ، وقول السمرقندي^٣ ، والواحدي^٤ ، والقرطبي^٥ ، ووافقهم ابن كثير^٦ ، والثعالبي^٧ ، والبقاعي ، والسيوطي^٨ ، وأبو السعود^٩ ، والقونوي^{١٠} . واستدلوا بأنه ك

﴿ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٩]

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٤٢) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٢١) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٤٥) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٤٤٧) .

^٤ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٤٠٦) .

^٥ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٢٨) .

^٦ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٥١) .

^٧ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٢) .

^٨ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٨) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧٩) .

^{١٠} _ ينظر : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (١١ / ١٦٢) .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((والظاهر من قوله ﴿عِبَادِي﴾ : الخصوص في أهل الإيمان والتقوى لا عموم الخلق ، وبحسب هذا يكون ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ﴾ مستثنى من غير الأول ، التقدير : لكن من اتبعك من الغاوين لك عليهم سلطان ، وإن أخذنا العباد عاماً في عباد الناس إذ لم يقرر الله لإبليس سلطاناً على أحد ، فإننا نقدر الاستثناء في الأقل في القدر من حيث لا قدر للكفار ، والنظر الأول أصوب))^١ .

وقال البقاعي _ رحمه الله _ : ((وقيل وهو ظاهر : إن الإضافة للتشريف ، فلا تشمل إلا الخالص ، فحينئذ يكون الاستثناء منقطعاً ، وفائدة سوجه بصورة الاستثناء - على تقدير الانقطاع - الترغيب في رتبة التشرف بالإضافة إليه ، والرجوع عن اتباع العدو إلى الإقبال عليه ؛ لأن ذوي الأنفس الأبية والههم العلية ينافسون في ذلك المقام ، ويرونه - كما هو الحق - أعلى مرام))^٢ .

القول الثاني : أن المراد عموم الخلق ، وهو قول الفخر الرازي^٣ ، والخازن^٤ ، وابن عادل^٥ ، والمراغي^٦ .

قال الخازن _ رحمه الله _ : ((إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ أي : قوة وقدرة ، وذلك أن إبليس لما قال : ﴿لَأَرْيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا عُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الحجر : ٣٩ - ٤٠] ، أوهم بهذا الكلام أن له سلطاناً على غير المخلصين ، فبين الله سبحانه وتعالى أنه ليس له سلطان على أحد من عبيده سواء كان من المخلصين ، أو لم يكن من المخلصين))^٧ .

واستدل لهذا القول بالنظائر القرآنية ؛ حيث قالوا : إن هذه الآية نظير قوله تعالى حكاية عن إبليس أنه قال ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنِ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [سورة إبراهيم : ٢٢] .

^١ _ المحرر الوجيز : (٤ / ١٣١) .

^٢ _ نظم الدرر : (٤ / ٤١٥) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ١٩٤) .

^٤ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٤٨) .

^٥ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٦٠) .

^٦ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٢٤) .

^٧ _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (٤ / ١٤٨) .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٩ – ١٠٠]^١ .
ورد القونوي هذا القول فقال : « وأنت تعلم أن إبليس لما اعترف بعدم تسلطه ، فلا وجه هنا أن يقال : إن كلامه أوهم أن له تسلطاً »^٢ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على القولين ،
وبه قال البيضاوي^٣ ، وابن جزري^٤ ، والشوكاني^٥ .
قال الألوسي : « ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ ﴾ أي : تسلط وتصرف بالإغواء ،
والمراد بالعباد المشار إليهم بالمخلصين بالإضافة للعهد ، والاستثناء على هذا في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْعٰوِينَ ﴾ منقطع ، واختار ذلك غير واحد ، واستدل عليه بسقوط الاستثناء في الإسرائ
، وجوز أن يكون المراد بالعباد العموم ، والاستثناء متصل ، والكلام كالتقرير لقوله : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنْهُمْ الْمَخْلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٤٠] ولذا لم يعطف على ما قبله ، وتغيير الوضع لتعظيم
المخلصين بجعلهم هم الباقيين بعد الاستثناء »^٦ .



^١ _ التفسير الكبير : (١٩٤ / ١٩) ، وتفسير المراغي : (٢٦ / ١٤) .

^٢ _ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (١١١ / ١٦٢) .

^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٢٩٩) .

^٤ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ١٦٨) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٣١) .

^٦ _ روح المعاني : (٩ / ١٠) .

قال الله تعالى ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [٦٧] .

٩٢ / ٢٢ _ مسألة : متى كان هذا المجيء ؟ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن مجيئهم كان قبل علمه بهلاكهم ، فقال : ((استبشارهم : فرحهم بالأضياف الذين وردوا على لوط _ عليه السلام _ . والظاهر أن هذا المجيء ومحاورته مع قومه في حق أضيافه ، وعرضه بناته عليهم ، كان ذلك كله قبل إعلامه بهلاك قومه وعلمه بأنهم رسل الله ؛ ولذلك سماهم ضيفان خوف الفضيحة ؛ لأجل تعاطيهم ما لا يجوز من الفعل القبيح . وقد جاء ذلك مرتباً هكذا في هود^١ ، والواو لا ترتب))^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في زمن مجيء أهل المدينة على قولين :

القول الأول : أنه كان قبل علمه بهلاكهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٣ ، ووافقهما ابن كثير^٤ ، والألوسي^٥ ، والطاهر ابن عاشور^٦ .

واستدلوا بما يلي^٧ :

١ _ أنه الظاهر من آيات أخرى^٨ .

١ _ يعني : قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ . وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ . قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ . قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ . قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ . [سورة هود : ٧٧ - ٨١] .

٢ _ البحر المحيط : (٤٤٩ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٢٥) .

٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٦٨) .

٤ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٥٥) .

٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٧١) .

٦ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٦٦) .

٧ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٦٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٤٩) .

٨ _ منها : ما تقدم من الآيات في سورة هود _ عليه الصلاة والسلام _ .

قال ابن كثير - رحمه الله - : ((يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم ، وأنهم جاعوا مستبشرين بهم فرحين ، قال : ﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ . وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ [سورة الحجر : ٦٨ - ٦٩] ، وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم أنهم رسل الله كما قال في سورة هود ، وأما هنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله ، وعطف بذكر مجيء قومه ومحاجته لهم ، ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ، ولا سيما إذا دل دليل على خلافه))^١ .

٢ - أن محاجة لوط لقومه تقتضي أنه لم يعلم بإهلاكهم .

قال الطاهر بن عاشور - رحمه الله - : ((ومجيء أهل المدينة إليه ومحاورته معهم كان قبل أن يعلم أنهم ملائكة ، ولو علم ذلك لما أشفق مما عزم عليه أهل المدينة لما علم بما عزموا عليه بعد مجادلتهم معه ، كما جاء في قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَلْبُوطٌ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ [سورة هود : ٨١] في سورة هود ، والواو لا تفيد ترتيب معطوفها))^٢ .

٣ - أن لوطاً - عليه الصلاة والسلام - بحسب اعتقاده أن هؤلاء ضيوف ؛ ولذلك قال ﴿ ضَيْفِي ﴾ [سورة الحجر : ٦٨] .

قال الألوسي - رحمه الله - : ((الضيف كما قدمنا في الأصل مصدر ضافه ، فيطلق على الواحد والجمع ؛ ولذا صح جعله خبراً لهؤلاء وإطلاقه على الملائكة - عليهم السلام - بحسب اعتقاده - عليه السلام - لكونهم في زي الضيف))^٣ .

القول الثاني : أنه كان بعد علمه بهلاكهم ، واحتمله ابن عطية^٤ .

قال ابن عطية - رحمه الله - : ((ويحتمل قوله ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ﴾ [سورة الحجر : ٦٧] أن يكون بعد علمه بهلاكهم ، وكان قوله ما يأتي من المحاورة على جهة التهكم عنهم والإملاء لهم والتربص بهم))^٥ .

وقال - بعد احتماله للقولين - : ((والاحتمال الأول عندي أرجح ، وهو الظاهر من آيات غير هذه السورة))^٦ .

الترجيح :

- ١ - تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٥٥) .
- ٢ - التحرير والتنوير : (١٤ / ٦٦) .
- ٣ - روح المعاني : (١٤ / ٧١) .
- ٤ - ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٦٨) .
- ٥ - المحرر الوجيز : (٣ / ٣٦٨) .
- ٦ - المرجع السابق : (٣ / ٣٦٩) .

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن مجيء أهل المدينة كان قبل علمه بملاكهم ؛ وذلك لما يلي :

١ _ ما تقدم بأنه الذي يظهر من آيات أخرى ، وهو تفسير للقرآن بالقرآن ، وذلك بيحل تحت أفضل وأعلى درجات التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن^١ .

٢ _ أن ظاهر الآيات يشير إلى عدم علمه بملاكهم وقت مجيئهم ، ويتضح ذلك في محاوره لوط _ عليه الصلاة والسلام _ لقومه ، وتسميته للملائكة بأنهم أضيافه ، والاستدلال بظاهر السياق على المعنى الراجح من القواعد المهمة عند المفسرين^٢



^١ _ ينظر : شرح مقدمة التفسير ، لابن عثيمين : (١٢٧) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) ، وقواعد التفسير ، لخالد السبت : (١ / ١٠٩) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) ، وقواعد التفسير ، لخالد السبت : (١ / ٢٤٩) .

قال الله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [٧٢] .

في الآية الكريمة خمس مسائل :

٩٣ / ٢٣ _ المسألة الأولى : المراد بالعمر :

رجح أبو حيان أن المراد : البقاء ، فقال : ((أقسم تعالى بحياته _ سيأتي من المراد في الترجيح الآتي _ تكريماً له . والعمر : بفتح العين وضمها : البقاء ، وألزموا الفتح القسم))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالعمر على أقوال :

القول الأول : أن المراد قسم ب حياة المخاطب _ ﷺ _ ، و المراد بالعمر : البقاء ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ، و السمرقندي^٣ ، و الثعلبي^٤ ، و الواحدي^٥ ، و البغوي^٦ ، و البيضاوي^٧ ، و النسفي^٨ ، و الخازن^٩ ، و وافقهم السمين الحلبي^{١٠} ، و ابن جزري^{١١} ، و ابن كثير^{١٢} ، و الثعالبي^{١٣} ، و السيوطي^{١٤} ، و الألوسي^{١٥} ، و الطاهر ابن عاشور^{١٦} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) . و ينظر : النهر الماد : (٢٢٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١١٨ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٦٠ / ٢) .

^٤ _ ينظر : تفسير الثعلبي : (٣٤٦ / ٥) .

^٥ _ ينظر : الوجيز : (٥٩٥ / ١) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٨٧ / ٤) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٧٨ / ٣) .

^٨ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٧٦ / ١) .

^٩ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٠٠ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : الدر المصون : (١٧٤ / ٧) .

^{١١} _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢٧٠ / ٢) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٥٥ / ٢) .

^{١٣} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢١٥ / ٢) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٩) .

^{١٥} _ ينظر : روح المعاني : (٧٢ / ١٤) .

^{١٦} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٦٨ / ١٤) .

و استدلووا بقول الشاعر^١ :

إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجيني رضاها^٢ .

وقول الشاعر^٣ :

ولعمر من جعل الشهور علامة فبين منها نقصها وكما لها^٤ .

والعمر عند العرب : البقاء ، قاله ابن الأنباري^٥ ، والنسفي^٦ .

وقريب من هذا القول قول من قال إن المراد : وعيشك ، وهذا مروى عن ابن عباس^٧ ، وهو قول

الأخفش^٨ .

قال الأخفش : ((لعمرك _ والله أعلم _ وعيشتك ، إنما يريد به العمر))^٩ .

وقال ابن الجوزي : ((وهو يرجع إلى معنى الأول))^{١٠} .

وفرق الراغب بين الحياة والبقاء فقال : ((والعمرُ ، والعُمُرُ : اسم لمدة عمارة البدن بالحياة ، فهو

دون البقاء ، فإذا قيل : طال عمره ، فمعناه : عمارة بدنه بروحه ، وإذا قيل : بقاؤه فليس يقتضي

ذلك ؛ فإن البقاء ضد الفناء ، وفضل البقاء على العمر وصف الله به ، وقلما وصف بالعمر))^{١١} .

القول الثاني : أن المراد : دينك ، والمراد : عبادتك الله ، وهو قول أبي الهيثم ، وابن الأعرابي^{١٢} .

واستدل أبو الهيثم بقول الشاعر^{١٣} :

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان

^١ _ هو القحيف العقيلي . ينظر خزانة الأدب : (١٠ / ١٤٥) ، ومغني اللبيب : (١ / ١٩١) ، وأدب الكاتب : (١ / ٣٩٥) .

^٢ _ ينظر : الخمر الوجيز : (٣ / ٣٦٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) .

^٣ _ وهو الأعشى . ينظر ديوانه : (١٨٢) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) .

^٥ - ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٠٨) .

^٦ _ ينظر : مدارك الترتيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٦) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٩) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٠) ، والدر المنثور : (٥ / ٨٩) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٠٤) .

^٩ _ معاني القرآن : (٢ / ٦٠٤) .

^{١٠} _ زاد المسير : (٤ / ٤٠٨) .

^{١١} _ مفردات ألفاظ القرآن : (٥٨٦) .

^{١٢} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) ، وروح المعاني : (١٤ / ٧٣) .

^{١٣} _ هو عمر بن أبي ربيعة . ينظر : ديوانه : (٣٩٧) ، والأغاني : (١ / ٢٣٢) .

أي : عبادتك الله^١ .

قال الألويسي : ((وهو غريب))^٢ .

القول الثالث : معناه وعملك ، قاله قتادة^٣ .

القول الرابع : أن معناه : وحقك على أمتك ، تقول العرب : لَعَمْرُ الله لا أقوم ، يعنون : وحق الله ، ذكره ابن الأنباري^٤ .

الترجيح :

بعد النظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما

رجحه أبو حيان ، ومن معه ، وهو أن المراد حياتك ومعيشتك وبقاؤك ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أنه قول تؤيده اللغة .

٢ _ أن جمهور المفسرين على هذا المعنى ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ أبعد^٥ .



^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) ، وروح المعاني : (١٤ / ٧٣) .

^٢ _ روح المعاني : (١٤ / ٧٣) .

^٣ _ ذكره الماوردي في النكت والعيون : (٣ / ١٦٦) .

^٤ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٦٦) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٠٨) .

^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٨٨) .

٩٤ / ٢٤ _ المسألة الثانية : مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ إلى لوط _ عليه الصلاة والسلام _ ، فقال : ((واللام في لعمرك لام الابتداء ، والكاف خطاب للوط _ عليه السلام _ ، والتقدير: قالت الملائكة للوط : لعمرك))^١

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ على قولين :

القول الأول : أن مرجع الضمير إلى لوط _ عليه الصلاة والسلام _ ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، وابن العربي^٣ ، واحتمله القشيري^٤ ، وحسنه القرطبي^٥ ، ووافقهم المراغي^٦ . قال ابن العربي _ رحمه الله _ : ((قال المفسرون بأجمعهم أقسم الله هنا بحياة محمد تشريراً له أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون ، قالوا روي عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله وما ذراً ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره . وهذا كلام صحيح ولا أدري ما الذي أخرجهم عن ذكر لوط إلى ذكر محمد ، وما الذي يمنع أن يقسم الله بحياة لوط ، ويبلغ به من التشريف ما شاء ، فكل ما يعطي الله للوط من فضل ويؤتاه من شرف ، فلمحمد ضعفاه ؛ لأنه أكرم على الله منه ، أولاً تراه قد أعطى لإبراهيم الخلة ، ولموسى التكليم ، وأعطى ذلك لمحمد ، فإذا أقسم الله بحياة لوط ، فحياة محمد أرفع ، ولا يخرج من كلام إلى كلام آخر غيره لم يخرج له ذكر لغير ضرورة))^٧ .

وحسن قوله _ أي : قول ابن العربي _ القرطبي _ رحمه الله _ فقال : ((ما قاله حسن ؛ فإنه كان يكون قسمه سبحانه بحياة محمد ﷺ _ كلاماً معترضاً في قصة لوط))^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٤١٤ / ٣) .

^٣ _ أحكام القرآن لابن العربي : (١٠٥ / ٣) .

^٤ _ الجامع لأحكام القرآن : (٣٩ / ١٠) - (٤٠) .

^٥ _ الجامع لأحكام القرآن : (٣٩ / ١٠) - (٤٠) .

^٦ _ تفسير المراغي : (٣٨ / ١٣) .

^٧ _ أحكام القرآن ، لابن العربي : (١٠٥ / ٣) .

^٨ _ الجامع لأحكام القرآن : (٣٩ / ١٠) - (٤٠) .

ورد الشهاب _ رحمه الله _ هذا القول فقال : ((وأما كونه خطاباً للوط _ عليه الصلاة والسلام _ فيحتاج إلى تقدير القول ، أي : قالت الملائكة للوط _ عليه الصلاة والسلام _ لعمر كإلخ ...؛ لأنه مع مخالفته للرواية محتاج للتقدير ، وهو خلاف الأصل ، وإن كان سياق القصة شاهداً له ، وقرينة عليه فلا يرد عليه ما قيل : إنه تقدير من غير ضرورة ، ولو ارتكب مثله لأمكن إخراج كل نص عن معناه بتقدير شيء فيرتفع الوثوق بمعاني النص))^١ .

القول الثاني : أن مرجع الضمير للنبي محمد _ ﷺ _ ، وهو مروى عن أبي هريرة^٢ ، وابن عباس^٣ ، وقول الطبري^٤ ، والسمرقندي^٥ ، والثعلبي^٦ ، والواحدي^٧ ، والبعوي^٨ ، وابن عطية^٩ ، والبيضاوي^{١٠} ، والخازن^{١١} ، ووافقهم السمين الحلبي^{١٢} ، وابن جزى^{١٣} ، وابن كثير^١ ، والثعالبي^٢ ، والسيوطي^٣ ، والألوسي^٤ ، والطاهر ابن عاشور^٥ ، والسعدي^٦ ، وعليه أكثر المفسرين^٧ .

^١ _ حاشية الشهاب : (٥ / ٥٣٥) .

^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ٩٠) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٨) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٩) ، والدر المنثور : (٥ / ٨٩) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٨) .

^٥ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٠) .

^٦ _ ينظر : الكشف والبيان : (٥ / ٣٤٦) .

^٧ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٩٥) .

^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٨٧) .

^٩ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٦٩) .

^{١٠} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٧٨) .

^{١١} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٠) .

^{١٢} _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ١٧٤) .

^{١٣} _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢ / ٢٧٠) .

^١ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٥٥) .

^٢ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٥) .

^٣ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٩) .

^٤ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٧٢) .

^٥ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٦٨) .

^٦ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٤٣٣) .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن ، للزجاج : (٣ / ١٨٣) ، وحاشية الشهاب : (٥ / ٥٣٥) ، وروح المعاني : (١٤ / ٧٢) .

واستدلوا بما يلي :

١ _ بما روي عن أبي هريرة _ رضي الله عنه _ عن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ قال : ((ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم قال ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٧٢] وحياتك يا محمد))^١ .

٢ _ وما روي عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ قال : ((ما خلق الله ، وما ذرأ ، وما نفساً أكرم على الله من محمد _ صلى الله عليه وسلم _ ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى ذكره ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٧٢]))^٢ .
٣ _ عدم احتياجه للتقدير^٣ .

قال الألوسي : ((وقيل : هو قسم من الملائكة عليهم السلام بعمر لوط _ عليه السلام _ ، وهو مع مخالفته للمأثور محتاج لتقدير القول ، أي : قالت الملائكة للوط _ عليهم السلام _ : لعمرك الخ ، وهو خلاف الأصل ، وإن كان سياق القصة شاهداً له ، وقرينة عليه))^٤ .
و جمع النسفي^٥ بين القولين .

^١ _ ينظر : الدر المنثور : (٩٠ / ٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١١٨ / ١٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٦٩ / ٧) ، والدر المنثور : (٨٩ / ٥) .

^٣ _ ينظر : حاشية الشهاب : (٥٣٥ / ٥) ، وحاشية القونوي : (١١٨ / ١١) .

^٤ _ روح المعاني : (٧٢ / ١٤) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٧٦ / ١) .

الترجيح :

- مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو أن مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ للنبي محمد _ ﷺ _ ؛ وذلك لما يلي :
- ١ _ أنه المروي عن الصحابة _ رضي الله عنهم _ ، وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^١ .
 - ٢ _ أن عليه جمهور المفسرين ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ أبعد^٢ .
 - ٣ _ عدم احتياجه للتقدير ، والقول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار^٣ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٧١) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٨٨) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٤٢١) .

٩٥ / ٢٥ _ المسألة الثالثة : المراد بالسكرة :

رجح أبو حيان أن المراد بالسكرة : الضلال والغفلة ، فقال : ((وكفى عن الضلالة والغفلة بالسكرة ، أي تحرهم في غفلتهم وضلاتهم منعهم عن إدراك الصواب الذي يشير به من ترك البنين إلى البنات))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالسكرة على أقوال :

القول الأول : الضلالة والغفلة ، وهو ما رجحه أبو حيان .

القول الثاني : جهلهم ، وهو قول النحاس^٢ .

وجمع بعضهم بين : ضلاتهم وجهلهم ، وهو قول الطبري^٣ ، و السمرقندي^٤ ، وابن جزى^٥ ،

القول الثالث : ضلاتهم ، وهو مروى عن قتادة^٦ ، وقول ابن زنين^٧ ، والواحدي^٨ ، والسمعاني^٩ ، والطاهر ابن عاشور^{١٠} .

قال الطاهر ابن عاشور _ رحمه الله _ : ((السكرة : ذهاب العقل ، مشتقة من السكر _

بفتح السين _ وهو السد والغلق ، وأطلقت هنا على الضلال تشبيهاً ؛ لغلبة دواعي الهوى على

دواعي الرشاد بذهاب العقل وغشيته))^{١١} .

القول الرابع : غفلتهم ، وهو مروى عن الأعمش^{١٢} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٤٩ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٢٦) .

^٢ _ ينظر : إعراب القرآن : (٢ / ٣٨٧) .

^٣ _ جامع البيان : (١٧ / ١١٨) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٠) .

^٥ _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢ / ٢٧١) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٨) ، و تفسير عبد الرزاق عبد الرزاق : (٢ / ٣٤٩) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٠) .

^٧ _ ينظر : تفسير ابن زنين : (٢ / ٣٨٩) .

^٨ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٩٥) .

^٩ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٤٦) .

^{١٠} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٦٨) .

^{١١} _ التحرير والتنوير : (١٤ / ٦٨) .

^{١٢} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٨) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٠) .

القول الخامس : ضلالتهم وغفلتهم وإعراضهم عن الحق ولهوهم ، وهو قول ابن عطية^١

القول السادس : غوايتهم ، وهو قول الرازي^٢ ، و النسفي^٣ ، والشوكاني^٤ .

قال الشوكاني _ رحمه الله _ : ((جعل الغواية ؛ لكونها تذهب بعقل صاحبها ، كما تذهب به الخمرة سكرة))^٥ .

وزاد بعضهم : لفي غوايتهم أو شدة غلمتهم ، التي أزال عقولهم ، وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به إليهم ، وهو قول البيضاوي^٦ ، والألوسي^٧ ، وأبي السعود^٨ .

القول السابع : ضلالتهم وحيرتهم ، وهو قول الثعلبي^٩ ، والبغوي^{١٠} ، والخازن^{١١} ، ووافقهم المراغي^{١٢} .

القول الثامن : سكرة محبة الفاحشة ، التي لا يباليون معها بعذل ولا لوم ، وهو قول السعدي^{١٣} .

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٠) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٢٠٧) .

^٣ _ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٦) .

^٤ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٣٨) .

^٥ _ فتح القدير : (٣ / ١٣٨) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٧٩) .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٧٣) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٨٦) .

^٩ _ ينظر : الكشف والبيان : (٥ / ٣٤٦) .

^{١٠} _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٨٧) .

^{١١} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٠) .

^{١٢} _ تفسير المراغي : (١٤ / ٣٨) .

^{١٣} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩١٣) .

الترجيح :

يتضح مما سبق أنه لا خلاف جوهري بين المفسرين في بيان معنى الآية ، فكل كلامهم يصب في معنى واحد : وهو بيان مدى انغماسهم في شهواتهم وغياب عقولهم ، ولكن يظهر في قول السعدي _ رحمه الله _ مراعاة لسياق الآيات ؛ فيصح إذاً حمل الآية على ما ذكره من أقوال ؛ لأمر :
١ _ معنى السكر في اللغة :

قال الراغب : ((السكر : حالة تعرض بين المرء وعقله ، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب))^١ .
٢ _ بالنظر في مجمل الأقوال الواردة في بيان معنى الآية يتضح أن اختلاف المفسرين فيها اختلاف في ذكر الأنواع ، بمعنى أن بعضهم عبّر عن السكر بلفظ عام من الضلال ، والغفلة ، والغواية ، والجهل ، والحيرة .

ونجد البعض الآخر يبين معنى السكر ببعض ما يصيب الكفار من اللهو ، وشدة الغلظة ، ومحبة الفاحشة ... ، وكل هذه من أنواع السكر التي تصيب الكفار ، فيصح بناءً عليه حمل الآية على الجميع ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٢ .



^١ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٤١٦) .

^٢ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

٩٦ / ٢٦ _ المسألة الرابعة : مرجع الضمير في ﴿سَكْرَتِهِمْ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن مرجع الضمير في ﴿سَكْرَتِهِمْ﴾ إلى قوم لوط _ عليه الصلاة والسلام _ ، فقال : ((والضمير في ﴿سَكْرَتِهِمْ﴾ عائد على قوم لوط _ عليه الصلاة والسلام _))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿سَكْرَتِهِمْ﴾ على قولين :

القول الأول : أن مرجع الضمير إلى قوم لوط _ عليه الصلاة والسلام _ ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٢ ، والنسفي^٣ ، ووافقهم ابن جزى^٤ ، والألوسي^٥ ، وهو قول الأكثرين^٦ . قال الألوسي _ رحمه الله _ : ((والضمائر لأهل المدينة ، والتعبير بالمضارع بناء على المأثور في الخطاب لحكاية الحال الماضية))^٧ .

القول الثاني : أن مرجعه إلى كفار قريش ، وهو مروى عن ابن عباس^٨ ، وعطاء^٩ ، وقول الطبري^{١٠} ، والواحدي^{١١} .

واستبعده ابن عطية _ رحمه الله _ فقال : ((والضمائر في ﴿سَكْرَتِهِمْ﴾ يراد بها قوم لوط المذكورون ، وذكر الطبري أن المراد قريش ، وهذا بعيد ؛ لأنه ينقطع مما قبله ومما بعده))^{١٢} . وقال البيضاوي _ رحمه الله _ : ((وقيل : الضمير لقريش والجملة اعتراض))^١ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) .

^٢ _ المحرر الوجيز : (٣٧٠ / ٣) .

^٣ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٧٦ / ١) .

^٤ _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢٧٠ / ٢) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (٧٣ / ١٤) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤٠٩ / ٤) .

^٧ _ روح المعاني : (٧٣ / ١٤) .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤٠٩ / ٤) .

^{١٠} _ جامع البيان : (١١٨ / ١٧) .

^{١١} _ ينظر : الوجيز : (٥٩٥ / ١) .

^{١٢} _ المحرر الوجيز : (٣٧٠ / ٣) .

^١ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٧٩ / ٣) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن مرجع الضمير في ﴿ سَكَّرْتَهُمْ ﴾ إلى قوم لوط _ عليه الصلاة والسلام _ ؛ لأن السياق يتحدث عنهم ، فسياق الآية يدل على المعنى المختار، ومعلوم أن سياق الآية إذا دلّ على معنى ؛ كان هو المعنى المقدم عند كثير من أئمة التفسير ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^١ .



^١ _ قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي ١ / ١٢٥ .

٩٧ / ٢٧ _ المسألة الخامسة : المراد بـ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بـ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون ، فقال : «لفي سكرتهم أي : ضلالهم وجهلهم ، يعمهون : يترددن»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المراد بالعمه : التردد ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، ومجاهد^٣ ، وأبي العالية^٤ ، وأبي مالك^٥ ، والأعمش^٦ ، وقول الطبري^٧ ، والسمعاني^٨ ، والبغوي^٩ ، والثعالبي^{١٠} ، والسيوطي^{١١} ،

القول الثاني : يتحيزون ، وهو قول الزجاج^{١٢} ، وابن زمنين^{١٣} ، والزمخشري^{١٤} ، والبيضاوي^{١٥} ، والنسفي^{١٦} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) .

^٢ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٦٦) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٨ - ١١٩) ، و تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٤٩) .

^٤ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٦٦) .

^٥ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٦٦) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٨) ، و تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٠) ، والدر المثور : (٥ / ٩٠) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٨) .

^٨ _ ينظر : تفسير السمعي : (٣ / ١٤٦) .

^٩ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٨٧) .

^{١٠} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٥) .

^{١١} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٩) .

^{١٢} _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٨٤) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٢ / ٣٨٩) .

^{١٤} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤١٤) .

^{١٥} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٧٩) .

^{١٦} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٦) .

وابن جزى^١ ، والألوسي^٢ ، والطاهر ابن عاشور^٣ ، و المراغي^٤ ، و أبي القاسم إسماعيل بن الفضل^٥ ، والشوكاني^٦ .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : « يتحيرون ، فكيف يسمع النصح ، وأصل العمه : عمى البصر ، وهو مورث للحيرة ، وبهذا الإعتبار فسر بذلك »^٧ .

القول الثالث : أن المراد : يتمادون ، وهو مروى عن ابن عباس^٨ ، وقول الواحدى^٩ .

وجمع أبو السعود بين القول الثانى والثالث فقال : « يتحيرون ويتمادون »^{١٠} .

القول الرابع : يرتبكون ويتحيرون ، وهو قول ابن عطية^{١١} ، وقال مرة : يتردون في حيرتهم^{١٢} .

القول الخامس : يترددون ويتحيرون ، يعنى : إن أهل مكة يسمعون هذه العجائب ولا تنفعهم وهم

على جهلهم مصرون ، وهو قول السمرقندى^{١٣} ، والخازن^{١٤} .

القول السادس : أن المراد : يلعبون ، وهو مروى عن قتادة^{١٥} .

^١ _ ينظر : التسهيل في علوم الترتيل : (٢ / ٢٧١) .

^٢ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٧٣) .

^٣ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٦٨) .

^٤ _ تفسير المراغي : (١٣ / ٣٨) .

^٥ _ ينظر : إعراب القرآن : (١٨٥) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٣٨) .

^٧ _ روح المعاني : (١٤ / ٧٣) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٩) .

^٩ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٩٥) .

^{١٠} _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٨٦) .

^{١١} _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٠) .

^{١٢} _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٠) .

^{١٣} _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٠) .

^{١٤} _ ينظر : لباب التأويل في معاني الترتيل : (٣ / ١٠٠) .

^{١٥} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١١٨ - ١١٩) ، و تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٤٩) ، و تفسير القرآن العظيم

، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٠) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٠) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة في الأقوال الأربعة الأولى ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أنها متقاربة في المعنى ؛ فالتردد والارتباك ناتجان عن الحيرة ، والتمادي والإصرار ناتج عن جهلهم .

٢ _ أنها معاني تؤيدها اللغة .

قال الراغب : ((العمه : التردد في الأمر من التحير))^١ .

٣ _ أنه إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٢ .



^١ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٥٨٨) .

^٢ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

قال الله تعالى ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ [٧٣] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٢٨ / ٩٨ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ الصَّيْحَةُ ﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بـ ﴿ الصَّيْحَةُ ﴾ : صيحة الهلاك ، فقال : ((والصيحة : صيحة الهلاك))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد ﴿ الصَّيْحَةُ ﴾ على أقوال :

القول الأول : الصيحة : صيحة الهلاك ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول البيضاوي^٢ .

القول الثاني : هي صيحة الوحشة ، وليست كصيحة ثمود ، وهو قول ابن عطية^٣ .

القول الثالث : صاعقة العذاب ، وهو قول الطبري^٤ ، و المراغي^٥ .

وجمع ابن جريج _ رحمه الله _ بين الصيحة والصاعقة فقال : ((الصيحة : مثل الصاعقة ، فكل شيء أهلك به قوم فهو صاعقة وصيحة))^٦ .

القول الرابع : صيحة عظيمة هائلة ، وهو قول أبي السعود^٧ ، والألوسي^٨ .

القول الخامس : العذاب ، وهو قول الواحدي^٩ ، و القرطبي^{١٠} ،

القول السادس : صيحة الوجبة ، وهو قول الثعالبي^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٢٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٧٩ / ٣) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٧٠ / ٣) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١١٩ / ١٧) .

^٥ _ تفسير المراغي : (٣٨ / ١٣) .

^٦ _ ينظر : الدر المنثور : (٩٠ / ٥) .

فائدة : قالت الدكتورة أميرة الصاعدي : ((لم أجد .. ، لم أف على رجال إسناده ، فلا يمكن الحكم عليه))

. ابن جريج : مروياته وأقواله غي التفسير : (٤ / ١٢٣٣ - ١٢٣٤) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٨٦ / ٥) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (٧٤ / ١٤) .

^٩ _ ينظر : الوسيط : (٤٩ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٤٢ / ١٠) .

^{١١} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢١٥ / ٢) .

القول السابع: صوت جبريل _ عليه السلام _ ، وهو قول السدي^١ ، والواحي^٢ ، والسمرقندي^٣ ، والزخشري^٤ ، والنسفي^٥ ، وابن جزري^٦ ، والسيوطي^٧ .

قال الواحي _ رحمه الله _ : ((فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ)) [سورة الحجر : ٧٣] صاح بهم جبريل _ عليه السلام _ صيحة أهلكتهم^٨ .

وقال السمرقندي _ رحمه الله _ : ((فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ)) [سورة الحجر : ٧٣] أي : أخذتهم صيحة جبريل عند طلوع الشمس ، وذلك أن جبريل قلع الأرض وقت الصبح فرفعها مع الملائكة إلى قريب من السماء ثم قلبه _ وأهـواها إلى الأرض وصاح بهم وقت طلوع الشمس ، فذلك قوله ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ ﴾ [سورة الحجر : ٧٤]^٩ .

ورد ابن عادل هذا القول فقال : ((ولم يذكر في الآية صيحة من هي ؟ ، فإن ثبت بدليل قوي أن تلك صيحة جبريل قيل به ، وإلا فليس في الآية دليل على أنه جاءهم صيحة مهلكة))^{١٠} .
وقال القونوي _ بعد ذكره أن البيضاوي ذكر هذا القول بالتمريض _ : ((إذ التعيين ليس مستفاداً من النظم الجليل ، ولا يتعلق به غرض))^{١١} .

وجمع الشوكاني بين هذا القول والقول الرابع فقال : ((فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ)) [سورة الحجر : ٧٣] العظيمة أو صيحة جبريل^{١٢} .

الترجيح :

^١ _ ينظر : تفسير ابن زنين : (٢ / ٣٨٩) .

^٢ _ الوجيز : (١ / ٥٩٥) .

^٣ _ بحر العلوم : (٢ / ٢٦٠) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤١٤) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٧) .

^٦ _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢ / ٢٧١) .

^٧ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٩) .

^٨ _ الوجيز : (١ / ٥٩٥) .

^٩ _ بحر العلوم : (٢ / ٢٦٠) .

^{١٠} _ اللباب : (١١ / ٤٨٠) .

^{١١} _ حاشية القونوي : (١١ / ١٨٩) .

^{١٢} _ فتح القدير : (٥ / ١٣٨) .

يتضح مما سبق أنه لا خلاف جوهري بين المفسرين في الأقوال الستة الأولى في بيان معنى الصيحة ، فكل كلامهم يصب في معنى واحد : وهو نزول العذاب على قوم لوط بالصيحة ؛ فيصح إذاً حمل الآية على ما ذكره من أقوال ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^١ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٢ .

أما القول السابع وهو تعيين الصيحة بأنها صيحة جبريل _ عليه السلام _ ، فرد عليه ابن عادل والقونوي كما تقدم .



^١ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

^٢ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

قال الله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ ﴾ [٧٤] .

٢٩ / ٩٩ _ مرجع الضمير في ﴿ عَلِيَّهَا سَافِلَهَا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن مرجع الضمير في ﴿ عَلِيَّهَا سَافِلَهَا ﴾ على المدينة المتقدمة الذكر ، فقال : ((والضمير في عاليها سافلها عائد على المدينة المتقدمة الذكر . وقال الزمخشري^١ : لقرى قوم لوط ، ولم يتقدم لفظ القرى))^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف العلماء في مرجع الضمير في ﴿ عَلِيَّهَا سَافِلَهَا ﴾ على قولين :

القول الأول : أن الضمير عائد على المدينة المتقدمة الذكر ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ووافقه السمين الحلبي^٣ ، وابن عادل^٤ ، والطاهر ابن عاشور^٥ ، والشوكاني^٦ ، والسعدي^٧ ، والمراغي^٨ .
القول الثاني : أن الضمير عائد على قرى قوم لوط^٩ ، وهو قول الزمخشري^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، والسيوطي^{١٢} .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : ((ولم يتقدم لفظ القرى))^{١٣} .

وقال ابن عادل _ رحمه الله _ : ((ورجح الأول بأنه تقدم ذكر المدينة في قوله ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ

الْمَدِينَةِ ﴾ [سورة الحجر : ٦٧] فعاد الضمير إليها ، بخلاف الثاني فإنه لم يتقدم لفظ القرى))^١ .

^١ _ ينظر : الكشاف : (٤١٤ / ٣) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٢٦ / ٢) .

^٣ _ ينظر : الدر المصون : (١٧٦ / ٧) .

^٤ _ ينظر : اللباب : (٤٨٠ / ١١) .

^٥ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٦٩ / ١٤) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (١٣٨ / ٣) .

^٧ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩١٣ / ١) .

^٨ _ ينظر : تفسير المراغي : (٣٨ / ١٣) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٤١٤ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : الكشاف : (٤١٤ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : مدارك التبريل وحقائق التأويل : (٢٧٧ / ١) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٩) .

^{١٣} _ البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) .

^١ _ اللباب : (٤٨٠ / ١١) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على المعنيين ،
الأول والثاني ؛ لأنه يطلق على المدينة : قرية .

قال تعالى عن مكة وهي مدينة ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [سورة الأنعام : ٩٢] .

قال الراجح _ رحمه الله _ : ((وقوله ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ ﴾ [هود : ١١٧]
فإنها اسم للمدينة))^١ .



^١ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٦٦٩) .

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [٧٥] .

١٠٠ / ٣٠ _ معنى (متوسمين) .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن أصل التوسم : الثبت والتفكر ، والمتوسمون : المتفكرون ، فقال : ((التوسم : تفعل من الوسم ، هي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها ، يقال : توسم فيه الخير ، إذا رأى ميسم ذلك وأصل التوسم : الثبت والتفكر ، مأخوذ من الوسم : وهو التأثير بحديدة في جلد البعير أو غيره))^١ .

وقال في النهر الماد : ((لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ للمتفرسين))^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالمتوسمين على أقوال :

القول الأول : أن أصل التوسم : الثبت والتفكر ، والمتوسمون : المتفكرون ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن مجاهد^٣ ، وجعفر بن محمد^٤ ، وقول ابن قتيبة^٥ ، والنسفي^٦ ، ووافقهم ابن جزري^٧ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ قوله _ ﷺ _ : ((اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ)) . ثم قال النبي _ ﷺ _ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) .

^٢ _ النهر الماد : (٢ / ٢٢٦) .

^٣ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٢) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٢١) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٠) .

^٤ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ٩٠) .

^٥ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٠٩) .

^٦ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٧) .

^٧ _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢ / ٢٧١) .

^٨ _ أخرجه أبو نعيم في الحلية : (١٠ / ٢٨١) ، والبخاري في التاريخ الكبير : (٤ / ١ / ٣٥٤) ، والترمذي

في سننه : (٤ / ١٣٢) ، ح : (٣١٢٧) ، وابن جرير في جامع البيان : (١٧ / ١٢١) من حديث أبي سعيد

الخدري _ ﷺ _ ، وله طرق أخرى ، إلا أن الحديث ضعفه الألباني من جميع طرقه في السلسلة الضعيفة : (٤ /

٢٩٩) ح : (١٨٢١) .

٢ _ أن أصل التوسم : التثبيت والتفكير^١ .

ووردت أقوال أخرى قريبة من هذا القول منها :

_ المتفرسين : المتأملين ، وهو قول الزجاج^٢ ، و الواحدي^٣ ، والزمخشري^٤ ، والبيضاوي^٥ ، وابن عادل^٦ .

_ المتفكرين ، وهو قول السمرقندي^٧ .

وقال أبو السعود : ((المتفكرين المتفرسين))^٨ .

_ الناظرين ، وهو قول ابن عباس^٩ ، والضحاك^{١٠} .

واستدل لهذا القول بقول الشاعر^{١١} :

وفيهن ملهى للصديق ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم .

وجمع الفراء بين الأقوال السابقة فقال : ((يقال : للمتفكرين ، ويقال : للناظرين المتفرسين))^{١٢} .

ويغني عن هذا الحديث : حديث أنس _ رضي الله عنه _ قال : قال النبي _ صلى الله عليه وسلم _ : ((إن الله عباداً يعرفون الناس بالتوسم)) ، رواه الطبراني في الأوسط : (٣ / ٢٠٧) ، ح : (٣٠٨٦) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان : (١٧ / ١٢١) . حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد : (١٠ / ٢٦٨) ، والألباني في السلسلة الصحيحة : (٤ / ٢٦٧) ، ح : (١٦٩٣) .

^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) ، والدر المصون : (٧ / ١٧٦ _ ١٧٧) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٨٤) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٤٩) ، والوجيز : (١ / ٥٩٦) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤١٤) .

^٥ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٧٩) .

^٦ _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٨١) .

^٧ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٠) .

^٨ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٨٦) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢١ _ ١٢٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٠) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٠) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢١ _ ١٢٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٠) .

^{١١} _ هو زهير بن أبي سلمى . ينظر ديوانه : (٣٧) .

^{١٢} _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٩١) .

— المعترين ، وهو قول قتادة^١ .

— المتفرسين : المعترين ، وهو قول ابن جرير^٢ .

— المتفكرون والمعترضون الذين يتوسمون الأشياء ، ويتفكرون فيها ويعترضون ، وهو قول ابن زيد^٣ ، ووافقه المراغي^٤ .

— الناظرين المعترين ، وهو قول السمعاني^٥ ، والسيوطي^٦ .

— المتأملين في الأسباب وعواقبها وأولئك هم المؤمنون ، وهو قول الطاهر ابن عاشور^٧ .

— المستدلين ، وهو قول النحاس^٨ .

— القول الثاني : أهل الصلاح والخير ، وهو مروى عن ابن عباس — رضي الله عنهما —^٩ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — أنها أقوال متقاربة ، إلا أنها تفسير لا يخص اللفظة ، إنما تفسير بالمعنى ، والذي يخص اللفظة هو : أن الوسم : العلامة ، والأثر . قال الراغب — رحمه الله — : ((الوسم : التأثير ، والسمة : الأثر وهذا التوسم هو الذي سماه قوم : الزكاة ، وقوم : الفراسة ، وقوم : الفطنة))^{١٠} .

^١ — ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٣٤٩ / ٢) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٢١) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن

أبي حاتم : (٢٢٧٠ / ٧) ، والدر المنثور : (٩٠ / ٥) .

^٢ — ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢٠) .

^٣ — ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢١) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٦٧) وزاد المسير : (٤ / ٤١٠) .

^٤ — ينظر : تفسير المراغي : (٣٨ / ١٣) .

^٥ — ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٤٦) .

^٦ — ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٩) .

^٧ — ينظر : التحرير والتنوير : (٦٩ / ١٤) .

^٨ — ينظر : إعراب القرآن : (٢ / ٣٨٧) .

^٩ — ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) .

^{١٠} — مفردات ألفاظ القرآن : (٨٧١) .

وقال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((والمتوسمون قال مجاهد : المتفرسون ، وقال الضحاك : الناظرون ، وقال قتادة : المعتبرون ، وقيل غير هذا مما هو قريب منه ، وهذا كله تفسير بالمعنى ، وأما تفسير اللفظة فإن المعاني التي تكون في الإنسان وغيره من خير أو شر يلوح عليه وسم عن تلك المعاني ، كالكسكون والدمائة واقتصاد الهيئة التي تكون عن الخير ونحو هذا ، فالتوسم هو الذي ينظر في وسم المعنى فيستدل به على المعنى ، وكأن معصية هؤلاء أبقّت من العذاب والإهلاك وسمّاً ، فمن رأى الوسم استدل على المعصية به ، واقتاده النظر إلى تجنب المعاصي لئلا يتزل به ما نزل بهم))^١ .
 وقال بأن المعاني متقاربة أيضاً القرطبي^٢ ، وابن القيم^٣ ، والألوسي^٤ ، والشوكاني^٥ ، والشنقيطي^٦ .

قال ابن القيم : ((ولا تنافي بين هذه الأقوال ؛ فإن الناظر متى نظر في آثار ديار المكذبين ومنازلهم ، وما آل إليه أمرهم ، أورثه فراسة وعبرة وفكرة))^٧ .

وإطلاق التوسم على التأمل والنظر والاعتبار مشهور في كلام العرب ، ومنه قول الشاعر :

وفيهن ملهى للصديق ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم

أي : المتأمل في ذلك الحسن .

وقول الشاعر^٨ :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عريفهم يتوسم

أي : ينظر ويتأمل^٩ .



^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٧٠) .

^٢ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٤٣) .

^٣ _ التفسير القيم : (٣٣٦) .

^٤ _ روح المعاني : (١٤ / ٧٤) .

^٥ _ فتح القدير : (٣ / ١٣٨) .

^٦ _ ينظر : أضواء البيان : (٢ / ٢٨٦) .

^٧ _ التفسير القيم : (٣٣٦) .

^٨ _ هو طريق بن تميم العنبري . ينظر : العقد الفريد : (٦ / ٦٥) .

^٩ _ أضواء البيان : (٣ / ١٥٧ - ١٥٨) .

قال الله تعالى ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [٧٦] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٠١ / ٣١ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في ﴿وَإِنَّهَا﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن مرجع الضمير إلى المدينة المهلكة ، فقال : ((والضمير في ﴿وَإِنَّهَا﴾ عائد على المدينة المهلكة))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهَا﴾ على أقوال :

القول الأول : أن الضمير عائد على المدينة المهلكة أي : إنها لبطريق ظاهر بين للمعتبر ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد^٢ ، وقول الطبري^٣ ، والواحدي^٤ ، وابن جزى^٥ ، والألوسي^٦ ، والطاهر ابن عاشور^٧ ، والسعدي^٨ ، و المراغي^٩ .

القول الثاني : يعود على قرى قوم لوط ، والمراد آثارها ، وهو قول السمرقندي^{١٠} ، وابن زمين^{١١} ، والثعلبي^{١٢} ، والواحدي^{١٣} ، والبغوي^{١٤} ، والزمخشري^{١٥} ، وابن الجوزي^{١٦} ، والقرطبي^{١٧} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢٢) .

^٤ _ ينظر الوجيز : (١ / ٥٩٦) .

^٥ _ ينظر : التسهيل في علوم الترتيل : (٢ / ٢٧١) .

^٦ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٧٤) .

^٧ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٧٠) .

^٨ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩١٤) .

^٩ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ٣٨) .

^{١٠} _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٠) .

^{١١} _ ينظر : تفسير ابن زمين : (٢ / ٣٨٩) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير الثعلبي : (٥ / ٣٤٧) .

^{١٣} _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٠) .

^{١٤} _ ينظر : معالم الترتيل : (٤ / ٣٨٨) .

^{١٥} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤١٤) .

^{١٦} _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤١٠) .

^{١٧} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٤٥) .

والخازن^١، والنسفي^٢، والسيوطي^٣، والأمين الشنقيطي^٤.

وجمع البيضاوي — رحمه الله — بين القولين فقال: ((**وَإِنَّهَا**)) وإن المدينة أو القرى ﴿ **لَيْسَ بِلِ** ﴾
مُثْقِمٍ ﴿ ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها))^٥، ونحوه قال ابن عادل^٦، والسمين الحلبي^٧، وأبو
السعود^٨، الشوكاني^٩.

قال القونوي — رحمه الله —: ((أو المراد بالمدينة فيما مر القرى لكن المقابلة يرده))^{١٠}.

القول الثالث: يعود على الآيات^{١١}.

القول الرابع: يعود على الحجارة^{١٢}.

واحتمل ابن عطية — رحمه الله — الأقوال السابقة؛ حيث قال: ((والضمير في قوله ﴿ **وَإِنَّهَا** ﴾

يحتمل أن يعود على المدينة المهلكة؛ أي أهما في طريق ظاهر بين للمعتبر، .. ويحتمل أن يعود على
الآيات، ويحتمل أن يعود على الحجارة، ويقوي هذا التأويل ما روي أن النبي عليه السلام قال: ((
إن حجارة العذاب معلقة بين السماء والأرض منذ ألقى سنة لعصاة أمتي))^{١٣}.

القول الخامس: يعود للصيحة^{١٤}.

^١ — ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: (٣ / ١٠٠).

^٢ — ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (١ / ٢٧٧).

^٣ — ينظر: تفسير الجلالين: (٢١٩).

^٤ — ينظر: أضواء البيان: (٣ / ١٥٩).

^٥ — أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٣ / ٣٧٩).

^٦ — ينظر: اللباب: (١١ / ٤٨٢).

^٧ — ينظر: الدر المصون: (٧ / ١٧٧).

^٨ — ينظر: إرشاد العقل السليم: (٥ / ٨٦).

^٩ — ينظر: فتح القدير: (٣ / ١٣٨ — ١٣٩).

^{١٠} — حاشية القونوي: (١١ / ١٨٩).

^{١١} — ينظر: البحر المحيط: (٥ / ٤٥٠).

^{١٢} — ينظر: المرجع السابق: (٥ / ٤٥٠).

^{١٣} — المحرر الوجيز: (٣ / ٣٧٠). والحديث لم أقف على من أخرجه.

^{١٤} — ينظر: روح المعاني: (١٤ / ٧٤).

القول السادس : يعود الضمير لأهل مدائن قوم لوط ، وأصحاب الأيكة قوم شعيب ، وهو قول الماوردي^١.

الترجيح :

يظهر مما سبق أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن الضمير عائد على المدينة المهلكة ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أن ظاهر الآية يدل على هذا المعنى ، والاستدلال بظاهر السياق على المعنى الراجح من القواعد المهمة عند المفسرين^٢.

٢ _ أنه الأنسب لسياق الآيات ، ومعلوم أن سياق الآية إذا دلّ على معنى ؛ كان هو المعنى المقدم عند كثير من أئمة التفسير ، فإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب التسليم له^٣.

٣ _ أن عليه أقوال المفسرين من السلف كمجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^٤.

وأما القول الثاني فيدخل في القول الأول إذا تبين أن المدينة يطلق عليها قرية كما في الترجيح رقم (٩٩) .



^١ _ ينظر : النكت والعيون : (١٦٨ / ٣) .

^٢ _ ينظر : قواعد التفسير ، لخالد السبت : (٢٤٩ / ١) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١٢٥ / ١) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١٢٥ / ١) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢٧١ / ١) .

١٠٢ / ٣٢ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿لَيْسِيْلٍ مُّثَقِيْمٍ﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بـ ﴿لَيْسِيْلٍ مُّثَقِيْمٍ﴾ : ممر ثابت ، فقال : ((وقوله : ﴿لَيْسِيْلٍ﴾ أي ممر ثابت ، وهي بحيث يراها الناس ويعتبرون بها لم تدرس . وهو تنبيه لقريش ، وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿لَيْسِيْلٍ مُّثَقِيْمٍ﴾ على أقوال :

القول الأول : أي ممر ثابت ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول السمرقندي^٢ ، وابن زمنين^٣ ، والثعلبي^٤ ، والواحدي^٥ ، والسمعاني^٦ ، والزمخشري^٧ ، والقرطبي^٨ ، والبيضاوي^٩ ، والخازن^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، وابن جزري^{١٢} ، والثعالبي^{١٣} ، وابن عادل^{١٤} ، والسيوطي^{١٥} ، والألوسي^{١٦} ، والطاهر ابن عاشور^{١٧} ، والمراغي^{١٨} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٢٦) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٠) .

^٣ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٢ / ٣٨٩) .

^٤ _ ينظر : الكشف والبيان : (٥ / ٣٤٧) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٠) ، والوجيز : (١ / ٥٩٦) .

^٦ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٤٧) .

^٧ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤١٤) .

^٨ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٤٥) .

^٩ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٧٩) .

^{١٠} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٠) .

^{١١} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٧) .

^{١٢} _ ينظر : التسهيل في علوم التنزيل : (٢ / ٢٧١) .

^{١٣} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٦) .

^{١٤} _ ينظر : اللباب : (١١ / ٤٨٢) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٩) .

^{١٦} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٧٤) .

^{١٧} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٧٠) .

^{١٨} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ٣٨) .

وقال أبو السعود^١، والشوكاني^٢، والشنقيطي^٣ : طريق ثابت .

القول الثاني : طريق واضح ، وهو مروى عن مجاهد^٤ ، وقتادة^٥ ، وقول الطبري^٦ ، والزجاج^٧ ، والبغوي^٨ .

قال الطبري _ رحمه الله _ : ((طريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لا خفاء بها ، ولا يبرح مكانها ، فيجهل ذو لب أمرها ، وغبّ معصية الله ، والكفر به))^٩ .

واستدلوا بقوله تعالى ﴿ وَأَنْتُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٧]^{١٠} .

القول الثالث : طريق معلم ، وهو مروى عن مجاهد^{١١} ، والضحاك^{١٢} .

القول الرابع : طريق مهيع^{١٣} ، مسالكة مستمرة إلى اليوم ، وهو قول ابن كثير^{١٤} ، وقال إنه كقوله

﴿ وَأَنْتُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ . وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٣٧ - ١٣٨] .

والذي يظهر أن هذه الأقوال السابقة متقاربة .

^١ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٨٦) .

^٢ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٣٩) .

^٣ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٥٩) .

^٤ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٣) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٠) ، والدر المنثور : (٥ / ٩١)

^٥ _ ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٢ / ٣٤٩) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٢٢) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢٢) .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٨٥) .

^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٨٨) .

^٩ _ جامع البيان : (١٧ / ١٢٢) .

^{١٠} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤١٤) ، وتفسير المراغي : (١٤ / ٣٩) .

^{١١} _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٣) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٢٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٠) .

فائدة : أخرج الطبري الأثر من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج عن مجاهد ، إسناده حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن

أبي نجيح لابن جريج . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٣٥) .

^{١٢} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٠) .

^{١٣} _ مهيع : الطريق الواسع الواضح . ينظر : القاموس المحيط : (٧٦٥) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٥٥) .

القول الخامس : لهلاك ، وهو مروى عن ابن عباس ^١ .

وجمع ابن الجوزي بين هذا القول والأقوال السابقة فقال : ((والمعنى : إنها بحال هلاكها لم تُعمر حتى الآن ، فالاعتبار بما يمكن ، وهي على طريق قریش إذا سافروا إلى الشام)) ^٢ .

القول السادس : عائد على الصحيحة ، أي : وإنَّ الصحيحة لبرصد لمن يعمل عملهم ^٣ .

واستدلوا بسياق الآية في قوله : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [سورة هود : ٨٣] ^٤ .

القول السابع : بكتاب مبین ، وهو قول السدي ^٥ ، واستدل بقوله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ

فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة يس : ١٢] .

وقال ابن كثير _ رحمه الله _ : ((ولكن ليس المعنى على ما قال ها هنا ، والله أعلم)) ^٦ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على المعاني الواردة في الأقوال الأربعة الأولى ، وهو أنه الممر الثابت ، والطريق الواضح ، والطريق المعلم .. ، وذلك لأن السبيل في اللغة الطريق ^٧ ، والمقيم : الدائم ^٨ ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها ^٩ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع ^{١٠} .

^١ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٠) ، والدر المنثور : (٥ / ٩١) .

^٢ _ زاد المسير : (٤ / ٤١٠) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) ، وروح المعاني : (١٤ / ٧٤) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٥٦) .

^٦ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٥٦) .

^٧ _ ينظر : القاموس المحيط : (١٠١٢) .

^٨ _ يقال : أقام بالمكان إقامةً وقامةً : دام . ينظر : القاموس المحيط : (١١٥٢) .

^٩ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

^{١٠} _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

قال الراغب _ رحمه الله _ : « السبيل : الطريق الذي فيه سهولة ... ، وقيل لسالكه : سابل ... ، وابن السبيل : المسافر البعيد عن منزله ، نسب إلى السبيل لممارسته إياه ، ويستعمل السبيل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيراً كان أو شراً»^١ .



^١ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٣٩٥) .

قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ [٧٨] .

١٠٣ / ٣٣ _ معنى ﴿الْأَيْكَةِ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الأيكة : شجر الدوم ، فقال : «والأيكة التي أضيفوا إليها : كانت شجر الدوم»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون _ رحمهم الله _ في معنى الأيكة على أقوال :

القول الأول : أن الأيكة : الغيضة والشجر الملتف ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، وسعيد بن جبير^٣ ، ومجاهد^٤ ، وخصيف^٥ ، وقتادة^٦ ، والضحاك^٧ ، وقول الطبري^٨ ، وابن الجوزي^٩ .

واستدلوا بقول الشاعر^{١٠} :

كبكا الحمام على فرو ع الأيك في الغصن الجوانح

قال ابن عطية : «﴿الْأَيْكَةِ﴾ الغيضة والشجر الملتف المخضر يكون السدر وغيره»^{١١} .

القول الثاني في المراد بالأيكة : أنها اسم الناحية ، فيكون علماً^{١٢} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٢٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٩٢ / ٥) .

^٣ _ ينظر : الدر المنثور : (٩٢ / ٥) .

^٤ _ ينظر : النكت والعيون : (١٦٨ / ٣) .

^٥ _ ينظر : الدر المنثور : (٩٢ / ٥) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٢٣ / ١٧) ، والدر المنثور : (٩٢ / ٥) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٢٥ / ١٧) .

^٨ _ ينظر : المرجع السابق : (١٢٤ / ١٧) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤١٠ / ٤) .

^{١٠} _ الشاعر هو : أمية بن أبي الصلت الثقفي . ينظر : ديوانه : (٢٠) ، والسيرة ، لابن هشام : (٢٨ / ٣) ، والعقد الفريد : (٢٤١ / ٣) ، وجامع البيان : (١٢٤ / ١٧) ، والمحزر الوجيز : (٣٧١ / ٣) .

^{١١} _ المحزر الوجيز : (٣٧١ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : النكت والعيون : (١٦٨ / ٣) ، والبحر المحيط : (٤٥٠ / ٥) .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : ((ويقويه قراءة من قرأ في الشعراء ، وص : ﴿ ليكة ﴾^١ ممنوع
الصرف))^٢ .

الترجيح :

مما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على كلا القولين ؛ لأن
القول الأول ، وهو أن الأيكة : الغيضة والشجر الملتف ، تؤيده اللغة .
والقول الثاني ، وهو أنها اسم الناحية ، تؤيده قراءة ﴿ ليكة ﴾ ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح
تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٣ . ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد
من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٤ .



^١ _ ﴿ ليكة ﴾ : قرأ المدنيان ، وابن كثير ، وابن عامر بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها ولا همزة بعدها
وبفتح تاء التأنيث في الوصل ، وقرأ الباقون بألف الوصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها وخفض تاء التأنيث
في الموضوعين من سورة الشعراء ، وسورة ص ، وهمزة في الوقف على أصله في حذف الهمزة ونقل حركتها إلى
الحرف الذي قبلها ، فتصير عنده في الوقف ﴿ اللِّيكة ﴾ ، واتفقوا على حرفي الحجر وقاف أنهما بهذه الترجمة .

ينظر : النشر : (٢ / ٣٣٦) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٠) .

^٣ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

^٤ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

قال الله تعالى ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [٧٩] .
في الآية الكريمة مسألتان :

١٠٤ / ٣٤ _ مسألة : عود الضمير في ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ :

رجح أبو حيان أن مرجع الضمير في ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ : قريتا : قوم لوط ، وقوم شعيب ، حيث قال : ((والظاهر قول الجمهور من أن الضمير في ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ عائد على قريتي : قوم لوط ، وقوم شعيب))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في عود الضمير في ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ على أقوال :

القول الأول : أن الضمير في ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ عائد على قريتي : قوم لوط ، وقوم شعيب ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ، والماوردي^٣ ، ووافقهم أبو السعود^٤ ، والشوكاني^٥ ، وهو قول الأكثرين^٦ .

القول الثاني : يعود على شعيب ولوط ، ذكره ابن الأنباري^٧ .

قال ابن الأنباري : ((﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني : لوطاً وشعيباً بطريق من الحق يؤتم به))^٨ .

القول الثالث : وقيل : ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي : هلاك قوم لوط وأصحاب الأيكة ، لفي مكتوب مبين^٩ .

القول الرابع : يعود على أصحاب الأيكة ومدين^{١٠} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥١ / ٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٢٥ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : النكت والعيون : (١٦٩ / ٣) .

^٤ _ إرشاد العقل السليم : (٨٧ / ٥) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (١٤٠ / ٣) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤١٠ / ٤) .

^٧ _ ينظر : المرجع السابق : (٤١٠ / ٤) .

^٨ _ ينظر : المرجع السابق : (٤١١ / ٤) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥١ / ٥) .

^{١٠} _ ينظر : الكشاف : (١٤١ / ٣) ، والبحر المحيط : (٤٥١ / ٥) .

وذكر أبو حيان السبب في إرجاع الضمير إليهما فقال : ((لأنه مرسل إليهما ، فدل ذكر أحدهما على الآخر ، فعاد الضمير إليهما))^١ . ونحوه قال أبو السعود^٢ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن الضمير في ﴿ وَأَنْهَمَا ﴾ عائد على قريتي : قوم لوط ، وقوم شعيب ؛ وذلك لما يلي :

- ١ _ مناسبه لسياق الآيات ؛ لأن الآية جاءت بعد ذكر قصة قوم لوط ، وقصة قوم شعيب _ عليهما الصلاة والسلام _ ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٣ .
- ٢ _ أن هذا المعنى هو الظاهر من لفظ الآية ، وقاعدة : عدم العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل ، تؤكد هذا الأمر ، وهي قاعدة مهمة عند أئمة التفسير^٤ .
- ٣ _ أنه قول أكثر المفسرين ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ أبعد^٥ .



^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥١) .

^٢ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٨٧) .

^٣ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

^٤ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) ، وقواعد الترجيح ، لخالد السبت : (٢ / ٨٤٣) .

^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٨٨) .

١٠٥ / ٣٥ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿لِيَأْمُرَ﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بالإمام الميين : ممر السائلة ، حيث قال : ((والظاهر قول الجمهور من أن الضمير في ﴿وَأَنْهَمَا﴾ عائد على قريبي : قوم لوط ، وقوم شعيب . أي : على أنهما ممر السائلة))^١ .
الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿لِيَأْمُرَ﴾ على أربعة أقوال :

القول الأول : أن المراد : ممر السائلة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الماوردي^٢ .

القول الثاني : أن المراد بإمام : الطريق الظاهر ، وهو مروى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك^٣ ، وقول الطبري^٤ .

قال ابن قتيبة _ رحمه الله _ : ((وقيل للطريق : إمام ، لأن المسافر يأتمُّ به حتى يصير إلى الموضع الذي يريد))^٥ ، ونحوه قال الماوردي^٦ .

وقال الطبري _ رحمه الله _ : ((﴿وَأَنْهَمَا﴾ يقول : لطريق يأتمون به في سفرهم ويهتدون به ، وإنما جعل الطريق إماماً ؛ لأنه يؤم ويتبع))^٧ .

وهو قريب من القول الأول وقد جمع الشوكاني بينهما فقال : ((وإن المكانين لطريق واضح والإمام اسم لما يؤتم به ، ومن جملة ذلك الطريق التي تسلك))^٨ .

القول الثالث : طريق من الحق يؤتم به ، ذكره ابن الأنباري^٩ ، أي : وإنهما ليأمر ميين ، أي بطريق من الحق واضح ، والإمام الطريق^{١٠} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥١) .

^٢ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٦٩) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢٥) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧١) ، الدر المنثور : (٥ / ٩٣) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢٥) .

^٥ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤١٠) .

^٦ _ النكت والعيون : (٣ / ١٦٨) .

^٧ _ جامع البيان : (١٧ / ١٢٥) .

^٨ _ فتح القدير : (٣ / ١٤٠) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤١٠) .

^{١٠} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥١) .

قال ابن الأنباري _ رحمه الله _ : « **وَإِنَّهُمَا** » يعني : لوطاً وشعيباً بطريق من الحق يؤتم به ^١ .

القول الرابع : لفي مكتوب مستين ، وهو قول السدي ^٢ ، وإنما سمي الكتاب إماماً ؛ لتقدمه على سائر الكتب ، والإمام : الكتاب بلغة حمير ^٣ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة فيها عن المفسرين ، فإن كل قول له ما يؤيده من اللغوي إذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها ^٤ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع ^٥ .

قال الزمخشري _ رحمه الله _ : « (الإمام : اسم لما يؤتم به ، فسمي به الطريق ، ومطمر البناء ، واللوح الذي يكتب فيه ؛ لأنها مما يؤتم به) » . ونحوه قال أبو السعود ^٦ .

وقال ابن عطية _ رحمه الله _ : « (الإمام في كلام العرب الشيء الذي يهتدي به ويؤتم ، يقولونه لخيط البناء ، وقد يكون الطريق ، وقد يكون الكتاب المفيد ، وقد يكون القياس الذي يعمل عليه الصناعات ، وقد يكون الرجل المقتدى به ، ونحو هذا) » ^٧ .



^١ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤١١) .

^٢ _ ذكره الماوردي في النكت والعيون : (٣ / ١٦٩) ، وابن الجوزي في زاد المسير : (٤ / ٤١١) .

^٣ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٦٩) ، البحر الحيط : (٥ / ٤٥١) .

^٤ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

^٥ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٦ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٨٧) .

^٧ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٢) .

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [٨٧] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٠٦ / ٣٦ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالسبع المثاني : سورة الفاتحة ؛ حيث قال ((ولا ينبغي أن يعدل عن هذا القول ، بل لا يجوز العدول عنه ؛ لما في حديث أبي ففي آخره ،)) هي السبع المثاني))^{٢١} .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المراد سورة الفاتحة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن عمر^٣ ، وعلي^٤ ، وابن مسعود^٥ ، وأبي بن كعب^٦ ، وابن عباس^٧ ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم ، ومجاهد^٨ ، وقتادة ، وعطاء^٩ ، وقول الفراء^{١٠} ، والطبري^{١١} ، والواحدي^{١٢} ، والسمرقندي^{١٣} ، والقرطبي^{١٤} ، والبيضاوي^{١٥} ، ووافقهم ابن جزي^{١٦} ،

- ١ _ سيأتي تخريجه : في الصفحة الآتية .
- ٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥٢ / ٥) .
- ٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٢ / ١٧) .
- ٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٣ / ١٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٧٢ / ٧) .
- ٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٣ / ١٧) .
- ٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٤ / ١٧) ، والدر المنثور : (٩٦ / ٥) .
- ٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٣ / ١٧ - ١٣٤) ، وتفسير عبد الرزاق : (٣٥٠ / ٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٦) .
- ٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٥ / ١٧) .
- ٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٦ / ١٧) ، وتفسير عبد الرزاق : (٣٥٠ / ٢) .
- ١٠ _ ينظر : معاني القرآن : (٩١ / ٢) .
- ١١ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٧ / ١٧ - ١٤٠) .
- ١ _ ينظر : الوجيز : (٥٩٧ / ١) .
- ٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٦١ / ٢) .
- ٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٥٥ / ١٠) .
- ٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٨١ / ٣) .
- ٥ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٧٢ / ٢) .

والثعالبي^١ ، ومحمد بن علي البنسي^٢ ، وأبو السعد^٣ ، والسيوطي^٤ ، والألوسي^٥ ، والشوكاني^٦ ،
والشنقيطي^٧ ، والظاهر ابن عاشور^٨ ، والمراغي^٩ وعليه جمهور المفسرين^{١٠} - رحمهم الله تعالى - .
واستدلوا بقول الرسول الله ﷺ : ((الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم
الذي أوتيته))^{١١} .

ورد ابن عطية - رحمه الله - هذا القول فقال : ((وفي هذا القول من جهة التصريف نظر))^{١٢} .
ورد عليه أبو حيان - رحمه الله - فقال : ((ولا نظر في ذلك ؛ لأنها جمع مثنى بضم الميم مفعول
من أثنى رباعياً أي : مقرر ثناء على الله تعالى أي : فيها ثناء على الله تعالى))^{١٣} .

وقد ذكر العلماء في تسميتها بالسبع المثاني أقوالاً كثيرة منها :

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ((لأن الله استثنى هذه الأمة ولم يعطها غيرها))^١ .
وقيل : سميت بذلك ؛ لأنها تتلى في كل ركعة ، وهو قول قتادة^٢ .
وقيل : لأنها يثنى بها على الله تعالى ، جوزه الزجاج^٣ .

^١ - ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٧) .

^٢ - ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ٩٤) .

^٣ - ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٨٨) .

^٤ - ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٠) .

^٥ - ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٧٨) .

^٦ - ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٤١) .

^٧ - ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٩٤) .

^٨ - ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٨٠) .

^٩ - ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٤٥) .

^{١٠} - ينظر : الوسيط : (٣ / ٥١) ، وفتح القدير : (٣ / ١٤١) .

^{١١} - أخرجه البخاري ، في كتاب التفسير ، باب ما جاء في فاتحة الكتاب : (٤ / ١٦٢٣) ، ح : (٤٢٠٤) ،

وباب ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ : (٤ / ١٧٣٨) ، ح : (٤٤٢٦) .

^{١٢} - المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٣) .

^{١٣} - البحر المحيط : (٥ / ٤٥٢) .

^١ - ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٣٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٥٢) .

^٢ - ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٣٦) .

^٣ - ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٨٥) .

وقال ابن الجوزي _ رحمه الله _ : ((سُمِّيَتْ بالسبع ، لأنها سبع آيات))^١ .

وقيل : لأنها نزلت مرتين ، ذكره الحسين بن الفضل^٢ .

وقيل غير ذلك من الأقوال .

القول الثاني : أن المراد : السبع الطوال^٣ ، وهو قول ابن مسعود ، وابن عمر^٤ ، وابن عباس^٥ ، وابن جبير^٦ ، ومجاهد^٧ ، والضحاك^٨ .

وقد رد أبو العالية هذا القول فقال : ((لقد نزلت هذه السورة _ أي الحجر _ وما نزل من السبع الطوال شيء))^٩ .

وفي تسمية الطوال مثاني أقوال :

_ روي عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ أنها سميت المثاني ؛ لما تردد فيها من الأخبار والأمثال والعبر^{١٠} .

وعلى هذا التعليل تكون المثاني : القرآن كله ، وليست سوراً معينة ، وهو قول ابن عباس^{١١} ، وطاوس^{١٢} ، ومجاهد^{١٣} ، والضحاك^{١٤} .

^١ _ زاد المسير : (٤ / ٤١٣) .

^٢ _ المرجع السابق : (٤ / ٤١٤) .

^٣ _ السبع الطوال : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس . ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢٩ _ ١٣٠) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢٩) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٢٩) ، و الدر المنثور : (٥ / ٩٦) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٣٠) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٦) .

^٧ _ ينظر : تفسير مجاهد (٣٤٣) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٣١) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٦) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٣٢) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٣٤) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٢) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٣١) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٢) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٦) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٣٧) .

^{١٢} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٣٧) ، وتفسير عبد الرزاق : (٢ / ٣٥٠) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٢ / ٣٥٠) .

^{١٤} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٣٧) ، والدر المنثور : (٥ / ٩٧) .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « والثاني على قول هؤلاء وابن عباس في قوله المتقدم : القرآن . كما قال تعالى ﴿ كِتَابًا مُتَّبِعًا مَثَانِي ﴾ [الزمر : ٢٣] وسمي بذلك ؛ لأن القصص والأخبار تتنن فيه وتردد »^١ .

وقال ابن عادل _ رحمه الله _ : « قالوا : وهو ضعيف ؛ لأنه لو كان المراد بالسبع المثاني القرآن لكان قوله : ﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ، عطفاً على نفسه ، وذلك غير جائز . وأجيب عنه : بأنه إنما حسن العطف فيه لاختلاف اللفظين ... واعلم أن هذا ، وإن كان جائزاً إلا أنهم أجمعوا على أن الأصل خلافه »^٢ .

_ وقيل : لأن الحدود والفرائض والأمثال ثبتت فيها^٣ .

_ وقيل : لأنها قد تجاوزت المائة الأولى إلى المائة الثانية^٤ .

القول الثالث : أن المراد : السبع آل حميم^٥ .

القول الرابع : أن المراد : سبع صحائف ، وهي الأسباع^٦ .

القول الخامس : وقيل : السبع هي المعاني التي أنزلت في القرآن : أمر ، ونهي ، وبشارة ، وإنذار ،

وضرب أمثال ، وتعداد النعم ، وأخبار الأمم ، وهو قول زياد بن أبي مرثم^٧ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ قول من قال إنها الفاتحة ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ؛ لورود الحديث في ذلك ، و إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^٨ .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « ولا ينبغي أن يعدل عن هذا القول ، بل لا يجوز العدول عنه ... »^١ .

^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥٢ / ٥) .

^٢ _ اللباب : (٤٨٨ / ١١) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٠ / ١٧) ، والبحر المحيط : (٤٥٢ / ٥) .

^٤ _ ينظر : النكت والعيون : (١٧١ / ٣) ، وزاد المسير : (٤١٤ / ٤) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥٢ / ٥) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥٢ / ٥) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٣٦ / ١٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٧٢ / ٧) ، والدر

المنثور : (٩٦ / ٥) .

^٨ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢٠٦ / ١) .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي _ رحمه الله _ : ((ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه أتى نبيه _ ﷺ _ سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ولم يبين هنا المراد بذلك ، وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة إن كان لها بيان في كتاب الله غير واف بالمقصود أننا نتمم ذلك البيان من السنة ، فنبين الكتاب بالسنة من حيث إنها بيان للقرآن المبين باسم الفاعل ، فإذا علمت ذلك فاعلم أن النبي _ ﷺ _ بين في الحديث الصحيح أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم في هذه الآية الكريمة هو فاتحة الكتاب ، ففاتحة الكتاب مبينة للمراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم ، وإنما بينت ذلك بإيضاح النبي _ ﷺ _ لذلك في الحديث الصحيح ... فهذا نص صحيح من النبي _ ﷺ _ أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم فاتحة الكتاب ، وبه تعلم أن قول من قال : إنها السبع الطوال . غير صحيح ؛ إذ لا كلام لأحد معه _ ﷺ _ ومما يدل على عدم صحة ذلك القول أن آية الحجر هذه مكية وأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة ، والعلم عند الله تعالى))^١ .

وجمع الطبري _ رحمه الله _ بين قول من قال إنها الفاتحة ، وبين قول من قال إن المراد القرآن كله فقال : ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : غني بالسبع المثنائي السبع اللواتي : هن آيات أم الكتاب ؛ لصحة الخبر بذلك عن رسول الله _ ﷺ _ ... فإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا للذي به استشهدنا ، فالواجب أن تكون المثنائي مراداً بها القرآن كله ، فيكون معنى الكلام : ولقد آتيناك سبع آيات مما يُثنى بعض آيه بعضاً . وإذا كان ذلك كذلك كانت المثنائي : جمع مثناة ، وتكون آي القرآن موصوفة بذلك ، لأن بعضها يُثنى بعضاً وبعضها يتلو بعضاً بفصول تفصل بينها ، فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها كما وصفها به تعالى ذكره فقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَّبِعًا مَّثَانِي تَقَعَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ أَلْدِينِ يَخَوِّنُ رَبَّهُمْ ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] .^٢))

وبين القرطبي ، والشوكاني أنه وإن كان المراد بالسبع المثاني الفاتحة ، إلا أنه لا يمنع تسمية غيرها بذلك .

^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥٢ / ٥) .

^٢ _ أضواء البيان : (١٩٤ / ٣ - ١٩٥) .

^٣ _ جامع البيان : (١٣٧ / ١٧ - ١٤٠) .

قال القرطبي _ رحمه الله _ : ((والصحيح الأول ؛ لأنه نص ، وقد قدمنا في الفاتحة أنه ليس في تسميتها بالثاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك ، إلا أنه إذا ورد عن النبي _ ﷺ _ وثبت نص في شيء لا يحتمل التأويل كان الوقوف عنده))^١ .

وقال الشوكاني _ رحمه الله _ : ((ولا يخفى عليك أن تسمية الفاتحة مثنى لا تستلزم نفي تسمية غيرها بهذا الاسم ، وقد تقرر أنها المرادة بهذه الآية ، فلا يقدر في ذلك صدق وصف المثنى على غيرها))^٢ .



^١ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٥٥) .

^٢ _ فتح القدير : (٣ / ١٤٢) .

١٠٧ / ٣٧ _ المسألة الثانية : المراد بالواو في ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالواو العطف ، فقال : « وقرأ الجمهور : ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ بالنصب . فإن عني بالسبع الفاتحة أو السبع الطوال ؛ لكان ذلك من عطف العام على الخاص ، وصار الخاص مذكوراً مرتين .

إحدهما : بجهة الخصوص ، والأخرى : بجهة العموم . أو لأن ما دون الفاتحة أو السبع الطوال يطلق عليه لفظ القرآن ؛ إذ هو اسم يقع على بعض الشيء ، كما يقع على كله . وإن عني الأسباع فهو من باب عطف الشيء على نفسه ، من حيث أن المعنى : ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي : الجامع لهذين المعنيين وهو الثناء والتنبية والعظم . وقرأت فرقة : والقرآن العظيم بالخفض عطفاً على المثاني »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالواو في ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ على قولين :

القول الأول : أن الواو للعطف ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن مجاهد ، والضحاك ، وقول الطبري _ رحمه الله _^٢ ، والزمخشري _ رحمه الله _^٣ .

قال الطبري _ رحمه الله _ : « وأما قوله : ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فإن القرآن معطوف على السبع ، بمعنى : ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن ، وغير ذلك من سائر القرآن »^٤ .
القول الثاني : أن الواو مقحمة^٥ .

وضعفه أبو حيان _ رحمه الله _ حيث قال : « وأبعد من ذهب إلى أن الواو مقحمة ، والتقدير : سبعاً من المثاني القرآن العظيم »^٦ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٤٠) .

^٣ _ الكشاف : (٣ / ٤١٦) .

^٤ _ جامع البيان : (١٧ / ١٤٠) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٤) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٤) .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ هو القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن الواو في ﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ للعطف ؛ لأن هذا المعنى هو الظاهر من لفظ الآية ، وعدم العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل ، مما يؤكد هذا الأمر ، وهي قاعدة مهمة عند أئمة التفسير^١ .



^١ _ قواعد التفسير ، لخالد السبت : (٢ / ٨٤٣) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

قال الله تعالى ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ [٩٠] .

١٠٨ / ٣٨ _ مسألة : المراد بالمقتسمين :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالمقتسمين الكفار ؛ حيث قال _ بعد ذكره لبعض أقوال المفسرين _ : « هذه أقوال وتوجيهات متكلفة ، والذي يظهر لي أنه تعالى لما أمره بأن لا يحزن على من لم يؤمن وأمره بخفض جناحه للمؤمنين ، أمره أن يعلم المؤمنين وغيرهم أنه هو النذير المبين لئلا يظن المؤمنون أنهم لما أمر _ عليه الصلاة والسلام _ بخفض جناحه لهم خرجوا من عهدة النذارة ، فأمره تعالى بأن يقول لهم إني أنا النذير المبين لكم ولغيركم كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْلُهَا ﴾ [سورة النازعات : ٤٥] ، وتكون الكاف نعتاً لمصدر محذوف تقديره : وقل قولاً مثل ما أنزلنا على المقتسمين إنك نذير لهم ، فالقول للمؤمنين في النذارة كالقول للكفار المقتسمين ؛ لئلا يظن إنذارك للكفار مخالفاً لإنذار المؤمنين ، بل أنت في وصف النذارة لهم بمتزلة واحدة ، تنذر المؤمنين كما تنذر الكافرين ، كما قال تعالى ﴿ نَذِيرٌ وَبَيِّنٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٨] .^١

الدراسة والموازنة :

في المراد بالمقتسمين أقوال للعلماء منها :

القول الأول : أن المراد بالمقتسمين : كفار قريش ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ موافقاً للمروي عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _^٢ ، ومجاهد^٣ ، وقتادة^٤ .

القول الثاني : أن المقتسمين هم : أهل الكتاب ، وهو قول الحسن^٥ وغيره .

القول الثالث : أنهم الذين تقاسموا وتحالفوا على مخالفة الأنبياء كقوم صالح تقاسموا أن يبيتوا صالحاً ، وهو قول أبي البقاء^٦ ، وابن كثير^٧ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٤ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٩٨ / ٥) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٣ _ ٢٢٧٤) ، والدر المنثور : (٩٩ / ٥) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٤٤) .

^٥ _ ينظر : المرجع السابق : (١٧ / ١٤٣) .

^٦ _ إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٣) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٥٨) .

وخص عبد الله بن زيد^١ قوم صالح بالمراد ، واستبعده محمد بن علي البليسي^٢ .
قال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((فالملتزمون على هذا من القسم))^٣ ، ونحوه قال ابن الجوزي^٤
وقال الشيخ الأمين الشنقيطي _ رحمه الله _ : ((ومن الآيات التي ترشد لهذا الوجه قوله تعالى
عن قوم صالح ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ [سورة النمل : ٤٩] أي نقتلهم
ليلاً ، وقوله ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ ﴾ [سورة النحل : ٣٨] ،
وقوله ﴿ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٤] ، وقوله
﴿ أَهْلُوا لَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٤٩] إلى غير ذلك من
الآيات ، فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين))^٥ .

الترجيح :

مما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن الآية تحتمل المعاني السابقة كلها ،
لعدم التضاد بينها ، فتحمل الآية عليها ، وتفسر بها ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل
واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٦ .
قال الطبري _ رحمه الله _ : ((والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى
أمر نبيه _ ﷺ _ أن يُعلم قومه الذين عضوا القرآن ففرقوه ، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى
وعقوبته أن يحلَّ بهم على كفرهم ربهم وتكذيبهم نبيهم ما حلَّ بالمقتسمين من قبلهم
ومنهم .
وجائز أن يكون عني بالمقتسمين : أهل الكتابين التوراة والإنجيل ، لأنهم اقتسموا
كتاب الله ، فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالإنجيل والفرقان ،
وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان .
وجائز أن يكون عني بذلك : المشركون من قريش ، لأنهم اقتسموا القرآن ، فسماه بعضهم
شعراً وبعض كهانة وبعض أساطير الأولين .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٤٥) .

^٢ _ ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ٩٥) .

^٣ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٧٤) .

^٤ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤١٨) .

^٥ _ أضواء البيان : (٣ / ١٩٧ - ١٩٨) .

^٦ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

وجائز أن يكون عُني به الفريقان .

وممكن أن يكون عُني به المقتسمون على صالح من قومه .

فإذ لم يكن في التبريل دلالة على أنه عُني به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين ، ولا في خبر عن الرسول - ﷺ - ، ولا في فطرة عقل ، وكان ظاهر الآية محتملاً ما وصفت ، وجب أن يكون مقتضياً بأن كل من اقتسم كتاباً لله بتكذيب بعض وتصديق بعض ، واقتسم على معصية الله ممن حلّ به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية ، فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله كانوا عبرة ، وللمتعظين بهم منهم عظة^١ .

إلا أن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بين أن القول بأن المراد كفار قريش أظهر ؛ وذلك بدلالة السياق ، وهو قوله ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٩١] ؛ وذلك لجعلهم له أعضاء متفرقة بحسب اختلاف أقوالهم الكاذبة كقولهم شعر سحر كهانة الخ .

وبين أن هذه القرينة لا تنافي القول الثاني ، وهو أن المراد : اليهود والنصارى ، وذلك على أنهم أهل الكتاب ، فالمراد بالقرآن كتبهم التي جزؤوها فأمنوا ببعضها وكفروا ببعضها ، أو القرآن لأنهم آمنوا بما وافق هواهم منه وكفروا بغيره^٢ . ونحوه قال الطاهر بن عاشور^٣ .



^١ _ جامع البيان : (١٧ / ١٤٥) .

^٢ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ١٩٨) .

^٣ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٨٥) .

قال الله تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٩٢] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٠٩ / ٣٩ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في ﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن الضمير في ﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾ عائد على المقتسمين ، فقال : ((﴿ فَوَرَبِّكَ ﴾ أقسم تعالى بذاته وربوبيته مضافاً إلى رسوله على جهة التشريف ، والضمير في ﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾ يظهر عوده على المقتسمين))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الضمير عائد على المقتسمين ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ، والقرطبي^٣ ، والخازن^٤ ، والنسفي^٥ .

القول الثاني : أن الضمير لجميع الكفرة من المقتسمين وغيرهم ، وهو قول الشوكاني^٦ ، وأبي السعود^٧ ، والألوسي^٨ ، والسعدي^٩ ، والمراغي^{١٠} .

وقال السعدي _ رحمه الله _ : ((﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي : جميع من قدح فيه وعابه ، وحرفه وبدله))^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٤) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٣١) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٤٩) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٥٩) .

^٤ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٣) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٩) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٤٣) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٢) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٨٤) .

^٩ _ تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩١٧) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٤٧) .

^{١١} _ تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩١٧) .

القول الثالث : أنه يعود على الجميع من كافر ومؤمن ، وهو قول أبي العالية ^١ ، وابن عطية ^٢ ،
والثعالبي ^٣ ؛ واستدلوا لذلك بتقديم ذكرهما ^٤ .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((وقوله ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾ إلى آخر الآية ، ضمير عام ،
ووعيد محض يأخذ كل أحد منه بحسب جرمه وعصيانه ، فالكافر يسأل عن لا إله إلا الله وعن الرسل
وعن كفره وقصده به ، والمؤمن العاصي يسأل عن تضييعه ، والإمام عن رعيته ، وكل مكلف عما
كلف القيام به)) ^٥ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على جميع
الأقوال الواردة فيها عن المفسرين فلاية تحتمل الأقوال كلها لعدم التضاد بينها ، فتحمل الآية عليها ،
وتفسر بها ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما
تعنيه الآية ، أو التنويع ^٦ .

قال الفخر الرازي _ رحمه الله _ : ((قوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ يحتمل أن
يكون راجعاً إلى المقتسمين الذين جعلوا القرآن عظيمين ؛ لأن عود الضمير إلى الأقرب أولى ، ويكون
التقدير أنه تعالى أقسم بنفسه أن يسأل هؤلاء المقتسمين عما كانوا يقولونه من اقتسام القرآن وعن
سائر المعاصي ، ويحتمل أن يكون راجعاً إلى جميع المكلفين ؛ لأن ذكرهم قد تقدم في قوله : ﴿ وَقُلْ
إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ [الحجر : ٨٩] أي لجميع الخلق ، وقد تقدم ذكر المؤمنين وذكر
الكافرين ، فيعود قوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ على الكل)) ^٧ .
وقال الشوكاني _ رحمه الله _ : ((ويمكن أن يقال : إن قصر هذا السؤال على المذكورين في
السياق وصرف العموم إليهم لا ينافي سؤال غيرهم)) ^٨ .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٥٠) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٥) .

^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٩) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٢١٨) .

^٥ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٥) .

^٦ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٧ _ التفسير الكبير : (١٩ / ٢١٨) .

^٨ _ فتح القدير : (٣ / ١٤٣) .

قوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٩٢ - ٩٣] .

١١٠ / ٤٠ _ المسألة الثانية : السؤال عن ماذا في قوله تعالى ﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن السؤال عام في جميع الأعمال ، فقال : ((و ﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ عام في جميع الأعمال))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في السؤال عن ماذا في قوله تعالى ﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن السؤال عام في جميع الأعمال ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ موافقاً قول الطبري^٢ ، والسمرقندي^٣ ، وابن عطية^٤ ، ووافقه البقاعي^٥ ، والثعالبي^٦ ، وأبو السعود^٧ ، والألوسي^٨ ، والشوكاني^٩ ، والمراغي^{١٠} .

وقال الطبري _ رحمه الله _ : ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ _ : فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عِضِينَ في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا ، فيما أمرناهم به ، وفيما بعثناك به إليهم من أي كتابي الذي أنزلته إليهم ، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيد البراءة من الأنداد والأوثان))^{١١} .

وقال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((وقوله ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾ إلى آخر الآية ضمير عام ، ووعيد محض يأخذ كل أحد منه بحسب جرمه وعصيانه ، فالكافر يسأل عن لا إله إلا الله ، وعن

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٤ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٣١ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٤٩ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٦٣ / ٢) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٧٥ / ٣) .

^٥ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٣٠ / ٤) .

^٦ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢١٩ / ٢) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٩٢ / ٥) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٨٥) .

^٩ _ ينظر : فتح القدير : (١٤٣ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير المراغي : (٤٧ / ١٤) .

^{١١} _ جامع البيان : (١٤٩ / ١٧) .

الرسول ، وعن كفره وقصده به ، والمؤمن العاصي يسأل عن تضييعه ، والإمام عن رعيته ، وكل مكلف عما كلف القيام به ، وفي هذا المعنى أحاديث ^١ .

وقال أبو السعود _ رحمه الله _ : « **عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** » في الدنيا من قول وفعل وترك ، فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولاً أولياً ^٢ .
ويؤيد هذا القول أن (ما) للعموم .

قال الألويسي _ رحمه الله _ : « (و) (ما) للعموم كما هو الظاهر » ^٣ .

القول الثاني : عن شهادة أن لا إله إلا الله ، وهو مروى عن أنس ، وابن عمر ، ومجاهد .

قال ابن الجوزي _ رحمه الله _ : « يُسألون عما عملوا في ما أمروا به من التوحيد والإيمان ، فيقال لهم : لم عصيتم وتركتم الإيمان ؟ فتظهر فضيحتهم عند تعذر الجواب » ^٤ .

القول الثالث : « **عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** » من التقسيم أو النسبة إلى السحر فنجازيهم عليه ، وهو قول الواحدي ^٥ ، والبيضاوي ^٦ ، والخازن ^٧ .

وقال الواحدي _ رحمه الله _ : « **عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** » أي يفترون من القول في القرآن ^٨ . ونحوه قال الخازن _ رحمه الله _ ^٩ .
وهذا القول فيه مراعاة لسياق الآيات .

القول الرابع : عما قالوه في رسول الله _ ﷺ _ ، أو في القرآن ، أو في كتب الله ، وهو قول النسفي _ رحمه الله _ ^{١٠} .

الترجيح :

^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٧٥) .

^٢ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٢) .

^٣ _ روح المعاني : (١٤ / ٨٥) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٥٠) .

^٥ _ ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٢ / ٣٥١) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٥٠) .

^٦ _ زاد المسير : (٤ / ٤١٩) .

^٧ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٩٨) .

^٨ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٨٢) .

^٩ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٣) .

^{١٠} _ الوجيز : (١ / ٥٩٨) .

^{١١} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٣) .

^{١٢} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٩) .

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله أعلم _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان من القول بالعموم ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أن (ما) في الآية للعموم .

٢ _ أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل^١ .

قال الشوكاني _ رحمه الله _ : « ﴿ فَوَرَّيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي : لنسألن هؤلاء الكفرة أجمعين يوم القيامة عما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال التي يحاسبون عليها ويسألون عنها ؛ وقيل : إن المراد سؤالهم عن كلمة التوحيد ، والعموم في ﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، يفيد ما هو أوسع من ذلك^٢ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٢ _ فتح القدير : (٣ / ١٤٣) .

قال الله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [٩٨] .

١١١ / ٤١ _ مسألة : المراد بـ ﴿ السَّاجِدِينَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ السَّاجِدِينَ ﴾ : المصلين ، فقال : ((ثم أمره تعالى بتزيهه عن ما نسوا إليه من اتخاذ الشريك معه مصحوباً بحمده والثناء على ما أسدي إليه من نعمة النبوة والرسالة والتوحيد وغيرها من النعم ، فهذا في المعتقد والفعل القلبي ، وأمره بكونه من الساجدين ، والمراد والله أعلم من المصلين ، فكفى بالسجود عن الصلاة ، وهي أشرف أفعال الجسد ، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، ولما كان الصادر من المستهزئين اعتقاداً وهو فعل القلب ، وقولاً وهو ما يقولون في الرسول وما جاء به وهو فعل جارحة ، أمر تعالى بما يقابل ذلك من التزيه لله ومن السجود ، وهما جامعان فعل القلب وفعل الجسد))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ السَّاجِدِينَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المراد بالساجدين : المصلين ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، والضحاك^٣ ، وقول الطبري^٤ ، و الزمخشري^٥ ، وابن عطية^٦ ، والقرطبي^٧ ، وابن كثير^٨ ، والسيوطي^٩ ، وأبي السعود^{١٠} ، والشوكاني^{١١} ، والطاهر ابن عاشور^{١٢} ، والسعدي^{١٣} ، والشنقيطي^{١٤} _ رحمهم الله _ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٥ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٣١ / ٢) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤٢٣ / ٤) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٩٧ / ٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٥٩ / ١٧) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٤٢١ / ٣) .

^٦ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٧٦ / ٣) .

^٧ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٦٣ / ١٠) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٦٠ / ٢) .

^٩ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٠) .

^{١٠} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٩٣ / ٥) .

^{١١} _ ينظر : فتح القدير : (١٤٤ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٩١ / ١٤) .

^{١٣} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩١٧ / ١) .

^{١٤} _ ينظر : أضواء البيان : (٢٠٤ / ٣) .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : ((ثم أمره تعالى بملازمة الطاعة ، وأن تكون مسلاته عند الهموم ، وقوله ﴿ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ يريد من المصلين ، فذكر من الصلاة حالة القرب من الله تعالى وهي السجود ، وهي أكرم حالات الصلاة وأقمنها بنيل الرحمة))^١ .
وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي _ رحمه الله _ : ((ولأجل كون المراد بالسجود الصلاة لم يكن هذا الموضع محل سجدة عند جمهور العلماء . خلافاً لمن زعم أنه موضع سجود))^٢ .

القول الثاني : الخاضعين^٣ .

القول الثالث : المتواضعين ، وهو مروى عن ابن عباس^٤ ، وقول الخازن^٥ ، وزاد البغوي^٦ عن ابن عباس : ((من المصلين المتواضعين)) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد بالساجدين : المصلين ؛ لأن السجود خص في الشريعة بالصلاة^٧ ، والنص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية ؛ لأن الشارع معني ببيان الشرع لا ببيان اللغات^٨ .

أما القولان الآخران ، وهما ، أن يكون من الخاضعين ، وأن يكون من المتواضعين ، فهما المعنى اللغوي للسجود ؛ حيث إن السجود في اللغة : التظامن والتذلل ، والخضوع ، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته^٩ .

والخضوع والتواضع مترتبان على الصلاة ؛ لأن الصلاة من آثارها الخضوع والتواضع .

^١ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٦) .

^٢ _ أضواء البيان : (٣ / ٢٠٤) .

^٣ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٧٦) .

^٤ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٢٣) .

^٥ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٤) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٩٧) .

^٧ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٣٩٦ - ٣٩٧) .

^٨ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٣٤) ، قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٤٠١) .

^٩ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٣٩٦ - ٣٩٧) ، والقاموس المحيط : (٢٨٧) ، والمصباح المنير :

(١٤٠) .

قال الله تعالى ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [٩٩] .

١١٢ / ٤٢ _ مسألة : المراد باليقين .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد باليقين : الموت ؛ حيث قال : ((ثم أمره تعالى بالعبادة ، التي هي شاملة لجميع أنواع ما يتقرب بها إليه تعالى ، وهذه الأوامر معناها : دُم على كذا ؛ لأنه _ ﷺ _ ما زال متلبساً بها ، أي : دم على التسييح والسجود والعبادة ، والجمهور على أن المراد باليقين : الموت ، أي : ما دمت حياً فلا تخل بالعبادة ، ومنه قوله _ ﷺ _ في عثمان بن مظعون عند موته _ رضي الله عنه _ : ((أما هو فقد رأى اليقين)) ، ويروى ((فقد جاءه اليقين))^١ ، وليس اليقين من أسماء الموت ، وإنما العلم به يقين لا يمتري فيه عاقل ، فسمي يقيناً تجوزاً ، أي : يأتيك الأمر اليقين علمه ووقوعه وحكمة التغيية باليقين وهو الموت أنه يقتضي ديمومة العبادة ما دام حياً ، بخلاف الاقتصار على الأمر بالعبادة غير مغيا ؛ لأنه يكون مطلقاً فيكون مطيعاً بالمرة الواحدة ، والمقصود أن لا يفارق العبادة حتى يموت))^٢ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد باليقين قولان :

القول الأول : أن المراد باليقين : الموت ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً
المروى عن سالم بن عبد الله^٣ ، ومجاهد^٤ ، وقتادة^٥ ، والحسن ، وابن
زيد^٦ ،

^١ _ أخرجه البخاري : في كتاب الجنائز ، باب : الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه ، (١ / ٤١٩) ، ح : (١١٨٦) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٣٢) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٠) ، والدر المنثور : (٥ / ١٠٥) .

وسالم بن عبد الله هو : ابن عمر العدوي المدني ، الفقيه القدوة ، توفي سنة ٦٠٠ هـ . ينظر : العبر في خبر من
غير : (١ / ٢٣) .

^٤ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٤) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٦٠) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم :
(٧ / ٢٢٧٤) ، والدر المنثور : (٥ / ١٠٥) .

فائدة : الأثر أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجیح ، وابن جريج عنه ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة
ابن أبي نجیح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٤٢) .

^٥ _ ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٢ / ٣٥٢) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٦٠) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٠) ، والدر المنثور : (٥ / ١٠٥) .

وقول الطبري^١، والزجاج^٢، والسمرقندي^٣، وابن زمنين^٤، والثعلبي^٥، والواحدي^٦، والسمعاني^٧، وابن العربي^٨، والبغوي^٩، والزمخشري^{١٠}، والقرطبي^{١١}، والبيضاوي^{١٢}، والحازن^{١٣}، والنسفي^{١٤}، وابن جزري^{١٥}، وابن كثير^{١٦}، والثعالبي^{١٧}، والسيوطي^{١٨}، وأبي السعود^{١٩}، والشوكاني^{٢٠}، والألوسي^{٢١}، والسعدي^{٢٢}، والشنقيطي^{٢٣}، وهو قول الجمهور^{٢٤} - رحمه الله - .

-
- ١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٠) .
 - ٢ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٨٧) .
 - ٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٤) .
 - ٤ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٢ / ٣٩٣) .
 - ٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (٥ / ٣٥٧) .
 - ٦ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٥٩٩) .
 - ٧ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٥٦) .
 - ٨ _ ينظر : أحكام القرآن : (٣ / ١١٦) .
 - ٩ _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٩٧) .
 - ١٠ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٢١) .
 - ١١ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٦٤) .
 - ١٢ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٨٣) .
 - ١٣ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٥) .
 - ١٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٩) .
 - ١٥ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٣) .
 - ١٦ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٠) .
 - ١٧ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢١٩) .
 - ١٨ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٠) .
 - ١٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٣) .
 - ٢٠ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٤٤) .
 - ٢١ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٨٧) .
 - ٢٢ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩١٧) .
 - ٢٣ _ أضواء البيان : (٣ / ٢٠٥) .
 - ٢٤ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٢٣) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٥٥) .

قال الزجاج _ رحمه الله _ : ((المعنى أعبد ربك أبداً ، واعبده إلى الممات ؛ لأنه لو قيل : اعبد ربك _ بغير توقيت _ لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً ، فإذا قال حتى يأتيك اليقين ، أي : أبداً ما دمت حياً ، فقد أمرت بالإقامة على العبادة))^١ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أنه يدل لذلك قوله تعالى ﴿ قَالُوا لِمَنْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ . وَلِمَنْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ . حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ [سورة المدثر : ٤٣ - ٤٧] وهو الموت^٢ .

٢ _ ويؤيده أيضاً قول الرسول الله ﷺ _ في عثمان بن مظعون بعد موته : ((أما هو فقد جاءه اليقين وإني لأرجو له الخير))^٣ .

قال الشنقيطي _ رحمه الله _ : ((وهذا الحديث الصحيح يدل على أن اليقين الموت . وقول من قال إن المراد باليقين انكشاف الحقيقة وتيقن الواقع لا ينافي ما ذكرنا ؛ لأن الإنسان إذا جاءه الموت ظهرت له الحقيقة يقيناً))^٤ .

وسمي يقيناً : لأنه متيقن للحوق بكل حي^٥ .

٣ _ أن هذه الآية في معنى ما ذكر في قوله تعالى ﴿ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا قُمتُ حَيًّا ﴾ [سورة مريم : ٣١] .

القول الثاني : أن المراد النصر على الكافرين ، وهو قول احتمله ابن عطية^٦ ، وقول الطاهر ابن عاشور^٨ .

قال الطاهر ابن عاشور _ رحمه الله _ : ((واليقين : المقطوع به الذي لا شك فيه ، وهو النصر الذي وعده الله به))^١ .

^١ _ معاني القرآن : (٣ / ١٨٧) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٢ / ٥٦٠) ، وأضواء البيان : (٣ / ٣٠٥) .

^٣ _ تقدم تخريجه : ص : (٤٩٠) .

^٤ _ أضواء البيان : (٣ / ٢٠٦) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٤) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٢٣) ، والتفسير الكبير : (١٩ / ٢٢١) ، وروح المعاني : (١٤ / ٨٧) .

^٦ _ ينظر : تفسير السمعي : (٣ / ١٥٦) ، ومعالم التنزيل : (٤ / ٣٩٧) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٦٤) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٥) .

^٧ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٧٦) .

^٨ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٩٢) .

الترجيح :

مما سبق يتبين أن الراجح _ والله أعلم _ ما رجحه أبو حيان ومن معه ؛ وهو بأن المراد باليقين : الموت ، وذلك لما يلي :

- ١ _ أنه قول تؤيده الأدلة من الكتاب والسنة ؛ فوجب المصير إليه . فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ أَتَلْنَا آٰلِيقِينَ ﴾ [سورة المدثر : ٤٧] ، فعن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ أنه قال : الموت ^٢ . والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك ^٣ ، فللعاني المستندة على الآيات القرآنية تدخل تحت أفضل وأعلى درجات التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن ^٤ . وإذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال ، فهو مرجح له على ما خالفه ^٥ .
- ٢ _ أنه قول الجمهور من المفسرين ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ أبعد ^٦ .



^١ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ٩٢) .
^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٨ / ٣٣٧) .
^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .
^٤ _ ينظر : شرح مقدمة التفسير ، لابن عثيمين : (١٢٧) ، وقواعد التفسير ، لخالد السيت : (١ / ١٠٩) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .
^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٠٦) .
^٦ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٨٨) .

رابعاً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي

في سورة النحل

وفيها ثمانية وثمانون ترجيحاً

قال الله تعالى ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١] .

في الآية الكريمة ثلاث مسائل :

١١٣ / ١ _ المسألة الأولى : المراد بالأمر :

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن المراد بالأمر : يوم القيامة ؛ حيث قال : « ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال ﴿ فَوَرَيَّبِكَ لَسَسَانَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٩٢] كان ذلك تنبيهاً على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما أجرموا في دار الدنيا ف قيل : أتى أمر الله وهو يوم القيامة على قول الجمهور»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف أهل التأويل في الأمر الذي أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ما هو ، وأي شيء هو

على أقوال :

القول الأول : أن المراد : يوم القيامة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس ، وقول ابن قتبية^٢ ، والسمرقندي^٣ ، والكلبي^٤ ، وابن عطية^٥ ، والخازن^٦ ، ووافقهم ابن كثير^٧ ، والسيوطي^٨ ، والشنقيطي^٩ ، وهو قول الجمهور^{١٠} .

واستدلوا بما يلي :

١ _ سبب نزول الآية : قال ابن عباس : « لما أنزل الله تعالى ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [سورة القمر : ١] قال الكفيلو بعضهم لبعض : إن هذا يزعم أن القيامة : قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن ، فلما رأوا أنه لا يتزل شيء ، قالوا : ما نرى شيئاً ، فأنزل الله تعالى ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ١] ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٨ / ٥ _ ٤٥٩) ، وينظر : النهر الماد : (٢٣٤ / ٢) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤٢٧ / ٤) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٦٥ / ٢) .

^٤ _ ينظر : النكت والعيون : (١٧٨ / ٣) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٧٧ / ٣) .

^٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٠٥ / ٣) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٦٠ / ٢) .

^٨ _ ينظر : ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢١) .

^٩ _ ينظر : أضواء البيان : (٢٠٨ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : الوسيط : (٥٥ / ٣) ، والمحرر الوجيز : (٣٧٧ / ٣) ، والبحر المحيط : (٤٥٨ / ٥) ،

والجواهر الحسان : (٢٢٠ / ٢) ، وروح المعاني : (٩٠ / ١٤) .

فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة ، فلما امتدت الأيام قالوا : يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به ، فأُنزل الله تعالى ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ، فوثب النبي ﷺ _ ورفع الناس رءوسهم ، فتزل ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فاطمأنوا ، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ _ : « بعثت أنا والساعة كهاتين _ وأشار بإصبعه _ إن كادت لتسبقني »^١ .

٢ _ أن هذه الآية تفسرها آيات أخرى تشير إلى أن المراد بالأمر يوم القيامة .

قال الشنقيطي : « واقترب القيامة المشار إليه هنا ذكره جل وعلا في مواضع أخرى : كقوله ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ١] ، وقوله جل وعلا ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [سورة القمر : ١] ، وقوله ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٦٣] ، وقوله ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى : ١٧] ، وقوله جل وعلا ﴿ أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ . لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم : ٥٧ - ٥٨] إلى غير ذلك من الآيات »^٣ .

٣ _ أن الله تعالى قد أخطر أن الكفار يستعجلون مجيء هذا اليوم فقال ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة الشورى : ١٨]^٤ .

٤ _ أنه بهذا القول وجهوا ارتباط سورة النحل بهجرة الحجر .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٩٢] كان ذلك تنبيهاً على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما أجرموا في دار الدنيا فليل : أتى أمر الله وهو يوم القيامة »^٥ .

١ _ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ _ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، (٥ / ٢٣٨٥ ، ح : (٦١٣٩ ، ٦١٤٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، (٢ / ٥٩٢) ، ح : (٨٦٧) .

٢ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٧٨) ، وأسباب نزول القرآن : (١ / ١٠٠) ، والكشاف : (٣ / ٤٢٢) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٢٦) .

٣ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٠٨) .

٤ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٢ / ٥٦١) .

٥ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٨ - ٤٥٩) .

القول الثاني: أن الأمر بعض أشراف الساعة ، و مبادئه وأماراته^١ ، وهو قريب من القول الأول .

القول الثالث: أن المراد بالأمر : خروج الرسول الله ﷺ ، ونصره وظهوره على الكفار ،

وهو مروى عن ابن عباس^٢ ، ونحوه قول ابن جريج^٣ .

وبين ابن الجوزي أن خروج الرسول ﷺ من أمارات الساعة^٤ .

وذكر ابن عادل أن نصر رسول الله ﷺ أول مقدماته وأوائله^٥ .

ففيما ذكره ربط بين هذا القول والقولين السابقين .

القول الرابع: أن الأمر : عقاب الله لمن أقام على الشرك وتكذيب الرسول ﷺ ، وهو مروى

عن الحسن ، وابن جريج^٦ ، وأبي بكر بن حفص^٧ ، وقول الطبري^٨ ، ونحوه قول الزجاج^٩ ،

واستحسنه النحاس^{١٠} ، وقول ابن الأنباري^{١١} ، والواحدي^{١٢} ، والقُرطبي^{١٣} ، ونحوه قول

^١ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٢٧) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٥٩) .

^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ١٠٨) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٥٨) .

^٤ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٢٧) .

^٥ _ اللباب : (٣ / ١٢) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٣) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٥٨) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٣) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٧٨) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٣) .

^٩ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ١٨٩) .

^{١٠} _ ينظر : معاني القرآن : (٤ / ٥٢) .

^{١١} _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٢٧) .

^{١٢} _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٥) ، والوجيز : (١ / ٦٠٠) .

^{١٣} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٦٥) .

الشوكاني^١ ، والمراغي^٢ ، وهو قول الأكثرين^٣ .

واستدلوا بما يلي :

- ١ _ أن استعجال العذاب منقول عن كثير من كفار قريش وغيرهم^٤ .
روي أن النضر بن الحارث^٥ قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، يستعجل العذاب ، فأنزل الله تعالى هذه الآية^٦ .
- ٢ _ ذكر هلاك كثير من الأمم المكذبة في القرآن ، وفيه تحقيق ما توعدهم الله به من العذاب والهلاك عند كفرهم وتكذيبهم .
قال الزجاج _ رحمه الله _ : « ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ١] ما وعدهم الله به من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب ، والدليل على ذلك قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ [سورة هود : ٤٠] ، أي : جاء ما وعدناهم به ، وكذلك قوله ﴿ أَتَلَّهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ [سورة يونس : ٢٤] ؛ وذلك أنهم استعجلوا العذاب واستبطأوا أمر الساعة ، فأعلم الله _ ﷻ _ أن ذلك في قربه بمثلة ما قد أتى ، كما قال ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [سورة القمر : ١] ، وكما قال ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [سورة النحل : ٧٧] »^٧ ، وفي قول الزجاج جمع بين هذا القول والقول الأول .
وكذلك جمع بينهما الزمخشري^٨ ، والبيضاوي^٩ في أنهم كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول _ ﷺ _ من قيام الساعة أو إهلاك الله تعالى إياهم استهزاءً وتكذيباً .

^١ _ ينظر : فتح القدير : (١٤٦ / ٣) .

^٢ _ ينظر : تفسير المراغي : (٥١ / ١٤) .

^٣ _ تفسير السمعي : (١٥٨ / ٣) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٤) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٦٨ - ٦٩) .

^٥ _ النضر بن الحارث بن علقمة ، من بني عبد الدار ، صاحب لواء المشركين بيدر ، أسره المسلمون بيدر وقتلوه بالأثيل _ قرب المدينة بعد انصرافهم من الوقعة . ينظر : الأعلام : (٣٣ / ٨) .

^٦ _ ينظر : أسباب نزول القرآن : (١٠٠ / ١) .

^٧ _ معاني القرآن : (١٨٩ / ٣) .

^٨ _ ينظر : الكشاف : (٤٢٢ / ٣) .

^٩ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٨٤ / ٣) .

قال القونوي _ رحمه الله _ : « المراد بالموعود أحد الأمرين ، ولا ضمير في الجمع بالعناية »^١ .
وجمع الشنقيطي كذلك بينهما فقال : « والظاهر المتبادر من الآية الكريمة أنها تهديد للكفار
باقتراب العذاب يوم القيامة مع ههيم عن استعجاله »^٢ .

القول الخامس : أن المراد به : فرائض الله تعالى وأحكامه ، وهو قول الضحاك^٣ ، والحسن ، وابن
جريج^٤ .

ورد هذا القول بأن فيه بعداً ؛ لأنه لم ينقل أن أحداً من الصحابة استعجل فرائض من قبل أن
تفرض عليهم^٥ .

وضعفه ابن عطية فقال : « ويضعفه قوله ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل : ١] إن لا
نعرف استعجالاً إلا ثلاثة اثنان منها للكفار : وهي في القيامة ، وفي العذاب ، والثالث : للمؤمنين في
النصر وظهور الإسلام »^٦ .
وضعفه أيضاً السمعاني^٧ .

وقال عنه ابن كثير _ رحمه الله _ : « إنه قول عجيب »^٨ .

القول السادس : إنه القرآن ، وهو قول الضحاك^٩ .

وقال عنه النحاس _ رحمه الله _ : « من أحسن ما قيل في معناه قول الضحاك : إنه
القرآن »^{١٠} .

الترجيح :

^١ _ حاشية القونوي : (١١ / ٢٠٧) .

^٢ _ أضواء البيان : (٣ / ٢١٠) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٣) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٦) ، والدر
المنثور : (٥ / ١٠٩) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٦٥) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٤) ، والكشف والبيان : (٦ / ٦) ، والجامع لأحكام القرآن :
(١٠ / ٦٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٥٨) ، وروح المعاني : (١٤ / ٩٠) .

قلت : بل قد استعجل بعضهم أن يفرض القتال والجهاد .

^٦ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٧٧) .

^٧ _ تفسير السمعاني : (٣ / ١٥٨) .

^٨ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦١) .

^٩ _ إعراب القرآن ، للنحاس : (٢ / ٣٩١) .

^{١٠} _ إعراب القرآن : (٢ / ٣٩١) .

مما سبق يتبين أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — أن الآية تحتمل الأقوال الأربعة الأولى لعدم التضاد بينها ، فتحمل الآية عليها ، وتفسر بها ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^١ .
وذلك لأنها من الأمور التي وعد الله بها سواء قيام الساعة ومجيء أماراتها ، أو توعده الكفار بالهلاك والعذاب ، ووعد الرسول ﷺ — والمؤمنين بالنصر .

قال أبو السعود — رحمه الله — : «﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ١] أي الساعة أو ما يُعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة ، عبّر عن ذلك بأمر الله للتفخيم والتهويل وللإيذان بأن تحققه في نفسه وإتيانه منوطٌ بحكمه النافذ وقضائه الغالب ، وإتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع ، أو عن إتيان مبادئه القريبة على نهج إسناد حال الأسباب إلى المسببات . وأياً ما كان ففيه تنبيهٌ على كمال قربه من الوقوع واتصاله ، وتكميلٌ لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل : ١] فإن النهي عن استعجال الشيء وإن صح تفريعه على قرب وقوعه أو على وقوع أسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه ، إذ بالوقوع يستحيل الاستعجال رأساً ، لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مبادئه^٢ .
ولأن الاستعجال ورد في عدة أمور ذكرها ابن عطية^٣ وهي :

اثان منها للكفار : وهي في القيامة ، وفي العذاب ، والثالث : للمؤمنين في النصر وظهور الإسلام .
وقال ابن عطية — رحمه الله — : « ومن قال إن الأمر القيامة قال إن قوله ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل : ١] رد على المكذبين بالبعث القائلين متى هذا الوعد ، ومن قال إن الأمر تعذيب الكفار بنصر محمد ﷺ — وقتله لهم ، قال إن قوله ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل : ١] رد على القائلين ﴿ عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا ﴾ [سورة ص : ١٦] ونحوه من العذاب أو على مستبطي النصر من المؤمنين^٤ .



١١٤ / ٢ — المسألة الثانية : مرجع الضمير في ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ :

^١ — ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ — ٣١) .
^٢ — إرشاد العقل السليم : (٩٤ / ٥) .
^٣ — ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٧٧ / ٣) .
^٤ — المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٧٨ / ٣) .
١٠٠٨

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن مرجع الضمير في ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ يعود على الأمر ؛ حيث قال : « والظاهر عود الضمير في ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ على الأمر ؛ لأنه هـ _ المحدث عنه ^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن مرجع الضمير في ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ يعود على الأمر ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول العكبري ^٢ ، ووافقهما السمين الحلبي ^٣ ، واستظهره الألويسي ^٤ ، وهو ما يفهم من قول ابن زمنين ^٥ ، والواحدي ^٦ ، والماوردي ^٧ ، والسمعي ^٨ ، والبغوي ^٩ ، وابن الجوزي ^{١٠} ، والبيضاوي ^{١١} ، والخازن ^{١٢} ، والسعدي ^{١٣} ، والمراغي ^{١٤} .
واستدلوا بأنه هو المحدث عنه ^{١٥} .

القول الثاني : يعود على الله أي : فلا تستعجلوا الله بالعذاب ، أو بإتيان يوم القيامة كقوله :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [سورة الحج : ٤٧] ^{١٦} .

- ^١ _ البحر المحيط : (٤٥٩ / ٥) .
- ^٢ _ ينظر : التبيان في إعراب القرآن : (٧٨٨ / ٢) ، وإملاء ما من به الرحمن : (٣٧٣) .
- ^٣ _ الدر المصون : (١٨٧ / ٧) .
- ^٤ _ ينظر : روح المعاني : (٩٠ / ١٤) .
- ^٥ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٣٩٤ / ٢) .
- ^٦ _ ينظر : الوجيز : (٦٠٠ / ١) .
- ^٧ _ ينظر : النكت والعيون : (١٧٨ / ٣) .
- ^٨ _ ينظر : تفسير السمعي : (١٥٨ / ٣) .
- ^٩ _ ينظر : معالم التنزيل : (٧ / ٥) .
- ^{١٠} _ ينظر : زاد المسير : (٤٢٧ / ٤) .
- ^{١١} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٨٤ / ٣) .
- ^{١٢} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٠٥ / ٣) .
- ^{١٣} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩١٨ / ١) .
- ^{١٤} _ ينظر : تفسير المراغي : (٥٢ / ١٤) .
- ^{١٥} _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥٩ / ٥) ، والدر المصون : (١٨٧ / ٧) ، وروح المعاني : (٩٠ / ١٤) .
- ^{١٦} _ ينظر : البحر المحيط : (٤٥٩ / ٥) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على القولين ؛ وذلك لأن كلاهما متلازم ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^١ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٢ .

وقد احتملها ابن كثير^٣ ، وجوزهما البقاعي^٤ .

قال ابن كثير _ رحمه الله _ : « ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل : ١] يحتمل أن يعود الضمير على الله ، ويحتمل أن يعود على العذاب ، وكلاهما متلازم كما قال تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَعْتَةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٥٣] »^٥ .



^١ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

^٢ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦١) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٣٦) .

^٥ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦١) .

١١٥ / ٣ _ المسألة الثالثة : القراءة في ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ قراءة ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ بالياء ؛ وذلك لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب ، وذلك من الشرك ، حيث قال : « وأفضل قراءته ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ باستعجالهم ، لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب ، وذلك من الشرك »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلفت القراء في قراءة قوله تعالى ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : قرأ أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ بالياء على الخبر عن

أهل الكفر بالله ، وتوجيه الخطاب بالاستعجال إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، وكذلك قرءوا الثانية في قوله تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٣] بالياء^٢ ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ ، ووافقه أبو السعود^٣ .

قال أبو السعود _ رحمه الله _ : ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل :

١] أي تنزهه وتقدس بذاته وجل عن إشراكهم المؤدّي إلى صدور أمثال هذه الأباطيل عنهم ، أو عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه ، وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد إشراكهم واستمراره ، والالتفات إلى الغيبة للإيدان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب ، وحكاية شنائعهم لغيرهم ، وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين نفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه ، وقرئ على صيغة الخطاب^٤ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٩ / ٥) .

^٢ _ قرأ حمزة والكسائي وخلف بالخطاب _ بالتاء _ في الموضعين ، وقرأ الباقون بالغيب _ بالياء _ في الموضعين . ينظر : النشر : ٢ / ٢٨٢ ، والتيسير : (١٢١) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٦٤) .

^٣ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٩٤ / ٥ - ٩٥) .

^٤ _ إرشاد العقل السليم : (٩٤ / ٥ - ٩٥) .

القول الثاني: قرأ عامة قراء الكوفة بالتاء على توجيه الخطاب في قوله تعالى ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ إلى المشركين^١ ، ورجحه الطبري^٢ .

قال الطبري _ رحمه الله _ : « والقراءة بالتاء في الحرفين جميعاً على وجه الخطاب للمشركين أولى بالصواب لما بينت من التأويل ، أن ذلك إنما هو وعيد من الله للمشركين ، ابتداءً أوّل الآية بتهديدهم ، وختم آخرها بنكير فعلهم واستعظام كفرهم على وجه الخطاب لهم »^٣ .

الترجيح:

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على كلا القولين ؛ وذلك لأن كلا القراءتين متواترتان ، وإذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها ، أو رد معناها ، وهي بمتزلة آية مستقلة^٤ ؛ فكلاهما صواب ، فلا أرى ترجيح أحدهما على الأخرى .



^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٤) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٤) .

^٣ _ جامع البيان : (١٧ / ١٦٤) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٩) .

قال الله تعالى ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [٢] .

١١٦ / ٤ _ مسألة : المراد بالروح :

رجح أبو حيان أن المراد بالروح : الوحي ؛ حيث قال : « وقال ابن عباس : الروح الوحي تنزل به الملائكة على الأنبياء ، ونظيره ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [سورة غافر : ١٥] »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المتأولون في الروح على أقوال :

القول الأول : الروح الوحي تنزل به الملائكة على الأنبياء ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، ورجحه الألوسي^٣ ، والشنقيطي^٤ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن نظيره ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [سورة غافر : ١٥]^٥ .

٢ _ أن السياق يدل عليه ؛ وذلك أنه أتى بعد قوله تعالى ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [سورة النحل : ٢] قوله ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ [سورة النحل : ٢] ، والإنذار إنما يكون بالوحي بدليل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٥]^٦ .

القول الثاني : هو كل كلام الله ، وهو القرآن ، وهو قول الربيع بن أنس^٧ ، وابن زيد^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٥٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : النكت والعيون : (١٧٨ / ٣) ، وزاد المسير : (٤٢٨ / ٤) ، والمحزر الوجيز : (٣٧٨ / ٣) .

^٣ _ ينظر : روح المعاني : (٩٢ / ١٤) .

^٤ _ ينظر : أضواء البيان : (٢١٠ / ٣) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٦٥ / ١٧) .

^٦ _ ينظر : أضواء البيان : (٢١٠ / ٣) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٦٦ / ١٧) ، البحر المحيط : (٤٥٩ / ٥) .

^٨ _ ينظر : زاد المسير : (٤٢٨ / ٤) .

واستدلوا بقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [سورى الشورى : ٥٢] .^١

قال ابن الجوزي : «فعلى هذا سماه روحاً ؛ لأن الدين يحيا به ، كما أن الروح تحيي البدن»^٢ .
القول الثالث : النبوة ، وهو قول الحسن^٣ .

القول الرابع : ما تحيا به القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد ، وهو قول الزجاج^٤ ، والزمخشري^٥ .

واستدل لهذا القول بسياق الآية وهو قوله تعالى ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة النحل : ٢] .^٦

القول الخامس : الروح الرحمة ، وهو قول قتادة^٧ .

القول السادس : وقيل الروح جبريل^٨ .

واستدل لهذا القول بقوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٣] ، وتكون الباء للحال ، أي : ملتبسة بالروح ، وقيل : بمعنى مع^٩ .

القول السابع : وقيل الروح حفظة على الملائكة لا تراهم الملائكة كما الملائكة حفظة علينا لا نواهم^{١٠} .

القول الثامن : الروح اسم ملك ، وهو قول مجاهد أيضاً ، ومنه ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ [سورة النبأ : ٣٨] .^{١١}

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٧٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٥٩) .

^٢ _ زاد المسير : (٤ / ٤٢٨) .

^٣ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ١٠٩) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٩٠) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٢٣) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٩٠) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ /) ، والدر المنثور : (٥ / ١٠٩) .

^٨ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٥٩) .

^٩ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٥٩) .

^{١٠} _ المرجع السابق : (٥ / ٤٥٩) .

^{١١} _ المرجع السابق : (٥ / ٤٥٩) .

القول التاسع: المراد بالروح أرواح الخلق لا يتزل ملك إلا ومعه روح ، وهو قول مجاهد^١ .

القول العاشر: أن الروح خلق من خلق الله كصور ابن آدم لا يتزل من السماء ملك إلا ومعه

واحد منهم ، وهو مروى عن ابن عباس ، وقال نحوه ابن جريج^٢ .

وهو قريب من القول الذي قبله .

وضعفه ابن عطية فقال _ رحمه الله _ : « وهذا قول ضعيف لم يأت به سند »^٣

الترجيح:

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ هو القول الأول ، وهو ما رجحه أبو

حيان ومن معه ، أن المراد بالروح في الآية : الوحي ؛ ويؤيده ما استدل به أصحاب هذا القول :

١ _ أن نظيره ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [سورة

غافر : ١٥]^٤ ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك .

٢ _ أن السياق يدل عليه ؛ وذلك أنه أتى بعد قوله تعالى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ﴾ [سورة

النحل : ٢] قوله ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا ﴾ [سورة النحل : ٢] ، والإنذار إنما يكون بالوحي بدليل قوله

تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٥]^٦ ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله

وما بعده أولى من الخروج عنهما^٧ ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير

الآية^٨ .

وأما الأقوال بأن المراد بالوحي القرآن ، أو النبوة ، أو ما تحيا به القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو

بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد فهي قريبة من القول الأول ، ولا تتعارض معه فهي من باب

^١ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٥) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٦٦) ، والدر المنثور : (١٠٩ / ٥) .

فائدة : أخرج الأثر الطبري من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج عنه . وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة

ابن أبي نجيح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٤٥) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٧٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٥٩) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٧٨) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٥) .

^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

^٦ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٢١٠) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

^٨ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٩٩) .

التمثيل على جزء من أفراد الوحي ، فهي من باب اختلاف التنوع ، أو ما يسمى باختلاف التمثيل^١ .



^١ _ ينظر : التفسير اللغوي : (٢٢٢) .

قال الله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [٤] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١١٧ / ٥ _ المسألة الأولى : المراد بالإنسان :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالإنسان عموم الناس ، حيث قال : « وأكثر ما ذكر الإنسان في القرآن في معرض الذم ، أو مردفاً بالذم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالإنسان على قولين :

القول الأول : عموم الإنسان ، فالمراد جنس الإنسان ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ، وصححه السمعاني^٣ ، والبعوي^٤ ، وهو قول القرطبي^٥ ، وصححه الخازن^٦ ، ووافقه ابن جزري^٧ ، وابن كثير^٨ ، ومحمد بن علي البلنسي^٩ ، والثعالبي^{١٠} ، وصححه ابن عادل^{١١} ، وهو ما يفهم من كلام السعدي^{١٢} .

قال البغوي _ رحمه الله _ : « والصحيح أن الآية عامة ، وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه ، من جحد نعم الله مع ظهورها عليهم »^{١٣} ، ونحوه قال الخازن^{١٤} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٠) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٦٧) .

^٣ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٥٩) .

^٤ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٩) .

^٥ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٩٨) .

^٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٦) .

^٧ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٤) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦١) .

^٩ _ ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ١٠٤) .

^{١٠} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٢١) .

^{١١} _ ينظر : اللباب : (١٢ / ١١) .

^{١٢} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩١٩) .

^{١٣} _ معالم التنزيل : (٥ / ٩) .

^{١٤} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٦) .

وقال ابن عادل _ رحمه الله _ : « والصحيح أن الآية عامة ؛ لأن هذه الآيات ذكرت لتقرير الاستدلال على وجود الصانع الحكيم لا لتقرير وقاحة الناس وتماديهم في الكفر والكفران »^١ .
وقال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « وتعريف ﴿ الْإِنْسَانَ ﴾ للعهد الذهني ، وهو تعريف الجنس ، أي خلق الجنس المعلوم الذي تدعونه بالإنسان »^٢ .

القول الثاني : أن المراد بالإنسان : أبي بن خلف الجمحي ، وهو قول الواحدي^٣ .

قال الواحدي _ رحمه الله _ : « قوله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النحل : ٤] نزلت الآية في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله _ ﷺ فقال : يا محمد أترى الله يجي هذا بعد ما قد رم ، نظير هذه الآية قوله تعالى في سورة يس ﴿ أَوْلَمَ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة يس : ٧٧] إلى آخر السورة ، نازلة في هذه القصة »^٤ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، أن المراد بالإنسان في الآية جميع الناس ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وتدخل قصة أبي بن خلف في معنى الآية .
قال القونوي _ رحمه الله _ : « لا يلزم تخصيص الآية بذلك القائل ، وخصوص سبب النزول لا ينافي العموم »^٥ .



^١ _ اللباب : (١٢ / ١١) .

^٢ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٠٢) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٦) ، والوجيز : (١ / ٦٠٠) .

^٤ _ أسباب نزول القرآن : (١ / ١٠٠) .

^٥ _ حاشية القونوي : (١١ / ٢١٦) .

١١٨ / ٦ _ المسألة الثانية : نوع سياق هذين الوصفين (نطفة ، خصيم)

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن سياق هذين الوصفين سياق ذم ، حيث قال : « والظاهر أن سياق هذين الوصفين سياق ذم ؛ لما تقدم من قوله : سبحانه وتعالى ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ١] ، وقوله : ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا ﴾ [سورة النحل : ٢] الآية . ولتكرير ﴿ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٣] ، ولقوله في يس : ﴿ أَوْلَمَ يَرِ الْإِنْسَنُ ﴾ [سورة يس : ٧٧] الآية وقال : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٨] وعنى به مخاصمتهم لأنبياء الله وأوليائه بالحجج الداحضة ، وأكثر ما ذكر الإنسان في القرآن في معرض الذم ، أو مردفاً بالذم^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في سياق هذين الوصفين على قولين :

القول الأول : أن سياق هذين الوصفين سياق ذم ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ووافقه الشنقيطي^٢ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أنه يدل عليه ما تقدم من قوله : ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ١] ، وقوله : ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة النحل : ٢] الآية ، ولتكرير ﴿ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٣] .

٢ _ ولقوله في يس : ﴿ أَوْلَمَ يَرِ الْإِنْسَنُ ﴾ [سورة يس : ٧٧] الآية ، وقال : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٨]^٣ .

قال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « وقوله جل وعلا ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النحل : ٤] أظهر القولين فيه أنه ذم للإنسان المذكور ، والمعنى : خلقناه ليعبدنا ويخضع لنا ويطيع ففاجأ بالخصومة والتكذيب كما تدل عليه (إذا) الفجائية ، ويوضح هذا المعنى قوله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : ٥٦] مع قوله جل وعلا ﴿ أَوْلَمَ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٠) .

^٢ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٢١٤) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٦٠) .

وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ [سورة يس : ٧٧ - ٧٩] ، وقوله ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا . وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ٥٤ - ٥٥] ، وقوله ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا . أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ [سورة مريم : ٦٦ - ٦٧] إلى غير ذلك من الآيات »^١ .

وقال الألوسي - رحمه الله - : « قيل : أنسب بمقام تعداد هنات الكفرة ، فإنه قد اشتمل من بيان جراءة من كفر على الله تعالى وعدم استحياؤه منه سبحانه ووقاحته بتماديه في الكفر ، وذكر بعضهم أنه يؤيد هذا الوجه قوله تعالى في سورة يس بعد ما ذكر مثله ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [سورة يس : ٧٨] فإنه نص فيما ذكر ، فيكون صدر الآية للاستدلال وعجزها لتقرير الوقاحة ، وتعقب بأنه ليس بشيء ؛ لأنه مدار ما قبلها في تلك السورة على ذكر الحشر والنشر ومكابرتهم فيه بخلاف هذه ولكل مقام مقال ، وأما كون الآية مسوقة لتقرير وقاحة الإنسان لانتفاء التنافي بين الاستدلال على الوحدانية والقدرة وتقرير وقاحة المنكرين ؛ ولذا جعل التتميم لما قبله ﴿ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٣] ، فعدم المنافي لا يقتضى وجود المناسب ، وعندى لكل وجهة ، وفي الكشف المعنيان ملائمان للمقام إلا أن في الشايفي زيادة ملائمة مع قوله ﴿ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ٣] »^٢ .

القول الثاني : سياق الوصفين سياق المدح ، لأنه تعالى قواه على منازعة الخصوم ، وجعله مبین الحق من الباطل ، ونقله من تلك الحالة الجمادية وهو كونه نطفة إلى الحالة العالية الشريفة وهي حالة النطق والإبانة^٣ .

قال الرازي - رحمه الله - : « لقوله ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النحل : ٤] وجهان : أحدهما : فإذا هو منطبق مجادل عن نفسه ، منازع للخصوم بعد أن كان نطفة قدرة ، وجماداً لا حس له ولا حركة ، والمقصود منه : أن الانتقال من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الحالة العالية الشريفة لا

^١ - أضواء البيان : (٣ / ٢١٤) .

^٢ - روح المعاني : (٩٧ / ١٤) .

^٣ - ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٦٠) .

يُحْصَلُ إِلَّا بِتَدْبِيرِ مَدِيرٍ حَكِيمٍ عَلِيمٍ . وَالثَّانِي : فَإِذَا هُوَ خَصَّ بِمِ لِرَبِّهِ ، مَنْكَرَ عَلَى خَالِقِهِ ، قَائِلٌ : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [سورة يس : ٧٨] والغرض منه وصف الإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل ، والتمادي في كفران النعمة ، والوجه الأول أوفق ، لأن هذه الآيات مذكورة لتقرير وجه الاستدلال على وجود الصانع الحكيم ، لا لتقرير وقاحة الناس وتماديهم في الكفر والكفران ^١ .

وقال الألويسي - رحمه الله - : « مظهر للحجة لقن بها ، وقيل : المعنى أوجده من ذلك فإذا هو خصيم لخالفه سبحانه منكر لعظيم قدرته قائل ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [سورة يس : ٧٨] ، والأول أنسب بمقام الامتتان بإعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته جل جلاله ووحدته ^٢ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح - والله تعالى أعلم بالصواب - صحة حمل الآية الكريمة على القولين ، إلا أن القول الأول أنسب بمقام تعدد هَنَاتِ الكفرة ، والقول الثاني أنسب بمقام الامتتان بإعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته ، فهو أعم من القول الأول ؛ فلاآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع ^٣ . وهو قول ابن جزري ^٤ ، وأبي السعود ^٥ ، والسعدي ^٦ .

قال ابن جزري - رحمه الله - : « ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة النحل : ٤] فيه وجهان : أحدهما : أن معناه : متكلم يخاصم عن نفسه ، والثاني : يخاصم في ربه ودينه ، وهذا في الكفار والأول أعم ^٧ .

^١ - التفسير الكبير : (١٩ / ٢٣١) .

^٢ - روح المعاني : (٩٦ / ١٤) .

^٣ - ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٤ - ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٤) .

^٥ - ينظر : إرشاد العقل السليم : (٩٦ / ٥) .

^٦ - ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩١٩) .

^٧ - التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٤) .

وقال أبو السعود _ رحمه الله _ : « وهذا أنسبُ بمقام الامتنانِ بإعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته ، أو مخاصمٌ لخالقه منكرٌ له قائلٌ : ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [سورة يس : ٧٨] وهذا أنسبُ بمقام تعداد هَنَاتِ الكفرة »^١ .

وقال السعدي _ رحمه الله _ : « ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة النحل : ٤] يحتمل أن المراد : فإذا هو خصيم لربه ، يكفر به ، ويجادل رسله ، ويكذب بآياته . ونسي خلقه الأول وما أنعم الله عليه به من النعم فاستعان بها على معاصيه ، ويحتمل أن المعنى : أن الله أنشأ الآدمي من نطفة ، ثم لم يزل ينقله من طور، إلى طور حتى صار عاقلاً متكلماً ، ذا ذهن ورأي : يخاصم ويجادل ، فليشكر العبد ربه الذي أوصـله إلى هذه الحال التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها »^٢ .



^١ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٦) .

^٢ _ تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩١٩) .

قال الله تعالى ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٧] .

١١٩ / ٧ _ المراد بالبلد .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أنه لا يراد بالبلد بلد معين ، حيث قال : « وقوله : ﴿ إِلَىٰ ﴾ بلد ، لا يراد به معين أي : إلى بلد بعيد توجهتم إليه لأغراضكم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في البلد المذكور على قولين :

القول الأول : أنه لا يراد به معين ، أي : أنه عام في كل بلد يقصده المسافر ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الواحدي^٢ ، وابن عطية^٣ ، وصححه ابن الجوزي^٤ ، ورجحه الخازن^٥ ، واستظهره أبو السعود^٦ ، وهو قول ابن جزى^٧ ، واستظهره محمد بن علي البلنسي^٨ ، والشوكاني^٩ ، والألوسي^{١٠} وهو قول الأكثرين^{١١} _ رحمهم الله _ .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أنه خطاب عام .

قال الخازن _ رحمه الله _ : « وحمله على العموم أولى ؛ لأنه خطاب عام ، فدخل الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين »^{١٢} .

٢ _ أن البلد في الآية : اسم جنس للبلد الذي يرتحلون إليه .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٢) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٣٦) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٦) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٨٠) .

^٤ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٣٠) .

^٥ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٧) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٧) .

^٧ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٥) .

^٨ _ ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ١٠٤) .

^٩ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٤٨) .

^{١٠} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٠٠) .

^{١١} _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٣٠) ، وتفسير مبهمات القرآن : (٢ / ١٠٤) .

^{١٢} _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٧) .

قال الطاهر ابن عاشور _ رحمه الله _ : « والمراد بـ ﴿بَلَدٍ﴾ جنس البلد الذي يرتحلون إليه ، كالشام واليمن بالنسبة إلى أهل الحجاز ، ومنهم أهل مكة في رحـ لة الصيف والشتاء والرحلة إلى الحج »^١ .

القول الثاني : المراد به معين^٢ .

ثم اختلفوا في تحديد البلد على أقوال :

أحدها : أن المراد بالبلد مكة ، وهو مروى عن ابن عباس^٣ ، وعكرمة^٤ ، والربيع بن أنس^٥ .

قال الماوردي _ رحمه الله _ : « لأنها من بلاد الفلوات »^٦ .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وفي الآية على هذا حض على الحج »^٧ .

وقال أبو السعود _ رحمه الله _ : « ولعله _ أي القائل لهذا القول _ نظر إلى أن أثقالهم وأحمالهم

عند القفول من متاجرهم أكثر ، وحاجتهم إلى الحمولة أمس »^٨

الثاني : مدينة الرسول ﷺ _^٩ .

الثالث : أريد به اليمن ومصر والشام ، وهو مروى عن ابن عباس^{١٠} .

قال الواحدي _ رحمه الله _ : « لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه الوجوه »^{١١} ، ونحوه قال

أبو السعود^{١٢} .

الترجيح :

^١ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٠٦) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٦٢) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٧) ، والدر المنثور : (٥ / ١١٠) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٧٠) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٦٢) .

^٦ _ النكت والعيون : (٣ / ١٨٠) .

^٧ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٨٠) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٧) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٦٢) .

^{١٠} _ ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٤٦٢) .

^{١١} _ الوسيط : (٣ / ٥٦) .

^{١٢} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٧) .

مما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو القول بالعموم لكل بلد بعيد يقصد ؛ وذلك لما استدلوا به من أن الخطاب عام ، وأن البلد يراد به الجنس ، ولأن القول بتعيين البلد لا دليل على تخصيصه ، ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^١ .

وما ذكر في القول الثاني من تخصيص بعض البلاد إنما هو من جهة التمثيل لبعض البلاد التي تشد إليها الرحال عادةً .

قال أبو حيان عن هذه الأقوال : « وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على المراد ؛ إذ المنة لا تختص بالحمل إليها^٢ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٢) .

قال الله تعالى ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . [٨]

١٢٠ / ٨ _ مسألة : المراد بقوله ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد : نفي العلم عن ذوات ما يخلق تعالى ، حيث قال : « والظاهر نفي العلم عن ذوات ما يخلق تعالى ، فقال الجمهور : المعنى ما لا تعلمون من الآدميين والحيوانات والجمادات التي خلقها كلها لمنافعكم ، فأخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ؛ لتزداد دلالة على قدرته بالإخبار ، وإن طوى عنا علمه حكمة له في طيه ، وما خلق تعالى من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمه بشر ... »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المراد : نفي العلم عن ذوات ما يخلق تعالى ، ويراد به العموم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول النحاس^٢ ، وابن زمين^٣ ، والزنجشيري^٤ ، وابن عطية^٥ ، والرازي^٦ ، والنسفي^٧ ، ووافقهم ابن جزري^٨ ، والثعالبي^٩ ، والشوكاني^{١٠} ، والألوسي^{١١} ، والطاهر ابن عاشور^{١٢} ، والسعدي^{١٣} ، والشنقيطي^{١٤} ، والمراغي^١

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٢) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (٤ / ٥٧) .

^٣ _ ينظر : تفسير ابن زمين : (٢ / ٣٩٦) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٢٦) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٨٠) .

^٦ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٩ / ٢٣٦) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨١) .

^٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٥) .

^٩ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٢٢) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٤٩) .

^{١١} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٠٢) .

^{١٢} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١١١) .

^{١٣} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٢٠) .

^{١٤} _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٢١٨ - ٢١٩) .

^١ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٥٧) .

وهو قول الجمهور^١ .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وقوله ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ عبرة منصوبة على العموم ، أي أن مخلوقات الله من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمها بشر ، بل ما يخفى عنه أكثر مما يعلمه »^٢ .
وقال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « قوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يخلق ما لا يعلم المخاطبون وقت نزولها ، وأبهم الذي يخلقه لتعبيره عنه بالموصول ولم يصرح هنا بشيء منه ، ولكن قرينة ذكر ذلك في معرض الامتنان بالمركوبات تدل على أن منه ما هو من المركوبات ، وقد شوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية ، كالمطائرات ، والقطارات ، والسيارات وقد ذكر في موضع آخر : أنه يخلق ما لا يعلمه خلقه غير مقترن بالامتنان بالمركوبات ، وذلك في قوله ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يس : ٣٦] »^٣ .

القول الثاني : ما لا تعلمون أصل حدوثه كالسوس في النبات والدود في الفواكه ، وهو قول مجاهد^٤ ، وقتادة^٥ ، والسدي^٦ .

القول الثالث : لا تعلمون كيف يخلقه ، وهو قول ابن بحر^٧ .

القول الرابع : هو ما أعد الله لأوليائه في الجنة : ملم لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وهو قول مقاتل^٨ ، والطبري^٩ .

الترجيح :

^١ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٨٠) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٨٠) ، والبحر المحييط : (٥ / ٤٦٢) .

^٢ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٨٠) .

^٣ _ أضواء البيان : (٣ / ٢١٨ - ٢١٩) .

^٤ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ١١٣) .

^٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٩) ، ومعالم التنزيل : (٥ / ١١) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٨٠) ، والبحر المحييط : (٥ / ٤٦٢) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٤ / ٥٧) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٨٠) .

^٧ _ ينظر : البحر المحييط : (٥ / ٤٦٢) .

^٨ _ ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٤٦٢) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٧٤) .

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو القول بالعموم لكل ما يخلقه مما لا يعلمه العباد ؛ لأنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^١ .

قال أبو السعود _ رحمه الله _ : « ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي يخلق في الدنيا غير ما عُد من أصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه ، فالعدول إلى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة ، أو يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون أي ما ليس من شأنكم أن تعلموه ، ويجوز أن يكون هذا إخباراً بأنه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة^٢ .
أما الأقوال الأخرى فذكرت على سبيل المثال لبعض ما خلقه الله تعالى .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وكل من خصص في تفسير هذه الآية شيئاً ، كقول من قال سوس الثياب وغير ذلك فإنما هو على جهة المثال ، لا أن ما ذكره هو المقصود في نفسه^٣ . ونحوه قال ابن جزري^٤ .

وقال الشوكاني _ رحمه الله _ : « ولا وجه للاقتصار في تفسير هذه الآية على نوع من هذه الأنواع ، بل المراد أنه سبحانه يخلق ما لا يعلم به العباد ، فيشمل كل شيء لا يحيط علمهم به^٥ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٢ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٨) .

^٣ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٣٨٠) .

^٤ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٥) .

^٥ _ فتح القدير : (٣ / ١٤٩) .

قال الله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٩] .

في الآية الكريمة أربع مسائل :

١٢١ / ٩ _ المسألة الأولى : المراد بقوله ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المعنى : وعلى الله تبيين طريق الهدى ، حيث قال : « والمعنى : وعلى الله تبيين طريق الهدى ، وذلك بنصب الأدلة وبعثة الرسل »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بقوله ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المعنى : وعلى الله تبيين طريق الهدى ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، ومجاهد^٣ ، وقتادة^٤ ، وابن زيد^٥ ، والضحاك^٦ ، وقول الطبري^٧ ، والزجاج^٨ ، والسمرقندي^٩ ، والسمعاني^{١٠} ، والبغوي^{١١} ، والقرطبي^{١٢} ، والخازن^{١٣} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٧٥) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم في : (٧ / ٢٢٧٨) ، والدر المنثور : (٥ / ١١٤) .

^٣ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٥) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٧٥) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٨) ، والدر المنثور : (٥ / ١١٤) .

فائدة : أخرج ابن جرير الأثر من طريق ابن أبي نجیح ، وابن جريج ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجیح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٤٩) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٧٥) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٧٨) ، والدر المنثور : (٥ / ١١٤) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٧٥) ، والدر المنثور : (٥ / ١١٥) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٧٦) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٧٤) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٩٢) .

^٩ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٧) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٦٢) .

^{١١} _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ١١) .

^{١٢} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٨١) .

^{١٣} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٨) .

والنسفي^١، ووافقه ابن جزري^٢، وابن عادل^٣، والبقاعي^٤، والسيوطي^٥، وأبو السعود^٦، والشوكاني^٧، والطاهر ابن عاشور^٨، والمراغي^٩.

قال النسفي _ رحمه الله _ : « ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ ... ومعناه : أن هداية الطريق الموصل إلى الحق عليه كقوله ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ [سورة الليل : ١٢] وليس ذلك للوجوب ؛ إذ لا يجب على الله شيء ، ولكن يفعل ذلك تفضلاً »^{١٠}.

وقالوا هو نحو قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٣] ، وقوله ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة الحجر : ٤١]^{١١}.

القول الثاني : أن من سلك السبيل القاصد فعلى الله رحمته وتنعيمه طريقه وإلى ذلك مصيره ، و هذا القول احتمله ابن عطية^{١٢}.

وبين _ رحمه الله _ أن هذا مثل قوله تعالى ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة الحجر :

٤١] ، وضد قول النبي _ ﷺ _ : « والشر ليس إليك »^{١٣} أي : لا يفضي إلى رحمتك^{١٤}.

وجمع بين القولين السابقين الثعالبي حيث قال : « وقوله سبحانه : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ الآية : هذه أيضاً من أجل نعم الله تعالى ، أي : على الله تقويم طريق الهدى ، وتبيينه بنصب الأدلة ،

^١ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨١) .

^٢ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٥) .

^٣ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ١٩) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٤٠) .

^٥ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢١) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٩) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٤٩) .

^٨ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١١٢) .

^٩ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٥٨) .

^{١٠} _ مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨١) .

^{١١} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٥٨) .

^{١٢} _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨١) .

^{١٣} _ أخرجه مسلم في صحيحه ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، (١ / ٥٣٤ _ ٥٣٥) ، ح : (٧٧١) .

^{١٤} _ ينظر : المرجع السابق : (٣ / ٣٨١) .

وبعثِ الرسل ، وإلى هذا ذهب المتأولون ، ويحتمل أن يكون المعنى : أن مَنْ سلك السبيلَ القاصِدَ ، فعلى الله ، ورحمته وتنعيمه طريقه ، وإلى ذلك مصيره»^١ .

القول الثالث : أن طريق الحق التي هي قصد السبيل على الله أي موصلة إليه ، ليست حادثة ، ولا جائرة عن الوصول إليه وإلى مرضاته ، وهو قول مجاهد^٢ ، والواحدي^٣ ، وابن كثير^٤ ، والسعدي^٥ ، واستظهره الشنقيطي^٦ .

قال ابن كثير _ رحمه الله _ : « وقولُ مجاهد هاهنا أقوى من حيث السياق ؛ لأنه تعالى أخبر أن ثم طريقاً تسلك إليه ، فليس يصل إليه منها إلا طريقُ الحق ، وهي الطريق التي شرعها ورضيها وما عداها مسدودة ، والأعمال فيها مردودة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ أي : حائد مائل زائغ عن الحق»^٧ .

وقال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « قوله ت _ ع _ الى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ فأعلمك أن في معنى الآية الكريمة وجهين معروفين للعلماء ، وكل منهما له مصداق في كتاب الله ، إلا أن أحدهما أظهر عندي من الآخر .

الأول منهما : أن معنى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ : أن طريق الحق التي هي قصد السبيل على الله أي موصلة إليه ، ليست حادثة ، ولا جائرة عن الوصول إليه وإلى مرضاته . ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ أي : ومن الطريق جائر لا يصل إلى الله ، بل هو زائغ وحائد عن الوصول إليه . ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٣] ، وقوله : ﴿ وَأَنَّ عِبَادِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة يس : ٦١] .

^١ _ الجواهر الحسان : (٢ / ٢٢٢) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٧ _ ٥٨) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٢ / ٥٦٣) ، وأضواء البيان : (٣ / ٢٢٠) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٧ _ ٥٨) ، والوجيز : (١ / ٦٠١) .

^٤ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٣) .

^٥ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٢٠) .

^٦ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٢٢٠) .

^٧ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٣) .

ويؤيد هذا التفسير قوله بعده : ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ وهذا الوجه أظهر عندي . واستظهره ابن كثير وغيره ، وهو قول مجاهد .

الوجه الثاني : أن معنى الآية الكريمة : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ أي عليه حل وعلا أن يبين لكم طريق الحق على السنة رسله .

ويدل لهذا الوجه قوله تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [سورة النساء : ١٦٥] ، وقوله ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [سورة الإسراء : ١٥] ، وقوله ﴿ فَأَتَمَّا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُبِينِ ﴾ [سورة التغابن : ١٢] إلى غير ذلك من الآيات .

وعلى هذا القول ، فمعنى قوله : ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ غير واضح ، لأن المعنى : ومن طريق جائر عن الحق ، وهو الذي نهاكم الله عن سلوكه ، والجائر : المائل عن طريق الحق . والوجهان المذكوران في هذه الآية جاريان في قوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ [الليل : ١٢] الآية ^١ .

وجمع بين الأقوال الثلاثة البيضاوي حيث قال : « ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ بيان مستقبل الطريق الموصل إلى الحق ، أو إقامة السبيل وتعديلها رحمةً وفضلاً ، أو عليه قصد السبيل يصل إليه من يسلكه لا محالة ^٢ .

القول الرابع : أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه ، وهو قول الزمخشري ^٣ .

واستدل بقوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ [سورة الليل : ١٢] ^٤ .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « وهو تفسير على طريقة الاعتزال ^٥ .

وقال ابن عادل _ رحمه الله _ في الرد على هذا القول : « وأجيب : بأن المراد أن على الله

- تعالى - بحسب الفضل والكرم ؛ أن يبين الدين الحق ، والمذهب الصحيح ، فأما أن يبين كيفية الإغواء والإضلال ؛ فذلك غير واجب ^٦ .

^١ _ أضواء البيان : (٣ / ٢٢٠) .

^٢ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٨٧) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٢٦) .

^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (٣ / ٤٢٦) .

^٥ _ البحر المحيط : (٧ / ٢١٩) .

^٦ _ اللباب : (١٢ / ١٩ - ٢٠) .

ويرد على قول الزمخشري تنمة الآية وهي قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^١ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على الأقوال الثلاثة الأولى كما قال البيضاوي ؛ لأن الله تعالى بين طريق الهدى كما قال ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ [سورة الليل : ١٢] ، وبين أن الطريق المستقيم موصل لرضاه كما قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٣] ، وبين أن من سلكه كان جزاؤه التمتع بما أعدة الله تعالى لأصحاب الصراط المستقيم كما قال تعالى ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٦ - ٧] ؛ حيث بين المنعم عليهم في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء : ٦٩] .

ويؤيد هذا القول أنه إذا ورد أكثر من معنى صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٢ ، كما أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٣ .



^١ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٢٦) ، هامش رقم (١) .

^٢ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

١٢٢ / ١٠ _ المسألة الثانية : نوع (أل) في ﴿السَّبِيلِ﴾ والمراد بـ ﴿السَّبِيلِ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن (أل) في ﴿السَّبِيلِ﴾ : للعهد ، و المراد بالسبيل : سبيل الشرع ، حيث قال : «(وأل) فيه للعهد ، وهي سبيل الشرع ، وليست للجنس ؛ إذ لو كانت له لم يكن منها جائئ»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في نوع (أل) في ﴿السَّبِيلِ﴾ والمراد بـ ﴿السَّبِيلِ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن (أل) في ﴿السَّبِيلِ﴾ : للعهد ، و المراد بالسبيل : سبيل الشرع ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٢ ، ووافقهما الثعالبي^٣ .
واستدل لهذا القول بأنه لو كانت للجنس لم يكن منها جائئ^٤ .

القول الثاني : أن (أل) في ﴿السَّبِيلِ﴾ : للجنس ؛ ولذلك أضاف إليها القصد ، وهو قول الزمخشري^٥ ، والبيضاوي^٦ ، وابن جزري^٧ ، وأبي السعود^٨ ، واستظهره الألويسي^٩ ، واستدلوا على ذلك بإضافة القصد إلى السبيل^{١٠} .

قال الألويسي _ رحمه الله _ : «(وقوله تعالى ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أي : عادل عن المحجة منحرف عن الحق لا يوصل سالكه إليه ، ظاهر في إرادة الجنس ؛ إذ البعضية إنما تتأتى على ذلك ، فإن الجائر على إرادة العهد ليس من ذلك بل قسمه»^{١١} .

الترجيح :

- ^١ _ البحر المحيط : (٤٦٢ / ٥) .
- ^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٨١ / ٣) .
- ^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٢٢ / ٢) .
- ^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٨١ / ٣) ، والبحر المحيط : (٤٦٢ / ٥) .
- ^٥ _ ينظر : الكشاف : (٤٢٦ / ٣) .
- ^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٨٨ / ٣) .
- ^٧ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٧٥ / ٢) .
- ^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٩٩ / ٥ - ١٠٠) .
- ^٩ _ روح المعاني : (١٠٣ / ١٤) .
- ^{١٠} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٨٨ / ٣) ، وإرشاد العقل السليم : (٩٩ / ٥ - ١٠٠) .
- ^{١١} _ روح المعاني : (١٠٣ / ١٤) .

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن (أل) للعهد ؛ ويؤيده أن سياق الآية في بيان سبيل الشرع والهداية إليه ، بدليل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة النحل : ٩] ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما ^١ .



^١ _ قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي ١ / ١٢٥ .

١٢٣ / ١١ _ المسألة الثالثة : مرجع الضمير في ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ عود الضمير في ﴿ وَمِنْهَا ﴾ على السبيل ، فقال : « وعلى أن (أ ل) للعهد يكون الضمير في قوله : ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ عائداً على السبيل التي يتضمنها معنى الآية ، كأنه قيل : ومن السبيل جائر ، فأعاد عليها وإن لم يجر لها ذكر ؛ لأنَّ مقابلها يدل عليها »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ :

القول الأول : عود الضمير في ﴿ وَمِنْهَا ﴾ على السبيل التي يتضمنها معنى الآية ، كأنه قيل : ومن السبيل جائر ، فأعاد عليها وإن لم يجر لها ذكر ؛ لأنَّ مقابلها يدل عليها^٢ ، و لتضمن لفظة السبيل بالمعنى لها^٣ ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الأخفش^٤ ، والعكبري^٥ ، ووافقهم ابن جزري^٦ ، والشوكاني^٧ ، والطاهر ابن عاشور^٨ .

القول الثاني : أن يعود الضمير في ﴿ وَمِنْهَا ﴾ على سبيل الشرع ، وتكون من للتبعية ، والمراد : فرق الضلالة من أمة محمد ﷺ _ ، كأنه قال : ومن بنيات الطرق في هذه السبيل ، ومن شعبها ، وهذا القول احتمله ابن عطية^٩ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٣) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٦٣) ، و الدر المصون : (٧ / ١٩٦) .

^٣ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨١) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٦٠٥) .

^٥ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٤) .

^٦ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٥) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٤٩) .

^٨ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١١٢) .

^٩ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨١) .

القول الثالث : أن الضمير في ﴿ وَمِنْهَا ﴾ يعود على الخلائق أي : ومن الخلائق جائر عن الحق .
ويؤيده قراءة عيسى^١ : ومنكم جائر ، وكذا هي في مصحف عبد الله ، وقراءة علي : فمنكم جائر
بالفاء^٢ .

وضعه الألوسي حيث قال : « وزعم بعضهم أن الضمير يعود على الخلائق ، أي : ومن الخلائق
جائر عن الحق ، وأيد بقراءة عيسى ، ورويت عن ابن مسعود (ومنكم) ، وأخرجها ابن الأنباري
في المصاحف عن علي كرم الله تعالى وجهه لكن بالفاء بدل الواو ، وليس بذلك »^٣ .
وبين النحاس أن هذا القول على التفسير^٤ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — صحة حمل الآية الكريمة على
القولين الأولين ؛ لأنّهما تجمع الآية بين الخارجين عن الإسلام والعصاة من المؤمنين ومن الفرق
الضالة ، فالآية تحتل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما .
قال ابن عطية — رحمه الله — : « وقوله ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ يريد : طريق اليهود والنصارى ،
وغيرهم كعبدة الأصنام ، والضمير في ﴿ وَمِنْهَا ﴾ يعود على : السبيل التي تضمنها معنى الآية ، كأنه
قال : ومن السبيل جائر ، فأعاد عليها ، وإن كان لم يجر له ذكر لتضمن لفظة السبيل بالمعنى لها ،
ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿ وَمِنْهَا ﴾ على : سبيل الشرع المذكورة ، وتكون من للتبعيض ، ويكون
المراد : فرق الضلالة من أمة محمد — ﷺ — ، كأنه قال ومن بنيات الطرق في هـ — هذه السبيل ومن
شعبها جائر »^٥ .



^١ — عيسى بن وردان المدني ، إمام مقرئ ، حاذق ، وراوٍ محقق ، ضابط ، توفي سنة ١٦٠ هـ . ينظر : غاية
النهاية : (١ / ٦١٦) ، و معرفة القراء الكبار : (١ / ٩٢) .

^٢ — ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٤) ، وجامع البيان : (١٧ / ١٧٦) ، ومعاني القرآن ، للنحاس :
(٤ / ٥٨) ، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨١) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٨١)
والبحر المحيط : (٥ / ٤٦٣) .

^٣ — روح المعاني : (١٤ / ١٠٣) .

^٤ — ينظر : معاني القرآن : ٤ / ٥٨ .

^٥ — المحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨١) .

١٢٤ / ١٢ _ المسألة الرابعة : المراد بـ ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بقوله تعالى : ﴿لَهَدَيْكُمْ﴾ : لخلق فيكم الهداية ؛ حيث قال : « و ﴿لَهَدَيْكُمْ﴾ : لخلق فيكم الهداية فلم يضل أحد منكم وهي مشيئة الاختيار »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿لَهَدَيْكُمْ﴾ على أقوال :

القول الأول : لخلق فيكم الهداية فلم يضل أحد منكم وهي مشيئة الاختيار ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، وابن زيد^٣ ، وقول الطبري^٤ ، وابن عطية^٥ . والبيضاوي^٦ ، والخازن^٧ ، ووافقهم ابن عادل^٨ ، والبقاعي^٩ ، والسيوطي^{١٠} ، وأبو السعود^{١١} ، والشوكاني^{١٢} ، والألوسي^{١٣} ، والشنقيطي^{١٤} .

واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة يونس : ٩٩] ، وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [سورة السجدة : ١٣] ، وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأنعام :

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٣) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٨) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٧٧) ، والدر المنثور : (٥ / ١١٥) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٧٦) ،

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨١) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٨٨) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٨) .

^٨ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٢٠) .

^٩ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٤١) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢١) .

^{١١} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٩٩) .

^{١٢} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٤٩) .

^{١٣} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٠٤) .

^{١٤} _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٢٢١) .

٣٥] ، وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٧] إلى غير ذلك من الآيات^١ .

قال أبو السعود _ رحمه الله _ : « قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَانَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة النحل : ٩] أي : لو شاء أن يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد هدايةً موصلةً إليه البتة مستلزماً لاهتدائكم أجمعين لفعل ذلك ، ولكن لم يشأه لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ، ولا حكمة في تلك المشيئة لما أن الذي عليه يدور فلَكُ التكليف وإليه ينسحب الثواب والعقاب إنما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الأعمال التي بها نيظ الجزاء^٢ .

القول الثاني : لفرض عليكم آية تضطركم إلى الإيمان به ، وهو قول الزجاج^٣ ، والنحاس^٤ ، ونحوه قال الزمخشري حيث قال : « ولو شاء لهداكم أجمعين قسراً وإجاءً^٥ .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وهذا قول سوء لأهل البدع الذين يرون أن الله لا يخلق أفعال العباد لم يحصله الزجاج ووقع فيه رحمه الله عن غير قصد^٦ .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « ولم يعرف ابن عطية أن الزجاج معتزلي^٧ ؛ فلذلك تأول أنه لم يحصله وأنه وقع فيه من غير قصد^٨ .

القول الثالث : لو شاء لهداكم إلى الثواب أو إلى الجنة بغير استحقاق ، وهو قول أبي علي^٩ .

الترجيح :

^١ ينظر : جامع البيان : (١٧٧ / ١٧) ، والكشف والبيان : (٩ / ٦) ، ومعالم التنزيل : (١١ / ٥) ،

وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٥٦٣ / ٢) ، وأضواء البيان : (٢٢١ / ٣) .

^٢ _ إرشاد العقل السليم : (٩٩ / ٥) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (١٩٢ / ٣) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (٥٨ / ٤) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٤٢٧ / ٣) .

^٦ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٨١ / ٣) .

^٧ _ المعتزلة : هم عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء وأصحابهما ، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد الموت الحسن البصري _ رحمه الله تعالى _ ، ومذهبهم الفاسد بنوه على خمسة أصول : العدل والتوحيد ، وإنفاذ الوعيد ، والمترلة بين المترلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد لبسوا في هذه الأصول الخمسة الحق بالباطل ، ومرادهم بهذه الأصول غير ما يتبادر إلى ذهن القارئ . ينظر : شرح العقيدة الطحاوية : (٣١٧ ، ٥٢١) .

^٨ _ البحر المحيط : (٤٦٣ / ٥) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٦٣ / ٥) .

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد لخلق فيكم الهداية فلم يضل أحد منكم وهي مشيئة الاختيار ؛ لما استدلوا به من الآيات في ذلك ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^١ .

^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

قال الله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [١٠] .

١٢٥ / ١٣ _ المراد بالشجر في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالشجر في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ : كل ما تنبته الأرض ؛ حيث قال : « والشجر هنا كل ما تنبته الأرض »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المراد بالشجر في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ قولان :

القول الأول : كل ما نبت على الأرض فهو شجر ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزجاج^٢ ، والواحدي^٣ ، ووافقهم أبو السعود^٤ ، والألوسي^٥ .

واستدلوا : بقول الشاعر يصف الخيل :

يعلفها اللحم إذا عز الشجر والخيل في إطعامها اللحم ضرر^٦ .

يعني أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجدبت الأرض^٧ .

القول الثاني : المراد بهذه الشجر المرعى ، وهو قول ابن قتيبة^٨ ، والزخشي^٩ ، والبيضاوي^{١٠} .

واستدلوا بما جاء في حديث عكرمة : « لا تأكلوا الشجر فإنه سحت ، يعني الكلاً »^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٤) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٩٢) .

^٣ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦٠١) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٠) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٠٥) .

^٦ _ ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : (٢ / ١٦١) ، ولسان العرب : (٩ / ٢٥٦) ، مادة : (علف) .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٩٢) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٣٣) .

^٨ _ زاد المسير : (٤ / ٤٣٣) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٢٧) .

^{١٠} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٨٨) .

^{١١} _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٤) . والحديث لم أفد على من أخرجه .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو العموم في كل ما نبت على الأرض ؛ ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^١ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

قال الله تعالى ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَذَكَّرُونَ ﴾ [١٣] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٢٦ / ١٤ _ المسألة الأولى : المراد بـ ما ذراه الله تعالى في الأرض :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بما ذراه الله تعالى في الأرض : ما خلق فيها من حيوان
وشجر وثمر وغير ذلك ؛ حيث قال : « ﴿ وَمَا ذَرَأَ ﴾ معطوف على الليل والنهار ، يعني : ما خلق
فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف العلماء في المراد بـ ما ذراه الله تعالى في الأرض على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المراد ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك ، وهو ما رجحه أبو حيان
موافقاً للمروي عن قتادة^٢ ، وقول الطبري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، والشعبي^٥ ،
والواحدي^٦ ، والبغوي^٧ ، والزمخشري^٨ ، والقرطبي^٩ ، والبيضاوي^{١٠} ، والحازن^{١١} ،
والنسفي^{١٢} ، ووافقهم السمين الحلبي^{١٣} ، وابن جزي^{١٤} ، والبقاعي^{١٥} ،
والسيوطي^{١٦} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٦٥ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٣٨ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٨٠ / ١٧) ، والدر المنثور : (١١٥ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٨٠ / ١٧) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٦٨ / ٢) .

^٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (١١ / ٦) .

^٦ _ ينظر : الوسيط : (٥٨ / ٣) ، والوجيز : (٦٠٢ / ١) .

^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (١٢ / ٥) .

^٨ _ ينظر : الكشف : (٤٢٨ / ٣) .

^٩ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٨٤ / ١٠) .

^{١٠} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٨٩ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٠٨ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٢ / ١) .

^{١٣} _ ينظر : الدر المصون : (١٩٩ / ٧) .

^{١٤} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٧٦ / ٢) .

^{١٥} _ ينظر : نظم الدرر : (٤٤٤ / ٤) .

^{١٦} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٢) .

وأبو السعود^١ ، والسعدي^٢ ، والشنقيطي^٣ .

القول الثاني : أن المراد ما يتناسل من المخلوقات ، وهو قول الطاهر ابن عاشور ؛ حيث قال : «
والذرة : الخلق بالتناسل والتولد بالحمل والتفريخ ، فليس الإنبات ذرءاً ، وهو شامل للأنعام
والكراع^٤ » .^٥

ويرد على هذا القول ما يلي :

١ _ قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام : ١٣٦]^٦ .

٢ _ وروده في اللغة : يقال ذرأ : ومنه : الذرية ، والأرض بذرها ، وزرع ذريء^٧ .

القول الثالث : المراد به المعادن^٨ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه
أبو حيان ومن معه ، وهو القول بالعموم ؛ ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم
يرد نص بالتخصيص^٩ ، وعليه فالقول الأول شامل للقول الثاني .

قال ابن كثير _ رحمه الله تعالى _ : « ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة من
الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها ، وما فيها من المنافع
والخواص »^{١٠} . ونحوه قال المراغي^{١١} .

وكذلك قال الألوسي _ رحمه الله _ : « و ﴿ وَمَا ﴾ موصولة أي : والذي ذرأ لكم في الأرض
من حيوان ونبات ، وقيل : من المعادن ، ولا بأس في التعميم »^١ .

^١ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٠٢ / ٥) .

^٢ _ تيسير الكريم الرحمن : (٩٢١ / ١) .

^٣ _ ينظر : أضواء البيان : (٢٢٧ / ٣) .

^٤ _ الكراع : الأنتى من الغنم والبقر مستدق الساعد . ينظر : المصباح المنير : (٢٧٤) .

^٥ _ التحرير والتنوير : (١١٧ / ١٤) .

^٦ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٣٢٧) .

^٧ _ ينظر : القاموس المحيط : (٤٠) مادة : ذرأ .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٦٥ / ٥) .

^٩ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٥٢٧ / ٢) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٦٤ / ٢) .

^{١١} _ تفسير المراغي : (٦٠ / ١٤) .

^١ _ روح المعاني : (١١٠ / ١٤) .

١٢٧ / ١٥ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿أَلْوَانُهُ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بألوانه : البياض والسواد وغير ذلك ؛ حيث قال : « وما ذراً معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك . مختلفاً ألوانه : من البياض والسواد وغير ذلك »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف العلماء في المراد بـ ﴿أَلْوَانُهُ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المراد بألوانه : البياض والسواد وغير ذلك ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول السمرقندي^٢ ، ووافقهما البقاعي^٣ ، والسيوطي^٤ ، والسعدي^٥ .

قال البقاعي _ رحمه الله _ : « ولم يذكر اختلاف الصور ؛ لأن دلالتها - لأجل اختلاف أشكال النجوم من السماء وصور الجبال والروابي والوهاد من الأرض - ليست على إبطال الطبيعة كدلالة اختلاف اللون »^٦ .

القول الثاني : مختلف الهيئات والمناظر ، وهو قول الواحدي^٧ ، والسمعاني^٨ ، والزنجشيري^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والشوكاني^{١١} .

وهذا القول يشمل القول الأول ؛ حيث جمع بينهما الخازن فقال : « ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني : وما خلق لكم في الأرض ، وسخر لأجلكم من الدواب والأنعام والأشجار والثمار ﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها ، حتى لا يشبه بعضها بعضاً من كل الوجوه ، فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله »^١ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٦٥ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٣٨ / ٢) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٦٨ / ٢) .

^٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٤٤ / ٤) .

^٤ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٢) .

^٥ _ تيسير الكريم الرحمن : (٩٢١ / ١) .

^٦ _ نظم الدرر : (٤٤٤ / ٤) .

^٧ _ ينظر : الوسيط : (٥٨ / ٣) ، والوجيز : (٦٠٢ / ١) .

^٨ _ ينظر : تفسير السمعاني : (١٦٣ / ٣) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٤٢٨ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٨٥ / ١٠) .

^{١١} _ فتح القدير : (١٥٢ / ٣) .

^١ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٠٨ / ٣) .

وكذلك قال ابن كثير _ رحمه الله _ : « ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة، من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها ، وما فيها من المنافع والخواص »^١ . ونحوه قال المراغي^٢ .

وكذلك قال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « وأشار في هذه الآية الكريمة إلى أن اختلاف ألوان ما خلق في الأرض من الناس والدواب وغيرهما من أعظم الأدلة على أنه خالق كل شيء ، وأنه الرب وحده ، المستحق أن يعبد وحده .

وأوضح هذا في آيات أخر . كقوله في « سورة فاطر » : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٧-٢٨] ، وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ اللَّسَانَاتِ وَاللَّوْنِ كُمْ ﴾ [الروم : ٢٢] ولا شك أن اختلاف الألوان والمناظر والمقادير والهيئات وغير ذلك - فيه الدلالة القاطعة على أن الله جل وع لا واحد ، لا شبيه له ولا نظير ولا شريك ، وأنه المعبود وحده .

وفيه الدلالة القاطعة على أن كل تأثير بقدرة وإرادة الفاعل المختار ، وأن الطبيعة لا تؤثر في شيء إلا بمشيئته جل وعلا^٣ .

القول الثالث : مختلفاً ألوانه : أصنافه ، كما تقول : هذه ألوان من الثمر ، ومن الطعام ، وهو قول ابن عطية^٤ ، والتعالبي^٥ ، وزاد ابن جزري « أصنافه وأشكاله »^٦ ، وهو قول جمع من المفسرين^٧ . قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وقوله ﴿ أَلْوَانُهُ ﴾ معناه : أصنافه كما تقول هذه ألوان من الثمر ومن الطعام ومن حيث كانت هذه المبتوثات في الأرض أصنافاً فأعدت في النعمة وظهر الانتفاع

^١ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٤) .

^٢ _ تفسير المراغي : (١٤ / ٦٠) .

^٣ _ أضواء البيان : (٣ / ٢٢٧) .

^٤ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨٣) .

^٥ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٢٢) .

^٦ _ التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٦) .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١١٠) .

بما أنه على وجوه ، ولا يظهر ذلك من حيث هي متلونة حمرة وصفرة وغير ذلك ، ويحتمل أن يكون التنبيه على اختلاف الألوان حمرة وصفرة ، والأول أبين»^١ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على الأقوال الثلاثة ، ويؤيد ذلك اللغة ، فيقال لون : اللون المعروف ، واللون : ما فصل بين الشيء وبين غيره ، وينطوي على الأبيض والأسود وما يركب منهما ... ويعبر بالألوان عن الأجناس والأنواع . يقال : فلان أتى بالألوان من الأحاديث ، وتناول كذا لوناً من الطعام^٢ .

ومن جمع بينها البيضاوي ؛ حيث قال : «﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾» أصنافه فإنها تتخالف باللون غالباً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ إن اختلافها في الطباع والهيات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم»^٣ .

وكذلك قال أبو السعود _ رحمه الله _ : «﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾» أي أصنافه ، فإن اختلافها غالباً يكون باختلاف اللون مسخرٌ لله تعالى أو لما خلق له من الخواص والأحوال والكيفيات ، أو جعل ذلك مختلف الألوآن أي الأصناف لتتمتعوا من ذلك بأي صنف شئتم»^٤ .

وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٥ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٦ .



قال الله تعالى ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

. [١٥]

في الآية الكريمة مسألتان :

^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨٣) .

^٢ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٧٥١ - ٧٥٢) ، والقاموس المحيط : (١٢٣٢) .

^٣ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٨٩) .

^٤ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٢) .

^٥ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

^٦ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

١٢٨ / ١٦ _ المسألة الأولى : معنى ﴿وَأَلْقَى﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بألقى : جعل ؛ حيث قال : « ومعنى ﴿وَأَلْقَى﴾ جعل ، ألا ترى إلى قوله ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [سورة النبأ : ٦ _ ٧] وقوله ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ﴾ [سورة فصلت : ١٠] وقال ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [سورة طه : ٣٩] أي : جعلت »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في معنى ﴿وَأَلْقَى﴾ على أقوال :

القول الأول : أن ألقى بمعنى جعل ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزجاج^٢ ، والنحاس^٣ ، والزمخشري^٤ ، والبيضاوي^٥ ، والحازن^٦ ، والنسفي^٧ ، ووافقهم البقاعي^٨ ، وأبي السعود^٩ . واستدلوا : بقوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ : ٦ _ ٧]^{١٠} ، وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ﴾ [فصلت : ١٠]^{١١} ، وقوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [سورة طه : ٣٩]^{١٢} .

القول الثاني : أن ألقى بمعنى خلق ، وهو قول السمين الحلبي^١ ، وابن عادل^٢ .

القول الثالث : أن ألقى بمعنى جعل وخلق ، وهو قول الرازي^١ ، والشوكاني^٢ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٦٥ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٣٨ / ٢) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (١٩٣ / ٣) .

^٣ _ ينظر : إعراب القرآن : (٣٩٣ / ٢) .

^٤ _ ينظر : الكشف : (٤٢٩ / ٣) .

^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٩٠ / ٣) .

^٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٠٩ / ٣) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٢ / ١) .

^٨ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٤٦ / ٤) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٠٤ / ٥) .

^{١٠} _ ينظر : معاني القرآن : (١٩٣ / ٣) ، والكشاف : (٤٢٩ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : البحر المحيط : (٤٦٥ / ٥) ، واللباب : (٣٣ / ١٢) .

^{١٢} _ ينظر : البحر المحيط : (٤٦٥ / ٥) .

^١ _ ينظر : الدر المصون : (٢٠٢ / ٧) .

^٢ _ ينظر : اللباب : (٣٣ / ١٢) .

واستدل لهذا القول بقوله تعالى ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [سورة طه : ٣٩] ٣ .

القول الرابع : أن ألقى أحص من جعل وخلق ، وهو قول ابن عطية ٤ .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وقوله ﴿ وَالْقَيْ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية قال المتأولون : ألقى بمعنى خلق وجعل .

قال القاضي أبو محمد : وهي عندي أحص من خلق وجعل ؛ وذلك أن ألقى تقتضي أن الله أحدث الجبال ليس من الأرض لكن من قدرته واختراعه ، ويؤيد هذا النظر ما روي في القصص عن الحسن عن قيس بن عباد : أن الله تعالى لما خلق الأرض وجعلت تمر . فقالت الملائكة : ما هذه بمقرة على ظهرها أحداً فأصبحت ضحى وفيها رواسيها وقوله ﴿ وَأَنْهَرًا ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره : وجعل أو وخلق أنهاراً .

قال القاضي أبو محمد : وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على خصوص ألقى ، ولو كانت ألقى بمعنى خلق لم يحتج إلى هذا الإضمار ٥ .

ورده أبو حيان فقال : « وأي إجماع في هذا ، وقد حكى عن المتأولين : أن ألقى بمعنى : خلق وجعل وقال أبو البقاء : أي وشق أنهاراً ٦ » ٧ .

ورده أيضاً السمين الحلبي بقوله : « وادعاء ابن عطية أنه منصوب بفعل مضمر ، أي : وجعل فيها أنهاراً ، ليس كما ذكره ٨ » .

وقال الألويسي _ رحمه الله _ : « ﴿ وَأَنْهَرًا ﴾ عطف على رواسي والعامل فيه ﴿ وَالْقَيْ ﴾ إلا أن تسلطه عليه باعتبار ما فيه من معنى الجعل والخلق أو تضمينه إياه ، وعلى التقديرين لا إضمار ، وهو الذي اختاره غير واحد ، وجوز أن يكون مفعولاً به لفعل مضمر ، وليس إجماعاً خلافاً لابن عطية ، أي : وجعل أو خلق أنهاراً ، نظير ما قيل في قوله : علفتها تبناً وماءً بارداً ٩ » .

١ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٠ / ٢٠) .

٢ _ ينظر : فتح القدير : (١٥٣ / ٣) .

٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٠ / ٢٠) ، والبحر المحيط : (٤٦٥ / ٥) ، وفتح القدير : (١٥٣ / ٣) .

٤ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٨٤ / ٣) .

٥ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٨٤ / ٣) .

٦ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٥) .

٧ _ البحر المحيط : (٤٦٥ / ٥) .

٨ _ الدر المصون : (٢٠٢ / ٧) .

٩ _ روح المعاني : (١١٦ / ١٤) .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثالث ؛ لأنه يشمل الأول والثاني ؛ ولأن ألقى فيه معنى الجعل والخلق أو يتضمنهما كما ذكر الألويسي ، ويؤيده ما استدل به من الآيات الدالة على ذلك ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك¹ .



¹ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

١٢٩ / ١٧ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد الاهتداء بالسبل إلى المقاصد ؛ حيث قال :
﴿ وَسُبُلًا ﴾ : طرقاً إلى مقاصدكم ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ بالسبل إلى مقاصدكم ، هذا هو
الظاهر ، ويدل عليه ما بعده . وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾
[سورة الزخرف : ١٠] .^١

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ على قولين :

القول الأول : ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بالسبل إلى مقاصدكم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول
الطبري^٢ ، والسمرقندي^٣ ، وابن زنين^٤ ، والواحي^٥ ، والسمعاني^٦ ، والبغوي^٧ ، وابن الجوزي^٨ ،
والرازي^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والخازن^{١١} ، ووافقهم ابن عادل^{١٢} ، والبقاعي^{١٣} ، والسيوطي^{١٤} ، وأبو
السعود^{١٥} ، والشوكاني^{١٦} ، والسعدي^{١٧} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٦) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٤) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٨) .

^٤ _ ينظر : تفسير ابن زنين : (٢ / ٣٩٨) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٩) ، والوجيز : (١ / ٦٠٢) .

^٦ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٦٤) .

^٧ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ١٣) .

^٨ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٣٥) .

^٩ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ١٠) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٩١) .

^{١١} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٠٩) .

^{١٢} _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٣٣) .

^{١٣} _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٤٦) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٢) .

^{١٥} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٤) .

^{١٦} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٣) .

^{١٧} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٢٢) .

واستدلوا بما يلي :

١ _ دلالة سياق الآية الآتية بعد هذه الآية ، وهو قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَتِ رَبَّانْنَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^١ .

٢ _ أن نظيرها قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ١٠]^٢ .

القول الثاني : تهتدون أي : بالنظر في دلالة هذه المصنوعات على صانعها ، فهو من الهداية إلى الحق ودين الله^٣ ، واستظهره القونوي^٤ .

قال القونوي _ رحمه الله _ : « الظاهر أنه تعليل لجميع ما قبله ؛ لأنه لا ريب في أن كلاً منها يدل على قدرة الله تعالى ووحدته ، وهذا مؤيد لما قلنا من أن ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ١٤] يجوز أن يرتبط بجميع ما قبله »^٥ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة احتمال الآية الكريمة للقولين ، فالآية تحمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بهما^٦ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٧ .
ومن قال بذلك البيضاوي^٨ ، والنسفي^٩ ، والثعالبي^{١٠} ، والألوسي^{١١} ، والطاهر ابن عاشور^{١٢}

^١ _ البحر المحيط : (٤٦٦ / ٥) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٠ / ٢٠) ، واللباب : (٣٣ / ١٢) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٦٦ / ٥) .

^٤ _ ينظر : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (٢٤٣ / ١١) .

^٥ _ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (٢٤٣ / ١١) .

^٦ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

^٧ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٨ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٠) .

^٩ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٢ - ٢٨٣) .

^{١٠} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٢٣) .

^{١١} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١١٦) .

^{١٢} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٢٢) .

قال الثعالبي _ رحمه الله _ : « وقوله : ﴿ وَسُبُّلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ يحتمل : تهتدون في مَشْيِكُمْ وتصرفِكُمْ في السُّبُلِ ، ويحتملُ تهتدونَ بالنَّظَرِ في دَلَالَةِ هذه المَصْنُوعَاتِ عَلَى صَانِعِهَا »^١ .
وقال الألويسي _ رحمه الله _ : « فالتعليل بالنظر إلى قوله تعالى ﴿ وَسُبُّلًا ﴾ كما هو الظاهر ، ويجوز أن يكون تعليلاً بالنظر إلى جميع ما تقدم ؛ لأن تلك الآثار العظام تدل على بطلان الش رك .
وقيل : تدل على وجود فاعل حكيم ففي قوله تعالى ﴿ تَهْتَدُونَ ﴾ تورية حينئذ »^٢ .
و قال ابن عاشور _ رحمه الله _ : « وجملة ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ معترضة ، أي رجاء اهتدائكم . وهو كلام موجه يصلح للاهتداء إلى المقاصد في الأسفار من رسم الطرق وإقامة المراسي على الأنهار واعتبار المسافات . وكل ذلك من جعل الله تعالى لأن ذلك حاصل بإلهامه . ويصلح للاهتداء إلى الدِّينِ الحقِّ وهو دين التوحـيد ، لأن في تلك الأشياء دلالة على الخـالق المتوحـد _ د بالخلق »^٣ .



^١ _ الجواهر الحسان : (٢ / ٢٢٣) .

^٢ _ روح المعاني : (١٤ / ١١٦) .

^٣ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٢٢) .

قال الله تعالى ﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [١٦] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٣٠ / ١٨ المسألة الأولى : المراد بالعلامات :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالعلامات : معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك ؛ حيث قال : ((﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ أي : وضع علامات ، ... وعلامات هي : معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك وأغرب ما فسرت به العلامات : أنها حيطان طوال رقاق كالحيات في ألوانها وحر كاتها تسمى بالعلامات ، وذلك في بحر الهند الذي يسار إليه من اليمن ، فإذا ظهرت كانت علامة للوصول لبلاد الهند ، وأمانة للنجاة))^١

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالعلامات على أقوال :

القول الأول : أنها معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، وقول الطبري^٣ ، والزمخشري^٤ .

إلا أن ابن عباس قيد هذه العلامات بالنهار ، ورجحه الطبري .

القول الثاني : العلامة : صورة يعلم بها ما يراد من خط أو لفظ أو إشارة أو هيئة ، وهو قول ابن عيسى _ رحمه الله _^٥ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٦٦ / ٥)

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٥) .

^٣ _ ينظر : المرجع السابق : (١٧ / ١٨٦) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٢٩) .

^٥ _ البحر المحيط : (٤٦٦ / ٥) .

وابن عيسى هو : محمد بن عيسى بن رزين الرازي ، المقرئ ، أحد الأعلام ، كان رأساً في العربية ، توفي سنة ٢٥٣ هـ . ينظر : الوافي بالوفيات : (٢ / ٥٤) .

القول الثالث : العلامات : الجبال ، وهو قول ابن السائب ، ومقاتل ١ ، وابن الكلبي ٢ .

القول الرابع : أن العلامات : النجوم ، وهو قول النخعي ، ومجاهد ، وقتادة ٣ .

القول الخامس : أما حيتان طوال رفاق كالحيات في ألوانها وحركاتها تسمى بالعلامات ، وذلك في بحر الهند الذي يسار إليه من اليمن ، فإذا ظهرت كانت علامة للوصول لبلاد الهند ، وأمانة للنجاة ، واستغربه أبو حيان ٤ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أنها معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك ، ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص ٥ .
وعليه فيكون تخصيص النجم بالذكر إشارة إلى تخصيصه من علامات الليل أكثر من غيره ، وتكون الأقوال الأخرى في معنى العلامات على سبيل المثال .

قال الطبري _ رحمه الله _ : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره عدد على عباده من نعمه إنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها ، ولم يخص بذلك بعض العلامات دون بعض ، فكل علامة استدلت بها الناس على طرقهم وفجاج سبلهم فداخل في قوله ﴿ وَعَلَّمَتْ ﴾ ، والطرق المسبولة الموطوءة علامة للناحية المقصودة ، والجبال علامات يهتدى بهن إلى قصد السبيل ، وكذلك النجوم بالليل .
غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار ؛ إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله ﴿ وَيَأْتِي النَّجْمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ .

وإذا كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية ، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس ... وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهاراً ... ، فتأويل الكلام إذن وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهاراً على طرقكم في أسفاركم ، ونجوماً تهتدون بها ليلاً في سبلكم ٦ .

١ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٣٦) .

٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٥) .

٣ _ ينظر : المرجع السابق : (١٧ / ١٨٥) .

٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٦) .

٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

٦ _ جامع البيان : (١٧ / ١٨٦) .

١٣١ / ١٩ _ المسألة الثانية : المراد ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالنجوم : اسم جنس ؛ حيث قال : « وقرأ الجمهور ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ على أنه : اسم جنس »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ على أقوال :

القول الأول : أنه اسم جنس ، والمراد جميع النجوم ، وهو ما رجحه أبو حيان ، موافقاً قول الزجاج^٢ ، والواحدي^٣ ، والزخشي^٤ ، والرازي^٥ ، وأبي البقاء^٦ ، والبيضاوي^٧ ، ووافقهم ابن جزي^٨ ، والثعالبي^٩ ، والسيوطي^{١٠} ، وأبو السعود^{١١} ، والشوكاني^{١٢} ، والألوسي^{١٣} .

واستدلوا بما يلي :

١ _ قراءة ابن وثاب : وبالنجم بضم النون والجيم ، وقراءة الحسن : بضم النون فقط . وفي اللوامح أن الحسن قرأ : النجم بضميتين ، وابن وثاب^{١٤} : بضم واحدة ، وجاء كذلك عن ابن هشام الرفاعي^{١٥} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٩٣) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٩) ، والوجيز : (١ / ٦٠٢) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٢٩) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ١٠) .

^٦ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٥) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٠) .

^٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٧) .

^٩ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٢٣) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٢) .

^{١١} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٤) .

^{١٢} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٣) .

^{١٣} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١١٦) .

^{١٤} _ ابن وثاب هو : يحيى بن وثاب الأسدي ، إمام أهل الكوفة في القرآن ، من أكابر القراء ، توفي سنة ١٠٣ هـ .

هـ . ينظر غاية النهاية : (٢ / ٣٨٠) ، ومعرفة القراء الكبار : (١ / ٥١ - ٥٣) .

^{١٥} _ ينظر : المحتسب : (٢ / ٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧) ، روح المعاني : (١٤ / ١١٧) .

قال أبو البقاء _ رحمه الله _ : « ويقرأ بضم النون والجيم وفيه وجهان :
أحدهما : هو جمع نجم ، مثل : سقف وسُقْف .

والثاني : أنه أراد النجوم ، فحذف الواو كما قالوا في أسد : أسود وأسد ، وقالوا في خيام :
خيم »^١ .

٢ _ أنه كقولك : كثر الدرهم في أيدي الناس وكثرت الدراهم^٢ .

القول الثاني : هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ، وهو قول السدي^٣ .

القول الثالث : المراد الجدي والفرقدان^٤ ، وهو قول ابن السائب^٥ ، والفراء^٦ ، والطبري^٧ ،
والسمرقندي^٨ ، وابن العربي^٩ ، ومحمد بن علي البلنسي^{١٠} .
وعلى الطبري ذلك ؛ لأنهما الذين يهتدى بهما ليلاً^{١١} .

قال ابن العربي _ رحمه الله _ : « فأما جميع النجوم فلا يهتدى بها إلا العارف بمطالعها ومغارها
والفرق بين الجنوبي والشمالي منها وذلك قليل في الآخرين .

وأما الثريا فلا يهتدى بها إلا من يهتدى بجميع النجوم ، وإنما الهدى لكل أحد بالجدي
والفرقدين ؛ لأنهما من النجوم المنحصرة المطلع الظاهرة السمات الثابتة في المكان ، فإنها تدور على

^١ _ إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٥) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن ، للزجاج : (٣ / ١٩٣) ، والكشاف : (٣ / ٤٢٩) ، و التفسير الكبير :
(٢٠ / ١٠) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ١٣) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٣٦) ، والبحر المحيط :
(٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧) .

^٤ _ الفرقدان : نجمان في السماء لا يغربان ، ولكنهما يطوفان بالجدي ، وقيل : هما كوكبان قريبان من القطب ،
وقيل : هما كوكبان في بنات نعش الصغرى . ينظر : لسان العرب : (٣ / ٣٣٤) وتاج العروس : (٨ / ٤٩١) .

^٥ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٣٦) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٦) .

^٨ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٨) .

^٩ _ ينظر : أحكام القرآن : (٣ / ١٢٨) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ١٠٩) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٦) .

القطب الثابت دوراناً محصلاً ، فهي أبداً هدى الخلق في البر إذا عميت الطرق ، وفي البحر عند مجرى السفن ، وعلى القبلة إذا جهل سمت »^١ .

وقال محمد بن علي البلنسي : « قيل : إن المراد به الجدي والفرقدان ؛ وذلك _ والله أعلم _ لأنها تُعلم بما الجهات ليلاً ؛ لكونها دائرة حول القطب الشمالي فهي لا تغيب ، والقطب في وسط بنات نعش الصغرى ، والجدي هو النجم المفرد الذي في طرفها ، والفرقدان : هما النجمان اللذان في الطرف الآخر فهما من النعش ، والجدي من البنات »^٢ .

القول الرابع : هو الجدي وحده .

واستدلوا بما يلي :

١ _ حديث ابن عباس أنه سأل الرسول ﷺ _ عن قوله ﴿ وَبِالنَّجْمِ ﴾ فقال : هو الجدي^٣ ،

قال أبو حيان : « ولو صح هذا لم يعدل أحد عنه »^٤ . ونحوه قال الأوسي^٥ .

٢ _ وقال ابن عباس : عليه قبلكم ، وبه تهتدون في بركم وبحركم^٦ .

٣ _ أنه أثبت النجوم كلها في مركزه^٧ .

القول الخامس : هو القطب الذي لا يجري^٨ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد النجوم ؛ لأنه لم يصح في تخصيصها أثر ، فيبقى المعنى على العموم ، وعليه تدخل فيه الأقوال الأخرى ، وخاصة ما تعارف الناس الاهتداء بها .

قال النحاس _ رحمه الله _ : « والذي عليه أهل التفسير وأهل اللغة سواء : أن النجم ها هنا

بمعنى : النجوم ، وخلق الله النجوم زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وليعلم بها عدد السنين

والحساب ، وليهتدي بها »^٩ .

^١ _ أحكام القرآن : (٣ / ١٢٨) .

^٢ _ تفسير مبهمات القرآن : (٢ / ١٠٩) .

^٣ _ تقدم تحريجه : ص : (٥٥) .

^٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١١٧) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧) .

^٧ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٨٣) .

^٨ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧) .

^٩ _ معاني القرآن : (٤ / ٦١) .

وقال ابن زنين _ رحمه الله _ : « **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** » يعني جماعة النجوم التي يهتدى بها^١ .

وقال الطاهر ابن عاشور _ رحمه الله _ : « والتعريف في «النجم» تعريف الجنس . والمقصود منه النجوم التي تعارفها الناس للاهتداء بها مثل : القطب »^٢ .



^١ _ تفسير ابن زنين : (٣٩٨ / ٢) .

^٢ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٢٢) .

قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [٢٠] .

١٣٢ / ٢٠ _ مسألة : المراد بـ ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أن الله تعالى خلق هذه الآلهة التي يعبدونها من دونه ؛ حيث قال : « والظاهر أن قوله ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي الله أنشأهم واخترعهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ على قولين :

القول الأول : أن الله تعالى خلق هذه الآلهة التي يعبدونها من دونه ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ونحوه قول السعدي^٢ .

القول الثاني : أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير ، وهم لا يقدرّون على ذلك فهم أعجز من عبدتهم ، وهو قول السمرقندي^٣ ، وابن زنين^٤ ، والزخشي^٥ ، والسيوطي^٦ .
ونحو الآية قوله تعالى ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات : ٩٥ _ ٩٦]^٧ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على المعنيين ، أن الله هو خالق هذه الأصنام ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء على الحقيقة ، قال تعالى ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الرعد : ١٦] .

كما أن الناس هم من خلقوا هذه الأصنام أي نحتوها بأيديهم ؛ فالآية تحتل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٨) .

^٢ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٢٣) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٩) .

^٤ _ ينظر : تفسير ابن زنين : (٢ / ٣٩٨) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣١) .

^٦ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٢) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٥) ، وتفسير المراغي : (١٤ / ٦٦) .

^٨ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ _ ٣١) .

قال الطبري _ رحمه الله _ : « يقول تعالى ذكره : وأوتانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيئاً ، وهي تخلق ، فكيف يكون لها ما كان مصنوعاً مدبراً ، لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضرراً » .

وقال أبو السعود _ رحمه الله تعالى _ : « ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية ؛ لأنها ذواتٌ ممكنةٌ مفتقرةٌ في ماهياتها ووجوداتها إلى الموجد ، وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضادِّ والمقابلة بين ما أثبت لهم وبين ما نُفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية ، ولإيدان بعدم الافتقار إلى بيان الفاعل لظهور اختصاصِ الفعل بفاعله جل جلاله ، ويجوز أن يُجعل الخلقُ الثاني عبارةً عن النحت والتصوير رعايةً للمشاكلة بينه وبين الأول ومبالغةً في كونهم مصنوعين لعبادتهم وأعجز عنهم وإيداناً بكمال ركاكة عقولهم حيث أشركوا بخالقهم مخلوقهم ، وأما جعلُ الأول أيضاً عبارةً عن ذلك كما فعل فلا وجه له ؛ إذ القدرةُ على مثل ذلك الخلقِ ليست مما يدور عليه استحقاقُ العبادة أصلاً »^١ .

وقال الطاهر ابن عاشور _ رحمه الله عز وجل _ : « وأسند ﴿ يُخْلَقُونَ ﴾ إلى النائب لظهور الفاعل من المقام ، أي وهم مخلوقون لله تعالى ، فإنهم من الحجارة التي هي من خلق الله ، ولا يخرجها نحت البشر إياها على صور وأشكال عن كون الأصل مخلوقاً لله تعالى . كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم _ عليه السلام _ قوله ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات : ٩٦] »^٢ .



^١ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٥ - ١٠٦) .

^٢ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٢٦) .

قال الله تعالى ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [٢١] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٣٣ / ٢١ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالبعث : الإعادة بعد الفناء ، حيث قال : « والظاهر أن هذه كلها مما حدث به عن الأصنام ، ويكون بعثهم إعادتها بعد فنائها ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٨] »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالبعث على قولين :

القول الأول : أن المراد بالبعث : الإعادة بعد الفناء ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن قتادة^٢ ، ومقاتل^٣ ، وقول الفراء^٤ ، والطبري^٥ ، والنحاس^٦ ، والثعلبي^٧ ، والواحدي^٨ ، والسمعي^٩ ، والبعوي^{١٠} ، والزمخشري^{١١} ، والقرطبي^{١٢} ، والخازن^{١٣} ، والنسفي^{١٤} ، ووافقهم ابن جزى^{١٥} ، وابن كثير^{١٦} ، والثعالبي^{١٧} ، والسيوطي^١ ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٨ - ٤٦٩) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٨) .

^٣ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٣٨) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٩٨ - ٩٩) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٨) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٤ / ٦٢) .

^٧ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ١٢) .

^٨ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٩) ، والوجيز : (١ / ٦٠٣) .

^٩ _ ينظر : تفسير السمعي : (٣ / ١٦٥) .

^{١٠} _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ١٤) .

^{١١} _ ينظر : الكشف : (٣ / ٤٣١) .

^{١٢} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٩٤) .

^{١٣} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٠) .

^{١٤} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٣) .

^{١٥} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٧) .

^{١٦} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٥) .

^{١٧} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٢٣) .

^١ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٢) .

وأبو السعود^١ ، والشوكاني^٢ ، والألوسي^٣ ، والطاهر ابن عاشور^٤ ، والمراغي^٥ .

القول الثاني: أن المراد بالبعث : الإثارة ، واحتمله ابن عطية ؛ حيث قال : « ويحتمل أن يكون الضميران للأصنام ، ويكون البعث : الإثارة ، كما تقول : بعثت النائم من نومه : إذا نبهته ، وكما تقول : بعث الرامي سهمه ، فكأنه وصفهم بغاية الجمود ، أي : وإن طلبت حركاتهم بالتحريك لم يشعروا لذلك »^٦ .

الترجيح:

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على القولين ؛ وذلك لأن أصل البعث : إثارة الشيء وتوجيهه ، يقال : بعثته فانبعث ، ويختلف بحسب اختلاف ما علق به ، فبعثت البعير : أثرته وسيرته ، وقوله عز وجل ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٦] أي : يحييهم ، ويخرجهم ويسيرهم إلى يوم القيامة^٧ . فالآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بما^٨ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٩ .



^١ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٠٦ / ٥) .

^٢ _ ينظر : فتح القدير : (١٥٦٣) .

^٣ _ ينظر : روح المعاني : (١٤٠ / ١٤) .

^٤ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٢٦ / ١٤) .

^٥ _ ينظر : تفسير المراغي : (٦٦ / ١٤) .

^٦ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٨٦ / ٣) .

^٧ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (١٣٢) .

^٨ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

^٩ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

١٣٤ / ٢٢ _ المسألة الثانية : مرجع الضمير في ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ بُعْثُونَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضميرين عائدين على الأصنام ؛ حيث قال : « والظاهر أن هذه كلها مما حدث به عن الأصنام »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ بُعْثُونَ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن الضميرين عائدان على الأصنام ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن قتادة^٢ ، وقول الفراء^٣ ، والطبري^٤ ، والثعلبي^٥ ، والواحدي^٦ ، والسمعي^٧ ، والبغوي^٨ ، و الزمخشري^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والحازن^{١١} .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٨] ^{١٢} .

٢ _ ما روي عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ : تبعث الأصنام وتركب فيها الأرواح ومعها شياطينها فيتبرعون من عبدتها ، ثم يؤمر بالشياطين والمشركين إلى النار ^{١٣} .
قال القرطبي _ رحمه الله _ : « والمعنى : لا يدرون متى يبعثون ، وعبر عنها كما عبر عن الآدميين لأنهم زعموا أنها تعقل عنهم وتعلم وتشفع لهم عند الله تعالى ، فجرى خطابهم على ذلك »^{١٤} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٨ - ٤٦٩) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٨) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٩٨ - ٩٩) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٨) .

^٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ١٢) .

^٦ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٩) ، والوجيز : (١ / ٦٠٣) .

^٧ _ ينظر : تفسير السمعي : (٣ / ١٦٥) .

^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ١٤) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣١) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٩٤) .

^{١١} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٠) .

^{١٢} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٦٨ - ٤٦٩) ، وفتح القدير : (٣ / ١٥٦) .

^{١٣} _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٥٩) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٩٤) ، وفتح القدير : (٣ / ١٥٦) .

^{١٤} _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٩٤) .

القول الثاني : أن الضمير الأول : للمعبودين ، والثاني : للعابدين ، أي : لا تشعر الأصنام متى تبعث عبدتها ، وفيه تمكّم بالمشركين ، وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعث عبدتهم ، فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم^١ ، وهو قول النسفي^٢ ، وابن جزري^٣ ، وابن كثير^٤ ، والسيوطي^٥ ، وأبي السعود^٦ ، والشوكاني^٧ ، والألوسي^٨ ، والمراغي^٩ .

ورده الطاهر ابن عاشور بقوله : « ولا يستقيم أن يكون ضمير ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ عائد إلى ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ [سورة النحل : ٢٠] أي : الأصنام»^{١٠} .

وجمع بين القولين البيضاوي^{١١} .

وبين القونوي أن هذا القول الثاني فيه تفكيك الضمير ، ولا ضمير فيه لكن عدمه أولى ، وبين أنه لذلك قدم البيضاوي القول الأول في الذكر^{١٢} .

القول الثالث : أن الضميرين عائدان على الملائكة لا يعلمون بوقت بعثهم ؛ وذلك لأن ناسراً من الكفار كانوا يعبدونهم ، والمعنى أموات أي : لا بد لهم من الموت ، وغير أحياء أي : غير باقية حياتهم ، وما يشعرون أي لا علم لهم بوقت بعثهم^{١٣} .

القول الرابع : أن الضميرين عائدان على الكفار ، أي : لا يدرون متى يبعثون^{١٤} ، وهو قول

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٨ _ ٤٦٩) .

^٢ _ ينظر : مدارك الترتيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٣) .

^٣ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٧) .

^٤ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٥) .

^٥ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٢) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٦) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٦) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٢٠) .

^٩ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٦٦) .

^{١٠} _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٢٧) .

^{١١} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٢) .

^{١٢} _ حاشية القونوي : (١١ / ٢٥٠) .

^{١٣} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣١) ، البحر المحيط : (٥ / ٤٦٨ _ ٤٦٩) .

^{١٤} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٨٨) ، ومعالم التنزيل : (٥ / ١٤) ، والبحر المحيط :

(٥ / ٤٦٨ _ ٤٦٩) .

مقاتل^١، وجوزه النحاس^٢، وقول الثعالبي^٣، والطاهر ابن عاشور^٤.

ويُحوز هذا القول قراءة ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٠] بالياء من تحت^٥.

قال الطاهر ابن عاشور - رحمه الله - : «فالظاهر أن ضميري ﴿يَشْعُرُونَ﴾ و

﴿يُبْعَثُونَ﴾ عائدان إلى الكفار على طريق الالتفات في قراءة الجمهور، وعلى تناسق الضمائر في

قراءة عاصم ويعقوب^٦».

الترجيح:

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح - والله تعالى أعلم بالصواب - القول الأول الذي رجحه

أبو حيان ومن معه؛ وذلك لما يلي:

١ - أن سياق الآيات يتحدث عن الأصنام التي عبدت من دون الله، فسياق الآية يدل على المعنى

المختار، ومعلوم أن سياق الآية إذا دلّ على معنى؛ كان هو المعنى المقدم عند كثير من أئمة

التفسير، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما إلا للدليل يجب

التسليم له^٧.

٢ - أن هذا القول تكون الضمائر فيه متفقة، وتوحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من

تفريقها^٨.

^١ - ينظر: زاد المسير: (٤ / ٤٣٨).

^٢ - ينظر: معاني القرآن: (٤ / ٦٢).

^٣ - ينظر: الجواهر الحسان: (٢ / ٢٢٣).

^٤ - ينظر: التحرير والتنوير: (١٤ / ١٢٦).

^٥ - البحر المحيط: (٥ / ٤٦٨ - ٤٦٩).

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٠] قرأ يعقوب وعاصم بالغيب، وقرأ الباقون بالخطاب.

ينظر: النشر: (٢ / ٣٠٣).

^٦ - التحرير والتنوير: (١٤ / ١٢٦).

^٧ - ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١ / ١٢٥).

^٨ - ينظر: المرجع السابق: (٢ / ٦١٣).

قال الله تعالى ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٢٢] .

١٣٥ / ٢٣ _ المراد بـ ﴿ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أنهم يستكبرون عن الإقرار بالألوهية والوحدانية لله تعالى ؛ حيث قال : « ولما ذكر تعالى ما اتصفت به آلهتهم بما ينافي الألوهية أخبر تعالى أن إله العالم هو واحد لا يتعدد ولا يتجزأ ، وأن الذين لا يؤمنون بالجزاء بعد وضوح بطلان أن تكون الإلهية لغيره بل له وحده هم مستمررون على شركهم منكرون وحدانيته مستكبرون عن الإقرار بها ؛ لاعتقادهم الإلهية لأصنامهم وتكبرها في الوجود ، ووصفهم بأنهم لا يؤمنون بالآخرة مبالغة في نسبة الكفر إليهم ؛ إذ عدم التصديق بالجزاء في الآخرة يتضمن التكذيب بالله تعالى وبالبعث ؛ إذ من آمن بالبعث يستحيل أن يكذب الله عز وجل »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في استكبار الكفار عن أي شيء كان ، على أقوال :

القول الأول : مستكبرون عن الإقرار بالألوهية والوحدانية لله تعالى ؛ لاعتقادهم الإلهية لأصنامهم وتكبرها في الوجود ، وهو ما رجحه أبو حيان ، موافقاً قول الطبري^٢ ، والزنجشيري^٣ ، والنسفي^٤ ، ووافقهم السيوطي^٥ .

القول الثاني : مستكبرون عن الإيمان برسول الله واتباعه ، وهو قول البيضاوي^٦ .

القول الثالث : ممتنعون من قبول الحق ، وهو قول الواحدي^٧ ، وابن الجوزي^٨ ، والقرطبي^٩ ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٦٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧٧ / ١٨٨) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٤٣١ / ٣) .

^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٤ / ١) .

^٥ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٢) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٩٢ / ٣) .

^٧ _ ينظر : الوسيط : (٥٩ / ٣) ، و الوجيز : (٦٠٣ / ١) .

^٨ _ ينظر : زاد المسير : (٤٣٨ / ٤) .

^٩ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (٩٥ / ١٠) .

والخازن^١ ، والبقاعي^٢ ، والشوكاني^٣ ، والمرآغي^٤ .

القول الرابع : الاستكبار عن الإيمان باليوم الآخر ، وهو قول أبي السعود^٥ ، والألوسي^٦ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ، وهو أنهم مستكبرون عن الإقرار بالألوهية والوحدانية لله تعالى ؛ لاعتقادهم الإلهية لأصنامهم وتكبرها في الوجود ؛ ويؤيد ذلك ما يلي :

١ _ أن ظاهر الآية يدل على هذا المعنى ، والاستدلال بظاهر السياق على المعنى الراجح من القواعد المهمة عند المفسرين^٧ .

٢ _ السياق السابق في قوله تعالى ﴿ اَلْهٰكُمُ اللّٰهُ وَحِدٌ ﴾ ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٨ .

٣ _ أن عدم إيمانهم باليوم الآخر كان سبباً لاستكبارهم عن الإيمان بالله تعالى ، كما بينه أبو حيان ؛ حيث قال : « ووصفهم بأنهم لا يؤمنون بالآخرة مبالغة في نسبة الكفر إليهم ؛ إذ عدم التصديق بالجزاء في الآخرة يتضمن التكذيب بالله تعالى وبالبعث ؛ إذ من آمن بالبعث يستحيل أن يكذب الله عز وجل »^٩ .

ثم إن الأقوال الأخرى تابعة للقول الأول ، فكفرهم بالله تعالى يستلزم عدم اتباعهم للنبي ﷺ _ ، ويستلزم عدم قبولهم للحق ، وعدم إيمانهم باليوم الآخر .

^١ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١١) .

^٢ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٥٠) .

^٣ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٦) .

^٤ _ ينظر : تفسير المرآغي : (١٤ / ٧٦) .

^٥ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٦) .

^٦ _ روح المعاني : (١٤ / ١٢١) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) ، وقواعد التفسير ، لخالد السبت : (١ / ٢٤٩) .

^٨ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

^٩ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٦٩) .

قال الله تعالى ﴿ لَا جَرَمَ أَنْ آتَى اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [٢٣] .

٢٤ / ١٣٦ المراد بـ ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ :

رجح أبو حيان أنه عام في الكافرين والمؤمنين ؛ حيث قال : « ولا يحب المستكبرين : عام في
الكافرين والمؤمنين ، يأخذ كل واحد منهم بقسطه »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أنه عام في الكافرين والمؤمنين ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٢ ،
والرازي^٣ ، والبيضاوي^٤ ، والثعالبي^٥ ، ووافقهم الألويسي^٦ .

واستدل لهذا القول بأن ﴿ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ : جمع محلى باللام والاستغراق أصل فيه ، فهي تفيد
العموم^٧ .

القول الثاني : المتكبرون عن التوحيد والإيمان ، وهو قول السمرقندي^٨ ، وابن الجوزي^٩ ،
والخازن^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، والشوكاني^{١٢} ، والمراغي^{١٣} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٦٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٨٧ / ٣) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (١٧ / ٢٠) .

^٤ _ ينظر : تفسير البيضاوي : (٣٩٢ / ٣) .

^٥ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٢٤ / ٢) .

^٦ _ روح المعاني : (١٢٢ / ١٤) .

^٧ _ ينظر : حاشية الشهاب : (٥٧١ / ٥) ، و حاشية القونوي : (٢٥٣ / ١١) ، والتحرير والتنوير :

(١٢٩ / ١٤) .

^٨ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٦٩ / ٢) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤٣٨ / ٤) .

^{١٠} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١١١ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٤ / ١) .

^{١٢} _ ينظر : فتح القدير : (١٥٦ / ٣) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير المراغي : (٦٧ / ١٤) .

وجوز القولين الزمخشري ؛ حيث قال « **﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾** : يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين . ويجوز أن يعم كل مستكبر . ويدخل هـ — ولاء تحت عمومه »^١ .

وجمع بينهما أبو السعود فقال : « **﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾** : تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد ، أي لا يحب المستكبرين عن التوحيد أو عن الآيات الدالة عليها أو لا يحب جنس المستكبرين ، فكيف بمن استكبر عما ذكر »^٢ .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو القول بالعموم ؛ وذلك لأن القول بالعموم أولى من التخصيص . ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٣ .

قال الألوسي — رحمه الله — : « **﴿ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾** : أي مطلقاً ، ويدخل فيه من استكبر عن التوحيد ، أو عن الآيات الدالة عليه دخولاً أولاً ، وجوز أن يراد به أولئك المستكبرون والأول أولى ، وأياً ما كان فالاستفعال ليس للطلب مثله فيما تقدم ، وجوز كونه عاماً مع حمل الاستفعال على ظاهره من الطلب ، أي : لا يجب من طلب الكبر فضلاً عن من اتصف به ، وقد فرق الراجح بين الكبر والتكبر والاستكبار بعد القول بأنها متقاربة ، والحق أنه قد يستعمل بعضها موضع بعض »^٤ .



^١ — الكشف : (٣ / ٤٣١) .

^٢ — إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٦ — ١٠٧) .

^٣ — ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٤ — روح المعاني : (١٤ / ١٢٢) .

قال الله تعالى ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ [٢٥] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٣٧ / ٢٥ _ المسألة الأولى : المراد بـ (من) في ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن (من) تبعيضية ؛ حيث قال : « ومن : للتبعيض ، فالمعنى : أنه
يحمل من وزر كل من أضل ، أي : بعض وزر من ضلّ بضالهم وهو وزر الإضلال ؛ لأنّ المضل
والضال شريكان ، هذا يضلّه وهذا يطاوعه على إضلاله ، فيتحاملان الوزر»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف العلماء في معنى (من) على خمسة أقوال :

القول الأول : أنها للتبعيض ، وعليه يكون المعنى : أنه يحمل من وزر كل من أضل ، أي : بعض
وزر من ضلّ بضالهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، وابن عطية^٣ ،
والبيضاوي^٤ ، والنسفي^٥ ، ووافقهم الثعالبي^٦ ، والسيوطي^٧ ، وأبو السعود^٨ ، والشوكاني^٩ ،
والألوسي^{١٠} ، والشنقيطي^{١١} .

وهو أحد الوجهين الذين ذكرهما ابن الأنباري ؛ حيث قال : « أحدهما : أنها للتبعيض ، فهم
يحملون ما شَرِكُوهم فيه ، فَأَمَّا مَا رَكِبَهُ أَوْلَئِكَ بِاخْتِيَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَزْيِينِ هَؤُلَاءِ ، فَلَا يَحْمِلُونَهُ ، فيصح
معنى التبعيض»^{١٢} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٠) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٣٩ _ ٢٤٠) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣٢) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨٧) .

^٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٣) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٤) .

^٦ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٢٤) .

^٧ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٢ _ ٢٢٣) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٧) .

^٩ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٧) .

^{١٠} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٢٤) .

^{١١} _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٢٥٤) .

^{١٢} _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٣٩) .

وقال ابن عطية _ رحمه الله _ : « و (من) للتبعيض ؛ وذلك أن هذا الواهن المضل يحمل وزر نفسه كاملاً ، ويحمل وزراً من وزر كل مضل بسببه ، ولا تنقص أوزار أولئك »^١ .

وقال البيضاوي _ رحمه الله _ : « وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب »^٢ .

قال الشهاب _ رحمه الله _ معلقاً على كلام البيضاوي : « يشير إلى أن (من) تبعيضية ؛ لأن مقابلته لقوله ﴿ كَامِلَةٌ ﴾ يعينه ، والمعنى : مثل بعض أوزارهم ، فلا وجه لجعل من زائدة ، ولا يرد عليه ما ورد في الحديث كما قيل : وهو : « من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً »^٣ ؛ لأن للتابعين أوزاراً غير ذلك »^٤ .

وقال القونوي _ رحمه الله _ : « قوله : « وهو حصة التسبب » أشار إلى ما حملوه وزرهم لا وزر من يضلونهم لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] الآية ، فيكون : مثل مقدراً ، أي : مثل بعض أوزار الذين يضلونهم ، لكن لكونه سبباً جعل ما حملوه من بعض أوزار ضلال من يضلونهم مبالغة قوله : حصة التسبب ؛ لأن ضلال من أضلوه من حيث المباشرة على المباشرة ، ومن حيث التسبب على المضل من غير نقصان »^٥ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ لأنّ المضل والضال شريكان ، هذا يضلّه وهذا يطاوعه على إضلاله ، فيتحاملان الوزر^٦ .
- ٢ _ لأنّ مقابلته لقوله ﴿ كَامِلَةٌ ﴾ يعينه ، والمعنى : مثل بعض أوزارهم^٧ .

^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨٧) .

^٢ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٣) .

^٣ _ هو بعض حديث : أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب : من سن سنة حسنة ، ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، (١٦ / ١٨٤) ، ح : (١٠١٧) ، ولفظه : « (ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيء) » .

^٤ _ حاشية الشهاب : (٥ / ٥٧٣) .

^٥ _ حاشية القونوي : (١١ / ٢٥٥) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٠) ، إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٧) .

^٧ _ ينظر : حاشية الشهاب : (٥ / ٥٧٣) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٢٤) .

القول الثاني : أنها زائدة ، والمعنى : ومثل أوزار الذين يضلونهم ، وهو قول الأخفش ^١ ، والرازي ^٢ ، والبقاعي ^٣ .

واستدل لهذا القول بما روي عن النبي ﷺ - : « أَيَّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتَّبِعْ ، فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » ، وَأَيَّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتَّبِعْ فَلَهُ مِثْلَ أَجُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ » ^٤ .

القول الثالث : أنها للجنس ، والمعنى : ليحملوا من جنس أوزار الأتباع ، وهو قول الواحدي ^٦ ، والقرطبي ^٧ .

قال أبو حيان - رحمه الله - : « وقال الواحدي : ليست من للتبعيض ، لأنه يستلزم تخفيف الأوزار عن الأتباع ، وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام : « من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » » لكنها للجنس أي : ليحملوا من جنس أوزار الأتباع ^٨ .

ورده أبو حيان فقال : « ولا تتقدر من التي لبيان الجنس هذا التقدير الذي قدره الواحدي ، وإنما تتقدر الأوزار التي هي أوزار الذين يضلونهم ، فيؤول من حيث المعنى إلى قول الأخفش وإن اختلفا في التقدير ^٩ » .

وقال الألويسي رداً على القول بأن (من) زائدة ، والقول بأن من للجنس فقال : « وقال الأخفش أن (من) زائدة أي : أوزار الذين يضلونهم على معنى أنهم يعاقبون عقاباً يكون مساوياً

^١ _ ذكره أبو البقاء في إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٥) ، والألويسي في روح المعاني : (١٤ / ١٢٤) . ولم أحده في معاني القرآن للأخفش .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ١٨) .

^٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٥١) .

^٤ _ أخرجه الطبري في جامع البيان : (١٧ / ١٩١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره : (٧ / ٢٢٨١ - ٢٢٨٢) ، عن الربيع بن أنس مرسلاً ، وعزاه السيوطي لابن جرير ، وابن أبي حاتم . ينظر : الدر المنثور : (٥ / ١٢٦) . وللحديث شاهد قوي من حديث أبي هريرة : « (من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً) » . أخرجه مسلم ، وقد تقدم : ص : (٥٦١) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ١٨) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦٠٣) ، إلا أنه قال فيه : « (ومن أوزار الذين يضلونهم ؛ لأنهم كانوا دعاة الضلالة فعليهم مثل أوزار من اتبعهم) » . وقال في الوسيط : (٣ / ٦٠) : « (ومن أوزار الذين يضلونهم ؛ لأنهم كانوا رؤساء يقتدى بهم في الضلالة فحمل عليهم من أوزار من اتبعهم) » . ولم يذكر أن (من) للجنس في الموضعين .

^٧ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٩٦) .

^٨ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٠) ، ولم أجد قول الواحدي هذا في الوسيط ولا في الوجيز .

^٩ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٠) .

لعقاب كل من اقتدى بهم ، وإلى الزيادة ذهب أبو البقاء^١ ، واعترض على التبويض بأنه يقتضي أن المضل غير حامل كل أوزار الضال ، وهو مخالف للمأثور : « من سن سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً » ، وفيه أن المأثور يدل على التبويض لا أن بينهما مخالفة كما لا يخفى ، ولتوهم هذه المخالفة قال الواحدي : إن (من) للجنس ، أي : ليحملوا من جنس أوزار الأتباع^٢ .

القول الرابع : أن (مِنْ) مؤكدة ، والمعنى : وأوزار الذين يضلونهم ، وهو الوجه الثاني الذي ذكره ابن الأنباري^٣ .

القول الخامس : أنها سببية ، وهو قول الطاهر ابن عاشور ؛ حيث قال : « و (مِنْ) في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ ﴾ للسببية متعلقة بفعل محذوف دلّ عليه حرف العطف وحرف الجر بعده ؛ إذ لا بدّ لحرف الجر من متعلق . وتقديره : ويحملوا . ومفعول الفعل محذوف دلّ عليه مفعول نظيره . والتقدير : ويحملوا أوزاراً ناشئة عن أوزار الذين يضلونهم ، أي : ناشئة لهم عن تسببهم في ضلال المضللين بفتح اللام ، فإنّ تسببهم في الضلال يقتضي مساواة المضلل للضال في جريمة الضلال ، إذ لولا إضلاله إياه لاهتدى بنظره أو بسؤال الناصحين . وفي الح — ديث الصحيح « ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »^٤ ... »^٥ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — صحة حمل الآية على القول أن (من) للتبويض ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، ويمكن أن تكون للجنس ، وهو ما رجحه الواحدي ومن معه ؛ وذلك لأن الاختلاف في اللفظ دون المعنى ، فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية^٦ ، وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٧ ، ويكون

^١ — ولم أجد ما ذكره الألويسي عن أبي البقاء في إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٥) ، وإنما الذي قاله : ((﴿ ومن أوزار الذين ﴾ أي : وأوزاراً من أوزار الذين . وقال الأخفش : (من) زائدة)) .

^٢ — روح المعاني : (١٤ / ١٢٤) .

^٣ — ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٣٩) .

^٤ — أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب : من سن سنة حسنة ، ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، (١٦ / ١٨٥) ، ح : (٢٦٧٤) .

^٥ — التحرير والتنوير : (١٤ / ١٣٣) .

^٦ — ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ — ٣١) .

^٧ — ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^١ .



^١ — ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ — ٣١) .

١٣٨ / ٢٦ _ المسألة الثانية : إعراب قوله تعالى ﴿ بَعَّيْرٍ عَلِيمٍ ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن إعراب قوله تعالى ﴿ بَعَّيْرٍ عَلِيمٍ ﴾ أنه حال من الفاعل ؛ حيث قال : « ﴿ بَعَّيْرٍ عَلِيمٍ ﴾ قال الزمخشري : حال من المفعول ، أي : يضلون من لا يعلم أنهم ضلال . وقال غيره : حال من الفاعل ، وهو أولى ؛ إذ هو المحدث عنه المسند إليه الإضلال على جهة الفاعلية ، والمعنى : أنهم يقدمون على هذا الإضلال جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الإضلال »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في إعراب قوله تعالى ﴿ بَعَّيْرٍ عَلِيمٍ ﴾ على قولين :

القول الأول : أنه حال من الفاعل . وهو ما رجحه أبو حيان ، ووافقه الشوكاني^٢ ، وهو أحد قولي أبي السعود^٣ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أنه هو المحدث عنه المسند إليه الإضلال على جهة الفاعلية^٤ .
ورده الشهاب فقال : « وكونه محدثاً عنه يعارضه القرب فلا يصلح مرجحاً »^٥ .

ثم اختلفوا في المعنى على أقوال :

الأول : أنهم يقدمون على هذا الإضلال جهلاً منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الإضلال ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الرازي^٦ ، والحازن^٧ ، والواحدي^٨ ، والقرطبي^٩ ، والشوكاني^{١٠} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٠ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٤٠) .

^٢ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٧) .

^٣ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٧) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٧٠) . والدر المصون : (٧ / ٢٠٩) ، واللباب : (١٢ / ٤٣) .

^٥ _ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٥٧٣) .

^٦ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ١٩) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١١) .

^٨ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٠) ، والوجيز : (١ / ٦٠٤) .

^٩ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٩٦) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٧) .

قال القرطبي _ رحمه الله _ : « وقوله : ﴿ بَعَّيرِ عَلِمًا ﴾ أي : يضلون الخلق جهلا منهم بما يلزمهم من الآثام ، إذ لو علموا لما أضلوا »^١ . ونحوه قال الشوكاني^٢ .

ورد أبو السعود هذا المعنى فقال : « وأما حملُه على معنى غيرِ عالِمين بأنهم يحملون يوم القيامة أوزارَ الضلال والإضلال على أن يكون العاملُ في الحال قالوا وتأيدُه بما سيأتي من قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٥] من حيث إن حمل ما ذكر من أوزار الضلال والإضلال من قبيل إتيان العذاب من حيث لا يشعرون ، فيرُدُّه أن الحمل المذكور إنما هو يوم القيامة والعذاب المذكور إنما هو العذابُ الدنيوي ، كما ستقف عليه »^٣ .

الثاني : بغير علم المضل بما دعا إليه ، وهو قول الماوردي^٤ .

الثالث : أنهم أضلوهم بغير حجة ودليل ، وهو قول البغوي^٥ ، وابن عطية^٦ ، وابن الجوزي^٧ .

الرابع : يضلونهم غير عالِمين بأن ما يدعون إليه طريقٌ للضلال ، وهو قول أبي السعود^٨ .

القول الثاني : حال من المفعول ، وهو قول الزمخشري^٩ ، والبيضاوي^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، وهو القول الآخر لأبي السعود^{١٢} ، وقول الألوسي^{١٣} .

ثم اختلفوا في المعنى على أقوال :

الأول : أي : يضلون من لا يعلم أنهم ضلال ، وهو قول الزمخشري^{١٤} ،

^١ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٩٦)

^٢ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٧) .

^٣ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٧) .

^٤ _ النكت والعيون : (٣ / ١٨٤) .

^٥ _ معالم التنزيل : (٥ / ١٥) .

^٦ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨٧) .

^٧ _ زاد المسير : (٤ / ٤٣٩) .

^٨ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٧) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣٢) .

^{١٠} _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٣) .

^{١١} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٤) .

^{١٢} _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٧) .

^{١٣} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٢٤) .

^{١٤} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣٢) .

والبيضاوي^١ ، والنسفي^٢ ، و البقاعي^٣ ، وأبي السعود^٤ ، والألوسي^٥ ، والمراغي^٦ .
ثم ذكروا الفائدة من ذكر جهلهم فقال البيضاوي _ رحمه الله _ : « وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم ؛ إذ كان عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين الحق والمبطل »^٧ .
وقال البقاعي _ رحمه الله _ : « وإن كانوا جهلة ، لأن لهم عقولاً هي بحيث تهدي إلى سؤال أهل الذكر ، وفطراً أولى تنفر من الباطل « أول ما يعرض عليه ا فضيعوها »^٨ .
وقال أبو السعود _ رحمه الله _ : « وفائدة التقييد بها الإشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذي لب ، وإنما يتبعهم الأغبياء والجهلة ، والتنبيه على أن جهلهم ذلك لا يكون عذراً إذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين الحق الحقيقي بالاتباع وبين المبطل »^٩ .
ونحوه قال الألوسي _ رحمه الله _ وزاد : « وفيه زيادة تعيي لهم ودم إذ كان عليهم إرشاد الجاهلين لا إضلالهم »^{١٠} .

الثاني : بغير علم الضال بما أجاب إليه ، وهو قول الماوردي^{١١} .

الثالث : أن المقلدين الذين لا علم عندهم ، إلا ما دعوههم إليه ، وهو قول السعدي^{١٢} .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة احتمال الآية الكريمة للقولين ، أنه حال من الفاعل ، وأنه حال من المفعول ، وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله

^١ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٣) .

^٢ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٤) .

^٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٥١) .

^٤ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٧) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٢٤) .

^٦ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٧٠) .

^٧ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٣) .

^٨ _ نظم الدرر : (٤ / ٤٥١) .

^٩ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٧) .

^{١٠} _ روح المعاني : (١٤ / ١٢٤) .

^{١١} _ النكت والعيون : (٣ / ١٨٤) .

^{١٢} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٢٤) .

الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^١ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٢ .
وهو قول الماوردي^٣ ، وابن عطية^٤ ، وابن جزري^٥ ، و أبي السعود^٦ .
قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وقوله ﴿ بَعَّيْرٍ عَلِمٌ ﴾ يجوز أن يريد بها المضل أي أضل بغير برهان قام عنده ، ويجوز أن يريد ﴿ بَعَّيْرٍ عَلِمٌ ﴾ من المقلدين الذين يضلون »^٧ .
وأما المعاني التي وردت في كلا القولين فهي معاني لا خلاف جوهرية بينها ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٨ .



^١ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .
^٢ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .
^٣ _ النكت والعيون : (٣ / ١٨٤) .
^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨٧) .
^٥ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٨) .
^٦ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٧) .
^٧ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨٧) .
^٨ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْتَقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٢٧] .

٢٧ / ١٣٩ _ مسألة : المراد بـ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ العموم فيمن أوتي العلم ؛ حيث قال : « والذين أوتوا العلم عام فيمن أوتي العلم من الأنبياء وعلماء أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم وينكرون عليهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ العموم فيمن أوتي العلم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، وابن عطية^٣ ، ووافقهم ابن جزى^٤ ، والبقاعي^٥ ، والسيوطي^٦ ، وأبو السعود^٧ ، والألوسي^٨ ، والظاهر ابن عاشور^٩ ، والمراغي^{١٠} .
قال الألوسي _ رحمه الله _ : « ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ من أهل الموقف وهم الأنبياء _ عليهم السلام _ ، والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد ، وكانوا يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد ، فيجادلونهم ويتكبرون عليهم »^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧١) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣٣) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٣٨٨) .

^٤ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٩) .

^٥ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٥٤) .

^٦ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٣) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٨) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٢٧) .

^٩ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٣ / ١٣٧) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٧١ - ٧٢) .

^{١١} _ روح المعاني : (١٤ / ١٢٧) .

القول الثاني: أنهم الملائكة^١ ، وهو قول ابن عباس^٢ ، والسمرقندي^٣ .

وقال ابن جزري عن هذا القول : « واللفظ أعم من ذلك »^٤ .

وقال الألويسي عن هذا القول : « ولم نقف على تقييده _ يقصد : ابن عباس رضي الله عنهما _

إياهم »^٥ .

وجمع بين القولين البيضاوي^٦ والنسفي^٧ .

القول الثالث: أنهم الحفظة من الملائكة^٨ ، وهو قول مقاتل^٩ .

وهو تخصيص للقول الثاني .

القول الرابع: من حضر الموقف من ملك وأنسي وغير ذلك^{١٠} .

القول الخامس: هم المؤمنون^{١١} ، وهو قول ابن زمين^{١٢} ، والثعلبي^{١٣} ، والواحدي^{١٤} ،

والسمعاني^{١٥} ، والبغوي^{١٦} ، والحازن^{١٧} .

^١ _ ينظر : الكشاف : (٤٣٣ / ٣) ، و المحرر الوجيز : (٣٨٨ / ٣) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٦٠ / ٣) ، وزاد المسير : (٤٤١ / ٤) ، والتفسير الكبير : (٢٠ / ٢١) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩٨ / ١٠) ، والبحر المحيط : (٤٧١ / ٥) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧١ / ٢) .

^٤ _ التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٧٩ / ٢) .

^٥ _ روح المعاني : (١٢٧ / ١٤) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٩٤ / ٣) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٤ / ١) .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٧١ / ٥) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤٤١ / ٤) ، وروح المعاني : (١٢٧ / ١٤) .

^{١٠} _ ينظر : البحر المحيط : (٤٧١ / ٥) .

^{١١} _ ينظر : الوسيط : (٦٠ / ٣) ، وزاد المسير : (٤٤١ / ٤) ، والتفسير الكبير : (٢٠ / ٢١) ، والجامع لأحكام القرآن : (٩٨ / ١٠) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير ابن زمين : (٤٠٠ / ٢) .

^{١٣} _ ينظر : الكشف والبيان : (١٤ / ٦) .

^{١٤} _ ينظر : الوجيز : (٦٠٤ / ١) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير السمعي : (١٦٨ / ٣) .

^{١٦} _ ينظر : معالم التنزيل : (١٦ / ٥) .

^{١٧} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١١٢ / ٣) .

القول السادس : أنهم العلماء ، واستظهره الشوكاني ، وهو قول السعدي^١ .

قال الشوكاني _ رحمه الله _ : « قوله ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ قيل : هم العلماء ،

قالوه لأهمهم الذين كانوا يعظونهم ، ولا يلتفتون إلى وعظهم ، وكان هذا القول منهم على طريق الشماتة . وقيل : هم الأنبياء ، وقيل : الملائكة ، والظاهر : الأول ؛ لأن ذكرهم بوصف العلم يفيد ذلك ، وإن كان الأنبياء والملائكة هم من أهل العلم ، بل هم أعرق فيه ، لكن لهم وصف يذكرون به هو أشرف من هذا الوصف ، وهو كونهم أنبياء أو كونهم ملائكة ، ولا يقدر في هذا جواز الإطلاق ، لأن المراد الاستدلال على الظهور فقط »^٢ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول السادس ، وهو ما استظهره الشوكاني ، وقول السعدي ، وهو أن المراد بالذين أوتوا العلم : العلماء ؛ وذلك لأن فيه بيان فضل العلماء وشرفهم في ذلك الموقف ، وهو ظاهر من وصفهم بلفظ ﴿ الْعِلْمَ ﴾ ، ويدخل فيهم الأنبياء والملائكة من باب أولى ؛ لأنهم أعلم الخلق ، ويؤيد هذا القول بأنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^٣ ، والقول الذي تؤيده قرينة في السياق مقدم على غيره^٤ .



^١ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٢٥) .

^٢ _ فتح القدير : (٣ / ١٥٩) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٩٩) .

قال الله تعالى ﴿ الَّذِينَ تَتَوَقَّعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٢٨] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٢٨ / ١٤٠ - معنى ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ :

رجح أبو حيان - رحمه الله تعالى - أن قولهم ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ صريح كذب ؛ حيث قال : « ما كنا نعمل من سوء هو على إضمار القول ، أي : ونعتهم بحمل السوء ، إما أن يكون صريح كذب ، كما قالوا ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] ، فقال تعالى ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٤] ، وإما أن يكون المعنى : عند أنفسنا ، أي : لو كان الكفر عند أنفسنا سواء ما علمناه^١ ، ويرجح الوجه الأول الرد عليهم ببلى ؛ إذ لو كان ذلك على حسب اعتقادهم لما كان الجواب ببلى ، على أنه يصح على الوجه الثاني أن يرد عليهم ببلى ، والمعنى أنكم كذبتهم في اعتقادكم أنه ليس بسوء بل كنتم تعتقدون أنه سوء ؛ لأنكم تبينتم الحق وعرفتموه وكفرتم لقوله ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٨٩] وقوله ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [سورة النمل : ١٤] »^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في معنى ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ على قولين :

القول الأول : أن قولهم ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ صريح كذب ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً معنى قول الطبري^٣ ، والواحدي^٤ ، والزمخشري^٥ ، والبيضاوي^٦ ، والخازن^٧ ، والنسفي^٨ ،

^١ - هكذا في المطبوع ، وفي المخطوط : (٦ / ورقة ٨١) : ((لو كان الكفر عند أنفسنا سوءاً ما علمناه)) .

^٢ - البحر المحيط : (٥ / ٤٧٢) . وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٤٢) .

^٣ - ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٩٦) .

^٤ - ينظر : الوسيط : (٣ / ٦١) .

^٥ - ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣٣) .

^٦ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢ / ٤٠٠) ، عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] .

^٧ - ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٢) .

^٨ - ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٥) .

والبقاعي^١ ، وأبي السعود^٢ ، والطاهر ابن عاشور^٣ ، والسعدي^٤ ، والشنقيطي^٥ ، والمراغي^٦ .
 قال الطبري _ رحمه الله _ : « ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ يخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا
 وقالوا : ما كنا نعصي الله اعتصاماً منهم بالباطل رجاء أن ينحوا بذلك ، فكذبهم الله فقال : بل كنتم
 تعملون السوء وتصدون عن سبيل الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل : ٢٨]
 يقول : إن الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصيه ، وتأتون فيها ما يسخطه »^٧ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ نظائر القرآن :

من ذلك : قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] ، فقَالَ تعالى
 ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٤]^٨ .

قال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « وبين في مواضع آخر : أنهم ينكرون ما كانوا عليه من الكفر
 والمعاصي كما ذكر هنا . وبين كذبهم في ذلك أيضاً . كقوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ
 قَالُوا وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ . أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٣-٢٤] ، وقوله : ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا
 كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ [غافر : ٧٤] . وقوله : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ
 كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [المجادلة : ١٨] ، وقوله
 : ﴿ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٢] أي : حراماً محرماً أن تمسونا بسوء . لأننا لم
 نفعل ما نستحق به ذلك ، إلى غير ذلك من الآيات »^٩ .

^١ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٥٥) .

^٢ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٠٩) .

^٣ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤٠ / ١٤) .

^٤ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٢٥) .

^٥ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٢٦٠) .

^٦ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٧٢) .

^٧ _ جامع البيان : (١٧ / ١٩٦) .

^٨ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٢) ، والتسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٩) ، وإرشاد العقل السليم :

(٥ / ١٠٩) ، وتفسير المراغي : (١٤ / ٧٢) .

^٩ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٦٠) .

٢ _ الرد عليهم ببلى :

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « ويرجح الوجه الأول الرد عليهم ببلى ؛ إذ لو كان ذلك على حسب اعتقادهم لما كان الجواب بلى »^١ .

القول الثاني : أن يكون المعنى عند أنفسنا ، أي : لو كان الكفر عند أنفسنا سوء ما ع م لناه^٢ ، وصححه أبو حيان .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « على أنه يصح على الوجه الثاني أن يرد عليهم ببلى ، والمعنى : أنكم كذبتهم في اعتقادكم أنه ليس بسوء بل كنتم تعتقدون أنه سوء ؛ لأنكم تبينتم الحق وعرفتموه وكفرتم لقوله ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٨٩] ، وقوله ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [سورة النمل : ١٤] »^٣ .

ورد هذا القول البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] ، فقال : « ﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفـعهم من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ [سورة المؤمنون : ١٠٧] وقد أيقنوا بالخلود . وقيل معناه : ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو لا يوافق قوله ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنعام : ٢٤] أي : بنفي الشرك عنها ، وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ، ونظير ذلك قوله ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ [المجادلة : ١٨] »^٤ .

وكذلك رده الشهاب فقال : « وكذا لا يلائمه الرد عليهم هنا لقوله ﴿ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ ﴾ [سورة النحل : ٢٨] إلخ ؛ لظهور أنه لإبطال النفي ، ولا يقال الرد على من جحد واستيقنت نفسه ؛ لأنه يكون كذباً أيضاً فلا يفيد التأويل ؛ ولذا مرض هذا القول وأخره _ أي : البيضاوي _ »^٥ . ونحوه قال القونوي^٦ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٢) .

^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٤٧٢) .

^٣ _ المرجع السابق : (٥ / ٤٧٢) .

^٤ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٢ / ٤٠٠) .

^٥ _ حاشية الشهاب : (٥ / ٥٧٨) .

^٦ _ حاشية القونوي : (١١ / ٢٦١) .

ومن احتمال القولين ابن عطية^١ ، وابن جزى^٢ ، وبيننا أنه يعود كذباً في نفس الأمر أيضاً .

الترجيح :

بالنظر في الأقوال الواردة في معنى الآية الكريمة يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ ومن معه ، وهو أن قولهم ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ صريح كذب ؛ وذلك لأمر :

١ _ ما استدل به أصحاب هذا القول من النظائر القرآنية ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٣ .

٢ _ سياق الآية في الرد عليهم بيلي ؛ إذ لو كان ذلك على حسب اعتقادهم لما كان الجواب بيلي ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية^٤ .

٣ _ أنه قول لا يحتاج إلى تقدير ، بينما القول الثاني يحتاج إلى تقدير وهو : (عند أنفسنا وفي اعتقادنا) . والقول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار^٥ .



^١ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨٩) .

^٢ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٧٩) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٩٩) .

^٥ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٤٢١) .

١٤١ / ٢٩ _ المسألة الثانية : من الذي رد على الكفار بقوله ﴿ بَلَى ﴾ ؟ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن هذا السياق كله هو مع أهـ ل العلم والكفار ؛ حيث قال : « والظاهر أن هذا السياق كله هو مع أهل العلم والكفار ، وأن أهل العلم هم الذين ردوا عليهم إخبارهم بنفي عمل السوء ، ويجوز أن يكون الرد من الملائكة ، وهم الأمر وهم بالدخول في النار يسوقونهم إليها »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في من الذي رد على الكفار بقوله ﴿ بَلَى ﴾ على أربعة أقوال :

القول الأول : أنهم : أولوا العلم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، والنسفي^٣ ، ووافقهم أبو السعود^٤ ، والشوكاني^٥ .

القول الثاني : أنهم : الملائكة ، وهو قول الثعلبي^٦ ، والواحدي^٧ ، والبغوي^٨ ، وجوزه أبو حيان^٩ ، وهو قول ابن جزى^{١٠} ، والسيوطي^{١١} ، والطاهر ابن عاشور^{١٢} .

وبين الألويسي أنه المتعين ؛ لكون القول عند معاينة الموت ومعاناته ، أي : بلى كنتم تعملون ما تعملون^{١٣} .

القول الثالث : أن الراد عليهم الخزنة^{١٤} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٢ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٤٣٣ / ٣) .

^٣ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٥ / ١) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٠٩ / ٥) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (١٥٩ / ٣) .

^٦ _ ينظر : الكشف والبيان : (١٤ / ٦) .

^٧ _ ينظر : الوسيط : (٦١ / ٣) ، والوجيز : (٦٠٤ / ١) .

^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (١٧ / ٥) .

^٩ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٧٢ / ٥) .

^{١٠} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٧٩ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٣) .

^{١٢} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤٠ / ١٤) .

^{١٣} _ ينظر : روح المعاني : (١٢٩ / ١٤) .

^{١٤} _ ينظر : البحر المحيط : (٤٧٢ / ٥) .

القول الرابع: أن الراد عليهم الله تعالى ، وهو قول الطبري^١ ، وابن كثير^٢ ، والسمرقندي^٣ ، والمراغي^٤ .

وجمع الرازي بين القول الثاني والرابع فقال : « واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم قالوا : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ قال ﴿ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، ولا يبعد أن يكون قائل هذا القول هو الله تعالى أو بعض الملائكة رداً عليهم وتكديفاً لهم^٥ . واحتملها أيضاً ابن عادل^٦ .
وجمع البيضاوي بين القول الأول والرابع فقال : « ويحتمل أن يكون الراد عليهم هو الله تعالى أو أولو العلم^٧ .

وجمع الألوسي بين القول الأول والثاني والرابع فقال : « ﴿ بَلَىٰ ﴾ رد عليهم من قبل الله تعالى أو من قبل أولي العلم أو من قبل الملائكة عليهم السلام ، ويتعين الأخير على كون القول عند معاينة الموت ومعاناته ، أي : بلى كنتم تعملون ما تعملون^٨ .

الترجيح:

بالنظر في مجمل ما سبق يتبين لي أن الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – القول الثاني ، وهو أن الراد عليهم الملائكة ؛ وذلك يؤيده السياق : فالآيات في ذكر توفّي الملائكة للظالمين ، فالقول عند معاينة الموت ومعاناته ، كما ذكر الألوسي ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٩ .



^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٩٦) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٦) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٧١) .

^٤ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٧٢) .

^٥ _ التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٢) .

^٦ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٤٩) .

^٧ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٤) .

^٨ _ روح المعاني : (١٤ / ١٢٩) .

^٩ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

قال الله تعالى ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [٢٩] .

١٤٢ / ٣٠ _ المراد بالأبواب :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الأبواب في قوله تعالى ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ .. ﴾ حقيقة ؛ حيث قال : « والظاهر الأبواب حقيقة »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالأبواب على ستة أقوال :

القول الأول : أن المراد : الأبواب حقيقة ، وهو ما رجحه أبو حيان .

القول الثاني : أن المراد : الدركات^٢ ، وهو مروى عن الضحاك^٣ ، وقول ابن الجوزي^٤ .

القول الثالث : أن المراد : الطبقات ، وهو مروى عن علي بن أبي طالب^٥ _ رضي الله عنه _ ، وعكرمة^٦ ، وهو قول الفراء^٧ ، والطبري^٨ ، والثعلبي^٩ ، والواحدي^{١٠} ، والبغوي^{١١} ، والقرطبي^{١٢} ، والخازن^١ ، والسيوطي^١ ، والمراغي^٢ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٢) .

^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٤٧٢) .

^٣ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٠٣) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (٤ / ٤٠٢) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٠٦) ، و الدر المنثور : (٥ / ٨٠) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٠٦) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٦٥) ، والدر المنثور : (٥ / ٨١) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ٨٩) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٠٦ ، ١٩٦) .

^٩ _ ينظر : الكشف والبيان : (٥ / ٣٤٢) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^{١٠} _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٤٥) ، والوجيز : (١ / ٥٩٢) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^{١١} _ ينظر : معالم التنزيل : (٤ / ٣٨٢) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^{١٢} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ٣٠) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^١ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ٩٦) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

وجمع النسفي^٣ والبقاعي^٤ بين القول الثاني والثالث بأن المراد بالأبواب : طبقات النار ودركاتها .
وعلى قولهما فتكون الطبقات هي الدرجات .

قال الرازي _ رحمه الله _ : « وتسمى تلك الطبقات بالدرجات ، ويدل على كونها كذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [سورة النساء : ١٤٥] » .^٥

وجمع بين القول الأول والثالث أبو السعود^٦ ، والألوسي^٧ .

القول الرابع : المراد منازل ، وهو قول الزجاج^٨ ، والسمرقندي^٩ .

القول الخامس : أن المراد : الأصناف ، كما يقال : فلان ينظر في باب من العلم أي صنف^{١٠} ، وجوزه الألوسي ؛ حيث قال : « وجوز أن يراد بالأبواب أصناف العذاب ، فقد جاء إطلاق الباب على الصنف ، كما يقال : فلان ينظر في باب من العلم ، أي : صنف منه »^{١١} .

القول السادس : أن المراد بذلك عذاب القبر^{١٢} .

واستبعده أبو حيان فقال : « وأبعد من قال : المراد بذلك عذاب القبر مستدلاً بما جاء « القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار »^{١٣} .
وكذلك استبعده الألوسي^١ .

الترجيح :

^١ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢١٨) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٢ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٧٢) .

^٣ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٧٣) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٥٦) .

^٥ _ التفسير الكبير : (١٩٤ / ١٩) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ٧٩) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٢٩) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٨٠) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^٩ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٦٥) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

^{١٠} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٧٢) .

^{١١} _ روح المعاني : (١٤ / ١٢٩) .

^{١٢} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٧٢) .

^{١٣} _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٢) .

^١ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٢٩) .

فمما سبق يتبين أن الراجح _ والله أعلم _ ما ذهب إليه أبو حيان _ رحمه الله _ من أن المراد الأبواب حقيقة ، وهي توصل إلى طبقات النار ودركاتها .
قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وأبواب جهنم مفضية إلى طبقاتها التي هي بعض على بعض ،
والأبواب كذلك باب على باب »^١ .

ويؤيد هذا القول ما يلي :

١ _ قوله تعالى ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحِتُّ أَبْوَابُهَا ﴾
[سورة الزمر : ٧١] .

٢ _ اللغة .

قال الراجح _ رحمه الله _ : « الباب يقال لدخل الشيء ، وأصل ذلك مداخل الأمكنة ، كباب
المدينة والدار والبيت ، وجمعه : أبواب »^٢ .

٣ _ يؤيد هذا القول القاعدة الترجيحية : « لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب
الرجوع إليه »^٣ ، وكذلك قاعدة : « كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد
على قائله »^٤ .

أما القول الثاني : أنها الطبقات ، والقول الثالث : أنها الدركات ، والقول الرابع : أنها المنازل ،
فهي أقوال متقاربة ، تبين أن جهنم متفاوتة وليست على درجة واحدة .
قال الراجح _ رحمه الله _ : « الدرك : كالدرج ، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود ، والدرك
اعتباراً بالحدور ؛ ولهذا قيل : درجات الجنة ، ودركات النار »^٥ .

وقال : « طبق : المطابقة من الأسماء المتضايقة ، وهو أن تجعل الشيء فوق آخر بقدره »^٦ .
وقال : « النزول في الأصل هو انحطاط من علو . يقال : نزل عن دابته ، ونزل في مكان كذا :
حط رحله فيه ، وأنزله غيره . قال تعالى ﴿ أَنْزَلْنِي مِنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾
[المؤمنون :] »^١ .

^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٨٩) .

^٢ _ مفردات ألفاظ القرآن : (١٥٠) .

^٣ _ ينظر : فصول في أصول التفسير : (١١٢) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٣٤٩) .

^٥ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٣١١) .

^٦ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٥١٦) .

^١ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٧٩٩ - ٨٠١) .

وهذه الأقوال الثلاثة هي تفسير بتسمية الشيء بما يجاوره ، وكان من سببه ، فالأبواب مجاورة لدركات النار أو طبقاتها أو منازلها ، وهي المدخل لها .

قال ابن الجوزي _ رحمه الله _ : « قال ابن الأنباري : لما اتصل العذاب بالباب ، وكان الباب من سببه ، سمي باسمه للمجاورة ، كتسميتهم الحدث غائطاً »^١ .

أما القول الخامس : أن المراد الأصناف ، فبرده السياق فلا يقال : ادخلوا أصناف العذاب ، وإن كان يجوز في بعض الكلام ، إلا أن السياق هنا يرده .

أما القول السادس : أن المراد عذاب القبر ، فقد استبعده أبو حيان والألوسي ، فإنه وإن كان القبر هو أول منازل الآخرة ، فيكون عذاب القبر أول أبواب جهنم إلا أن السياق يرد هذا القول لقوله ﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا ﴾ [سورة النحل : ٢٩] .



^١ _ زاد المسير : (٤ / ٤٠٣) ، عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] .

قال الله تعالى ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [٣٠] .

في الآية الكريمة أربع مسائل :

١٤٣ / ٣١ _ المسألة الأولى : قول المفسرين في ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن قوله ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ مندرج تحت القول ، وهو تفسير للخير الذي أنزل الله في الوحي ؛ حيث قال : « والظاهر أن قوله ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ مندرج تحت القول ، وهو تفسير للخير الذي أنزل الله في الوحي ، أن من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة بدخول الجنة »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في قوله ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن قوله ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ مندرج تحت القول ، وهو تفسير للخير الذي أنزل الله في الوحي ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الواحدي^٢ ، وابن الجوزي^٣ ، ومعنى قول الطبري^٤ ، والمراغي^٥ .

قال الطبري _ رحمه الله _ : « ثم ابتداء الخبر فقال ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ »^٦ . وقال المراغي _ رحمه الله _ : « ثم فصلوا هذا الخير فقالوا ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ »^٧ . وجوزه الزجاج^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٤٣ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٦١ / ٣) ، والوجيز : (٦٠٥ / ١) .

^٣ _ ينظر : زاد المسير : (٤٤٣ / ٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٩٧ / ١٧) .

^٥ _ ينظر : تفسير المراغي : (٧٤ / ١٤) .

^٦ _ جامع البيان : (١٩٧ / ١٧) .

^٧ _ تفسير المراغي : (٧٤ / ١٤) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن : (١٩٦ / ٣) .

القول الثاني: أن ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ وما بعده بجل من ﴿حَيْرًا﴾ حكاية لقوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ، أي: قالوا هذا القول ، فقدم عليه تسميته خيراً ، ثم حكاها ، وهو قول الزمخشري^١ ، و الرازي^٢ .

وجمع بين القول الأول والثاني ابن جزى^٣ .

القول الثالث: هو ابتداء كلام من الله تعالى مقطوع مما قبله^٤ ، وهو قول السمرقندي^٥ ، وابن زمنين^٦ ، والثعلبي^٧ ، والبغوي^٨ ، والخازن^٩ ، والطاهر ابن عاشور^{١٠} . وجوزه الزمخشري ، فقال: « ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأً عدة للقائلين ، ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوه عليه »^{١١} . وكذلك جوزه الرازي^{١٢} .

واستدل لهذا القول بأنه نظير قوله تعالى ﴿ قُلْ يٰعِبَادِ ٱللّٰهِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ ٱللّٰهِ ٱحْسِنُوا فِى هَذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَٱرْضُ ٱللّٰهَ وَٱلسَّعَةِ ٱللّٰهِ ﴾ [الزمر : ١٠]^{١٣} . قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « وهو بالمعنى وعد متصل بذكر إحسان المتقين في مقالتهم »^{١٤} .

^١ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣٤) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٤) .

^٣ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٠) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٧٤) .

^٥ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٧٢) .

^٦ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٢ / ٤٠٠) .

^٧ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ١٥) .

^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ١٧) .

^٩ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٣) .

^{١٠} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٤٢) .

^{١١} _ الكشاف : (٣ / ٤٣٤) .

^{١٢} _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٤) .

^{١٣} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٤٢) .

^{١٤} _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٤) .

وقال البيضاوي بالقول الثالث وجوز القولين الآخرين ، فقال : « وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ، ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا ، وتفسيرا له ﴿ حَيْرًا ﴾ [سورة النح — ل : ٣٠] »^١ .

قال الشهاب — رحمه الله — : « قوله : « عدة » كلام مستأنف فيكون في الوعد هنا نظير قوله ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ﴾ [سورة الرحل : ٢٥] في الوعيد هناك ، وهو الوجه ؛ ولذا قدمه »^٢ .
وقال عن قوله « ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا ، وتفسيرا له ﴿ حَيْرًا ﴾ [سورة النحل : ٣٠] » : « وهذا بيان لوجه آخر يحتمله النظم »^٣ .

وجمع بين القول الثاني والثالث النسفي^٤ .

وجوز الأقوال الثلاثة السمين الحلبي^٥ ، وابن عادل^٦ ، وجمع بينها أبو السعود^٧ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — جواز حمل الآية على الأقوال كلها ، وهو ما ذهب إليه السمين الحلبي ، وابن عادل ، وأبو السعود ؛ وذلك لأن ثمرة الأقوال الثلاثة واحد ، وهو أن ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ إما وعد من الله تعالى ، أو من كلام الذين اتقوا والله عز وجل ذكره عنهم إقراراً بصحة كلامهم ، فيكون في معنى الوعد . والله أعلم .



^١ — أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٥) .

^٢ — حاشية الشهاب : (٥ / ٥٧٩) .

^٣ — حاشية الشهاب : (٥ / ٥٧٩) .

^٤ — ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٥) .

^٥ — ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢١٥) .

^٦ — ينظر : اللباب : (١٢ / ٤٩ — ٥٠) .

^٧ — ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٠) .

١٤٤ / ٣٢ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿حَسَنَةً﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن معنى حسنة : مكافأة ؛ حيث قال : « ومعنى حسنة : مكافأة في الدنيا بإحسانهم ، ولهم في الآخرة ما هو خير منها »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿حَسَنَةً﴾ على أقوال :

القول الأول : مكافأة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزجاج^٢ ، والزمخشري^٣ ، والبيضاوي^٤ .

واستدل لهذا القول بأنه كقوله ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ [آل عمران : ١٤٨]^٥ .

القول الثاني : كرامة ، وهو قول الطبري^٦ ، والثعلبي^٧ ، والبغوي^٨ ، وابن الجوزي^٩ ، وابن عادل^{١٠} .

إلا أن ابن الجوزي زاد : « وهي الجنة »^{١١} .

القول الثالث : هي النصر والفتح ، وهو قول الضحاك^{١٢} .

القول الرابع : هي الرزق الحسن ، وهو قول مجاهد^{١٣} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (١٩٦ / ٣) .

^٣ _ ينظر : الكشف : (٤٣٤ / ٣) .

^٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٩٥ / ٣) .

^٥ _ ينظر : الكشف : (٤٣٤ / ٣) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٩٧ / ١٧) .

^٧ _ ينظر : الكشف والبيان : (١٥ / ٦) .

^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (١٧ / ٥) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤٤٣ / ٤) .

^{١٠} _ ينظر : اللباب : (٥٠ / ١٢) .

^{١١} _ زاد المسير : (٤٤٣ / ٤) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير القرآن ، للسماعي : (١٦٩ / ٣) ، ومعالم التنزيل : (١٧ / ٥) ، ولباب التأويل في معاني

التنزيل : (١١٣ / ٣) ، واللباب : (٥٠ / ١٢) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير القرآن ، للسماعي : (١٦٩ / ٣) ، ومعالم التنزيل : (١٧ / ٥) ، ولباب التأويل في معاني

التنزيل : (١١٣ / ٣) ، واللباب : (٥٠ / ١٢) .

القول الخامس: ثواب وأمن وغنيمة ، وهو قول النسفي^١ .

القول السادس : الحياة الطيبة ، وهو قول السيوطي^٢ ، والطاهر ابن عاشور^٣ وزاد فقال : « وما

فتح الله لهم من زهرة الدنيا مع نعمة الإيمان » ، واستدل بقوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةًۦ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٧] .

وجمع السعدي بين القولين الخامس ، والسادس ؛ حيث قال : « رزق واسع ، وعيشة هنية ، وطمأنينة قلب ، وأمن ، وسرور »^٤ .

القول السابع : ثواب مضاعف ، وهو قول ابن عباس^٥ ، والواحدي^٦ .

القول الثامن : مثوبة حسنة ، وهو قول أبي السعود^٧ ، والشوكاني^٨ ، والألوسي^٩ ، والمراغي^{١٠} .

إلا أن أبا السعود زاد : « مثوبة حسنة مكافأة فيها »^{١١} .

القول التاسع : الجنة ، وهو قول ابن زنين^{١٢} ، والقرطبي^{١٣} ، والشنقيطي^{١٤} .

قال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ [سورة

النحل : ٣٠] ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن من أحسن عمله في هذه الدار التي هي الدنيا كان له عند الله الجزاء الحسن في الآخرة . وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة . كقوله ﴿ لِلَّذِينَ

^١ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٥) .

^٢ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٣) .

^٣ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٤٢ - ١٤٣) .

^٤ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٢٦) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن ، للسمعي : (٣ / ١٦٩) ، و معالم التنزيل : (٥ / ١٧) ، و اللباب : (١٢ / ٥٠) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦٠٥) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٠) .

^٨ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٩) .

^٩ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٣١) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٧٤) .

^{١١} _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٠) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير ابن زنين : (٢ / ٤٠٠) .

^{١٣} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٠٠) .

^{١٤} _ ينظر : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٦٢) .

أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴿ [سورة يونس : ٢٦] الآية .
 والحسنى : الجنة . والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم . وقوله ﴿ وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا
 بِالْحُسْنَىٰ ﴾ [سورة النجم : ٣١] ، وقوله ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [سورة
 الرحمن : ٦٠] . وقوله ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ [سورة النمل : ٨٩] ، وقوله
 في هذه الآية ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة النحل : ٣٠] أي مجازاة حسنة بالجنة ونعيمها . والآيات في مثل
 ذلك كثيرة «^١ .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول السادس ، وهو أن المراد
 بالحسنة : الحياة الطيبة ؛ لعدة أمور :

١ _ تفسير القرآن لها بقوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
 حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٧] .

قال ابن كثير _ رحمه الله _ : « ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾
 [سورة النحل : ٣٠] كما قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل :
 ٩٧] ، أي : من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة «^٢ .

٢ _ معنى الحسنة في اللغة يؤيد ذلك :

قال الراغب _ رحمه الله _ : « الحسن : عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه ، ... والحسنة : يعبر
 بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادها »^٣ .

وقال الفيروز آبادي _ رحمه الله _ : « الحسنة ضد السيئة ، ... والحسن محركة : ما حسن من
 كل شيء »^٤ .

^١ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٦٢) .

^٢ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٧) .

^٣ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٢٣٥ - ٢٣٧) .

^٤ _ القاموس المحيط : (١١٨٩) .

وعليه تدخل الأقوال الخمسة الأولى ؛ لأن الحياة الطيبة تشملها ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^١ .
أما الأقوال الأخرى فتدل على أن المراد أن لهم ذلك في الآخرة ، وسيأتي في الترجيح القادم بيان أن لهم تلك الحسنه في الدنيا .



^١ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

١٤٥ / ٣٣ _ المسألة الثالثة : متى تكون لهم هذه الحسنة ؟ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن هذه الحسنة تكون لهم : في الدنيا ؛ حيث قال : ((ومعنى حسنة : مكافأة في الدنيا بإحسانهم ، ولهم في الآخرة ما هو خير منها))^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في متى تكون لهم هذه الحسنة على أقوال :

القول الأول : في الدنيا ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ، و الزجاج^٣ ، والزمخشري^٤ ، وابن عطية^٥ ، ورجحه الرازي^٦ ، وهو قول البيضاوي^٧ ، والخازن^٨ ، ووافقهم ابن كثير^٩ ، والثعالبي^{١٠} ، وأبو السعود^{١١} ، والشوكاني^{١٢} ، والألوسي^{١٣} ، و الطاهر ابن عاشور^{١٤} .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ النظائر القرآنية : أن هذه الآية كقوله تعالى ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٨] ^{١٥} ، وكما قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٧] ، أي : من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة^١ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٩٧ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن : (١٩٦ / ٣) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٤٣٤ / ٣) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٩٠ / ٣) .

^٦ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٤ / ٢٠) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٩٥ / ٣) .

^٨ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١١٣ / ٣) .

^٩ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٦٧ / ٢) .

^{١٠} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٢٧ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١١٠ / ٥) .

^{١٢} _ ينظر : فتح القدير : (١٥٩ / ٣) .

^{١٣} _ ينظر : روح المعاني : (١٣١ / ١٤) .

^{١٤} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤٢ / ١٤) - (١٤٣) .

^{١٥} _ ينظر : الكشاف : (٤٣٤ / ٣) .

^١ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٦٧ / ٢) .

٢ _ سياق الآية اللاحق يدل عليه ؛ لأنه قال بعده : ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [سورة النحل : ٣٠]^١ .

قال الخازن _ رحمه الله _ : « ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [سورة النحل : ٣٠] يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يخص ل ل _ هم في الدنيا»^٢ .

٣ _ أن الجار والمجرور متعلق بما بعده ، وهو قوله : ﴿ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة النحل : ٣٠] متعلق بقوله : ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة النحل : ٣٠] والتقدير : للذين أحسنوا أن تحصل لهم الحسنة في الدنيا^٣ .

قال الألويسي _ رحمه الله _ : « والجار والمجرور متعلق بما بعده على معنى : أن تلك الحسنة لهم في الدنيا»^٤ .

القول الثاني : في الآخرة ، وهو قول السمرقندي^٥ ، وابن الجوزي^٦ . وهو معنى قول من قال إن المراد بالحسنة : الجنة ، أو الثواب المضاعف ، كما سبق .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن هذه الحسنة تكون لهم في الدنيا ، جزاء إحسانهم ، مع ما لهم في الآخرة من النعيم ؛ وذلك لما استدل به أصحاب القول الأول ، فهو قول تؤيده عدة أمور :

- ١ _ النظائر القرآنية ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٧ .
- ٢ _ السياق ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٨ .
- ٣ _ اللغة ، ويظهر في أن الجار والمجرور متعلق بما بعده على معنى : أن تلك الحسنة لهم في الدنيا .

^١ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٤) .

^٢ _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٣) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٤) .

^٤ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٣١) .

^٥ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٧٢) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٤٣) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

^٨ _ قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي ١ / ١٢٥ .

١٤٦ / ٣٤ _ المسألة الرابعة : من المخصوص بالمدح في قوله تعالى ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ؟

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المخصوص بالمدح هو جنات عدن ؛ حيث قال : « والظاهر أن المخصوص بالمدح هو جنات عدن »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في المخصوص بالمدح في قوله تعالى ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن المخصوص بالمدح هو جنات عدن ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً ترجيح

الخازن^٢ ، وهو قول المراغي^٣ ، وجمهور المفسرين^٤ .

وجوزه ابن الجوزي^٥ ، وأبو البقاء^٦ ، والبيضاوي^٧ ، والسمين الحلبي^٨ ، وابن عادل^٩ ، وأبو السعود^{١٠} .

واحتمله ابن جزي^{١١} .

واستدل لهذا القول بأن السياق اللاحق يفسره وهو قوله ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴾ [سورة

النحل : ٣١]^{١٢} .

القول الثاني : أن المخصوص بالمدح الدار الآخرة ، وهو قول الزجاج^{١٣} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٤٣ / ٢)

^٢ _ ينظر : لباب التأويل : (١١٣ / ٣) .

^٣ _ ينظر : تفسير المراغي : (٧٥ / ١٤) .

^٤ _ ينظر : لباب التأويل : (١١٣ / ٣) .

^٥ _ ينظر : زاد المسير : (٤٤٣ / ٤) .

^٦ _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٣٧٦) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٩٥ / ٣) .

^٨ _ ينظر : الدر المصون : (٢١٥ / ٧) .

^٩ _ ينظر : اللباب : (٥٠ / ١٢) .

^{١٠} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١١٠ / ٦) .

^{١١} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٨٠ / ٢) .

^{١٢} _ ينظر : لباب التأويل : (١١٣ / ٣) .

^{١٣} _ ينظر : معاني القرآن : (١٩٦ / ٣) .

وابن الأنباري^١ ، والزمخشري^٢ ، والرازي^٣ ، والبيضاوي^٤ ، وابن عادل^٥ ، والبقاعي^٦ ، وأبو السعود^٧ ، والشوكاني^٨ ، والطاهر ابن عاشور^٩ ، وهو قول الجمهور^{١٠} .
وعللو حذف المخصوص بالمدح ؛ لتقدم ذكره^{١١} .
وجمع بين القولين النسفي^{١٢} .

قال الرازي _ رحمه الله _ : « ﴿ وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي لنعم دار المتقين دار الآخرة ، فحذفت لسبق ذكرها ، هذا إذا لم تجعل هذه الآية متصلة بما بعدها ، فإن وصلت بما بعدها قلت : ولنعم دار المتقين جنات عدن فترفع جنات على أهما اسم لنعم ، كما تقول : نعم الدار دار يترها زيد »^{١٣} . ونحوه قال ابن عادل^{١٤} .

القول الثالث : أهما الدنيا ؛ لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ، وهو قول الحسن^{١٥} .
قال البقاعي _ رحمه الله _ : « وهو صالح لتقدير الدنيا - أي لمن عمل فيها بالتقوى - »^{١٦} .

-
- ^١ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٤٣) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٣١) .
^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣٤) .
^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٥) .
^٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٥) .
^٥ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٥٠) .
^٦ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٥٦) .
^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٦ / ١١٠) .
^٨ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٥٩) .
^٩ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٤٣) .
^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٠١) .
^{١١} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣٤) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٤٣) ، والتفسير الكبير : (٢٠ / ٢٥) ،
وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٥) ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٥) ، ونظم الدرر :
(٤ / ٤٥٦) ، وإرشاد العقل السليم : (٦ / ١١٠) ، وفتح القدير : (٣ / ١٥٩) ، وروح المعاني :
(١٤ / ١٣١) ، والتحرير والتنوير : (١٤ / ١٤٣) .
^{١٢} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٥) .
^{١٣} _ التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٥) .
^{١٤} _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٥٠) .
^{١٥} _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٨٧) ، وتفسير السمعي : (٣ / ١٦٩) ، ومعالم التنزيل : (٥ / ١٧) ،
وزاد المسير : (٤ / ٤٤٣) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٠١) .
^{١٦} _ نظم الدرر : (٤ / ٤٥٦) .

الترجيح :

بالنظر في مجمل الأقوال في معنى الآية الكريمة يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المخصوص بالمدح جنات عدن ؛ وذلك لأن كلمة الدار الآخرة أعم من دار المتقين ؛ وعليه يكون المخصوص بالمدح جنات عدن . قال القونوي : « وكون الدار الآخرة مخصوصاً بالمدح بناء على أن المراد بها ثوابهم كما نبه عليه ، وإلا فالدار الآخرة اسم للقيامة ، أعم من دار المتقين ، وهذا يقتضي كون جنات عدن مخصوصاً بالمدح راجحاً ، لكن رجح الأول _ أي : البيضاوي رجح : الدار الآخرة _ ؛ لأن ما بعده يؤيده على ما ذهب إليه البعض^١ .

أما القول الثالث : وهو أن المخصوص بالمدح الدنيا ، فهو قول يحتاج إلى تقدير وهو : لمن عمل فيها بالتقوى ، والقول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار^٢ .



^١ _ حاشية القونوي : (١١ / ٢٦٤) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٤٢١) .

قال الله تعالى ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٢] .

١٤٧ / ٣٥ _ المراد بـ ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بـ ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ : أنهم صالحوا الأحوال مستعدون للموت ؛ حيث قال :
« وطيبين : حال من مفعول تتوفاهم ، والمعنى : أنهم صالحوا الأحوال مستعدون للموت ، والطيب :
الذي لا خبث فيه ، ومنه ﴿ طَبَّيْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَلِيدِينَ ﴾ [سورة الزمر : ٧٣] »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أنهم صالحوا الأحوال مستعدون للموت ، وهو ما رجحه أبو حيان ، موافقاً قول ابن عطية^٢ ، ووافقهما الثعالبي^٣ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أنه بخلاف ما قال في الكفرة ﴿ ظَالِمِيْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [النحل : ٢٨] ^٤ .

٢ _ أن الطيب : الذي لا خبث فيه^٥ ، ومنه قوله تعالى ﴿ طَبَّيْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَلِيدِينَ ﴾ [سورة الزمر : ٧٣]^٦ .

القول الثاني : طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي ، وهو قول النحاس^٧ ، والسمرقندي^٨ ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٣٤ / ٢) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٩٠ / ٣) .

^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٢٦ / ٢) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٩٠ / ٣) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٩٠ / ٣) ، والبحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) ، والجواهر الحسان : (٢٢٦ / ٢) .

^٦ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٩٠ / ٣) ، والبحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) .

^٧ _ ينظر : إعراب القرآن : (٣٩٥ / ٢) .

^٨ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧٢ / ٢) .

والثعلبي^١ ، والواحدي^٢ ، والسمعاني^٣ ، والبغوي^٤ ، والزحشري^٥ ، والبيضاوي^٦ ، والخازن^٧ ،
والنسفي^٨ ، والبقاعي^٩ ، والسيوطي^{١٠} ، والشنقيطي^{١١} .

واستدل لهذا القول بأنه في مقابلة قوله تعالى ﴿ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [النحل : ٢٨] ؛ لأن
ظلم النفس يكون بالكفر ، والمعاصي^{١٣} .

القول الثالث : طيبين : سهلة وفاقم لا صعوبة فيها ولا ألم ، بخلاف ما يقبض روح الكافر
والمخلط^{١٤} ، واحتمله الماوردي^{١٥} .

القول الرابع : زاكية أفعالهم وأقوالهم^{١٦} ، وهو قول مجاهد^{١٧} .

القول الخامس : طيبون بتطيب الله إياهم بنظافة الإيمان ، وطهر الإسلام في حال حياتهم
وحال مماتهم ، وهو قول الطبري^{١٨} .

^١ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ١٥) .

^٢ _ الوجيز : (١ / ٦٠٥) .

^٣ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٧٠) .

^٤ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ١٧) .

^٥ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٤٣٤) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٥) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٣) .

^٨ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٥) .

^٩ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٥٦) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٣) .

^{١١} _ أضواء البيان : (٣ / ٢٦٦) .

^{١٢} _ ينظر : الكشف : (٣ / ٤٣٤) ، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٥) ، و مدارك التنزيل
وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٥) .

^{١٣} _ ينظر : حاشية القونوي : (١١ / ٢٦٥) .

^{١٤} _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٤٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٧٤) .

^{١٥} _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٨٧) .

^{١٦} _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٤٣ - ٤٤٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٧٤) .

^{١٧} _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ١٧) ، و لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٣) .

^{١٨} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٩٨) .

القول السادس : طيبي الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى^١ . واحتمله الماوردي^٢ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر لي أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أنه لا خلاف جوهرى بين الأقوال ، فهي تدور حول ذكر بعض أعمال الطيبين وصفاتهم ، إلا أن القول الرابع : وهو زاكية أفعالهم وأقوالهم^٣ ، وهو قول مجاهد^٤ ؛ هو الأقرب لأنه يوافق اللغة ؛ وذلك لأن معنى طيبين في اللغة : ما لذ وزكا .

قال الراجح _ رحمه الله _ : « وأصل الطيب : ما تستلذه الحواس ، وما تستلذه النفس ... والطيب من الإنسان : من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال ، وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال ، وإيهاهم قصد بقوله : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [سورة النحل : ٣٢] ، وقال : ﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [سورة الزمر : ٧٣] ، وقال تعالى : ﴿ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [سورة آل عمران : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [الأنفال : ٣٧] ، وقوله : ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ [سورة النور : ٢٦] ، تنبيه أن الأعمال الطيبة تكون من الطيبين »^٥ .

وقال الفيروز آبادي _ رحمه الله _ : « طَابَ يَطِيبُ طَابًا وَطَيْبًا وَطَيْبَةً وَطَيْبًا لَذَّ وَزَكَا »^٦ . وقال الألويسي _ رحمه الله _ : « والكثير على تفسير الطيب بالطاهر عن قاذورات الذنوب في مطابق الذي لا خبث فيه ... فالمراد بالطيب : طيب النفس ، وطيبها عبارة عن القبول مع انشراح الصدر »^٧ .

وعليه فكلمة ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة .

قال الرازي _ رحمه الله _ : « وقوله : ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة ، وذلك لأنه يدخل فيه إتيانهم بكل ما أمروا به ، واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه كونهم موصوفين بالأخلاق الفاضلة مبرئين عن الأخلاق المذمومة ، ويدخل فيه كونهم مبرئين عن العلائق الجسمانية

^١ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٤٤) .

^٢ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٨٧) .

^٣ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٤٣ - ٤٤٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٧٤) .

^٤ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ١٧) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٣) .

^٥ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٥٢٧) .

^٦ _ القاموس المحيط : (١١٠) ، مادة (طاب) .

^٧ _ روح المعاني : (١٤ / ١٣٣) .

متوجهين إلى حضرة القدس والطهارة ، ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الأرواح وأنها لم تقبض إلا مع
البشارة بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ، ومن هذا حاله لا يتألم بالموت»^١ .



^١ _ التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٥) .

١٤٨ / ٣٦ _ المسألة الثانية : متى يقال ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أنه يقال لهم ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ عند دخول الجنة ؛ حيث قال : « وقال مقاتل والحسن عند دخول الجنة ، وهو قول خزنة الجنة لهم في الآخرة ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَىٰ آلِ دَارٍ﴾ [سورة الرعد : ٢٤] ويدل لهذا القول قولهم ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ووقت الموت لا يقال لهم : ادخلوا الجنة»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في متى تقول الملائكة ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه يقال لهم ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ عند دخول الجنة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن مقاتل^٢ ، والحسن^٣ ، وقول السمرقندي^٤ .

واستدل لهذا القول بالسياق اللاحق للآيات : وهو قوله ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ووقت الموت لا يقال لهم ادخلوا الجنة^٥ .

القول الثاني : هو وقت قبض الملائكة أرواح المتقين ، وهي تقول لهم : سلام عليكم صيروا إلى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة ، وهو مروي عن ابن مسعود^٦ ، ومحمد بن كعب^٧ ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٣٤ / ٢) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤٤٤ / ٤) ، والبحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) .

^٣ _ البحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) ، وروح المعاني : (١٣٣ / ١٤) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧٢ / ٢) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٦) ، والبحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٧٤ / ٥) ، وروح المعاني : (١٣٣ / ١٤) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٩٨ - ١٩٩) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٨٢) ،

والدر المنثور : (١٢٨ / ٥) .

وابن عباس^١، والبراء^٢، ومجاهد^٣، وقول الطبري^٤، والزمخشري^٥، والحازن^٦، والنسفي^٧، وابن كثير^٨، والطاهر بن عاشور^٩، وهو قول أكثر المفسرين^{١٠}.

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أنه كقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ . نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [سورة فصلت : ٣٠ - ٣٢] ^{١١} .

٣ _ أن الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها فيكون المراد بقولهم ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أي : هي خاصة لكم كأنكم فيها ^{١٢} .

القول الثالث : ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ، وهو قول السيوطي ^{١٣} .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ الجمع بين القول الأول والثاني ؛ لأن الآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بكما .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٩٩) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٩٩) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٧٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ١٩٨) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٣٤) .

^٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٣) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٥) .

^٨ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٩) .

^٩ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٤٤) .

^{١٠} _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٦) .

^{١١} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٩) .

^{١٢} _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٢٦) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٣) .

ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ،
أو التنويع^١ .

قال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « والبشارة عند الموت ، وعند دخول الجنة من باب واحد . لأنها
بشارة بالخير بعد الانتقال إلى الآخرة »^٢ .



^١ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٢ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٦٦) .

قال الله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٣٣] .

١٤٩ / ٣٧ _ معنى قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد : مثل فعلهم في انتظار الملائكة أو أمر الله فعل الكفار الذين يقدمونهم ؛ حيث قال : « والكاف في موضع نصب ، أي : مثل فعلهم في انتظار الملائكة أو أمر الله فعل الكفار الذين يقدمونهم ، وقيل : ... والظاهر القول الأول لدلالة ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ عليه »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المراد : مثل فعلهم في انتظار الملائكة أو أمر الله فعل الكفار الذين يقدمونهم ، وهو ما رجحه أبو حيان .

واستدل لهذا القول بدلالة ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ عليه^٢ .

القول الثاني : مثل فعلهم في الكفر والديمومة عليه فعل متقدميهم من الكفار ، وهو قول الطبري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، وابن زمنين^٥ ، والواحدي^٦ ، والسمعي^٧ ، والبغوي^٨ ، والزنجشيري^٩ ، ابن الجوزي^{١٠} ، والرازي^{١١} ، والقارطبي^{١٢} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٥ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٣٤ / ٢) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٧٥ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧٩ / ١٧) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧٣ / ٢) .

^٥ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٤٠١ / ٢) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (٦٠٥ / ١) .

^٧ _ ينظر : تفسير السمعي : (١٧٠ / ٣) .

^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (١٨ / ٥) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٤٣٤ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : زاد المسير : (٤٤٤ / ٤) .

^{١١} _ ينظر : التفسير الكبير (٢٠ / ٢٦) .

^{١٢} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ١٠٢) .

والبيضاوي^١ ، والخانز^٢ ، والنسفي^٣ ، وابن كثير^٤ ، والبقاعي^٥ ، والسيوطي^٦ ، وأبي السعود^٧ ، والشوكاني^٨ ، والألوسي^٩ ، والسعدي^{١٠} ، والمراعي^{١١} .

القول الثالث : مثل اغترارهم باستبطاء العذاب اغتر الذين من قبلهم ، على أن ﴿ فَعَلَّ ﴾ هنا

كناية عن اغترارهم^{١٢} .

الترجيح :

باستعراض ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني : وهو مثل فعلهم في الكفر والديمومة عليه ؛ وذلك لأنه عام يشمل كل أفعال الكفار ، ومنها ما جاء في القولين الآخرين وهما : انتظارهم للملائكة أو أمر الله بالهلاك ، أو اغترارهم باستبطاء العذاب ، وبقاءهم على الكفر كان سبباً لتزول العذاب عليهم ؛ ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^{١٣} .



- ١ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٦) .
- ٢ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٤) .
- ٣ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٥) .
- ٤ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٦٨) .
- ٥ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٥٧) .
- ٦ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٣) .
- ٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١١) .
- ٨ _ ينظر فتح القدير : (٣ / ١٦١) .
- ٩ _ ينظر : روح المعاني : (١٠ / ١٥١) .
- ١٠ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن (١ / ٩٢٧) .
- ١١ _ ينظر : تفسير المراعي : (١٤ / ٧٧) .
- ١٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٥) .
- ١٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤١] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٣٨ / ١٥٠ _ المسألة الأولى : من المراد بـ ﴿الَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد العموم في كل من هاجر ؛ حيث قال : « ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ عموم في المهاجرين كائناً ما كانوا فيشمل أولهم وآخرهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿الَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ على أقوال :

القول الأول : عموم في المهاجرين كائناً ما كانوا فيشمل أولهم وآخرهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول النحاس^٢ ، والقرطبي^٣ ، والبيضاوي^٤ ، والنسفي^٥ ، ووافقهم السيوطي^٦ .
واستدل لهذا القول بما روي أن عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ كان إذا دفع إلى المهاجرين أعطيتهم قال لهم : « هذا ما وعدكم الله في الدنيا ، وما ذخر لكم في الآخرة أكثر » ، ثم يتلو ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ [سورة النحل : ٤١]^٧ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٧ / ٥) . وينظر : النهر الماد : (٢٤٥ / ٢) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن للنحاس : (٦٧ / ٤) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠٧ / ١٠) .

^٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٩٨ / ٣) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٧ / ١) .

^٦ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٥) .

^٧ _ ينظر : التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ : (٥١٠) ، ومعاني القرآن للنحاس : (٦٧ / ٤) ،

والمحرر الوجيز : (١٦٩ / ٤) ، والبحر المحيط : (٤٧٧ / ٥) .

القول الثاني: نزلت في مهاجري أصحاب الرسول ﷺ - الذين هاجروا إلى الحبشة ، وهو مروى عن قتادة^١ ، وصححه ابن عطية^٢ ، وهو قول ابن جزى^٣ ، واحتمله ابن كثير^٤ ، وهو قول الطاهر بن عاشور^٥ ، وقول الجمهور^٦ .

قال ابن عطية - رحمه الله - : « لما ذكر الله تعالى كفار مكة الذين أقسموا أن الله لا يبعث من يموت ، ورد على قولهم ، ذكر مؤمني مكة المعاصرين لهم ، وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، هذا قول الجمهور ، وهو الصحيح في سبب الآية ؛ لأن هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية »^٧ .
وقال أبو السعود عن هذا القول : « وهو الأنسب بما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية »^٨ .

وزاد الطاهر بن عاشور أنه قد يكون المراد من هاجر إلى المدينة قبل هجرة النبي ﷺ - ؛ لأن السورة مكية ؛ حيث قال : « وسبب النزول الذين هاجروا إلى أرض الحبشة من المسلمين لا محالة ، أو الذين هاجروا إلى المدينة الهجرة الأولى قبل هجرة النبي ﷺ - وبقية أصحابه - رضي الله عنهم - مثل : مصعب بن عمير وأصحابه إن كانت هذه الآية نازلة بعد الهجرة الأولى إلى المدينة . وكلا الاحتمالين لا ينافي كون السورة مكية ، ولا يقتضي تخصيص أولئك بهذا الوعد »^٩ .
واستدل لهذا القول بأن السورة مكية^{١٠} ، وعليه فيكون المقصود الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، أو الذين هاجروا إلى المدينة الهجرة الأولى قبل هجرة النبي ﷺ - وبقية أصحابه - رضي الله عنهم - .

القول الثالث: نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو ، وهو مروى عن داود بن أبي هند^١ .

- ^١ - ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٠٥ - ٢٠٦) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٨٤) ، والدر المنثور : (٥ / ١٣١) .
- ^٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٤) .
- ^٣ - ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٢) .
- ^٤ - ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٠) .
- ^٥ - التحرير والتنوير : (١٤ / ١٥٨) .
- ^٦ - ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٤) .
- ^٧ - المرجع السابق : (٣ / ٣٩٤) .
- ^٨ - إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٥) .
- ^٩ - التحرير والتنوير : (١٤ / ١٥٨) .
- ^{١٠} - ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٤) ، و التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٢) ، و التحرير والتنوير : (١٤ / ١٥٨) .

وضعه ابن عطية فقال : « وقالت فرقة سب الآية أبو جندل بن سهيل بن عمرو . قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف ؛ لأن أمر أبي جندل كان والني ﷺ بالمدينة »^٢ . يريد - رحمه الله - أن السورة مكية ، فكيف يكون سب التزول في شأن أبي جندل - ﷺ - .

قال الشوكاني - رحمه الله - : « واعترض بأن السورة مكية ، وذلك يخالف قوله : ﴿ وَالَّذِينَ

هَاجَرُوا ﴾ [سورة النحل : ٤١] . وأجيب بأنه يمكن أن تكون هذه الآية من جملة الآيات المدنية في هذه السورة كما قدمنا في عنوانها »^٣ .

القول الرابع : نزلت في صهيب ، وبلال ، وخباب بن الأرت وأضراهم عذبهم المشركون بمكة فبوأهم الله المدينة ، وهو مروى عن ابن عباس^٤ ، وهو قول الزجاج^٥ ، والثعلبي^٦ ، والواحدي^٧ ، والبعوي^٨ ، والخازن^٩ .

قال أبو السعود - رحمه الله - : « وأما ما نقل عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من أنها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وأبي جندل بن سهيل فإنما يناسب ما حكي ... من كون كل السورة مدنية »^{١٠} .

الترجيح :

- ^١ - ينظر : تفسير عبد الرزاق : (٢ / ٣٥٦) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٠٦) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم في تفسيره : (٧ / ٢٢٨٣) ، والدر المنثور : (٥ / ١٣١) .
- و داود بن أبي هند ، اسمه : دينار ، وقيل : طهمان بن عداfer ، أبو بكر ، ويقال : أبو محمد القشيري مولاهم البصري ، رجلاً صالحاً ثقة ، توفي سنة ١٣٩ هـ . ينظر : الوافي بالوفيات : (٤ / ٤١٧) .
- ^٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٤) .
- ^٣ - فتح القدير : (٣ / ١٦٤) .
- ^٤ - ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٠٦) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٨٣) ، والدر المنثور : (٥ / ١٣١) .
- ^٥ - ينظر : معاني القرآن : (٣ / ١٩٩) .
- ^٦ - ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ١٧) .
- ^٧ - ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٣) ، والوجيز : (١ / ٦٠٧) .
- ^٨ - ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٢٠) .
- ^٩ - ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٥) .
- ^{١٠} - إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٥) .

بالنظر في ما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد العموم في المهاجرين كائناً ما كانوا فيشمل أولهم وآخرهم .
قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « قال القاضي أبو محمد : وعلى كل قول فالآية تتناول بالمعنى كل من هاجر أولاً وآخرًا »^١ . وذلك لأن الاختلاف في تعيين المراد دون المعنى ، فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية^٢ .

قال الراغب _ رحمه الله _ : « الهجر والهجران : مفارقة الإنسان غيره ؛ إما بالبدن ؛ أو باللسان ؛ أو بالقلب ... والمهاجرة في الأصل : مصارمة الغير ومطاركته ؛ من قوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ﴾ [سورة الأنفال : ٧٤] ، وقوله : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ [سورة الحشر : ٨] ، وقوله : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة النساء : ١٠٠] ، ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء : ٨٩] فالظاهر منه الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة »^٣ .



^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٤) .

^٢ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٣ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٨٣٣) .

١٥١ / ٣٩ _ المسألة الثانية : مرجع الضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عائد على الكفار فقال : « والضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عائد على الكفار ، أي : لو كانوا يعلمون أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة ؛ لرغبوا في دينهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾ على أربعة أقوال :

القول الأول : أن الضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عائد على الكفار أي : لو كانوا يعلمون أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة ؛ لرغبوا في دينهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول السمعاني^٢ ، والبغوي^٣ ، وابن عطية^٤ ، والقرطبي^٥ ، ووافقه البقاعي^٦ ، وأبو السعود^٧ ، والشوكاني^٨ ، والألوسي^٩ ، واستدل لهذا القول بأن الضمير منصرف إلى المشركين دون المهاجرين ؛ لأنهم كانوا يعلمون أن أجر الآخرة أكبر^{١٠} .

القول الثاني : يعود على المهاجرين ، أي : لو كانوا يعلمون ذلك ؛ ل زادوا في اجتهادهم وصبرهم^{١١} ، وفي هذا الوجه تتناسق الضمائر^{١٢} .

ورد على هذا القول بأنه لا يجوز ذلك ؛ لأن المهاجرين يعلمونه^١ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٧ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٤٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : تفسير السمعي : (١٧٤ / ٣) .

^٣ _ ينظر : معالم التنزيل : (٢٠ / ٥) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٩٥ / ٣) .

^٥ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠٧ / ١٠) .

^٦ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٦٤ / ٤) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١١٦ / ٥) .

^٨ _ ينظر : فتح القدير : (١٦٤ / ٣) .

^٩ _ ينظر : روح المعاني : (١٤٦ / ١٤) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير السمعي : (١٧٤ / ٣) ، و معالم التنزيل : (٢٠ / ٥) .

^{١١} _ ينظر : البحر المحيط : (٤٧٧ / ٥) ، و روح المعاني : (١٤٦ / ١٤) .

^{١٢} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٥٩ / ١٤) .

ودفع هذا الرد بأن المراد على المشاهدة ، وليس الخبر كالمعاينة ، أو المراد العلم التفصيلي^٢ .
وجمع بين القولين الزمخشري^٣ ، والبيضاوي^٤ ، والنسفي^٥ ، والسمين الحلبي^٦ ، وابن عادل^٧ ،
والطاهر بن عاشور^٨ .

القول الثالث : يعود على كفار أهل مكة ، وهو قول ابن الجوزي^٩ ، والثعالبي^{١٠} .

القول الرابع : أن يكون الضمير للمتخلفين عن الهجرة ، يعني : لو علم المتخلفون عن الهجرة ما
للحجرة من الكرامة لوافقوهم^{١١} .

وجمع السيوطي بين القول الأول وهذا القول^{١٢} .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو أن مرجع
الضمير للمهاجرين ؛ وذلك لأن الآية تتحدث عنهم ، ويؤيد هذا الترجيح أيضاً القاعدة الترجيحية
التي تنص على أن إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^{١٣} .
وفي هذا القول تتوافق الضمائر ، وعليه فإن توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من
تفريقها^{١٤} .

أما الأقوال الأخرى وإن كان المعنى يحتملها ، إلا أن السياق في بيان ما للمهاجرين من الأجر .

^١ _ ينظر : معالم التنزيل : (٢٠ / ٥) ، وحاشية القونوي : (١١ / ٢٧٧) ، وروح المعاني :
(١٤٦ / ١٤) .

^٢ _ ينظر : حاشية القونوي : (١١ / ٢٧٧) ، وروح المعاني : (١٤٦ / ١٤) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٤٣٨ / ٣) .

^٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣٩٩ / ٣) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٧ / ١) .

^٦ _ ينظر : الدر المصون : (٢٢١ / ٧) .

^٧ _ ينظر : اللباب : (٦٠ / ١٢) .

^٨ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٥٩ / ١٤) .

^٩ _ ينظر : زاد المسير : (٤٤٨ / ٤) .

^{١٠} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٢٨ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : حاشية الشهاب : (٥٨٨ / ٥) ، وروح المعاني : (١٤٦ / ١٤) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٤) .

^{١٣} _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٦٠٣ / ٢) .

^{١٤} _ ينظر : المرجع السابق : (٦١٣ / ٢) .

وأما القول الثالث فالذي يظهر أن القول الأول يشملهم ؛ لأنه للكفار مطلقاً قريشاً وغيرهم ،
فيدخل كفار أهل مكة دخولاً أولياً .



قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٤٣] .

١٥٢ / ٤٠ _ المراد بأهل الذكر :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بأهل الذكر : من لم يسلم من أهل الكتاب ؛ حيث قال : « وأهل الذكر : اليهود ، والنصارى ، قاله : ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن . وعن مجاهد أيضاً : اليهود وقال الأعمش ، وابن عيينة : من أسلم من اليهود والنصارى وقال أبو جعفر^١ وابن زيد : أهل القرآن . ويضعف هذا القول وقول من قال : من أسلم من الفريقين ، لأنه لا حجة على الكفار في إخبار المؤمنين ، لأنهم مكذبون لهم »^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بأهل الذكر على أقوال :

القول الأول : المراد من لم يسلم من أهل الكتاب ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٣ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ أنهم الذين لا يتهمون عند أهل مكة في إخبارهم بأن الرسل _ عليهم السلام _ كانوا رجالاً ؛ فإخبارهم بذلك حجة عليهم ، والمراد كسر حجتهم وإلزامهم ، وإلا فالحق واضح في نفسه لا يحتاج فيه إلى إخبار هؤلاء^٤ .
- ٢ _ قد أرسل المشركون بعد نزول الآية إلى أهل يثرب يسألونهم عن ذلك^٥ .

^١ _ أبو جعفر هو : الباقر ، محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، ويقال له : باقر العلم ، توفي سنة ١١٤ هـ . ينظر : ألقاب الصحابة والتابعين : (١ / ٤) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٨) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٥) .

^٤ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٧٨) ، وروح المعاني : (١٤٧ / ١٤) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٥) ، وروح المعاني : (١٤٧ / ١٤) .

القول الثاني: أن المراد بأهل الذكر: أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهو مروى عن ابن عباس^١، ومجاهد^٢، والحسن^٣، والسدي^٤، وقول الطبري^٥، والنحاس^٦، والسمرقندي^٧، والثعالبي^٨، والواحدي^٩، والزمخشري^{١٠}، واستظهره الرازي^{١١}، وهو أحد قولي البيضاوي^{١٢}، وقول الخازن^{١٣}، والنسفي^{١٤}، وابن جزى^{١٥}، ورجحه ابن كثير^{١٦}، واستظهره الثعالبي^{١٧}، ووافقهم البقاعي^{١٨}، والشوكاني^{١٩}، والسعدي^{٢٠}، والشنقيطي^{٢١}، والمراغي^{٢٢}.

^١ _ ينظر: جامع البيان: (٢٠٨ / ١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٢٢٨٤ / ٧)، و الدر المنثور: (١٣٢ / ٥).

^٢ _ ينظر: جامع البيان: (٢٠٨ / ١٧).

فائدة: أخرج الطبري من طريق ابن جريج عنه ولفظه: ((هم أهل الكتاب))، وإسناده منقطع. ينظر: ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير: (١٢٥٤ / ٤).

^٣ _ ينظر: البحر المحيط: (٤٧٨ / ٥)، وروح المعاني: (١٤٧ / ١٤).

^٤ _ ينظر: الدر المنثور: (١٣٢ / ٥ - ١٣٣)، وروح المعاني: (١٤٧ / ١٤).

^٥ _ ينظر: جامع البيان: (٢٠٨ / ١٧).

^٦ _ معاني القرآن: (٦٨ / ٤).

^٧ _ ينظر: بحر العلوم: (٢٧٥ / ٢).

^٨ _ ينظر: الكشف والبيان: (١٨ / ٦).

^٩ _ ينظر: الوسيط: (٦٣ / ٣).

^{١٠} _ ينظر: الكشاف: (٤٣٨ / ٣).

^{١١} _ ينظر: التفسير الكبير: (٣٧ / ٢٠).

^{١٢} _ ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٣٩٩ / ٣).

^{١٣} _ ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: (١١٦ / ٣).

^{١٤} _ ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (٢٨٧ / ١).

^{١٥} _ ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٨٢ / ٢).

^{١٦} _ ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٥٧٠ / ٢ - ٥٧١).

^{١٧} _ ينظر: الجواهر الحسان: (٢٢٨ / ٢).

^{١٨} _ ينظر: بحر العلوم: (٤٦٥ / ٤).

^{١٩} _ ينظر: فتح القدير: (١٦٤ / ٣).

^{٢٠} _ ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٩٢٩ / ١).

^{٢١} _ ينظر: أضواء البيان: (٢٧٤ / ٣).

^{٢٢} _ ينظر: تفسير المراغي: (٨٩ / ١٤).

واستدلوا لذلك بأن كفار مكة كانوا مقرين بأن اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب ، وقد أرسل الله إليهم رسلاً منهم مثل : موسى وعيسى وغيرهم من الرسل _ عليهم الصلاة والسلام _ ، وكانوا بشراً مثلهم ، فإذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشراً ، فإذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم^١ .
والذي يظهر أن هذا القول يشمل القول الأول ؛ لأن من لم يسلم من أهل الكتاب يدخل في عموم أهل الكتاب .

القول الثالث : اليهود ، وهو قول مجاهد^٢ ، والواحدي^٣ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن المراد بالذكر : التوراة ؛ ل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٠٥] فأهله اليهود^٤ .

٢ _ لعله لأنه لم يكن قريب من كفار قريش إلا اليهود ، أما النصارى فقد كانوا أبعد عنهم . وهذا القول جزء من الأقوال السابقة ؛ لأن فيه قصر أهل الذكر على اليهود دون النصارى .

القول الرابع : من أسلم من اليهود والنصارى ، وهو مروى عن سعيد بن جبير^٥ ، وعبد الله بن سلام ، وسلمان ، وقول الأعمش^٦ ، وابن عيينة^٧ ، وقول السمعاني^٨ ، والبغوي^٩ .

القول الخامس : أهل القرآن ، وهو قول أبي جعفر وابن زيد^{١٠} .

واستدل لهذا القول بأن الله تعالى سمى القرآن ذكراً في بعض المواضع كقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

^١ _ التفسير الكبير : (٢٠ / ٣٧) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٦) ، وفتح القدير : (٣ / ١٦٤) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٠٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٧٨) .

^٣ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦٠٧) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٧٨) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٤٧) .

^٥ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ١٣٣) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٠٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٧٨) .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٤ / ٦٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٧٨) .

^٨ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٧٤) .

^٩ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٢١) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٠٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٧٨) .

وصحح ابن كثير هذا القول ، إلا أنه بين أن سياق الآيات يدل على أن المراد بهم أهل الكتاب فقال : « وقول عبد الرحمن بن زيد : الذكر: القرآن واستشهد بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] صحيح ، ولكن ليس هو المراد ها هنا ؛ لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه .

وكذا قول أبي جعفر الباقر: « نحن أهل الذكر » ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر صحيح ، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة ، وعلماء أهل بيت الرسول _ عليهم السلام والرحمة _ من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة ...

والغرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت أن الرسل الماضين قبل محمد _ ﷺ _ كانوا بشرًا كما هو بشر ، ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشرًا ، إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء الذين سلفوا : هل كان أنبيؤهم بشرًا أو ملائكة ؟^١ .

وضعف ابن عطية هذا القول والذي قبله فقال : « وهذان القولان فيهما ضعف ؛ لأنه لا حجة على الكفار في إخبار المؤمنين بما ذكر ؛ لأنهم يكذبون هذه الصفات »^٢ . ونحوه قال أبو حيان^٣ .

وجوز الألويسي هذا القول فقال : « وأنا أقول يجوز أن يراد من أهل الذكر : أهل القرآن ، وإن قال أبو حيان ما قال وستعلم وجهه قريباً إن شاء الله تعالى المنان ولا أخص _ يقصد صاحب الكشف _ أهل الذكر بأهل الكتابين ؛ ليشمل النبي _ صلى الله تعالى عليه وسلم _ وأصحابه ، ولو خص لجاز ؛ لأنهم موافقون في ذلك ، فإنكارهم إنكارهم ، ثم التبكييت متوجه إلى العدول عن السؤال إلى الإنكار سألوأ أو لا انتهى . ومنه يعلم جواز أن يراد بأهل الذكر أهل القرآن ، وما ذكره أبو حيان في تضعيفه من أنه لا حجة في إخلابهم ولا إلزام ناشيء من عدم الوقوف على التحقيق الأنيق ، وهذا ظاهر على تقدير تعلق ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] ، بـ ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٣] . والباء على هذا التقدير سببية ، والمفعول محذوف عند بعض ، وزعم آخر أنها زائدة ، والبيئات هي المفعول ، فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك »^٤ .

القول السادس : عام في كل من يذكر بعلم وافق أهل هذه الملة أو خالفهم ، جوزه الزجاج ؛ حيث قال : « ويجوز _ والله أعلم _ أن يكون قيل لهم : اسألوا كل من يذكر بعلم وافق أهل هذه الملة أو خالفهم .

^١ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٠ - ٥٧١) .

^٢ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٥) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٧٨) .

^٤ _ روح المعاني : (١٤ / ١٤٧ - ١٥٠) .

والدليل على أن أهل الذكر أهل الكتب قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة النحل: ٤٤] ، وقوله: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٠] .^١

القول السابع: علماء أخبار الأمم السالفة كائناً من كان ، وهو قول الرماني ، والأزهري^٢ ، وأحد قولي البيضاوي^٣ .

قال الألويسي _ رحمه الله _ : « فالذكر بمعنى الحفظ كأنه قيل اسألوا المطلعين على أخبار الأمم يعلموكم بذلك » .^٤

وهذا القول قريب من القول السادس . وهو شامل للأقوال السابقة .

قال القرطبي بعد ذكره لبعض ما ذكر من الأقوال : « والمعنى متقارب » .^٥

وقال أبو السعود _ رحمه الله _ : « ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ [سورة النحل: ٤٣] أي :

أهل الكتاب أو علماء الأخبار أو كل من يُذكرُ بعلمٍ وتحقيقٍ ليعلموكم ذلك » .^٦

الترجيح:

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه

أبو حيان ومن معه ، أن المراد من لم يسلم من أهل الكتاب ؛ وذلك لأن الخطاب لكفار قريش ،

وهم لن يسألوا إلا أهل الكتاب الذين لم يسلموا ، وهو ما حصل منهم في سؤالهم لأهل الكتاب من

أهل المدينة ، وهذا القول أدل لغرض السياق ، والقول الذي تؤيده قرينة في السياق مقدم على غيره^٧

، وكل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله^٨ .

^١ _ معاني القرآن : (٣ / ٢٠١) .

^٢ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٤٧) .

والرماني _ براء مضمومة _ هو : أبو هاشم ، يحيى بن دينار ، توفي سنة ١٢٢ هـ . ينظر : الإكمال في رفع

الارتباب : (١ / ٣٢٠) .

والأزهري هو : أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الأزهر ، اللغوي الإمام المشهور في اللغة ، ولد سنة ٢٨٢ هـ

وتوفي سنة ٣٧٠ هـ ، وقيل : ٣٧١ هـ . ينظر : وفيات الأعيان : (٤ / ٣٣٤) .

^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٣٩٩) .

^٤ _ روح المعاني : (١٤ / ١٤٧) .

^٥ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٠٨) .

^٦ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٦) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٩٩) .

^٨ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٣٤٩) .

ولكن لعل تخصيص القول بأنهم اليهود أنسب ؛ لأنهم أقرب لكفار قريش ، وهم من كانوا
ييشرونهم بقدم نبي .



قال الله تعالى ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤٤] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٥٣ / ٤١ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿الذِّكْرَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالذكر : القرآن ؛ حيث قال : « ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ هو : القرآن ، وقيل له ذكر : لأنه موعظة ونهي للغافلين »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿الذِّكْرَ﴾ على قولين :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿الذِّكْرَ﴾ : القرآن ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروى عن السدي^٢ ، وقول الطبري^٣ ، وابن زمنين^٤ ، والواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، وابن عطية^٧ ، وابن الجوزي^٨ ، والقرطبي^٩ ، والبيضاوي^{١٠} ، والخازن^{١١} ، والنسفي^{١٢} ، ووافقه ابن جزي^{١٣} ، وابن كثير^{١٤} ، وابن عادل^{١٥} ،

^١ _ تفسير البحر المحيط : (٤٧٩ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٤٦ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الدر المنثور : (١٣٣ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٢١١ / ١٧) .

^٤ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٤٠٤ / ٢) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٦٣ / ٣) ، والوجيز : (٦٠٨ / ١) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٢١ / ٥) .

^٧ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣٩٥ / ٣) .

^٨ _ ينظر : زاد المسير : (٤٥٠ / ٤) .

^٩ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠٨ / ١٠) .

^{١٠} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٠ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١١٦ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٧ / ١) .

^{١٣} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٨٢ / ٢) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٧١ / ٢) .

^{١٥} _ ينظر : اللباب : (٦٣ / ١٢) .

والسيوطي^١ ، وأبو السعود^٢ ، والشوكاني^٣ ، والسعدي^٤ ، والشنقيطي^٥ ، والمراغي^٦ .
وتسمية القرآن ذكراً ؛ لأنه موعظة ونصية للغافلين^٧
قال ابن الجوزي _ رحمه الله _ : « وهو القرآن بإجماع المفسرين »^٨ .
واستدل لهذا القول بقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة
الحجر : ٩]^٩ .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : « ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ أي : القرآن ، وهو من التذكير إما
بمعنى الوعظ أو بمعنى الإيقاظ من سنة الغفلة ، وإطلاقه على القرآن إما لاشتماله على ما ذكر ، أو
لأنه سبب له ، ومنه يعلم تسمية التوراة ونحوها ذكراً »^{١٠} .

القول الثاني : أن المراد بـ ﴿ الذِّكْرَ ﴾ : العلم^{١١} .

وضعفه الألوسي فقال : « وقيل : المراد بالذكر : العلم ، وليس بذاك »^{١٢} .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله أعلم _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن
معه ؛ وذلك لما يلي :

١ _ أن من أسماء القرآن : الذكر .

^١ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٤) .

^٢ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١١٦ / ٥) .

^٣ _ ينظر : فتح القدير : (١٦٥ / ٣) .

^٤ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٣٠ / ١) .

^٥ _ ينظر : أضواء البيان : (٢٧٥ / ٣) .

^٦ _ ينظر : تفسير المراغي : (٨٩ / ١٤) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١١٦ / ٣) ، و البحر المحيط : (٤٧٩ / ٥) ، وإرشاد العقل
السليم : (١١٦ / ٥) .

^٨ _ زاد المسير : (٤٥٠ / ٤) .

^٩ _ ينظر : أضواء البيان : (٢٧٥ / ٣) .

^{١٠} _ روح المعاني : (١٥٠ / ١٤) .

^{١١} _ ينظر : النكت والعتيون : (١٩٠ / ٢) ، والبحر المحيط : (٤٧٩ / ٥) ، وروح المعاني :
(١٥٠ / ١٤) .

^{١٢} _ روح المعاني : (١٥٠ / ١٤) .

٢ _ أنه قد جاء في أكثر من آية ، منها : ما استدل به أصحاب القول الأول ، ومنها قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [سورة الحجر : ٦] ، وقوله تعالى ﴿ أءَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ [سورة ص : ٨] .

٣ _ أنه قول عليه جمهور المفسرين ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ أبعد^١ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٨٨) .

١٥٤ / ٤٢ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد ما نزل إليهم من المشكل والمتشابه ؛ حيث قال : «﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من المشكل والمتشابه ؛ لأن النص والظاهر لا يحتاجان إلى بيان»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ على أقوال :

القول الأول : ما نزل إليهم من المشكل والمتشابه ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن مجاهد^٢ .

وعلل ذلك أبو حيان بأن النص والظاهر لا يحتاجان إلى بيان^٣ .

القول الثاني : تبيين الجمل من القرآن ، وهو قول الرازي^٤ ، والحازن^٥ ، وابن عادل^٦ .
وجمع بين القولين ابن كثير^٧ .

القول الثالث : ما أحل لهم وما حرم عليهم ، وهو مروي عن مجاهد^٨ ، ونحو قول النحاس^٩ ، والسيوطي^{١٠} .

القول الرابع : مما أمروا به ونهوا عنه من الأحكام ، والوعد والوعيد ونحوه ، وهو قول الواحدي^{١١} ، والنخشي^{١٢} ، وابن الجوزي^{١٣} ، والقرطبي^{١٤} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٧٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : روح المعاني : (١٥٠ / ١٤) .

^٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٧٩ / ٥) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (٣٨ / ٢٠) .

^٥ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١١٦ / ٣) .

^٦ _ ينظر : اللباب : (٦٣ / ١٢) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٧١ / ٢) .

^٨ _ ينظر : الدر المنثور : (١٣٣ / ٥) .

^٩ _ ينظر : إعراب القرآن : (٣٩٦ / ٢) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٥) .

^{١١} _ ينظر : الوسيط : (٦٤ / ٣) ، والوجيز : (٦٠٨ / ١) .

^{١٢} _ ينظر : الكشاف : (٤٣٨ / ٣) .

^{١٣} _ ينظر : زاد المسير : (٤٥٠ / ٤) .

^{١٤} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠٩ / ١٠) .

والنسفي^١ ، والشوكاني^٢ ، والشنقيطي^٣ .

واستدل لهذا القول بأنه كقوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [سورة النحل : ٦٤] ، وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة النساء : ١٠٥] الآية^٤ .

وجمع البيضاوي بين هذا القول والقول الأول^٥ .

القول الرابع : ﴿ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ في ذلك الذكر من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال

القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم مع أنبيائهم _ عليهم السلام _ الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما يبيء عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد ورود الثاني أولاً على صيغة الأفعال ، وهو قول أبي السعود^٦ ، والألوسي^٧ .

القول الخامس : إيقافهم على حسب استعداداتهم المتفاوتة على ما خفي عليهم من أسرار القرآن وعلومه التي لا تكاد تحصى ، ولا يختص ذلك بتبيين الحرام والحلال وأحوال القرون الخالية والأمم الماضية^٨ .

واستأنس له بما روي عن حذيفة _ رضي الله عنه _ قال : « قام فينا رسول الله _ صلى الله تعالى عليه وسلم _ مقاماً أخبرنا فيه بما يكون إلى يوم القيامة عقله منا من عقله ونسيه من نسيه »^٩ .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : « وهذا في معنى ما ذكره غير واحد أن التبيين أعم من التصريح بالمقصود ومن الإرشاد إلى ما يدل عليه ، ويدخل فيه القياس وإشارة النص ودلالته وما يستنبط منه من العقائد والحقائق والأسرار الإلهية ولعل قوله عز وجل ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ إشارة إلى ذلك ؛

^١ _ ينظر : مدارك الترتيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٧) .

^٢ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٦٥) .

^٣ _ ينظر : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٧٥) .

^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (٣ / ٢٧٥) .

^٥ _ ينظر : أنوار الترتيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٠) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٦) .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٥٠) .

^٨ _ ينظر : المرجع السابق : (١٤ / ١٥٠) .

^٩ _ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب إخبار النبي _ صلى الله عليه وسلم _ فيما يكون إلى قيام الساعة : (٤ /

٢٢١٦) ، ح : (٢٨٩١) ، عن حذيفة بنحوه .

أي وطلب أن يتأملوا فينتبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترز عما يؤدي إلى ما أصاب الأولين من العذاب»^١ .

وجمع المراغي بين الأقوال السابقة فقال : « لتعرفهم ما نزل إليهم من الأحكام والشرائع ، وأحوال القرون المهلكة بأفانين العذاب جزاء عنادهم مع أنبيائهم ، وتبين لهم ما أشكل عليهم من الأحكام ، وتفصل لهم ما أجمل بحسب مراتبهم في الاستعداد والفهم لأسرار التشريع»^٢ .

القول السادس : تبين ألفاظه ، وتبين معانيه ، وهو قول السعدي^٣ .

الترجيح :

بالنظر في مجمل الأقوال يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن هذه الأقوال لا تتعارض ، بل يقع البيان عليها جميعها ، إلا أن القول السادس هو أشملها ؛ فالآية تتحدث عن بيان الرسول _ ﷺ _ لما نزل عليه ، وكل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله^٤ .

أما الأقوال الأخرى فهي أمثلة لهذا البيان ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٥ .



^١ _ روح المعاني : (١٤ / ١٥٠) .

^٢ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٨٩) .

^٣ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٠) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٣٤٩) .

^٥ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

قال الله تعالى ﴿أَوْلَمَّ يَرَوْا إِلِيَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ
سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [٤٨] .

في الآية الكريمة أربع مسائل :

١٥٥ / ٤٣ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في ﴿أَوْلَمَّ يَرَوْا﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن يعود الضمير في ﴿أَوْلَمَّ يَرَوْا﴾ على الذين مكروا ؛ حيث قال : « واحتمل أيضاً^١ أن يعود الضمير على ﴿الَّذِينَ مَكَّرُوا﴾ [سورة النحل : ٤٥] ، واحتمل أن يكون إخباراً عن المكلفين ، والأول أظهر ؛ لتقدم ذكرهم^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير ﴿أَوْلَمَّ يَرَوْا﴾ على قولين :

القول الأول : أن يعود الضمير في ﴿أَوْلَمَّ يَرَوْا﴾ على ﴿الَّذِينَ مَكَّرُوا﴾ [سورة النحل : ٤٥] وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٣ ، والقرطبي^٤ ، ووافقهم الألوسي^٥ ، والسعدي^٦ ، والمراغي^٧ .

واستدل لهذا القول بتقدم ذكر الذين مكروا^٨ ، فالآيات في سياق قصصهم ، والخبر عنهم^٩ .

القول الثاني : المكلفين^{١٠} .

وهذا القول شامل للذين مكروا وغيرهم^{١١}

^١ _ ذكر أبو حيان قولاً قبل هذا القول ، وهو أن الخطاب على العموم للخلق ، ولكن ذلك على قراءة (أولم تروا) بقاء الخطاب ، وهي قراءة السلمي والأعرج والأخوان . ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٠) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٨٠) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢١٦) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١١١) .

^٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٥٣) .

^٦ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣١) .

^٧ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٩٠) .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٠) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢١٦) .

^{١٠} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٠) .

^{١١} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٥٣) .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن الضمير في ﴿ أَوْلَمَّ يَرَوْا ﴾ يعود على ﴿ الَّذِينَ مَكَرُوا ﴾ [سورة النحل : ٤٥] وذلك لتقدم ذكر الذين مكروا في الآيات السابقة ، و إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^١ . وإن كان القول الثاني محتملاً أيضاً ، ولا تضاد بينه وبين القول الأول ؛ لأنه يشملته .



^١ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٦٠٣) .

١٥٦ / ٤٤ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ ترجع وتنتقل وتميل ؛ حيث قال : « وتتفَيَّؤُ تنفعل من الفياء : وهو الرجوع . يقال : فاء الظل يفياء فيئاً رجوع وعاد بعدما نسخه ضياء الشمس ... والمشهور أن الفياء لا يكون إلا بعد الزوال ، والاعتبار في هذه الآية من أول النهار إلى آخره ، فمعنى تفَيَّؤُ : تنتقل وتميل »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ على قولين :

القول الأول : ترجع وتنتقل وتميل ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، وقول ابن قتيبة^٣ ، والفراء^٤ ، والسمرقندي^٥ ، والواحدي^٦ ، وابن عطية^٧ ، والرازي^٨ ، والبيضاوي^٩ ، والنسفي^{١٠} ، ووافقهم السمين الحلبي^{١١} ، وابن جزى^{١٢} ، والثعالبي^{١٣} ، وابن عادل^{١٤} ، والبقاعي^{١٥} ، وأبو السعود^{١٦} ، والسيوطي^١ ، والشهاب^١ ، والقونوي^٢ ، والألوسي^٣ ، والطاهر بن عاشور^٤ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٠ / ٥ _ ٤٨١) ، وينظر : النهر الماد : (٢٤٧ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٢١٦ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : النكت والعيون : (١٩١ / ٣) ، و زاد المسير : (٤٥٢ / ٤) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (١٠٢ / ٢) .

^٥ _ ينظر : تفسير ابن زنين : (٤٠٥ / ٢) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (٦٠٨ / ١) .

^٧ _ ينظر : الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٩٧ / ٣) .

^٨ _ ينظر : التفسير الكبير : (٤١ / ٢٠) .

^٩ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠١ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٨ / ١) .

^{١١} _ ينظر : الدر المصون : (٢٢٧ / ٧) .

^{١٢} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٨٣ / ٢) .

^{١٣} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٣٠ / ٢) .

^{١٤} _ ينظر : اللباب : (٦٧ / ١٢) .

^{١٥} _ ينظر : نظم الدرر : (٤٦٧ / ٤) .

^{١٦} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١١٨ / ٥) .

^١ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٥) .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن أصل الفيء الرجوع ، ومنه فيء المؤلي ذكر في قوله تعالى : ﴿ فَإِن فَاءٌ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٦] .

٢ _ وكذلك فيء المسلمين لما يعود على المسلمين من مال من خالف دينهم ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ﴾ [سورة الحشر : ٦] وأصل هذا كله من الرجوع^٦ .
القول الثاني : تتحول ظلاله ، وهو قول مقاتل^٧ ، والسمعاني^٨ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، أن المراد بـ ﴿ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالَهُ ﴾ ترجع وتنتقل وتميل ؛ وذلك لما يلي :

- ١ _ أنه قول تؤيده اللغة .
 - ٢ _ أنه قول تؤيده النظائر القرآنية ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٩ .
- قال الثعلبي _ رحمه الله _ : « قوله ﴿ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالَهُ ﴾ يميل ويرجع من جانب إلى جانب فهي في أوّل النهار ثم تعود إلى حال أخرى في آخر النهار ، ... ومنه قيل للظل بالعشي : فيء ؛ لأنه فاء من المغرب إلى المشرق ، والفيء الرجوع »^{١٠} .
- وأما القول الثاني فهو يفيد بعض ما في القول الأول .

^١ _ ينظر : حاشية الشهاب : (٥ / ٥٩٣) .

^٢ _ ينظر : حاشية القونوي : (١١ / ٢٨٥) .

^٣ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٥٣) .

^٤ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٦٩) .

^٥ _ المؤلي : آلي يولي إيلاء ، وتألى : أقسم وحلف . ينظر : تاج العروس : (٣٧ / ٩١) ، مادة : (آلي) .

^٦ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٤١) .

^٧ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٩١) .

^٨ _ ينظر : تفسير السمعي : (٣ / ١٧٦) .

^٩ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

^{١٠} _ الكشف والبيان : (٦ / ٢٠) .

١٥٧ / ٤٥ _ المسألة الثالثة : المراد بالظلال :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ حمل الظلال على حقيقتها ؛ حيث قال : « والظاهر حمل الظلال على حقيقتها وعلى ذلك وقع كلام أكثر المفسرين ، وقالوا : إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة كان الظل قدامك ، فإذا ارتفعت كان على يمينك ، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك ، فإذا أرادت الغروب كان على يسارك »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالظلال على قولين :

القول الأول : حمل الظلال على حقيقتها ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الفراء^٢ ، والطبري^٣ ، والنحاس^٤ ، والسمرقندي^٥ ، وابن زمنين^٦ ، والثعلبي^٧ ، والماوردي^٨ ، والواحدي^٩ ، والسمعاني^{١٠} ، والبغوي^{١١} ، وابن عطية^{١٢} ، وابن الجوزي^{١٣} ، والرازي^{١٤} ، والقرطبي^{١٥} ، وأبي البقاء^{١٦} ، والبيضاوي^{١٧} ، والخازن^{١٨} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٢ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٤٨ / ٢) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (١٠٢ / ٢) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٢١٦ / ١٧) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن : (٧٠ / ٤) .

^٥ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧٦ / ٢) .

^٦ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٤٠٥ / ٢) .

^٧ _ ينظر : الكشف والبيان : (٢٠ / ٦) .

^٨ _ ينظر : النكت والعيون : (١٩١ / ٣) .

^٩ _ ينظر : الوسيط : (٦٥ / ٣) ، والوجيز : (٦٠٨ / ١) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير السمعاني : (١٧٦ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : معالم التنزيل : (٢٢ / ٥) .

^{١٢} _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٩٨ / ٣) .

^{١٣} _ ينظر : زاد المسير : (٤٥٢ / ٤) .

^{١٤} _ ينظر : التفسير الكبير : (٤٢ / ٢٠) .

^{١٥} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١١١ / ١٠) .

^{١٦} _ ينظر : إملأ ما من به الرحمن : (٣٧٧) .

^{١٧} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠١ / ٣) .

^{١٨} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١١٧ / ٣) .

والنسفي^١ ، ووافقهم السمين الحلبي^٢ ، وابن جزري^٣ ، وابن كثير^٤ ، والثعالبي^٥ ، وابن عادل^٦ ،
والبقاعي^٧ ، والسيوطي^٨ ، وأبو السعود^٩ ، والشوكاني^{١٠} ، والألوسي^{١١} ، والطاهر ابن عاشور^{١٢} ،
والسعدي^{١٣} ، والمراغي^{١٤} ، وعليه أكثر المفسرين^{١٥}

القول الثاني: الظلال هنا الأشخاص وهي المرادة نفسها^{١٦} ، وهو قول الزجاج^{١٧} .
واستدلوا بأن العرب تخبر أحياناً عن الأشخاص بالظلال ، ومنه قول الشاعر^{١٨} :
إذا نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل^{١٩}
قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « وإنما تنصب الأخبية »^{٢٠} .

^١ _ ينظر : مدارك الترتيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٨) .

^٢ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٢٧) .

^٣ _ ينظر : التسهيل لعلوم الترتيل : (٢ / ٢٨٣) .

^٤ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٢) .

^٥ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣٠) .

^٦ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٦٩) .

^٧ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٦٧) .

^٨ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٥) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٨) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٦٦) .

^{١١} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٥٣) .

^{١٢} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٦٩) .

^{١٣} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣١) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٣ / ٩٠) .

^{١٥} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٢) .

^{١٦} _ ينظر : معالم الترتيل : (٥ / ٢٢) ، والمحور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٨) ، والبحر

المحيط : (٥ / ٤٨٢) .

^{١٧} _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ٢٠٢) .

^{١٨} _ هو : عبدة بن الطيب . ينظر : الأغاني : (٥ / ٣٣٩) ، و منتهى الطلب من أشعار العرب : (١ / ٨٢)

والمعنى : رفعنا الأخبية فتظللنا بما . . ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٥٣٦) حاشية (٣) .

^{١٩} _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٢) .

^{٢٠} _ البحر المحيط : (٥ / ٤٨٢) .

ومنه قول الشاعر^١ : تتبع أفياء الظلال عيشة^٢
قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « أي أفياء الأشخاص »^٣ .
قال الراغب _ رحمه الله _ : « وقال بعض أهل اللغة : يقال للشاخص : ظل . قال : ويدل على ذلك قول الشاعر: لما نزلنا رفعا ظل أخبية
وقال : ليس ينصبون الظل الذي هو الفيء إنما ينصبون الأخبية ، وقال آخر: يتبع أفياء الظلال عشية ، أي : أفياء الشخوص ، وليس في هذا دلالة فإن قوله : (رفعا ظل أخبية) ، معناه : رفعا الأخبية فرفعا به ظلها ، فكأنه رفع الظل . وقوله : (أفياء الظلال) فالظلال عام والفيء خاص ، وقوله : (أفياء الظلال) ؛ هو من إضافة الشيء إلى جنسه »^٤ .
قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وهذا كله محتمل غير صريح »^٥

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن المراد بالظلال : الظل المعروف ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ؛ لأنه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة ، فالأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة^٦ .
أما القول الثاني فقد بين ابن عطية أنه محتمل غير صريح ، وقد ضعفه الزجاج وأبو حيان كما مر في سورة الرعد عند قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥]^٧ .



^١ _ هو : علقمة بن عبدة بن النعمان . ينظر : المفضليات : (١ / ٧٢) ، ومنتهى الطلب من أشعار العرب : (١ / ١٣) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٢) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٨٢) .

^٤ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٥٣٦) .

^٥ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٨) .

^٦ _ ينظر : قواعد التفسير عند المفسرين : (٢ / ٣٨٧) .

^٧ _ تقدم في الترجيح رقم (٦ / ٦) .

رجح أبو حيان أن السجود هنا عبارة عن الانقياد وجريانها على ما أراد الله من ميلان تلك الظلال ودورانها ؛ حيث قال : « والظاهر أن السجود هنا : عبارة عن الانقياد وجريانها على ما أراد الله من ميلان تلك الظلال ودورانها ، كما يقال للمشير برأسه إلى الأرض على جهة الخضوع : ساجد »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالسجود على أقوال :

القول الأول : أن السجود هنا عبارة عن الانقياد وجريانها على ما أراد الله من ميلان تلك الظلال

ودورانها ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن قتادة^٢ ، ورجحه الطبري^٣ ، وهو قول النحاس^٤ ، والسمرقندي^٥ ، والثعلبي^٦ ، والواحدي^٧ ، والزمخشري^٨ ، والرازي^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والبيضاوي^{١١} ، والنسفي^{١٢} ، ووافقهم ابن عادل^{١٣} ، والبقاعي^{١٤} ، والسيوطي^{١٥} ، وأبو السعود^{١٦} ، والألوسي^{١٧} ، والبقاعي^{١٨} .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٨٢ - ٤٨٣) .
- ^٢ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٦) .
- ^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢١٨) .
- ^٤ _ ينظر : إعراب القرآن : (٢ / ٣٩٧) ، و معاني القرآن : (٤ / ٧٠) .
- ^٥ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٧٦) .
- ^٦ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢٠) .
- ^٧ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٥) .
- ^٨ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٤٤٠) .
- ^٩ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٤٣ - ٤٤) .
- ^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١١١) .
- ^{١١} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠١) .
- ^{١٢} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٨) .
- ^{١٣} _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٧٠ - ٧١) .
- ^{١٤} _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٦٨) .
- ^{١٥} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٥) .
- ^{١٦} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٨) .
- ^{١٧} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٥٤) .
- ^{١٨} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٩٠) .

١ _ أن أصل السجود في اللغة : التذلل والانقياد^١ .

٢ _ يقال من ذلك : سجدت النخلة إذا مالت ، وسجد البعير وأسجد : إذا أميل للركوب^٢ .

٣ _ لما كانت الظلال ملصقة بالأرض واقعة عليها على هيئة الساجد وصفت بالسجود^٣ .

القول الثاني : أن السجود هنا حقيقة ، وهو مروى عن الضحاك ، ومجاهد^٤ ، والحسن^٥ .

واستبعده أبو حيان حيث قال : « وكون السجود يراد به الحقيقة وهو الوقوع على الأرض على سبيل العبادة وقصدها يبعد ؛ إذ يستدعي ذلك الحياة والعلم والقصد بالعبادة^٦ » .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو أن المراد بسجود الظلال : أنه سجود على الحقيقة ، ونكل علمه إلى الله تعالى ، ويؤيد ذلك القاعدة الترجيحية التي تنص على أنه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة^٧ . وقد تقدم في سورة الرعد عند قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥]^٨ .



^١ _ ينظر : إعراب القرآن : (٢ / ٣٩٧) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢١٨) ، والتفسير الكبير : (٤٣ / ٢٠) ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠١) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٧) ، واللباب : (١٢ / ٧١) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٨٢ - ٤٨٣) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢١٧) .

^٥ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٩١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٢ - ٤٨٣) .

^٦ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٨٢ - ٤٨٣) .

^٧ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٥٤٨) ، وقواعد الترجيح : (٢ / ٣٨٧) .

^٨ _ تقدم في الترجيح رقم (٧ / ٧) .

قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٤٩] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٥٩ / ٤٧ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ مِنْ ﴾ :

رجح أبو حيان أن ﴿ مِنْ ﴾ بيانية لكل ما يدب في الأرض والسماء ؛ حيث قال : « و ﴿ مِنْ ﴾ دَابَّةٍ ﴾ يجوز أن يكون بياناً لما في الطرفين ، ويكون مَنْ في السموات خلقاً يدبون ، ويجوز أن يكون بياناً لما في الأرض »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ مِنْ ﴾ :

القول الأول : أنها بيانية لكل ما يدب في الأرض والسماء ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الفراء^٢ ، والزمخشري^٣ ، والبيضاوي^٤ ، والنسفي^٥ ، ووافقهم السمين الحلبي^٦ ، وابن جزي^٧ ، وابن عادل^٨ ، والألوسي^٩ .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : « ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ بيان لما فيهما بناء على أن الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان في أرض أو سماء ... وتقيد الدبيب بكونه على وجه الأرض لظهوره ، أو لأنه أصل معناه ، وهو عام هنا بقريظة المبين »^{١٠} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٣ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٤٨ / ٢) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (١٠٣ / ٢) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٤٤٠ / ٣) .

^٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٢ / ٣) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٨ / ١) .

^٦ _ ينظر : الدر المصون : (٢٣٣ / ٧) .

^٧ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٨٤ / ٢) .

^٨ _ ينظر : اللباب : (٧٣ / ١٢) .

^٩ _ ينظر : روح المعاني : (١٥٧ / ١٤) .

^{١٠} _ المرجع السابق : (١٥٧ / ١٤) .

القول الثاني: بيانية لكل ما دب على الأرض فقط ، وهو قول ابن عباس ^١ ، والزجاج ^٢ ،
والسمرقندي ^٣ ، والواحدي ^٤ ، والسمعاني ^٥ ، والقرطبي ^٦ ، وجوزة أبو حيان ، ووافقهم أبو السعود ^٧ ،
والشوكاني ^٨ ، والطاهر بن عاشور ^٩ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما ذهب
إليه أبو حيان ومن معه ، أن ﴿ مِنْ ﴾ بيانية لكل ما يدب في الأرض والسماء ؛ ويؤيده أنه يجب حمل
نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص ^{١٠} .



-
- ^١ _ ينظر : الوسيط : (٦٥ / ٣) ، والتفسير الكبير : (٤٥ / ٢٠) ، والبحر المحيط : (٤٨٣ / ٥) .
 - ^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (٢٠٢ / ٣) .
 - ^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧٦ / ٢) .
 - ^٤ _ ينظر : الوجيز : (٦٠٩ / ١) .
 - ^٥ _ ينظر : تفسير السمعاني : (١٧٧ / ٣) .
 - ^٦ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١١٢ / ١٠) .
 - ^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١١٨ / ٥) .
 - ^٨ _ ينظر : فتح القدير : (١٦٦ / ٣) .
 - ^٩ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٧٠ / ١٤) .
 - ^{١٠} _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٥٢٧ / ٢) .

١٦٠ / ٤٨ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ مندرجون في عموم ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ، وجوز أن يراد بهم الحفظة التي في الأرض ، وبما في السموات ملائكتهن فلم يدخلوا في العموم ؛ حيث قال : « وعطف ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ على ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهم مندرجون في عموم ﴿مَا﴾ تشریفاً لهم وتكريماً ، ويجوز أن يراد بهم الحفظة التي في الأرض ، وبما في السموات ملائكتهن فلم يدخلوا في العموم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ :

القول الأول : أن ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ مندرجون في عموم ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الثعلبي^٢ ، والزخشري^٣ ، وابن عطية^٤ ، والبيضاوي^٥ ، والخازن^٦ ، ووافقهم أبو السعود^٧ ، والألوسي^٨ ، والسعدي^٩ .

القول الثاني : أن المراد الملائكة التي في الأرض ومنهم الحفظة ، وهو قول الزجاج^{١٠} ، والنحاس^{١١} ، والسمرقندي^{١٢} ، والقرطبي^{١٣} ، والنسفي^{١٤} ، وجوزه أبو حيان .

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٣ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٤٨ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الكشف والبيان : (٢١ / ٦) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٤٤٠ / ٣) .

^٤ _ ينظر : الخور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٩٩ / ٣) .

^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٢ / ٣) .

^٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١١٨ / ٣) .

^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١١٩ / ٥) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٥٧ / ١٤) .

^٩ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٣١ / ١) .

^{١٠} _ ينظر : معاني القرآن : (٢٠٣ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٧١ / ٤) .

^{١٢} _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧٦ / ٢) .

^{١٣} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١١٢ / ١٠) .

^{١٤} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٨ / ١) .

واستدلوا على أن في الأرض ملائكة بقول الله تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق : ١٨] ، وقوله تعالى ﴿ لَهُمْ مَعْقِبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد : ١١] ، وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [سورة الانفطار : ١٠ - ١١] ^١ .

واستدل لهذا القول بخروج الملائكة من جملة الموصوفين بالديب ؛ إذ جعل الله لهم أجنحة كما قال تعالى ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ ﴾ [سورة فاطر : ١] فالطيران أغلب عليهم من الديب ^٢ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أنهم مندرجون في عموم قوله تعالى ﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل ^٣ ، وإنما خص الملائكة بالذكر لإظهار شرفهم وكرامتهم ^٤ .



^١ _ ينظر : معاني القرآن : (٣ / ٢٠٣) .

^٢ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢١) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٩٢) ، والوسيط : (٣ / ٦٥) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٥٤) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١١٢) .

^٣ _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٤ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢١) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٩٢) ، والبحر المحيـط : (٥ /

قال الله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٥٠] .
في الآية الكريمة مسألتان :

١٦١ / ٤٩ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في ﴿يَخَافُونَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضمير في قوله ﴿يَخَافُونَ﴾ عائد على المنسوب إليهم السجود في ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ [سورة النحل : ٤٩] ؛ حيث قال : « والظاهر أن الضمير في قوله ﴿يَخَافُونَ﴾ عائد على المنسوب إليهم السجود في ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ [سورة النحل : ٤٩] »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿يَخَافُونَ﴾ على قولين :

القول الأول : أن الضمير في قوله ﴿يَخَافُونَ﴾ عائد على المنسوب إليهم السجود في ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ [سورة النحل : ٤٩] ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للطبري^٢ ، وابن عطية^٣ ، ووافقهم الثعالبي^٤ ، والمراغي^٥ .

القول الثاني : أن الضمير يعود على الملائكة ، وهو قول ابن السائب ، ومقاتل^٦ ، والكرماني^٧ ، والسمرقندي^٨ ، والواحدي^٩ ، والرازي^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، وابن جزري^{١٢} ، والسيوطي^{١٣} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٣ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٤٩ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٢٢٠ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٩٩ / ٣) .

^٤ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٣١ / ٢) .

^٥ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٩٠ - ٩١) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٥٤) ، والبحر المحيط : (٤٨٣ / ٥) .

^٧ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٨٣ / ٥) .

^٨ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٧٦) .

^٩ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦٠٩) .

^{١٠} _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٤٧) .

^{١١} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٨) .

^{١٢} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٤) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٥) .

والشوكاني^١ ، والألوسي^٢ ، والسعدي^٣ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ أن الخوف في قوله ﴿يَخَافُونَ﴾ من صفة الملائكة خاصة ، فيعود الضمير عليهم^٤ .
- ٢ _ أن الملائكة موصوفون بالخوف ؛ لأنهم قادرون على العصيان وإن كانوا لا يعصون^٥ .
- ٣ _ السياق اللاحق يدل عليه ، وهو قوله تعالى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة النحل : ٥٠] والمراد بهم : الملائكة^٦ .
- ٤ _ أن في مخلوقات الله من يستكبر عن عبادته ، ولا يخافه ولا يفعل ما يؤمر به ، كالكفار والعصاة الذين لا يتصفون بهذه الصفات وإبليس وجنوده^٧ .

الترجيح :

باستعراض ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو أن الضمير في قوله ﴿يَخَافُونَ﴾ يعود على الملائكة ؛ وذلك لما استدل به أصحاب هذا القول من الأدلة ، ومنها أن مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ﴾ له تعلق بدلالة السياق اللاحق ، وهو قوله تعالى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة النحل : ٥٠] ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٨ .

كما يؤيده أن إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^٩ .



^١ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ٢٢٦) .

^٢ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٥٨) .

^٣ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣١) .

^٤ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٥٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٣) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٣) .

^٦ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١١٣) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٤ / ٢٢٦) .

^٨ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

^٩ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٦٠٣) .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالفوقية في قوله تعالى ﴿ مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [سورة النحل : ٥٠] إن كان متعلقاً بـ ﴿ يَخَافُونَ ﴾ : العذاب كائناً من فوقهم ، وإن كان متعلقاً بـ ﴿ رَبَّهُمْ ﴾ ﴿ أن ربهم عالٍ لهم قاهر ؛ حيث قال : « والفوقية المكانية مستحيلة بالنسبة إليه تعالى فإن علقته بـ ﴿ يَخَافُونَ ﴾ كان على حذف مضاف ، أي : يخافون عذابه كائناً من فوقهم ؛ لأن العذاب إنما يتزل من فوق ، وإن علقته بـ ﴿ رَبَّهُمْ ﴾ كان حالاً منه ، أي : يخافون ربهم عالياً لهم قاهراً ؛ لقوله ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١٨] ، ﴿ وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢٧] .^١

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالفوقية على أقوال :

القول الأول : إن كان قوله ﴿ مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ يَخَافُونَ ﴾ فالمراد بالفوقية : العذاب الكائن من فوقهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، وابن عطية^٣ ، والقرطبي^٤ ، والبيضاوي^٥ ، والنسفي^٦ ، ووافقه ابن عادل^٧ ، وأبو السعود^٨ ، والألوسي^٩ ، والشوكاني^{١٠} . واستدل لهذا القول بأن العذاب إنما يتزل من فوق^{١١} .

القول الثاني : إن كان قوله ﴿ مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ رَبَّهُمْ ﴾ ففيه أقوال :

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٣ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٤٩ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٤٤١ / ٣) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٩٩ / ٣) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١١٣ / ١٠) .

^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٢ / ٣) .

^٦ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٨ / ١) .

^٧ _ ينظر : اللباب : (٧٣ / ١٢) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١١٩ / ٥) .

^٩ _ ينظر : روح المعاني : (١٥٨ / ١٤) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (١٦٦ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : النكت والعيون : (١٩٢ / ٣) ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣٩٩ / ٣) ، و

الجامع لأحكام القرآن : (١١٣ / ١٠) ، والبحر المحيط : (٤٨٣ / ٥) ، و اللباب : (٧٣ / ١٢) .

الأول: أن المراد بالفوقية: قهر الله تعالى ، وهو القول الثاني لأبي حيان وافق فيه السمرقندي^١ ،
والزخشري^٢ ، والقول الثاني لابن عطية^٣ ، وقول الرازي^٤ ، وهو القول الثاني للبيضاوي^٥ ، والنسفي^٦
، ووافقهم السمين الحلبي^٧ ، والثعالبي^٨ ، وابن عادل^٩ في قوله الثاني ، والسيوطي^{١٠} ، وأبي السعود^{١١} ،
والألوسي^{١٢} ، والطاهر ابن عاشور^{١٣} ، والمراغي^{١٤} .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١٨] ^{١٥} .
 - وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢٧] ^{١٦} .
 - ٢ _ ما قاله بعضهم بلنّ الفوقية المكانية مستحيلة بالنسبة إليه تعالى ^{١٧} .
- الثاني:** أن الفوقية صفة العلو لله تعالى ، ورجحه السمعاني^{١٨} ، أي : يخافون ربهم حال كونه من فوقهم ، وهو القول الثاني للشوكاني^١ .

-
- ^١ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٧٦) .
 - ^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤١) .
 - ^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٣٩٩) .
 - ^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٤٨) .
 - ^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٢ - ٤٠٣) .
 - ^٦ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٨) .
 - ^٧ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٣٤) .
 - ^٨ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣١) .
 - ^٩ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٧٤) .
 - ^{١٠} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٥) .
 - ^{١١} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٩) .
 - ^{١٢} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٥٨) .
 - ^{١٣} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٧١) .
 - ^{١٤} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٩١) .
 - ^{١٥} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤١) ، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٣) ، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٣) ، و الدر المصون : (٧ / ٢٣٤) ، وإرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٩) .
 - ^{١٦} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٣) .
 - ^{١٧} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٣) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٥٨) .
 - ^{١٨} _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٧٧) .

قال السمعاني _ رحمه الله _ : « والقول الثاني - وهو الأصح - أن هذه صفة العلو التي تفرد الله بها وهو كما وصف به نفسه من غير تكيف »^٢ .

وجمع السعدي بين هذا القول والذي قبله فقال : « ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [سورة النحل : ٥٠] لما مدحهم بكثرة الطاعة والخضوع لله ، مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بالذات والقهر ، وكمال الأوصاف ، فهم أذلاء تحت قهره »^٣ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني بقسميه ؛ لأن الفوقية صفة لله تعالى تليق بجلاله سُبْحٰنَهُ ، وكل معاني العلو ثابتة له سبحانه ، علو القهر ، وعلو الذات ، وعلو الشأن^٤ ؛ ويؤيد هذا الترجيح أنه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة ، فالأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة^٥ ، وكذلك تؤيدة القاعدة المقررة عند علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من كتاب أو سنة^٦ .

أما القول الأول فهو مع مخالفته للحقيقة يحتاج إلى تقدير ، والقول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار^٧ .



^١ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٦٦) .

^٢ _ تفسير السمعاني : (٣ / ١٧٧) .

^٣ _ تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣١) .

^٤ _ ينظر : معارج القبول : (١ / ١٤٤) .

^٥ _ ينظر : قواعد التفسير عند المفسرين : (٢ / ٣٨٧) .

^٦ _ أضواء البيان : (٢ / ٢٣٨) .

^٧ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٤٢١) .

قال الله تعالى ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [٥٢] .

١٦٣ / ٥١ _ المراد بـ ﴿وَاصِبًا﴾ :

رجح أبو حيان أن المراد بـ ﴿وَاصِبًا﴾ : دائماً ؛ حيث قال : « وصب الشيء : دام ، قال أبو الأسود الدؤلي^١ : لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه يوماً بدمّ الدهر أجمع واصباً وقال حسان : غيرته الريح يسفى به وهزيم رعدده واصب^٢ »^٣ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿وَاصِبًا﴾ على أقوال :

القول الأول : أن المراد بـ ﴿وَاصِبًا﴾ : دائماً ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٤ ، وعكرمة^٥ ، وميمون بن مهران^٦ ، والحسن^٧ ، ومجاهد^٨ ، والضحاك^٩ ، وقتادة^{١٠} وقتادة^{١١} وابن زييد^{١١} ، والشوري^١ ، وقول الفراء^٢ ، وابن زمين^٣ ، والثعلبي^٤ ، والماوردي^٥ ،

^١ _ أبو الأسود الدؤلي هو : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل ، أول من تكلم في النحو ، توفي سنة ٦٩ هـ . ينظر : معرفة الثقات : (١ / ٤٨٤) ، والتعديل والتجريح : (٢ / ٦٠٩) .

وينظر البيت في : الأغاني : (١٢ / ٣٦٠) ، ونور القبس : (١ / ٥) ، وفيهما : لا أشتري الحمد ...

^٢ _ ينظر : ديوانه : (١ / ١٢) .

^٣ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٨٣ - ٤٨٤) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٥٠) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٢٢) ، و تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٨٦) ، و الدر المنثور : (٥ / ١٣٧) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٢٢) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن ، للنحاس : (٤ / ٧٢) .

^٧ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٩٣) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٥٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٦) .

^٨ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٨) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٢٢) ، و تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٨٥) ، ومعاني القرآن ، للنحاس : (٤ / ٧٢) ، و الدر المنثور : (٥ / ١٣٧) .

فائدة : أخرج الأثر الطبري من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج عنه ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجيح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٥٨) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٢٢) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٧) ، و جامع البيان : (١٧ / ٢٢٢) ، ومعاني القرآن ، للنحاس : (٤ / ٧٢) .

^{١١} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٢٣) .

والواحدي^٦ ، والسمعاني^٧ ، والبغوي^٨ ، والرازي^٩ ، والحازن^{١٠} ، ووافقهم السمين الحلبي^{١١} ، وابن عادل^{١٢} ، والبقاعي^{١٣} ، والسيوطي^{١٤} ، والطاهر ابن عاشور^{١٥} ، والشنقيطي^{١٦} ، والمرآغي^{١٧} .

قال ابن قتيبة _ رحمه الله _ : « معنى الكلام : أنه ليس من أحدٍ يُدَان له ويُطاع إلاّ انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكةٍ ، غيرَ الله عز وجل ، فإن الطاعة تدوم له »^{١٨} .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن هذه الآية نظير قول الله تعالى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ [سورة الصافات : ٩] أي :
دائم^{١٩} .

٢ _ أنه هو المعروف في اللغة ، يقال : صبب يصب وصبوا إذا دام^{٢٠} .

٣ _ واستشهدوا بما يلي :

١ _ ينظر : تفسير سفيان الثوري : (١٦٥) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٥٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٦) .

٢ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ١٠٤) .

٣ _ ينظر : تفسير ابن زنين : (٢ / ٤٠٦) .

٤ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢٢) .

٥ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٩٣) .

٦ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٦) .

٧ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٧٨) .

٨ _ ينظر : معالم الترتيل : (٥ / ٢٣) .

٩ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٥١) .

١٠ _ ينظر : لباب التأويل في معاني الترتيل : (٣ / ١١٨) .

١١ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٣٧) .

١٢ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٨٠) .

١٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٧٠) .

١٤ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٥) .

١٥ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٧٦) .

١٦ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٢٧٩) .

١٧ _ ينظر : تفسير المرآغي : (١٤ / ٩١) .

١٨ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٥٦) .

١٩ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٧) ، ومعاني القرآن للنحاس : (٤ / ٧٢) ، و النكت والعيون :

(٣ / ١٩٣) ، و التفسير الكبير : (٢٠ / ٥١) ، و اللباب : (١٢ / ٨٠) ، و فتح القدير : (٣ / ١٦٩) ،

وتفسير المرآغي : (١٤ / ٩١) .

٢٠ _ ينظر : معاني القرآن للنحاس : (٤ / ٧٢ - ٧٣) ، و التفسير الكبير : (٢٠ / ٥١) .

١ _ قول أمية بن أبي الصلت الثقفى : وله الدين واصباً وله الملك وحمد له على كل حال .

٢ _ وقول أبي الأسود الدؤلي : لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه يوماً بدم الدهر أجمع واصباً .

٣ _ وقول حسان : غيرته الريح يسفى به وهزيم رعدده واصب .

والمعنى : يقول : غير هذا المكان ما تسفيه الريح عليه من التراب ، وما يأتي به السحاب من مطر رعدده دائم .^٤

القول الثانى : واجباً لازماً ، وهو مروى عن ابن عباس^٥ ، وقول البيضاوي^٦ ، والنسفي^٧ ، وابن جزى^٨ ، وأبي السعود^٩ .

وذكروا أن سبب ذلك ما تقرر أنه سبحانه الإله وحده والحقيق بأن يهرب منه^{١٠} .

وهذا القول قريب من الأول وجمع بينهما الواحدى^{١١} ، والشوكاني^{١٢} .

قال الشوكاني : « وإذا دام الشيء دواماً لا ينقطع فقد وجب وثبت »^{١٣} .

القول الثالث : متعباً ، وقيل : الوصب : التعب ، أي : وله الدين على تعبته ومشقته^{١٤} ، وهو قول ابن الأنباري^{١٥} ، وجوزه الزجاج^١ .

^١ _ ينظر أضواء البيان : (٣ / ٢٧٩) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٢١) ، والنكت والعيون : (٣ / ١٩٣) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٥٥) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٣ - ٤٨٤) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٢١) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٣ - ٤٨٤) .

^٤ _ قاله محقق جامع البيان . ينظر : حاشية (٢) في جامع البيان : (١٧ / ٢٢١) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٢٣) ، ومعاني القرآن للنحاس : (٤ / ٧٢) ، والدر المنثور : (٥ / ١٣٧) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٣) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٩) .

^٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٤) .

^٩ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١١٩) .

^{١٠} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٣) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٦٣) ، وأضواء البيان : (٣ / ٢٧٩) .

^{١١} _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦٠٩) .

^{١٢} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٦٩) .

^{١٣} _ فتح القدير : (٣ / ١٦٩) .

^{١٤} _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٠) .

^{١٥} _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٥٦) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٦) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٦٤) .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ أن الحق ثقيل^٢ ، ولذلك سمي تكليفاً^٣ .
- ٢ _ الوصب : شدة التعب والإعياء^٤ ، ووصب الشيء : شق ، ومفازة واصبة : بعيدة لا غاية لها ، قال الشاعر^٥ :
- لا يشتكي الساق من أين ولا وصبٍ ... ولا يزال أمام القوم يقتفِر^٦
ومنه قول الشاعر^٧ :
- لا يغمزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ ... وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ^٩
- ٢ _ أنه كما تقول العرب : همُّ ناصب ، أي : مُنْصَبٌ^{١٠} .
- قال الشاعر^{١١} : كَلَيْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ ناصِبٍ ... وَلَيْلٍ أَقاسيه بطيء الكواكب^{١٢}
ورد الشوكاني هذا القول فقال : « وهو غير مناسب لما في الآية »^١ .

- ١ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٢٠٣ / ٣) .
- ٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤٥٦ / ٤) .
- ٣ _ ينظر : روح المعاني : (١٦٤ / ١٤) .
- ٤ _ ينظر : النكت والعيون : (١٩٣ / ٣) .
- ٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٨٣ / ٥ - ٤٨٤) .
- ٦ _ هو أعشى باهلة ، عامر بن الحارث . ينظر : مختارات شعراء العرب : (٤ / ١) ، وطبقات فحول الشعراء : (٢٨ / ١) .
- ٧ _ ينظر : النكت والعيون : (١٩٣ / ٣) .
- ٨ _ هو أعشى باهلة . ينظر : الكامل في اللغة والأدب : (٣١٩ / ١) ، والأصمعيات : (١٤ / ١) . وفيهما : من أين ومن وصب ...
- ٩ _ ينظر : جامع البيان : (٢٢١ / ١٧) .
- هذا البيت لأعشى باهلة ، واسمه عامر بن الحارث . ينظر : جمهرة أشعار العرب لحمد بن أبي الخطاب القرشي (١٣٥ - ١٣٧) من قصيدة يقولها في أخ له اسمه المنتشر ، قتله بنو الحارث بن كعب وقطعوه إرباً إرباً (عضواً عضواً) برجل منهم كان فعل معه مثل ذلك . ورواية البيت فيه وفي اللسان (صفر) : لا يَتَأَسَّى لِمَا فِي الْقِدْرِ يَرْقُبُهُ ... وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ
- قال : والصفرة دويبة تكون في البطن ، تدعيها الأعراب ، ويكون منها الجوع . وخطأ رواية البيت الصاغاني ، وأورده كرواية المؤلف . (انظر هامش اللسان : أرى) . والغمز : العصر باليد . والشرسوف : جمعه شراسيف ، وهي أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . ينظر : جامع البيان : (٢٢١ / ١٧) ، حاشية : (٣) .
- ١٠ _ ينظر : زاد المسير : (٤٥٦ / ٤) .
- ١١ _ هو النابغة الذبياني . ينظر : الأغاني : (١٧٧ / ٤) ، والحماسة البصرية : (٥٠ / ١) .
- ١٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤٥٦ / ٤) .

القول الرابع : خالصاً ، وهو قول الربيع بن أنس^٢ ، والكلبي^٣ ، والسعدي^٤ .

واستدل لهذا القول بأن هذه الآية كقوله تعالى ﴿ أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٨٣] ، وقوله تعالى ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [سورة الزمر : ٣] ، وقوله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [سورة البينة : ٥]^٥ .

ويجمع بين هذا القول والذي قبله بأن الطاعات كلها لله ، وإن كان فيها الوصب والتعب^٦ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أن هذه الأقوال لا تتعارض ، بل يقع الوصب على جميعها ؛ وذلك لأنه في اللغة يأتي الوصب بمعنى : الشدة والتعب ، وبمعنى اللازم ، والدائم ، والواجب^٧ ، والآية تحتل تلك المعاني لعدم التضاد بينها ، فتحمل الآية عليها ، وتفسر بها ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٨ .

وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٩ .

قال الزمخشري _ رحمه الله _ : « (والواصب : الواجب الثابت ؛ لأن كل نعمة منه ، فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه . ويجوز أن يكون من الوصب ، أي : وله الدين ذا كلفة ومشقة ؛ ولذلك سمي تكليفاً . أو : وله الجزاء ثابتاً دائماً سرمداً لا يزول ، يعني الثواب والعقاب »^{١٠} .

^١ _ فتح القدير : (١٦٩ / ٣) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤٥٦ / ٤) ، والبحر المحيط : (٤٨٦ / ٥) ، وروح المعاني : (١٦٤ / ١٤) .

^٣ _ ينظر : النكت والعيون : (١٩٣ / ٣) .

^٤ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٣٢ / ١) .

^٥ _ ينظر : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٢٨٠ / ٣) .

^٦ _ ينظر : تفسير السمعاني : (١٧٨ / ٣) .

^٧ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٨٧٢) .

^٨ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٩ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

^{١٠} _ الكشاف : (٤٤٢ / ٣) .

قال السمرقندي _ رحمه الله _ : « ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾ أي : دائماً خالصاً ، ويقال : الألوهية والربوبية له خالصاً ، ويقال : دينه واجباً أبداً لا يجوز لأحد أن يميل عنه ، ويقال : معناه : وله الدين والطاعة رضي العبد بما يؤمر به أو لم يرض ، والوصب في اللغة : الشدة والتعب»^١ .

^١ _ بحر العلوم : (٢ / ٢٧٧) .

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [٥٤] .
في الآية الكريمة مسألتان :

١٦٤ / ٥٢ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ فَرِيقٌ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ فَرِيقٌ ﴾ : المشركون ؛ حيث قال : « والفريق هنا هم المشركون المعتقدون حالة الرجاء أن آلهتهم تنفع وتضر وتشقى »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالفريق على أقوال :

القول الأول : المشركون ، وهو ما رجحه وأبو حيان موافقاً ابن عطية^٢ ، ووافقهما الثعالبي^٣ ، و
البقاعي^٤ .

القول الثاني : الكفار ، وهو قول ابن السائب^٥ ، والزجاج^٦ ، والسمرقندي^٧ ، والزنجشيري^٨ ،
والشنقيطي^٩ .

القول الثالث : المنافقون ، وهو قول ابن عباس^{١٠} .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول وهو ما رجحه
أبو حيان ومن معه _ وهو أن المراد بفريق : المشركون ؛ وذلك لأنه أُلصق بالسياق ؛ وذلك لقوله
تعالى ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٨٧) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠١) .

^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣١) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٧١) .

^٥ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٥٧) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٧) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ٢٠٤) .

^٧ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٧٧) .

^٨ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤٣) .

^٩ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٢٨١) .

^{١٠} _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٦) ، وزاد المسير : (٤ / ٤٥٧) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٧) .

^{١١} _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

وأما القولان الآخران فهما قريبان من القول الأول ، ولا يتعارضان معه ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^١ .



^١ — ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ — ٣١) .

١٦٥ / ٥٣ _ المسألة الثانية : الخطاب لمن في ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن الخطاب عام ، و (من) للتبعيض ، والمراد بالفريق : المشركون ؛ حيث قال : « ومنكم : خطاب للذين خوطبوا بقوله : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ ﴾ [سورة النحل : ٥٣] ، إذ ﴿ بِكُمْ ﴾ خطاب عام ، و (مِنْ) للتبعيض»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ ﴾ :

القول الأول : أن الخطاب عام ، و (من) للتبعيض ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ووافقه البقاعي^٢ والشنقيطي^٣ .

القول الثاني : أن الخطاب للمشركين ، و (من) للبيان ، والمراد بالفريق : الكفرة^٤ .

القول الثالث : أن الخطاب للمشركين وأن فيهم من اعتبر ، و (من) للتبعيض ، والمراد بالفريق : الكفرة^٥ .

وحوز الأقوال الثلاثة الزمخشري ؛ حيث قال : « فإن قلت : فما معنى قوله : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ؟ قلت : يجوز أن يكون الخطاب في قوله : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ٥٣] عاماً ، ويريد بالفريق : فريق الكفرة ، وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان ، لا للتبعيض ، كأنه قال فإذا فريق كافر ، وهم أنتم . ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر ، كقوله ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ إِلَى آلِ الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴾ [سورة لقمان : ٣٢] »^٦ .
وكذلك قال البيضاوي^٧ ، والنسفي^٨ ، والألوسي^٩ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٧ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٥١ / ٢) .

^٢ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٧١ / ٤) .

^٣ _ ينظر : أضواء البيان : (٢٨١ / ٣) .

^٤ _ ينظر : الكشاف : (٤٤٣ / ٣) ، وإرشاد العقل السليم : (١٢٠ / ٥) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٤٤٣ / ٣) .

^٦ _ الكشاف : (٤٤٣ / ٣) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٤ / ٣) .

^٨ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٩ / ١) .

^٩ _ ينظر : روح المعاني : (١٦٥ / ١٤) .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ جواز الأقوال الثلاثة كما ذهب إليه الزمخشري ومن معه ؛ وذلك لأنها أقوال لا تتعارض ، و الآية تحملها لعدم التضاد بينها ، فتحمل الآية عليها ، وتفسر بها ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^١ .



^١ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

قال الله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [٥٦] .

١٦٦ / ٥٤ _ مرجع الضمير في ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضمير يعود على الكفار ؛ حيث قال : « الضمير في ﴿ وَيَجْعَلُونَ ﴾ عائد على الكفار ، والظاهر أنه في ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ عائد عليهم ، و (ما) هي الأصنام ، أي : للأصنام التي لا يعلم الكفار أنها تضر وتنفع ، أو لا يعلمون في اتخاذها آلهة حجة ولا برهاناً ، وحقيقتها أنها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تشفع ، فهم جاهلون بها »^١ .

وقال في النهر الماد : « الضمير في ﴿ يَجْعَلُونَ ﴾ عائد على الكفار ، وفي ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ عائد على (ما) التي هي الأصنام ؛ إذ هي جماد لا علم لها ولا شعور »^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ على قولين :

القول الأول : أن الضمير يعود على الكفار ، وهو ما رجحه أبو حيان في البحر المحيط موافقاً قول مجاهد ، وقتادة^٣ ، وقول ابن زمنين^٤ ، والثعلبي^٥ ، والبغوي^٦ ، والزمخشري^٧ ، ووافقهم ابن جزري^٨ ، والسيوطي^٩ ، والشوكاني^{١٠} ، والطاهر بن عاشور^{١١} ، والمراغي^{١٢} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٨٧) .

^٢ _ النهر الماد : (٢ / ٢٥١) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٧) ، و زاد المسير : (٤ / ٤٥٨) ، والجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١١٥) .

^٤ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٢ / ٦٠٤) .

^٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢٣) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٢٤) .

^٧ _ الكشاف : (٣ / ٤٤٣) .

^٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٥) .

^٩ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٥) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧٠) .

^{١١} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٨١) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٩٦) .

قال ابن الجوزي _ رحمه الله _ : « والمعنى : ﴿ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لها ضراً ولا نفعاً ؛ فمفعول العلم محذوف ، وتقديره : ما قلنا »^١ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أَمَا كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [الحج : ٧١] ونحو ذلك من الآيات^٢ .

٢ _ أن نفي العلم عن الحي حقيقة^٣ ، وعن الجماد مجاز^٤ .

٣ _ أن الضمير في ﴿ وَيَجْعَلُونَ ﴾ عائدٌ على المشركين ، فكذلك في قوله ﴿ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٥ .

٤ _ وأيضاً فقوله : ﴿ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ جمعٌ بالواو والنون ؛ وهو بالعقلاء أليق منه بالأصنام^٥ .

القول الثاني : أن الضمير عائد على (ما) التي هي الأصنام ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان في النهر الماد موافقاً قول الواحدي^٦ ، ووافقهما السعدي^٧ ، وبه قاله جماعة من أهل المعاني^٨ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أَمَا كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة النحل :

٢١] ، وقوله عز وجل ﴿ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ

لَغَافِلِينَ ﴾ [سورة يونس : ٢٩] ، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ

أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا

شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَبَلَّغُوا تَنْظُرُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٩٥] ، إلى غير ذلك من الآيات^١ .

^١ _ زاد المسير : (٤ / ٤٥٨) .

^٢ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٨٤ - ٢٨٥) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٥٤ - ٥٥) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٩) ، و اللباب : (١٢ / ٨٥) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٥٤ - ٥٥) ، و اللباب : (١٢ / ٨٥) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٥٤ - ٥٥) ، و لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٩) ، و اللباب : (١٢ / ٨٥) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦٠٩) .

^٧ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٢) .

^٨ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٧) ، و زاد المسير : (٤ / ٤٥٨) .

^١ _ ينظر : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٨٤ - ٢٨٥) .

٢ _ قيل : أنه إذا أعدناه إلى المشركين ؛ افتقرنا إلى إضمار؛ فإن التقدير : ويجعلون لما لا يعلمون إلهاً ، أو لما لا يعلمون كونه نافعاً ضاراً ، وإذا أعدناه إلى الأصنام ، لم نفتقر إلى الإضمار؛ لأن التقدير : ويجعلون لما لا علم لها^١ .

٣ _ لو كان هذا العلم مضافاً إلى المشركين ، لفسد المعنى ؛ لأنه من المحال أن يجعلوا نصيباً مما رزقهم لما لا يعلمونه^٢ .

٤ _ أهم لما نحلها المشركون الفهم ، أجزاها مجرى مَنْ يعقل على زعمهم ، فقال ﴿يَعْلَمُونَ﴾ جمع بالواو والنون^٣ .

واستبعد هذا القول ابن جزري^٤ .

وقال بالقولين ابن عطية^٥ ، والبيضاوي^٦ ، والنسفي^٧ ، والسمين الحلبي^٨ ، والثعالبي^٩ ، وابن عادل^{١٠} ، وأبو السعود^{١١} ، والألوسي^{١٢} .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على القولين كما ذهب إليه ابن عطية ومن معه ؛ وذلك لأن الآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^١ .

قال الله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [٥٨] .

^١ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٥٤ - ٥٥) ، و لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١١٩) ، و اللباب : (١٢ / ٨٥) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٥٤ - ٥٥) ، و اللباب : (١٢ / ٨٥) .

^٣ _ زاد المسير : (٤ / ٤٥٨) .

^٤ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٥) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠١) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٤) .

^٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٨٩) .

^٨ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٤١) .

^٩ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣١) .

^{١٠} _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٨٥) .

^{١١} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢١) .

^{١٢} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٦٧) .

^١ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ظَلَّ﴾ : صار ؛ حيث قال : « وظل تكون بمعنى : صار ، وبمعنى : أقام نهاراً على الصفة التي تسند إلى اسمها ، تحتمل الوجهين ، والأظهر أن يكون بمعنى : صار ؛ لأنّ التبشير قد يكون في ليل ونهار ، وقد تلحظ الحالة الغالبة وأنّ أكثر الولادات تكون بالليل وتتأخر أخبار المولود له إلى النهار ، وخصوصاً بالأنثى ، فيكون ظلولة على ذلك ط _ سول النهار»^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في معنى ﴿ظَلَّ﴾ أقوال :

القول الأول : أن ﴿ظَلَّ﴾ بمعنى : صار ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول السمرقندي^٢ ، و الواحدي^٣ ، والزمخشري^٤ ، والرازي^٥ ، والنسفي^٦ ، ووافقهم السيوطي^٧ ، والألوسي^٨ ، والطاهر بن عاشور^٩ .

القول الثاني : ظل بمعنى : أقام نهاراً ، أو العمل نهاراً ، وجوزه الزمخشري^{١٠} ، واحتمله أبو حيان . وذكر البقاعي العلة في اختيار لفظ ﴿ظَلَّ﴾ فقال : « ولعله اختير لفظ ﴿ظَلَّ﴾ الذي معناه : العمل نهاراً ، وإن كان المراد : العموم في النهار وغيره ، دلالة على شهرة هذا الوصف شهرة ما يشاهد نهاراً»^١ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٨ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٥٢ / ٢) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧٨ / ٢) .

^٣ _ ينظر : الوجيز : (٦١٠ / ١) .

^٤ _ ينظر : الكشف : (٤٤٣ / ٣) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (٥٦ / ٢٠) .

^٦ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٨٩ / ١) .

^٧ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٦) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٦٨ / ١٤) .

^٩ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٨٤ / ١٤) .

^{١٠} _ ينظر : الكشف : (٤٤٣ / ٣) .

^١ _ نظم الدرر : (٤٧٢ / ٤) .

وجمع بين القولين الراغب ؛ حيث قال : « وظلت وظللت بحذف إحدى اللامين يعبر به عما يفعل بالنهار، ويجري مجرى صرت ، ﴿ فَظَلَّتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [سورة الواقعة : ٦٥] ، ﴿ لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [سورة الروم : ٥١] ، ﴿ ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ [سورة طه : ٩٧] »^١ . وكذلك جمع بينهما البيضاوي^٢ ، والثعالبي^٣ ، والسمين الحلبي^٤ ، وابن جزري^٥ ، وابن عادل^٦ ، و أبو السعود^٧ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ الجمع بين القولين كما ذهب إليه الراغب ومن معه ؛ وذلك لأن الآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٨ .



-
- ^١ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٥٣٧) .
 - ^٢ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٥) .
 - ^٣ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣٢) .
 - ^٤ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٤٤) .
 - ^٥ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٦) .
 - ^٦ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٨٨) .
 - ^٧ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢١) .
 - ^٨ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

قال الله تعالى ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِٗٓ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُر
فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٥٩] .

في الآية الكريمة مسألتان :

٥٦ / ١٦٨ _ المسألة الأولى : معنى ﴿ أَمْ يَدُسُّهُر فِي التُّرَابِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن معنى قوله ﴿ أَمْ يَدُسُّهُر فِي التُّرَابِ ﴾ : يئدها ، وهو دفنها
حية حتى تموت ؛ حيث قال : « والظاهر من قوله ﴿ أَمْ يَدُسُّهُر فِي التُّرَابِ ﴾ : أنه يئدها ، وهو
دفنها حية حتى تموت »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿ أَمْ يَدُسُّهُر فِي التُّرَابِ ﴾ على أقوال :

القول الأول : يئدها ، وهو دفنها حية حتى تموت ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن
السدي^٢ ، وقتادة^٣ ، وابن جريج^٤ ، وقول الفراء^٥ ، والسمرقندي^٦ ، وابن زمنين^٧ ، والثعلبي^٨ ،
والواحدي^٩ ، والسمعاني^{١٠} ، والبغوي^{١١} ، وابن عطية^{١٢} ، والقرطبي^{١٣} ، والبيضاوي^{١٤} ،
والخازن^{١٥} ، ووافقهم ابن جزى^١ ، وابن كثير^١ ، والثعالبي^٢ ، وابن عادل^٣ ، وأبو السعود^٤ ،
والشوكاني^٥ ، والسعدي^٦ ، والطاهر ابن عاشور^٧ ، والمراغي^٨

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٩ / ٥) .

^٢ _ ينظر : روح المعاني : (١٦٩ / ١٤) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١١٧ / ١٠) ، وروح المعاني : (١٦٩ / ١٤) .

^٤ _ ينظر : روح المعاني : (١٦٩ / ١٤) .

^٥ _ ينظر : معاني القرآن : (١٠٧ / ٢) .

^٦ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧٨ / ٢) .

^٧ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٤٠٧ / ٢) .

^٨ _ ينظر : الكشف والبيان : (٢٣ / ٦) .

^٩ _ ينظر : الوجيز : (٦١٠ / ١) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير السمعاني : (١٨٠ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : معالم التنزيل : (٢٥ / ٥) .

^{١٢} _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٤٠٢ / ٣) .

^{١٣} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١١٧ / ١٠) .

^{١٤} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٥ / ٣) .

^{١٥} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٠ / ٣) .

قال الراغب الأصفهاني _ رحمه الله _ : « الدس : إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإكراه . يقال : دسسته ففسد ... قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ »^٩ .

القول الثاني : إهلاكه سواء كان بالدفن حياً ، أم بأمر آخر ، فقد كان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق ، وكان بعضهم يغرقها ، وبعضهم يذبحها إلى غير ذلك^{١٠} .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : « ولما كان الكل أمارة تقضي إلى الدفن في التراب قيل : ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ »^{١١} .

القول الثالث : إخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف كالمدسوس في التراب^{١٢} ، واحتمله القرطبي^{١٣} .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو دفنها وهي حية في التراب ، وهي إحدى صور الوأد في الجاهلية ، وهذا القول هو الراجح ؛ لأنه تفسير يخص ألفاظ الآية ، ولأن دفن المؤودة حية كان أكثر طريقة انتشاراً لقتلها ، وإن كان هناك طرق أخرى تستخدم بقلة ، ويؤيده أن كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله^{١٤} .

^١ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٦) .

^١ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٣) .

^٢ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣٢) .

^٣ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٩٠) .

^٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢١) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧٠) .

^٦ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٣) .

^٧ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٨٥) .

^٨ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٩٧) .

^٩ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٣١٤) .

^{١٠} _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٥٧) ، واللباب : (١٢ / ٩٠) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٦٩) .

^{١١} _ روح المعاني : (١٤ / ١٦٩) .

^{١٢} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٩) ، وفتح القدير : (٣ / ١٧٠) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٦٩) .

^{١٣} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١١٧) .

^{١٤} _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٣٤٩) .

أما القول الثاني فهو قول عام ، وفيه ذكر لصور الوأد التي كانت عند العرب ، فهو وإن كان المعنى يحتمله إلا أنه لا يخص ألفاظ الآية الكريمة .

أما القول الثالث فيظهر لي أنه بعيد ؛ وذلك لما ذكره الله تعالى في قوله ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [سورة التكوير : ٨ - ٩] ففيه التصريح بالقتل .



١٦٩ / ٥٧ _ المسألة الثانية : مرجع الحكم في ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن قوله ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ يرجع إلى قوله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ [سورة النحل : ٥٧] ؛ حيث قال : « والظاهر من قوله ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ رجوعه إلى قوله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ [سورة النحل : ٥٧] الآية أي : ساء ما يحكمون في نسبتهم إلى الله ما هو مستكره عندهم نافر عنهن طبعهم بحيث لا يهتملون نسبتهم إليهن ويدوهن استنكافاً منهن ، وينسبون إليهم الذكر كما قال ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [سورة النجم : ٢١] .^١

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الحكم في ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ على قولين :

القول الأول : رجوعه إلى قوله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ [سورة النحل : ٥٧] الآية أي : ساء

ما يحكمون في نسبتهم إلى الله ما هو مستكره عندهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٢ ، والسدي^٣ ، وقول الطبري^٤ ، والنحاس^٥ ، والسمرقندي^٦ ، والثعلبي^٧ ، والواحدي^٨ ، والبغوي^٩ ، والزمخشري^{١٠} ، وابن الجوزي^{١١} ، والرازي^{١٢} ، والقرطبي^{١٣} ، والبيضاوي^١ ، والخازن^٢

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٩ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٥٢ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٦٧ / ٣) .

^٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٨٧ / ٧) ، والدر المنثور : (١٣٩ / ٥) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٢٢٩ / ١٧) .

^٥ _ ينظر : معاني القرآن : (٧٧ / ٤) .

^٦ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٧٨ / ٢) .

^٧ _ ينظر : الكشف والبيان : (٢٣ / ٦) .

^٨ _ ينظر : الوجيز : (٦١٠ / ١) .

^٩ _ ينظر : معالم التنزيل : (٢٥ / ٥) .

^{١٠} _ ينظر : الكشف : (٤٤٣ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : زاد المسير : (٤٥٩ / ٤) .

^{١٢} _ ينظر : التفسير الكبير : (٥٧ / ٢٠) .

^{١٣} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١١٨ / ١٠) .

^١ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٥ / ٣) .

^٢ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٠ / ٣) .

النسفي^١ ، ووافقهم ابن كثير^٢ ، وابن عادل^٣ ، والبقاعي^٤ ، والسيوطي^٥ ، وأبو السعود^٦ ، والشوكاني^٧ ، والألوسي^٨ ، والمراغي^٩ ، وعليه الجمهور^{١٠} .

واستدل لهذا القول بأنه نظير قوله تعالى ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [سورة النجم : ٢١ - ٢٢] ^{١١} .

القول الثاني : استقبح الله سوء فعلهم وحكمهم بهذا في بناتهم ، فقوله تعالى ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ متعلق بصنعهم في بناتهم ، وهو قول ابن عطية^{١٢} ، ووافقه الطاهر بن عاشور^{١٣} .

قال الطاهر ابن عاشور : « وكانوا يئدون بناتهم ، بعضهم يئد بحدثان الولادة ، وبعضهم يئد إذا يفعت الأنثى ومشت وتكلمت ، أي حين تظهر للناس لا يمكن إخفاؤها . وذلك من أفضع أعمال الجاهلية ، وكانوا متمالين عليه ومحسبون حقا للأب فلا ينكرها الجماعة على الفاعل ؛ ولذلك سماه الله حكما بقوله تعالى : ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ . وأعلن ذمّه بجرّف (ألا) ؛ لأنه جور عظيم قد تمالأوا عليه وخولوه للناس ظلماً للمخلوقات ، فأسند الحكم إلى ضمير الجماعة مع أن الكلام كان جارياً على فعل واحد غير معيّن قضاءً لحقّ هذه النكته » ^{١٤} .

^١ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩٠) .

^٢ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٣) .

^٣ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٩١) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٧٣) .

^٥ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٦) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢١) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧٠) .

^٨ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٦٩) .

^٩ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٩٧) .

^{١٠} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٦٩) .

^{١١} _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢٣) ، والوسيط : (٣ / ٦٧) ، ومعالم التنزيل : (٥ / ٢٥) ، والتفسير الكبير : (٢٠ / ٥٧) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٠) ، اللباب : (١٢ / ٩١) ، وفتح القدير : (٣ / ١٧٠) .

^{١٢} _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٢) .

^{١٣} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٨٥) .

^{١٤} _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٨٥) .

قال الألويسي _ رحمه الله _ : « وهو خلاف الظاهر جداً »^١ .
وجمع بين القولين الزجاج^٢ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على القولين ، وهو ما ذهب إليه الزجاج ؛ وذلك لأن القولين لا يتعارضا ، وكل منهما حكم شنيع ، وتحتملهما الآية الكريمة ، فتحمل عليهما ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٣ .



^١ _ روح المعاني : (١٤ / ١٦٩) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ٢٠٦) .

^٣ _ ينظر : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [٦١] .
في الآية الكريمة مسألتان :

١٧٠ / ٥٨ _ المسألة الأولى : المراد بالناس في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ ﴾ .

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالناس : عموم الناس ؛ حيث قال : « والظاهر عموم الناس »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالناس في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : عموم الناس ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن مسعود ، والحسن^٢ ، ووافقهم البقاعي^٣ ، والطاهر ابن عاشور^٤ ، والشنقيطي^٥ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن التعريف في ﴿ النَّاسَ ﴾ للجنس ؛ فيشمل جميع الناس .

٢ _ أن ذلك أنسب بمقام الزجر^٦ .

ورد الخازن هذا القول فقال : « فإن قلت : ﴿ النَّاسَ ﴾ اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى في آية أخرى ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [سورة فاطر : ٣٢] ، فقسّمهم في تلك الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسماً واحداً من ثلاثة ؛ قلت : قوله ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ﴾ عام مخصوص بتلك الآية الأخرى ، لأن في جنس الناس الأنبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم »^٧ .

القول الثاني : أنه عام مخصوص ، ثم اختلفوا في المراد بهم على أقوال :

^١ _ البحر المحيط : (٤٩٠ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠٠ / ١٢٠) .

^٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٧٣ / ٤) .

^٤ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤٨ / ١٨٨) .

^٥ _ ينظر : أضواء البيان : (٢٨٨ / ٣) .

^٦ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤٨ / ١٨٨) .

^٧ _ لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٠) .

أولاً : عصاة بني آدم ، وهو قول الطبري^١ ، ووافقه المراغي^٢ .

قال المراغي _ رحمه الله _ : « لما حكى سبحانه عن المشركين عظيم كفرهم وقبيح أفعالهم بين هنا حلمه بخلقه مع ظلمهم ، وأنه يمهلهم بالعقوبة إظهاراً لفضله ورحمته »^٣ .

ثانياً : المشركون ، وهو قول ابن عباس^٤ ، وقول ابن عادل^٥ ، وأبي السعود^٦ .

واستدل لهذا القول بقوله ﴿ اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ ﴾ [سورة لقمان : ١٢] ^٧ .

وجمع الرازي^٨ ، والشوكاني^٩ بين هذين القولين .

قال الرازي _ رحمه الله _ : « ثبت بالدليل أن كل الناس ليسوا ظالمين ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [فاطر : ٣٢] أي : فمن العباد من هو ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق ، ولو كان المقتصد والسابق ظالماً لفسد ذلك التقسيم ، فعلمنا أن المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين ، فثبت بهذا الدليل أنه لا يجوز أن يقال كل الخلق ظالمون .

وإذا ثبت هذا فنقول : الناس المذكورون في قوله : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ ﴾ إما كل العصاة

المستحقين للعقاب أو الذين تقدم ذكرهم من المشركين ومن الذين أثبتوا لله البنات »^{١٠} .

ثالثاً : أهل مكة^{١١} .

ورد هذا القول الطاهر ابن عاشور فقال : « والتعريف في ﴿ النَّاسَ ﴾ يحمل على تعريف الجنس

ليشمل جميع الناس ، لأن ذلك أنسب بمقام الزجر ، فليس قوله تعالى : ﴿ النَّاسَ ﴾ مراداً به خصوص

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٣٠) .

^٢ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ٩٨) .

^٣ _ تفسير المراغي : (١٤ / ٩٨) .

^٤ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٨) ، والوجيز : (١ / ٦١٠) .

^٥ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٩٢) .

^٦ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٢) .

^٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٠) .

^٨ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٥٩) .

^٩ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧١) .

^{١٠} _ التفسير الكبير : (٢٠ / ٥٩) .

^{١١} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٠) .

المشركين من أهل مكة الذين عادت عليهم الضمائر المتقدمة في قوله : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ [سورة النحل : ٥٥] وما بعده من الضمائر ، وبذلك لا يكون لفظ ﴿ النَّاسَ ﴾ إظهاراً في مقام الإضمار^١ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو أنه عام مخصوص ؛ ويؤيده ما ثبت بالدليل في الكتاب والسنة أن ليس كل الناس ظالمين ؛ ومن ذلك :
١ _ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [فاطر : ٣٢] ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^٢ .

٢ _ ما جاء عن عبد الله بن عمر _ رضي الله عنه _ قال : سمعت رسول _ ﷺ _ يقول : « إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم »^٣ .

وعن أم سلمة _ رضي الله عنها _ وسئلت عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في أيام ابن الزبير _ رضي الله عنه _ ، فقالت قال رسول الله _ ﷺ _ : « يعوذ بالبيت عائذ فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببداء من الارض خسف بهم » ، فقلت : يا رسول الله ، فكيف بمن كان كارهاً ؟ قال : « يخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته »^٤ .

وقال القرطبي _ رحمه الله _ : « فإن قيل : فكيف يعم بالهلاك مع أن فيهم مؤمناً ليس بظالم ؟ قيل : يجعل هلاك الظالم انتقاماً وجزاءً ، وهلاك المؤمن معوضاً بثواب الآخرة »^٥ .
وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^٦ .

١٧١ / ٥٩ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ دَابَّةٍ ﴾ :

^١ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٨٨) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٣١٢) .

^٣ _ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت : (٤ / ٢٢٠٦) ، ح : (٢٨١٩) ، وفيه ((ثم بعثوا على أعمالهم)) . ولم أقف على رواية ((نياتهم)) .

^٤ _ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن و أشراط الساعة ، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت : (٤ / ٢٢٠٨) ، ح : (٢٨٨٢) ، وفيه : ((يعوذ عائذ بالبيت)) .

^٥ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٢٠) .

^٦ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٠٦) .

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن المراد بـ ﴿ دَابَّةٍ ﴾ : العموم ؛ حيث قال : « والظاهر عموم ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ ، فيهلك الصالح بالطالح فكان يهلك جميع ما يدب على الأرض »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ دَابَّةٍ ﴾ على أقوال :

القول الأول : عموم ﴿ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن مسعود^٢ ، وأبي هريرة^٣ ، وأنس بن مالك ، وقتادة^٤ ، والسدي^٥ ، وقول الطبري^٦ ، وابن عطية^٧ ، والبيضاوي^٨ ، والحازن^٩ ، والنسفي^{١٠} ، ووافقهم ابن جزي^{١١} ، والبقاعي^{١٢} ، والسيوطي^{١٣} ، وأبو السعود^{١٤} ، والقونوي^{١٥} ، والألوسي^{١٦} ، والسعدي^{١٧} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٩٠ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٥٣ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٢٣١ / ١٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٨٧ / ٧) ، و الدر المنثور : (١٤٠ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٢٣١ / ١٧) ، والدر المنثور : (١٤٠ / ٥) .

^٤ _ ينظر : الدر المنثور : (١٤٠ / ٥) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٨٧ / ٧) ، والدر المنثور : (١٤٠ / ٥) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (٢٣٠ / ١٧) .

^٧ _ ينظر : الخور الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٤٠٣ / ٣) .

^٨ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٥ / ٣) .

^٩ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٠ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٩٠ / ١) .

^{١١} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٨٦ / ٢) .

^{١٢} _ ينظر : نظم الدرر : (٤٧٣ / ٤) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٦) .

^{١٤} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٢٢ / ٥) .

^{١٥} _ ينظر : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (٣٠٥ / ١١) .

^{١٦} _ ينظر : روح المعاني : (١٧٠ / ١٤) .

^{١٧} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٣٣ / ١) .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أنه نظير قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [سورة الأنفال : ٢٥]^١ .

٢ _ ما جاء في الأحاديث :

ومنها : « أهلك وفينا الصالحون .. »^٢ .

ومنها : عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إذا أراد الله بقوم

عذاباً ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على نياتهم »^٣ .

وكذلك حديث الجيش الذين يخسف بهم في البيداء ، وفي آخره : أنهم يبعثون على نياتهم^٤ .

٣ _ ما جاء في الأخبار بأن الله تعالى أهلك الأمم برها وعاصيها بذنوب العصاة منهم^٥ .

القول الثاني : ﴿ دَابَّةٌ ﴾ : من الإنس والجن ، وهو قول ابن السائب^٦ .

القول الثالث : من الناس خاصة ، وهو قول ابن جريج^٧ .

القول الرابع : ﴿ دَابَّةٌ ﴾ : من مشرك يدب عليها ، وهو مروى عن ابن عباس^٨ ، وهو قول

الواحدي^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، ووافقهم الشوكاني^{١١} .

^١ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٣) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٠) ، وإرشاد

العقل السليم : (٥ / ١٢٢) ، وفتح القدير : (٣ / ١٧١) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٧٠) .

^٢ _ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب قول النبي - ﷺ - : ((ويل للعرب من شر قد

اقترب)) : (٦ / ٢٥٨٩) ، ح : (٦٦٥٠) .

^٣ _ سبق تخريجه : (٧١٢) .

^٤ _ سبق تخريجه : (٧١٢) .

^٥ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٣) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٥٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٠) .

^٧ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٥٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٠) .

^٨ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٠) .

^٩ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦١٠) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١١٩) .

^{١١} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧١) .

واستدل لهذا القول بقوله تعالى ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٥] ^١ ، وبقوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ^٢ .

القول الخامس : يريد من أولئك الظلمة فقط ^٣ .

ويدل على هذا التخصيص أن الله لا يعاقب أحداً بذنب أحد ، لقول الله تع الى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [سورة الأنعام : ١٦٤] .

ورد ابن عطية هذا القول فقال : « وهذا معنى آخر ؛ وذلك أن الله تعالى لا يجعل العقوبة تقصد أحداً بسبب إذنب غيره ، ولكن إذا أرسل عذاباً على أمة عاصية لم يمكن البري التخليص من ذلك العذاب فأصابه العذاب لا بأنه له مجازاة ، ونحو هذا قوله ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [سورة الأنفال : ٢٥] ، وقيل للنبي ﷺ - : « أهلك وفيها الصالحون ؟ » ، قال : « نعم إذا كثر الخبث » ^٤ ، ثم لا بد من تعلق ظلم ما بالأبرياء ، وذلك بترك التغيير ، ومداهنة أهل الظلم ، ومداومة حوارهم » ^٥ .

الترجيح :

بالنظر في مجمل الأقوال يتضح أن الراجح - والله تعالى أعلم بالصواب - القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، ويؤيده ما يلي :

- ١ - أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص ^٦ .
- ٢ - ما استدل به من قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [سورة الأنفال : ٢٥] يدل على العموم ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك ^٧ .

^١ - ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٧١) .

^٢ - ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٦١) .

^٣ - ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٣) .

^٤ - سبق تخريجه : (٧١٤) .

^٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٣) .

^٦ - ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٧ - ينظر : المرجع السابق : (١ / ٣١٢) .

٣ _ تؤيده الأحاديث التي استدل بها أصحاب القول الأول ، و إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^١ .

٤ _ أن قوله تعالى ﴿ دَابَّةٍ ﴾ نكرة في سياق النفي ، وهي تفيد العموم ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية^٢ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٠٦) .

^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٩٩) .

قال الله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴾ [٦٢] .

١٧٢ / ٦٠ _ المراد بالحسنى :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالحسنى : الجنة ؛ حيث قال : « وقيل : الحسنى : الجنة ، ويؤيده ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ ، والمعنى على هذا : يجعلون لله المكروه ، ويدعون مع ذلك أنهم يدخلون الجنة ، كما تقول : أنت تعصي الله ، وتقول مع ذلك : إنك تنجو ، أي : هذا بعيد مع هذا ، وهذا القول لا يتأتى إلا من يقول : بالبعث ، وكان فيهم من يقول به ، أو على تقدير : إن كان ما يقول من البعث صحيحاً^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالحسنى على قولين :

القول الأول : أنها الجنة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الواحدي^٢ ، وابن عطية^٣ ، والنسفي^٤ ، ووافقهم السيوطي^٥ ، والشهاب^٦ ، والمراغي^٧ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ السياق اللاحق للآية ، وهو قوله تعالى ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾^٨ .
- ٢ _ أنه كقول الله تعالى ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتَ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [سورة فصلت : ٥٠]^٩ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٠) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٨) ، والوجيز : (١ / ٦١١) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٣) .

^٤ _ ينظر : مدارك التزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩٠) .

^٥ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٦) .

^٦ _ ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٦٠٥) .

^٧ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٠٠) .

^٨ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٣) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٠) ، حاشية

الشهاب على تفسير البيضاوي : (٥ / ٦٠٥) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤٥) .

٣ _ مناسبة الآية لما قبلها : أنه لما وعد الله المؤمنين الجنة ، قال المشركون : إن كان ما تقولونه حقاً ، لندخلنَّها قبلكم^١ .

القول الثاني : ﴿ الْحُسْنَى ﴾ : قول قريش لنا البنون ، يعني : قالوا لله البنات ولنا البنون^٢ ، وهو قول مجاهد^٣ ، وقتادة^٤ ، والسدي^٥ ، والطبري^٦ ، والنحاس^٧ ، والسمرقندي^٨ ، والبغوي^٩ ، والحازن^{١٠} . وقال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وهو الأسبق من معنى الآية »^{١١} . ورد هذا القول الألويسي _ رحمه الله _ فقال : « وليس بذلك »^{١٢} .

القول الثالث : أهما الجزء الحسن من الله تعالى ، قاله الزجاج^{١٣} ، وهو نحو قول أبي السعود^{١٤} ، والألويسي^{١٥} ، والشوكاني^{١٦} ، والسعدي^{١٧} ، والشنقيطي^{١٨} .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٦٠) .
- ٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٠) .
- ٣ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٨) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٣٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٨٧) ، ومعاني القرآن : للنحاس : (٤ / ٧٨) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤١) .
- فائدة : أخرج الطبري الأثر من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريح عنه ، وإسناد ابن جريح حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجيح له . ينظر : ابن جريح مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٦٠) .
- ٤ _ ينظر : تفسير الصنعي : (٢ / ٣٥٧) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٣٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٨٨) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤١) .
- ٥ _ ينظر : تفسير ابن زنين : (٢ / ٤٠٨) .
- ٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٣١) .
- ٧ _ ينظر : إعراب القرآن : (٢ / ٣٤٨) .
- ٨ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٧٩) .
- ٩ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٢٦) .
- ١٠ _ ينظر : لباب التاويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢١) .
- ١١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٣) .
- ١٢ _ روح المعاني : (١٤ / ١٧٢) .
- ١٣ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ٢٠٧) .
- ١٤ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٣) .
- ١٥ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٧٢) .
- ١٦ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧١) .
- ١٧ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٤) .
- ١٨ _ ينظر : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٢٩٢) .

١ _ أنه كقوله تعالى ﴿ وَلَئِن أَدَقَّنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [سورة فصلت : ٥٠] .^١
قال الألوسي _ رحمه الله _ : « ﴿ أَن لَّهُمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي : العاقبة عند الله عز وجل ، ولا يتعين إرادة الجنة »^٢ .

قال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « والحق الذي لا شك فيه : أن المراد بالحسنى : هو زعمهم أنه إن كانت الآخرة حقاً فسيكون لهم فيها أحسن نصيب كما كان لهم في الدنيا . ويدل على صحة هذا القول الأخير دليلان :

أحدهما : كثرة الآيات القرآنية المبينة لهذا المعنى ، كقوله تعالى عن الكافر : ﴿ وَلَئِن أَدَقَّنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [سورة فصلت : ٥٠] ، وقوله ﴿ وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ [سورة الكهف : ٣٦] ، وقوله ﴿ وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [سورة مريم : ٧٧] ، وقوله ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ [سورة سبأ : ٣٥] . وقوله ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥٥-٥٦] الآية ، إلى غير ذلك من الآيات .

والدليل الثاني : أن الله أتبع قوله ﴿ أَن لَّهُمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ بقوله ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ الآية ، فدل ذلك دلالة واضحة على ما ذكرنا ، والعلم عند الله »^٣ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثالث ، وهو أنها الجزاء الحسن من الله تعالى ؛ لأنه قول عام يشمل القولين الآخرين ، ويؤيده أن الحسن في اللغة : عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه ، والحسنة : يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله^٤ .



^١ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٢٣ / ٥) .

^٢ _ روح المعاني : (١٧٢ / ١٤) .

^٣ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٢٩٢ / ٣) .

^٤ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٢٣٥) .

قال الله تعالى ﴿ تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ أُولَئِكَ فِي ظُلُمٍ لَّيْلٍ فَأَنْزَلْنَاهُمْ فِيهَا السُّيُوفَ فَجَاءُوا قِبَلِكُمْ فَأَنتُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ لَقَائِهِمْ وَمَا وَجَدُوكُمْ خَالِفِينَ وَلَدُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِيهَا جَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٦٣] .

١٧٣ / ٦١ _ مرجع الضمير في ﴿ وَلِيَهُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ مرجع الضمير في ﴿ وَلِيَهُمْ ﴾ إلى الأمم ؛ حيث قال : « والظاهر عود الضمير في ﴿ وَلِيَهُمْ ﴾ إلى ﴿ أُمَّمٍ ﴾ » .^١

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في ﴿ وَلِيَهُمْ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن مرجع الضمير إلى الأمم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول السمرقندي^٢ ، والواحدي^٣ ، والبغوي^٤ ، وابن عطية^٥ ، والقرطبي^٦ ، والبيضاوي^٧ ، والخازن^٨ ، ووافقهم السمين الحلبي^٩ ، وابن كثير^{١٠} ، وابن عادل^{١١} ، وأبو السعود^{١٢} ، والألوسي^{١٣} ، والسعدي^{١٤} ، والمراغي^{١٥} .
القول الثاني : أن مرجع الضمير إلى مشركي قريش ، جوزه الزمخشري^{١٦} ، والظاهر بن عاشور^١ .
واستدل لهذا القول بقريته قوله تعالى ﴿ أَلْيَوْمَ ﴾ الذي يدل على الحاضر .

^١ _ البحر المحيط : (٤٩١ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٥٤) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٧٩) .

^٣ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٦٩) .

^٤ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٢٧) .

^٥ _ ينظر : الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٤) .

^٦ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٢١) .

^٧ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٦) .

^٨ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢١) .

^٩ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٤٩) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٥) .

^{١١} _ ينظر : اللباب : (١٢ / ٩٦) .

^{١٢} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٣) .

^{١٣} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٧٣) .

^{١٤} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٤) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٠٠) .

^{١٦} _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤٥) .

^١ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ١٩٤) .

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « وجملة ﴿ فَهُوَ وَلِيَّهُمْ الْيَوْمَ ﴾ يجوز أن تكون مفرّعة على جملة القسم بتمامها ، على أن يكون التّفريع هو المقصود من جملة الاستئناف للتّنظير ، فيكون ضمير ﴿ وَلِيَّهُمْ ﴾ عائداً إلى المنظرين بقريّة السياق . ولا مانع من اختلاف معادي ضميرين متقاربين مع القرينة ، كقوله تعالى : ﴿ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ [سورة الروم : ٩] .

والمعنى : فالشيطان وليّ المشركين اليوم ، أي متولّي أمرهم كما كان وليّ الأمم من قبلهم ؛ إذ زيّن لهم أعمالهم ، أي لا وليّ لهم اليوم غيره رداً على زعمهم أن لهم الحسنى . ويكون في الكلام شبه الاحتباك . والتقدير : لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيّن لهم الشيطان أعمالهم فكان وليّهم حينئذٍ ، وهو وليّ المشركين اليوم يُزيّن لهم أعمالهم كما كان وليّ من قبلهم .

وقوله : ﴿ الْيَوْمَ ﴾ مستعمل في زمان معهود بعهد الحضور ، أي فهو وليّهم الآن . وهو كناية عن استمرار ولايته لهم إلى زمن المتكلّم مطلقاً بدون قصد ، لما يدلّ عليه لفظه من الوقت الذي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . وهو منصوب على الظرفية للزمان الحاضر . وأصله : اليوم الحاضر ، وهو اليوم الذي أنت فيه ^١ .
واحتتمل القولين الرازي ^٢ .

القول الثالث : أنه على حذف مضاف ، وجوزه الزمخشري ؛ حيث قال : « ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو وليّ أمثالهم اليوم » ^٣ .

واستبعده أبو حيان فقال : « وهذا فيه بعد لاختلاف الضمائر من غير ضرورة تدعو إلى ذلك ولا إلى حذف المضاف » ^٤ .

ورد الألوسي على أبي حيان ، فقال : « ورد بأن لفظ ﴿ الْيَوْمَ ﴾ داع إليه ، وقال الطيبي : إنه الوجه وعليه النظم الفائق ؛ لأن في تصدير القسمية بقوله تعالى ﴿ تَأَلَّهْ ﴾ بعد إنكارهم الرسالة وتعداد قبائحهم الإشعار بأن ما ذكر كالتسلية للرسول _ صلى الله تعالى عليه وسلم _ فكأنه قيل إن الأمم الخالية مع الرسل السالفة لم تنزل على هذه الوتيرة تلك أسوة بالرسول _ عليهم السلام _ ، وقومك

^١ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ١٩٤ - ١٩٥) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٦٣ - ٦٤) .

^٣ _ الكشاف : (٣ / ٤٤٥) .

^٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩١) .

خلف لتلك الأمم ، فلا تهتم لذلك فإن ربك ينتقم لك منهم في الدنيا والآخرة ، فاشتغل أنت بتبليغ ما أنزل إليك»^١ .

وقال القونوي _ رحمه الله _ : « وهذا الوجه وإن كان مصححاً لا مرجحاً لكن سوق الكلام يقويه ، وتفكيك الضمير أمر سهل»^٢ .

وقال الألوسي _ رحمه الله _ : « والحق أن ما ذكره الزمخشري غير ظاهر ، وما قيل إن لفظ ﴿ أَلْيَوْم ﴾ داع إليه ففي حيز المنع ، وقصارى ما يقال وجود القرينة المصححة لا المرجحة»^٣ .

وجوز القول الثاني والثالث البيضاوي^٤ ، وأبو السعود^٥ .

وقال بالأقوال الثلاثة النسفي^٦ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على الأقوال الثلاثة كما ذهب إليه النسفي ؛ لأنها لا تتعارض ، فلاآية تحمل هذه المعاني لعدم التضاد بينها ، فتحمل الآية عليها ، وتفسر بها ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٧ .



^١ _ روح المعاني : (١٤ / ١٧٣ _ ١٧٤) .

^٢ _ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : (١١ / ٣٠٩) .

^٣ _ روح المعاني : (١٤ / ١٧٤) .

^٤ _ ينظر : تفسير البيضاوي : (٣ / ٤٠٦) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٣) .

^٦ _ ينظر : مدارك التأويل و حقائق التأويل : (١ / ٢٩٠) .

^٧ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ
لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [٦٦] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٧٤ / ٦٢ _ المسألة الأولى : عود الضمير في ﴿ نُسَقِيكُمْ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن مرجع الضمير في ﴿ نُسَقِيكُمْ ﴾ إلى الله تعالى ؛ حيث قال :
« والضمير عائد على الله ، أي : يسقيكم الله »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في عود الضمير في ﴿ نُسَقِيكُمْ ﴾ على قولين :

القول الأول : أن مرجع الضمير إلى الله تعالى ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الطبري^٢ ،
ووافقهما السعدي^٣ ، والمراغي^٤ .

القول الثاني : أن يكون مسنداً إلى النعم ، وذكر ؛ لأن النعم مما يذكر ويؤنث ، ومعناه : وإن
لكم في الأنعام نعماً يسقيكم ، أي : يجعل لكم سقياً ، وجوزه صاحب اللوامح^٥ .
قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وقرأ أبو رجاء (يهقيكم) بالياء^٦ ، أي : يسقيكم الله ،
وقرأت فرقة ﴿ تسقيكم ﴾ بالتاء^٧ ، وهي ضعيفة^٨ . وكذلك ضعفها القرطبي^٩ . وضعف الشوكاني
القراءتين^{١٠} .

قال أبو حيان في توجيه تضعيف ابن عطية قراءة ﴿ تسقيكم ﴾ : « وضعفها عنده والله أعلم من
حيث أنث في ﴿ تسقيكم ﴾ ، وذكر في قوله ﴿ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ ، ولا ضعف في ذلك من هذه

^١ _ البحر المحيط : (٤٩٢ / ٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٢٣٧ / ١٧) .

^٣ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (٩٣٥ / ١) .

^٤ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٠٣ / ١٤) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٩٢ / ٥) ، وروح المعاني : (١٧٧ / ١٤) .

^٦ _ هذه القراءة شاذة ، لأنها غير مذكورة في النشر ، ولم أجدها في المحتسب ، لابن جني .

^٧ _ الصحيح أنها ليست ضعيفة ؛ لأنها قراءة أبي جعفر ، وقرأ الباقر بالنون ، وفتحها نافع ويعقوب وأبو بكر ،
وضمها الباقر . ينظر : النشر : (٣٠٤ / ٢) .

^٨ _ ينظر : الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٤٠٥ / ٣) .

^٩ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٢٣ / ١٠) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (١٧٤ / ٣) .

الجهة ، لأن التأنيث والتذكير باعتبار وجهين ، وأعاد الضمير مذكراً مراعاة للجنس ؛ لأنه إذا صح وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكراً ... وقيل : جمع التكسير فيما لا يعقل يعامل معاملة الجماعة ، ومعاملة الجمع ، فيعود الضمير عليه مفرداً^١ . ونحوه قال الألوسي^٢ . وقال السمين الحلبي _ رحمه الله _ : « وضعفها عنده من حيث المعنى : وهو أن المقصود الامتنان على الخلق ، فنسبة السقي إلى الله تعالى هو الملائم ، لا نسبته إلى الأنعام »^٣ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على القولين ؛ لأن قراءة ﴿ نُسْقِيكُمْ ﴾^٤ متواترة ، وكذلك قراءة ﴿ تسقيكم ﴾^٥ ، فهاتان القراءتان لهما حكم الآيتين ، وصارتا بمثابة اختلاف التنوع ، فيكون للآية معنيان ، وإذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها ، أو رد معناها ، وهي بمرتلة آية مستقلة^٦ .

وعليه يتبين أن الاختلاف في القراءتين اختلاف في اللفظ والمعنى ، ويمتنع اجتماعهما في شيء واحد ، إلا أنهما تتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد ، ففي قراءة (نسقيكم) المنعم هو الله تعالى ومنه ابتداء النعم ، وقراءة ﴿ تسقيكم ﴾ فيها إسناد النعمة للأنعام ، ولكن هذا الإنعام يكون بما أعطاه الله تعالى من تلك النعم .



^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٢) .

^٢ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٧٧) .

^٣ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٥٢) .

^٤ _ وهي قراءة الجماعة بالنون ، سوى أبي جعفر بالتاء . ينظر : النشر : (٢ / ٣٠٤) .

^٥ _ وهي قراءة أبي جعفر بالتاء المفتوحة . ينظر : النشر : (٢ / ٣٠٤) .

^٦ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٩) .

١٧٥ / ٦٣ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن اللبن يكون وسطاً بين الفرث والدم ؛ حيث قال : « والذي يظهر من لفظ الآية أن اللبن يكون وسطاً بين الفرث والدم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن اللبن يكون وسطاً بين الفرث والدم ، والبينة يحتل أن تكون باعتبار المكانية حقيقة^٢ ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٣ ، وابن جبير^٤ ، وقول الواحدي^٥ ، والسمعاني^٦ ، والزحشري^٧ ، والخازن^٨ ، والنسفي^٩ ، ووافقه ابن جزى^{١٠} ، والسيوطي^{١١} ، والقونوي^{١٢} ، والشوكاني^{١٣} .

قال السمعاني _ رحمه الله _ : « وقوله ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾ الفرث : هو ما يحصل في الكرش من الثقل ، ويقال : إن العلف الذي تأكله الدابة يتغير في الكرش ، فيتحول لبناً وفرثاً ودماً ، فأعلاه دم ، وأوسطه لبن ، وأسفله فرث ، ثم يميز الله تعالى بينهما ، فيجري كل واحد منهما في مجراه

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٣) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٣) ، وحاشية الشهاب : (٥ / ٦١٠) ، وحاشية القونوي : (١١ / ٣١٣) .

^٣ _ ينظر : زاد المسير : (٥ / ٤٦٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٣) ، ونظم الدرر : (٤ / ٤٧٧) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٧٨) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٣) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٧٨) .

^٥ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٧٠) .

^٦ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٨٤) .

^٧ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤٨) .

^٨ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢١ - ١٢٢) .

^٩ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩١) .

^{١٠} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٧) .

^{١١} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٦) .

^{١٢} _ حاشية القونوي : (١١ / ٣١٣ - ٣١٤) .

^{١٣} _ فتح القدير : (٣ / ١٧٤) .

على حدة ، فيجعل اللبن في الضرع ، ويجعل الدم في العروق ، ويبقى الفرث في الكرش ، فهذا معنى قوله ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمٍ ﴾^١ .

القول الثاني : أن اللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم ، والدم إنما يتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث ، وهو الأشياء المأكولة الحاصلة في الكرش ، وهذا اللبن متولد من الأجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث أولاً ، ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانياً ، وعلى هذا القول فالبينية على هذا مجازية^٢ ، وهو قول النحاس^٣ ، والرازي^٤ ، والقرطبي^٥ ، والبيضاوي^٦ ، وابن كثير^٧ . وأبي السعود^٨ ، والمراغي^٩ .

قال الرازي رداً على القول الأول ومثبتاً قوله : « ولقائل أن يقول : الدم واللبن لا يتولدان ألبتة في الكرش ، والدليل عليه الحس فإن هذه الحيوانات تذبح ذبحاً متوالياً ، وما رأى أحد في كرشها لا دماً ولا لبناً ، ولو كان تولد الدم واللبن في الكرش لوجب أن يشاهد ذلك في بعض الأحوال ، والشيء الذي دلت المشاهدة على فساده لم يجز المصير إليه المفسرون قالوا : المراد من قوله : ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمٍ ﴾ هو أن هذه الثلاثة تتولد في موضع واحد ، فالفرث يكون في أسفل الكرش ، والدم يكون في أعلاه ، واللبن يكون في الوسط ، وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة ، ولأن الدم لو كان يتولد في أعلى المعدة والكرش كان يجب إذا قاء أن يقيء الدم وذلك باطل قطعاً . وأما نحن فنقول : المراد من الآية هو أن اللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم ، والدم إنما يتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث ، وهو الأشياء المأكولة الحاصلة في الكرش ، وهذا اللبن متولد من الأجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث أولاً ، ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانياً ، فصفاه الله تعالى عن تلك الأجزاء الكثيفة الغليظة ، وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبناً

^١ _ تفسير السمعي : (٣ / ١٨٤) .

^٢ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٣) ، وحاشية الشهاب : (٥ / ٦١٠) ، وحاشية القونوي : (١١ / ٣١٣) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٧٨) .

^٣ _ معاني القرآن : (٤ / ٨١) .

^٤ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٦٧ - ٦٨) .

^٥ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٢٤ - ١٢٥) .

^٦ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٦ - ٤٠٧) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٤) .

^٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٤) .

^٩ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٠٣) .

موافقاً لبدن الطفل ، فهذا ما حصلناه في هذا المقام ، والله أعلم «^١ . ونحوه قال أبو السعود^٢ ، و الطاهر بن عاشور^٣ .

ورد القونوي على الرازي فقال : « والأولى عدم تأويل ما روي عن ابن عباس ؛ فإنه موافق لما نطق به الكتاب المبين فإنه ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [سورة فصلت : ٤٢] قولهم : إن الحيوان تذبح ولم يوجد في كرشه دم ولا لبن ، ضعيف ؛ لجواز انقلابه في الحال إلى شيء آخر ولاضمحلاله في الحال ولا بد في إبطاله من بيان وبرهان ، وكذا القول : لو كان الدم في الكرش لخرج بالقيء ، سخيف جداً ؛ لجواز أن يكون له حالة تمنع الخروج ، ومثل هذا الحس والتجربة لا يكونان حجة مع أن ما ذكره ابن عباس - ﷺ - أدل على كمال القدرة حيث دل على أن بين هؤلاء الثلاثة حاجزاً برزخاً هو قدرة الله تعالى لا يبغى أحدهما على الآخر^٤ .

الترجيح :

يظهر لي و - الله أعلم - رجحان القول الثاني ، فقد أظهرت دراسة البحث العلمي في الوقت الحاضر أن مكونات اللبن تستخلص بعد هضم الطعام من بين الفرث ؛ حيث تقوم الحملات^٥ في الأمعاء الدقيقة بامتصاص المواد الغذائية المحللة بعدة طرق ، وتدخل في تيار الدورة الدموية ، وتجري مع مجرى الدم لتصل إلى الغدد اللبنية في ضروع الإناث التي تقوم باستخلاص مكونات اللبن من بين الدم دون أن يبقى أي آثار في اللبن من الفرث أو الدم ، وتضاف إليه في حويصلات اللبن مادة سكر اللبن^٦ التي تجعله سائغاً للشاربين ؛ فثبت أن اللبن مر بمرحلة كان فيها بين الفرث ، وأخرى كان فيها بين الدم^٧ .

^١ - التفسير الكبير : (٦٧ / ٢٠ - ٦٨) .

^٢ - إرشاد العقل السليم : (١٢٤ / ٥) .

^٣ - التحرير والتنوير : (٢٠٠ / ١٤ - ٢٠١) .

^٤ - حاشية القونوي : (٣١٣ / ١١ - ٣١٤) .

^٥ - الحملات : هي عبارة عن بروزات أو نتوءات تغطي سطح بطانة الأمعاء الدقيقة لكي تزيد من سطح الامتصاص . ينظر : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، للدكتور : عبد الله المصلح : (١٢٥) ، هامش : (٢) .

^٦ - سكر اللبن : هو (اللاكتوز) ؛ ويتكون من سكر الجلوكوز القادم من الدم إلى خلايا الضروع ، فيتحول بعضه إلى جالاكتوز ، ويدخلان معاً جهاز جولجي ليتعرضا لتفاعلات تؤدي إلى تكوين (سكر اللبن) ، وهو مادة مهمة من مكونات اللبن . ينظر : المرجع السابق : (١٢٦) .

^٧ - ينظر : المرجع السابق : (١٢٥ - ١٢٩ ، ١٤١) .

قال الله تعالى ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٦٧] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٧٦ / ٦٤ _ المسألة الأولى : معنى ﴿سَكَرًا﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالسكر الخمر ؛ حيث قال : « والسكر في اللغة : الخمر ، قال الشاعر^١ : بئس الصحة وبئس الشرب شربهم إذا جرى منهم المزاء^٢ والسكر^٣ وهذه الآية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ، ثم حرمت بالمدينة فهي منسوخة^٤ . »

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في معنى ﴿سَكَرًا﴾ على أقوال :

القول الأول : أنه السخمر ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن مسعود^٥ وابن عمر^٦ ، وابن عباس^٧ ، وأبي رزين^٨ والحسن^٩ ، والضحاك^{١٠} ، ومجاهد^{١١} ،

^١ _ هو الأخطل ، واسمه غياث بن غوث . ينظر : الإغاني : (٣ / ١٩٩) ، ومنتهى الطلب من أشعار العرب : (١ / ٢٦٤) .

^٢ _ المزاء : نوع من النبيذ المسكر . ينظر : النكت والعيون : (٣ / ١٩٨) .

^٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٢٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٧٩) .

^٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٥) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٢) .

^٦ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٦٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٧ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٧) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٤١ - ٢٤٢) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٨٨) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٢) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٣ ، ٢٤٥) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٣) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٣) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٣) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٣) .

^{١١} _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٨) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٤٣) .

فائدة : أخرج الأثر الطبري من طريق ابن أبي نجیح ، وابن جريج عن مجاهد ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجیح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٦١) .

وقتادة^١ ، والشعبي^٢ ، والنخعي^٣ ، والكليبي^٤ ، وابن جبير^٥ ، وهو قول الفراء^٦ ، والواحدي^٧ ،
والزخشري^٨ ، والبيضاوي^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، ووافقه ابن جزي^{١٢} ، وابن كثير^{١٣} ،
والثعالبي^{١٤} ، والبقاعي^{١٥} ، والسيوطي^{١٦} ، والشوكاني^{١٧} ، وأبو السعود^{١٨} ، والألوسي^{١٩} ، والطاهر
ابن عاشور^{٢٠} ، والشنقيطي^{٢١} ، والمرآغي^{٢٢} ، وهو قول الجمهور^{٢٣} .

١ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٣٥٧ / ٢) ، وجامع البيان : (٢٤٤ / ١٧) ، والدر المنثور : (١٤٣ / ٥)

٢ _ ينظر : الدر المنثور : (١٤٣ / ٥) .

٣ _ ينظر : جامع البيان : (٢٤٥ / ١٧) ، والدر المنثور : (١٤٣ / ٥) .

٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٩٥ / ٥) .

٥ _ ينظر : جامع البيان : (٢٤٢ / ١٧) ، والدر المنثور : (١٤٣ / ٥) .

٦ _ ينظر : معاني القرآن : (١٠٩ / ٢) .

٧ _ ينظر : الوسيط : (٧٠ / ٣) ، والوجيز : (٦١١ / ١) .

٨ _ ينظر : الكشاف : (٤٤٩ / ٣) .

٩ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٨ / ٣) .

١٠ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٢٨ / ١٠) .

١١ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٩١ / ١) .

١٢ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٨٨ / ٢) .

١٣ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٧٥ / ٢) .

١٤ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢٣٣ / ٢) .

١٥ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٧٧ / ٤) .

١٦ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٦) .

١٧ _ ينظر : فتح القدير : (١٧٥ / ٣) .

١٨ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٢٥ / ٥) .

١٩ _ ينظر : روح المعاني : (١٧٩ / ١٤) .

٢٠ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٠٣ / ١٤) .

٢١ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣٠٥ / ٣) .

٢٢ _ ينظر : تفسير المرآغي : (١٠٣ / ١٤) .

٢٣ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٢٨ / ١٠) ، والبحر المحيط : (٤٩٥ / ٥) ، والجواهر الحسان :

(٢٣٣ / ٢) ، وفتح القدير : (١٧٥ / ٣) ، وأضواء البيان : (٣٠٥ / ٣) .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن السكر في اللغة الخمر ، وهو المشهور^١ ، قال الشاعر :
بئس الصحةا وبئس الشرب شربهم إذا جرى منهم المزاء والسكر
قال الراغب _ رحمه الله _ : « السكر : حالة تعرض بين المرء وعقله ، وأكثر ما يستعمل ذلك
في الشراب ، وقد يعتري من الغضب والعشق ؛ ولذلك قال الشاعر^٢ :
سكران : سكر هوى وسكر مدامة ... والسكر : اسم لما يكون منه السكر . قال تعالى ﴿ تَتَّخِذُونَ
مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [سورة النحل : ٦٧] »^٣ .

وقال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « العرب تطلق اسم السكر على ما يحصل به السكر ، من
إطلاق المصدر وإرادة الاسم . والعرب تقول : سكر « بالكسر » سكرًا « بفتحين » وسكرًا »
بضم فسكون »^٤ .

ووجه أبو حيان بأن هذه الآية مكية ؛ ولذلك عد السكر مما يتخذها الناس ؛ حيث قال : « وهذه
الآية مكية نزلت قبل تحريم الخمر ، ثم حرمت بالمدينة ، فهي منسوخة »^٥ ، وبنسخها قال الحسن^٦ ،
وإبراهيم ، والشعبي ، وأبو رزين^٧ .

ورد ابن عطية قول من قال بنسخها : « وقال بعض الفرقة التي رأت السكر الخمر إن هذه الآية
منسوخة بتحريم الخمر ، وفي هذه المقالة درك ؛ لأن النسخ إنما يكون في حكم مستقر مشروع ،
وروي عن النبي _ ﷺ _ أنه قال : « حرمت الخمر بعينها والسكر من غيرها »^٨ هكذا في الرواية
الصحيحة بفتح السين والكاف ، أي : جميع ما يسكر منه حرم على حد تحريم الخمر قليله وكثيره ،

^١ _ ينظر : الحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٥) .

^٢ _ هو الخليل الشامي . ينظر : قرى الضيف : (١ / ٣٣٣) ، و يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : (١ / ١٩)

^٣ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٤١٦) .

^٤ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٣٠٥) .

^٥ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٣) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٣) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٢) .

^٨ _ أخرجه العقيلي في الضعفاء : (٤ / ١٢٣) ، في ترجمة محمد بن الفرات ، ولفظه : « حرمت الخمر لعينها

_ ويروي بعينها _ قليلها وكثيرها ، والسكر من كل شراب » ، قال البخاري في محمد بن الفرات : منكر

الحديث ، وقال ابن معين : ليس بشيء . ينظر : نصب الراية : (١٢ / ٢٢٩) ، وتخريج الأحاديث والآثار :

(٢ / ٢٢٦) .

ورواه العراقيون « والسکر » بضم السين وسكون الكاف ، وهذا مبني على فقههم في أن ما أسکر كثيره من غير خمر العنب فقليله حلال»^١ .

قال أبو حيان في الجمع بين النسخ وعدمه : « وإذا أريد بالسکر الخمر فقد تقدم أن ذلك منسوخ وإذا لم نقل بنسخ فليل : جمع بين العتاب والمنة ، يعني بالعتاب على اتخاذ ما يحرم ، وبالمنة على اتخاذ ما يحل وهو الخل والرب والزبيب والتمر»^٢ .

٢ _ أنه لما كان للناس مدخل في اتخاذ ما ذكر منه بخلاف اللبن الذي لا صنع لهم فيه أصلاً ، أسند الأمر إليهم وليكون ذلك إشارة إلى كراهة السکر وتوطئة للنهي عنه في قوله مستأنفاً : ﴿ تَتَّخِذُونَ ﴾ أي : باصطناع منكم وعلاج ، ولأجل استئناف هذه الجملة كان لا بد من قوله : ﴿ مِنْهُ ﴾ أي : من مائه^٣ .

٣ _ أن الله تعالى عبر عن السکر بالمصدر مبالغة في تقييده ، وزاد في المبالغة بالتعبير بأثقل المصدرين وهو المحرك ، يقال : سکر سكرًا وسكرًا مثل رشد رشداً ورشداً ، ونحل نحلاً ونحلاً ، فقال تع إلى ﴿ سَكْرًا ﴾ أي : ذا سکر منشياً مطرباً ساداً لجاري العقل قبيحاً غير مستحسن للرزق^٤ .

٤ _ أن ختام الآية يشير إلى ذلك .

قال ابن كثير _ رحمه الله _ : « ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ناسب ذكر العقل هاهنا ، فإنه أشرف ما في الإن-سان ؛ ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها»^٥ .

وقال الألوسي _ رحمه الله _ : « إذا كان في الآية إشارة إلى الحط من أمر السکر ففي الختم المذكور تقوية لذلك ، وله في النفوس موقع وأي موقع ؛ حيث إن العقار كما قيل : للعقول عقل إذا دارها بالأكف السقاة لخطابها أمهروها العقولا ، فلفهم ذاك ، والله تعالى يتولى هداك»^٦ .

^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٥ - ٤٠٦) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٣ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٧٧) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٧٧) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٥) .

^٦ _ روح المعاني : (١٤ / ١٨١) .

القول الثاني: السكر الطعم ، يقال : هذا سكر لك ، أي : طعم ، وهو قول أبي عبيدة ^١ ، واختاره الطبري ^٢ ، ورجحه السعدي ^٣ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن السكر في كلام العرب : ما يطعم ، وأنشد أبو عبيدة : جعلت أعراض الكرام سكرًا ^٤ ، أي : تنقلت بأعراضهم ^٥ .

وبين الزجاج أن هذا البيت ألصق بالقول الأول : أن المراد الخمر ؛ حيث قال : « أي : جعلت دمهم طعمًا لك ، وهذا بالتفسير الأول أشبه ، المعنى : جعلت تتحمر بأعراض الرجال ، وهو أبين فيما يقال : الذي يتبرك ^٦ في أعراض الناس » ^٧ .

وكذلك قال الألويسي : « وتعقب بأن كون السكر في ذلك بمعنى الخمر أشبه منه بالطعام ، والمعنى : أنه لشغفه بالغيبة وتمزيق الأعراض جرى ذلك عنده مجرى الخمر المسكرة ، وكأنه لهذا قال الزجاج : إن قول أبي عبيدة لا يصح ، وفيه أن المعروف في الغيبة جعلها نقلًا ؛ ولذا قيل : الغيبة فاكهة القراء » ^٨ .

القول الثالث: وقيل : السكر ما لا يسكر من الأنبذة ، وهو مروى عن الشعبي ، ومجاهد ^٩ ، ورجحه الطبري ^{١٠} .

قال الطبري _ رحمه الله _ : « وهذا التأويل عندي هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة : أحدها : ما أسكر من الشراب . والثاني : ما طعم من الطعام ، كما قال الشاعر :

^١ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٦٤) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٧) .

^٣ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٥) .

^٤ _ البيت لجندل بن المثني الطهوي . ينظر : اللسان : (٤ / ٣٧٤) مادة سكر ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٤٦) والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٦ _ أي تحوض فيها ، كما يبرك الجمل في مبركه ، يقال ابترك الرجل في آخر : يتنقصه ويشتمه . ينظر : اللسان : (١٠ / ٣٩٦) ، و معجم مقاييس اللغة : (١ / ٢٢٩) ، مادة : (برك) .

^٧ _ معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ٢٠٩) .

^٨ _ روح المعاني : (١٤ / ١٨٠) .

^٩ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٦) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٦ - ٢٤٧) .

جَعَلْتُ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكْرًا
أي : طعاماً .

والثالث : السُّكُونُ ، من قول الشاعر:

جَعَلْتُ عَيْنَ الْحُرُورِ تَسْكُرًا^١

والرابع : المصدر من قولهم : سَكَرَ فلان يَسْكُرُ سُكْرًا وَسَكْرًا وَسَكْرًا .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما يُسَكَّرُ من الشراب حراماً وكان غير جائز لنا أن نقول : هو منسوخ ؛ إذ كان المنسوخ هو ما نفى حكمه الناسخ ، وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه ، ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر دليل على أن السُّكْرَ الذي هو غير الخمر ، وغير ما يسكر من الشراب حرام ؛ إذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ، ومن نزل بلسانه القرآن هو كل ما طعم ، ولم يكن مع ذلك ، إذ لم يكن في نفس التثليل دليل على أنه منسوخ ، أو ورد بأنه منسوخ خبر من الرسول ، ولا أجمعت عليه الأمة ، فوجب القول بما قلنا من أن معنى السُّكْرَ في هذا الموضع : هو كل ما حلّ شربه ، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم ، وفسد أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب ، وخرج من أن يكون معناه السُّكْرَ نفسه ، إذ كان السُّكْرَ ليس مما يتخذ من النَّخْلِ والكَرْمِ ، ومن أن يكون بمعنى السكون^٢ .

القول الرابع : هو الخلل بلغة الحبشة ، وهو مروى عن ابن عباس^٣ .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ معلقاً على هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة : « وعلى هذه الأقوال لا نسخ^٤ » .

القول الخامس : وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ، ثم يترك حتى يشتد ، وهو حلال عند أبي حنيفة إلى حد السكر^٥ .

واحتج لهذا القول بما يلي :

١ _ بهذه الآية^٦ .

^١ _ ينظر : لسان العرب : (٤ / ٣٧٤) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٤٦) .

^٢ _ جامع البيان : (١٧ / ٢٤٦ - ٢٤٧) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٤) .

^٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤٩) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٦ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٤٩) .

٢ _ وبقوله _ ﷺ _ : « الخمر حرام لعينها ، والسكر من كل شراب »^١ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد بالسكر : الخمر ؛ وذلك لما يلي :

١ _ ما استدل به أصحاب هذا القول من الأدلة ، ومنها :

_ أن السكر في اللغة الخمر ، وهو المشهور ، ويجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب^٢ .

_ أن ختام الآية يشير إلى ذلك ، وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٣ ، كما أن القول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية^٤ .

٢ _ أن الأقوال الأخرى تدخل في قوله تعالى ﴿ وَرَزَقًا حَسَنًا ﴾ .

٣ _ أنه قول الجمهور ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ أبعد^٥ .
قال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « وإذا عرفت أن الصحيح هو مذهب الجمهور ، ... فاعلم أن هذه الآية مكية ، نزلت بعدها آيات مدنية بينت تحريم الخمر ، وهي ثلاث آيات نزلت بعد هذه الآية الدالة على إباحة الخمر :

الأولى : آية البقرة التي ذكر فيها بعض معانيها ومفاسدها ، ولم يجزم فيها بالتحريم ، وهي قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [سورة البقرة : ٢١٩] وبعد نزولها تركها قوم للإثم الذي فيها ، وشربها آخرون للمنافع التي فيها .

الثانية : آية النساء الدالة على تحريمها في أوقات الصلوات ، دون الأوقات التي يصح فيها الشارب قبل وقت الصلاة ، كما بين صلاة العشاء وصلاة الصبح ، وما بين صلاة الصبح

^١ _ ينظر : المرجع السابق : (٣ / ٤٤٩) .

والحديث : تقدم تحريجه : (٧٣١) .

^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٣٦٩) .

^٣ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ١٢٥) .

^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٩٩) .

^٥ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٨٨) .

وصلاة الظهر ، وهي قوله تع الى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَىٰ ﴾ [سورة النساء : ٤٣] الآية .

الثالثة : آية المائة الدالة على تحريمها تحريماً باتاً ، وهي قوله تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [سورة المائة : ٩٠ - ٩١] «^١ .

^١ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٣٠٥ - ٣٠٦) .

١٧٧ / ٦٥ _ المسألة الثانية : المراد بالرزق الحسن :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بالرزق الحسن : اتخاذ ما يحل ، وهو الخل والرب والزبيب والتمر ؛ حيث قال : « وإذا أريد بالسكر الخمر فقد تقدم أن ذلك منسوخ ، وإذا لم نقل بنسخ فقيل : جمع بين العتاب والمنة ، يعني بالعتاب على اتخاذ ما يحرم ، وبالمنة على اتخاذ ما يحل ، وهو الخل والرب والزبيب والتمر وظاهر العطف المغايرة »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسون في المراد بالرزق الحسن على أقوال :

القول الأول : أن المراد بالرزق الحسن : ما حل اتخاذه من الثمرات ، ومنه : الخل والرب^٢ والزبيب والتمر ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن عباس^٣ ، ومجاهد^٤ ، وسعيد بن جبير^٥ ، والحسن^٦ ، وقتادة^٧ ، والشعبي^٨ ، وقول الفراء^٩ ، والسمرقندي^{١٠} ، والواحدي^{١١} ، والبيضاوي^{١٢} والنسفي^{١٣} ، ووافقهم ابن كثير^{١٤} ، والثعالبي^{١٥} ، والبقاعي^{١٦} ، والسيوطي^١ ، وأبو السعود^٢ ، والشوكاني^١ ، والظاهر ابن عاشور^٢ ، والسعدي^٣ ، والمراغي^٤ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٢ _ الرب : المربة ، وهو خلاصة كل ثمرة بعد الاعتصار والطبخ . ينظر : القاموس المحيط : (٨٨) .

^٣ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٧) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٤١ - ٢٤٢) .

^٤ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٨) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٤٣ - ٢٤٤) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٢) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٢) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٢) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٣) .

^٧ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٧) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٤٤) .

^٨ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٦) .

^٩ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ١٠٩) .

^{١٠} _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٨٠) .

^{١١} _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٧٠) ، والوجيز : (١ / ٦١١) .

^{١٢} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٨) .

^{١٣} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩٢) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٥) .

^{١٥} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣٣) .

^{١٦} _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٧٧) .

^١ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٦) .

^٢ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٥) .

واستدل على هذا القول بأن العطف في الآية للمغايرة^٥ .

القول الثاني: إذا كان المراد بالسكر : ما يسد الجوع من السكر ، فيكون الرزق ما يحصل من أثمانه^٦ .

القول الثالث: أنه صفة للسكر ، أي : أن يجعل السكر رزقاً حسناً ، كأنه قيل : تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ، فيكون من عطف الصفات^٧ ، وجوزه الومحشري^٨ .
ورده أبو حيان^٩ ، والألوسي^{١٠} بأن العطف ظاهره المغايرة .
وجوز السمين الحلبي^{١١} ، وابن عادل^{١٢} كون العطف للأمرين .

الترجيح:

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح – والله تعالى أعلم بالصواب – القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد بالرزق الحسن : ما حل اتخاذه من الثمرات ، ومنه : الخل والرب والزبيب والتمر ؛ لأنه ظاهر اللفظ ، وتؤيده القاعدة التي تنص على أن الواجب علينا أن نحمل القرآن على لفظه ، ولا نزيله عن نظمه إذا لم تدعنا إلى ذلك ضرورة^{١٣} .
قلت : وإذا لم تكن الآية وقت نزولها مراداً بها التحريم ، وبيان حل غيره ، فيكون المراد – والله أعلم – تنبيه الناس وتعليمهم أن الخمر من الخبائث التي ينبغي أن يكرهوها ولا يليق بهم تعاطيها ، وفي الطبقات فسحة ، وتنوع محمود ، وذلك توطئة لتحريم الخمر .

^١ – ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧٥) .

^٢ – ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢٠٣) .

^٣ – ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٥) .

^٤ – ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٠٣) .

^٥ – البحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^٦ – ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٨) .

^٧ – ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٨١) .

^٨ – ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٥٠) .

^٩ – ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٥) .

^{١٠} – ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٨١) .

^{١١} – ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٦٢ – ٢٦٣) .

^{١٢} – ينظر : اللباب : (١٢ / ١٠٨) .

^{١٣} – التفسير اللغوي للقرآن : (٥٣١) .

قال الله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [٦٨] .

في الآية الكريمة ثلاث مسائل :

١٧٨ / ٦٦ _ المسألة الأولى : نوع ﴿ مِنْ ﴾ في ﴿ مِنَ الْجِبَالِ ﴾ وفي ﴿ وَمِنَ الشَّجَرِ ﴾ وفي ﴿ مِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ مِنْ ﴾ في ﴿ مِنَ الْجِبَالِ ﴾ : التبويض ؛ حيث قال : « و ﴿ مِنْ ﴾ للتبويض ؛ لأنها لا تبني في كل جبل ، وكل شجر ، وكل ما يعرش ، ولا في كل مكان منها »^١ .

الدراسة والموازنة :

للمفسرين في نوع ﴿ مِنْ ﴾ في ﴿ مِنَ الْجِبَالِ ﴾ قولان :

القول الأول : أن ﴿ مِنْ ﴾ للتبويض ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الزمخشري^٢ ، الرازي^٣ ، والبيضاوي^٤ ، والنسفي^٥ ، ووافقهم السمين الحلبي^٦ ، وابن جزري^٧ ، وابن عادل^٨ ، وأبو السعود^٩ ، والشوكاني^{١٠} ، والألوسي^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٦) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٥٧) .

^٢ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٤٥١) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٧٣) .

^٤ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٨) .

^٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩٢) .

^٦ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٦٢) .

^٧ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٨) .

^٨ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ١١١) .

^٩ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٥) .

^{١٠} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧٥) .

^{١١} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٨٢) .

واستدل لهذا القول بلذ النحل لا تبني في كل جبل ، وكل شجر ، وكل ما يعرش ، ولا في كل مكان منها^١ ؛ إذ لا يتهيأ لها ذلك في كل جبل ولا شجر^٢ ، بل في مساكن توافق مصالحها وتليق بها^٣ .

القول الثاني : أن ﴿ مِنْ ﴾ للابتداء ، وهو قول الطاهر بن عاشور^٤ .

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « و ﴿ مِنْ ﴾ الداخلة على ﴿ الْجِبَالِ ﴾ وما عطف عليها بمعنى (في) ، وأصلها ﴿ مِنْ ﴾ الابتدائية ، فالتعبير بها دون (في) الظرفية ؛ لأن النحل تبني لنفسها بيوتاً ولا تجعل بيوتها جُحور الجبال ولا أغصان الشجر ولا أعواد العريش وذلك كقوله تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [سورة البقرة : ١٢٥] . وليست مثل ﴿ مِنْ ﴾ التي في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ [سورة النحل : ٨١] »^٥ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية الكريمة على المعنيين ، فمن قال إن ﴿ مِنْ ﴾ للتبعيض أراد أن النحل يتخذ من بعض الجبال والشجر بيوتاً ، وليس في كل الجبال والأشجار ؛ بل تبنيها في ما يناسبها من الجبال والأشجار ، ومن قال إن ﴿ مِنْ ﴾ ابتدائية أراد أن النحل يتبدئ صنع خلاياها بنفسها في الجبال والأشجار ، لا في ما تجده من الكوى في الجبال والأشجار ، فلآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، وإذا ورد أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٦ .



^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٤٩٦ / ٥) ، وتفسير البضاوي : (٤٠٨ / ٣) ، ومدارك التزويل وحقائق التأويل

: (٢٩٢ / ١) ، والتسهيل لعلوم التزويل : (٢٨٨ / ٢) ، وإرشاد العقل السليم : (١٢٥ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الدر المصون : (٢٦٢ / ٧) ، واللباب : (١١١ / ١٢) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (٧٣ / ٢٠) .

^٤ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٠٦ / ١٤) .

^٥ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٠٦ / ١٤) _ (٢٠٧) .

^٦ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

١٧٩ / ٦٧ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿بُيُوتًا﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿بُيُوتًا﴾ الكوى ، وما بينه بنوا آدم من الخلايا للنحل ؛ حيث قال : « والظاهر أن البيوت هنا : عبارة عن الكوى^١ التي تكون في الجبال ، وفي متجوف الأشجار ، وأما من ما يعرش ابن آدم : فالخلايا التي يصنعها للنحل ابن آدم ، والكوى التي تكون في الحيطان ، ولما كان النحل نوعين : منه ما مقره في الجبال والغياض ولا يتعهده أحد ، ومنه ما يكون في بيوت الناس ويتعهد في الخلايا ونحوها شمل الأمر باتخاذ البيوت النوعين »^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿بُيُوتًا﴾ على أقوال :

القول الأول : أن البيوت : تشمل الكوى التي تكون في الجبال وفي متجوف الأشجار ، وما بينه بنوا آدم من الخلايا للنحل ، وهو ما رجحه أبو حيان .

القول الثاني : أن البيوت ليست الكوى ، وإنما هي ما تبنيه هي ، وهو قول الزمخشري^٣ ، والألوسي^٤ ، والطاهر ابن عاشور^٥ .

قال الزمخشري _ رحمه الله _ : « فإن قلت : ما معنى ﴿ مِنْ ﴾ في قوله ﴿ أَنْ آتَّخِذِي مِنْ أَلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ وهلا قيل في الجبال وفي الشجر؟ قلت : أريد معنى البعضية ، وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها »^٦ .

وقال أبو حيان معلقاً على كلام الزمخشري : « فدل قوله : أي ابني البيوت ، أنه لا يريد بقوله بيوتاً الكوى التي في الجبال ومتجوف الأشجار ولا الخلايا ، وإنما يراد البيوت المسدسة التي تبنيها هي »^٧ .

^١ _ الكوى : جمع كوة ، وهي الخرق في الحائط ، والثقب في البيت ونحوه . ينظر : لسان العرب : (٢٣٦ / ١٥) ، والمصباح المنير : (٢٨١) ، مادة (كوي) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٩٦ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٥٧ / ٢) .

^٣ _ الكشاف : (٤٥١ / ٣) .

^٤ _ روح المعاني : (١٨٢ / ١٤) .

^٥ _ التحرير والتنوير : (٢٠٦ / ١٤) .

^٦ _ الكشاف : (٤٥١ / ٣) .

^٧ _ البحر المحيط : (٤٩٦ / ٥) .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على القولين ، أي : ما اتخذها بيوتاً من الكوى في الجبال ، والأشجار ، وما يعرشه لها بنوا آدم ، وما تبنيه هي من الخلايا المسدسة في هذه الكوى والعروش ، ويؤيد ذلك أن أصل البيت : مأوى الإنسان بالليل ، ثم قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه ، وعبر عن مكان الشيء بأنه بيته^١ .
قال أبو السعود _ رحمه الله _ : « ﴿ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ أي : أوكاراً ، مع ما في _ها من الخلايا»^٢ .

فالآية تحتل المعنيين لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٣ .



^١ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (١٥١) .

^٢ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٥) .

^٣ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (ص : ٦٠٥) .

١٨٠ / ٦٨ _ المسألة الثالثة : المراد بـ ﴿يَعْرِشُونَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿يَعْرِشُونَ﴾ : الخالايا التي يصنعها للنحل ابن آدم ، حيث قال : « وأما من ما يعرش ابن آدم : فالخالايا التي يصنعها للنحل ابن آدم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿يَعْرِشُونَ﴾ على أقوال :

القول الأول : أنها الخالايا التي يصنعها للنحل ابن آدم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الواحدي^٢ ، والسمعاني^٣ ، والبغوي^٤ ، وابن عطية^٥ ، والرازي^٦ ، والقرطبي^٧ ، والخازن^٨ ، والنسفي^٩ ، ووافقهم ابن جزى^{١٠} ، وابن عادل^{١١} ، والسيوطي^{١٢} ، والشوكاني^{١٣} .

القول الثاني : الكروم^{١٤} ، وهو مروى عن ابن زيد^{١٥} .

وجمع المراغي^{١٦} بين القول الأول والثاني .

القول الثالث : أن المراد ما بينون من السقوف ، وهو قول الفراء^١ ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٩٦ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٥٧ / ٢) .

^٢ _ ينظر : الوسيط : (٧١ / ٣) ، والوجيز : (٦١٢ / ١) .

^٣ _ ينظر : تفسير السمعاني : (١٨٥ / ٣) .

^٤ _ ينظر : معالم التنزيل : (٢٩ / ٥) .

^٥ _ ينظر : الحرر الوجيز : (٤٠٦ / ٣) .

^٦ _ ينظر : التفسير الكبير : (٧٢ / ٢٠) .

^٧ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٣٤ / ١٠) .

^٨ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٣ / ٣) .

^٩ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٩١ / ١) .

^{١٠} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٨٩ / ٢) .

^{١١} _ ينظر : اللباب : (١١٢ / ١٢) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٧) .

^{١٣} _ ينظر : فتح القدير : (١٧٥ / ٣) .

^{١٤} _ الكروم : شجرة العنب . ينظر : لسان العرب : (٥١٤ / ١٢) ، ومختار الصحاح :

(٢٣٧ / ١) .

^{١٥} _ ينظر : جامع البيان : (٢٤٨ / ١٧) .

^{١٦} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٠٤ / ١٤) .

^١ _ ينظر : معاني القرآن : (١٠٩ / ٢) .

والطبري^١ ، والسمرقندي^٢ ، والزمخشري^٣ ، ووافقهم البقاعي^٤ .
 وجمع البيضاوي^٥ ، وأبو السعود^٦ بين القول الثاني والثالث .
 وقال القونوي _ رحمه الله _ : « لا مانع من جمعهما كما يعينه الحس »^٧ .
 وقال ابن عطية عن قول ابن زيد ، والطبري : « وهذا منهما تفسير غير متقن »^٨ .
 وجمع الألويسي بين الأقوال كلها فقال : « ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ أي : يعرشه الناس ، أي : يرفعه من
 الكروم كما روي عن ابن زيد وغيره ، أو السقوف كما نقل عن الطبري ، أو أعم منهما كما قال
 البعض »^٩ .
 وذلك لأن العرش في اللغة : شيء مسقف ، ومنه قيل : عرشت الكرم ، إذا جعلت له كهيئة
 سقف ، ويعرشون : يبنون ، واعترش العنب : ركب عرشه^{١٠} .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه
 أبو حيان ومن معه ؛ وذلك لأن له تعلقاً بدلالة السياق ، فالسياق يتحدث عن النحل ، وأنها تتخذ
 بيوتاً مما يعرشه بنوا آدم من خلايا النحل ، ولا تتخذ من عريش الكروم ، أو السقوف بيوتاً ، فالقول
 الأول هو الذي يناسب سياق الآية ، ويؤيده أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من
 الخروج عنهما^{١١} .



^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٤٨) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٨١) .

^٣ _ ينظر : الكشف : (٣ / ٤٥٠) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٧٨) .

^٥ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٨) .

^٦ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٥) .

^٧ _ حاشية القونوي : (١١ / ٣٢١) .

^٨ _ المحرر الوجيز : (٣ / ٤٠٦) .

^٩ _ روح المعاني : (١٤ / ١٨٢) .

^{١٠} _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٥٥٨) ، ولسان العرب : (٦ / ٣١٣) ، مادة : (عرش) .

^{١١} _ قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٦٩] .

في الآية الكريمة خمس مسائل :

١٨١ / ٦٩ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن المراد بـ ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ : التبويض ؛ حيث قال : « وكل الثمرات عام مخصوص ، أي : المعتادة لا كلها وظاهر ﴿ مِنْ ﴾ في قوله ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أنها للتبويض ، فتأكل من الأشجار الطيبة والأوراق العطرة أشياء يولد الله منها في أجوافها عسلاً »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في نوع ﴿ مِنْ ﴾ على قولين :

القول الأول : أنها للتبويض ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٢ ، والخازن^٣ ، ووافقهم ابن جزى^٤ ، والقونوي^٥ ، والشوكاني^٦ ، الألويسي^٧ _ رحمهم الله تعالى _ .

القول الثاني : لابتداء الغاية ، وهو قول الرازي^٨ .

قال الرازي _ رحمه الله _ : « قال تعالى ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ لفظة ﴿ مِنْ ﴾ ههنا للتبويض أو لابتداء الغاية ، ورأيت في « كتب الطب » أنه تعالى دبر هذا العالم على وجه ، وهو أنه يحدث في الهواء ظل لطيف في الليالي ويقع ذلك الظل على أوراق الأشجار ، فقد تكون تلك الأجزاء الطلية لطيفة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار ، وقد تكون كثيرة بحيث يجتمع منها أجزاء محسوسة .

^١ _ البحر المحيط : (٤٩٦ / ٥) .

^٢ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٤٠٦ / ٣) .

^٣ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٣ / ٣) .

^٤ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢٨٩ / ٢) .

^٥ _ ينظر : حاشية القونوي : (٣٢٢ / ١١) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (١٧٥ / ٣) .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (١٨٣ / ١٤) .

^٨ _ ينظر : التفسير الكبير : (٧٢ / ٢٠) .

أما القسم الثاني : فهو مثل الترنجيين فإنه طل يتزل من الهواء ويجتمع على أطراف الطرفاء في بعض البلدان وذلك محسوس .

وأما القسم الأول : فهو الذي ألهم الله تعالى هذا النحل حتى أهما تلتقط تلك الذرات من الأزهار وأوراق الأشجار بأفواهها وتأكلها وتغذي بها ، فإذا شبت التقطت بأفواهها مرة أخرى شيئاً من تلك الأجزاء وذهبت بها إلى بيوتها ووضعها هناك ، لأنها تحاول أن تدخر لنفسها غذاءها ، فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء الطلية شيء كثير فذاك هو العسل ، ومن الناس من يقول : إن النحل تأكل من الأزهار الطيبة والأوراق المعطرة أشياء ، ثم إنه تعالى يقرب تلك الأجسام في داخل بدنهما عسلاً ، ثم إنها تقيء مرة أخرى فذاك هو العسل ، والقول الأول أقرب إلى العقل وأشد مناسبة إلى الاستقراء ، فإن طبيعة الترنجيين قريبة من العسل في الطعم والشكل ، ولا شك أنه طل يحدث في الهواء ويقع على أطراف الأشجار والأزهار فكذا ههنا . وأيضاً فنحن نشاهد أن هذا النحل إنما يتغذى بالعسل ، ولذلك فإننا إذا استخرجنا العسل من بيوت النحل نترك لها بقية من ذلك لأجل أن تغذي بها فعلماً أنها إنما تغذي بالعسل وأما تقع على الأشجار والأزهار لأنها تغذي بتلك الأجزاء الطلية العسلية الواقعة من الهواء عليها .

إذا عرفت هذا فنقول : قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ كلمة ﴿ مِن ﴾ ههنا تكون لابتداء الغاية ، ولا تكون للتبعيض على هذا القول^١ .

وقال بالقولين السمين الحلبي^٢ ، إلا أنه قال عن قول من قال إن النحل تأكل شيئاً يتزل من السماء السماء شبه الترنجيين على ورق الشجر وثمارها ، لا أنها تأكل نفس الثمرات ، إنه بعيد جداً . وكذلك قال بالقولين ابن عادل^٣ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح — والله تعالى أعلم بالصواب — صحة حمل الآية الكريمة على المعنيين ، وهو أن المراد بـ ﴿ مِن ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ الابتداء ؛ حيث ثبت في العصر الحديث أن النحل يتغذى على حبوب اللقاح التي هي أصل لكل الثمار^٤ .

^١ — التفسير الكبير : (٢٠ / ٧٢ - ٧٣) .

^٢ — ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٦٣) .

^٣ — ينظر : اللباب : (١٢ / ١١٢) .

^٤ — ينظر : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : (١٤٢) .

وجائز كونها للتبعيض أيضاً لأن النحلة لها الأكل من كل الثمار ، إلا أنه وجد أن النحل يتغذى على بعض الأزهار دون بعض . وذلك كما أباح الله تعالى للناس الأكل من أشياء كثيرة ، إلا أن البعض يأكل من بعضها دون بعض _ والله أعلم _ .



١٨٢ / ٧٠ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن قوله تعالى ﴿ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ عام مخصوص ؛ حيث قال : « و ﴿ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ عام مخصوص أي المعتادة لا كلها وظاهر ﴿ مِنْ ﴾ في قوله ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أنها للتبويض ، فتأكل من الأشجار الطيبة والأوراق العطرة أشياء يولد الله منها في أجوافها عسلاً » .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أنها عام مخصوص ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الثعلبي ^١ ، والبغوي ^٢ ، والخازن ^٣ .

واستدل لهذا القول بأنه كقوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النمل : ٢٣] ^٤ ، وقوله تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴿ [سورة الأحقاف : ٢٥] ^٥ .

القول الثاني : العموم في كل الثمرات التي تجرسها النحل ، وهو قول الزمخشري ^٦ ، والرازي ^٧ .

قال الزمخشري _ رحمه الله _ : « ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها ، أي ابني البيوت ، ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها » ^٨ ، ونحوه قال البيضاوي ^٩ ، والنسفي ^{١٠} ، والمراغي ^{١١} . وهو قريب من القول الأول .
وقال ابن عطية _ رحمه الله _ : «كلي جزءاً أو شيئاً من كل الثمرات ، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار» ^١ . ونحوه قال القرطبي ^٢ ، وابن جزري ^٣ .

^١ _ ينظر : الكشف والبيان : (٢٨ / ٦) .

^٢ _ ينظر : معالم التنزيل : (٢٩ / ٥) .

^٣ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٣ / ٣) .

^٤ _ ينظر : الكشف والبيان : (٢٨ / ٦) ، ومعالم التنزيل : (٢٩ / ٥) ، واللباب : (١١٢ / ١٢) .

^٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (٢٨ / ٦) .

^٦ _ ينظر : الكشاف : (٤٥١ / ٣) .

^٧ _ ينظر : التفسير الكبير : (٧٤ / ٢٠) .

^٨ _ الكشاف : (٤٥١ / ٣) .

^٩ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٨ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٩١ / ١) .

^{١١} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٠٥ / ١٤) .

وقال أبو السعود _ رحمه الله _ : « **﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾** من كل ثمرة تشتهينها حلوها ومُرَّها »^٤ .

القول الثالث : العموم في كل ثمرة ، ويقصد به التكثير ، جوزه الخفاجي^٥ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ صحة حمل الآية على الأقوال الثلاثة ، فلآية تحتمل جميع المعاني لعدم التضاد بينهما ، فتحمل الآية عليها ، وتفسر بها ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها^٦ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع^٧ .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : « **﴿ كُلِّ ﴾** على ما يشير إليه كلام البعض عرفي ، وجوز أن يكون مخصوصاً بالعادة أي كلي من كل ثمرة تشتهينها ، وقيل : **﴿ كُلِّ ﴾** للتكثير . قال الخفاجي : ولو أبقى على ظاهره أيضاً جاز ؛ لأنه لا يلزم »^٨ .



^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٦) .

^٢ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٣٥) .

^٣ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٩) .

^٤ _ إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٥) .

^٥ _ روح المعاني : (١٤ / ١٨٢) .

^٦ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

^٧ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٨ _ روح المعاني : (١٤ / ١٨٢) .

١٨٣ / ٧١ _ المسألة الثالثة : المراد بـ ﴿سُبُلِ رَبِّكَ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿سُبُلِ رَبِّكَ﴾ : طرق ربك إلى بيوتك راجعة ، والسبل إذ ذاك : مسالكها ؛ حيث قال : « ﴿فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ﴾ أي : طرق ربك إلى بيوتك راجعة ، والسبل إذ ذاك : مسالكها في الطيران ، وربما أخذت مكانها فانتجعت المكان البعيد ثم عادت إلى مكانها الأول »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿سُبُلِ رَبِّكَ﴾ على أقوال :

القول الأول : طرق ربك إلى بيوتك راجعة ، والسبل إذ ذاك : مسالكها ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن ابن مجاهد^٢ ، وقول السمرقندي^٣ ، وابن زمنين^٤ ، والثعلبي^٥ ، والواحدي^٦ ، والسمعاني^٧ ، والبغوي^٨ ، وابن عطية^٩ ، والقرطبي^{١٠} ، والخازن^{١١} ، ووافقهم ابن جزري^{١٢} ، وابن كثير^{١٣} ، والثعالبي^{١٤} ، والبقاعي^{١٥} ، والسيوطي^{١٦} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٦ _ ٤٩٧) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٥٧ _ ٢٥٨) .

^٢ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٩) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٨١) .

^٤ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٢ / ٤١٠) .

^٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢٨) .

^٦ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦١٢) .

^٧ _ ينظر : تفسير السمعي : (٣ / ١٨٥) .

^٨ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٢٩) .

^٩ _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٤٠٦) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٣٥) .

^{١١} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٣) .

^{١٢} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٩) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٥) .

^{١٤} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣٤) .

^{١٥} _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٧٨) .

^{١٦} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٧) .

والألوسي^١، والطاهر بن عاشور^٢، والمراغي^٣.

ويؤيده ما ثبت في العلم الحديث؛ حيث أثبت العلماء بإعجاب ودهشة أن النحل أمة منظمة، كما أنها مسيرة إلى نظام من المعلومات يعينها على اجتياز الآفاق من حولها ثم العودة ثانياً إلى خليتها وفق أنظمة محكمة وقوانين دقيقة تؤدي في مهارة وإتقان^٤.

القول الثاني: الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل.

وجمع بين القولين البيضاوي^٥، والنسفي^٦، وابن عادل^٧، واحتملها الشهاب^٨.

القول الثالث: فاسلكي ما أكلت أي في سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلاً من أجوافك ومنافذ مأكلك^٩.

وجمع بين هذا القول والقول الأول البيضاوي^{١٠}، وأبو السعود^{١١}، والشوكاني^{١٢}.

القول الرابع: وقيل المراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي الأكل من الثمرات، فاسلكي في طلبها سبل ربك^{١٣}.

قال أبو حيان - رحمه الله - : « وهذا القول والقول الأول أقرب في المجاز في ﴿ سُبُلِ رَبِّكَ ﴾ من القولين اللذين بينهما إلا أن كلي بمعنى اقصدي الأكل مجاز ؛ أضاف السبل إلى رب النحل من حيث أنه تعالى هو خالقها ومالكها والناظر في تهيئة مصالحها ومعاشها^{١٤} .

وقال الرازي بالقول الثاني والرابع^١.

^١ - ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٨٣) .

^٢ - ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢٠٧) .

^٣ - ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٠٥) .

^٤ - ينظر : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : (١٤١) .

^٥ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٨ - ٤٠٩) .

^٦ - ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩١) .

^٧ - ينظر : اللباب : (١٢ / ١١٢) .

^٨ - ينظر : حاشية الشهاب : (٥ / ٦١٤) .

^٩ - ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٦) .

^{١٠} - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٨ - ٤٠٩) .

^{١١} - ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٥) .

^{١٢} - ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧٥) .

^{١٣} - ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٦) .

^{١٤} - البحر المحيط : (٥ / ٤٩٦ - ٤٩٧) .

القول الخامس : السُّبُلُ : الطُّرُقُ ، وهي التي يطلب فيها الرعي ، وهو قول ابن الجوزي ^٢ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ ، صحة حمل الآية الكريمة على جميع الأقوال ، فلآية تحتمل جميع المعاني لعدم التضاد بينها ، فتحمل الآية عليها ، وتفسر بها ، وإذا ورد أكثر من معنى صحيح تحتمله الآية بلا تضاد ، جاز تفسير الآية بها ^٣ ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من الأقوال ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية ، أو التنويع ^٤ .

قال الزمخشري _ رحمه الله _ : « ﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ﴾ أي الطرق التي أهلك وأفهمك في عمل العسل . أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك ، أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المرّ عسلا من أجوافك ومنافذ ماكلك . أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك ، فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك ، لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها ، فقد بلغني أنها ربما أجذب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة . أو أراد بقوله : ﴿ ثُمَّ كُلِّي ﴾ ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك » ^٥ .



^١ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٧٤) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤ / ٤٦٦) .

^٣ _ التفسير اللغوي للقرآن الكريم : (٦٠٥) .

^٤ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

^٥ _ الكشاف : (٣ / ٤٥١) .

١٨٤ / ٧٢ _ المسألة الرابعة : عود الضمير في ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الضمير في ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ يعود إلى الشراب ، وهو العسل ؛ حيث قال : « والظاهر عود الضمير فيه إلى الشراب وهو العسل ؛ لأنه شفاء من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة ، وقلَّ معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل ، والعسل موجود كثير في أكثر البلدان »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في عود الضمير في ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن الضمير في ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ يعود إلى الشراب وهو العسل ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن قتادة^٢ ، وابن عباس^٣ ، وابن عمر^٤ ، والسدي^٥ ، وقول الفراء^٦ ، والطبري^٧ ، والسمرقندي^٨ ، وابن زمين^٩ ، والثعلبي^{١٠} ، ومكي أبي طالب^{١١} ، والواحدي^{١٢} ، والسمعاني^{١٣} ، والبغوي^{١٤} ، والزمخشري^{١٥} ، وابن عطية^{١٦} ، والرازي^{١٧} ، وأبي البقاء^{١٨} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٧) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٠) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٠) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٤) .

^٤ _ ينظر : الدر المنثور : (٥ / ١٤٥) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٩٠) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٤) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ١٠٩) .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٠) .

^٨ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٨١) .

^٩ _ ينظر : تفسير ابن زمين : (٢ / ٤١٠) .

^{١٠} _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢٩) .

^{١١} _ ينظر : مشكل إعراب القرآن : (٢ / ١٩) .

^{١٢} _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦١٢) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٨٦) .

^{١٤} _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٢٩) .

^{١٥} _ ينظر : الكشف : (٣ / ٤٥١) .

^{١٦} _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٤٠٦) .

^{١٧} _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٧٥) .

^{١٨} _ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : (٨٠٢) .

والقرطبي^١، والبيضاوي^٢، والخازن^٣، والنسفي^٤، ووافقهم السمين الحلبي^٥، وابن جزى^٦، وابن كثير^٧، وابن عادل^٨، والبقاعي^٩، وأبو السعود^{١٠}، والشوكاني^{١١}، والألوسي^{١٢}، والطاهر ابن عاشور^{١٣}، والسعدي^{١٤}، والمراغي^{١٥}، وهو قول الجمهور^{١٦}.

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ _ أن سياق الكلام عن العسل^{١٧}.

قال الطبري _ رحمه الله _ : « وهذا القول ، أعني قول قتادة ، أولى بتأويل الآية ؛ لأن قوله ﴿ فيه ﴾ في سياق الخبر عن العسل ، فإن تكون الماء من ذكر العسل ، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره »^{١٨}.

^١ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠٠ / ١٣٥) .

^٢ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤٠٩) .

^٣ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٤) .

^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩١) .

^٥ _ ينظر : الدر المصون : (٧ / ٢٦٣) .

^٦ _ التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٩) .

^٧ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٥) .

^٨ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ١١٢) .

^٩ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٧٨) .

^{١٠} _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٦) .

^{١١} _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧٥) .

^{١٢} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٨٥) .

^{١٣} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢٠٩) .

^{١٤} _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٥) .

^{١٥} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٠٤) .

^{١٦} _ ينظر : المحرر الوجيز : (٣ / ٤٠٦) ، و الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٣٥) ، والجواهر الحسان :

(٢ / ٢٣٤) . وفتح القدير : (٣ / ١٧٥) .

^{١٧} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٠) ، والتفسير الكبير : (٢٠ / ٧٥) ، و اللباب : (١٢ / ١١٢) ، و

حاشية القونوي : (١١ / ٣٢٦) .

^{١٨} _ جامع البيان : (١٧ / ٢٥٠) .

٢ _ أن الضمير يعود لأقرب مذكور ، وأقربها قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا ﴾ وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير إليه لأنه أقرب مذكور ^١ .

٣ _ ما روي عن أبي سعيد الخدري _ رضي الله عنه _ قال : جاء رجل إلى رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ فقال : إن أخي استطلق بطنه . فقال : « اسقه عسلاً » . فسقاه عسلاً ثم جاء فقال : يا رسول الله ، سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً ! قال : « اذهب فاسقه عسلاً » . فذهب فسقاه ، ثم جاء فقال : يا رسول الله ، ما زاده إلا استطلاقاً ! فقال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : « صدق الله ، وكذب بطن أخيك ! اذهب فاسقه عسلاً » . فذهب فسقاه فبرئ ^{٢ ٣} .

القول الثاني : أن الضمير في ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ عائد على القرآن ، أي : في القرآن شفاء

للناس ، وهو مروى عن ابن عباس ، والحسن ، والضحاك ، وابن كيسان ^٤ .

ورد القاضي أبو بكر بن العربي هذا القول فقال : « أرى هذا القول لا يصح نقله عن هؤلاء ، ولو صح نقلاً لم يصح عقلاً ، فإن سياق الكلام كله للعسل ليس للقرآن فيه ذكر » ^٥ .

وقال ابن كثير _ رحمه الله _ : « وهذا قول صحيح في نفسه ، ولكن ليس هو الظاهر هاهنا من سياق الآية ؛ فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ، ولم يتابع مجاهد على قوله هاهنا ، وإنما الذي قاله ذكره في قوله تعالى ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [سورة الإسراء : ٨٢] . وقوله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس : ٥٧] » ^٦ .

^١ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٧٥) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٤ _ ١٢٥) ، ولباب : (١٢ / ١١٢) .

^٢ _ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب ، باب الدواء بالعسل : (٥ / ٢١٥٢) ، ح : (٥٣٦٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب التداوي بسقي العسل : (٤ / ١٧٣٦) ، ح : (٢٢١٧) . واللفظ أقرب لما في صحيح مسلم .

^٣ _ التفسير الكبير : (٢٠ / ٧٥) ، وتفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٥) .

^٤ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٧) .

^٥ _ ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٤٩٧) .

^٦ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٥) .

القول الثالث: للعسل والقرآن ، وهو مروى عن مجاهد^١ ، وحسنه الزجاج^٢ ، والنحاس^٣ .

واستدل لهذا القول بما روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه _ أنه قال : « العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور »^٤ .

وعن رضي الله عنه _ أنه قال : « عليكم بالشفاءين القرآن والعسل »^٥ .

قال الزجاج _ رحمه الله _ : « وهذا القول إذا فسر علم أنه حسن ، المعنى : فيما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن و سائر القصص التي تدل على أن الله واحد شفاء للناس ، والتفسير في العسل حسن جداً »^٦ .

وقال النحاس _ رحمه الله _ : « وقوله جل وعز ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ ﴾ للشفاء فيه قولان : أحدهما : أن المعنى في القرآن شفاء للناس ، وهذا قول حسن ، أي :

فيما قصصنا عليكم من الآيات والبراهين شفاء للناس . وقيل : في العسل شفاء للناس ، وهذا القول بين أيضاً ؛ لأن أكثر الأشربة والمعجونات التي يتعالج بها أصلها من العسل »^٧ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن الضمير في ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ يعود إلى الشراب وهو العسل ؛ وذلك لأمر :

١ _ مطابقته لظاهر السياق ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^٨ ، كما أن كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله^٩ .

٢ _ أن المحدث عنه في الآية الكريمة العسل ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^{١٠} .

^١ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٩٠) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٤) .

^٢ _ معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ٢١١) .

^٣ _ معاني القرآن : (٤ / ٨٤) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٠) ، والكشف والبيان : (٦ / ٢٩) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٤) .

^٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢٩) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٤) .

^٦ _ معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ٢١١) .

^٧ _ معاني القرآن : (٤ / ٨٤) .

^٨ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

^٩ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٣٤٩) .

^{١٠} _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

وإعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^١ .
٣ _ أن أقرب مذكور للضمير العسل ؛ فوجب رجوع الضمير إليه ، لأن الأصل إعادة الضمير إلى
أقرب مذكور ، ما لم يرد دليل بخلافه^٢ .
قال الثعلبي _ رحمه الله _ : « والقول الأوّل أولى بالصواب وأليق بظاهر الكتاب »^٣ .
وقال الشوكاني _ رحمه الله _ : « ولا وجه للعدول عن الظاهر ومخالفة المرجع الواضح والسياق
البيّن »^٤ .



^١ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٦٠٣) .
^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٦٢١) .
^٣ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢٩) .
^٤ _ فتح القدير : (٣ / ١٧٥) .

١٨٥ / ٧٣ _ المسألة الخامسة : قوله تعالى ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ هل هو على عمومه أم لا ؟ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن المراد بالشفاء الخصوص لمن ينجع العسل في أمراضهم ؛ حيث قال : « وليس المراد بالناس هنا العموم ؛ لأن كثيراً من الأمراض لا يدخل في دوائها العسل ، وإنما المعنى : للناس الذي ينجع العسل في أمراضهم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ هل هو على عمومه أم لا ؟ على أقوال :

القول الأول : أن العسل شفاء للناس الذي ينجع العسل في أمراضهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٢ ، والبيضاوي^٣ ، والنسفي^٤ ، ووافقهم ابن كثير^٥ ، والشوكاني^٦ ، والألوسي^٧ ، والطاهر بن عاشور^٨ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ أن النكرة في سياق الإثبات تخص^٩ أو لا تقتضي العموم^{١٠} .
- ٢ _ أن التنكير فيه مشعر بالتبعية^{١١} .
- ٣ _ أن مفاد (في) من الظرفية المجازية لا يقتضي عموم الأحوال^{١٢} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٩٧ / ٥) .

^٢ _ ينظر : الحرر الوجيز : (٤٠٦ / ٣) .

^٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٩ / ٣) .

^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٩١ / ١) .

^٥ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٧٥ / ٢) .

^٦ _ ينظر : فتح القدير : (١٧٦ / ٣) .

^٧ _ ينظر : روح المعاني : (١٨٥ / ١٤) .

^٨ _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٠٩ / ١٤) .

^٩ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٩١ / ١) .

^{١٠} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٣٦ / ١٠) ، وفتح القدير : (١٧٦ / ٣) ، والتحرير والتنوير :

(٢٠٩ / ١٤) .

^{١١} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤٠٩ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٠٩ / ١٤) .

القول الثاني: العموم في جميع الأمراض ، وهو مروى من فعل ابن عمر^١ ، وهو قول القونوي^٢ .
قال القونوي _ رحمه الله _ : « ولك أن تقول إنه شفاء لجميع الناس ، وعدم كونه شفاء للبعض
عارض ، ولعدم صلاحية المحل ، فهو في حد ذاته شفاء لجميع الناس ، فاللام للاستغراق ، والتنوين
للتفخيم ، كما قالوا في بيان كون القرآن هدى لجميع الناس »^٣ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ ما جاء في الحديث : « صدق الله وكذب بطن أخيك »^٤ .
- قال القونوي _ رحمه الله _ : « فيه دليل على ما ذكرناه من عموم كونه شفاء ، والتخلف
لعدم صلاحية المحل »^٥ .
- ٢ _ أن اللام للاستغراق^٦ .
- ٣ _ فعل ابن عمر _ رضي الله عنه ، فروى عن أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلاً حتى
الدمل إذا خرج عليه طلى عليه عسلاً .
- ٤ _ اتفاق الأطباء على منفعتة :

قال القرطبي : « وقد اتفق الأطباء عن بكرة أبيهم على مدح عموم منفعة السكنجيين في كل
مرض وأصله العسل وكذلك سائر المعجونات ؛ على أن النبي _ صلى الله عليه وسلم _ قد حسم داء الإشكال وأزاح
وجه الاحتمال حين أمر الذي يشتكي بطنه بشرب العسل فلما أخبره أخوه بأنه لم يزد إلا استطلاقاً
أمره بعود الشراب له فبرئ ، وقال : صدق الله وكذب بطن أخيك »^٧ .

القول الثالث: أنه على الأغلب ، وهو قول الخازن^٨ .

قال الخازن _ رحمه الله _ : « إن قوله ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ مع أنه يضر بأصحاب الصفراء ،
ويهيئ الحرارة أنه خرج مخرج الأغلب ، وأنه في الأغلب فيه شفاء ، ولم يقل : إنه شفاء لكل الناس

^١ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٨٧) ، والمحزر الوجيز : (٣ / ٤٠٦) ، والجامع لأحكام القرآن :
(١٠ / ١٣٦) .

^٢ _ ينظر : حاشية القونوي : (١١ / ٣٢٥) .

^٣ _ حاشية القونوي : (١١ / ٣٢٥) .

^٤ _ سبق تخريجه ص : (٧٥٤) .

^٥ _ حاشية القونوي : (١١ / ٣٢٥) .

^٦ _ ينظر : المرجع السابق : (١١ / ٣٢٥) .

^٧ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٣٧) .

^٨ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٤) .

لكل داء ، ولكنه في الجملة دواء وإن نفعه أكثر من مضرته ، وقل معجون من المعاجين إلا وتماه به «^١ .

الترجيح :

بالنظر في ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الثاني ، وهو العموم ؛ ويؤيده عدة قواعد :

- ١ _ أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحديد^٢ .
- ٢ _ أنه إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^٣ .
- ٣ _ أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^٤ .



^١ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٤) .
^٢ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .
^٣ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٠٦) .
^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٧١) .

قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [٧٠] .

١٨٦ / ٧٤ _ هل يتقيد أرذل العمر بسن معينة؟

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن أرذل العمر لا يتقيد بسن مخصوص ، وأنه عام فيمن يلحقه الخرف والهزم ؛ حيث قال : « وأرذل العمر آخره الذي تفسد فيه الحواس ويختل النطق والفكر وخص بالرديلة ؛ لأنها حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد ، بخلاف حال الطفولة ، فإنها حالة تتقدم فيها إلى القوة وإدراك الأشياء ، ولا يتقيد أرذل العمر بسن مخصوص ، كما روي عن علي : أنه خمس وسبعون سنة ، وعن قتادة : أنه تسعون ، وإنما ذلك بحسب إنسان إنسان ، فرب ابن خمسين انتهى إلى أرذل العمر ، ورب ابن مائة لم يرد إليه ، والظاهر أن من يرد إلى أرذل العمر عام فيمن يلحقه الخرف والهزم »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في هل يتقيد أرذل العمر بسن معينة؟ على قولين :

القول الأول : أن أرذل العمر لا يتقيد بسن مخصوص ، وأنه عام فيمن يلحقه الخرف والهزم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الكلبي^٢ ، والطبري^٣ ، والزجاج^٤ ، والنحاس^٥ ، والسمرقندي^٦ ، والواحدي^٧ ، والسمعي^٨ ، والبغوي^٩ ، والزمخشري^{١٠} ، وابن عطية^{١١} ، وابن الجوزي^{١٢} ،

^١ _ البحر المحيط : (٤٩٨ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٥٨ / ٢) .

^٢ _ ينظر : النكت والعيون : (٢٠٠ / ٣) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٢٥١ / ١٧) .

^٤ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٢١١ / ٣) .

^٥ _ ينظر : معاني القرآن : (٨٥ / ٤) ، وإعراب القرآن : (٤٠٢ / ٢) .

^٦ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٨١ / ٢) .

^٧ _ ينظر : الوسيط : (٧٣ / ٣) ، والوجيز : (٦١٢ / ١) .

^٨ _ ينظر : تفسير السمعي : (١٨٧ / ٣) .

^٩ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٠ / ٥) .

^{١٠} _ ينظر : الكشاف : (٤٥٣ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٤٠٧ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : زاد المسير : (٤٦٧ / ٤) .

والرازي^١، والقرطبي^٢، والبيضاوي^٣، والحازن^٤ والنسفي^٥، ووافقهم ابن جزى^٦، والثعالبي^٧، وابن عادل^٨، والبقاعي^٩، والسيوطي^{١٠}، وأبو السعود^{١١}، والشوكاني^{١٢}، والألوسي^{١٣}، والطاهر ابن عاشور^{١٤}، والسعدي^{١٥}، والشنقيطي^{١٦}، والمراغي^{١٧}، وهو قول الجمهور^{١٨}.

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ تجال : رذل الشيء يرذل رذالة و الأردل : الدون من الناس ، وقيل : الدون في منظره وحاله ، وقيل : هو الرديء من كل شيء^{١٩} .
- ٢ _ أن منه قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا﴾ [سورة هود : ٢٧] ومنه قوله عز وجل ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُلُونَ﴾ [سورة الشعراء : ١١١] .^١

-
- ١ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٧٩) .
 - ٢ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤٠) .
 - ٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤١٠) .
 - ٤ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٥) .
 - ٥ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩٢) .
 - ٦ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٩) .
 - ٧ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣٥) .
 - ٨ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ١١١) .
 - ٩ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٨٢) .
 - ١٠ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٧) .
 - ١١ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٦) .
 - ١٢ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٧٧) .
 - ١٣ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٨٧) .
 - ١٤ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢١٢) .
 - ١٥ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٦) .
 - ١٦ _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٣١٣) .
 - ١٧ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١٠٨) .
 - ١٨ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ٢٠٠) .
 - ١٩ _ ينظر : لسان العرب : (١١ / ٢٨٠) ، وتهذيب اللغة : (١٤ / ٣٠٢) ، مادة : (رذل) ، والوسيط : (٣ / ٧٣) ، والتفسير الكبير : (٢٠ / ٧٩) ، وتفسير المراغي : (١٤ / ١٠٨) .
 - ١ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٣٥١) ، والتفسير الكبير : (٢٠ / ٧٩) ، و اللباب : (١٢ / ١١١) ، وتفسير المراغي : (١٤ / ١٠٨) .

٣ _ الموصوف بالأرذل حقيقة هو حال الإنسان في عمره لا نفسُ العُمُر . فأرذل العمر هو حال هرم البدن وضعف العقل ، وهو حال في مدة العمر . وأما نفس مدة العمر فهي لا توصف برذالة ولا شرف^١ .

٤ _ أن الهرم يختلف باختلاف الأبدان والبلدان والصحة والاعتلال على تفاوت الأمزجة المعتدلة^٢ .

القول الثاني: أنه مقيد بسن معينة ، ثم اختلفوا في تحديد السن على أقوال :

الأول: ثمانون سنة ، حكاه قطرب^٣ .

الثاني: خمس وسبعون سنة ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه^٤ .

وقال المراغي معلقاً على هذا القول : « وهذا ليس بمطرد ولا بالكثير »^٥ .

الثالث: تسعون سنة ، وهو قول قتادة^٦ .

ووجه ابن عطية هذا القول فقال : « وهذا في الأغلب ، وهذا لا ينحصر إلى مدة معينة ، وإنما هو بحسب إنسان إنسان »^٧ . ونحوه قال ابن جزى^٨ .

وقال الشهاب مشيراً إلى ضعف هذا القول : « لأنه يختلف باختلاف الأمزجة ، فرب معمر لم يهرم ، ورب هرم لم يبلغ ذلك السن ، فهو مبني على الأغلب »^٩ . ونحوه قال الألوسي^{١٠} ، و الشنقيطي^{١١} .

^١ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ٢١٢) .

^٢ _ التحرير والتنوير : (١٤ / ٢١٢) .

^٣ _ ينظر : تفسير السمعي : (٣ / ١٨٧) ، والنكت والعيون : (٣ / ٢٠٠) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥١) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٦) .

^٥ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١١٠) .

^٦ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٢٩) ، ومعالم التنزيل : (٥ / ٣٠) ، والكشاف : (٣ / ٤٥٣) .

^٧ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٧) .

^٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٨٩) .

^٩ _ حاشية الشهاب : (٥ / ٦١٨) .

^{١٠} _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٨٧) .

^{١١} _ ينظر : أضواء البيان : (٣ / ٣١٣) .

الترجيح :

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن أزدل العمر لا يتقيد أزدل العمر بسن مخصوص ، وأنه عام فيمن يلحقه الخرف والمهرم ؛ وذلك لأمر :
١ _ أنه قول تؤيده اللغة .

٢ _ أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^١ .

٣ _ أنه قول جمهور المفسرين ، وقول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ أبعد^٢ .

أما الأقوال الأخرى فهي على سبيل التمثيل لا التخصيص .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ٢٨٨) .

قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [٧٢] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٨٧ / ٧٥ _ المسألة الأولى : المراد بالحفدة :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الحفدة : هم الأعدان والخدم ومن يسارع في الطاعة ؛ حيث قال : « الحفدة الأعدان والخدم ومن يسارع في الطاعة »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المعنيين بالحفدة على أقوال :

القول الأول : الحفدة : الأعدان والخدم ومن يسارع في الطاعة ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً
المروي عن ابن عباس^٢ ، ومجاهد^٣ ، وعكرمة^٤ ، والحسن^٥ ، وطاووس^٦ ، وقتادة^٦ ، ورجحه الطبري^٧
والزجاج^٨ ، وهو قول الراغب^٩ ، والزمخشري^{١٠} ، وابن عطية^{١١} ، والنسفي^{١٢} ، ووافقهم

البقاعي^١ ، وأبو السعود^٢ ، والألوسي^٣ .

^١ _ البحر المحيط : (٤٨٤ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٥٩ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٢٥٥ / ١٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٩١ / ٧) ، والدر المنثور : (١٤٨ / ٥) .

^٣ _ ينظر : تفسير مجاهد : (٣٤٩) ، وجامع البيان : (٢٥٦ / ١٧) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٢٥٥ / ١٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٩٢ / ٧) ، والدر المنثور : (١٤٨ / ٥) .

^٥ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٣٥٨ / ٢) ، وجامع البيان : (٢٥٥ / ١٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٩٢ / ٧) ، والدر المنثور : (١٤٨ / ٥) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (٢٥٦ / ١٧) .

^٧ _ ينظر : المرجع السابق : (٢٥٨ / ١٧) .

^٨ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٢١٣ / ٣) .

^٩ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٢٤٣) .

^{١٠} _ ينظر : الكشاف : (٤٥٤ / ٣) .

^{١١} _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٤٠٨ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٩٣ / ١) .

واستدل لهذا القول بما يلي :

- ١ _ أن منه : « وإليك نسعى ونحفد »^٤ ، أي : نسرع في الطاعة^٥ .
٢ _ أن الحفد في اللغة : العمل والخدمة ، وهو المتحرك المتبرع بالخدمة ، وعند العرب الحفدة : الخدم^٦ .

قال الشاعر^٧ : حفد الولائد حولهنّ وأسلمت بأكفهنّ أزمة الأجمال^٨
وقال الشاعر^٩ : كلفت مجهودها نوقاً يمانية إذا الحداة على أكسائها حفدوا^{١٠}
٤ _ أن هذا القول يشمل كل من يخدم من الأهل والخدم .

القول الثاني : الحفدة : أولاد الأولاد ، وهو قول الأزهري^{١١} ، وابن عباس^{١٢} ، والحسن^{١٣} ، وعكرمة^{١٤} ، وقول السمرقندي^{١٥} ، والواحدي^١ ،

-
- ١ _ نظم الدرر : (٤ / ٤٨٤) .
٢ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٨) .
٣ _ روح المعاني : (١٤ / ١٩٠ - ١٩١) .
٤ _ أخرجه أبو داود في المراسيل ، باب جامع الصلاة : (١ / ١١٨) ، ح : (٨٩) ، والبيهقي في سننه ، باب دعاء القنوت : (٢ / ٢١٠) ، ح : (٢٩٦٢) ، وقال عنه : إسناده صحيح .
٥ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٤) .
٦ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٢٤٣) ، والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٨) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٤) .
٧ _ هو جميل بن عبد الله بن معمر . ينظر : أمالي المرزوقي : (١ / ٦٥) ، والجليس الصالح : (١ / ٣٧١) .
٨ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ٢١٣) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٤) . والمعنى : أسرع الولائد : جمع وليد وهي البنت الصغيرة ، بينهن : أي : بين النساء الطاعنات . وأسلمت : مبني للمجهول ، أي : تركت في أكف الطعائن والولائد . أزمة الأجمال : جمع زمام ، وذلك دليل على حفظهن ووصوفهن ، حتى لا يتخلل ركبهن إلا الولائد . ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٥٤) حاشية : (١) .
٩ _ هو الراعي النميري ، واسمه : عبید بن حصين . ينظر : منتهى الطلب من أشعار العرب : (١ / ٢٤١) .
١٠ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٤) .
١١ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٤) .
١٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٧) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٩١) ، والدر المنثور : (٥ / ١٤٨) .
١٣ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٨٤) .
١٤ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٨) .
١٥ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٨٢) .
١ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦١٣) .

والقرطبي^١ ، والبيضاوي^٢ ، والسيوطي^٣ ، والقونوي^٤ ، والطاهر ابن عاشور^٥ ، والشنقيطي^٦ ،
والمراغي^٧ .

قال القرطبي _ رحمه الله _ : « قلت : ما قاله الأزهري من أن الحفدة أولاد الأولاد هو ظاهر
القرآن بل نصه ؛ ألا ترى أنه قال ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ فجعل الحفدة
والبنين منهن ، وقال ابن العربي : الأظهر عندي في قوله ﴿ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ أن البنين أولاد الرجل
لصلبه والحفدة أولاد ولده وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا ، ويكون تقدير الآية على هذا وجعل
لكم من أزواجكم بنين ومن البنين حفدة ، وقال معناه الحسن^٨ .

وقال الشنقيطي _ رحمه الله _ : « في هذه الآية الكريمة قرينة دالة على أن الحفدة أولاد الأولاد .
لأن قوله ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ دليل ظاهر على اشتراك البنين والحفدة في
كونهم من أزواجهم ، وذلك دليل على ، أنهم كلهم من أولاد أزواجهم . ودعوى أن قوله
﴿ وَحَفَدَةً ﴾ معطوف على قوله ﴿ أَزْوَاجًا ﴾ غير ظاهرة .

كما أن دعوى أنهم الأختان ، وأن الأختان أزواج بناتهن ، وبناتهن من أزواجهن ، وغير ذلك من
الأقوال كله غير ظاهر . وظاهر القرآن هو ما ذكر ، وهو اختيار ابن العربي المالكي والقرطبي
وغيرهما . ومعلوم : أن أولاد الرجل ، وأولاد أولاده : من خدمه المسرعين في خدمته عادة . والعلم
عند الله تعالى^٩ .

وجوز الشوكاني _ رحمه الله _ عطف قوله ﴿ وَحَفَدَةً ﴾ على قوله ﴿ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ : « ورجح
كثير من العلماء أنهم أولاد الأولاد ؛ لأنه سبحانه امتنّ على عباده بأن جعل لهم من الأزواج بنين
وحفدة .

^١ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤٤) .

^٢ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤١١) .

^٣ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٧) .

^٤ _ ينظر : حاشية القونوي : (١١ / ٣٣١) .

^٥ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢١٨) .

^٦ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٣١٧ - ٣١٨) .

^٧ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١١٢) .

^٨ _ الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤٤) .

^٩ _ أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : (٣ / ٣١٧ - ٣١٨) .

فالحفدة في الظاهر معطوفون على البنين ، وإن كان يجوز أن يكون المعنى : جعل لكم من أزواجكم بنين ، وجعل لكم حفدة»^١ .

القول الثالث : الأصهار وهم قرابة الزوجة كأبيها وأخيها ، وهو قول ابن مسعود^٢ ، وابن عباس^٣ ، وعلقمة^٤ ، وأبو الضحى ، وإبراهيم^٥ ، وسعيد بن جبير^٦ ، والفراء^٧ .
واستدل لهذا القول بقول الشاعر^٨ :

فلو أن نفسي طاوعتني لأصحت لها حفد مما يعد كثير
ولكنها نفس عليّ أية عيوف لأصحاب اللثام قدور^٩ .

القول الرابع : هم أولاد الزوجة من غير الزوج التي هي في عصمته ، وهو قول ابن عباس _ رضي الله عنهما^{١٠} .

وجمع الرازي بين الأقوال غير الأول فقال : « يجب أن يكون المراد من الحفدة في هذه الآية الأعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ فالأعوان الذين لا يكونون من قبل المرأة لا يدخلون تحت هذه الآية .

إذا عرفت هذا فنقول : قيل هم الأختان ، وقيل : هم الأصهار ، وقيل : ولد الولد ، والأولى دخول الكل فيه ، لما بينا أن اللفظ محتمل للكل بحسب المعنى المشترك الذي ذكرناه^{١١} .

القول الخامس : الحفدة هم البنون أي جامعون بين البنوة والخدمة ، وهو قول ابن عباس ، وابن زيد ، والضحاك^{١٢} ، وجوزه الزمخشري^١ .

^١ _ فتح القدير : (٣ / ١٧٨ - ١٧٩) .

^٢ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٨) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٥٣) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٤) .

^٤ _ البحر المحيط : (٥ / ٤٩٩) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٤) .

^٦ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ٢٠٢) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٩) .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن : (٢ / ١١٠) .

^٨ _ هو عبادة بن الصامت . ينظر : محاضرات الأدباء : (١ / ٤١٣) .

^٩ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ٢٠٢) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٨٤) .

^{١٠} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٨) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٩٢) ، والدر

المنثور : (٥ / ١٤٨) .

^{١١} _ التفسير الكبير : (٢٠ / ٨٣) .

^{١٢} _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٥٧) .

قال أبو حيان _ رحمه الله _ : « فهو من عطف الصفات لموصوف واحد »^٢ .
واستدل لهذا القول بأن العبيد لا يكونون من الأزواج^٣ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، الحفدة : الأعوان والخدم ومن يسارع في الطاعة ، ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٤ ، ولأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك^٥ . قال الطبري _ رحمه الله _ : « وإذ كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل ، المتخفون فيها ، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا ، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا^٦ الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا وخدمنا من ممالكنا إذا كانوا يحفدوننا ، فيستحقون اسم حفدة ، ولم يكن الله تعالى دلّ بظاهر تنزيهه ، ولا على لسان رسوله _ ﷺ _ ؛ ولا بحجة عقل ، على أنه عنى بذلك نوعاً من الحفدة ، دون نوع منهم ، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا ، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام ، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم . وإذا كان ذلك كذلك فلذلك الأقوال التي ذكرنا عن ذكرنا وجه في الصحة ، ومخرج في التأويل . وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا ، لما بيننا من الدليل »^٧ .

وقال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وهذه الفرق التي ذكرت أقوالها إنما بنيت على أن كل أحد جعل له من زوجة بنون وحفدة ، وهذا إنما هو في الغالب وعظم الناس ، ويحتمل عندي أن قوله ﴿ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ إنما هو على العموم والاشترار ، أي : من أزواج البشر جعل الله لهم البنين ، ومنهم جعل الخدمة ، فمن لم تكن له قط زوجة فقد جعل الله له حفدة وحصلت تحت النعمة ، وأولئك الحفدة هم من الأزواج وهكذا تترتب النعمة التي تشمل جميع العالم وتستقيم لفظة الحفدة على مجراها في اللغة ؛ إذ البشر بجملتهم لا يستغني أحد منهم عن حفدة »^٨ .

^١ _ ينظر : الكشاف : (٤٥٤ / ٣) .

^٢ _ البحر المحيط : (٤٩٩ / ٥) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٢٥٧ / ١٧) .

^٤ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٥٢٧ / ٢) .

^٥ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٩٦ / ٤) .

^٦ _ الأختان : جمع ختن ، بسكون التاء ، وهو زوج بنت الرجل . ينظر : لسان العرب : (١٣٧ / ١٣) .

^٧ _ جامع البيان : (٢٥٨ - ٢٥٩ / ١٧) .

^٨ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٤٠٨ / ٣) .



١٨٨ / ٧٦ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الطيبات : المستلذات ، وهو عام في النبات والثمار والحبوب والأشربة ومن الحيوان ؛ حيث قال : « والظاهر أن الطيبات هنا : المستلذات لا الحلال ؛ لأن المخاطبين كفار لا يتلبسون بشرع ، ولما ذكر تعالى ما امتن به من جعل الأزواج وما ننتفع به من جهتين ذكر منه بالرزق ، والطيبات عام في النبات والثمار والحبوب والأشربة ومن الحيوان »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن الطيبات : المستلذات ، وهو عام في النبات والثمار والحبوب والأشربة ومن الحيوان ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عباس^٢ ، وقتادة^٣ ، ومعنى قول الطبري^٤ ، والواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، والرازي^٧ ، والقرطبي^٨ ، والبيضاوي^٩ ، والخازن^{١٠} ، ووافقهم ابن كثير^{١١} ، وابن عادل^{١٢} ، والسيوطي^{١٣} ، والشوكاني^{١٤} ، والطاهر بن عاشور^{١٥} ، والمراغي^{١٦} .

واستدلوا بما يلي :

١ _ أن الخطاب للكفار وهم لا يتلبسون بشرع^{١٧} .

^١ _ البحر المحيط : (٤٩٩ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٥٩ / ٢) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤٧٠ / ٤) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٨٢ / ٢) .

^٤ _ ينظر : جامع البيان : (٢٥٩ / ١٧) .

^٥ _ ينظر : الوجيز : (٦١٣ / ١) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٢ / ٥) .

^٧ _ ينظر : التفسير الكبير : (٨٤ / ٢٠) .

^٨ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٤٥ / ١٠) .

^٩ _ أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤١١ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٦ / ٣) .

^{١١} _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٧٨ / ٢) .

^{١٢} _ ينظر : اللباب : (١١٩ / ١٢) .

^{١٣} _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٧) .

^{١٤} _ ينظر : فتح القدير : (١٧٩ / ٣) .

^{١٥} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٢٠ / ١٤) .

^{١٦} _ ينظر : تفسير المراغي : (١١٢ / ١٤) .

^{١٧} _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٤٠٨ / ٣) ، والبحر المحيط : (٤٩٩ / ٥) .

٢ _ أنه قول تؤيده اللغة .

فالطيب : ضد الخبيث ، وهو ما لذ وزكا ، ويقال : طعام طيب للذي يستلذ الأكل طعمه ،
والطيبات : ما تستلذه الحواس ، وما تستلذه النفس^١ .

قال الطاهر بن عاشور _ رحمه الله _ : « و ﴿ الطَّيِّبَاتِ ﴾ : ... والطَّيْبُ : أصله التزاهة وحسن
الرائحة ، ثم استعمل في الملائم الخالص من التكد ، ... فالطَّيِّبَاتِ هنا الأرزاق الواسعة المحبوبة للناس
... ، أو المطعومات والمشروبات اللذيذة الصالحة^٢ .

القول الثاني : الحلال ، وهو قول الكلبي^٣ ، والسمعي^٤ .

ورد ابن عطية _ رحمه الله _ هذا القول بأن الطيبات لا تقتصر على الحلال فقال : « وقوله
﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ يريد الله مـن الأشياء التي تطيب لمن رزقها ، ولا يقتصر هنا على
الحلال ؛ لأنهم كفار لا يكتسبون بشرع^٥ . ونحوه قال أبو حيان^٦ .

ورد الألويسي على أبي حيان _ رحمه الله _ فقال : « ﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ أي :

اللذائذ ، وهو معناها اللغوي ، وجوز أن يراد بالطيب : ما هو متعارف في لسان الشرع ، وهو
الحلال ، وتعقبه أبو حيان بأن المخاطبين بهذا الكفار وهم لا شرع لهم ، فتفسيره بذلك غير ظاهر .
وأجيب : بأنهم مكلفون بالفروع كالأصول ، فيوجد في حقهم الحلال والحرام ، وأيضاً هم مرزوقون
بكثير من الحلال الذي أكلوا بعضه ولا يلزم اعتقادهم للحل ونحوه^٧ .

القول الثالث : الطيبات : الغنائم^٨ .

القول الرابع : ما أتى من غير نصب^٩ .

^١ _ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : (٥٢٧) ، ولسان العرب : (١ / ٥٦٤) ، ومختار الصحاح : (١ / ١٦٨)
مادة : (طيب) .

^٢ _ التحرير والتنوير : (٢١٩ - ٢٢٠) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٨٢) .

^٤ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٨٨) .

^٥ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤٠٨) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٤٩٩) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٥٩) .

^٧ _ روح المعاني : (١٤ / ١٩١) .

^٨ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ٢٠٣) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٩) .

^٩ _ ينظر : النكت والعيون : (٣ / ٢٠٣) ، والبحر المحيط : (٥ / ٤٩٩) .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أنّ الطيبات : المستلذات ، وهو عام في النبات والثمار والحبوب والأشربة ومن الحيوان ، وهو تفسير يخص اللفظة ، ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^١ .

والأقوال الواردة لا تتعارض ، بل يقع الطيب على جميعها .
ففي القول الأول بيان للمعنى اللغوي للطيب ، وأما الأقوال الأخرى فهي ذكر لبعض من أنواع الطيبات .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

قال الله تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [٧٣] .

٧٧ / ١٨٩ _ عود الضمير في ﴿ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ عود الضمير في ﴿ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ على ﴿ مَا ﴾ على معناها ؛ لأنه يراد بها آلهتهم ؛ حيث قال : « والظاهر عود الضمير في ﴿ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ على ﴿ مَا ﴾ على معناها ؛ لأنه يراد بها آلهتهم بعدما عاد على اللفظ في قوله ﴿ مَا لَّا يَمْلِكُ ﴾ فأفرد»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في عود الضمير في ﴿ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : عود الضمير في ﴿ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ على ﴿ مَا ﴾ على معناها ؛ لأنه يراد بها آلهتهم ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الفراء^٢ ، والطبري^٣ ، والنحاس^٤ ، والسمرقندي^٥ ، وابن زمنين^٦ ، والثعلبي^٧ ، والواحدي^٨ ، والسمعي^٩ ، والبغوي^{١٠} ، والزخشري^{١١} ، والرازي^{١٢} ، والقرطبي^{١٣} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥٠١ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٦٠ / ٢) .

^٢ _ ينظر : معاني القرآن : (١١٠ / ٢) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (٢٥٩ / ١٧) .

^٤ _ ينظر : إعراب القرآن : (٤٠٣ / ٢) .

^٥ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٨٣ / ٢) .

^٦ _ ينظر : تفسير ابن زمنين : (٤١١ / ٢) .

^٧ _ ينظر : الكشف والبيان : (٣١ / ٦) .

^٨ _ ينظر : الوسيط : (٧٣ / ٣) ، والوجيز : (٦١٣ / ١) .

^٩ _ ينظر : تفسير السمعي : (١٨٩ / ٣) .

^{١٠} _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٢ / ٥) .

^{١١} _ ينظر : الكشاف : (٤٥٥ / ٣) .

^{١٢} _ ينظر : التفسير الكبير : (٨٤ / ٢٠) .

^{١٣} _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٤٦ / ١٠) .

والخازن^١، والنسفي^٢، ووافقهم ابن جزى^٣، والسيوطي^٤، والشوكاني^٥، وابن عاشور^٦،
والسعدي^٧.

القول الثاني: أن يكون للكفار، يعني: ولا يستطيع هؤلاء - مع أنهم أحياء متصرفون أولو الباب

- من ذلك شيئاً، فكيف بالجماد الذي لا حس به، جوزه الزمخشري^٨ - رحمه الله - .

قال القونوي - رحمه الله - : « وفيه تفكيك الضمير، ولا ضمير فيه، ولعله أخره لذلك - أي :
البيضاوي - مع أن فيه مبالغة »^٩ .

قال الألوسي - رحمه الله - : « وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكنه سالم عن مخالفة المشهور في
العود على المعنى بعد مراعاة اللفظ »^{١٠} .

وجمع ابن عطية^{١١}، والبيضاوي^{١٢}، والسمين الحلبي^{١٣}، وابن عادل^{١٤}، والبقاعي^{١٥}، وأبو
السعود^{١٦} بين القولين .

^١ - ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: (١٢٦ / ٣) .

^٢ - ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (٢٩٣ / ١) .

^٣ - ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٩٠ / ٢) .

^٤ - ينظر: تفسير الجلالين: (٢٢٧) .

^٥ - ينظر: فتح القدير: (١٧٩ / ٣) .

^٦ - ينظر: التحرير والتنوير: (٢٢٢ / ١٤) .

^٧ - ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٩٣٧ / ١) .

^٨ - ينظر: الكشاف: (٤٥٥ / ٣) .

^٩ - ينظر: حاشية القونوي: (٣٣٤ / ١١) .

^{١٠} - روح المعاني: (١٩٣ / ١٤) .

^{١١} - ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٤٠٩ / ٣) .

^{١٢} - ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٤١١ / ٣) .

^{١٣} - ينظر: الدر المصون: (٢٦٨ / ٧) .

^{١٤} - ينظر: اللباب: (١٢١ / ١٢) .

^{١٥} - ينظر: نظم الدرر: (٤٨٤ / ٤) .

^{١٦} - ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٢٨ / ٥) .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن عود الضمير في ﴿ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ على ﴿ مَا ﴾ على معناها ؛ لأنه يراد بها آلهتهم ؛ وذلك لأمر عدة منها :

- ١ _ أنه ظاهر النص ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه ^١ .
- ٢ _ أن فيه توحيداً للضمائر ، وتوحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها ^٢ .
- ٣ _ أن الضمير له تعلق بدلالة السياق ؛ حيث إن الحديث عن الآلهة ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما ^٣ ، كما أن كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله ^٤ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٣٧) .

^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٦١٣) .

^٣ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ١٢٥) .

^٤ _ ينظر : المرجع السابق : (٢ / ٣٤٩) .

قال الله تعالى ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٧٤] .

١٩٠ / ٧٨ _ المراد بـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

رجح أبو حيان_ رحمه الله _ أن معنى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ : أنه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والإشراك به ، ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ : كنه ما أقدمتم عليه وعاقبته ؛ حيث قال : « وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ أثبت العلم لنفسه ، والمعنى : أنه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والإشراك به ، وعبر عن الجزاء بالعلم ، ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ كنه ما أقدمتم عليه ، ولا وبال عاقبته ، فعدم علمكم بذلك جرکم وجرأکم ، وهو كالتعليل للنهي عن الإشراك »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أنه يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والإشراك به ، وأنتم لا تعلمون كنه ما أقدمتم عليه وعاقبته ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن مقاتل^٢ ، وقول السمرقندي^٣ ، والزنجشري^٤ ، والرازي^٥ ، ووافقهم ابن كثير^٦ ، والسيوطي^٧ ، والشوكاني^٨ ، والألوسي^٩ ، وابن عاشور^{١٠} .

القول الثاني : أن الله يعلم كيف يخسر الأمثال وأنتم لا تعلمون ، قاله ابن السائب^{١١} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥٠١ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٦٢ / ٢) .

^٢ _ ينظر : زاد المسير : (٤٧١ / ٤) ، والبحر المحيط : (٥٠١ / ٥) .

^٣ _ ينظر : بحر العلوم : (٢٨٣ / ٢) .

^٤ _ ينظر : الكشف : (٤٥٥ / ٣) .

^٥ _ ينظر : التفسير الكبير : (٨٥ / ٢٠) .

^٦ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم : (٥٧٨ / ٢) .

^٧ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٧) .

^٨ _ ينظر : فتح القدير : (١٧٩ / ٣) .

^٩ _ ينظر : روح المعاني : (١٩٤ / ١٤) .

^{١٠} _ ينظر : التحرير والتنوير : (٢٢٢ / ١٤) .

^{١١} _ ينظر : زاد المسير : (٤٧١ / ٤) ، والبحر المحيط : (٥٠١ / ٥) .

- وجوزه الزمخشري^١ ، ووافقهما البقاعي^٢ ، وجوزه الشوكاني^٣ .
وهو معنى قول الطبري^٤ ، والثعلبي^٥ ، والبعوي^٦ ، والحازن^٧ .
وجمع بين القولين النسفي^٨ ، وابن عادل^٩ ، وأبو السعود^{١٠} .

القول الثالث: أن الله يعلم : ما يكون قبل أن يكون ، وأنتم لا تعلمون : قدر عظمته حيث أشركتم به ، وهو قول الواحدي^{١١} .

قال القونوي _ رحمه الله _ : « هذا ليس بمناسب للمقام ، إما لفظاً فلا قرينة عليه ، وإما معنى فلأن المقام مقام التهديد ، وهذا لا يدل عليه »^{١٢}
وجمع البيضاوي^{١٣} بين الأقوال الثلاثة .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن الله ﷻ يعلم ما تفعلون من عبادة غيره والإشراك به ، وأنتم لا تعلمون كنه ما أقدمتم عليه وعاقبته ؛ وذلك لأن السياق السابق ، وهو قوله تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [سورة النحل : ٧٣] ، والسياق اللاحق وهو قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٧٥]

- ١ _ ينظر : الكشاف : (٤٥٥ / ٣) .
٢ _ ينظر : نظم الدرر : (٤٨٥ / ٤) .
٣ _ ينظر : فتح القدير : (١٧٩ / ٣) .
٤ _ ينظر : جامع البيان : (٢٦٠ / ١٧) .
٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (٣١ / ٦) .
٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٣٢ / ٥) .
٧ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (١٢٦ / ٣) .
٨ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (٢٩٤ / ١) .
٩ _ ينظر : اللباب : (١٢٢ / ١٢) .
١٠ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (١٢٩ / ٥) .
١١ _ ينظر : الوجيز : (٦١٣ / ١) .
١٢ _ حاشية القونوي : (٣٣٦ / ١١) .
١٣ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٤١١ / ٣) .

يتحدث عن إشراكهم بالله تعالى ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج
عنهما^١ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

قال الله تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٧٥] .

في الآية الكريمة أربع مسائل :

١٩١ / ٧٩ _ المسألة الأولى : من المراد بالمثل :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد قصة رجلين بدون تعيين لهما ؛ حيث قال : « مناسبة ضرب هذا المثل أنه لما بين تعالى ضلالهم في إشراكهم بالله غيره وهو لا يجلب نفعاً ولا ضراً لنفسه ولا لعابده ، ضرب لهم مثلاً قصة عبد في ملك غيره عاجز عن التصرف ، وحر غني متصرف فيما آتاه الله ، فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشاركين في الإنسانية ، فكيف تشركون بالله وتسوون به من مخلوق له مقهور بقدرته من آدمي وغيره ، مع تباين الأوصاف وأنّ موجد الوجود لا يمكن أن يشبهه شيء من خلقه ولا يمكن لعاقل أن يشبهه به غيره ولا يقتضي ضرب المثل لشخصين موصوفين بأوصاف متباينة تعيينهما ، بل ما روي في تعيينهما من أنهما : عثمان بن عفان _ رضي الله عنه _ وعبد له ، أو أنهما أبو بكر الصديق _ رضي الله عنه _ وأبو جهل ، لا يصح إسناده »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في من المراد بالمثل على أقوال :

القول الأول : أن المراد قصة رجلين بدون تعيين لهما ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول ابن عطية^٢ ، والرازي^٣ ، والقرطبي^٤ ، ووافقهم أبو السعود^٥ .

القول الثاني : أنها نزلت في رجل من قريش وعبد^٦ ، وهو مروى عن ابن عباس^٧ ، ورجحه النحاس^٨ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٥٠٣) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٦٢) .

^٢ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤١٠) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٨٦) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤٦) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٢٩) .

^٦ _ في هشام بن عمر ، وهو الذي ينفق ماله سرّاً وجهراً ، وفي عبده أبي الجوزاء الذي كان ينهاه .

^٧ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٦٤) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٩٣) .

^٨ _ معاني القرآن : (٤ / ٩٤) .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ : « وروي تعيين غير هذا ، ولا يصح إسناده »^١ . ونحوه قال أبو حيان^٢ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد قصة رجلين بدون تعيين لهما ؛ وذلك لأمرين :

١ _ أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٣ .

٢ _ أن ما ورد في تخصيص الرجلين لا يصح إسناده ، كما بينه ابن عطية وأبو حيان .



^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤١٠) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٥٠٣) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٦٢) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

١٩٢ / ٨٠ _ المسألة الثانية : مناسبة ضرب هذا المثل :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الله تعالى ضرب هذا المثل لبيان ضلال المشركين في إشراكهم بالله تعالى ؛ حيث قال : « مناسبة ضرب هذا المثل أنه لما بين تعالى ضلالهم في إشراكهم بالله غيره وهو لا يجلب نفعاً ولا ضرراً لنفسه ولا لعباده ، ضرب لهم مثلاً قصة عبد في ملك غيره عاجز عن التصرف ، وحر غني متصرف فيما آتاه الله ، فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد ومشتركين في الإنسانية ، فكيف تشركون بالله وتسوون به من مخلوق له مقهور بقدرته من آدمي وغيره مع تباين الأوصاف وأنّ موجد الوجود لا يمكن أن يشبهه شيء من خلقه ولا يمكن لعاقل أن يشبهه به غيره »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في مناسبة ضرب هذا المثل :

القول الأول : هذا مثل لله وللأصنام ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن مجاهد^٢ ، وقول الزجاج^٣ ، والواحدي^٤ ، والزمخشري^٥ ، والرازي^٦ ، والقرطبي^٧ ، والبيضاوي^٨ ، والخازن^٩ ، والنسفي^{١٠} ، ووافقهم ابن جزى^{١١} ، وابن القيم^{١٢} ، والثعالبي^{١٣} ، والبقاعي^١ ،

^١ _ البحر المحيط : (٥٠٣ / ٥) ، وينظر : النهر الماد : (٢٦٢ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٦٣) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٩٣) ، والدر المنثور : (٥ / ١٥١) .

فائدة : أخرج الطبري الأثر من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج عنه ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجيح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٦٤) .

^٣ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٣ / ٢١٣) .

^٤ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦١٣) .

^٥ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٥٦) .

^٦ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٨٦) .

^٧ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤٦) .

^٨ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤١٢) .

^٩ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٦) .

^{١٠} _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩٤) .

^{١١} _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٩٠) .

^{١٢} _ ينظر : التفسير القيم : (٣٣٩) .

^{١٣} _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣٦) .

^١ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٨٥) .

وأبو السعود^١، والشوكاني^٢، والألوسي^٣، والطاهر ابن عاشور^٤، والسعدي^٥، والمراغي^٦، وعليه الجمهور من أهل العلم^٧.

واستدل لهذا القول بما يلي:

١ _ أنه وقع بين كلامين لا يفهم بين أهل التفسير اختلاف إلا من شد منهم أنهما لله جل وعز وهما ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة النحل: ٧٤] ، وبعده ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة النحل: ٧٦] يعني الوثن؛ لأنه كل على من عنده وثقل، والمولى الولي^٨.

٢ _ أنه أليق بظاهر الآية؛ لأنه إنما سبق ذكر الأصنام، وتأخر ذكر الأصنام^٩.

٣ _ أن الآية تكون من معنى ما قبلها وبعدها في تبين أمر الله والرد على أمر الأصنام، فاقبل هذه الآية وما بعدها إنما ورد في إثبات التوحيد وفي الرد على القائلين بالشرك^{١٠}.

٤ _ أنه أشبه بالمراد؛ فإنه أظهر في بطلان الشرك، وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة، وأقرب نسباً بقوله ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ . فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾^{١١}.

^١ _ ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٣٠ / ٥).

^٢ _ ينظر: فتح القدير: (١٨٠ / ٣).

^٣ _ ينظر: روح المعاني: (١٩٥ / ١٤).

^٤ _ ينظر: التحرير والتنوير: (٢٢٣ / ١٤).

^٥ _ ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٩٣٧ / ١).

^٦ _ ينظر: تفسير المراغي: (١١٣ / ١٤).

^٧ _ ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٤٦ / ١٠).

^٨ _ ينظر: معاني القرآن: (٩٢ / ٤).

^٩ _ ينظر: تفسير السمعاني: (١٨٩ / ٣).

^{١٠} _ ينظر: التفسير الكبير: (٦٨ / ٢٠)، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٤١٠ / ٣).

^{١١} _ ينظر: التفسير القيم: (٣٣٩).

القول الثاني: أنه مثل للمؤمن والكافر ، فالكافر العبد المملوك لا ينتفع بعبادته في الآخرة ، ﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ ﴾ المؤمن ، وهو مروى عن ابن عباس^١ ، وقتادة^٢ ، وقول الطبري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، والثعلبي^٥ ، والبغوي^٦ ، وابن عادل^٧ .

قال الطبري _ رحمه الله _ : « وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في المثل الأول ؛ لأنه تعالى ذكره مثل مثل الكافر بالعبد الذي وصف صفته ، ومثل مثل المؤمن بالذي رزقه رزقاً حسناً فهو ينفق مما رزقه سرّاً وجهراً ، فلم يجوز أن يكون ذلك لله مثلاً ؛ إذ كان الله إنما مثل الكافر الذي لا يقدر على شيء بأنه لم يرزقه رزقاً ينفق منه سرّاً ، ومثل المؤمن الذي وفقه الله لطاعته ، فهداه لرشده ، فهو يعمل بما يرضاه الله كالحر الذي بسط له في الرزق ، فهو ينفق منه سرّاً وجهراً ، والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق ، فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده بإنفاق المرزوق الرزق الحسن »^٨ .

وقال السمعاني _ رحمه الله _ : « ومن نصر القول الثاني استدل على صحته بقوله ﴿ عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴾ والصنم لا يسمى عبداً »^٩ .

وقال القاضي أبو محمد _ رحمه الله _ : « والتمثيل على هذا التأويل إنما وقع في جهة الكافر فقط ، جعل له مثلاً ، ثم قرن بالمؤمن المرزوق إلا أن يكون المرزوق ليس بمؤمن ، وإنما هو مثال للمؤمن ، فيقع التمثيل من جهتين »^{١٠} .

القول الثالث: مثل للبخيل والسخي ، وهو قول ابن جبير^{١١} .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٦١) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٩٢) ، والدر المنثور : (٥ / ١٥٠) .

^٢ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٢ / ٣٥٩) ، وجامع البيان : (١٧ / ٢٦١) ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٧ / ٢٢٩٢) ، والدر المنثور : (٥ / ١٥٠) .

^٣ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٦١) .

^٤ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٨٣) .

^٥ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٣٢) .

^٦ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٣٣) .

^٧ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ١٢٢) .

^٨ _ جامع البيان : (١٧ / ٢٦٤) .

^٩ _ تفسير السمعاني : (٣ / ١٨٩) .

^{١٠} _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤١٠) .

^{١١} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٥٠٣) .

الترجيح :

- في ضوء ما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن هذا مثل لله وللأصنام ؛ وذلك لما استدل به أصحاب هذا الفريق :
- ١ _ أنه وقع بين كلامين لا يحلم بين أهل التفسير اختلافاً إلا من شذ منهم أهما لله جل وعز ؛ ويؤيده أن قول الجماعة أولى بالصواب ، وهم إلى الحق أقرب ومن الخطأ أبعد^١ .
- ٢ _ أنه أليق بظاهر الآية ؛ ويؤيده أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^٢ .
- ٣ _ أن الآية تكون من معنى ما قبلها وبعدها في تبيين أمر الله والرد على أمر الأصنام ؛ ويؤيده أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^٣ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٨٨) .

^٢ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ١٣٧) .

^٣ _ ينظر : المرجع السابق : (١ / ١٢٥) .

١٩٣ / ٨١ _ المسألة الثالثة : الخطاب لمن في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ :

رجح أبو حيان_ رحمه الله _ أن الخطاب للنبي ﷺ ؛ حيث قال : « قل الحمد لله الظاهر أنه خطاب للرسول ﷺ - »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في الخطاب لمن في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على قولين :

القول الأول : أن الخطاب للنبي ﷺ ، وهو ما رجحه أبو حيان .

القول الثاني : أن يكون خطاباً لمن رزقه الله ؛ أمره أن يحمد الله على أن ميزه بهذه القدرة على ذلك الضعيف ، واحتمله الرازي^٢ .

الترجيح :

الذي يظهر لي _ والله أعلم _ أن الآية ليس فيها خطاب لأحد ، وإنما حمد الله تعالى نفسه ؛ لوضوح الحق وبيانه .

قال ابن كثير _ رحمه الله _ : « ولما كان الفرق بينهما ظاهراً واضحاً بيناً لا يجهله إلا كل غبي ، قال الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ »^٣ .

وقال الشوكاني _ رحمه الله _ : « وقيل إنه لما ذكر مثلاً مطابقاً للغرض كاشفاً عن المقصود قال الحمد لله ، أى : على قوة هذه الحجة »^٤ .

وقال السعدي _ رحمه الله _ : « هل يستوي هذا وذاك ؟ لا يستويان مع أهمما مخلوقان وغير محال استواؤهما ، فإذا كانا لا يستويان ، فكيف يستوي المخلوق والعبد الذي ليس له ملك ولا قدرة ولا استطاع ، بل هو فقير من جميع الوجوه بالرب المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء ؛ ولهذا حمد نفسه واختص بالحمد بأنواعه فقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، فكأنه قيل : إذا كان الأمر كذلك فلم سوى المشركون آلهتهم بالله قال : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، فلو علموا حقيقة العلم لم يتجرؤوا على الشرك العظيم »^٥ .



١٩٤ / ٨٢ _ المسألة الرابعة : المراد بـ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ :

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٥٠٣) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٨٧) .

^٣ _ تفسير القرآن العظيم : (٢ / ٥٧٨) .

^٤ _ فتح القدير : (٣ / ١٨١) .

^٥ _ تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٧) .

رجح أبو حيان - رحمه الله - أن المراد نفي العلم عن أكثر الناس ؛ حيث قال : « والظاهر نفي العلم عن أكثرهم ؛ لأنّ منهم من بان له الحق ورجع إليه ، أو أكثر الخلق ؛ لأن الأك - ثر هم المشركون »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ على أربعة أقوال :

القول الأول : أن المراد نفي العلم عن أكثر الناس ، وهو ما رجحه أبو حيان ووافقه أبو السعود^٢ ، والألوسي^٣ ، والطاهر بن عاشور^٤ .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١ - أنه الموافق لظاهر الآية^٥ .

٢ - أن هناك من ظهر له الحق^٦ .

٣ - أن أكثر الخلق هم المشركون^٧ .

القول الثاني : العموم ، أي : بل هم لا يعلمون^٨ .

ورد الألوسي - رحمه الله - هذا القول فقال : « ونفى العلم عن أكثرهم ؛ للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك ، وإنما لم يعملوا بموجبه عناداً ، وقيل : المراد بالأكثر : الكل ، فكأنه قيل : هم لا يعلمون ، وقيل : ضمير ﴿ هُمْ ﴾ للخلق ، والأكثر هم المشركون ، وكلا القولين خلاف الظاهر »^٩ .

القول الثالث : أن المراد أهل مكة ، وهو قول السيوطي^{١٠} .

القول الرابع : أن المراد : المشركون ، وهو قول ابن زنين^١ ، والثعلبي^١ ، والواحدي^٢ ، والبعوي^٣ ، والقرطبي^٤ ، والحاظن^٥ ، وابن جزى^٦ ، والسعدي^٧ .

^١ - البحر المحيط : (٥ / ٥٠٣) .

^٢ - ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٣٠) .

^٣ - ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٩٦) .

^٤ - ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢٢٦) .

^٥ - ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٩٦) .

^٦ - ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٥٠٣) ، وروح المعاني : (١٤ / ١٩٦) .

^٧ - ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٥٠٣) .

^٨ - ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٥٠٣) .

^٩ - روح المعاني : (١٤ / ١٩٦) .

^{١٠} - ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٧) .

^١ - ينظر : تفسير ابن زنين : (٢ / ٤١١) .

وجمع الشوكاني - رحمه الله - بين الأقوال كلها فقال : « وخص الأكثر بنفي العلم إما لكونه يريد الخلق جميعاً ، وأكثرهم المشركون ، أو ذكر الأكثر وهو يريد الكل ، أو المراد أكثر المشركين ؛ لأن فيهم من يعلم ولا يعمل بموجب العلم »^٨ .

الترجيح :

في ضوء ما سبق يظهر أن الراجح - والله تعالى أعلم بالصواب - القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد نفي العلم عن أكثر الناس ؛ وذلك لما يلي :

١ - أن ظاهر الآية يدل على هذا المعنى ، والاستدلال بظاهر السياق على المعنى الراجح من القواعد المهمة عند المفسرين^٩ .

٢ - أن هناك من ظهر له الحق ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٣] ، وقوله تعالى ﴿ وَجحدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل : ١٤] .

٣ - أن أكثر الخلق هم المشركون ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يوسف : ١٠٣] .



^١ - ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٣٢) .
^٢ - ينظر : الوسيط : (٣ / ٧٥) ، والوجيز : (١ / ٦١٤) .
^٣ - ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٣٣) .
^٤ - ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤٨) .
^٥ - ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٧) .
^٦ - ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٩٠) .
^٧ - ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٧) .
^٨ - فتح القدير : (٣ / ١٨١) .
^٩ - ينظر : قواعد التفسير : (١ / ٢٤٩) ، وقواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

قال الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٧٦] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٩٥ / ٨٣ _ المسألة الأولى : من المراد في المثل :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد في المثل قصة رجلين من غير تعيين ؛ حيث قال : « وكما قلنا في المثل السابق لا يحتاج إلى تعيين المضروب بما المثل ، فكذلك هنا ، فتعيين الأبكم بأبي جهل ، والأمر بالعدل : بعمار^١ ، أو بأبي بن خلف ، وعثمان بن مظعون ... لا يصح إسناده »^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في الذي له المثل على أقوال :

القول الأول : أن المراد في المثل قصة رجلين من غير تعيين ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً لترجيح الرازي^٣ ، ووافقهما ابن جزى^٤ .

القول الثاني : أنها نزلت في عثمان بن عفان _ رضي الله عنه _ ومولى له ، فلأبكم الذي أينما يوجه لا يأتي بخير، ذاك مولى عثمان بن عفان ، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المتونة ، وكان الآخر يكره الإسـلام ويأباه ويهناه عن الصدقة والمعروف ، وهو مروى عن ابن عباس^٥ _ رضي الله عنهما _ ، ورجحه النحاس^٦ .

وضعف الرازي هذا القول فقال : « لأن المقصود إبانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة ، وذلك غير مختص بشخص معين ، بل أيما حصل التفاوت في الصفات المذكورة حصل المقصود ، والله أعلم »^٧ .

القول الثالث : يعني بالأبكم أبي بن خلف ، وكان كلاً على قومه ؛ لأنه كان يؤذيه ، ومن يأمر بالعدل حمزة بن عبد المطلب^١ ، وهو قول الواحدي^٢ .

^١ _ عمار هو : ابن ياسر بن عامر العنسي ، أبو اليقظان ، مولى بني مخزوم ، كان من السابقين الأولين ، قتل يوم صفين ، سنة سبع وثمانين . ينظر : التاريخ الكبير : (٧ / ٢٥) ، والإصابة : (٤ / ٥٧٥) .

^٢ _ البحر المحيط : (٥ / ٥٠٣ _ ٥٠٤) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٦٢) .

^٣ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٨٩) .

^٤ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٩١) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٦٤) .

^٦ _ معاني القرآن : (٤ / ٩٤) .

^٧ _ التفسير الكبير : (٢٠ / ٨٩) .

الترجيح :

- بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو أن المراد في المثل قصة رجلين من غير تعيين ؛ وذلك لما يلي :
- ١ _ أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٣ .
 - ٢ _ أن ما ورد في تخصيص الرجلين لا يصح إسناده ، كما بينه أبو حيان .



^١ _ حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الهاشمي ، أسد الله ، عم رسول الله ﷺ _ ، وأخوه من الرضاعة ، قتل في غزوة أحد . ينظر : سير أعلام النبلاء : (١ / ١٧١ _ ١٨٤) ، والإصابة : (٢ / ١٢١ _ ١٢٣) .

^٢ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦١٤) .

^٣ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

١٩٦ / ٨٤ _ المسألة الثانية : لمن المثل في قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أنه مثل ضربه الله لنفسه والأصنام ، وأن الجماد لا يكون مساوياً لرب العالمين في العبودية ؛ حيث قال : «﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ أي قصة رجلين ... ولما كان البكم هو المبدأ به من الأوصاف ، وعنه تكون الأوصاف التي بعده قابلة في الاستواء بالنطق ، وثمرته من الأمر بالعدل غيره ، وهو في نفسه على طريقة مستقيمة ، فحيثما توجه صدر منه الخبر ونفع ، وليس بكالّ على أحد ، وقد تقرر في بداية العقول أن الأبكم العاجز لا يكون مساوياً في العقل والشرف للناطق القادر الكامل مع استوائهما في البشرية ، فلأن يحكم بأن الجماد لا يكون مساوياً لرب العالمين في العبودية أخرى وأولى»^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في الذي له المثل على أقوال :

القول الأول : أنه مثل ضربه الله لنفسه ولما يفرض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدينية والأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً للمروي عن مجاهد^٢ ، وقتادة^٣ ، والسدي^٤ ، وقول الفراء^٥ ، والطبري^٦ ، والزجاج^٧ ، والنحاس^٨ ، وابن زمين^٩ ، والثعلبي^{١٠} ،

^١ _ البحر المحيط : (٥٠٣ / ٥ _ ٥٠٤) ، وينظر : النهر الماد : (٢٦٢ / ٢) .

^٢ _ ينظر : جامع البيان : (٢٦٣ / ١٧) ، و الدر المنثور : (١٥١ / ٥)

فائدة : أخرجه الطبري من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج عنه ، وإسناد ابن جريج حسن لغيره ؛ لمتابعة ابن أبي نجيح له . ينظر : ابن جريج مروياته وأقواله في التفسير : (٤ / ١٢٦٤) .

^٣ _ ينظر : تفسير الصنعاني : (٣٥٩ / ٢) .

^٤ _ ينظر : تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم : (٢٢٩٣ / ٧) ، و الدر المنثور : (١٥٢ / ٥) .

^٥ _ ينظر : معاني القرآن : (١١١ / ٢) .

^٦ _ ينظر : جامع البيان : (٢٦٣ / ١٧) .

^٧ _ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : (٢١٤ / ٣) .

^٨ _ ينظر : إعراب القرآن : (٤٠٤ / ٢) .

^٩ _ ينظر : تفسير ابن زمين : (٤١٢ / ٢) .

^{١٠} _ ينظر : الكشف والبيان : (٣٢ / ٦) .

والسمعاني^١، والبغوي^٢، والزمخشري^٣، وابن عطية^٤، والقرطبي^٥، والخازن^٦، والنسفي^٧،
ووافقهم ابن جزى^٨، وابن القيم^٩، والثعالبي^{١٠}، وابن عادل^{١١}، والبقاعي^{١٢}، والطاهر ابن
عاشور^{١٣}، والسعدي^{١٤}، والمراغي^{١٥}.

القول الثاني: أنه مثل للكافر، وهو الأبكم، و المؤمن وهو الذي يأمر بالعدل، وهو قول ابن
عباس^{١٦}، والواحدى^{١٧}، والسيوطي^{١٨}.

قال القونوي _ رحمه الله _ : « وهو ضعيف كما عرفته من عدم ملائمته لما قبله بلا تحمل »^{١٩}.
وجمع بين القولين البيضاوي^{٢٠}.

الترجيح :

- ١ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٩٠) .
- ٢ _ ينظر : معالم التنزيل : (٥ / ٣٣) .
- ٣ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٥٧) .
- ٤ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤١١) .
- ٥ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٤٩) .
- ٦ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٧) .
- ٧ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩٤) .
- ٨ _ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : (٢ / ٢٩٠) .
- ٩ _ ينظر : التفسير القيم : (٣٣٩) .
- ١٠ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣٦) .
- ١١ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ١٢٤) .
- ١٢ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٨٥) .
- ١٣ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢٢٧) .
- ١٤ _ ينظر : تيسير الكريم الرحمن : (١ / ٩٣٨) .
- ١٥ _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١١٣) .
- ١٦ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٦١) ، والدر المشور : (٥ / ١٥١)
- ١٧ _ ينظر : الوسيط : (٣ / ٧٥) .
- ١٨ _ ينظر : تفسير الجلالين : (٢٢٧) .
- ١٩ _ ينظر : حاشية القونوي : (١١ / ٣٤٢) .
- ٢٠ _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤١٢) .

بالنظر فيما سبق يتضح أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ ومن معه ، وهو أنه مثل ضربه الله لنفسه وللأص _ نام التـي هـ _ ي أموات لا تضر ولا تنفع؛ ويؤيد ذلك أنه المناسب لسياق الآيات ، فالآيات تتحدث عن استحقاق الله تعالى للعبودية ، وبطلان عبادة ما عبد من دون الله عزوجل ، ومما عبد من دونه : الأصنام ، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما^١ .



^١ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ١٢٥) .

قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٧٧] .
١٩٧ / ٨٥ _ المراد بالغيب .

رجح أبو حيان _ رحمه الله تعالى _ أن الغيب : ما لا يدرك بالحس ولا يفهم بالعقل ؛ حيث قال : « والغيب هنا : ما لا يدرك بالحس ، ولا يفهم بالعقل »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالغيب على قولين :

القول الأول : العموم في كل ما لا يدرك بالحس ولا يفهم بالعقل ، وهو ما رجحه أبو حيان ، ووافقه أبو السعود^٢ ، والألوسي^٣ .

قال الألوسي _ رحمه الله _ : « ولا يخفى أن القول بالعموم أولى »^٤ .

القول الثاني : التخصص ، ثم اختلفوا في هذا المخصص على أقوال :

١ _ علم ما غاب عن العباد في السموات والأرض ، وهو قول الطبري^٥ ، والنحاس^٦ ، والسمرقندي^٧ ، والواحدي^٨ ، والزمخشري^٩ ، وابن الجوزي^{١٠} ، والبيضاوي^{١١} ، ووافقهم السيوطي^{١٢} ، والطاهر بن عاشور^{١٣} ، والمراعي^{١٤} .

قال القونوي _ رحمه الله _ : « قال في سورة البقرة _ أي : البيضاوي _ : « والمراد بالغيب : الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهته العقل ، وهو أحسن مما ذكره هنا إلا أن يقال : إن ما

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٥٠٤) .

^٢ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٣١) .

^٣ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ١٩٨) .

^٤ _ روح المعاني : (١٤ / ١٩٨) .

^٥ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٦٤) .

^٦ _ ينظر : معاني القرآن : (٤ / ٩٥) .

^٧ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٨٤) .

^٨ _ ينظر : الوجيز : (١ / ٦١٤) .

^٩ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٥٧) .

^{١٠} _ ينظر : زاد المسير : (٣ / ٣٩٥) .

^{١١} _ ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : (٣ / ٤١٢) .

^{١٢} _ ينظر : تفسير الجلالين : (١٢٨) .

^{١٣} _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢٢٩) .

^{١٤} _ ينظر : تفسير المراعي : (١٤ / ١١٧) .

ذكر في سورة البقرة مطلق الغيب الشامل له تعالى وصفاته وأحوال الآخرة كما صرح به هناك ،
وهنا الغيب المخصوص بالسموات والأرض»^١ .

٢ _ أنه أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض
لم يطلع عليه أحد منهم ، وهو قول الزمخشري^٢ .

قال القونوي _ رحمه الله _ : « مرضه _ أي : البيضاوي _ ؛ لأنه يحتاج إلى تقدير الأهل مع
ظهور الوجه الغير محتاج إليه مع عموم الأول إلى أمور كثيرة كالمغيبات الخمسة وغيرها »^٣ .
وجمع النسفي^٤ ، والشوكاني^٥ _ رحمه الله _ بين هذين القولين .

٣ _ هو ما في قول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
[سورة لقمان : ٣٤]^٦ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يتبين أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو القول
بالعموم ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه .

قال الراجب _ رحمه الله _ : « الغيب : مصدر غابت الشمس وغيرها : إذا استترت عن العين
يقال : غاب عني كذا . قال تعالى ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [سورة النمل : ٢٠] واستعمل
في كل غائب عن الحاسة ، وعمما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب قال ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة النمل : ٧٥] ويقال للشيء : غيب وغائب
باعتباره بالناس لا بالله تعالى فإنه لا يغيب عنه شيء كما لا يحزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا
في الأرض »^٧ .

أما ما ذكر من الأقوال الأخرى فهي من باب اختلاف التنوع ، أو ما يسمى باختلاف التمثيل^٨ .

^١ _ حاشية القونوي : (١١ / ٣٤٢ - ٣٤٣) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٥٧) .

^٣ _ حاشية القونوي : (١١ / ٣٤٣) .

^٤ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩٤) .

^٥ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٨٢) .

^٦ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٥٠٤) .

^٧ _ مفردات ألفاظ القرآن : (٦١٦) .

^٨ _ ينظر : التفسير اللغوي : (٢٢٢) .

قال ابن عطية _ رحمه الله _ عن تفسير قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [سورة البقرة : ٣] : « واختلفت عبارة المفسرين في تمثيل ذلك ، فقالت فرقة : الغيب في هذه الآية هو الله عز وجل ، وقال آخرون : القضاء والقدر ، وقال آخرون : القرآن وما فيه من الغيوب ، وقال آخرون : الحشر والصراط والميزان والجنة والنار .
قال القاضي أبو محمد : وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها ، والغيب في اللغة : ما غاب عنك من أمر ، ومن مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله »^١ .



^١ _ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (١ / ٨٤) .

قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٧٨] .

١٩٨ / ٨٦ _ المراد بـ ﴿ شَيْئًا ﴾ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد عموم لفظ شيء في قوله تعالى ﴿ شَيْئًا ﴾ ؛ حيث قال : « و ﴿ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ جملة حالية أي غير عالين ، ... والأولى عموم لفظ شيء ولا سيما في سياق النفي »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ شَيْئًا ﴾ على قولين :

القول الأول : عموم لفظ شيء ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول السمرقندي^٢ ، ووافقهما الألويسي^٣ ، والبقاعي^٤ ، وأبو السعود^٥ ، والقونوي^٦ ، والشوكاني^٧ .

واستدل لهذا القول بأن ﴿ شَيْئًا ﴾ جاءت في سياق النفي فهي تفيد العموم^٨ .

قال الشوكاني _ رحمه الله _ : « والأولى التعميم ؛ لتشمل الآية هذه الأمور وغيرها اعتباراً بعموم اللفظ ، فإن ﴿ شَيْئًا ﴾ نكرة واقعة في سياق النفي »^٩ .

القول الثاني : التخصص ، ثم اختلفوا في هذا المخصص على أقوال :

١ _ ﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم^{١٠} .

٢ _ ﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ مما قضى عليكم من السعادة أو الشقاوة^{١١} .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٥٠٦) .

^٢ _ ينظر : بحر العلوم : (٢ / ٢٨٤) .

^٣ _ روح المعاني : (١٤ / ٢٠٠) .

^٤ _ ينظر : نظم الدرر : (٤ / ٤٨٨) .

^٥ _ ينظر : إرشاد العقل السليم : (٥ / ١٣١) .

^٦ _ ينظر : حاشية القونوي : (١١ / ٣٤٣) .

^٧ _ ينظر : فتح القدير : (٣ / ١٨٢) .

^٨ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٥٠٦) .

^٩ _ فتح القدير : (٣ / ١٨٢) .

^{١٠} _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٥٠٦) .

^{١١} _ ينظر : المرجع السابق : (٥ / ٥٠٦) .

٣ _ ﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ من منافعكم^١ .

٤ _ غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في البطون ، وسوآكم وصوركم ، ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة ، وهو قول الزمخشري^٢ ، و النسفي^٣ .

٥ _ يعني لا تعلمون شيئاً مما علمتم الآن ، وهو قول السمعاني^٤ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان ومن معه ، وهو القول بالعموم ؛ ويؤيده أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٥ .

قال القونوي _ رحمه الله _ : « التعميم أبلغ ، أي : لا تعلمون شيئاً من الأشياء فضلاً عن حق المنعم »^٦ .

وقال الألويسي _ رحمه الله تعالى _ : « والظاهر العموم ، ولا داعي إلى التخصيص »^٧ .

أما ما ذكر من الأقوال الأخرى فاختلاف المفسرين فيها اختلاف في ذكر الأنواع ، فهي من باب التمثيل على جزء مما كانوا لا يعلمونه ، فهي من باب اختلاف التنوع ، أو ما يسمى باختلاف التمثيل^٨ .



^١ _ ينظر : البحر المحيط : (٥ / ٥٠٦) .

^٢ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٥٨) .

^٣ _ ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : (١ / ٢٩٥) .

^٤ _ ينظر : تفسير السمعاني : (٣ / ١٩١) .

^٥ _ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : (٢ / ٥٢٧) .

^٦ _ حاشية القونوي : (١١ / ٣٤٣) .

^٧ _ روح المعاني : (١٤ / ٢٠٠) .

^٨ _ ينظر : التفسير اللغوي : (٢٢٢) .

قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٧٩] .

في الآية الكريمة مسألتان :

١٩٩ / ٨٧ _ المسألة الأولى : المراد بالجو :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن الجو : مسافة ما بين السماء والأرض ؛ حيث قال : « الجو مسافة ما بين السماء والأرض »^١ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في المراد بالجو :

القول الأول : أن الجو : مسافة ما بين السماء والأرض ، وهو ما رجحه أبو حيان موافقاً قول الثعلبي^٢ ، وابن عطية^٣ ، والقرطبي^٤ ، والخازن^٥ ، ووافقهم الثعالبي^٦ ، وابن عادل^٧ ، والسيوطي^٨ ، والطاهر ابن عاشور^٩ ، والمراغي^{١٠} .
واستدل لهذا القول بقول الشاعر^{١١} :

فَلَسْتُ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكٍ ... تَتَرَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^{١٢}

قال الألويسي _ رحمه الله _ : « وقيل : الجو مسافة ما بين السماء والأرض ، والجوة لغة : فيه وإضافته إلى السماء ؛ لما أنه في جانبها من الناظر ؛ وإظهار كمال القدرة »^{١٣} .
وقريب منه قول من قال : في هواء السماء بينها وبين الأرض ، وهو قول الطبري^١ .

^١ _ البحر المحيط : (٥ / ٥٠٢) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٦٣) .

^٢ _ ينظر : الكشف والبيان : (٦ / ٣٣) .

^٣ _ ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : (٣ / ٤١١) .

^٤ _ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : (١٠ / ١٥٢) .

^٥ _ ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل : (٣ / ١٢٨) .

^٦ _ ينظر : الجواهر الحسان : (٢ / ٢٣٧) .

^٧ _ ينظر : اللباب : (١٢ / ١٣٠) .

^٨ _ ينظر : تفسير الجلالين : (١٢٨) .

^٩ _ ينظر : التحرير والتنوير : (١٤ / ٢٣٤) .

^{١٠} _ ينظر : تفسير المراغي : (١٤ / ١١٩) .

^{١١} _ هو علقمة بن عبدة . ينظر : القولفي : (١ / ٨) ، والمفضليات : (١ / ٧٢) .

^{١٢} _ ينظر : اللباب : (١٢ / ١٣٠) .

^{١٣} _ روح المعاني : (١٤ / ٢٠٣) .

^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٦٦) .

واستدل لهذا القول بما قال الشاعر^١:

وَيْلٌ أُمَّهَا مِنْ هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً... وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبٌ^٢

يعني: في هواء السماء^٣.

وقريب منه أيضاً قول من قال: الهواء بين الخافقين، وهو قول البقاعي^٤.

القول الثاني: أنه الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو، والسكاك^٥ أبعد منه، وهو قول الزجاج^٦، والنحاس^٧، والبغوي^٨، والزخشري^٩، والبيضاوي^{١٠}، والنسفي^{١١}، وابن جزري^{١٢}، وأبو السعود^{١٣}، والشوكاني^{١٤}، والألوسي^{١٥}.

قال الألوسي - رحمه الله - : « ﴿ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ أي: في الهواء المتباعد من الأرض ، والروح والسكاك أبعد منه »^{١٦}.

القول الثالث: جوف السماء، وهو قول السدي^١.

^١ - هو: امرؤ القيس. ينظر: العمدة في محاسن الشعر: (١ / ٢٨)، وخزانة الأدب: (١ / ٤٩٢).

^٢ - والجو: ما بين السماء والأرض، وأراد بالمطلوب الذئب، لأنه وصف عقاباً تبعته ذئباً لتصيده، فتعجب منها في شدة طلبها، وتعجب من الذئب أيضاً في سرعته وشدة هربه منها. ينظر: جامع البيان: (١٧ / ٢٦٦) ، حاشية: (١).

^٣ - ينظر: جامع البيان: (١٧ / ٢٦٦).

^٤ - ينظر: نظم الدرر: (٤ / ٤٨٩).

^٥ - السكاك: الهواء الذي يلاقي أعنان السماء. ينظر: الصحاح: (١ / ٣٢٣).

^٦ - ينظر: معاني القرآن: (٣ / ٢١٤).

^٧ - ينظر: معاني القرآن: (٤ / ٩٥).

^٨ - ينظر: معالم التنزيل: (٥ / ٣٥).

^٩ - ينظر: الكشاف: (٣ / ٤٥٨ - ٤٥٩).

^{١٠} - ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٣ / ٤١٣).

^{١١} - ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: (١ / ٢٩٥).

^{١٢} - ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢ / ٢٩١).

^{١٣} - ينظر: إرشاد العقل السليم: (٥ / ١٣٢).

^{١٤} - ينظر: فتح القدير: (٣ / ١٨٣).

^{١٥} - ينظر: روح المعاني: (١٤ / ٢٠٣).

^{١٦} - المرجع السابق: (١٤ / ٢٠٣).

قال الألويسي _ رحمه الله _ : «وعن السدي تفسير الجو : بالجوف ، وفسرت السماء على هذا :
بجهة العلو ، والطير قد يطير في هذه الجهة حتى يغيب عن النظر ، ولم يعلم منتهى ارتفاعه في الطيران
إلا الله تعالى»^٢ .

وهو قريب من قول من قال : كبد السماء ، وهو قول قتادة^٣ ، وابن زنين^٤ .

الترجيح :

بالنظر فيما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ أنه لا خلاف جوهرى بين
الأقوال في بيان معنى الآية ، فكل كلامهم يصب في معنى واحد ؛ فيصح إذاً حمل الآية على ما ذكره
من أقوال ؛ وذلك لأن الاختلاف في اللفظ دون المعنى ، فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية^٥ .



^١ _ ينظر : روح المعاني : (١٤ / ٢٠٣) .

^٢ _ روح المعاني : (١٤ / ٢٠٣) .

^٣ _ ينظر : تاج العروس : (٣٧ / ٣٨١) .

^٤ _ ينظر : تفسير ابن زنين : (٢ / ٤١٢) .

^٥ _ ينظر : أصول في التفسير ، لابن عثيمين : (٣٠ - ٣١) .

٢٠٠ / ٨٨ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾

الله ﷻ :

رجح أبو حيان _ رحمه الله _ أن المراد بـ ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أن الممسك للطائر في الجو هو الله تعالى ، لا أنه يستطيع البقاء في الجو بسبب جناحه أو لطف الجو وغير ذلك من الأسباب ؛ حيث قال : « ومعنى مسخرات : مذلات ، وبني للمفعول دلالة على أن له مسخراً ، وقال أبو عبد الله الرازي _ رحمه الله _ : هذا دليل على كمال قدرة الله وحكمته ، فإنه تعالى خلق الطائر مخلقة معها يمكنه الطيران أعطاه جناحاً ييسطه مرة ويكنه أخرى ، مثل ما يعمل السابح في الماء ، وخلق الجو مخلقة معها يمكن الطيران ، خلقه مخلقة لطيفة يسهل بسببها خرقه والنفوذ فيه ، ولولا ذلك لما كان الطيران ممكناً انتهى^١ والذي نقوله إنه كان يمكنه أن يطير ولو لم يخلق له جناح ، وأنه كان يمكنه خرق الشيء الكثيف ، وذلك بقدرة الله تعالى ، وأن الممسك له في جو السماء هو الله تعالى ، وقد قام الدليل على أن جميع الأفعال كلها مخلوقة لله ، وقام الدليل على أنه تعالى هو الفاعل المختار ، فلا نقول : إنه لولا الجناح ولطف الجو ما أمكن الطيران ، ولا لولا الآلات ما أمكن^٢ .

الدراسة والموازنة :

اختلف المفسرون في قوله تعالى المراد بـ ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ على أقوال :

القول الأول : أن الطائر كان يمكنه أن يطير ولو لم يخلق له جناح ، وأنه كان يمكنه خرق الشيء الكثيف ، وذلك بقدرة الله تعالى ، وأن الممسك له في جو السماء هو الله تعالى ، وهو ما رجحه أبو حيان .

^١ _ قال الرازي : ((هذا دليل آخر على كمال قدرة الله تعالى وحكمته ، فإنه لولا أنه تعالى خلق الطير مخلقة معها يمكنه الطيران ، وخلق الجو مخلقة معها يمكن الطيران فيه ؛ لما أمكن ذلك ، فإنه تعالى أعطى الطير جناحاً ييسطه مرة ويكسره أخرى ، مثل ما يعمل السابح في الماء ، وخلق الهواء مخلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفوذ فيه ، ولولا ذلك لما كان الطيران ممكناً . وأما قوله تعالى : ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فالمعنى : أن جسده الطير جسم ثقيل ، والجسم الثقيل يمتنع بقاؤه في الجو معلقاً من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه ، فوجب أن يكون الممسك له في ذلك الجو هو الله تعالى)) . التفسير الكبير : (٢٠ / ٩٣) .

^٢ _ تفسير البحر المحيط : (٥ / ٥٠٦) ، وينظر : النهر الماد : (٢ / ٢٦٣) .

القول الثاني: أن الله تعالى هو الذي أعطى الآلات الطائر؛ لأجلها تمكن الطائر من الطيران ، ولولا ذلك لما كان الطيران ممكناً ، وهو قول الطبري^١ ، والرازي^٢ ، والزمخشري^٣ .

وهو معنى قول الطبري حيث قال : « ما طيراتها في الجوّ إلا بالله وتَسْخِيرِهِ إياها بذلك ، ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعاً »^٤ .

وتعقب هذا القول أبو حيان فقال : « والذي نقوله إنه كان يمكنه أن يطير ولو لم يخلق له جناح ، وأنه كان يمكنه خرق الشيء الكثيف ، وذلك بقدرته الله تعالى ، وأن المسك له في جو السماء هو الله تعالى ، وقد قام الدليل على أن جميع الأفعال كلها مخلوقة لله ، وقام الدليل على أنه تعالى هو الفاعل المختار ، فلا نقول : إنه لولا الجناح ولطف الجـو ما أمكن الطيران ، ولا لولا الآلات ما أمكن »^٥ .

وقال الألويسي معلقاً على قول أبي حيان : « وأنا لا أظن أن أحداً ينفي الإمكان الذاتي للطيران بدون الجناح مثلاً ، لكن لا يبعد نفيه بدون لطف المطار ، والكثيف متى خرق كان المطار لطيفاً فافهم »^٦ .

الترجيح:

مما سبق يظهر أن الراجح _ والله تعالى أعلم بالصواب _ القول الأول ، وهو ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ ؛ لأنه أبلغ في بيان قدرة الله تعالى العظيمة .



^١ _ ينظر : جامع البيان : (١٧ / ٢٦٦) .

^٢ _ ينظر : التفسير الكبير : (٢٠ / ٩٣) .

^٣ _ ينظر : الكشاف : (٣ / ٤٥٩) .

^٤ _ جامع البيان : (١٧ / ٢٦٦) .

^٥ _ البحر المحيط : (٥ / ٥٠٦) .

^٦ _ روح المعاني : (١٤ / ٢٠٣) .

الخلاصة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن سار على هداه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد من الله المنان سبحانه وتعالى علي بإتمام هذا البحث المتواضع ، والذي أدعو الله ﷻ أن ينفعني به ، وينفع به ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأسأله تعالى أن يغفر لي ما كان فيه من زلل أو خطأ ، وجزى الله خيراً كل من أعانني على إنجازهِ ، وكل من قدم توجيهاته وملاحظاته لتقويمه وتصويبه .

وقد خرجت من هذا البحث بالنتائج التالية :

- ١ _ مكانة الإمام أبي حيان _ رحمه الله تعالى _ العلمية ، وبراعته في علوم شتى ، فهو مقرأ ، مفسر ، لغوي ، نحوي .
- ٢ _ جودة طريقته في تلقيه للعلم ، وعظيم اجتهاده في ذلك ، وسعة صبره وتحمله .
- ٣ _ ثناء العلماء عليه ، وتقديرهم له ببيان جهوده ، وسعة علمه واطلاعه ، وإمامته .
- ٤ _ كثرة مؤلفاته وإقبال العلماء والطلاب على دراستها والاستفادة منها ، وخاصة تفسيره البحر المحيط ؛ حيث اهتم العلماء به اهتماماً كبيراً ، وظهر مدى استفادتهم منه ، وكما ظهرت دراسات مستفيضة في دراسته من نواح شتى .
- ٥ _ تواضعه وقربه من تلامذته مع حسن النصح والتربية لهم .
- ٦ _ من خلال دراستي لتفسير أبي حيان _ رحمه الله تبين لي عدة مزايا منها :
 - (أ) التزامه _ رحمه الله _ بمنهجه الذي بينه في مقدمة تفسيره في الغالب منه ، وهو منهج علمي يدل على جلاله أبي حيان ، وعظيم علمه ، وتمكنه في البيان والتأليف .
 - (ب) سعة اطلاعه في العلوم الشرعية ، ويظهر ذلك واضحاً في تفسيره من خلال عرضه لأقوال المفسرين ، والفقهاء ، ومناقشته للأقوال .
 - (ج) اهتمامه البالغ بالقراءات ببيائها ، وتوجيهها ، وذكر المتواتر والشاذ منها .
 - (د) دقته الفائقة في كثير من الأحيان في بيان المناسبات بين السور والآيات بعضها ببعض .
 - (هـ) تحريه الصحة فيما يذكره من الأحاديث في كثير من المواضع في تفسيره .
 - (و) عنايته الفائقة بعلوم العربية ، ويتضح ذلك في تفسيره من بيان للمعاني اللغوية ، ووجوه الإعراب ، والأسرار البلاغية وغير ذلك .

(ز) قوة ترجيحات أبي حيان _ رحمه الله _ في تفسيره ؛ حيث إنها مبنية على قواعد وأسس علمية متينة ورصينة .

٧ _ أن هذه الدراسة تبين في الطالب أهمية التحري والدقة في النظر في الأقوال ، وبيان الراجح منها على الأدلة ، والاتباع للصحيح دون التحيز لقول دون آخر .

٨ _ بلغ عدد ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من سورة آية : (١٠) وحتى سورة النحل آية : (٧٩) ٢٠٣ ترجيحاً ، تبين لي من خلالها ما يلي :

(أ) أن أبا حيان _ رحمه الله _ لم يكن مقلداً في ترجيحاته ، بل كان مجتهداً يبحث في الأدلة ، ويوضحها ، ويبين عليها ترجيحاته في الغالب .

(ب) كان _ رحمه الله _ يرد ، ويبين ضعف الأقوال التي لم يرجحها في كثير من المواطن .

(ج) تبين لي من خلال البحث موافقة أبي حيان لأقوال كثير من كبار المفسرين ، ومخالفته لهم في البعض الآخر ، وهذا جدول في بيان شيء من ذلك :

الرقم	المفسر	وافقه	خالفه
١	الفراء .	١٩	١٤
٢	الطبري .	٦٧	٥٢
٣	الزجاج .	٣٠	٣٢
٤	النحاس .	١٦	١٨
٥	الواحدي .	٦٣	٦٦
٦	الزمخشري .	٧٥	٥٦
٧	ابن عطية .	٧٠	٣٣
٨	الفخر الرازي .	٤٦	٢٣
٩	القرطبي .	٦٢	٣٤

(د) وافقه في ترجيحاته عدد من المتأخرين عنه ، وخالفوه في ترجيحات أخرى ، وهذا جدول يوضح بعض ذلك :

الرقم	المفسر	وافقه	خالفه
١	السمين الحلبي .	٣١	١٤
٢	ابن جزري .	٦٦	٢٨
٣	ابن كثير .	٤٤	٢٥
٤	ابن عادل .	٤٨	٢٢

٢٢	٩١	أبو السعود .	٥
٤١	٧٠	الشوكاني .	٦
٣٨	٧٨	الألوسي .	٧
٣٦	٦١	ابن عاشور	٨

(هـ) انفراد أبو حيان عن غيره في بعض الترجيحات ، وكذلك لم يتابعه أحد ممن أتى بعده فيها .
(و) من خلال دراستي في هذا البحث ترجح عندي ما رجحه أبو حيان _ رحمه الله _ في بعض المسائل ، وترجح عندي قول غيره في مواطن أخرى ، وجمعت بين الأقوال في بعض منها ، وهذا جدول في بيان ذلك :

الرقم	الترجيح	عدد المسائل
١	ما قوي فيها ترجيح أبي حيان .	١٠٥
٢	ما قوي فيها ترجيح غيره .	٣٥
٣	ما جمعت فيها بين الأقوال .	٦٣

وبعد : فهذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث والدراسة .
وفي الختام أحمد الله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، كما أحمدته على توفيقه لإنجاز هذا البحث ، راجية الثواب منه عز وجل ، فما كان فيه من صواب فمن الله الكريم سبحانه وتعالى وتوفيقه ، وما كان فيه من خطأ وزلل وقصور فمن نفسي والشيطان ، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه .
هذا ، والله أعلم ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الفهارس العامة

- ١ _ فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ _ فهرس القراءات .
- ٣ _ فهرس الأحاديث النبوية .
- ٤ _ فهرس الآثار .
- ٥ _ فهرس الأعلام .
- ٦ _ فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة .
- ٧ _ فهرس الفرق والقبائل .
- ٨ _ فهرس الأماكن والبلدان .
- ٩ _ فهرس الشواهد الشعرية .
- ١٠ _ فهرس المصادر والمراجع .
- ١١ _ فهرس الموضوعات .

١_ فهرس الآيات القرآنية

(سورة الفاتحة)

الرقم	طرف الآية	مرقمها	الصحيفة
١	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .	٦ - ٧	٥٤١

(سورة البقرة)

٢	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ .	٣	٧٦٨
٣	﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ .	١٩	١٦٤ ، ١٢٥
٤	﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ .	٢٧	١٤٠
٥	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	١٥٠
٦	﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .	٧١	٦٧
٧	﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ... ﴾ .	٧٤	١٨٢
٨	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾	٨٩	٥٩٣ ، ٥٩١
٩	﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ... ﴾ .	١١٥	٢٠٥
١٠	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ﴾ .	٢٢١	١١٨
١١	﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .	١٢٥	٧١٢
١٢	﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ ﴾ .	١٦٥	٢٣٢
١٣	﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .	١٦٩	٩٠
١٤	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ .	٢١٥	٩٨
١٥	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ... ﴾ .	٢١٩	٧٠٧

١١٨	٢٢٨	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾	١٧
٤٤٦	٢٥٩	﴿ يَتَسَنَّهٗ ﴾ .	١٨
١١٨	٢٨٢	﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ .	١٩
٣٥١	٢٨٣	﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ .	٢٠
٢٠٠	٢٨٥	﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ .	٢١

(سورة آل عمران)

٢٤٥	١٢	﴿ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَّيِّنَةٌ ﴾ .	٢٢
٦١٥	٣٨	﴿ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾	٢٣
٤٦٠ ، ١١٧	٥٩	﴿ إِنِّ مَثَلٌ مِّثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آءَاءِ مَخْلُوقِهِ مِّن تُرَابٍ ﴾ .	٢٤
٦٦٦	٨٣	﴿ أَفَعَيِّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ ﴾ .	٢٥
٣٢٤	٩٦	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُوَ أَوْلَىٰ لِلنَّاسِ فِي حَقِّهِ مِنَ الْبَيْتِ الْمَكِّيِّ الَّذِي يُبْعَثُونَ ... ﴾ .	٢٦
٣٢٥	٩٧	﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .	٢٧
٦	١٠٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ... ﴾ .	٢٨
٢٨٧	١١٩	﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعِظِ ﴾ .	٢٩
٢٧٨	١٤٠	﴿ إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ ... ﴾ .	٣٠
٦٠٨ ، ٦٠٤	١٤٨	﴿ فَعَاتِلُهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾	٣١
٦١١ ، ٦١٠	١٩٢	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾	٣٢

(سورة النساء)

٦	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ ... ﴾ .	٣٣
٧٠٨	٤٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ ... ﴾	٣٤

		سُكَّرَىٰ ﴿٤٠﴾ .	
٥٢٥	٦٩	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ .	٣٥
١١٥ ، ٦	٨٢	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِّءَانَ ﴾ .	٣٦
٦٢٨	٨٩	﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ .	٣٧
٦١٩	٩٠	﴿ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْتَلُوكُمْ ﴾ .	٣٨
٦١٩	٩١	﴿ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ ﴾ .	٣٩
١٤١	٩٢	﴿ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ ﴾ .	٤٠
٦١٩	٩٤	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ .. ﴾ .	٤١
٦٢٨	١٠٠	﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ ﴾	٤٢
٦٤٢	١٠٥	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾	٤٣
٣٥١	١٣٦	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴿ .	٤٤
٥٩٨	١٤٥	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .	٤٦
٥٤٠	١٦٥	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ .	٤٧

(سورة المائدة)

١١٨	٥	﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ .	٤٨
٦١٣	٣٣	﴿ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ .	٤٩
٧٠٨	٩٠ - ٩١	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ ... فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ .	٥٠

(سورة الأنعام)

٣٥١	١٤	﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .	٥١
-----	----	-------------------------------------------------	----

٦٥٩	١٨	﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ ﴾	٥٢
٣٨٣	١٩	﴿ وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾	٥٣
٥٩١	٢٣	﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	٥٤
٥٩١	٢٤	﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ ﴾	٥٥
٢٣٢	٢٧	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ ۚ . ﴾	٥٦
٧٦٠	٣٣	﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ .	٥٧
٥٤٦	٣٥	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ... ﴾ .	٥٨
٢٠٩	٥٢	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ . ﴾	٦٠
٣٩٤	٧٠	﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً .. وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ﴾ .	٦١
٢٠٦	٧٩	﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ . ﴾	٦٢
٤٧٩	٩٢	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ .	٦٣
٥٦٨	١٠٧	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ . ﴾	٦٤
١١٢	١٢٢	﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ۗ . ﴾	٦٥
٥٥٢	١٣٦	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ۗ . ﴾	٦٦
٥٣٨	١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ .	٦٧
٦٨٨ ، ٥٨٠	١٦٤	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ . ﴾	٦٨

(سورة الأعراف)

الرقم	طرف الآية	مرقمها	الصحيفة
٦٩	﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ... ﴾ .	٦	١١٧
٧٠	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ... ﴾ .	٥٧	٤٣٦
٧١	﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ... ﴾ .	٨٩	٢٩٢
٧٢	﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ .	١٢٧	٦٥٩
٧٣	﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ... ﴾ . ﴿ أَلرَّسُولَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ... ﴾ .	١٥٦ - ١٥٧	٢٧٤
٧٤	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ... ﴾ .	١٧٢	١٩٦
٧٥	﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّهْمُ أَضَلُّ ﴾ .	١٧٩	٦٨٨
٧٦	﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا... ﴾ .	١٩٥	٦٧٣

(سورة الأنفال)

الرقم	طرف الآية	مرقمها	الصحيفة
٧٧	﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنْتَهُوا فهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .	١٩	٢٩١ ، ٢٩٣
٧٨	﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً... ﴾ .	٢٥	١٢٦ ، ١٣٦ ، ٦٨٧ ،
٧٩	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ .	٣٠	٣٧٠

		أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴿٨٠﴾ .	
٢٩٣	٣٢	﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...﴾ .	٨٠
٦١٥	٣٧	﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿٨١﴾ .	٨١
٦٨٨	٥٥	﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٢﴾ .	٨٢
٦٢٨	٧٤	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾	٨٣

(سورة النوبة)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٨٤	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ...﴾ .	٣٣	٣٨٠
٨٥	﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ...﴾ .	١١٤	٣٤٦

(سورة يونس)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٨٦	﴿أَتْلَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ .	٢٤	٥٢٤
٨٧	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴿٨٧﴾ .	٢٦	٦٠٦
٨٨	﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَن عِبَادِكُمْ لَغْفَلِينَ ﴿٨٨﴾ .	٢٩	٦٧٣
٨٩	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ	٥٧	٧٢٧، ٧

		وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ... ﴿ .	
٢٩٢	٨٨	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ... ﴿ .	٩٠
٢٧٤	٩٤	﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ... ﴿ .	٩١

(سورة هود)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٩٢	﴿ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا ﴿ .	٢٧	٧٣٤
٩٣	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴿ .	٤٠	٥٢٤
٩٤	﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴿ .	٨١	٤٦٩
٩٥	﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿ .	٨٣	٤٨٩
٩٦	﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ... ﴿ .	١١٤	٢١٢
٩٧	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ ﴿ .	١١٧	٤٧٩

(سورة يوسف)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٩٨	﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿ .	١٠٣	٧٦٠

(سورة الرعد)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٩٩	﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ... ﴾ .	١٠	١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٤٥
١٠٠	﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ .	١١	٧٦ ، ١٠٠ ، ١٤٩
١٠١	﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ .	١٣	٧٧ ، ٩٨ ، ٨٠ ، ١٢٥ ، ١٦٤
١٠٢	﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ .	١٤	٨٧ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٧٠
١٠٣	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ .	١٥	١٧٤
١٠٤	﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ .	١٦	١٨٣
١٠٥	﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا .. ﴾ .	١٧	١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٨٦
١٠٦	﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ ... ﴾ .	١٨	١٩١
١٠٧	﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾	٢٠	١٩٦
١٠٨	﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ .. ﴾	٢١	١٩٨
١٠٩	﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ... ﴾	٢٢	١١١ ، ١٠٣ ، ١٤٨ ، ٢٠٣
١١٠	﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾	٢٣	٢١٤
١١١	﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾	٢٤	٢١٨
١١٢	﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾	٢٦	٦٢ ، ٢٢٤

٢٢٦، ١٠٩	٢٧	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ... ﴾	١١٣
٢٢٨، ٦٥	٢٩	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَقَابٍ ﴾	١١٤
١٠٩، ٨٧، ٢٣٤، ١٢٨	٣١	﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﴾	١١٥
٢٤٦	٣٣	﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾	١١٦
٢٤٩	٣٥	﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾	١١٧
٢٥٣	٣٨	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ... ﴾	١١٨
٢٥٦، ١٤٣	٣٩	﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾	١١٩
٢٦٤	٤١	﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... ﴿	١٢٠
٢٦٩	٤٢	﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ... ﴾	١٢١
٢٧١، ٨٧	٤٣	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ... ﴾	١٢٢

(سورة إبراهيم)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيحة
١٢٣	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ .	٥	١٣٢، ١٤٠، ١٤٣، ٢٧٧
١٢٤	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .	٩	٢٨١
١٢٥	﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾ .	١٠	٢٨٨

١١٤ ، ١٣٠ ، ٢٩١	١٥	﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ .	١٢٦
١٣٥ ، ٢٩٥	٢٤	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ .	١٢٧
٢٩٩	٢٥	﴿ تَوْتَىٰ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ .	١٢٨
٣٠٣	٢٦	﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ .	١٢٩
٣٠٧	٢٧	﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ .	١٣٠
٣١١ ، ٨٨	٢٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ .	١٣٠
١٣٨ ، ٨٤ ٣١٦ ،	٣٤	﴿ وَعَاتِكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ .	١٣١
١٠٥ ، ٣٥٢	٣٥ - ٤١	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ... ﴾	١٣٢
٣٢٣	٣٧	﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ... ﴾ .	١٣٣
٣٣٣	٣٨	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلَمُ ... ﴾ .	١٣٤
٣٣٩	٣٩	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ .	١٣٥
٣٤٥	٤١	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾	١٣٦
٣٥٠	٤٢	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ .. ﴾ .	١٣٧
٣٥٣	٤٣	﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ... ﴾ .	١٣٨
٣٥٨	٤٤	﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ... ﴾ .	١٣٩
٣٧٠	٤٦	﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ... ﴾ .	١٤٠

٣٨٢	٥٢	﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ... ﴾ .	١٤١
-----	----	-----------------------------------------------------	-----

(سورة الحج)

الرقم	طرف الآية	مرقمها	الصحيفة
١٤٢	﴿ رَبُّمَا يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ .	٢	٣٨٧
١٤٣	﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْآمَلُ... ﴾ .	٣	٣٩٣
١٤٤	﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ .	٤	١٣٢ ، ٣٩٦
١٤٥	﴿ مَا نُنزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ... ﴾ .	٨	٤٠٠
١٤٦	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ... ﴾ .	٩	٤٠٤ ، ٧
١٤٧	﴿ كَذَلِكَ نَسَلُّكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .	١٢	٤١٠
١٤٨	﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .	١٣	٤١٣
١٤٩	﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ .	١٤	٤١٥ ، ٦٣
١٥٠	﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ .	١٦	١٢٢ ، ١٤٣ ، ٤١٨
١٥١	﴿ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴾ .	١٨	٤٢١
١٥٢	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ .	١٩	٤٢٣
١٥٣	﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ ﴾ .	٢٠	٤٢٦
١٥٤	﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ .	٢١	٤٢٩
١٥٥	﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ .	٢٢	٤٣٥
١٥٦	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ﴾ .	٢٤	٤٤٠
١٥٧	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾	٢٦	١١٧ ، ٤٤٥

١٠٦ ، ٤٥٠	٤١	﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .	١٥٨
٤٥٤	٤٢	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ .	١٥٩
٤٥٧	٦٧	﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ .	١٦٠
٤٦٠	٧٢	﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .	١٦١
٤٧٥	٧٣	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ .	١٦٢
٤٧٨	٧٤	﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا ﴾ .	١٦٣
٤٨٠	٧٥	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ .	١٦٤
٤٨٤	٧٦	﴿ وَإِنَّهَا لَيْسِيلٌ مَّقِيمٌ ﴾ .	١٦٥
٤٩١	٧٨	﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴾ .	١٦٦
٤٩٣	٧٩	﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَآمِرَ مُشِينٍ ﴾ .	١٦٧
١٣٣ ، ٤٩٧	٨٧	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ .	١٦٨
٥٠٦	٩٠	﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ .	١٦٩
٥٠٩	٩٢	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .	١٧٠
١٠٩ ، ٥١١	٩٢ - ٩٣	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	١٧١
٥١٤	٩٨	﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّجِدِينَ ﴾ .	١٧٢
٥١٦	٩٩	﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ .	١٧٣

(سورة النحل)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
١٧٤	﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ... ﴾ .	١	١٠٩ ، ١٤٣

٥٢١			
١٠١ ، ٧٦ ، ١١٢ ، ٥٢١	٢	﴿ يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ .	١٧٥
٥٢٥	٤	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ .	١٧٦
٥٣١	٧	﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴾	١٧٧
٥٣٤	٨	﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾	١٧٨
٤٦٢ ، ٥٣٧	٩	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾	١٧٩
٥٤٩	١٠	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾	١٨٠
٥٥١	١٣	﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾	١٨١
١٣٣ ، ٦٣ ، ٥٥٦ ،	١٥	﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾	١٨٢
١٣٣ ، ٦٧ ، ٥٦٢ ،	١٦	﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾	١٨٣
٥٦٨	٢٠	﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ﴾	١٨٤
٥٧٠	٢١	﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾	١٨٥
٥٧٧	٢٣	﴿ لَا جَرَمَ أَنْ بَشَّرَهُ اللَّهُ بِمَا يَكْفُرُونَ وَمَا يَكْفُرُونَ ﴾	١٨٦
٥٧٩	٢٥	﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	١٨٧
٥٨٨	٢٧	﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ ﴾	١٨٨
٥٩١	٢٨	﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾	١٨٩
١٢٣ ، ٥٩٧	٢٩	﴿ فَأَخْلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾	١٩٠

١٠٣ ، ٦٠١	٣٠	﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾	١٩١
٦١٣	٣٢	﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَكَةُ طَيِّبِينَ ﴾	١٩٢
٦٢٣	٣٣	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَكَةُ ﴾	١٩٣
١٣٧ ، ٨١ ٦٢٥ ،	٤١	﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ... ﴾	١٩٤
٦٣٢	٤٣	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴾	١٩٥
٩٠ ، ٦٤ ، ٦٣٨	٤٤	﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾	١٩٦
١٧٤ ، ٦٤٤	٤٨	﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ ... ﴾	٢٩٧
٦٥٣	٤٩	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴾	٢٩٨
٦٥٧	٥٠	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	٢٩٩
٦٦٢	٥٢	﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾	٢٠٠
٦٦٨	٥٤	﴿ ثُمَّ إِذَا كَفَّ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾	٢٠١
٦٧٢	٥٦	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾	٢٠٢
١٠٧ ، ٦٧٥	٥٨	﴿ وَإِذَا بَرَّ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	٢٠٣
٦٧٧	٥٩	﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ... ﴾	٢٠٤
١٣٠ ، ١٣٤	٦١	﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ... ﴾	٢٠٥

١٣٦ ، ٦٨٣		﴿ دَابَّةٌ ﴾	
٦٩٠	٦٢	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾	٢٠٦
٦٩٣	٦٣	﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾	٢٠٧
١٢٨ ، ٦٩٦	٦٦	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾	٢٠٨
١٣٨ ، ٨٥ ٧٠١ ،	٦٧	﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴿ ﴾	٢٠٩
٧١١	٦٨	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾	٢١٠
٧١٧	٦٩	﴿ ثُمَّ كَلَىٰ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾	٢١١
٧٣٣	٧٠	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ﴾	٢١٢
٧٣٧	٧٢	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾	٢١٣
٧٤٦	٧٣	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴾	٢١٤
٧٤٩	٧٤	﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾	٢١٥
٧٥٢	٧٥	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴿ ﴾	٢١٦
٧٦١	٧٦	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ ﴾	٢١٧
٧٦٦	٧٧	﴿ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	٢١٨
٧٦٩	٧٨	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ... ﴾	٢١٩
٧٧١	٧٩	﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾	٢٢٠

(سورة الإسراء)

الرقم	طرف الآية	مرقمها	الصحيفة
٢٢١	﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ .	١٢	٢٥٩
٢٢٢	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	٥٤٠
٢٢٣	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ .	٣٦	٩٠
٢٢٤	﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ... ﴾ .	٤٤	١٨١
٢٢٥	﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٢	٧٢٧
٢٢٦	﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ .	٨٥	١٦٢

(سورة الكهف)

الرقم	طرف الآية	مرقمها	الصحيفة
٢٢٧	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا..... أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ .	١ - ٢	٦
٢٢٨	﴿ وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ .	٣٦	٦٩٢

(سورة مريم)

الرقم	طرف الآية	مرقمها	الصحيفة
٢٢٩	﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا . أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ .	٦٦ - ٦٧	٥٢٨
٢٣٠	﴿ وَقَالَ لَأَوْتَيْنَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ .	٧٧	٦٩٢
٢٣١	﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ..... ﴾ .	٩٠	٣٧٤

(سورة طه)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٣٢	﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ .	٣٩	٥٥٦
٢٣٣	﴿ ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاقِبًا ﴾ .	٩٧	٦٧٦
٢٣٤	﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾	١١٠	٢٠٨

(سورة الانبياء)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٣٥	﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ .	١	٥٢٢
٢٣٦	﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ .	٤٢	١٠٠
٢٣٧	﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمْ أَغْلِبُونَ ﴾ .	٤٤	٢٦٥
٢٣٨	﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ .	٤٥	٥٢١
٢٣٩	﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾	٥٠	٦٦٢
٢٤٠	﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ .	٨٧	٢٢٤ ، ٦٢
٢٤١	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾	٩٨	٥٧٠
٢٤٢	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾	١٠٥	٦٣٤

(سورة الحج)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٤٣	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾	١٨	١٧٦ ، ١٨٢ ، ٤٠١
٢٤٤	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾	٧١	٦٧٣

(سورة المؤمنون)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٤٥	﴿ أَنْزَلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ .	٢٩	٦٠٠
٢٤٦	﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُطَمِّدُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ .	٥٥ _ ٥٦	٦٩٢
٢٤٧	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾	٨٦ _ ٨٧	١٨٤

(سورة النور)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٤٩	﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾	٢٦	٦٠٧
٢٥٠	﴿ لَمْ يَكَدْ يَرِنُهَا ﴾	٤٠	٦٦
٢٥١	﴿ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾ .	٤٥	٤٢٧

(سورة الفرقان)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٥٢	﴿ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴾	٢٢	٥٩٢
٢٥٣	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً ... ﴾ .	٢٣	٢٦٥
٢٥٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَرًّا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا . وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾	٥٤ _ ٥٥	٥٢٨
٢٥٥	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾	٦٣	٢١٠
٢٥٦	﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ... ﴾ .	٧٠	٢٥٩

٢١١	٧٢	﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾	٢٥٧
-----	----	--------------------------------------------------	-----

(سورة الشعراء)

الرقم	طرف الآية	مرقمها	الصحيفة
٢٥٨	﴿ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ .	٨٦	٣٤٦
٢٥٩	﴿ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ ﴾ .	١١١	٧٣٤
٢٦٠	﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .	١٦٩	٢٩٢
٢٦١	﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .	١١٨	٢٩٢
٢٦٢	﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ .	١٣٨	٢٩٣
٢٦٣	﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ... ﴾ .	١٨٧	٢٩٣
٢٦٤	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ .	١٩٣	٥٠٦
٢٦٥	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾	١٩٥	١٤٣
٢٦٦	﴿ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ ... ﴾	١٩٧	٢٧٤
٢٦٧	﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾	٢١٣	٣٥١

(سورة النمل)

الرقم	طرف الآية	مرقمها	الصحيفة
٢٦٨	﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .	١٤	٥٩١ ، ٦٣ ، ٧٦٠ ،
٢٦٩	﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَابِينَ ﴾ .	٢٠	٧٦٧
٢٧٠	﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .	٢٣	٣١٧ ، ٧٢٠

٢٧١	﴿ وَمَا مِنْ غَابِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	٧٥	٧٦٧
٢٧٢	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّنْهَا ﴾	٨٩	٦٠٦

(سورة القصص)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٧٣	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا ﴾	١٠	٣٥٥
٢٧٤	﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ ﴾ .	٣٨	١٨٩
٢٧٥	﴿ يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	٥٧	٦٣
٢٧٦	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾	٨٨	٢٠٦

(سورة العنكبوت)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٧٨	﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ .	١٨	٧
٢٧٩	﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .	٢٢	٤٥٢
٢٨٠	﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ .	٤٠	١٣٠

(سورة الروم)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٨١	﴿ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾	٩	٦٩٤
٢٨٢	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .	٢٢	٥٥٤
٢٨٣	﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ .	٢٧	٢٤٩
٢٨٤	﴿ لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ .	٥١	٦٧٦

(سورة لقمان)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٨٥	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .	١٢	٦٨٤
٢٨٦	﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ...﴾ .	٢٥	١٨٤
٢٨٧	﴿فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ .	٣٢	٦٧٠
٢٨٨	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ...﴾ .	٣٤	٧٦٧

(سورة السجدة)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٨٩	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾	١٣	٥٤٦

(سورة الأحزاب)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٩٠	﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ .	٦٣	٤٩٦ ، ٥٢٢
٢٩١	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا .. فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .	٧٠ - ٧١	٢١٦ ، ٦

(سورة سبأ)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٩٢	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ...﴾	٢٤	١٨٣
٢٩٣	﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ .	٣٥	٦٩٢

(سورة فاطر)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٩٤	﴿ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْبَحَةٍ ﴾ .	١	٦٥٦
٢٩٥	﴿ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ ﴾ .	١٠	١٨٨
٢٩٦	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً .. ﴾ .	٢٧ _ ٢٨	٥٥٤
٢٩٧	﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ .	٣٢	٦٨٣

(سورة يس)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٢٩٨	﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾	١٢	٤٨٩
٢٩٩	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ... ﴾	٣٦	٥٥٦
٣٠٠	﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٤٠	٤٢٧
٣٠١	﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنْ أَعْبُدُونِي ﴾ .	٦٠ _ ٦١	١٩٧
٣٠٢	﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾	٧٧	٥٢٦

(سورة الصافات)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٠٣	﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ .	٨ _ ١٠	٤٢٢
٣٠٤	﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ .	١١	١١٧
٣٠٥	﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ .	٢٤	١١٧

٥٦٨	٩٥_٩٦	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٣٠٦
٣٤١	١٠٠	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .	٣٠٧
٤٨٨	١٣٧_١٣٨	﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ . وَيَالَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .	٣٠٨

(سورة ص)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٠٩	﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ .	٨	٦٤٠
٣١٠	﴿ عَجَلْنَا قَطْنَا ﴾ .	١٦	٢٩٣ ، ٥٢٦
٣١١	﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ .	٢٩	٧ ، ٦

(سورة الزم)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣١٢	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ .	٣	٦٦٦
٣١٣	﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾	١٠	٦٠٢
٣١٤	﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	٥٣	٢٨٩
٣١٥	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾	٧١	٥٩٩
٣١٦	﴿ طَبَّتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَلْدِينَ ﴾	٧٣	٦١٣

(سورة غافر)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣١٧	﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾	١٥	٥٢١
٣١٨	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ... ﴾	٦٠	٣٤٢
٣١٩	﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا... ﴾	٧٤	٥٩٢

(سورة فصلت)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٢٠	﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ مِنْ فَوْقِهَا ﴾	١٠	٥٥٦، ٦٣
٣٢١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا... ﴾	٣٠_ ٣٢	٦٢١
٣٢٢	﴿ أَفَفَعِ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾	٣٤	٢١١
٣٢٣	﴿ وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِّمَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي .. ﴾	٥٠	٦٩٠

(سورة الشورى)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٢٤	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾	١١	٢٠٨
٣٢٥	﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾	١٧	٥٢٢
٣٢٦	﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا... ﴾	١٨	٥٢٢
٣٢٧	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾	٥٢	١٦٢، ٥٢٢

(سورة الزخرف)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٢٨	﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	١٠	٥٦٠
٣٢٩	﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ ﴾	٥٨	٥٢٧

(سورة الاحقاف)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٣٠	﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ ﴾ .	١٥	٢١٦
٣٣١	﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ۗ ﴾ .	٢٥	٧٢٠
٣٣٢	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ ۖ ۗ ﴾ .	٢٧	٢٦٥

(سورة محمد)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٣٣	﴿ وَأَصْلِحْ بِأَلْهِمْ ۗ ﴾ .	٢	٢١٦
٣٣٤	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَّانَ أَمْ عَلَيَّ قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا ۗ ﴾ .	٢٤	٧

(سورة الفتح)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٣٥	﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ۗ ﴾ .	٢٩	٢٥٠

(سورة الحجرات)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٣٦	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ۗ ﴾ .	١٠	١٩٩

(سورة ق)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٣٧	﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ .	١٨	٦٥٦
٣٣٨	﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ .	١٩	٢٥٤

(سورة الذاريات)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٣٩	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٥٤٨

(سورة الطور)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٤٠	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾ .	٢١	٢١٥

(سورة النجم)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٤٢	﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ .	٢١ - ٢٢	٦٨٠ ، ٦٨١
٣٤٣	﴿ وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ .	٣١	٦٠٦
٣٤٤	﴿ أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ . لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ .	٥٧ - ٥٨	٥٢٢ ، ٧٠٧

(سورة القمر)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٤٥	﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾	١	٥٢١

(سورة الرحمن)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٤٦	﴿ مِنْ صَلَّصَلٍ كَأَلْفَحَارٍ ﴾ .	١٤	١٧٧ ، ٤٤٩
٣٤٧	﴿ وَيَبْقَى وَجَهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	٢٧	١٢١ ، ٢٠٦
٣٤٨	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾	٣٦	١١٧
٣٤٩	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾	٦٠	٦٠٦

(سورة الواقعة)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٥٠	﴿ فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ هُونَ ﴾ .	٦٥	٦٧٦

(سورة المجادلة)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٥١	﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾	٣	١٤١
٣٥٢	﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ... ﴾	١٨	٥٩٢

(سورة الحشر)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٥٣	﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ ﴾ .	٦	٦٤٣
٣٥٤	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ .	٨	٦٢٨
٣٥٥	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ .	٢١	٢٣٢

(سورة الممتحنة)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٥٦	﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ... ﴾ .	٤	٣٤٨

(سورة المنافقون)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٥٧	﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .	٧	٤٣٢

(سورة النباين)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٥٨	﴿ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِين ﴾	١٢	٥٤٠

(سورة الطلاق)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٥٩	﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ .	٧	٢٢٤ ، ٦٢

(سورة النحرير)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٦٠	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ .	١١	١٩٣

(سورة الملك)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٦١	﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ .	٥	٤١٩ ، ٤٢٢

(سورة الحاقة)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٦٢	﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ .	٤٧	٢٨٩

(سورة نوح)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٦٣	﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ .	٢٢	٣٨١

(سورة الجن)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٦٤	﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا فِيهَا مَلَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا . وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ .	٩ - ٨	٤٢٢
٣٦٥	﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾	١٢	٤٥٢

(سورة الإنسان)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٦٦	﴿إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ﴾ .	٩	٢٠٦

(سورة النبأ)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٦٧	﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ .	٧ - ٦	٥٥٦ ، ٦٣
٣٦٨	﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ .	٣٨	٥٢٢

(سورة النكوير)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٦٩	﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ .	٨ - ٩	٦٧٩

(سورة الانفطار)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٧٠	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ... يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ .	١٠ - ١٢	١٥٨ ، ٦٥٦

(سورة الطارق)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٧١	﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾	٩	٦١٢

(سورة الفجر)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٧٢	﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَآئِمٍ رَّصَادٍ﴾ .	١٤	٤٦٣

(سورة الليل)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٧٣	﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾	١٩ - ٢١	٢٠٩
٣٧٤	﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾	٢٠	٢٠٦
٣٧٥	﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾	١٢	٥٣٨

(سورة البينة)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٧٦	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	٥	٦٦٦

(سورة العاديات)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٧٧	﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾	٩ - ١٠	٦١٢

(سورة قريش)

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصحيفة
٣٧٨	﴿ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾ .	٤	١٦٢



٢_ فهرس القراءات

الرقم	الآية	القراءة	نوعها	الصحيفة
١	﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ [سورة الرعد : ١١]	(له المعاقب) . (له معاقب) . (له متعقبات) .	شاذة	٧٦
٢	﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٣] .	(المِحَال) .	شاذة	٧٧
٣	﴿ لَهُ عَوَّةٌ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ [سورة الرعد : ١٤] .	(تدعون) .	شاذة	١٢٩
٤	﴿ أَفَلَمْ يَأْتَسِ .. ﴾ [سورة الرعد : ٣١] .	(أفلم يتبين) .	شاذة	٢٣٧
٥	﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَّبَى الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد : ٤٢] .	﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ ﴾	متواترة	٢٨٥
٦	﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد : ٤٣] .	– (ومن عنده عِلْمُ الكتاب) . – (من عنده عِلْمٌ)	شاذة	٢٧١
٧	﴿ وَأَسْتَفْتِحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [سورة إبراهيم : ١٥] .	(واستفتحوا) بكسر التاء	شاذة	١٣٠
٨	﴿ وَعَاتِلْكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤] .	(من كل) .	شاذة	٣٣٢
٩	﴿ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] .	(أفعية) . (أفودة) . (إفادة) .	متواترة شاذة شاذة	٣٢٧
١٠	﴿ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] .	(تهوى) . (تهوى) .	شاذة شاذة	٣٣١

٣٦٣	شاذة	(ولولدي) .	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤١] .	١١
٣٧٥	شاذة	(وإن كاد) .	﴿ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٦] .	١٢
٣٧٥	شاذة	(لتزول) .	﴿ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٦] .	١٣
٧٨	متواترة	(المخلصين) .	﴿ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٤٠] .	١٤
١٣٠	شاذة	(إن دابر) .	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٦٦]	١٥
٤٩٢	متواترة	(ليكة) .	﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٧٨]	١٦
٥٤٠	كلاهما متواتر	﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ بالباء ، وقراءة أخرى بالياء .	﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النحل : ١] .	١٧
٧٦	شاذة	(ما نزل)	﴿ يَنْزِلُ الْمَلٰٓئِكَةُ ﴾ [سورة النحل : ٢] .	١٨
٥٨٦	شاذة	(وبالنجم) بضم النون والجيم .	﴿ وَعَلَّمَتْ وَيَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٦] .	١٩
٥٥٩	متواترة	(تدعون) .	﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [سورة النحل : ٢٠] .	٢٠
٦٩٦	متواترة	(تسقيكم) .	﴿ نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾	٢١

			[سورة النحل : ٦٦] .	
٢٧١	شاذة	(جاءت سكرة الحق بالموت) .	﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة ق : ١٩] .	٢٢



٣_ فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصحيفة
.١	((اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ)) .	٤٨٠
.٢	((أتدرون ما هي ؟ ...)) .	١٣٥
.٣	((أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِقِنَاعٍ عَلَيْهِ رُطْبٌ فَقَالَ : مثل ...)) .	٢٩٦
.٤	((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابٌ ...))	٦٨٧
.٥	((إِذَا أُفْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ)) .	٣٠٨
.٦	((إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ إِلَى جَنْبِهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا))	٢١٢
.٧	((إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ ...))	٦٦
.٨	((اسقِه عسلاً ..)) .	٧٢٧
.٩	((أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ))	٦٤
.١٠	((أَمَّا هُوَ فَقَدْ رَأَى الْيَقِينَ))	٥١٦
.١١	((إِنْ الشَّيَاطِينَ تَقْرَبُ مِنَ السَّمَاءِ أَفْوَاجًا)) .	٦٥

٢٠٧	((أن الله تعالى قبل وجه المصلي)) .	.١٢
٢٩٦	((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا))	.١٣
١٣٥	((إنها السبع المثاني ، وأمّ القرآن ، و فاتحة الكتاب)) .	.١٤
٦٨٧ ، ١٣٦	((أهلك وفينا الصالحون)) .	.١٥
٢١٩	((أول من يدخل الجنة من خلق الله ..)) .	.١٦
٥٨١	((أيما داع دعا إلى ضلالة)) .	.١٧
٤٩٥	((بعثت أنا والساعة كهاتين)) .	.١٨
٦٦	((جاءنا ثم يشربه)) .	.١٩
٧٣١	((حُرِّمَتِ الْحَمْرُ بِعَيْنِهَا ...))	.٢٠
٧٠٧	((الخمر حرام لعينها ...)) .	.٢١
٤٤٨	((الرِّيحُ الْجَنُوبُ مِنْ الْجَنَّةِ)) .	.٢٢
٢٢٩	((شَجْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ...))	.٢٣
٧٢٧	((صدق الله وكذب بطن أخيك)) .	.٢٤

٢٢٩	((طُوبَى لِمَنْ رَأَى ...))	.٢٥
١٦٣	((لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَ عَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ ...))	.٢٦
١٨٦ ، ١٣٤	((مثل ما بعثت به من الهدى والعلم)) .	.٢٧
١٦٥	((مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقٌ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ)) .	.٢٨
٣٠٥	((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ...))	.٢٩
٩١ ، ٩٠ ، ٦٠	((من تكلم في القرآن برأيه)) .	.٣٠
٦٠٢	((مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً ...))	.٣١
٣٢٤	((نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ ...))	.٣٢
٦٧٨	((نعم إذا كثر الخبث)) .	.٣٣
٢٢٩ ، ٦٥	((نعم فيها شجرة تدعى طوبى ...)) .	.٣٤
١٣٥	((هي السبع المثاني)) .	.٣٥
٢٧٤	((هِيَ النَّحْلَةُ))	.٣٦

٥٦٦، ٦٧	((هو الجدي)) .	.٣٧
٧٦٥	((وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ ...))	.٣٨
٢١٢	((وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا)) .	.٣٩
١١١	((وَرَجُلٌ تَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا)) .	.٤٠
٥٥٩	((وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ)) .	.٤١
١٦٩	((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ)) .	.٤٢
٦٨٥	((يَعُوذُ بِالْبَيْتِ عَائِدٌ ...)) .	.٤٣
٦٦	((يُقْرَبُ إِلَيْهِ فَيَكْرَهُهُ ..))	.٤٤
٥٧٥	((يَنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ ...)) .	.٤٥



٤_ فهرس الآثار

الرقم	طرف الأثر	راويها	الصحيفة
١.	((أتعرف الناسخ من المنسوخ ...)) .	علي بن أبي طالب	٨٣
٢.	((إذا سألتموني عن غريب ...)) .	ابن عباس	٩٧
٣.	((أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ - ، فكان بعضهم يستقدم)) .	ابن عباس	٤٤٢
٤.	((الحفظة ...)) .	بجاهد	١٧٠
٥.	((العسل شفاء من كل داء ...)) .	ابن مسعود	٧١٨
٦.	((عليكم بالشفاءين)) .	ابن مسعود	٧١٨
٧.	((قام فينا رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - مقاماً ...)) .	حذيفة بن اليمان	٦٦٨
٨.	((لا تأكلوا الشجر ...)) .	عكرمة	٥٧٠
٩.	((لأن الله استثنائها)) .	ابن عباس	٤٧٢
١٠.	((ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد - ﷺ -)) .	أبو هريرة	٤٣٧
١١.	((ما خلق الله ، وما ذراً ، وما نفساً أكرم على الله من محمد - ﷺ - ...)) .	ابن عباس	٤٣٧
١٢.	((ناظر يهودي الرسول صلى الله عليه وسلم ...)) .	بجاهد	٨٠
١٣.	((نحن أهل الذكر)) .	أبو جعفر	٦٢٤

٢٨٧	—	((نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَيَقَالُ : لَهُ مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ :)) .	١٤ .
٦٥١	عمر بن الخطاب	((هذا ما وعدكم الله في الدنيا)) .	١٥ .
٣٢٧	عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما	((هم الأفجران من قريش ...)) .	١٦ .
١٧٠	عطاء	((هم الكرام الكاتبون ...)) .	١٧ .
١٧٠	ابن عباس	((هم الملائكة تعقب بالليل ...)) .	١٨ .



٥_ فهرس الأعلام

الرقم	الاسم	مرقم الصفحة
١.	إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج .	٩٦
٢.	إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي .	٢٢٢
٣.	إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي السفاقي .	٢٣٦
٤.	إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطي .	٦٤
٥.	إبراهيم بن يزيد النخعي .	٣٦٣
٦.	أبي بن كعب الأنصاري .	١٨٥
٧.	أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم الثقفي .	٣٣
٨.	أحمد بن أبي الحجاج يوسف بن علي الفهري .	٣٤
٩.	أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ابن تيمية) .	١٦٧
١٠.	أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكنوم .	٣٦
١١.	أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالكي .	٣٤
١٢.	أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الرعيي ، المعروف بابن الطباع .	٣٤
١٣.	أحمد بن عمار أبو العباس المهدي .	٧٤
١٤.	أحمد بن محمد الخفاجي المصري (الشهاب)	١٤٦
١٥.	أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري ، أبو جعفر النحاس .	٧٤
١٦.	أحمد بن يحيى الشيباني ، المعروف بثعلب .	٣٠

٣٧	أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي .	١٧ .
١٦٣	أربد بن قيس .	١٨ .
٩٦	إسماعيل بن حماد الجوهري .	١٩ .
٧٣	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي .	٢٠ .
١٤٥	إسماعيل بن عمر بن كثير .	٢١ .
١٩٢	إسماعيل بن مصطفى القونوي .	٢٢ .
٣٤	إسماعيل بن هبة الله بن علي المليحي .	٢٣ .
٧٠	أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن النجار .	٢٤ .
٧٦	ابن أبي عبلة : إبراهيم بن شمر بن يقطان .	٢٥ .
١٧٨	ابن تيمية : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني	٢٦ .
٢٤	ابن الجزري : محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري .	٢٧ .
٤٣	ابن رشد : محمد بن أحمد بن محمد القرطبي .	٢٨ .
٢٧	ابن الطباع : أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الرعيبي .	٢٩ .
٦٧	ابن عباس : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .	٣٠ .
٤٣	ابن عصفور : علي بن المؤمن بن محمد الحضرمي .	٣١ .
٦٠	ابن عطية : عبد الحق بن غالب .	٣٢ .
٢٨	ابن النقيب : محمد بن سليمان بن الحسن البلخي .	٣٣ .
٨٧	أبو أحمد بن جزى الكلبي .	٣٤ .

٨١	أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري .	.٣٥
٦٥	أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسي .	.٣٦
٧٠	البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الخزرج	.٣٧
٨١	بلال بن رباح الحبشي .	.٣٨
٢٣	ثعلب : أحمد بن يحيى الشيباني .	.٣٩
٣٧	جعفر بن تغلب بن جعفر بن علي الأدفوي .	.٤٠
٣٥	حازم بن محمد بن حسن الأنصاري .	.٤١
٧١	الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري .	.٤٢
٢٣١	الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي .	.٤٣
٣٢٤	الحسن بن محمد النيسابوري .	.٤٤
٢١٦	الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني .	.٤٥
٧٥	الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي .	.٤٦
٤٠	حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات .	.٤٧
٨٨	حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي .	.٤٨
٧٧	حميد بن قيس الأعرج .	.٤٩
٨١	خباب بن الأرت بن جندلة بن تميم التميمي .	.٥٠
٣٧	خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي .	.٥١
٨١	داود بن أبي هند .	.٥٢

٤٢	٥٣ . زيان بن العلاء بن عمار المازني .
٦٠	٥٤ . الزمخشري محمود بن عمر .
٤٢	٥٥ . زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي .
٢٣٧	٥٦ . سحيم بن وثيل الرياحي .
٧٢	٥٧ . سعيد بن جبير الأسدي الوالي
٩٥	٥٨ . سعيد بن مسعدة الجاشعي ، أبو الحسن ، المعروف بالأخفش .
٧٣	٥٩ . سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري .
١٧٤	٦٠ . السمعاني : منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي .
٦٦	٦١ . سهيل بن عمرو القرشي .
٦٤	٦٢ . الشاطبي : أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي .
٥٨	٦٣ . الشماخ بن ضرار بن حرملة المازني الديباني .
٢٢٩	٦٤ . شهر بن حوشب الأشعري .
٤٦	٦٥ . الصفار : قاسم بن علي بن محمد بن سليمان البطليموسي .
٨١	٦٦ . صهيب بن سنان الرومي .
٧٢	٦٧ . الضحاك بن مزاحم الهلالي .
٥٨	٦٨ . الطرماح بن حكيم الطائي .
٦٨٨	٦٩ . ظالم بن عمر أبو الأسود الدؤلي .
٤١	٧٠ . عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي .

٢٦٦	عامر بن شراحيل الشعبي .	.٧١
١٥٢	عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري .	.٧٢
٣٥	عبد الحق بن علي بن عبد الله بن محمد الأنصاري .	.٧٣
٦٠	عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي .	.٧٤
١٥٠	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي .	.٧٥
٧٢	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني .	.٧٦
٦٥	عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أبو هريرة .	.٧٧
١٥٠	عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي .	.٧٨
١٥٠	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي .	.٧٩
٣٧	عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي .	.٨٠
١٥٠	عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي .	.٨١
٩٦	عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري .	.٨٢
٢٧٢	عبد الله بن سلام بن الحرث .	.٨٣
٤١	عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم التحصي .	.٨٤
٦٧	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمي .	.٨٥
٣٧	عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي .	.٨٦
١٤٩	عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي .	.٨٧
٤٠	عبد الله بن كثير بن المطلب الداري .	.٨٨

٦٩	عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي .	.٨٩
٣٨	عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري .	.٩٠
٦٩	عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي .	.٩١
٢٠٣	عبد الملك بن حبيب البصري .	.٩٢
٧٧	عبد الملك بن قريب أبو سعيد الأصبغي البصري .	.٩٣
٨٠	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج .	.٩٤
٣٥	عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الملقبي .	.٩٥
٣٨	عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي .	.٩٦
٨٧	عطاء بن أبي رباح .	.٩٧
٧٢	عكرمة بن عبد الله البربري المذن .	.٩٨
٢٣٢	علاء الدين أبو الحسن .	.٩٩
٦٩	علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي .	.١٠٠
٢١٩	علي بن أحمد به محمد بن علي أبو الحسن الواحدي .	.١٠١
٦٥	علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .	.١٠٢
٤٠	علي بن المؤمن بن محمد الحضرمي ، أبو الحسن بن عصفور .	.١٠٣
٤٠	علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي .	.١٠٤
٣٥	علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي .	.١٠٥
٧٤	علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي .	.١٠٦

٧٦١	عمار بن ياسر العنسي .	١٠٧.
٦٨	عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي القرشي العدوي .	١٠٨.
١٤٦	عمر بن علي بن سراج الدين أبو حفص الحنبلي (ابن عادل) .	١٠٩.
٩٤	عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف بسبيويه .	١١٠.
٥٦٦	عيسى بن وردان المدني .	١١١.
٤٦	قاسم بن علي بن محمد البطليموسي ، الشهير بابن الصفار .	١١٢.
٢٣٧	القاسم بن معن الهذلي .	١١٣.
٧١	قتادة بن دعامة السدوسي .	١١٤.
١٦٥	ليبذ : ابن ربيعة العامري .	١١٥.
٢٠	لسان الدين بن الخطيب : محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب	١١٦.
٧٢	مجاهد بن جبر المخزومي .	١١٧.
١٤٦	محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .	١١٨.
٣٥	محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس .	١١٩.
٧٥	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي .	١٢٠.
١٧	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي .	١٢١.
١٥٠	محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي .	١٢٢.
١٦٠ ، ٤٣	محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي .	١٢٣.
٢٣٧	محمد بن السائب الكلبي .	١٢٤.

٣٨	محمد بن سعيد بن محمد الرعيبي .	١٢٥.
٣٥	محمد بن سليمان بن الحسن البلخي ، المعروف بابن النقيب .	١٢٦.
١٤٦	محمد بن الطاهر ابن عاشور .	١٢٧.
٩٦	محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر بن الأنباري	١٢٨.
٧٧	محمد بن المستنير بن أحمد (قطرب) .	١٢٩.
١٤٧	محمد بن جرير الطبري .	١٣٠.
٢١٩	محمد بن صالح العثيمين .	١٣١.
٢٦	محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب .	١٣٢.
٦٥٨	محمد بن علي الباقر .	١٣٣.
١٥٢	محمد بن علي بن أحمد الأوسي البلسي .	١٣٤.
٣١	محمد بن علي بن أحمد الداوودي .	١٣٥.
٣١	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني .	١٣٦.
٧٥	محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي .	١٣٧.
٣١	محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري .	١٣٨.
١٤٦	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود) .	١٣٩.
١٩٩	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي .	١٤٠.
١٩٢	محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي (شيخ زاده) .	١٤١.
٩٥	محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس ، المعروف بالمبرد .	١٤٢.

٢٢	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي .	١٤٣
١٥٠	محمد مصطفى المراغي .	١٤٤
٦٢	محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي .	١٤٥
٦٠	محمود بن عمر الزمخشري .	١٤٦
٢١٢	معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن الخزرج .	١٤٧
٩٥	معمر بن المثنى التيمي أبو عبيدة النحوي البصري .	١٤٨
٢٢٩	مغيث بن سمي الأوزاعي .	١٤٩
٧٣	مقاتل بن سليمان البلخي .	١٥٠
١٨٤	مكي بن أبي طالب .	١٥١
٣٧	نافع بن عبد الرحمن الليثي .	١٥٢
٢١٨	نصر بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب السمرقندي .	١٥٣
٥١	نضار بنت محمد بن يوسف .	١٥٤
٣٦٢	نوننا بنت كرنبة .	١٥٥
٩٥	يحيى بن زياد بن عبد الله ، أبو زكريا الأسلمي .	١٥٦
٥٨٦	يحيى بن وثاب الأسدي .	١٥٧
٤١	يعقوب بن محمد بن خليفة الأعشى .	١٥٨
١٢٤	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي	١٥٩

٦_ فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة

الرقم	المصطلح أو المفردة	الصحيفة
١.	الأختان .	٧٤١
٢.	الأرذل .	٧٦١
٣.	أفئدة .	٣٢٦
٤.	أكمامها .	٢٤٤
٥.	إمام .	٥٠٧
٦.	الباب .	٥٩١
٧.	الترجيح .	١١٥
٨.	التصريف .	٩٨
٩.	التعارض .	١١٥
١٠.	تموي .	٣٤٥
١١.	التوسم .	٤٩١
١٢.	الجنى .	٥٠

٧٧٢	.الجو .	١٣.
٥٩٨	.الحسنة .	١٤.
٧٣٨	.الحفد .	١٥.
٣٠٠	.الحين .	١٦.
٦١٣	.الخزي .	١٧.
٦٦٨	.اللس .	١٨.
٩٩	.دفع .	١٩.
٥٧٣	.ذراً .	٢٠.
٧٣١	.الرب .	٢١.
١٣١	.السياق .	٢٢.
٤٨٩	.السجود .	٢٣.
٣٧٠	.السقب .	٢٤.
٧٩٩	.السكاك .	٢٥.
٤٦٩	.السكر .	٢٦.

٢٢٠	. السلام .	٢٧ .
٢٠١	. سلم .	٢٨ .
١١٩	. السلوى .	٢٩ .
١٣١	. السياق .	٣٠ .
٥٨١	. الصلح .	٣١ .
٤٦٠	. الصلصال .	٣٢ .
١٣٩	. ضيق .	٣٣ .
٧٤٤	. الطيب .	٣٤ .
١٢٧	. الظاهر .	٣٥ .
٧٠٦	. العرش .	٣٦ .
١٣٩	. العموم .	٣٧ .
٥٧	. غضن .	٣٨ .
٧٥٧	. الغيب .	٣٩ .
٥٨٧	. الفرقدان .	٤٠ .

٦٣٦	. الفيء .	٤١
٩٧	. القرء .	٤٢
٧١٣	. الكوى .	٤٣
١٣٢	. اللحاق .	٤٤
٥٤٠	. اللون .	٤٥
٣٦٩	. المخوف .	٤٦
٧٧	. المحال .	٤٧
٧٨	. المخلصين .	٤٨
٧٢٩	. المزاء .	٤٩
٤٥٨	. المسنون .	٥٠
٩٨	. المصرخ .	٥١
١٤٧	. المطلق .	٥٢
١٥٠	. المفهوم .	٥٣
١٥٦	. المعقبات .	٥٤

١٤٧	. المقيد .	٥٥
٣٧٠	. المكاسر .	٥٦
٣٧٢	. مكر .	٥٧
١١٩	. المن .	٥٨
١٠٨	. المناسبة .	٥٩
١٥٠	. المنطوق .	٦٠
٣٧٠	. الناب .	٦١
٥٠	. ندس .	٦٢
٨٣	. النسخ .	٦٣
٥٠	. الهصر .	٦٤
٦٦٣	. الوصب .	٦٥
٧٣٣	. يتبرك .	٦٦
٣٧٠	. اليراعة .	٦٧

٧_ فهرس الفرق والقبائل

الرقم	الفرقة أو القبيلة	الصحيفة
.١	الباطنية	٥٩
.٢	الجواني	٢٢
.٣	الذهبي	٢٢
.٤	الصوفية	٥٩
.٥	النفزي	٢٢



٨_ فهرس الأماكن والبلدان

الرقم	المكان أو البلد	الصحيفة
.١	أيلة .	٢٨
.١	بجاية .	٢٧
.٢	بعيذاب .	٢٨
.٣	بليس .	٢٨
.٤	بلش .	٢٧
.٥	الجيزة .	٢٨
.٦	دشنا .	١٨
.٧	سبتة .	٢٨
.٨	طهرمس .	٢٨
.٩	غرناطة .	٢٢
.١٠	قنا .	٢٨
.١١	قوص .	٢٨
.١٢	مالقة .	٢٧
.١٣	المحلة .	٢٨
.١٤	المرية .	٢٧
.١٥	مطخشارش .	٢٣

٢٨	منية بني الحصيبي .	.١٦
----	--------------------	-----



٩_ فهرس الشواهد الشعرية

الرقم	البيت	قائله	الصحيفة
.١	إذا رضيت علي بنو	القحيف العقيلي	٤٦١
.٢	إذا نزلنا نصبنا ظل أخبية	عبدة بن الطيب	٦٤٩
.٣	أرى مر السنين أخذن مي	—	٢٦٧
.٤	أريد من الدنيا ثلاثاً وإيها	أبو حيان	٢٥
.٥	أستغفر الله ذنباً لست محصيه	—	٢٠٧
.٦	أغر كأن البدر سنة وجهه	حمزة	٤٤٧
.٧	أقول لهم بالشعب إذا يأسروني	حسيم الرياحي	١٥٣
.٨	ألا أبلغ أبا سُفيان عني	حسان بن ثابت	٣٥٤
.٩	ألا ربّما أهدت لك العينُ نظرة	—	٣٦٥
.١٠	أو كلما وردت عكاظ قبيلة	طريق العمري	٤٩٤
.١١	أيها المنكح الثريا سهيلاً	عمر بن أبي ربيعة	٤٦١

٧٠٣	الأخطل	بئس الصحاة وبئس الشراب شرهم	.١٢
٦٥٠	علقمة بن النعمان	تتبع أفياء الظلال عشية	.١٣
١٤٧	الخنساء	ترتع ما رتعت حتى إذا أكدرت	.١٤
٢٩٩	النابغة	تناذرها الراقون من سوء سمها	.١٥
٣١٤	—	تنصرت الأشراف من عار لظمة	.١٦
٤٤٧	ذي الرمة	تريك سنة وجه غير مقرفة	.١٧
٤٤٨	عبد الرحمن بن حسان	ثم دافعتها إلى القبة الخضراء	.١٨
٣٠٤	أبو ذؤيب	جزيتك ضعف الحب لما شكوت	.١٩
٧٠٦	—	جعلت عيب الأكرمين سكرًا	.٢٠
٧٣٣	—	جعلت عين الحرور تسكر	.٢١
٢٣٩ ، ١٥٥	ليبد	حتى إذا يأس الرمات و أرسلوا	.٢٢
٧٣٨	جميل بن معمر	حفد الولائد حولهن وأسلمت	.٢٣
٣٦٥	—	رب كأس هرقت يا ابن لؤي	.٢٤
٣٨٧	أمية بن الصلت	ربما تكره النفوس من	.٢٥
٣٢٦	—	رمتني بسهم أصاب الفؤاد	.٢٦

٧٣١	الخليع الشامي	سكران سكر هوى وسكر ندامة	.٢٧
٦٣٥	حسان بن ثابت _ <small>رضي الله عنه</small> —	غيرته الريح يسفي به	.٢٨
١٦٥	ليبد	فجعني الرعد والصواعق	.٢٩
٧٧١	علقمة بن عبده	فلست لإنسي ولكن لملاك	.٣٠
٧٤٠	عبادة بن الصامت	فلو أن نفسي طاوعتني لأصبحت	.٣١
٤٩١	—	كبكا الحمام على فروع	.٣٢
٧٣٨	الراعي النميري	كلفت مجهودها نوقاً يمانية	.٣٣
٦٦٥	النابغة	كليني لهم يا أميمة ناصب	.٣٤
٦٦٢	أبو الأسود الدؤلي	لا أتبع الحمد القليل بقاؤه	.٣٥
٦٦٥	أعشى باهله	لا يشتكي الساق من أين و لا وصب	.٣٦
٦٦٥	أعش باهله	لا يغمز الساق من أين و لا وصب	.٣٧
٢٨٢	—	لو أن سلمى أبصرت تخددي	.٣٨
٥٢	—	مات أثير الدين شيخ الوري	.٣٩

٢٨٣	—	وأرغب فيها عن لقيط ورهطه	.٤٠
٢٧٩	عمرو بن كلثوم	وأيام لنا غر طوال	.٤١
٢٧٩	للسموءل بن عاديا	وأيامنا مشهورة في عدونا	.٤٢
٢٦٢	—	وبعد أهلي وجفـاء عودي	.٤٣
٢٣٤	امرؤ القيس	وجدك لو شيءٍ أتانا رسوله	.٤٤
٤٩٢	زهير بن أبي سلمى	وفيهن ملهى للصديق ومنظر	.٤٥
٣٥٥	—	ولا تكن من أخدان كل يراعه	.٤٦
٤٦١	الأعشى	ولعمر من جعل الشهور علامة	.٤٧
١٧٧	—	واللفظ محمول على الشرعي	.٤٨
٧٧٢	امرؤ القيس	ويل أمها من هواء الجو طالبة	.٤٩
٥٤٩	—	يعلفها اللحم إذا عز الشجر	.٥٠

١٠_ فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم ، العد الكوفي .

(أ)

_ أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ، تأليف الدكتور : بدر بن ناصر البدر ، دار النشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ _ ٢٠٠٠ م .

_ الإتيقان في علوم القرآن ، تأليف : جلال الدين السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النشر : المكتبة العصرية ، بيروت _ لبنان ، ١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٧ م .
_ آثار البلاد وأخبار العباد ، تأليف : زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، دار النشر : دار صادر _ بيروت .

_ الإحاطة في أخبار غرناطة ، تأليف : لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، دار النشر : مكتبة الخانجي _ القاهرة .

_ اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط ، تأليف الدكتور : بدر بن ناصر البدر ، دار النشر : مكتبة الرشد _ الرياض ، ١٤٢٠ هـ _ ٢٠٠٠ م .

_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، تأليف : أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، المتوفى سنة ٩٥١ هـ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان .

_ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، تأليف : عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، ٦٨٠ _ ٧٤٣ هـ / ١٢٨١ _ ١٣٤٢ م ، تحقيق : د . عبد المجيد دياب ، ط . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

_ الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار النشر : دار الجليل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

_ أصول الحديث علومه ومصطلحه ، تأليف : د . محمد عجاج الخطيب ، دار النشر : دار الفكر ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ _ ١٩٨١ م .

_ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ ، طبع وتوزيع : الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣ هـ _ ١٩٨٣ م .

_ إعراب القرآن ، تأليف : أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، تحقيق : د . زهير غازي زاهد ، دار النشر : عالم الكتب _ بيروت .

- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، تأليف : أ . د . عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، وآخرين ، دار النشر : دار جيان الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ — ٢٠٠٨ م .
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف : خير الدين زركلي ، دار النشر : دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٨٤ م .
- أعلام من أرض النبوة ، تأليف : أنس يعقوب كتيبي ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ — ١٩٩٣ م .
- الأغاني ، تأليف : أبي الفرج الأصبهاني ، شرحه : عبد علي مهنا ، وسمير جابر ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٦ م .
- الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى ، تأليف : علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ .
- أمالي المرئضي ، دار النشر : بابي الحلبي ، طبعة ١٣٧٣ هـ .
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، تأليف : أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، دار النشر : دار الفكر ، بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تأليف : الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، المتوفى سنة ٦٢٤ هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النشر : دار الفكر العربي — القاهرة ، ومؤسسة الكتب الثقافية — بيروت .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تأليف : البيضاوي ، دار النشر : دار الفكر — بيروت .

(ب)

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، تأليف : أحمد محمد شاكر ، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .
- بحر العلوم ، تأليف : نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ، تحقيق : د . محمود مطرجي ، دار النشر : دار الفكر ، بيروت .
- البحر المحيط ، تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرون ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، لبنان — بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ — ٢٠٠١ م .

- البحر المحيط في أصول الفقه ، تأليف: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : د . محمد محمد تامر ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، لبنان — بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠ م .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تأليف : العلامة محمد بن علي الشوكاني ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت .
- البرهان في علوم القرآن ، تأليف : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، المتوفى سنة ٧٩٤ هـ ، تخرىج وتعليق : مصطفى عبد القادر عطا ، ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النشر : المكتبة العصرية ، بيروت — لبنان .
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، تأليف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : محمد المصري ، دار النشر : جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، الطبعة : الأولى ١٤٠٧ هـ .
- البيان والتبيين ، تأليف : الجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار النشر : دار صعب ، بيروت .

(ت)

- تاج العروس ، تأليف : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار النشر : دار الهداية .
- تاريخ بغداد ، تأليف : أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان .
- التاريخ الكبير ، تأليف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبي عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، دار النشر : دار الفكر .
- التبصرة في أصول الفقه ، تأليف : الشيخ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي ، المتوفى سنة ٤٧٦ هـ ، شرحه وحققه : د . محمد حسن هيتو ، دار النشر : دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .
- التحرير والتنوير ، تأليف : الشيخ محمد بن عاشور ، المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ ، دار النشر : الدار التونسية .
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، تأليف : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري ، أبي العلا ، دار النشر : دار الكتب العلمية — بيروت .

- تذكرة الحفاظ ، تأليف : أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى .
- ترجيحات أبي حيان الأندلسي من أول الفاتحة إلى آخر سورة ، رسالة دكتوراه ، إعداد : محمد بن ناصر يحيى جده .
- التسهيل لعلوم التنزيل ، تأليف : الإمام الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، المتوفى سنة ٧٥٨ هـ ، تحقيق : محمد عبد المنعم اليونسي ، وإبراهيم عطوة عوض ، دار النشر : دار الكتب الحديثة .
- التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية ، تأليف : عبد اللطيف البرزنجي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- تفسير الجلالين ، تأليف : العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، والشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مراجعة : علي محمد الضباع ، يطلب من : مكتبة الجمهورية المصرية - مصر .
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، تأليف : محمد الرازي فخر الدين ، (٥٤٤ هـ - ٦٠٤ هـ) ، دار النشر : دار الفكر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- تفسير القرآن ، تأليف : عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق: د . مصطفى مسلم محمد ، دار النشر: مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .
- تفسير القرآن العزيز ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، تحقيق : أبي عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكثر ، دار النشر : الفاروق الحديثة ، مصر - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- تفسير القرآن العظيم ، تأليف : إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، دار النشر : دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- تفسير القرآن العظيم ، تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم ، المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، إعداد : مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة - الرياض .
- التفسير القيم للإمام ابن القيم (٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ) ، جمعه : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار النشر : دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم : تأليف : د . مساعد بن سليمان الطيار ، دار النشر : دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية - الدمام ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .

— تفسير مجاهد ، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر المكي المخزومي ، قدم له وحققه وعلق حواشيه ، عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورقي ، مجمع البحوث الإسلامية — إسلام آباد ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

— تفسير المراغي ، تأليف : أحمد مصطفى المراغي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
— تقريب التهذيب ، تأليف : أحمد بن علي بن حجر ، أبي الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : محمد عوامة ، دار النشر : دار الرشيد ، سوريا ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .
— التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تأليف : أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري ، دار النشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧ هـ .

— تهذيب الكمال ، تأليف : يوسف بن الزكي عبدالرحمن ، أبي الحجاج المزني ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .
— تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، (١٣٠٧ هـ — ١٣٧٦ هـ) ، تحقيق : محمد زهري النجار ، دار النشر : دار المؤيد ، و مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ — ١٩٩٥ م .

(ث)

— الثقات ، تأليف : الإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م ، دار النشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية — بجيدر آباد الدكن — الهند ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

(ج)

— الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تأليف : محمد بن عيسى ، أبي عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
— الجامع لأحكام القرآن ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، المتوفى سنة ٦٧١ هـ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت — لبنان ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
— جمهرة أشعار العرب ، تأليف : أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، شرحه وضبطه : علي فاعور ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ — ١٩٩٢ م .
— الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تأليف : الإمام العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، المتوفى سنة ٨٧٦ هـ ، تحقيق : أبي محمد الغماري الإدريسي الحسيني ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان .

— الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تأليف محي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي ، ٦٩٦ — ٧٧٥ هـ ، تحقيق : د . عبد الفتاح محمد الحلو ، دار النشر : هجر للطباعة والنشر ، ١١٣٥ هـ — ١٨٧١ م .

(ح)

— حاشية الشهاب المسماة : عناية القاضي وكفاية الراضي ، تأليف : القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ ، ضبط وتخرّيج : الشيخ عبد الرزاق المهدي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان .

— حاشية القونوي ، تأليف : عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي ، المتوفى سنة ١١٩٥ هـ ، ضبط وتصحيح : عبد الله محمود محمد عمر ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان .
— حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، تأليف : أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار النشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .

(خ)

— خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، وأمّيل بديع يعقوب ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

(د)

— الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف : أحمد بن يوسف المعروف بالسمن الحلي ، المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، تحقيق : د . أحمد محمد الخراط ، دار النشر : دار القلم — دمشق .

— الدر المنثور في التفسير المأثور ، تأليف : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ ، دار النشر : دار الفكر ، بيروت — لبنان ، ١٤١٤ هـ — ١٩٩٣ م .

— الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تأليف : الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، دار النشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، صيدر آباد — الهند ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

— دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير ، دراسة نظرية من خلال تفسير ابن جرير ، لعبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم القرآن وعلومه ، ١٤٢٠ هـ .

— الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تأليف : ابن فرحون المالكي ، تحقيق : د . محمد الأحمد أبو النور ، دار النشر : دار التراث _ القاهرة .

— ديوان الأعشى ، شرحه وضبطه : د . عمر فاروق الطباع ، دار النشر : دار القلم ، بيروت _ لبنان .

— ديوان أمية بن أبي الصلت ، جمعه : بشير يموت ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٣٤ هـ .

— ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، شرحه وضبطه : د . عمر فاروق الطباع ، دار النشر : دار القلم ، بيروت _ لبنان .

— ديوان عمر بن ربعة ، قدم له ووضع فهرسه : د . فايز محمد ، دار النشر : دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

(ذ)

— ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد ، تأليف : محمد بن أحمد الفاسي المكي أبي الطيب ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

— ذيل تذكرة الحفاظ ، تأليف : الحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي .

(س)

— الرد الوافر ، تأليف : محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ، تحقيق : زهير الشاويش ، دار النشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ .

— روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف : العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(ز)

— زاد المسير في علم التفسير ، تأليف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، (٥٠٨ هـ) — ٥٩٧ هـ) ، دار النشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ .

(س)

— سير أعلام النبلاء ، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ —
دار النشر : مؤسسة الرسالة — بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧ هـ — ١٩٩٦ م .
— السنن الكبرى ، تأليف : أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : د . عبد الغفار
سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى
١٤١١ هـ — ١٩٩١ م .

(ش)

— شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تأليف : محمد مخلوف ، دار النشر : دار الفكر للطباعة
والنشر .
— شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تأليف : عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ،
تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، ومحمود الأرناؤوط ، دار النشر : دار بن كثير ، دمشق ، الطبعة
الأولى ١٤٠٦ هـ .
— شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : جماعة من العلماء ، دار النشر : المكتب
الإسلامي ، بيروت — دمشق ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م .
— شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ، أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه ،
تأليف : العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي ، المعروف بابن النجار
، المتوفى سنة : ٩٧٢ هـ ، تحقيق : د . محمد الزحيلي ، و د . نزيه حماد ، دار النشر : مكتبة
العبيكان ، الرياض ، ١٤١٨ هـ — ١٩٩٧ م .
— شرح مختصر الروضة ، تأليف : نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي ، المتوفى سنة
٧١٦ هـ ، تحقيق : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م ،
توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد — المملكة العربية السعودية .
— شرح مقدمة التفسير ، تأليف : محمد بن صالح العثيمين ، دار النشر : مدار الوطن للنشر ، الرياض
، ١٤٢٦ هـ .
— شعب الإيمان ، تأليف : أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ،
دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .
— الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ، تأليف : مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، دار
النشر : دار الفرقان ، ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، تحقيق : نجم عبد
الرحمن خلف .

(ص)

- الصاحبي ، تأليف : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار النشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة .
- صحيح البخاري ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، ضبط وتخرىج : د . مصطفى ديب البغا ، دار النشر : دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الرابعة ١٤١٠ هـ — ١٩٩٠ م .
- صحيح ابن حبان ، تأليف : محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ — ١٩٩٣ م .
- صحيح مسلم ، تأليف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، ضبط وتصحيح : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى : ١٤٢١ هـ — ٢٠٠٠ م .
- صفة الصفوة ، تأليف : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج ، تحقيق : محمود فاحوري ، ود . محمد رواس قلعه جي ، دار النشر : دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .
- الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة ، تأليف : أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، تحقيق : د . علي بن محمد الدخيل الله ، دار النشر : دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ — ١٩٩٨ م .

(ض)

- الضعفاء الكبير ، تأليف : أبي جعفر محمد بن عمر العقيلي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعي ، دار النشر : دار المكتبة العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م .
- الضعفاء والمتروكون ، تأليف : أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار النشر : دار الوعي ، حلب ، الطبعة : الأولى ١٣٩٦ هـ .
- ضعيف الجامع الصغير وزياداته ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : المكتب الإسلامي — دمشق ، بيروت .

(ط)

- ٢٤٠ _ الطبقات ، تأليف : الإمام المحدث أبي عمرو خليفة بن خياط شباب العصفري ، توفي سنة ٢٤٠ هـ ، تحقيق : د . أكرم ضياء العمري ، دار النشر : دار طيبة _ الرياض .
- _ طبقات الحفاظ ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، (٨٤٩ هـ _ ٩١١ هـ) ، تحقيق : د . علي محمد عمر ، دار النشر : مكتبة الثقافة الدينية .
- _ طبقات الشافعية ، تأليف : أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد ، تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي ، (٧٧٩ _ ٨٥١ هـ / ١٣٧٧ _ ١٤٤٨ م) ، اعتنى بتصحيحه : د . الحافظ عبد العليم خان ، دار النشر : عالم الكتب _ بيروت .
- _ طبقات المفسرين ، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، دار النشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ .
- _ طبقات الشافعية الكبرى ، تأليف : تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، ٧٢٧ _ ٧٧١ هـ ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، دار النشر : دار إحياء الكتب العربية _ القاهرة .
- _ طبقات المفسرين ، تأليف : أحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، دار النشر : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ _ ١٩٩٧ م .
- _ طبقات المفسرين ، تأليف : أحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، دار النشر : مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٧ م .
- _ طبقات المفسرين ، تأليف : أحمد بن محمد الداوودي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، دار النشر : مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٧ م .
- _ طرح التثريب في شرح التقریب ، تأليف : زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق : عبد القادر محمد علي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .

(٤)

- _ العبر في خبر من غير ، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : د . صلاح الدين المنجد ، دار النشر : مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م .
- _ العدة في أصول الفقه ، تأليف : القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي ، تحقيق : د . أحمد علي المباركي ، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ _ ١٩٩٠ م .
- _ العقد الفريد ، تأليف : الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق : د . عبد المجيد الترحيمي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٧ م .

(غ)

__ غاية النهاية في طبقات القراء ، تأليف : أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ، المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، عنى بنشره : ج . برجستراسر ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ _ ١٩٨٢ م .

(ف)

__ فصول في أصول التفسير ، إعداد : مساعد بن سليمان الطيار ، دار النشر : دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية _ الدمام .

__ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، تأليف : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار النشر : دار العربي الاسلامي ، الطبعة الثانية ، بيروت _ لبنان ، ١٤٠٢ هـ _ ١٩٨٢ م .

__ فوات الوفيات ، تأليف : محمد بن شاكر الكتبي ، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار النشر : دار صادر _ بيروت .

__ الفقيه و المتفقه ، تأليف : أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، تحقيق : أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي ، دار النشر : دار ابن الجوزي ، السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ .

(ق)

__ القاموس المحيط ، تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، المتوفى سنة ٨١٧ هـ ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، دار النشر : مؤسسة الرسالة _ بيروت الطبعة السادسة ١٤١٩ هـ _ ١٩٩٨ م .

__ قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر ، تأليف : صلاح بن محمد الغلاني ، تحقيق : عامر حسن صبري ، دار النشر : دار الشروق ، مكة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ _ ١٩٨٤ م .

__ قواعد الترجيح عند المفسرين ، تأليف : حسين بن علي بن حسين الحربي ، ط . دار القاسم _ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦ م .

__ قواعد التفسير ، تأليف : خالد بن عثمان السبت ، ط . دار ابن عفان .

(ك)

— الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، تأليف : محمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي
الدمشقي ، تحقيق : محمد عوامة ، دار النشر : دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو ، جدة ،
الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م .

— الكامل في التاريخ ، تأليف : أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني
، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية
١٤١٥ هـ .

— الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف : أبي القاسم محمود بن
عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ هـ — ٥٣٨ هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وغيره ،
دار النشر : مكتبة العبيكان .

— كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف : مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ،
عنى بتصحيحه : محمد شرف الدين ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت — لبنان .
— الكشف والبيان ، تأليف : أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، تحقيق :
الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي ، دار النشر : دار إحياء التراث
العربي ، بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ — ٢٠٠٢ م .

(ل)

— اللباب في علوم الكتاب ، تأليف : الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي
الحنبلي ، المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ ، تحقيق : الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود وغيره ، دار النشر :
دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان .

— لباب التأويل في معاني التنزيل ، تأليف : الإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي
المعروف بالخازن ، المتوفى سنة ٧٢٥ هـ ، دار النشر : دار الفكر .

— لسان العرب ، تأليف : محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، دار النشر : دار صادر ،
بيروت ، الطبعة الأولى .

— لسان الميزان ، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : دائرة
المعرف النظامية — الهند ، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦
هـ — ١٩٨٦ م .

(م)

— مباحث في علوم القرآن ، تأليف الدكتور : مناع القطان ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ،
الطبعة التاسعة عشر ، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٣ م .

- مبهمات القرآن ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن علي البنسي ، (٧١٤ هـ — ٧٨٢ هـ) ،
دراسة وتحقيق : عبد الله عبد الكريم محمد ، دار النشر : دار الغرب الإسلامي ، بيروت — لبنان ،
الطبعة الأولى ١٤١١ هـ — ١٩٩١ م .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تأليف : علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار النشر : دار الريان للتراث ،
ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
العاصمي النجدي الحنبلي ، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، تأليف : أبو القاسم الحسين بن المفضل الأصفهاني ،
تحقيق : عمر الطباع ، دار النشر : دار القلم ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ — ١٩٩٩ م .
- المحكم والمحيط الأعظم ، تأليف : أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد
الحميد هنداوي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .
- مدارك التبريل وحقائق التأويل ، تأليف : الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن
محمود ، المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، نشر : دار الكتاب العربي ، بيروت — لبنان ، ١٤٠٨ هـ —
١٩٨٨ م .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تأليف : الإمام أبو محمد عبد الله
ابن أسعد بن علي بن سليمان الياضي اليميني المكي ، المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، دار النشر : دار الكتاب
الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م .
- المراسيل ، تأليف : سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، دار النشر :
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .
- المستدرک علی الصحیحین ، تأليف : أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للحافظ
الذهبي ، دار النشر : دار المعرفة ، بيروت — لبنان ، إشراف : د . يوسف المرعشلي .
- المسند ، تأليف : أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني ، دار النشر : مؤسسة قرطبة ، مصر .
- مسند أبي يعلى ، تأليف : أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، تحقيق : حسين سليم
أسد ، دار النشر : دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م .
- مسند الروياني ، تأليف : محمد بن هارون الروياني أبي بكر ، تحقيق : أيمن علي أبو يمان ، دار
النشر : مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .
- مسند الشاميين ، تأليف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن
عبدالمجيد السلفي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٤ م .

- مشاهير علماء الأمصار ، تأليف : محمد بن حبان البستي ، عنى بتصحيحه : م . فلايشهمر ، دار النشر : دار الكتب العلمية .
- مشكاة المصابيح ، تأليف : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، دار النشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥ م ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
- المصباح المنير ، تأليف : أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، اعتنى به : أ . يوسف الشيخ محمد ، دار النشر : المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ — ٢٠٠٤ .
- المصنف في الأحاديث والآثار ، تأليف : أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار النشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .
- المصنف ، تأليف : أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار النشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .
- معالم التنزيل ، تأليف : أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وغيره ، دار النشر : دار طيبة ، المملكة العربية السعودية — الرياض ، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ — ١٩٩٧ م .
- معاني القرآن ، تأليف : سعيد بن مسعدة البلخي الجاشعي ، الأخفش ، دراسة وتحقيق : د . عبد الأمير محمد أمين الورد ، دار النشر : عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- معاني القرآن ، تأليف : أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، تحقيق ومراجعة : أ . محمد علي النجار ، دار النشر : دار السرور ، بيروت — لبنان .
- معاني القرآن وإعرابه ، تأليف : أبي إسحاق إبراهيم بن السري ، المتوفى سنة ٣١١ هـ ، شرح وتحقيق : د . عبد الجليل عبده جلي ، دار النشر : عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، تأليف : ياقوت الحموي الرومي ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار النشر : دار الغرب الإسلامي .
- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تأليف : أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ — ١٩٩١ م .
- المعجم الأوسط ، تأليف : أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار النشر : دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ .
- معجم البلدان ، تأليف : أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار النشر : دار صادر . بيروت .

- المعجم الكبير ، تأليف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، دار النشر : مكتبة الزهراء ، الموصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٣ م .
- معجم المؤلفين ، تأليف : عمر رضا كحالة ، دار النشر : دار أحياء التراث العربي ، بيروت — لبنان .
- معجم محدثي الذهبي ، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : د . روحية عبد الرحمن السويدي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م .
- معجم مقاييس اللغة ، تأليف : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار النشر : دار الجليل ، بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ — ١٩٩٩ م ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون .
- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم ، تأليف : أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي ، دار النشر : مكتبة الدار ، المدينة المنورة — السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، تأليف : الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، تحقيق : أبي عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان .
- مفردات ألفاظ القرآن ، تأليف : الراغب الأصفهاني ، المتوفى في حدود سنة ٤٢٥ هـ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار النشر : دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م .
- المفضليات ، تأليف : المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، و عبد السلام محمد هارون ، بيروت .
- الملل والنحل ، تأليف : أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، دار النشر : مكتبة الخانجي — مصر .
- من ذبول العبر ، تأليف : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تحقيق : د . صلاح الدين المنجد ، دار النشر : مطبعة حكومة الكويت .
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، تأليف : محمد عبد العظيم الزرقاني ، الطبعة الثالثة ، دار النشر : دار إحياء الكتب العربية .
- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، تأليف : عثمان بن علي حسن ، دار النشر : مكتبة الرشد — الرياض .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف : أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ — ١٩٩٣ م .
- المحصول في علم أصول الفقه ، تأليف : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، (٥٤٤ — ٦٠٦ هـ) ، دراسة وتحقيق : د . طه جابر فياض العلواني ، دار النشر : مؤسسة الرسالة — بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م .
- مختار الصحاح ، تأليف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥ هـ — ١٩٩٥ م .
- المختصر في أخبار البشر ، تأليف : عماد الدين إسماعيل أبي الفدا ، دار النشر : دار المعرفة ، بيروت — لبنان .
- مدارك التزييل وحقائق التأويل ، تأليف : أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، توفي سنة ٧١٠ هـ ، دار النشر : دار الكتاب العربي ، بيروت — لبنان ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
- المدخل لدراسة القرآن الكريم ، تأليف : محمد بن محمد أبو شهبه ، دار النشر : مكتبة السنة .
- المستصفى من علم الأصول ، تصنيف : الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، (٤٥٠ — ٥٠٥ هـ) ، دراسة وتحقيق : حمزة بن زهير حافظ ، دار النشر : الجامعة الإسلامية — كلية الشريعة ، المدينة المنورة .
- المشتبه في الرجال ، تأليف : أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، دار النشر : الدار العلمية ، دلهي — الهند ، تحقيق : علي محمد الجاوي ، الطبعة الثانية ١٩٨٧ م .
- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المثورة ، تأليف : أحمد بن علي العسقلاني أبي الفضل ، تحقيق : محمد شكور المياديني ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ — ١٩٩٨ م .
- المعين في طبقات المحدثين ، تأليف : شمس الدين الذهبي ، المتوفى ٧٤٨ هـ ، تحقيق : د . همام عبد الرحيم سعيد ، دار النشر : دار الفرقان ، عمان — الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م .
- المنحول في تعليقات الأصول ، تأليف : محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبي حامد ، المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، تحقيق : د . محمد حسن هيتو ، دار النشر : دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

(ن)

- الناسخ والمنسوخ ، تأليف : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبي جعفر ، تحقيق : د. محمد عبد السلام محمد ، دار النشر : مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تأليف : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، (٨١٣ — ٨٧٤ هـ) ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب . وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة .
- نشر البنود على مراقبي السعود ، تأليف : سيدي عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي ، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ م .
- النشر في القراءات العشر ، تأليف : الحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري ، المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، تصحيح ومراجعة : علي محمد الضباع ، دار النشر : دار الفكر .
- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ، تأليف : عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي ، تحقيق : محمد يوسف البنوري ، دار النشر : دار الحديث ، مصر ، ١٣٥٧ هـ .
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تأليف : الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تحقيق الدكتور : إحسان عباس ، دار النشر : دار صادر — بيروت .
- النكت على كتاب ابن الصلاح ، تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني .
- نكت الهميان في نكت العميان ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار النشر : المطبعة الجمالية — مصر . سنة ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م .
- النكت والعيون ، تأليف : أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، (٣٦٤ هـ — ٤٥٠ هـ) ، راجعه وعلق عليه : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، ومؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت — لبنان ،
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تأليف : أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، دار النشر : المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .
- النهر الماد من البحر المحيط ، تأليف : أبي حيان الأندلسي ، المتوفى سنة ٧٥٤ هـ ، تقديم وضبط : بوران الضناوي ، وهديان الضناوي ، دار النشر : دار الجنان ، ومؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .

(و)

- الوافي بالوفيات ، تأليف : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار النشر : فرانز شتايز شتوتغارت ، الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ — ١٩٩١ م .

— الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، تأليف : أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٦٨ هـ ، تحقيق : الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود وغيره ، دار النشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان .

— الوفيات ، تأليف : أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ، تحقيق : عادل نويهض ، دار النشر : دار الإقامة الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٨ م .

— الوفيات ، تأليف : أبي المعالي محمد بن رافع السلامي ، ٧٠٤ — ٧٧٤ هـ ، تحقيق : صالح مهدي عباس ، دار النشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار النشر : دار صادر — بيروت .



١١ _ فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصحيفة
١	المقدمة :	٥
٢	التمهيد : ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي ، وفيه ستة مباحث :	٢١
	المبحث الأول : اسمه ونسبه ومولده وصفاته الخلقية والخلقية .	٢٢
	المبحث الثاني : نشأته ، وطلبه للعلم .	٢٦
	المبحث الثالث : مكائنه العلمية ، وثناء العلماء عليه .	٣١
	المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه .	٣٣
	المبحث الخامس : آثاره ومؤلفاته .	٣٩
	المبحث السادس : وفاته .	٥٢
٣	القسم الأول ، وفيه فصلان :	٥٤
٤	الفصل الأول : منهج أبي حيان في تفسيره ، وفيه مبحثان :	٥٥
	المبحث الأول : تفسيره القرآن بالمأثور . وفيه تمهيد وتسعة مطالب :	٥٦
	تمهيد :	٥٧
	المطلب الأول : تفسيره القرآن بالقرآن	٦٢
	المطلب الثاني : تفسيره القرآن بالسنة	٦٤
	المطلب الثالث : تفسيره القرآن بأقوال الصحابة	٦٨

٧١	المطلب الرابع : تفسيره القرآن بأقوال التابعين	
٧٣	المطلب الخامس : تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين	
٧٦	المطلب السادس : عنايته بالقراءات	
٧٩	المطلب السابع : عنايته بأسباب التزول	
٨٣	المطلب الثامن : عنايته بالناسخ والمنسوخ	
٨٦	المطلب التاسع : عنايته بذكر المكي والمدني .	
٨٩	المبحث الثاني : تفسيره القرآن بالرأي ، وفيه ثلاثة مطالب :	
٩٣	المطلب الأول : تفسيره القرآن باللغة . وفيه خمسة جوانب :	
٩٤	الأول : مصادره في اللغة ، والأعلام الذين ساهم .	
٩٧	الثاني : عنايته بمعاني المفردات .	
١٠٠	الثالث : عنايته بمعاني الحروف والأدوات .	
١٠٢	الرابع : عنايته بالإعراب .	
١٠٤	الخامس : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني .	
١٠٨	المطلب الثاني : عنايته بالمناسبات .	
١١١	المطلب الثالث : عنايته بأسرار التعبير .	
١١٤	الفصل الثاني : منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير ، وفيه تمهيد ، ومبحثان :	٤
١١٥	التمهيد : تعريف التعارض و الترجيح .	

١١٧	المبحث الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان الأندلسي : وفيه ثلاثة مطالب :	
١١٨	المطلب الأول : التنصيص على القول الراجح .	
١٢٠	المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره .	
١٢٢	المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم ، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض .	
١٢٤	المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي : وفيه أحد عشر مطلباً :	
١٢٥	المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .	
١٢٧	المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن .	
١٢٩	المطلب الثالث : الترجيح بالقراءات .	
١٣١	المطلب الرابع : الترجيح بالسياق .	
١٣٤	المطلب الخامس : الترجيح بالحديث النبوي	
١٣٧	المطلب السادس : الترجيح بأسباب التول .	
١٣٨	المطلب السابع : الترجيح في النسخ والمنسوخ .	
١٣٩	المطلب الثامن : الترجيح بالعموم .	
١٤١	المطلب التاسع : الترجيح بالمطلق .	
١٤٣	المطلب العاشر : الترجيح باللغة .	
١٤٤	القسم الثاني : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية ١٠ من سورة الرعد إلى الآية : ٧٩ من سورة	٥

	النحل .	
١٤٥	أولاً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة الرعد من آية : ١٠ . إلى نهاية السورة ، وفيها : تسعة وثلاثين ترجيحاً .	
١٤٥	قال الله تعالى ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ... ﴾ [١٠] .	
١٤٥	١ / ١ _ المراد بـ ﴿ سَوَاءٌ ﴾ .	
١٤٩	قال الله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ... ﴾ [١١] ، في الآية الكريمة ثلاث مسائل :	
١٤٩	٢ / ٢ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ .	
١٥٦	٣ / ٣ _ المسألة الثانية : المراد بالمعقبات .	
١٦٠	٤ / ٤ _ المسألة الثالثة : معنى قوله تعالى ﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .	
١٦٤	قال الله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ... ﴾ [١٣] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
١٦٤	٥ / ٥ _ المسألة الأولى : المراد بالرعد .	
١٦٨	٦ / ٦ _ المسألة الثانية : مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ .	

١٧٠	قوله تعالى ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ [١٤] .	
١٧٠	٧ / ٧ _ المراد بالحق في قوله تعالى ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ .	
١٧٤	قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [١٥] ، في الآية الكريمة ثلاث مسائل :	
١٧٤	٨ / ٨ _ المسألة الأولى : هل الآية عامة أم خاصة ، وما المراد بالسجود ؟	
١٧٨	٩ / ٩ _ المسألة الثانية : المراد بالظلال في قوله تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَاهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ .	
١٨٠	١٠ / ١٠ _ المسألة الثالثة : المراد بسجود الظلال .	
١٨٣	قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ... ﴾ [١٦]	
١٨٣	١١ / ١١ _ من القائل ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ ؟ .	
١٨٦	قال الله تعالى ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا .. ﴾ [١٧] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
١٨٦	١٢ / ١٢ _ المسألة الأولى : فيم ضرب له هذان المثالان في الآية الكريمة .	
١٨٩	١٣ / ١٣ _ المسألة الثانية : المراد بـ (من) في قوله تعالى ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ .	

١٩١	قال الله تعالى ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ...﴾ [١٨] .	
١٩١	١٤ / ١٤ _ في إعراب ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ...﴾ ﴿	
١٩٦	قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ...﴾ [٢٠] .	
١٩٦	١٥ / ١٥ _ المراد بالعهد .	
١٩٨	قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ..﴾ [٢١] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
١٩٨	١٦ / ١٦ _ المسألة الأولى : المراد بما أمر الله به أن يوصل .	
٢٠١	١٧ / ١٧ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ .	
٢٠٣	قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ...﴾ [٢٢] ، في الآية الكريمة ثلاث مسائل :	
٢٠٣	١٨ / ١٨ _ المسألة الأولى : معنى ﴿ابْتِغَاءَ﴾ .	
٢٠٥	١٩ / ١٩ _ المسألة الثانية : المراد بالوجه في قوله تعال ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ .	
٢١٠	٢٠ / ٢٠ _ المسألة الثالثة : معنى قوله تعال ﴿وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ .	
٢١٤	قال الله تعالى ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...﴾ [٢٣] .	

٢١٤	٢١ / ٢١ _ المراد بالصلاح في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ صَلَحَ ﴾ .	
٢١٨	قال الله تعالى ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ... ﴾ [٢٤] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٢١٨	٢٢ / ٢٢ _ المسألة الأولى : المراد بالسلام في قوله تعالى ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ .	
٢٢١	٢٣ / ٢٣ _ المسألة الثانية : متعلق ﴿ بِمَا ﴾ في قوله تعالى ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ .	
٢٢٤	قال الله تعالى ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ... ﴾ [٢٦]	
٢٢٤	٢٤ / ٢٤ _ المراد بـ ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ .	
٢٢٦	قال الله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ... ﴾ [٢٧] .	
٢٢٦	٢٥ / ٢٥ _ مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ﴾ .	
٢٢٨	قال الله تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَقَابٍ ﴾ [٢٩] .	
٢٢٨	٢٦ / ٢٦ _ المراد بـ ﴿ طُوبَى ﴾ .	
٢٣٢	قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ ﴾	

	الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴿ [٣١] ، في الآية الكريمة خمس مسائل :	
٢٣٢	٢٧ / ٢٧ _ المسألة الأولى : جواب ﴿ لَوْ ﴾ .	
٢٣٦	٢٨ / ٢٨ _ المسألة الثانية : المراد بـ (اليأس) في قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَأْيَسِ ﴾ .	
٢٤٠	٢٩ / ٢٩ _ المسألة الثالثة : المراد بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .	
٢٤٢	٣٠ / ٣٠ _ المسألة الرابعة : مرجع الضمير في ﴿ تَحُلُّ ﴾ .	
٢٤٤	٣١ / ٣١ _ المسألة الخامسة : المراد بـ ﴿ وَعَدُّ اللَّهِ ﴾ .	
٢٤٦	قال الله تعالى ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ... ﴾ [٣٣] .	
٢٤٦	٣٢ / ٣٢ _ المراد بـ ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ ﴾ .	
٢٤٩	قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ... ﴾ [٣٥] .	
٢٤٩	٣٣ / ٣٣ _ المراد بـ ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ .	
٢٥٣	قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ... ﴾ [٣٨] .	
٢٥٣	٣٤ / ٣٤ _ المراد بـ ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ .	
٢٥٦	قال الله تعالى ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾	

	﴿ [٣٩] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٢٥٦	٣٥ / ٣٥ _ المسألة الأولى : المراد بالحوو والإثبات .	
٢٦١	٣٦ / ٣٦ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ .	
٢٦٤	قال الله تعالى ﴿ أَوْلَم يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ ﴾ [٤١] .	
٢٦٤	٣٧ / ٣٧ _ المراد بنقصان الأرض .	
٢٦٩	قال الله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ... ﴾ [٤٢] .	
٢٦٩	٣٨ / ٣٨ _ المراد بالكفار في الآية .	
٢٧١	قال الله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ... ﴾ [٤٣] .	
٢٧١	٣٩ / ٣٩ _ مرجع الضمير في ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴾ ، والمراد بالكتاب .	
٢٧٦	ثانياً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في وفيها واحد وثلاثون ترجيحاً :	
٢٧٧	قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِأَيَّتِنَا ﴾ [٥] .	
٢٧٧	٤٠ / ١ _ المراد بـ ﴿ بِأَيِّنَّمَا اللَّهُ ﴾ .	
٢٨١	قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [٩]	

٢٨١	﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ . ٢ / ٤١ _ مرجع الضمير في	
٢٨٨	﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [١٠] . قال الله تعالى	
٢٨٨	﴿ مِّنْ مِّنْ ﴾ في ﴿ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ . ٣ / ٤٢ _ مسألة : المراد بـ	
٢٩١	﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [١٥] . قال الله تعالى	
٢٩١	﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ . ٤ / ٤٣ _ مرجع الضمير في	
٢٩٥	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [٢٤] . قال الله تعالى	
٢٩٥	﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ . ٥ / ٤٤ _ المراد بالشجرة في قوله تعالى	
٢٩٩	﴿ تُوْتِي أ كُلِّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [٢٥] . قال الله تعالى	
٢٩٩	﴿ كُلَّ حِينٍ ﴾ . ٦ / ٤٥ _ المراد بـ	
٣٠٣	﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ [٢٦] قال الله تعالى	
٣٠٣	﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ . ٧ / ٤٦ _ المراد بالشجرة في	
٣٠٧	﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [٢٧] . قال الله تعالى	

٣٠٧	٤٧ / ٨ _ المراد بالثبات في ﴿ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ و ﴿ الْآخِرَةِ ﴾ .
٣١١	قال الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴿ [٢٨] ﴾ .
٣١١	٤٨ / ٩ _ المراد بـ ﴿ الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ .
٣١٦	قال الله تعالى ﴿ وَعَاتِلْكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [٣٤] ، في الآية الكريمة مسألتان :
٣١٦	٤٩ / ١٠ _ المسألة الأولى : المراد بقوله تعالى ﴿ وَعَاتِلْكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ .. ﴾ .
٣٢٠	٥٠ / ١١ _ المسألة الثانية : المراد بالنعمة في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴾ .
٣٢٣	قال الله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [٣٧] . في الآية الكريمة ثلاث مسائل :
٣٢٣	٥١ / ١٢ _ المسألة الأولى : هل البيت كان موجوداً قبل دعاء إبراهيم أم لا ؟ .
٣٢٦	٥٢ / ١٣ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ أَفْعَدَّةً ﴾ .
٣٢٩	٥٣ / ١٤ _ المسألة الثالثة : المراد بـ ﴿ تَهْوَى ﴾ .

٣٣٣	قال الله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ ... ﴾ [٣٨] ، في الآية الكريمة مسألتان :
٣٣٣	١٥ / ٥٤ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ ﴾
٣٣٦	١٦ / ٥٥ _ المسألة الثانية : هل قوله تعالى ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ من كلام الله تعالى أم من كلام إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ ؟ .
٣٣٩	قال الله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [٣٩] .
٣٣٩	١٧ / ٥٦ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ عَلَى الْكِبَرِ ﴾ .
٣٤١	١٨ / ٥٧ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ .
٣٤٥	قال الله تعالى ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [٤١] .
٣٤٥	١٩ / ٥٨ _ كيف استغفر إبراهيم لوالده مع كفره بالله تعالى .
٣٥٠	قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَخْصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [٤٢] .
٣٥٠	٢٠ / ٥٩ _ من المخاطب في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ .
٣٥٣	قال الله تعالى ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ... ﴾ [٤٣] ، في

	الآية الكريمة مسألتان :	
٣٥٣	٦٠ / ٢١ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ هَوَاءٌ ﴾ .	
٣٥٧	٦١ / ٢٢ _ المسألة الثانية : متى يكون حصول هذه الصفات ؟ .	
٣٥٨	قال الله تعالى ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ... ﴾ [٤٤] . في الآية الكريمة أربع مسائل :	
٣٥٨	٦٢ / ٢٣ _ المسألة الأولى : المراد بالناس في قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ .	
٣٦٠	٦٣ / ٢٤ _ المسألة الثانية : المراد باليوم في قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾ .	
٣٦٣	٦٤ / ٢٥ _ المسألة الثالثة : من القائل ﴿ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴾ ؟ .	
٣٦٦	٦٥ / ٢٦ _ المسألة الرابعة : المراد من قوله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ ﴾ .	
٣٧٠	قال الله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ... ﴾ [٤٦] ، في الآية الكريمة أربع مسائل :	
٣٧٠	٦٦ / ٢٧ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ .	
٣٧٢	٦٧ / ٢٨ _ المسألة الثانية : المراد بالمكر في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ .	

		مَكْرُوهًا مَكْرَهُمْ ﴿ .
٣٧٤	٦٨ / ٢٩ _ المسألة الثالثة : المراد بقوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ .	
٣٧٩	٦٩ / ٣٠ _ المسألة الرابعة : المراد بالجبال في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ .	
٣٨٢	قال الله تعالى ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ... ﴾ [٥٢] .	
٣٨٢	٧٠ / ٣١ _ المشار إليه في قوله تعالى ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ .	
٣٨٦	ثالثاً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة الحجر وفيها ثلاثة وأربعون ترجيحاً :	
٣٨٧	قال الله تعالى ﴿ رَبِّمَا يَؤُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [٢] .	
٣٨٧	٧١ / ١ _ المراد بـ (رَبِّ) في قوله تعالى ﴿ رَبِّمَا ﴾ .	
٣٩٣	قال الله تعالى ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] .	
٣٩٣	٧٢ / ٢ _ المراد بقوله تعالى ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ :	
٣٩٦	قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [٤] ، في الآية الكريمة مسألتان :	

٣٩٦	٧٣ / ٣ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ أَهْلَكْنَا ﴾ .	
٣٩٧	٧٤ / ٤ _ المسألة الثانية : المراد بالكتاب في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ .	
٤٠٠	قال الله تعالى ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴾ [٨] .	
٤٠٠	٧٥ / ٥ _ المراد بالحق في قوله تعالى ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ .	
٤٠٤	قال الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ... ﴾ [٩] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٤٠٤	٧٦ / ٦ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ .	
٤٠٧	٧٧ / ٧ _ المسألة الثانية : المراد بالحفظ في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .	
٤١٠	قال الله تعالى ﴿ كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [١٢]	
٤١٠	٧٨ / ٨ _ مرجع الضمير في ﴿ نَسْأَلُكَ ﴾ .	
٤١٣	قال الله تعالى ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [١٣]	
٤١٣	٧٩ / ٩ _ مرجع الضمير في ﴿ بِهِمْ ﴾ .	
٤١٥	قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ... ﴾ [١٤]	

٤١٥	١٠ / ٨٠ _ مرجع الضمير في ﴿ فَظَلُّوا ﴾ .	
٤١٨	قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ [١٦] .	
٤١٨	١١ / ٨١ _ مرجع الضمير في ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ .	
٤٢١	قال الله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٨] .	
٤٢١	١٢ / ٨٢ _ نوع الاستثناء في قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ ﴾ .	
٤٢٣	قال الله تعالى ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ [١٩] .	
٤٢٣	١٣ / ٨٣ _ مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ .	
٤٢٦	قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ ﴾ [٢٠] .	
٤٢٦	١٤ / ٨٤ _ مسألة : المراد بـ ﴿ مَنْ ﴾ .	
٤٢٩	قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [٢١] . في الآية الكريمة مسألتان :	
٤٢٩	١٥ / ٨٥ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ شَيْءٍ ﴾ .	
٤٣٢	١٦ / ٨٦ _ المسألة الثانية : المراد بالخزائن في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ .	

٤٣٥	قال الله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ ﴾ [٢٢] .	
٤٣٥	١٧ / ٨٧ _ مسألة : المراد بـ ﴿ الرِّيحَ لَوَّاحٍ ﴾ .	
٤٤٠	قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ ﴾ [٢٤]	
٤٤٠	١٨ / ٨٨ _ مسألة : المراد بالمستقدمين والمستأخرين .	
٤٤٥	قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [٢٦] .	
٤٤٥	١٩ / ٨٩ _ مسألة : معنى ﴿ مَّسْنُونٍ ﴾ .	
٤٥٠	قال الله تعالى ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [٤١] .	
٤٥٠	٢٠ / ٩٠ _ من المشار إليه بـ ﴿ هَذَا ﴾ .	
٤٥٤	قال الله تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [٤٢] .	
٤٥٤	٢١ / ٩١ _ مسألة : المراد بـ ﴿ عِبَادِي ﴾ .	
٤٥٧	قال الله تعالى ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [٦٧] .	
٤٥٧	٢٢ / ٩٢ _ مسألة : متى كان هذا المحييء ؟ .	
٤٦٠	قال الله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [٧٢] ، في الآية الكريمة خمس مسائل :	

٤٦٠	٢٣ / ٩٣ _ المسألة الأولى : المراد بالعمر .	
٤٦٣	٢٤ / ٩٤ _ المسألة الثانية : مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ .	
٤٦٧	٢٥ / ٩٥ _ المسألة الثالثة : المراد بالسكرة .	
٤٧٠	٢٦ / ٩٦ _ المسألة الرابعة : مرجع الضمير في ﴿ سَكَرْتَهُمْ ﴾ .	
٤٧٢	٢٧ / ٩٧ _ المسألة الخامسة : المراد بـ ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ .	
٤٧٥	قال الله تعالى ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُرْقِينَ ﴾ [٧٣] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٤٧٥	٢٨ / ٩٨ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ الصَّيْحَةَ ﴾ .	
٤٧٨	قال الله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا ﴾ [٧٤] .	
٤٧٨	٢٩ / ٩٩ _ مرجع الضمير في ﴿ عَلَيْهَا سَافِلَهَا ﴾ .	
٤٨٠	قال الله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [٧٥] .	
٤٨٠	٣٠ / ١٠٠ _ معنى (متوسمين) .	
٤٨٤	قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [٧٦] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٤٨٤	٣١ / ١٠١ _ مسألة : مرجع الضمير في ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ .	
٤٨٧	٣٢ / ١٠٢ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ .	

٤٩١	قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴾ [٧٨] .	
٤٩١	٣٣ / ١٠٣ _ معنى ﴿ الْأَيْكَةِ ﴾ .	
٤٩٣	قال الله تعالى ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [٧٩] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٤٩٣	٣٤ / ١٠٤ _ مسألة : عود الضمير في ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ .	
٤٩٥	٣٥ / ١٠٥ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ لِبِإِمَامٍ ﴾ .	
٤٩٧	قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [٨٧] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٤٩٧	٣٦ / ١٠٦ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ .	
٥٠٤	٣٧ / ١٠٧ _ المسألة الثانية : المراد بالواو في ﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ .	
٥٠٦	قال الله تعالى ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ [٩٠] .	
٥٠٦	٣٨ / ١٠٨ _ المراد بالمقتسمين .	
٥٠٩	قال الله تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٩٢] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٥٠٩	٣٩ / ١٠٩ _ المسألة الأولى : مرجع الضمير في ﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾	
٥١١	قوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا	

	يَعْمَلُونَ ﴿ [٩٢ _ ٩٣] .	
٥١١	المسألة الثانية : السؤال عن ماذا في قوله تعالى ﴿ لَنَسْأَلَنَّهُمْ ﴾ .	
٥١٤	قال الله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [٩٨]	
٥١٤	١١١ / ٤١ _ المراد بـ ﴿ السَّاجِدِينَ ﴾ .	
٥١٦	قال الله تعالى ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [٩٩] .	
٥١٦	١١٢ / ٤٢ _ مسألة : المراد باليقين .	
٥٢٠	رابعاً : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة النحل من أول السورة إلى آية : ٧٩ . وفيها ثمانية وثمانون ترجيحاً .	
٥٢١	قال الله تعالى ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [١] ، في الآية الكريمة ثلاث مسائل :	
٥٢١	١١٣ / ١ _ المسألة الأولى : المراد بالأمر .	
٥٢٧	١١٤ / ٢ _ المسألة الثانية : مرجع الضمير في ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ..	
٥٢٩	١١٥ / ٣ _ المسألة الثالثة : القراءة في ﴿ يَرْكُونَ ﴾ .	
٥٢١	قال الله تعالى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَآءُ مِنْ	

	عِبَابِهِ ﴿ [٢] .	
٥٢١	١١٦ / ٤ _ مسألة : المراد بالروح .	
٥٢٥	قال الله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [٤] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٥٢٥	١١٧ / ٥ _ المسألة الأولى : المراد بالإنسان .	
٥٢٧	١١٨ / ٦ _ المسألة الثانية : نوع سياق هذين الوصفين (نطفة ، خصيم) .	
٥٣١	قال الله تعالى ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴾ [٧] .	
٥٣١	١١٩ / ٧ _ المراد بالبلد .	
٥٣٤	قال الله تعالى ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [٨] .	
٥٣٤	١٢٠ / ٨ _ مسألة : المراد بقوله ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .	
٥٣٧	قال الله تعالى ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ [٩] ، في الآية الكريمة أربع مسائل :	
٥٣٧	١٢١ / ٩ _ المسألة الأولى : المراد بقوله ﴿ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ .	
٥٤٢	١٢٢ / ١٠ _ المسألة الثانية : نوع (أل) في ﴿ السَّبِيلِ ﴾ والمراد	

	بـ ﴿السَّبِيلِ﴾ .	
٥٤٤	المسألة الثالثة : مرجع الضمير في ﴿وَمِنْهَا جَابِرٌ﴾ .	
٥٤٦	المسألة الرابعة : المراد بـ ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .	
٥٤٩	قال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً.....﴾ [١٠]	
٥٤٩	المسألة الخامسة : المراد بالشجر في قوله تعالى ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ .	
٥٧٢	قال الله تعالى ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ.....﴾ [١٣] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٥٥١	المسألة الأولى : المراد بـ ما ذراه الله تعالى في الأرض	
٥٥٣	المسألة الثانية : المراد بـ ﴿أَلْوَانُهُ﴾ .	
٥٥٦	قال الله تعالى ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ.....﴾ [١٥] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٥٥٦	المسألة الأولى : معنى ﴿وَأَلْقَى﴾ .	
٥٥٩	المسألة الثانية : المراد بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ .	
٥٦٢	قال الله تعالى ﴿وَعَلَّمَتِ وَيَا لَنَجْمٍ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [١٦] ، في الآية الكريمة مسألتان :	

٥٦٢	المسألة الأولى : المراد بالعلامات . ١٣٠ / ١٨	
٥٦٤	المسألة الثانية : المراد ﴿ وَيَالنَّجْمِ ﴾ . ١٣١ / ١٩	
٥٦٨	قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ﴾ [٢٠] .	
٥٦٨	مسألة : المراد بـ ﴿ وَهُمْ يَخْلُقُونَ ﴾ . ١٣٢ / ٢٠	
٥٧٠	قال الله تعالى ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [٢١] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٥٧٠	المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ . ١٣٣ / ٢١	
٥٧٢	المسألة الثانية : مرجع الضمير في ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ . ١٣٤ / ٢٢	
٥٧٥	المسألة الثالثة : المراد بـ ﴿ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ . ١٣٥ / ٢٣	
٥٧٧	قال الله تعالى ﴿ لَا جَرَمَ أَنِ اتَّ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [٢٣] .	
٥٧٧	المسألة الرابعة : المراد بـ ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ . ١٣٦ / ٢٤	
٥٧٩	قال الله تعالى ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [٢٥] ، في الآية الكريمة مسألتان :	

٥٧٩	المسألة الأولى : المراد بـ (من) في ﴿ وَمِنْ أَوْزَارٍ ﴾	
٥٨٤	المسألة الثانية : إعراب قوله تعالى ﴿ بَغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .	
٥٨٨	المسألة الثالثة : المراد بـ ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ .	
٥٩١	معنى ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾	
٥٩٥	المسألة الثالثة : من الذي رد على الكفار بقوله ﴿ بَلَى ﴾ ؟	
٥٩٧	قال الله تعالى ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [٢٩] .	
٥٩٧	المسألة الرابعة : المراد بالأبواب .	
٦٠١	قال الله تعالى ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ [٣٠] ، في الآية الكريمة أربع مسائل :	
٦٠١	المسألة الأولى : قول المفسرين في ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ .	
٦٠٤	المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ حَسَنَةً ﴾ .	
٦٠٨	المسألة الثالثة : متى تكون لهم هذه الحسنه ؟	
٦١٠	المسألة الرابعة : من المخصوص بالمدح في قوله تعالى ﴿ وَلَنِعْمَ أَرَأُ الْمُتَّقِينَ ﴾ ؟	

٦١٣	قال الله تعالى ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [٣٢] ، في الآية الكريمة مسألتان :
٦١٣	١٤٧ / ٣٥ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ .
٦٢٠	١٤٨ / ٣٦ _ المسألة الثانية : متى يقال ﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ .
٦٤٩	قال الله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [٣٣] .
٦٢٣	١٤٩ / ٣٧ _ معنى قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ ﴾ .
٦٢٥	قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنُبُوَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ... ﴾ [٤١] ، في الآية الكريمة مسألتان
٦٢٥	١٥٠ / ٣٨ _ المسألة الأولى : من المراد بـ ﴿ الَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ .
٦٢٩	١٥١ / ٣٩ _ المسألة الثانية : مرجع الضمير في ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ .
٦٣٢	قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴾ [٤٣] .
٦٣٢	١٥٢ / ٤٠ _ المراد بأهل الذكر .
٤٣٨	قال الله تعالى ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ [٤٤] ، في الآية الكريمة مسألتان :
٤٣٨	١٥٣ / ٤١ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ الذِّكْرَ ﴾ .

٦٤١	المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .	
٦٤٤	قال الله تعالى ﴿ أَوْلَمَ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّيُونَ ظِلُّهُ ﴾ ﴿ [٤٨] ، في الآية الكريمة أربع مسائل :	
٦٤٤	المسألة الأولى : مرجع الضمير في ﴿ أَوْلَمَ يَرَوْا ﴾ .	
٦٤٦	المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ يَتَفَتَّيُونَ ظِلُّهُ ﴾ .	
٦٤٨	المسألة الثالثة : المراد الظلال .	
٦٥١	المسألة الرابعة : المراد بالسجود .	
٦٥٣	قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ آبَةٍ ﴾ [٤٩] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٦٥٣	المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ مِنْ ﴾ .	
٦٥٥	المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ وَالْمَلَكَةِ ﴾ .	
٦٥٧	قال الله تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿ [٥٠] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٦٥٧	المسألة الأولى : مرجع الضمير في ﴿ يَخَافُونَ ﴾ .	
٦٥٩	المسألة الثانية : المراد بالفوقية .	
٦٦٢	قال الله تعالى ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا	

	 ﴿ [٥٢] .
٦٦٢		١٦٣ / ٥١ _ المراد بـ ﴿ وَاصِبًا ﴾ .
٦٦٨		قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَا كُفِّرَتْ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [٥٤] ، في الآية الكريمة مسألتان :
٦٦٨		١٦٤ / ٥٢ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ فَرِيقٌ ﴾ .
٦٧٠		١٦٥ / ٥٣ _ المسألة الثانية : الخطاب لمن في ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ ﴾ .
٦٧٢		قال الله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ [٥٦] .
٦٧٢		١٦٦ / ٥٤ _ مرجع الضمير في ﴿ يَعْلمُونَ ﴾ .
٧٧٥		قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [٥٨] .
٧٧٥		١٦٧ / ٥٥ _ معنى ﴿ ظَلَّ ﴾ .
٦٧٧		قال الله تعالى ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ [٥٩] ، في الآية الكريمة مسألتان :
٦٧٧		١٦٨ / ٥٦ _ المسألة الأولى : معنى ﴿ أَمْرِيْدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ .
٦٨٠		١٦٩ / ٥٧ _ المسألة الثانية : مرجع الحكم في ﴿ أَلَا سَاءَ مَا

	يَحْكُمُونَ ﴿٦٨٣﴾ .	
٦٨٣	قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ..... ﴾ [٦١] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٦٨٣	١٧٠ / ٥٨ _ المسألة الأولى : المراد بالناس في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ ﴾ .	
٦٨٦	١٧١ / ٥٩ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ دَابَّةٍ ﴾ .	
٦٩٠	قال الله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [٦٢] .	
٦٩٠	١٧٢ / ٦٠ _ المراد بالحسنى .	
٦٩٣	قال الله تعالى ﴿ تَأَلَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [٦٣] .	
٦٩٣	١٧٣ / ٦١ _ مرجع الضمير في ﴿ وَلِيَهُمْ ﴾ .	
٦٩٦	قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ ﴾ [٦٦] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٦٩٦	١٧٤ / ٦٢ _ المسألة الأولى : عود الضمير في ﴿ نُسَقِيكُمْ ﴾ .	
٦٩٨	١٧٥ / ٦٣ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْتٍ وَدَمٍ ﴾ .	
٧٠١	قال الله تعالى ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ	

	سَكْرًا.... ﴿ [٦٧] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٧٠١	١٧٦ / ٦٤ _ المسألة الأولى : معنى ﴿ سَكْرًا ﴾ .	
٧٠٧	١٧٧ / ٦٥ _ المسألة الثانية : المراد بالرزق الحسن .	
٧١١	قال الله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [٦٨] ، في الآية الكريمة ثلاث مسائل :	
٧١١	١٧٨ / ٦٦ _ المسألة الأولى : نوع ﴿ مِنْ ﴾ في ﴿ مِنَ الْجِبَالِ ﴾ وفي ﴿ وَمِنَ الْجَرِّ ﴾ وفي ﴿ مِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ .	
٧١٣	١٧٩ / ٦٧ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ بُيُوتًا ﴾ .	
٧١٥	١٨٠ / ٦٨ _ المسألة الثالثة : المراد بـ ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ .	
٧٤٤	قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [٦٩] ، في الآية الكريمة خمس مسائل :	
٧١٧	١٨١ / ٦٩ _ المسألة الأولى : المراد بـ ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ .	
٧٢٠	١٨٢ / ٧٠ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ .	
٧٢٢	١٨٣ / ٧١ _ المسألة الثالثة : المراد بـ ﴿ سُبُلِ رَبِّكَ ﴾ .	
٧٢٥	١٨٤ / ٧٢ _ المسألة الرابعة : عود الضمير في ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾	

٧٣٠	١٨٥ / ٧٣ _ المسألة الخامسة : قوله تعالى ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ هل هو على عمومه أم لا ؟ .	
٧٣٣	قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ [٧٠] .	
٧٣٣	١٨٦ / ٧٤ _ هل يتقيد أرذل العمر بسن معينة ؟ .	
٧٣٧	قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [٧٢] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٧٣٧	١٨٧ / ٧٥ _ المسألة الأولى : المراد بالحفدة .	
٧٤٣	١٨٨ / ٧٦ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿ الطَّيِّبَاتِ ﴾ .	
٧٤٦	قال الله تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴾ [٧٣] .	
٧٤٦	١٨٩ / ٧٧ _ عود الضمير في ﴿ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ .	
٧٤٩	قال الله تعالى ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [٧٤] .	
٧٤٩	١٩٠ / ٧٨ _ المراد بـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .	
٧٥٢	قال الله تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [٧٥] ، في الآية الكريمة أربع مسائل :	
٧٥٢	١٩١ / ٧٩ _ المسألة الأولى : من المراد بالمثل .	
٧٥٤	١٩٢ / ٨٠ _ المسألة الثانية : مناسبة ضرب هذا المثل .	

٧٥٨	١٩٣ / ٨١ _ المسألة الثالثة : الخطاب لمن في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .	
٧٥٩	١٩٤ / ٨٢ _ المسألة الرابعة : المراد بـ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .	
٧٦١	قال الله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ.....﴾ [٧٦] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٧٦١	١٩٥ / ٨٣ _ المسألة الأولى : من المراد في المثل .	
٧٦٣	١٩٦ / ٨٤ _ المسألة الثانية : لمن المثل في قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ .	
٧٦٦	قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.....﴾ [٧٧] .	
٧٦٦	١٩٧ / ٨٥ _ المراد بالغيب .	
٧٦٩	قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...﴾ [٧٨] .	
٧٦٩	١٩٨ / ٨٦ _ المراد بـ ﴿شَيْئًا﴾ .	
٧٧١	قال الله تعالى ﴿الْمَيْرُوا إِلَى الظَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ.....﴾ [٧٩] ، في الآية الكريمة مسألتان :	
٧٧١	١٩٩ / ٨٧ _ المسألة الأولى : المراد بالجو .	
٨٧٤	٢٠٠ / ٨٨ _ المسألة الثانية : المراد بـ ﴿مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ﴾	

	آلَسْمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﷻ .	
٧٧٦	الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة .	٦
٧٨٠	الفهارس : وتتضمن الفهارس التالية :	٧
٧٨١	١ _ فهرس الآيات القرآنية .	
٨١٢	٢ _ فهرس القراءات .	
٨١٥	٣ _ فهرس الأحاديث النبوية .	
٨١٩	٤ _ فهرس الآثار .	
٨٢١	٥ _ فهرس الأعلام .	
٨٣٠	٦ _ فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة .	
٨٣٥	٧ _ فهرس الفرق والقبائل .	
٨٣٦	٨ _ فهرس الأماكن والبلدان .	
٨٣٨	٩ _ فهرس الشواهد الشعرية .	
٨٤٢	١٠ _ فهرس المصادر والمراجع .	
٨٦٠	١١ _ فهرس الموضوعات .	

